الصَّحِيحُ وَالضَّعِيفُ وَالمسكُوتُ عَنْهُ

تَارِيخ الطَّبَرِي

تتمة تاريخ الخلافة في عهد العباسيين

٢٤٨هـ - ٣٠٢هـ

للإمام أبي جعفر بن جرير الطَّبَرِي

(٢٢٤ - ٣١٠هـ)

حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ رِوَايَاتِهِ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ وَمَيَّزَ صَحِيحَهُ

محمد بن طاهر البرزنجي

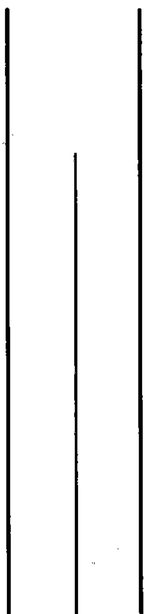
بإشراف ومراجعة المحقق

محمد صبحي حسن حلاق

المجلد الثالث عشر

دار ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم



الصحيح والضعيف والمسكوت عنه

تاريخ الطبري

تتمة تاريخ الخلافة في عهد العباسيين

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : صحيح و ضعي تاريخ الطبري 13\1

التأليف : الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 6299

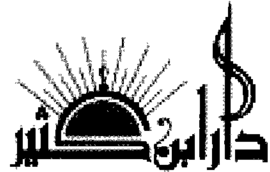
القياس : 17×24

التجليد : فني – كعب لوحة

الوزن : 13 كغ

التنفيذ الطباعي : مطابع المستقبل

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد



دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 – 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 – 2458541

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 – جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

وبعد: فلابد من وقفة أخرى قبل مواصلتنا لمنهج التخريج والتعليق على أخبار الإمام الطبري رحمه الله تعالى والملفت للنظر هنا ليس ندرة إيراد الأسانيد واختفائها تدريجياً. .

وإنما توقف المصادر الموثوقة المتقدمة الأخرى التي استشهدنا بها للمقارنة والتصويب فتأريخ خليفة بن خياط توقف عند سنة (٢٣٢ هـ) وإن كان في سنته الأخيرة يقتصر على ذكر الحج وبعض الوفيات، ثم تأريخ البسوي الذي توقف عند سنة (٢٤٢ هـ) وهذان مصدران تأريخيان على النظام الحولي لمؤرخين متقدمين من المؤرخين الثقات عند أئمة الجرح والتعديل.

أما المصادر الأخرى والتي تأتي بالدرجة الثانية من حيث اعتمادنا على مروياتها لا لجرح في مؤلفيها (حاشا) بل هم ثقات إلاّ أنهم استخدموا النظام الحولي قليلاً ولم يتخذوه منهجاً ـ ونادراً ما يستخدمون الإسناد ـ أقول وحتى هذه المصادر توقفت جلّها قبل هذا التأريخ سوى مصدر واحد ينتهي عند أحداث السنة (٢٥٦ هـ) وأعني المعارف لابن قتيبة الدينوري ـ أما الأخبار الطوال فينتهي مع نهاية عهد المعتصم الخليفة، وأما كتاب الوزراء والكتاب فالذي وصل إلينا منه مطبوعاً ينتهي في عهد المأمون.

وهنا اشتدت حاجتنا إلى مصادر أخرى من المصادر الموثوقة التي تستخدم الإسناد غالباً إلاّ أنها جاءت متأخرة عن عهد المؤرخين الكبار بعقد ونصف أو عقدين فصاعداً ونعني:

١ ـ تأريخ بغداد للخطيب البغدادي.

٢ ـ المنتظم لابن الجوزي.

٣ ـ تأريخ دمشق لابن عساكر.

والذي يستدعي الانتباه أن ابن الجوزي رحمه الله تعالى وبالرغم من تأخره عن عصر الطبري فقد توفي سنة (٥٩٧ هـ) إلا أنه جاء بأخبار الطبري وزاد عليها أخبار أخرى أحياناً بإسناده المتصل من طريق الخطيب البغدادي وأحياناً أخرى بإسناده المتصل من غير هذا الطريق ويؤيد أخبار الطبري أحياناً بروايات مسندة ومن الأمثلة على ذلك خبر دخول الزنج البصرة سنة (٢٥٧ هـ) وقتلهم الرياشي العلامة رحمه الله تعالى [انظر المنتظم ١٢/ ١٣٤].

أما الخطيب البغدادي فاسم على مسمى فقد اهتمّ بأخبار الخلفاء العباسيين وخاصة سنيّ حكمهم وتأريخ بيعتهم ووفاتهم وبعضاً من سيرهم ، وكذلك فعل الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى.

والملاحظة الأخيرة التي نودّ أن نذكرها هي أن الطبري وكلما تقدّم في ذكر الأعوام المتوالية أصبح إسناده عالياً (بغضِّ النظر عن درجة رواته).

حتى إنه أحياناً يروي الخبر عن شاهد عيان مباشر.

وخاصة بعد وروده بغداد بعد وفاة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بمدة.

وقد عاصر كثيراً من تلك الأحداث الجسام وإن لم يشارك في فصولها فقد عاصر حركة الزنج التي انتهت عام ٢٧٠ هـ بعدما يزيد على عقد من الزمان وهذا على سبيل المثال لا الحصر وتكتسب شهادات الطبري وأخباره في آخر عمره أهمية كبرى لأنه إمام مؤرخ ثقة وإن كان ذلك لا ينفي عن بعض أخباره نكارات ومبالغات ، والعهدة على من روى عنهم كما أشار إلى ذلك رحمه الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

خلافة المنتصر محمد بن جعفر

وفيها بويع للمنتصر محمد بن جعفر بالخلافة في يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال، وقيل . . . لثلاث خلون منه ـ وهو ابن خمس وعشرين سنة وكنيته أبو جعفر ـ بالجعفرية فأقام بها بعدما بويع له عشرة أيام ثم تحول منها بعياله وقواده وجنوده إلى سامرّا(١) . .

وكان قد بايعه ليلة الأربعاء الذين ذكرناهم قبل فذكر عن بعضهم أنه قال: لمّا كان صبيحة يوم الأربعاء حضر الناس الجعفرية من القواد والكتاب والوجوه والشاكرية والجند وغيرهم، فقرأ عليهم أحمد بن الخصيب كتاباً يخبر فيه عن أمير المؤمنين المنتصر أن الفتح بن خاقان قتل أباه جعفراً المتوكل فقتله به، فبايع الناس وحضر عبيد الله بن يحيى بن خاقان فبايع وانصرف.

وذكر عن أبي عثمان سعيد الصغير أنه قال: لما كانت الليلة التي قتل فيها المتوكل، كنا في الدار مع المنتصر فكان كلما خرج الفتح خرج معه وكلما رجع قام لقيامه وجلس لجلوسه وخرج في أثره وكلما ركب أخذ بركابه، وسوّى عليه ثيابه في سرج دابته، وكان اتصل بنا الخبر أن عبيد الله بن يحيى قد أعدّ له قوماً في طريقه ليغتالوه عند انصرافه، وقد كان المتوكل أسمعه وأحفظه قبل انصرافه، ووثب بِهِ؛ فانصرف على غضب، وانصرفنا معه، فلمّا صار إلى داره أرسل إلى

(١) وقال ابن قتيبة الدينوري: وبويع المنتصر محمد بن جعفر وتوفي بعد ستة أشهر [المعارف/ ٢٠٠].

والذي اختاره الحافظ ابن كثير أن المنتصر بويع له بالخلافة في الليل حين قُتل أبوه (الخليفة) فلما كان الصباح من يوم الأربعاء رابع شوال أخذت له البيعة من العامة وبعث إلى أخيه المعتز فأحضره إليه فبايعه المعتز [البداية والنهاية / ٨/ ٢١٥].

نُدمائه وخاصّته ـ وقد كان واعد الأتراك على قتل المتوكل قبل انصرافه إذا ثمل من النبيذ ـ قال: فلم ألبث أن جاءني الرّسول: أن احضر فقد جاءت رسل أمير المؤمنين إلى الأمير؛ وهو على الركوب؛ فوقع في نفسي ما كان دار بيننا أنهم على اغتيال المنتصر؛ وأنه إنما يُدعَى لذلك؛ فركبت في سلاح، وعِدّة، وصرت إلى باب الأمير، فإذا هم يموجون؛ وإذا واجن قد جاءه فأخبره أنه قد فَرَغَ من أمره، فركب فلحقتُه في بعض الطريق وأنا مرعوب؛ فرأى ما بي، فقال: ليس عليك! إنّ أمير المؤمنين قد شرق بقدح شربه بعد انصرافنا، فمات رحمه الله.

فأكبرت ذلك، وشقّ عليّ، ومضينا وأحمد بن الخصيب وجماعة من القوّاد معنا حتى دخلنا الحَيْر، وتتابعت الأخبار بقتْل المتوكّل، فأخِذت الأبواب، ووُكّل بها، وقلت: يا أميرَ المؤمنين، وسلَّمْتُ عليه بالخلافة، وقلت: لا ينبغي أن نفارقك لموضع الشَّفَقة عليك من مواليك في هذا الوقت، قال: أجل؛ فكن أنت من ورائي وسليمان الروميّ، وأُلْقِيَ منديلٌ، فجلس عليه، وأحطْنا به، وحضر أحمد بن الخصيب وكاتبه سعيد بن حميد لأخذ البيعة[1].

فذُكر عن سعيد بن حُميد أن أحمد بن الخصيب، قال له: ويلك يا سعيد! معك كلمتان أو ثلاث تأخذ بها البيعة، قلت: نعم؛ وكلمات، وعملت كتاب البيعة، وأخذتها على مَنْ حضر وكلّ من جاء حتى جاء سعيد الكبير، فأرسله إلى المؤيّد، وقال لسعيد الصغير: امض أنت إلى المعتزّ حتى تُحضره، قال سعيد الصغير: فقلت: أمّا ما دمْتَ يا أمير المؤمنين في قلّة ممّن معك فلا أبرح والله من وراء ظهرك؛ حتى يجتمع الناس، قال أحمد بن الخصيب: هاهنا مَنْ يكفيك، فامض؛ فقلت: لا أمضي حتى يجتمع مَنْ يكفي؛ فإنِّي الساعة أوْلى به منك! فلما كثر القوّاد، وبايعوا؛ مضيت وأنا آيس من نفسي، ومعي غلامان؛ فلما صرتُ إلى باب أبي نوح، والناس يموجون ويذهبون ويجيئون؛ وإذا على الباب جمعٌ كبير في سلاح وعِدّة، فلما أحسُّوا بي لحقني فارس منهم؛ فسألني وهو لا يعرفني: مَنْ أنت؟ فعمَّيت عليه خبري، وأخبرته أنِّي مِنْ بعض أصحاب الفتح، ومضيتُ حتى صرت إلى باب المعتزّ، فلم أجد به أحداً من الحرس

---

(١) كعادته ينفرد الطبري بتفاصيل دون غيره من المؤرخين المتقدمين وانظر تعليقنا السابق.

والبوابين والمكبّرين ولا خلقاً من خلق الله حتى صرت إلى الباب الكبير ، فدقَقتُه دقّاً عنيفاً مفرطاً ، فأجِبت بعد مدّة طويلة ، فقيل لي: من هذا؟ فقلت: سعيد الصغير؛ رسول أمير المؤمنين المنتصر؛ فمضى الرّسول ، وأبطأ عليّ ، وأحسست بالمنكر وضاقت عليّ الأرض ، ثم فُتح الباب فإذا ببيدون الخادم قد خرج؛ وقال لي: ادخل وأغلق الباب دوني ، فقلت: ذهبتْ والله نفسي ، ثم سألني عن الخبر ، فأخبرته أنَّ أمير المؤمنين شرِق بكأسٍ شربها ومات من ساعته؛ وأن الناس قد اجتمعوا وبايعوا المنتصر ، وأنه أرسلني إلى الأمير أبي عبد الله المعتزّ بالله ليحضر البَيْعة ، فدخل ثم خرج إليّ؛ فقال: ادخل ، فدخلت على المعتزّ؛ فقال لي: ويلك يا سعيد! ما الخبر؟ فأخبرته بمثل ما أخبرت به بيدون ، وعزّيته وبكيت ، وقلت: تحضر يا سيّدي ، وتكون في أوائل مَنْ بايع ، فتستدعي بذلك قلب أخيك ، فقال لي: ويلك حتى نصبح! فما زلت أفتِلُه في الحبل والغارب؛ ويُعينني عليه بيدون الخادم ، حتى تهيّأ للصلاة ، ودعى بثيابه فلبسَها ، وأخرج له دابّة ، وركب وركبت معه ، وأخذت طريقاً غير طريق الجادّة ، وجعلت أحدّثه وأسهّل الأمر عليه ، وأذكره أشياء يعرفها من أخيه ، حتى إذا صرنا إلى باب عبيد الله بن يحيى بن خاقان سألني عنه ، فقلت: هو يأخذ البيعة على الناس ، والفتح قد بايع ، فيئس حينئذ؛ وإذا بفارس قد لَحِق بنا ، وصار إلى بيدون الخادم ، فسارّه بشيء لا أعلمه ، فصاح به بيدون؛ فمضى ثم رجع ثلاثاً؛ كلّ ذلك يردّه بيدون ويصيح به: دعنا؛ حتى وافينا بابَ الحَيْر فاستفتحته فقيل لي: مَنْ أنت؟ قلت: سعيد الصغير والأمير المعتزّ ، ففُتح لي الباب ، وصرنا إلى المنتصر؛ فلمّا رآه قرّبه وعانقه وعزّاه ، وأخذ البيعة عليه؛ ثم وافى المؤيد مع سعيد الكبير ، ففعل به مثل ذلك ، وأصبح الناس ، وصار المنتصر إلى الجعفريّ ، فأمر بدفن المتوكل والفتح ، وسكن الناس ، فقال سعيد الصغير: ولم أزل أطالب المعتزّ بالبُشرى بخلافة المنتصر وهو محبوس في الدار ، حتى وَهب لي عشرة آلاف درهم[١] .

* * *

(١) هذه تفاصيل لا نستطيع نفيها ولا إثباتها وأمثالها بحاجة إلى إسناد موصول رجاله ثقات في نظر ابن حبان على الأقل دون أن يكونوا مجروحين ، والله أعلم.

وفي هذه السنة خلع المعتز والمؤيد أنفسهما، وأظهر خلعهما في القصر الجعفريّ المحدث[١].

وكانت نسخة البيعة التي أخذت للمنتصر:

بسم الله الرحمن الرحيم

تُبايعون عبدَ الله المنتصر بالله أمير المؤمنين بَيْعةَ طوعٍ واعتقاد ورضاً، ورغبة بإخلاص من سرائركم، وانشراح من صدوركم، وصدقٍ من نياتكم؛ لا مكرَهين ولا مجبَرين، بل مقرّين عالمين بما في هذه البَيْعة وتأكيدها من طاعة الله وتَقْواه، وإعزاز دين الله وحقه، ومن عموم صلاح عباد الله، واجتماع الكلمة، ولمّ الشعث، وسكون الدهماء، وأمْن العواقب، وعزّ الأولياء، وقَمْع الملحدين؛ على أن محمداً الإمام المنتصر بالله عبد الله وخليفته المفترض عليكم طاعته ومناصحته والوفاء بحقه وعقده، لا تشكّون ولا تُدْهنون، ولا تميلون ولا ترتابون؛ وعلى السَّمْع له، والطاعة المسالمة، والنُّصرة والوفاء والاستقامة، والنصيحة في السرّ والعلانية، والخُفوف والوقوف عند كلّ ما يأمر به عبد الله الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين؛ وعلى أنّكم أولياء أوليائه، وأعداء أعدائه، من خاصٍّ وعامٍّ، وأبعَد وأقربَ، وتتمسكون ببيعته بوفاء العقد، وذمّة العهد؛ سرائرُكم في ذلك مثل علانيتكم، وضمائركم مثل ألسنتكم؛ راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين في عاجِلكم وآجلكم، وعلى إعطائكم أمير المؤمنين -بعد تجديدكم بيعتَه هذه على أنفسكم، وتأكيدكم إياها في أعناقكم- صَفقة أيْمانكم، راغبين طائعين عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم؛ وعلى ألاّ تسعوْا في نقض شيء مما أكد الله عليكم، وعلى ألاّ يميل بكم مميل في ذلك عن نُصرة وإخلاص، ونصح وموالاة، وعلى ألا تبدّلوا ولا يرجع منكم راجع عن نيّته، وانطوائه إلى غير علانيته وعلى أن تكون بيعتُكم التي أعطيتُم بها ألسنَتكم وعهودَكم بيعة يطلع الله من قلوبكم على اجتبائها واعتقادها، وعلى الوفاء بذمّتِه بها، وعلى إخلاصكم في نصرتها وموالاة أهلها، لا يشوب ذلك منكم دَغَل

(١) انظر البداية والنهاية [٨/ ٢١٥].

ولا إدهان ولا احتيال ولا تأوّل؛ حتى تلقوا الله؛ موفين بعهده ، ومؤدِّين حقَّه عليكم ، غير مستشرفين ولا ناكثين ، إذ كان الذين يبايعون منكم أميرَ المؤمنين إنما يبايعون الله؛ يد الله فوق أيديهم ، فمن نكَث فإنما ينكُث على نفسه ، ومَنْ أوفَى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً.

عليكم بذلك وبما أكّدت هذه البيعة في أعناقكم ، وأعطيتم بها من صَفَقة أيْمانكم ، وبما اشترط عليكم بها من وفاء ونَصْر ، وموالاة واجتهاد ونُصْح؛ وعليكم عهد الله؛ إنّ عهده كان مسؤولاً؛ وذمّة الله وذمة رسوله ، وأشدّ ما أخذ على أنبيائه ورسله ، وعلى أحد من عباده من متأكّد وثائقه أن تسمعوا ما أخِذ عليكم في هذه البيعة ، ولا تبدّلوا ، وأن تُطيعوا ولا تعصوا ، وأن تُخلصوا ولا ترتابوا ، وأن تتمسّكوا بما عاهدتم عليه تمسُّكَ أهل الطاعة بطاعتهم وذوي العهد والوفاء بوفائهم وحقهم؛ لا يلفتكم عن ذلك هوىً ولا ميل ، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدىً؛ باذلين في ذلك أنفسَكم واجتهادكم ، ومقدّمين فيه حقّ الدين والطاعة بما جعلتم على أنفسكم؛ لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها.

فمَنْ نكَث منكم ممن بايع أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكّد عليه مسرّاً أو معلناً ، أو مصرّحاً أو محتالاً؛ فادّهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخِذَت به مواثيق أمير المؤمنين ، وعهود الله عليه؛ مستعملاً في ذلك الهوينى دون الجِدّ ، والركون إلى الباطل دون نُصرة الحق ، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم؛ فكلّ ما يملك كلُّ واحد ممّن خان في ذلك بشيء نقض عهدَه من مال أو عقار أو سائمة ، أو زرع أو ضَرْع صدقةٌ على المساكين في وجوه سبيل الله ، محرّمٌ عليه أن يرجع شيء من ذلك إلى ماله عن حيلة يقدّمها لنفسه ، أو يحتال بها ، وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقلّ خطرها أو يجلّ قدرها ، فتلك سبيل إلى أن توافيَه منيَّتُه ، ويأتي عليه أجلُه؛ وكلُّ مملوك يملكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى أحرار لوجه الله؛ ونساؤه في يوم يلزمه الحِنْث ، ومن يتزوجه بعدهنّ إلى ثلاثين سنة طوالق البتّة طلاق الحرج والسنة؛ لا مثنويّة فيه ولا رَجْعة ، وعليه المشي إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ، لا يقبل الله منه إلاّ الوفاء بها؛ وهو بريء من الله ورسوله؛ والله ورسوله منه بريئان؛ ولا قبلَ الله منه

صَرْفاً ولا عدلاً؛ والله عليكم بذلك شهيد ، وكفى بالله شهيداً[١]. [٣٨٧].

* * *

وذكر أنه لمّا كانت صبيحة اليوم الذي بويع فيه المنتصر شاع الخبر في الماحوزة ـ وهي المدينة التي كان جعفر بناها في أهل سامرّا ـ بقتل جعفر ، وتوافَى الجندُ والشاكريّة بباب العامة بالجعفريّ وغيرهم من الغوغاء والعوامّ ، وكثر الناس وتسامعوا ، وركب بعضهم بعضاً ، وتكلموا في أمرِ البيعة ، فخرج إليهم عَتّاب بن عتّاب ـ وقيل: إنّ الذي خرج إليهم زُرافة ـ فأبلغهم عن المنتصر ما يحبون ، فأسمعوه؛ فدخل إلى المنتصر فأخبره؛ فخرج وبين يديه جماعة من المغاربة ، فصاح بهم: يا كلاب! خذوهم؛ فحملوا على الناس فدفعوهم إلى الثلاث الأبواب ، فازدحم الناس ووقع بعضهم على بعض؛ ثم تفرّقوا عن عِدّة قد ماتوا من الزَّحْمة والدَّوْس؛ فمنهم من ذكر أنهم كانوا ستة نفر ، ومنهم من قال: كانوا ما بين الثلاثة إلى الستة.

* * *

وفيها ولَّى المنتصر أبا عَمْرة أحمد بن سعيد ـ مولى بني هاشم ، بعد البيعة له بيوم ـ المظالم ، فقال قائل:

يــا ضيعــةَ الإســلامِ لمَّــا وَلِــي مظـــالــمَ النَّـــاسِ أَبـــو عَمْـــرَهْ
صُيِّـــرَ مـــأْمـــونـــاً علـــى أمـــةٍ وليـــسَ مـــأْمـــونـــاً علـــى بَعْـــرَهْ[٢]

وفي ذي الحجة من هذه السنة أخرج المنتصر عليّ بن المعتصم من سامرّا إلى بغداد ووكّل به[٣].

وحجّ بالناس فيها محمد بن سليمان الزينبيّ[٤].

---

(١) هذه الرسائل والكتب وما شابهها ذكرها الطبري بلا إسناد في الغالب فالله أعلم بصحتها.
(٢) انظر البداية والنهاية [٨/ ٢١٥].
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) المصدر السابق نفسه.

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر غزاة وصيف التركيّ الروم]

فمن ذلك ما كان من إغزاء المنتصر وصيفاً التركي صائفة أرض الروم(١).

* ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وما كان في ذلك من وصيف :

ذُكر أنّ السبب في ذلك أنه كان بين أحمد بن الخصيب ووصيف شحناء وتباغض؛ فلمّا استُخلف المنتصر ، وابن الخصيب وزيرُه؛ حرَّضَ أحمد بن الخصيب المنتصر على وصيف ، وأشار عليه بإخراجه من عسكره غازياً إلى الثّغر؛ فلم يزل به حتى أحضره المنتصر ، فأمره بالغزو.

وقد ذُكر عن المنتصر أنه لمّا عَزَم على أن يُغزي وصيفاً الثغر الشاميّ ، قال له أحمد بن الخصيب: ومَنْ يجترىء على الموالي حتى تأمر وصيفاً بالشخوص! فقال المنتصر لبعض من الحجَبة: ائذن لمن حضر الدار؛ فأذن لهم وفيهم وصيف ، فأقبل عليه ، فقال له: يا وصيف؛ أتانا عن طاغية الروم أنه أقبل يريد الثغور ، وهذا أمر لا يمكن الإمساك عنه؛ فإمّا شخصتَ وإما شخصتُ؛ فقال وصيف: بل أشخصُ يا أمير المؤمنين ، قال: يا أحمد؛ انظر ما يحتاج إليه على أبْلَغ ما يكون فأقمه له. قال: نعم يا أمير المؤمنين ، قال: ما نَعمْ؟! قم الساعة لذلك؛ يا وصيف مُر كاتبَك يوافقه على ما يحتاج إليه ، ويلزمه حتى يزيح علّتك فيه ، فقام أحمد بن الخصيب ، وقام وصيف ، فلم يزل في جهازه حتى خَرَج ، فما أفلح ولا أنجح.

وذكر أنّ المنتصر لما أحضر وصيفاً وأمره بالغزو ، قال له: إنّ الطاغية ـ يعني ملك الروم ـ قد تحرّك ، ولست آمنه أن يهلك كلّ ما يمرّ به من بلاد الإسلام ، ويقتل ويسبي الذراريّ؛ فإذا غزوتَ وأردت الرّجعة انصرفت إلى باب أمير المؤمنين من فورِك ، وأمر جماعة من القوّاد وغيرهم بالخروج معه وانتخب له

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣) فقد ذكر الخبر مختصراً.

الرجال؛ فكان معه من الشاكريّة والجند والموالي زُهاء عشرة آلاف رجل؛ فكان على مقدّمته في بدأته مُزاحم بن خاقان؛ أخو الفتح بن خاقان؛ وعلى السَّاقة محمد بن رجاء ، وعلى الميمنة السنديّ بن بختاشة ، وعلى الدّرّاجة نصر بن سعيد المغربيّ؛ واستعمل على الناس والعسكر أبا عون خليفته؛ وكان على الشّرْطة بسامرّا.

* * *

وكتب المنتصر عند إغزائه وصيفاً مولاه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين.

سلام عليك؛ فإن أميرَ المؤمنين يحمَد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّيَ على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله ، أما بعد: فإنّ الله ـ وله الحمد على آلائه والشكرُ بجميل بلائه ـ اختار الإسلام وفضّله ، وأتمّه وأكمله ، وجعله وسيلة إلى رضاه ومثوبته ، وسبيلاً نَهْجاً إلى رحمته ، وسبَبَاً إلى مذْخُور كرامته؛ فقهر له مَنْ خالفه ، وأذلّ له من عَنَدَ عن حقه ، وابتغى غير سبيله ، وخصَّه بأتمّ الشرائع وأكملها ، وأفضل الأحكام وأعدلِها؛ وبعث به خيرته مِنْ خلقه وصفوته من عباده محمّداً ﷺ ، جعل الجهاد أعظَم فرائضه منزلةً عنده ، وأعلاها رتبة لديه ، وأنجَحها وسيلة إليه؛ لأن الله عزّ وجلّ أعزّ دينه ، وأذلّ عُتاة الشرك ، قال عزّ وجلّ آمراً بالجهاد ، ومفترضاً له: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، وليست تمضي بالمجاهد في سبيل الله حالٌ لا يكابد في الله نَصَباً ولا أذىً ، ولا ينفق نفقة ولا يقارع عدوّاً ، ولا يقطع بلداً ، ولا يطأ أرضاً؛ إلا وله بذلك أمر مكتوب ، وثواب جزيل ، وأجر مأمول ، قال الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ .

ثم أثنى عز وجلّ بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده ، وما وعدهم من جزائه ومثوبته ، وما لهم من الزّلفى عنده ، فقال: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

فبالجهاد اشترى الله من المؤمنينِ أنفسَهمِ وأموالهم ، وجعل جنّته ثمناً لهم ، ورضوانه جزاء لهم على بذلها؛ وعْداً منه حقّاً لا ريب فيه ، وحكماً عدلاً لا تبديل له ، قال الله عز وجل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ .

وحكَم الله عزّ وجلّ لإحياء المجاهدين بنصره ، والفوز برحمته ، وأشهد لموتاهم بالحياة الدائمة ، والزلفى لديه ، والحظّ الجزيل من ثوابه ، فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

وليس من شيء يتقرَّب به المؤمنون إلى الله عزَّ وجلّ من أعمالهم ، ويسعَوْن به في حطّ أوزارهم ، وفكاك رقابهم ، ويستوجبون به الثوَاب من ربهم ، إلاّ والجهاد عنده أعظم منه منزلة ، وأعلى لديه رتبةً ، وأوْلَى بالفوزِ في العاجلة والآجلة؛ لأنّ أهله بذلُوا لله أنفسَهم ، لتكون كلمةُ الله هي العليا ، وسمحوا بها دون مَنْ وراءهم من إخوانهم وحريم المسلمين وبَيْضتهم ، ووقَموا[1] بجهادهم العدوّ.

وقد رأى أمير المؤمنين ـ لما يحبّه من التقرّب إلى الله بجهاد عدوّه ، وقضاء حقه عليه فيما استحفظه من دينه ، والتماس الزُّلفَى له في إعزاز أوليائه ، وإحلال

---

(١) وقمه كوَعَدَه: قهره ، وأذلَّه ، أو: ردَّه أقبح الردِّ ، وحَزَنه أشدَّ الحزن (قاموس).

البأس والنقمة بمن حاد عن دينه، وكذّب رسله، وفارق طاعتَه ـ أن يُنهض وصيفاً مولى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفرة والرّوم، غازياً لما عرّف اللهُ أمير المؤمنين من طاعتِه ومناصحتِه ومحمود نقيبتِه وخُلُوص نيّته، في كلّ ما قرّبه من الله ومن خليقته.

وقد رأى أمير المؤمنين ـ والله وليّ معونته وتوفيقه ـ أن تكون موافاة وصيف فيمن أنهض أمير المؤمنين معَه من مواليه وجنده وشاكريّته ثغر مَلطية لاثنتي عشرة ليلة تخلُو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومئتين، وذلك من شهور العجم للنصف من حَزِيران ودخوله بلاد أعداء الله في أوّل يوم من تَمّوز؛ فاعلم ذلك واكتب إلى عمّالك على نواحي عملك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا؛ ومُرْهم بقراءته على مَنْ قِبَلهم من المسلمين وترغيبهم في الجهاد، وحثّهم عليه واستنفارهم إليه، وتعريفهم ما جعل الله من الثَّواب لأهله، ليعمل ذوو النيات والحسْبة والرغبة في الجهاد على حسب ذلك في النهوض إلى عدوّهم والخُفوف إلى معاونة إخوانهم والذياد عن دينهم والرّمْي من وراء حَوْزتهم بموافاة عسكر وصيف مولى أمير المؤمنين مَلَطْيَةَ في الوقت الذي حدّه أمير المؤمنين لهم إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب أحمد بن الخصيب لسبع ليالٍ خلوْن من المحرم سنة ثمان وأربعين ومئتين؛ وصيّر على ما ذكر على نفقات عسكر وصيف والمغانم والمقاسم المعروف بأبي الوليد الجريريّ البَجَليّ[1].

وكتب معه المنتصر كتاباً إلى وصيف يأمره بالمقام ببلاد الثغر إذا هو انصرف من غزاتـه أربع سنين، يغزو في أوقات الغزو منها إلى أن يأتيَه رأي أمير المؤمنين.



(١) هذا الخطاب الطويل انفرد به الطبري دون غيره من المؤرخين المتقدمين الثقات والله أعلم.

[ذكر خبر خلع المعتزّ والمؤيد أنفسهما]

وفي هذه السنة خلع المعتزّ والمؤيّد أنفسهما ، وأظهر المنتصر خلْعهما في القصر الجعفريّ المحدث[١] .

* ذكر الخبر عن خلعهما أنفسهما :

ذُكر أن محمداً المنتصر بالله لمّا استقامت له الأمور ، قال أحمد بن الخصيب لوصيف وبغا : إنا لا نأمن الحدثان؛ وأن يموت أمير المؤمنين ، فيليَ الأمرَ المعتزّ ، فلا يُبقي منّا باقية ، ويُبيد خضراءنَا؛ والرأي أن نعمل في خَلْع هذين الغلامين قبل أن يظفرا بنا ، فجدّ الأتراك في ذلك ، وألحّوا على المنتصر وقالوا : يا أمير المؤمنين؛ تخلعهما من الخلافة ، وتبايع لابنك عبد الوهاب ، فلم يزالوا به حتى فعل ، ولم يزل مكرِماً المعتزّ والمؤيد؛ على ميلٍ منه شديد إلى المؤيد؛ فلمّا كان بعد أربعين يوماً من ولايته؛ أمر بإحضار المعتز والمؤيد بعد انصرافهما من عنده ، فأحضِرا وجُعلا في دار ، فقال المعتزّ للمؤيد : يا أخي ، لمَ ترانا أحضرنا؟ فقال : يا شَقيّ ، للخلْع! فقال : لا أظنه يفعل بنا ذلك؛ فبيناهم كذلك؛ إذ جاءهم الرسل بالخلْع ، فقال المؤيد : السمع والطاعة ، وقال المعتزّ : ما كنت لأفعل؛ فإن أردتم القتل فشأنكم ، فرجعوا إليه ، فأعلموه ثم عادوا بغلظة شديدة ، فأخذوا المعتزّ بعنف ، وأدخلوه إلى بيت ، وأغلقوا عليه الباب .

فذُكر عن يعقوب بن السكيت : أنه قال : حدّثني المؤيد ، قال : لما رأيتُ ذلك قلت لهم بجرأة واستطالة : ما هذا يا كلاب! فقد ضريتم على دمائنا ، تثبون على مولاكم هذا الوثوب! اغربُوا قبحكم الله! دعوني أكلّمه؛ فكاعوا عن جوابي بعد تسرُّع كان منهم ، وأقاموا ساعة ، ثم قالوا لي : القه إن أحببت ، فظننتُ أنهم استأمروا ، فقمت إليه ، فإذا هو في البيت يبكي ، فقلت : يا جاهل؛ تراهم قد نالوا من أبيك ـ وهو هو ـ ما نالوا ، ثم تمتنع عليهم! اخلع ويلك ولا تراجعْهم! قال : سبحان الله! أمرٌ قد مضيت عليه ، وجرى في الآفاق أخلعه من عنقي!

---

(١) انظر تعليقنا (٩/ ٢٥١/ ٤٠٥)

فقلت: هذا الأمرُ قتل أباك، فلَيته لا يقتلك! اخلعه ويلك! فوالله لئن كان في سابق علم الله أن تلِي لَتَلينّ.

قال: أفعلُ، قال: فخرجت فقلت: قد أجاب، فأعلِموا أمير المؤمنين، فمضوْا ثم عادوا فجزْوني خيراً، ودخل معهم كاتب قد سمّاه، ومعه دواة وقرطاس، فجلس، ثم أقبل على أبي عبد الله، فقال: اكتب بخطّك خلعك، فتلكّأ، فقلت للكاتب: هاتِ قرطاساً، أمِللْ ما شئت، فأملى عليّ كتاباً إلى المنتصر، أعلِمُه فيه ضَعفِي عن هذا الأمر؛ وأني علمت أنه لا يحلّ أن أتقلدَه، وكرهت أن يأثم المتوكل بسببي إذا لم أكن موضِعاً له، وأسأله الخلع، وأعلِمه أني خلعت نفسي، وأحللت الناسَ مِنْ بيعتي، فكتبت كلّ ما أراد، ثم قلت: اكتب يا أبا عبد الله، فامتنع، فقلت: اكتب ويلك! فكتب وخرج الكاتب عنا، ثم دعانا فقلت: نجدّد ثيابنا أو نأتي في هذه؟ فقال: بل جدّدا، فدعوت بثياب فلبستها، وفعل أبو عبد الله كذلك، وخرجنا فدخلنا؛ وهو في مجلسه، والناس على مراتبهم، فسلمنا فردُّوا، وأمر بالجلوس، ثم قال: هذا كتابكما؟ فسكت المعتزّ، فبدرت فقلت: نعم يا أمير المؤمنين! هذا كتابي بمسألتي ورغبتي، وقلت للمعتزّ: تكلم، فقال مثل ذلك، ثم أقبل علينا والأتراكُ وقوفٌ، وقال: أترياني خلعتُكما طمعاً في أن أعيش حتى يكبر ولدي وأبايع له! والله ما طمعتُ في ذلك ساعة قطّ؛ وإذا لم يكن في ذلك طمع، فوالله لأنْ يليَها بنو أبِي أحبُّ إليّ من أن يليَها بنو عمي؛ ولكن هؤلاء ـ وأومأ إلى سائر الموالي ممن هو قائم وقاعد ـ ألحُّوا عليّ في خلعكما، فخفت إن لم أفعل أن يعترضكما بعضُهم بحديدة، فيأتي عليكما، فما ترياني صانعاً! أقتله؟ فوالله ما تفي دماؤهم كلهم بدم بعضكم؛ فكانت إجابتهم إلى ما سألوا أسهل عليّ، قال: فأكبّا عليه، فقبّلا يده، فضمّهما إليه، ثم انصرفا.

وذكر أنه لما كان يوم السبت لسبع بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومئتين خلع المعتزّ والمؤيد أنفسهما، وكتب كلّ واحد منها رُقعة بخطه أنه خلَع نفسه من البيعة التي بويع له، وأنّ الناس في حلٍّ من حَلّها ونَقضها؛ وأنهما يعجزان عن القيام بشيء منها، ثم قاما بذلك على رؤوس الناس والأتراك والوجوه والصحابة والقضاة، وجعفر بن عبد الواحد قاضي القضاة، والقوّاد وبني هاشم، وولاة

الدّواوين والشيعة ووجوه الحرس ، ومحمد بن عبد الله بن طاهر ، ووصيف وبُغا الكبير وبُغا الصغير ، وجميع مَنْ حضر دار الخاصّة والعامة ، ثم انصرف الناس بعد ذلك .

والنسخة التي كتباها :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه قلّدني هذا الأمر ، وبايع له وأنا صغير من غير إرادتي ومحبّتي؛ فلما فهمت أمري علمت أني لا أقوم بما قلّدني ولا أصلح لخلافة المسلمين ، فمن كانت بَيْعتي في عنقه فهو مِنْ نقضِها في حلّ ، وقد أحللتُكم منها ، وأبرأتكم من أيمانكم؛ ولا عهد لي في رقابكم ولا عقْد ، وأنتم بُرآء من ذلك .

وكان الذي قرأ الرقاع أحمد بن الخصيب ، ثم قام كلُّ واحد منهما قائماً ، فقال لمن حضر: هذه رقعتي وهذا قولي؛ فاشهدوا عليّ ، وقد أبرأتكم من أيْمانكم ، وحللتكُم منها ، فقال لهما المنتصر عند ذلك: قد خار الله لكما وللمسلمين ، وقام فدخل ، وكان قد قعد للناس ، وأقعدهما بالقرب منه ، فكتب كتاباً إلى العمال بخلعهما وذلك في صفر سنة ثمان وأربعين ومئتين .

* * *

نسخة كتاب المنتصر بالله إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر مولى أمير المؤمنين في خلع أبي عبد الله المعتزّ وإبراهيم المؤيد :

من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين؛ أما بعد؛ فإن الله ـ وله الحمد على آلائه ، والشكر بجميل بلائه ـ جعل ولاة الأمر من خُلَفائه القائمين بما بعث به رسوله ﷺ والذّابين عن دينه ، والدّاعين إلى حقه والممضِين لأحكامه، وجعل ما اختصّهم به من كرامته قِواماً لعباده، وصلاحاً لبلاده، ورحمة غمر بها خلقه ، وافترض طاعَتهم ، ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ ، وأوجبها في محكم تنزيله؛ لما جمع فيها من سكون الدَّهماء ، واتّساق الأهواء ، ولمّ الشعث ، وأمْن السبُل ، ووقْم العدّو ، وحفظ الحريم ، وسدّ الثغور ، وانتظام االأمور ، فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ، فمن الحقّ على خلفاء الله الذين حباهم بعظيم نعمته ، واختصّهم بأعلى رتب كرامته ، واستحفظهم فيما جعله وسيلة إلى رحْمته ، وسبباً لرضاه ومثوبته لأن يؤثروا طاعته في كلّ حال تصرّفتْ بهم ، ويقيموا حقه في أنفسهم والأقرب فالأقرب منهم ؛ وأن يكون محلّهم من الاجتهاد في كلّ ما قرب من الله عز وجل حسب موقِعهم من الدّين وولاية أمر المسلمين ، وأميرُ المؤمنين يسأل الله مسألةً رغبةً إليه ، وتذللاً لعظمته أن يتولاّه فيما استرعاه ولايةً يجمع له بها صلاح ما قلّده ، ويحمل عنه أعباء ما حمَّله ، ويعينه بتوفيقه على طاعته ؛ إنه سميع قريب .

وقد علمتَ ما حضرتَ من رفْع أبي عبد الله وإبراهيم ابني أمير المؤمنين المتوكّل على الله رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين رقعتيْن بخطوطهما ؛ يذكران فيهما ما عرّفهما الله من عطف أمير المؤمنين عليهما ، ورأفته بهما ، وجميل نظره لهما ؛ وما كان أمير المؤمنين المتوكل على الله عَقَده لأبي عبد الله من ولاية عهد أمير المؤمنين ولإبراهيم من ولاية العهد بعد أبي عبد الله ، وإنّ ذلك العقد كان وأبو عبد الله طفل لم يبلغ ثلاث سنين ، ولم يفهم ما عُقِد له ولا وقف على ما قُلّده ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحُلم ، ولم تجر أحكامهما ولا جرتْ أحكامُ الإسلام عليهما ، وإنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووقفا على عَجْزهما عن القيام بما عقد لهما من العَهْد ، وأسْنِدَ إليهما من الأعمال أن يَنْصحا لله ولجماعة المسلمين ، بأن يُخرجا من هذا الأمر الذي عقِد لهما أنفسهما ، ويعتزلا الأعمال التي قُلّداها ، ويجعلا كلّ مَنْ في عنقه لهما بَيْعة وعليه يمين في حلّ ؛ إذ كانا لا يقومان بما رُشِّحا له ، ولا يصلحان لتقلده ، وأن يخرج من كان ضُمّ إليهما ممّن في نواحيهما من قُوّاد أمير المؤمنين ومواليه وغلمانه وجنده وشاكريتِه وجميع مَنْ مع أولئك القواد بالحضْرة وخُراسان وسائر النواحي عن رسومهما ، ويُزال عنهم جميعاً ذكر الضمّ إليهما ، وأن يكونا سُوقة من سوقة المسلمين وعامّتهم ، ويصفان ما لم يزالا يذكران لأمير المؤمنين من ذلك ؛ ويسألانه فيه ، منذ أفضى الله بخلافته ، وأنهما قد خلعا أنفسهما من ولاية العهد ، وخرجا منها ، وجعلا كلَّ من لهما عليه بيعة ويمين من قُوّاد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيّته ؛ قريبهم وبعيدهم وحاضرهم وغائبهم في حلّ وسعة من بيعتهم وأيْمانهم ؛ ليخلعوهما كما خلعا أنفسهما .

وجعلا لأمير المؤمنين على أنفسهما عهدَ الله؛ وأشد ما أخذ على ملائكته وأنبيائه وعباده من عهد وميثاق، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليهما من الأيْمان، بإقامتهما على طاعته ومناصحته وموالاته في السرّ والعلانية، ويسألان أمير المؤمنين أن يُظهر ما فعلاه، وينشره، ويُحْضِر جميع أوليائه؛ ليسمعوا ذلك منهما طالبيْن راغبيْن، طائعيْن غير مكرهيْن ولا مجبريْن، ويُقْرَأ عليهم الرّقعتان اللتان رفعاهما بخطوطهما، بما ذكرا من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد، وهما صبيان، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما، وما سألا مِنْ صرفهما عن الأعمال التي يتوليانها وإخراج مَنْ كان بها ممن ضمّ إليهما في نواحيهما من قُوّاد أمير المؤمنين وجنده وغلمانه وشاكريّتِه وجميع مَنْ مع أولئك القوّاد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما وإزالة ذكر الضمّ إليهما عنهم، وأن يُكتب بالكتاب بذلك إلى جميع عمال النواحي.

وإنّ أمير المؤمنين وقف على صدقهما فيما ذكرا ورفعا، وتقدّم في إحضار جميع إخوته ومَنْ بحضرته من أهل بيتِه وقوّاده ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكريّتِه وكتّابه وقضاته والفقهاء وغيرهم؛ وسائر أوليائه الذين كانت وقعت البيعة لهما بذلك عليهم، وحضر أبو عبد الله وإبراهيم ابنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه، وقرِئت رقعتاهما بخطوطهما بحضرتهما، إلى مجلس أمير المؤمنين عليهما وعَلى جميع من حضر، وأعادا من القول بعد قراءة الرُّقعتين مثل الذي كتبا به.

ورأى أمير المؤمنين أن يجمع في إجابتهما إلى نشر ما فعلاه وإظهاره، وإمضائه ذلك قضاءَ حقوق ثلاثة: منها حقّ الله عز وجل، فيما استحفظه من خلافته، وأوجب عليه في النظر لأوليائه فيما يجمع لهم كلمتَهم في يومهم وغدِهم، ويؤلِّف بين قلوبهم، ومنها حقّ الرعيّة الذين هم ودائع الله عنده حتى يكون المتقلّد لأمورهم ممّن يراعيهم آناء الليل والنهار بعنايته ونظره وتفقّده وعدله ورأفته، ومن يقوم بأحكام الله في خلقه، ومن يضطلع بثقل السياسة وصواب التدبير، ومنها حقّ أبي عبد الله وإبراهيم فيما يُوجبه أمير المؤمنين لهما بإخوّتهما وماسّ رحمهما؛ لأنهما لو أقاما على ما خرجا منه؛ لم يؤمن أن يؤدّيَ ذلك إلى ما يعظم في الدين ضرره، ويعمّ المسلمين مكروهه؛ ويرجع عليهما

عظيم الوزر فيه؛ فخلعهما أمير المؤمنين إذ خَلَعا أنفسهما من ولاية العهد، وخَلعهما جميع إخوة أمير المؤمنين ومَنْ بحضرته من أهل بيته، وخلَعهما جميع من حضر من قوّاد أمير المؤمنين ومواليه وشيعته، ورؤساء جنده وشاكريّتِهِ وكتّابه وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير المؤمنين؛ الذين كانت أخِذَتْ لهما البيعة عليهم.

وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب بذلك إلى جميع العمال، ليتقدّموا في العمل بحسب ما فيها، ويخلعوا أبا عبد الله وإبراهيم مِنْ ولاية العهد؛ إذ كانا قد خَلعا أنفسهما من ذلك، وحلّلا الخاصّ والعامّ، والحاضر والغائب، والدانِيَ والقاصيَ منه؛ ويسقطوا ذكرَهما بولاية العهد، وذكْرَ ما نُسِبا إليه مِنْ نسب ولاية العهد من المعتزّ بالله والمؤيد بالله من كتبهم وألفاظهم، والدعاء لهما على المنابر؛ ويسقطوا كُلّ ما ثبت في دواوينهم من رُسومهما القديمة والحديثة الواقعة على مَنْ كان مضموناً إليهما، ويزيلوا ما على الأعلام والمطارد من ذكرهما؛ وما وسمت به دوابّ الشاكريّة والرابطة من أسمائهما، ومحلُّك من أمير المؤمنين وحالُك عنده على حسب ما أخلص الله لأمير المؤمنين من طاعتك ومناصحتك، وموالاتك ومشايعتك؛ ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك، وما عرف الله أمير المؤمنين من طاعتِك ويُمْن نَقِيبتك واجتهادك في قضاء الحق.

وقد أفردك أمير المؤمنين بقيادتِك، وإزالة الضمّ إلى أبي عبد الله عنك وعمّن في ناحيتك بالحضرة وسائر النواحي؛ ولم يجعل أمير المؤمنين بينَك وبينه أحد يَرأسُك، وخرج أمره بذلك إلى ولاة دواوينه.

فاعلم ذلك واكتب إلى عُمّالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، وأوعِزْ إليهم في العمل على حسبه، إن شاء الله، والسلام.

وكتب أحمد بن الخصيب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومئتين[١].

---

(١) أما خلع المعتز والمؤيد أنفسهما فقد ذكره ابن الجوزي في المنتظم (١٢/ ٣) وما ذكره الطبري مطولاً واصفاً خطابهما.
وما كتباه في ذلك والذي استغرق طويلاً (٢٤٤ ـ ٢٥١) انفرد به الطبري وذكره ابن الجوزي مختصراً جداً (١٢/ ٣ ـ ٤).

[ذكر الخبر عن وفاة المنتصر]

وفي هذه السنة توفِّيَ المنتصر[١].

* ذكر الخبر عن العلة التي كانت فيها وفاته والوقت الذي توفِّيَ فيه وقدر المدة التي كانت فيها حياته:

فأما العلّة التي كانت بها وفاته؛ فإنه اختُلف فيها، فقال بعضهم: أصابته الذّبحة في حَلْقه يوم الخميس لخمس بقين من شهر ربيع الأول، ومات مع صلاة العصر من يوم الأحد لخمس ليال خَلَوْن من شهر ربيع الآخر.

وقيل: تُوفِّيَ يوم السبت وقت العصر لأربع خلوْن من شهر ربيع الآخر؛ وإن علّته كانت من ورم في مِعدتِه، ثم تصعّد إلى فؤاده فمات؛ وإنّ علّته كانت ثلاثة أيام أو نحوها.

وحدّثني بعضُ أصحابنا أنه كان وجد حرارة، فدعا بَعْضَ مَنْ كان يتطبّب له، وأمره بفَصْده، ففصده بمبْضع مسموم، فكان فيه منيته وإن الطبيب الذي فَصَده انصرف إلى منزله، وقد وجد حرارةً، فدعا تلميذاً له؛ فأمره بفصْده ووضع مباضعه بين يديه ليتخيّر أجودها؛ وفيها المبضع المسموم الذي فُصِد به المنتصر؛ وقد نسيه فلم يجد التلميذ في المباضع التي وُضعت بين يديه مِبْضعاً أجود من المبضع المسموم؛ ففصد به أستاذه وهو لا يعلم أمره؛ فلمَّا فصده به نظر إليه صاحبه فعُلم أنه هالك؛ فأوصى من ساعته، وهلك من يومه.

وقد ذكر أنه وُجد في رأسه علّة فقطّر ابن الطيفوريّ في أذنه دُهناً، فورم رأسه، وعوجل فمات، وقد قيل: إن ابن الطيفوريّ إنما سمّه في محاجمه[٢].

---

(١) انظر لوفاته المنتظم (١٢/ ٥) والبداية والنهاية (٨/ ٢١٥)

(٢) ذكر الطبري هذه الأخبار في بيان سبب وفاته والعلة التي مات منها وكلها احتمالات لم يخرّج الطبري واحدة منها (أي: رواية) بسند صحيح ـ وقد ذكر ابن الجوزي خمسة أقوال في سبب موته من ضمنها ما ذكره الطبري هنا ـ ثم أخرج ابن الجوزي رواية مسندة في كيفية وفاته دون ذكر السبب وبسنده الموصول إلى المؤرخ عمر بن شبة قال: أخبرني أحمد بن الخصيب قال أخبرني جعفر بن عبد الواحد (شاهد عيان) قال: دخلت على المنتصر بالله فقال: لي يا جعفر =

قال أبو جعفر: ولم أزل أسمع الناس حين أفضت إليه الخلافة من لَدُنْ وَلِيَ إلى أن مات يقولون: إنما مدّة حياته ستة أشهر، مدّة شيرويه ابن كسرى قاتل أبيه، مستفيضاً ذلك على ألسن العامة والخاصة(١).

وذُكر عن يُسْر الخادم؛ وكان ـ فيما ذكر ـ يتولى بيت المال للمنتصر في أيام إمارته: أنه قال: كان المنتصر يوماً من الأيام في خِلافته نائماً في إيوانه، فانتبه وهو يبكي وينتحب؛ قال: فهبْته أن أسأله عن بكائه، ووقفتُ وراء الباب؛ فإذا عبد الله بن عمر البازيار قد وافى فسمع نحيبه وشهيقه، فقال لي: ما له؟ ويحك يا يسر! فأعلمته أنه كان نائماً فانتبه باكياً، فدنا منه، فقال له: ما لك يا أمير المؤمنين تبكي لا أبكى الله عينك؟! قال: ادنُ مني يا عبد الله؛ فدنا منه فقال له: كنت نائماً، فرأيت فيما يرى النائم كأنّ المتوكل قد جاءني، فقال لي: ويلك يا محمد! قتلتني وظلَمتني وغبنْتِني في خلافتي؛ والله لا تمتّعت بها بعدي إلا أياماً يسيرة، ثم مصيرك إلى النار. فانتبهتُ وما أملك عيني ولا جَزعي، فقال له عبد الله: هذه رؤيا؛ وهي تصدق وتكذب، بل يعمّرك ويسرّك الله؛ فادع الآن بالنبيذ، وخذ في اللهو، ولا تعبأ بالرؤيا، قال: ففعل ذلك؛ وما زال منكسراً إلى أن تُوفِّيَ.

وذكر أنّ المنتصر كان شاور في قتل أبيه جماعةً من الفقهاء، وأعلمهم بمذاهبه، وحكى عنه أموراً قبيحة كرهت ذكرها في الكتاب؛ فأشاروا عليه بقتلِه؛ فكان من أمره ما ذكرنا بعضه.

وذُكر عنه أنه لما اشتدّت به علّتُه؛ خرجت إليه أمُّه فسألته عن حاله، فقال: ذهبتْ والله مني الدنيا والآخرة.

قال إبراهيم بن جيش: حدثني موسى بن عيسى الكاتب، كاتب عمي يعقوب وابن عمي يزيد، أنّ المنتصر لما أفضت الخلافة إليه، كان يُكثر إذا سكر ذكر

= لقد عوجلت فما أسمع بأذني ولا أبصر بعيني وكان في مرضه الذي مات فيه [المنتظم ١٢/ ١٧] وانظر تأريخ بغداد [١٢/ ١٢١] وهذا أصح ما ورد في خبر وفاته والله أعلم.

(١) وجزم ابن كثير بفحوى هذا الكلام فقال: ولا خلاف أنّه إنما ولي الخلافة ستة أشهر لا غير [البداية والنهاية ٨/ ٢١٥].

قتل أبيه المتوكل، ويقول في الأتراك: هؤلاء قَتَلة الخلفاء، ويذكر من ذلك ما تخوّفوه، فجعلوا لخادم له ثلاثين ألف دينار على أن يحتال في سمّه، وجعلوا لعليّ بن طيفور جملة، وكان المنتصرُ يكثر أكل الكمثرى إذا قُدّمت إليه الفاكهة، فعمد ابن طيفور إلى كمّثراة كبيرة نضيجة، فأدخل في رأسها خلالة، ثم سقاها سمّاً، فجعلها الخادم في أعلى الكمثرى الذي قدّمه إليه، فلما نظر إليها المنتصر أمره أن يَقْشِرها ويطعمه إياها، فقشرها وقطعها، ثم أعطاه قطعة قطعة حتى أتى عليها، فلما أكلها وجد فترةً، فقال لابن طيفور: أجد حرارة، فقال: يا أمير المؤمنين؛ احتجم تبرأ من علّة الدّم، وقدّر أنه إذا خرج الدم قوي عليه السمّ، فحجم فحُمّ، وغلظت علّته عليه، فتخوف هو والأتراك أن تطول علته، فقال له: يا أَمير المؤمنين، إنّ الحجامة لم يكن فيها ما قدّرِنا في عافيتك، وتحتاج إلى الفصد؛ فإنه أنجح لما تريد، فقال: أفعل، ففصده بمبضع مسموم، ودهش، فألقاه في مباضعه ـ وكان أحدّها وأجودها، ثم إن عليّ بن طيفور، وجد حرارة، فدعا تلميذاً له ليفصده، فنظر في المباضع فلم يجد أحدّ منه، ولا أخير ففصده، فكانت منيته فيه.

وذكر عن ابن دهقانه أنه قال: كنا في مجلس المنتصر يوماً بعدما قتِل المتوكل، فتحدّث المسدود الطنبوريّ بحديث، فقال المنتصر: متى كان هذا؟ فقال: ليلة لاناهٍ ولا زاجر؛ فأحفظَ ذلك المنتصر.

وذُكر عن سعيد بن سلمة النصرانيّ أنه قال: خرج علينا أحمد بن الخصيب مسروراً يذكر أن أمير المؤمنين المنتصر رأى في ليلة في المنام: أنه صعد دَرَجَةً حتى انتهى إلى خمس وعشرين مِرْقاةً منها؛ فقيل له: هذا ملكك؛ وبلغ الخبر ابنَ المنجّم، فدخل عليه محمد بن موسى وعليّ بن يحيى المنجّم مهنئين له بالرؤيا، فقال: لم يكن الأمر على ما ذَكر لكم أحمد بن الخصيب؛ ولكني حين بلغتُ آخر المراقي، قيل لي: قف فهذا آخر عمرك؛ واغتمّ لذلك غمّاً شديداً، فعاش بعد ذلك أياماً تتمّة سنة، ثمّ مات وهو ابن خمس وعشرين سنة.

وقيل: تُوفِّيَ وهو ابن خمس وعشرين سنة وستة أشهر.

وقيل: بل كان عمره أربعاً وعشرين سنة، وكانت مدة خلافته ستة أشهر في قول بعضهم ويومين.

وقيل: كانت ستة أشهر سواء.

وقيل: كانت مئة يوم وتسعة وسبعين يوماً.

وكانت وفاته بسامرّا بالقصر المحدث، بعد أن أظهر في إخوته ما أظهر بأربع وأربعين ليلة؛ وذكر أنه لما حضرته الوفاة قال:

فما فَرِحَتْ نفسي بدُنْيَا أَخذتها ولكنْ إلى الربِّ الكريم أَصيرُ

وصلّى عليه أحمد بن محمد بن المعتصم بسامرا؛ وبها كان مولده.

وكان أعيَنَ أقنى قصيراً جَيّد البَضعة، وكان ـ فيما ذكر ـ مهيباً.

وهو أول خليفة من بني العباس ـ فيما بعد ـ عرف قبره؛ وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره.

وكانت كنيته أبا جعفر واسم أمه حبشيّة وهي أمّ ولد روميّة.

* * *

ذكر بعض سيره

ذكر أن المنتصر لمّا وليَ الخلافة كان أول شيء أحدث من الأمور عَزْل صالح عن المدينة وتولية عليّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد إياها؛ فذُكر عن عليّ بن الحسين، أنه قال: دخلت عليه أودّعه، فقال لي: يا عليّ، إني أوجّهك إلى لحمي ودمي ـ ومدّ جِلْد ساعِده ـ وقال: إلى هذا وجّهتك، فانظر كيف تكون للقوم، وكيف تعاملهم! يعني آل أبي طالب، فقلت: أرجو أن أمتثل رأي أمير المؤمنين أيّده الله فيهم إن شاء الله؛ فقال: إذاً تسعد بذلك عندي.

وذُكِر عن محمد بن هارون، كاتب محمد بن عليّ برد الخيار وخليفته على ديوان ضياع إبراهيم المؤيد، أنه أصيب مقتولاً على فراشه، به عدّة ضربات بالسيف، فأحضر ولدُه خادماً أسود كان له ووصيفاً، ذكر أن الوصيف أقرّ على الأسود، فأدخِل على المنتصر، وأحضِر جعفر بن عبد الواحد، فسئل عن قتله مولاه، فأقرّ به، ووَصف فعله به وسبب قتله إياه، فقال له المنتصر: ويلك! لم

قتلته؟ فقال له الأسود: لما قتلتَ أنت أباك المتوكل! فسأل الفقهاء في أمره، أشاروا بقتله، فضرب عنقه وصلَبه عند خشبة بابك.

* * *

وفي هذه السنة حكّم محمد بن عمر والشاري، وخرج بناحية الموصل، فوجّه إليه المنتصر إسحاق بن ثابت الفرغانيّ، فأخذه أسيراً مع عِدّة من أصحابه فقتِلوا وصُلبوا[1].

وفيها تحرّك يعقوب بن الليث الصفار من سِجستان فصار إلى هَرَاة[2].

وذكر عن أحمد بن عبد الله بن صالح صاحب المصلَّى: أنه قال: كان لأبي مؤذّن، فرآه بعض أهلنا في المنام كأنه أذَّن أذاناً لبعض الصَّلَوات؛ ثم دنا من بيت فيه المنتصر، فنادى: يا محمد، يا منتصر، إنَّ رَبَّك لبالمِرْصاد.

وذكر عن بُنان المغنّي ـ وكان فيما قيل أخصّ الناس بالمنتصر في حياة أبيه وبعدما ولي الخلافة ـ أنه قال: سألت المنتصر أن يهب لي ثوبَ ديباج وهو خليفة؛ فقال: أوَ خير لك من الثوب الديباج؟ قلت: وما هو؟ قال: تتمارض حتى أعودك؛ فإنه سيهدى لك أكثرُ من الثوب الديباج؛ قال: فمات في تلك الأيام، ولم يهب لي شيئاً.

* * *

وفي هذه السنة بويع بالخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم[3].

* * *

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٥).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٥).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٥).

خلافة أحمد بن محمد بن المعتصم وهو المستعين ويكنى أبا العباس[١]

* ذكر الخبر عن سبب ولايته والوقت الذي بويع له فيه:

ذُكر أنّ المنتصر لما توفِّيَ؛ وذلك يوم السبت عند العصر لأربع خلوْن من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وأربعين ومئتين، اجتمع الموالي إلى الهارونيّ يوم الأحد، وفيهم بُغا الصغير وبغا الكبير أوتامش ومَنْ معهم، فاستحلفوا قوّاد الأتراك والمغاربة والأشروسنيّة - وكان الذي يستحلفهم عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى الأسكافيّ كاتب بغا الكبير - على أن يرضوْا بمن يرضى به بُغا الصغير وبغا الكبير أوتامش، وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب، فحلف القوم وتشاوروا بينهم، وكرهوا أن يتولَّى الخلافة أحدٌ من ولد المتوكل؛ لقتلهم أباه، وخوفهم أن يغتالهم مَنْ يتولى الخلافة منهم؛ فأجمع أحمد بن الخصيب ومَنْ حضر من الموالي على أحمد بن محمد بن المعتصم، فقالوا: لا نُخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم؛ وقد كانوا قبله ذكروا جماعة من بني هاشم؛ فبايعوه وقت العشاء الآخرة من ليلة الإثنين، لست خلوْن من شهر ربيع الآخر من السنة؛ وهو ابن ثمان وعشرين سنة، ويكنى أبا العباس.

فاستكتب أحمد بن الخصيب، واستوزر أوتامش، فلما كان يوم الإثنين لست خلوْن من شهر ربيع الآخر صار إلى دار العامة من طريق العمريّ بين البساتين، وقد ألبسوه الطويلة وزيّ الخلافة؛ وحمل إبراهيم بن إسحاق بين يديه الحربة قبل طلوع الشمس، ووافى واجن الأشروسنيّ باب العامّة من طريق الشارع على بيت المال، فصفّ أصحابه صفين، وقام في الصفّ هو وعِدّة من

---

(١) انظر تعليقنا (٩/ ٢٥٨/ ٤١٣).

وجوه أصحابه ، وحضر الدار أصحابُ المراتب من ولد المتوكِّل والعباسيين والطالبيّين وغيرهم ممن لهم مرتبة؛ فبيناهم كذلك ، وقد مضى من النهار ساعة ونصف؛ جاءت صيحة من ناحية الشارع والسوق؛ فإذا نحوٌ من خمسين فارساً من الشاكرية؛ ذكروا أنهم من أصحاب أبي العباس محمد بن عبد الله ، ومعهم قوم من فرسان طَبريّة وأخلاط من الناس ومعهم من الغَوْغاء والسوقة نحو من ألف رجل؛ فشهروا السلاح ، وصاحوا: يا معتزّ يا منصور وشدّوا على صفَّي الأشروسنيّة اللّذين صفّهما واجن ، فتضعضعوا ، وانضم بعضهم إلى بعض ، ونفر من على باب العامة من المبيّضة مع الشاكريّة ، فكثروا ، فشدّ عليهم المغاربة والأشروسنيّة ، فهزموهم حتى أدخلوهم الدّرْب الكبير المعروف بزُرافة وعَزُّون ، وحمل قوم منهم على المعتزيّة ، فكشفوهم؛ حتى جاوزوا بهم دار أخي عَزّون بن إسماعيل وهم في مضيق الطريق ، فوقف المعتزيّة هنالك ، ورمى الأشروسنية عدّة منهم بالنّشاب ، وضربوهم بالسيوف ، ونشبت الحرب بينهم؛ وأقبلت المعتزيّة والغوغاء يكبّرون؛ فوقعت بينهم قتلى كثيرة؛ إلى أن مضى من النهار ثلاث ساعات ، ثم انصرف الأتراك وقد بايعوا أحمد بن محمد بن المعتصم؛ وانصرفوا مما يلي العمريّ والبساتين ، وأخذ الموالي قبل انصرافهم البَيْعة على منْ حضر الدار من الهاشميين وغيرهم وأصحاب المراتب وخرج المستعين من باب العامّة منصرفاً إلى الهاشميين وغيرهم وأصحاب المراتب ، وخرج المستعين من باب العامّة منصرفاً إلى الهارونيّ ، فبات هنالك ، ومضى الأشروسنيّة إلى الهارونيّ ، وقد قُتِل من الفريقين عدَدٌ كثير ، ودخل قوم من الأشروسنيّة دوراً ، فظفرت بهم الغوغاء ، فأخذوا دروعهم وسلاحهم وجواشنَهم ودوابّهم ، ودخل الغوغاء والمنتهبة دار العامّة منصرفين إلى الهارونيّ ، فانتهبوا الخزانة التي فيها السلاح والدروع والجواشن واللجم المغربية وأكثروا منها؛ وربّما مرّ أحدهم بالجواشن والحِراب فأكثر ، وانتهبوا في دار أرمش بن أبي أيوب بحضرة أصحاب الفقّاع تراس خيزران وقناً بلا أسنّة؛ فكثرت الرّماح والتراس في أيدي الغوغاء وأصحاب الحمامات وغلمان الباقلّى ، ثم جاءتهم جماعة من الأتراك منهم بُغا الصغير من درب زُرافة ، فأحلّوهم من الخزانة ، وقتلوا منهم عدة ، وأمسكوا قليلاً ، ثم انصرف الفريقان ، وقد كثرت القتلى بينهم؛ وأقبل الغوغاء لا يمرّ أحد من الأتراك من أسافل سامُرّا يريد باب العامة إلا انتهبوا

سلاحه، وقتلوا جماعة منهم عند دار مبارك المغربي، وعند دار حبش أخي يعقوب قوصرّة في شوارع سامُرّا، وعامّة من انتهب - فيما ذكر - هذا السلاح أصحاب الفقّاع والناطف وأصحاب الحمّامات والسقاؤون وغوغاء الأسواق؛ فلم يزل ذلك أمرهم إلى نصف النهار، وتحرّك أهل السجن بسامرّا في هذا اليوم، فهرب منهم جماعة، ثم وضع العطاء على البيعة، وبعث بكتاب البيعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر في اليوم الذي بُويع له فيه، وكان وصوله إلى محمد في اليوم الثاني، ووافى به أخ لأتامش ومحمد بن عبد الله في نزهة له، فوجّه الحاجب إليه، وأعلمه مكانه، فرجع من ساعته، وبعث إلى الهاشميّين والقوّاد والجند، ووضع لهم الأرزاق[(١)].

* * *

وورد في هذه السنة على المستعين وفاة طاهر عبد الله بن طاهر بخراسان في رجب، فعقد المستعين لابنه محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر على خراسان، ولمحمد بن عبد الله على العراق، وجعل إليه الحرَمين والشرْطة ومعاون السواد برأسه وأفرده به، وعقد في الجوسق لمحمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر على خراسان والأعمال المضمونة إليها خاصّة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من شعبان.

ومرض بُغا الكبير في جمادى الآخرة، فعاده المستعين في النصف منها، ومات بغا من يومه، فعقد لموسى ابنه على أعماله وعلى أعمال أبيه كلّها، ووليِّ ديوان البَريد[(٢)].

وفي هذه السنة وجّه أنوجو التركيّ إلى أبي العمود الثعلبيّ، فقتله يوم السبت بكَفَرْ توثَى لخمس بقين من شهر ربيع الآخر.

وفيها خرج عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الحجّ؛ فوجّه خلفه رسولاً من الشيعة اسمه شعيب بنفيه إلى بَـرْقة، ومنعه من الحجّ.

---

(١) ذكر ابن الجوزي خبر البيعة وما رافقه مختصراً ـ انظر المنتظم (١٢/ ٦).
وانظر البداية والنهاية [١٨/ ٢١٦].

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٧).

وفيها ابتاع المستعين من المعتزّ والمؤيد في جمادى الأولى منها جميع ما كان لهما ، خلا شيئاً استثنى منه المعتزّ قيمته مئة ألف دينار ، وأخذ له ولإبراهيم غلة بثمانين ألف دينار في السنة؛ فلما كان يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان ابتيع من المعتز والمؤيد جميعُ ما لهما من الدّور والمنازل والضّياع والقصور والفُرش والآلة وغير ذلك بعشرين ألف دينار ، وأشهدا عليهما بذلك الشهود العُدول والقضاة وغيرهم ، وقيل: ابتيع ما لهما من الضياع وترك إلى أبي عبد الله ما يكون غلّته من العَيْن في السنة عشرين ألف دينار ، ولإبراهيم ما تبلغ قيمة غلّته في السنة خمسة آلاف دينار؛ فكان ما ابتيع من أبي عبد الله بعشرة آلاف ألف دينار وعشر حبّات لؤلؤ ، ومن إبراهيم بثلاثة آلاف ألف درهم وثلاث حبات لؤلؤ؛ وأشهدا عليهما بذلك الفقهاء والقضاة ، وكان الشّراء باسم الحسن بن مخلد للمستعين ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومئتين وحُبِسا في حجرة الجوسق ، ووُكِّل بهما ، وجعل أمرهما إلى بُغا الصغير؛ وكان الأتراك قد أرادوا حين شغَّب الغوغاء والشاكريّة قتلهما؛ فمنعهم من ذلك أحمد بن الخصيب ، وقال: ليس لهم ذنب ولا المشغِّبة من أصحابهما ، وإنما المشغِّبة من أصحاب ابن طاهر ، ولكن احبسوهما فحُبسا(١).

وفيها غضب الموالي على أحمد بن الخصيب؛ وذلك في جُمادى الأولى منها ، واستصفى ماله ومال ولده ، ونُفي إلى إقريطش.

وفيها صرف عليّ بن يحيى عن الثغور الشاميّة ، وعقد له على إرمينيَة وأذْرَبيجان في شهر رمضان من هذه السنة.

وفيها شَغَّب أهلُ حمص على كيدر بن عبيد الله عامل المستعين عليها فأخرجوه منها ، فوجّه إليهم الفضل بن قارن ، فمكَر بهم حتى أخذهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وحمل منهم مئة رجل من عيونهم إلى سامرّا ، وهدم سورهم(٢).

وفيها غزا الصائفة وَصِيفٌ ، وكان مقيماً بالثغر الشاميّ حتى ورد عليه موت

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٨).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٨).

المنتصر ، ثم دخل بلاد الروم؛ فافتتح حصناً يقال له : فرورية ، وعقد المستعين فيها لأوتامش على مصر والمغرب واتخذه وزيراً(١) .

وفيها عقد لبُغا الشرابيّ على حُلْوان وماسبذان ومهرجان قَذْق ، وصيّر المستعين شاهك الخادم على دارِه وكُراعه وحرمه وخزائنه وخاصّ أموره ، وقدّمه أوتَامش على جميع الناس(٢) .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن سليمان الزينبيّ(٣) .

* * *

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزو جعفر بن دينار الصائفة ، فافتتح حصناً ومطامير ، واستأذنه عمر بن عبيد الله الأقطع في المصير إلى ناحية من بلاد الرّوم؛ فأذن له ، فسار ومعه خلْق كثير من أهل مَلَطْيَة ، فلقيه الملك في جمْع من الروم عظيم بموضع ، يقال له أرز من مَرْج الأسقفّ ، فحاربه بمَنْ معه محاربة شديدة ، قتِل فيها خلق كثير من الفريقين ، ثم أحاطت به الرُّوم وهم خمسون ألفاً ، فقتل عمر وألفا رجل من المسلمين؛ وذلك في يوم الجمعة للنِّصف من رجب(٤) .

* * *

[خبر قتل عليّ بن يحيى الأرمنيّ]

وفيها قتل عليّ بن يحيى الأرمنيّ(٥) .

* ذكر الخبر عن سبب قتله :

ذُكر أن الروم لما قتلت عمر بن عبيد الله؛ خرجوا إلى الثغور الجزريّة ، وكلبوا

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٨) .
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٩) .
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٩) .
(٤) انظر المنتظم (١٢/ ٢٣) .
(٥) انظر المنتظم (١٢/ ٢٣) .

عليها وعلى حرم المسلمين بها ، فبلغ ذلك عليّ بن يحيى وهو قافل من إرمينيَة إلى ميّافارِقين ، فنفر إليهم في جماعة من أهل مَيّافارِقين والسلسلة ، فقُتل في نحو من أربعمئة رجل ، وذلك في شهر رمضان.

* * *

[شغب الجند والشاكرية ببغداد]

وشغب الجند والشاكريّة ببغداد في هذه السنة في أوّل يوم من صفر[1].

* **ذكر الخبر عن السبب في ذلك:**

وكان السبب في ذلك أنّ الخبر لما اتّصل بأهل مدينة السلام وسامرّا وسائر ما قرب منهما من مُدُن الإسلام بمقتل عمر بن عبيد الله الأقطع وعليّ بن يحيى الأرمنيّ ـ وكانا نابين من أنياب المسلمين ، شديداً بأسهما ، عظيماً غناؤهما عنهم في الثغور التي هما بها ـ شقّ ذلك عليهم ، وعظم مقتلُهما في صدورهم ، مع قُرْب أحدهما من مقتَل الآخر ، ومع ما لحقهم من استفظاعهم من الأتراك قتْلَ المتوكل واستيلاءَهم على أمور المسلمين ، وقتلهم من أرادوا قتله من الخلفاء واستخلافهم من أحبّوا استخلافه من غير رجوع منهم إلى ديانة ، ولا نظر للمسلمين؛ فاجتمعت العامّة ببغداد بالصُّراخ والنداء بالنفير ، وانضمت إليها الأبناء والشاكريّة تُظهر أنها تطلب الأرزاق؛ وذلك أوّل يوم من صفر ، ففتحوا سجن نصر بن مالك ، وأخرجوا مَنْ فيه وفي القنطرة بباب الجسر؛ وكان فيها جماعة ـ فيما ذكر ـ من رفوغ خراسان والصعاليك من أهل الجبال والمحمّرة وغيرهم ، وقطعوا أحد الجسرين وضربوا الآخر بالنار ، وانحدرت سُفُنه ، وانتُهب ديوان قصص المحبّسين ، وقطعت الدفاتر ، وألقيت في الماء ، وانتهبوا دار بشر وإبراهيم ابني هارون النصرانيّين كاتبي محمد بن عبد الله؛ وذلك كله بالجانب الشرقيّ من بغداد ، وكان والي الجانب الشرقي حينئذ أحمد بن محمد بن خالد بن هرثمة ، ثم أخرج أهلُ اليسار من أهل بغداد وسامُرّا أموالاً كثيرة من أموالهم ، فقوّوا من خفَّ للنهوض إلى الثغور لحرب الرّوم بذلك؛

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٠).

وأقبلت العامة من نواحي الجبل وفارس والأهواز وغيرها لغزو الروم؛ فلم يبلغنا أنه كان للسلطان فيما كان من الروم إلى المسلمين من ذلك تغيير ، ولا توجيه جيش إليهم لحربهم في تلك الأيام.

ولتسع بقين من شهر ربيع الأول ، وثب نفر من النَّاس لا يُدْرَى مَنْ هم يوم الجمعة بسامُرّا ، ففتحوا السجن بها ، وأخرجوا مَنْ فيه ، فوجّه في طلب النَّفر الذين فعلوا ذلك زُرافة في جماعة من الموالي ، فوثبت بهم العامّة فهزموهم ، ثم ركب في ذلك أوتامش ووصيف وبُغا وعامة الأتراك ، فقتلوا من العامة جماعة ، وأُلْقِيَ على وصيف ـ فيما ذكر لي ـ قدر مطبوخ ، ويقال: بل رماه قوم من العامة عند السريجة بحجر؛ فأمر وصيف النفاطين ، فقذفوا ما هنالك من حوانيت التجار ومنازل الناس بالنار ، فأنا رأيت ذلك الموضع محترقاً؛ وذلك بسامرّا عند دار إسحاق.

وذُكر أن المغاربة انتهبتْ منازل جماعة من العامة في ذلك اليوم ، ثم سكن الأمر في آخر ذلك اليوم ، وعُزل بسبب ما كان من العامة والنفر الذين ذكرت في ذلك اليوم من الحركة أحمد بن جميل عمّا كان إليه من المعونة بسامُرّا ، وولي مكانه إبراهيم بن سهل الدرّاج(١) .

* * *

[ذكر خبر قتل أوتامش وكاتبه]

وفي هذه السنة قُتِل أوتامش وكاتبه شجاع بن القاسم؛ وذلك يوم السبت لأربع عشرة خلوْن من شهر ربيع الآخر منها(٢) .

*** ذكر الخبر عن سبب مقتله:**

ذُكر أن المستعين لما أفضت إليه الخلافة ، أطلق يد أوتامش وشاهَك الخادم في بيوت الأموال ، وأباحهما فِعْل ما أرادا فعله فيها ، وفعل ذلك أيضاً بأمّ نفسه ، فلم يمنعها من شيء تريده؛ وكان كاتبها سلمة بن سعيد النصرانيّ ،

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٠).

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢١).

وكانت الأموال التي ترد على السلطان من الآفاق إنما يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة الأنفس ، فعمِد أوتامش إلى مافي بيوت الأموال من الأموال فاكتسحه؛ وكان المستعين قد جعل ابنَه العباس في حِجْر أوتامش؛ فكان ما فضَل من الأموال عن هؤلاء الثلاثة الأنفس يؤخذ للعباس ، فيصرَف في نفقاته وأسبابه ـ وصاحب ديوان ضياعه يومئذ دَلِيْل ـ فاقتطع من ذلك أموالاً جليلة لنفسه؛ وجعلت الموالي تنظر إلى الأموال تُستهلك؛ وهم في ضيقة ، وجعل أوتامش وهو صاحب المستعين وصاحب أمره ، والمستولى عليه يُنفِذُ أمور الخلافة؛ ووصيف وبُغا من ذلك كلِّه بمعزل ، فأغريا الموالى به ، ولم يزالا يدبّران الأمر عليه حتى أحكما التدبير ، فتذمّرت الأتراك والفراغنة على أوتامش ، وخرج إليه منهم يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة أهل الدُّور والكرْخ ، فعسكروا وزحفوا إليه وهو في الجَوْسق مع المستعين.

وبلغه الخبر ، فأراد الهرب ، فلم يمكنه واستجار بالمستعين فلم يجِرْه فأقاموا على ذلك من أمرهم يوم الخميس ويوم الجمعة؛ فلما كان يوم السبت دخلوا الجوسق ، فاستخرجوا أوتامش من موضِعه الذي تَوارى فيه ، فقتِل وقتل كاتبُه شجاع بن القاسم ، وانتهبت دار أوتامش ، فأخذ منها ـ فيما بلغني ـ أموالٌ جليلة ومتاع وفرش وآلة.

ولما قُتل أوتامش استوزر المستعين أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج ، ووليه عيسى بن فرّخانشاه ، وولى وصيف الأهواز ، وبغا الصغير فلَسطين في شهر ربيع الآخر ، ثم غضب بغا الصغير وحزبُه على أبي صالح بن يزداد ، فهرب أبو صالح إلى بغداد في شعبان ، وصيّر المستعين مكانه محمد بن الفصل الجرجرائيّ : فصيّر ديوان الرسائل إلى سعيد بن حُميد رياسةً ، فقال في ذلك الحمدونيّ :

لَبِسَ السَّيفَ سعيدٌ بعدما عاش ذا طِمْرَيْنِ لا نَوْبَةَ لَهُ
إنَّ لله لآياتٍ وذا آيةٌ لله فينا مُنزَلَهْ

* * *

[مقتل عليّ بن الجهم][١]

وفيها قُتِل عليّ بن الجهم بن بدر؛ وكان سبب ذلك أنه توجّه من بغداد إلى الثغر ، فلما كان بقرب حَلب بموضع يقال له خساف؛ لقيته خيل لكلْب ، فقتلته ، وأخذ الأعراب ما كان معه ، فقال وهو في السياق:

أَزِيـــدَ فـــي الليـــلِ لَيْـــلُ أَمْ ســـالَ بـــالصبـــح سَيْـــلُ
ذكَـــرْتُ أهـــلَ دُجَيْـــلِ وأيـــنَ منِّـــي دجَيْـــلُ!

وكان منزله في شارع الدّجيل.

* * *

وفيها عزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ، ووليه جعفر بن محمد بن عمار البرجميّ من أهل الكوفة؛ وقد قيل: إن ذلك في سنة خمسين ومئتين.

وفيها أصاب أهل الريّ في ذي الحجة زلزلة شديدة ورجْفة تهدّمت منها الدور، ومات خلق من أهلها وهرب الباقون من أهلها من المدينة؛ فنزلوا خارجها.

ومُطر أهل سامرّا يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الأولى؛ وذلك يوم السادس عشر من تمُّوز مطرٌ جَوْد برعد وبرق ، فأطبَق الغيم ذلك اليوم؛ ولم يزل المطر جوْداً سائلاً يومئذ إلى اصفرار الشمس ثم سكن.

وتحرّكت المغاربة في هذه السنة يوم الخميس لثلاث خلوْن من جمادى الأولى ، وكانوا يجتمعون قرب الجسر بسامُرّا ، ثم تفرّقوا يوم الجمعة[٢].

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام وهو والي مكة[٣].

---

(١) علي بن الجهم كان شاعراً من أصحاب المتوكل وكان فاضلاً متديناً ذا شعر حسن جيد ثم نقم عليه المتوكل [انظر ترجمته وتأريخ وفاته في تأريخ بغداد (١١/ ٣٦٧) والمنتظم (١٢/ ٢٦) ووفيات الأعيان (٣/ ٣٥٥).

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٣).

(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٢٣).

ثم دخلت سنة خمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ظهور يحيى بن عمر الطالبيّ ثم مقتله]

فمن ذلك ما كان من ظهور يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ المكنى بأبي الحسين بالكوفة ، وفيها كان مقتله رضي الله عنه[١] .

* ذكر الخبر عن سبب ظهوره وما آل عليه أمره :

ذُكر أنّ أبا الحسين يحيى بن عمر ـ وأمّه أم الحسين فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ـ نالتْه ضيقة شديدة ، ولزمه دَيْن ضاق به ذرعاً ، فلقيَ عمَر بن فرج ـ وهو يتولّى أمر الطالبيين ـ عند مقَدمه من خراسان أيام المتوكل ، فكلّمه في صلته ، فأغلظ عليه عمر القول؛ فقذفه يحيى بن عمر في مجلسه ، فحُبِس ، فلم يزل محبوساً إلى أن كفل به أهلُه ، فأطلِق ، فشخص إلى مدينة السلام ، فأقام بها بحال سيّئة ، ثم صار إلى سامُرّا ، فلقي وصيفاً في رِزْق يُجرَى له ، فأغلظ له وصيفٌ في القول ، وقال: لأيّ شيء يُجرى على مثلك! فانصرف عنه.

فذكر ابن أبي طاهر أن ابن الصوفيّ الطالبيّ حدّثه: أنه أتاه في الليلة التي كان خروجه في صبيحتها ، فبات عنده ، ولم يعلمه بشيء مما عزم عليه؛ وأنه عرض عليه الطَّعَام ، وتبيّن فيه أنه جائع ، فأبى أن يأكل ، وقال: إنْ عشنا أكلنا ، قال: فتبيّنت أنه قد عزم على فتكة؛ وخرج من عندي؛ فجعل وجهه إلى الكوفة؛ وبها أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان عاملاً عليها من قِبَل محمد بن عبد الله بن طاهر؛ فجمع يحيى بن عمر جَمْعاً كثيراً من الأعراب ، وضوى إليه جماعة من أهل الكوفة ، فأتى الفلُّوجة؛ فصار إلى قرية تعرف بالعمد؛ فكتب صاحب البريد بخبره؛ فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أيوب بن الحسن وعبد الله بن محمود السرخسيّ ـ وكان عامل محمد بن عبد الله على معاون السواد

---

(١) انظر الخبر في المنتظم (١٢/ ٣٣).

ـ يأمرهما بالاجتماع على محاربة يحيى بن عمر ـ وكان على الخراج بالكوفة بدر ابن الأصبغ ـ فمضى يحيى بن عمر في سبعة نفر من الفرسان إلى الكوفة فدخلها ، وصار إلى بيت مالها؛ فأخذ ما فيه؛ والذي وُجد فيه ألفا دينار وزيادة شيء ، ومن الورِق سبعون ألف درهم؛ وأظهر أمره بالكوفة وفتح السجنيْن ، وأخرج جميع من كان فيهما؛ وأخرج عمّالها عنها ، فلقيه عبد الله بن محمود السرخسيّ ـ وكان في عداد الشاكريّة ، فضربه يحيى بن عمر ضربةً على قُصَاص شعره في وجهه أثْخنته؛ فانهزم ابن محمود مع أصحابه ، وحوى يحيى ما كان مع ابن محمود من الدوابّ والمال.

ثم خرج يحيى بن عمر من الكوفة إلى سوادها ، فصار إلى موضع يقال له بستان ـ أو قريباً منه ـ على ثلاثة فراسخ من جُنْبلاء؛ ولم يقم بالكوفة ، وتبعتْه جماعة من الزيديّة ، واجتمعت على نُصرته جماعة من قرب من تلك الناحية من الأعراب وأهل الطُّفوف والسِّيب الأسفل ، وإلى ظهر واسط ، ثم أقام بالبستان ، فكثر جمعُه ، فوجّه محمد بن عبد الله لمحاربته الحسينَ بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب ، وضمّ إليه من ذَوِي البأس والنجدة من قوّاده جماعة؛ مثل خالد بن عمران وعبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفَلْس ، وأبي السناء الغَنويّ ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وسعد الضِّبابيّ ، ومن الإسحاقية أحمد بن محمد بن الفضل وجماعة من خاصّة الخراسانية وغيرهم.

وشخص الحسين بن إسماعيل ، فنزل بإزاء هَفَنْدَى في وجه يحيى بن عمر ، لا يقدم عليه الحسين بن إسماعيل ومَنْ معه؛ وقصد يحيى نحو البحرية ـ وهي قرية بينها وبين قُسِّين خمسة فراسخ ، ولو شاء الحسين أن يلحقه لحقه ـ ثم مضى يحيى بن عمر في شرقيّ السِّيب والحسين في غربيّه ، حتى صار إلى أحمد أباذ فعبر إلى ناحية سُورا ، وجعل الجند لا يلحقون ضعيفاً عجز عن اللحاق بيحيى إلا أخذوه ، وأوقعوا بمن صار إلى يحيى بن عمر من أهل تلك القرى.

وكان أحمد بن الفرج المعروف بابن الفزاريّ يتولى معونة السِّيب لمحمد بن عبد الله ، فحمل ما اجتمع عنده من حاصل السِّيب قبل دخول يحيى بن عمر أحمد أباذ ، فلم يظفر به.

ومضى يحيى بن عمر نحو الكوفة ، فلقيَه عبد الرحمن بن الخطاب وَجْهُ

الفَلْس ، فقاتله بقرب جسر الكوفة قتالاً شديداً ، فانهزم عبد الرحمن بن الخطاب ، وانحاز إلى ناحية شاهي ، ووافاه الحسين بن إسماعيل ، فعسكر بها ، ودخل يحيى بن عمر الكوفة ، واجتمعت إليه الزيديّة ، ودعا إلى الرضا من آل محمد وكثُفَ أمره ، واجتمعت إليه جماعة من الناس وأحبّوه ، وتولاّه العامة من أهل بغداد ـ ولا يُعلم أنهم تولوا من أهل بيته غيره ـ وبايعه بالكوفة جماعة لهم بصائر وتدبير في تشيُّعهم؛ ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم.

وأقام الحسين بن إسماعيل بشاهي، واستراح وأراح أصحابه دوابَّهم، ورجعت إليهم أنفسهم ، وشربوا العذب من ماء الفُرات؛ واتّصلت بهم الأمداد والمِيرة والأموال ، وأقام يحيى بن عمر بالكوفة يعدّ العدد ، ويطبع السيوف ، ويعرض الرجال ، ويجمع السلاح.

وإن جماعة من الزيديّة ممّن لا علم لهم بالحرب أشاروا على يحيى بمعاجلة الحسين ، وألحّت عليه عوامّ أصحابه بمثل ذلك ، فزحف إليه من ظهر الكوفة من وراء الخندق ليلة الإثنين لثلاث عشرة خلت من رجب ، ومعه الهيضَم العِجليّ ، في فرسان من بني عِجْل وأناس من بني أسد ورجّالة من أهل الكوفة ليسوا بذوي علْم ولا تدبير ولا شجاعة ، فأسْرَوْا ليلتهم؛ ثم صبّحوا حسيناً وأصحابَه ـ وأصحابُ حسين مستريحون ومستعدّون ـ فثاروا إليهم في الغَلَس فرموا ساعة ، ثم حمل عليهم أصحاب الحسين فانهزموا ، ووُضع فيهم السيف؛ فكان أوّل أسير الهيضم بن العَلاء بن جمهور العِجليّ ، فانهزم رجّالةُ أهل الكوفة ، وأكثرهم عُزْل بغير سلاح ، ضَعْفى القوى ، خلقان الثياب؛ فداستهم الخيل ، وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر ، وعليه جوشن تُبّتيّ ، وقد تقطّر به البرذون الذي أخذه من عبد الله بن محمود ، فوقف عليه ابنٌ لخالد بن عمران يقال له خير؛ فلم يعرفه ، وظنّ أنه رجل من أهل خراسان؛ لمّا رأى عليه الجوشن ، ووقف عليه أيضاً أبو الغور بن خالد بن عمران ، فقال لخير بن خالد: يا أخي ، هذا والله أبو الحسين قد انفرج قلبُه؛ وهو نازل لا يعرف القصّة لانفراج قلبه ، فأمر خير رجلاً من أصحابه المواصلين من العرَفاء يقال له مُحْسِن بن المنتاب ، فنزل إليه فذبَحه ، وأخذ رأسه وجعله في قَوْصرّة ، ووجّهه مع عمر بن الخطاب ، أخى عبد الرحمن بن الخطاب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر.

وادّعى قتلَه غير واحد ، فذكر عن العرس بن عراهم أنهم وجدوه باركاً ، ووجدوا خاتمه مع رجل يعرف بالعسقلانيّ مع سيفه ، وادّعى أنه طعنه وسلبَه ، وادّعى سعد الضِّبابيّ أنه قتله.

وذكر عن أبي الحسين خال أبي السناء أنه طعن في الغَلَس رجلاً في ظهره لا يعرفه ، فأصابوا في ظهر أبي الحسين طعنة ولا يُدْرَى مَنْ قتله ، لكثرة من ادّعاه ، وورد الرأس دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، وقد تغبّر فطلبوا مَنْ يقوّر ذلك اللحم ، ويخرِج الحدقَة والغَلْصمة ، فلم يوجد ، وهرب الجزّارون ، وطُلب ممن في السجن من الخرّمية الذبّاحين من يفعل ذلك فلم يقدم عليه أحد ، إلا رجل من عمال السجن الجديد ، يقال له سهل بن الصغديّ ، فإنه تولى إخراج دماغه وعينيه وقوّره بيديه ، وحُشِي بالصبر والمسك والكافور بعد أن غسل وصُيِّر في القطن ، وذكر أنهم رأوا بجنبيه ضربة بالسيف منكرة.

ثم إنّ محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحمل رأسه إلى المستعين من غد اليوم الذي وافاه فيه ، وكتب إليه بالفتح بيده ، ونصب رأسه بباب العامّة بسامُرّا ، واجتمع الناس لذلك ، وكثروا وتذمَّرُوا ، وتولّى إبراهيم الديرج نَصْبَه؛ لأن إبراهيم بن إسحاق خليفة محمد بن عبد الله أمَرَه فنصبه لحظة ، ثم حُطّ ، وردّ إلى بغداد لينصب بها بباب الجسر؛ فلم يتهيّأ ذلك لمحمد بن عبد الله لكثرة من اجتمع من الناس ، وذُكر لمحمد بن عبد الله أنهم على أخذه اجتمعوا ، فلم ينصبه وجعله في صندوق في بيت السلاح في داره ، ووجّه الحسين بن إسماعيل بالأسرَى ورؤوس مَنْ قتل معه مع رجل يقال له أحمد بن عصمويه ممّن كان مع إسحاق بن إبراهيم ، فكدّهم وأجاعهم وأساء بهم؛ فأمر بهم فحبِسوا في سجن الجديد ، وكتب فيهم محمد بن عبد الله يسأل الصفح عنهم ، فأمر بتخليتهم ، وأن تدفن الرؤوس ولا تُنصب ، فدفنت في قصر بباب الذهب.

وذُكِر عن بعض الطاهريّين أنه حضر مجلس محمد بن عبد الله وهو يُهنّأ بمقتل يحيى بن عمر وبالفتح وجماعة من الهاشميين والطالبيّين وغيرهم حضور؛ فدخل عليه داود بن القاسم أبو هاشم الجعفريّ فيمن دخل ، فسمعهم يهنّئونه ، فقال: أيها الأمير؛ إنك لتهنّأ بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حيّاً لَعُزِّيَ به! فما ردّ عليه محمد بن عبد الله شيئاً ، فخرج أبو هاشم الجعفريّ ، وهو يقول:

يـــا بَنِـــي طـــاهـــرٍ كلُـــوهُ وَبِيّـــاً إن لحـــمَ النبِـــيِّ غيـــرُ مَـــريِّ
إنَّ وِتـــراً يكـــونُ طـــالِبَـــهُ اللـ ـــهُ لَـــوتـــرٌ نجـــاحُـــهُ بـــالحَـــرِيِّ

وكان المستعين قد وجّه كلباتكين مدداً للحسين ومستظهراً به ، فلحق حسيناً بعدما هُزم القوم وقتل يحيى بن عمر ، فمضى ومعهم حاجب صاحب بريد الكوفة فلقيَ جماعة ممّن كان مع يحيى بن عمر ، ومعهم أسوقة وأطعمة يريدون عسكر يحيى ؛ فوضع فيهم السَّيْف فقتلهم ، ودخل الكوفة ؛ فأراد أن ينهبها ويضعَ السيف في أهلها ، فمنعه الحسين ، وآمن الأسودَ والأبيض بها ؛ وأقام أياماً ثم انصرف عنها[١] .

* * *

[ذكر خبر خروج الحسن بن زيد العلوي]

وفي هذه السنة كان خروج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب في شهر رمضان منها[٢] .

*** ذكر الخبر عن سبب خروجه :**

حدّثني جماعة من أهل طَبرِستان وغيرهم ؛ أنّ سبب ذلك كانَ : أن محمد بن عبد الله بن طاهر لمّا جرى على يده ما جرى من قتْل يحيى بن عمر ، ودخول أصحابه وجيشه الكوفةَ بعد فراغهم من قَتْل يحيى ؛ أقطعه المستعين من صوافي السلطان بطبرستان قطائعَ ؛ وأن من تلك القطائع التي أقطعها قطيعة فيما قرب من ثَغْرَيْ طبرستان ممّا يلي الدَّيْلَم ؛ وهما كلار وسالوس ، كان بحذائها أرض لأهْل تلك الناحية فيها مرافق ، منها مُحْتَطبهم ومراعي مواشيهم ومسرح سارِحتهم ؛ وليس لأحد عليها مُلْك ؛ وإنما هي صحراء من موتان الأرض ؛ غير أنها ذات غياض وأشجار وكلأ .

فوجّه ـ فيما ذكر لي ـ محمد بن عبد الله بن طاهر أخاً لكاتبه بشر بن هارون

(١) هذه التفاصيل الكثيرة التي استغرقت الصفحات (٢٦٦ ـ ٢٧١) انفرد بذكرها الطبري من بين المؤرخين المتقدمين الثقات والله تعالى أعلم وانظر المنتظم (١٢/ ٣٣ ـ ٣٤).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٤).

النصرانيّ يقال له جابر بن هارون ، لحيازة ما أقطع هنالك من الأرض ، وعامل طَبَرستان يومئذ سليمان بن عبد الله خليفة محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، أخو محمد بن عبد الله بن طاهر ، والمستولي على سليمان ، والغالب على أمره محمد بن أوس البلخيّ ؛ وقد فرّق محمد بن أوس ولده في مدن طَبِرستان ، وجعلهم ولاتها ، وضمّ إلى كلّ واحد منهم مدينة منها ؛ وهم أحداث سُفهاء ؛ قد تأذى بهم وبسفههم مَنْ تحت أيديهم من الرعيّة ، واستنكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبد الله سفَههم وسِيَرَهم فيهم ، وغلظ عليهم سوءُ أثرهم فيهم ؛ بقِصَص يطول الكتاب بشرح أكثرها .

ووتَر مع ذلك ـ فيما ذُكر لي ـ محمد بن أوس الديلم بدخوله إلى ما قرب من بلادهم من حدود طَبَرستان ؛ وهم أهل سِلْم وموادعة لأهل طَبرستان على اغترار من الدّيلم بما يلتمس بدخوله إليهم بغارة ، فسبَى منهم وقتل ، ثم انكفأ راجعاً إلى طبَرستان ، فكان ذلك مما زاد أهل طبرستان عليه حَنَقا وغيظاً ، فلما صار رسول محمد بن عبد الله ـ وهو جابر بن هارون النصرانيّ ـ إلى طبرستان لحيازة ما أقْطَعه هنالك محمد، عمد ـ فيما قيل لي ـ جابر بن هارون إلى ما أقطَع محمد بن عبد الله من صَوا في السلطان فحازه ، وحاز ما اتّصل به من موات الأرض التي يَرْتفقِ بها أهلُ تلك الناحية ـ فيما ذُكر ـ فكان فيما رام حيازته من ذلك المواتُ الذي بقرب من الثغريْن اللّذين يسمى أحدهما كلار والآخر سالوس ؛ وكان في تلك الناحية يومئذ رجلان معروفان بالبأس والشجاعة ، وكانا مذكورين قديماً بضبط تلك الناحية ممن رامها من الدَّيْلم ، وبإطعام الناس بها وبالإفضال عمَنْ ضوى إليهما ؛ يقال لأحدهما محمد وللآخر جعفر ؛ وهما ابنا رستم أخوان ؛ فأنكرا ما فعل جابر بن هارون من حيازته الموَات الذي وصفت أمره ، ومانعاه ذلك .

وكان ابنا رستم في تلك الناحية مُطاعيْن فاستنهضا مَنْ أطاعهما ممّن في ناحيتهما لمنع جابر بن هارون من حيازة ما رام حيازَته من الموات الذي هو مَرْفق لأهل تلك الناحية ـ فيما ذُكر ـ وغير داخل فيما أقطعَه صاحبه محمد بن عبد الله ، فنهضوا معهما ، وهرب جابر بن هارون خوفاً على نفسه منهما وممن قد نهض معهما ، لإنكار ما رام جابر النصراني فعلَه ، فلحق بسليمان بن عبد الله بن طاهر ، وأيقن محمد وجعفر ابنا رستم ومَنْ نهض معهما في منع جابر عما حاول

من حيازة ما حاول حيازته من الموات الذي ذكرتُ بالشرّ وذلك أن عامل طبرستان كلّها سليمان بن عبد الله؛ وهو أخو محمد بن عبد الله بن طاهر وعمّ محمد بن طاهر بن عبد الله عامل المستعين على خُراسان وطبرستان والرّيّ والمشرق كله يومئذ.

فلما أيقن القوم بذلك، راسلوا جيرانهم من الدّيْلم، وذكّروهم وفاءهم لهم بالعهد الذي بينهم وبينهم، وما ركبهم به محمد بن أوس من الغدر والقتل والسبْي، وأنهم لا يؤمنون من ركوبه إياهم بمثل الذي ركبهم به، ويسألونهم مظاهرتهم عليه وعلى مَنْ معه؛ فأعلمهم الديلم أنّ ما يلي أرضَهم من جميع نواحيها من الأرضين والبلاد؛ إنما عمّالُها إمّا عمال لطاهر؛ وإمّا عمال مَنْ يتّخذ آل طاهر إن احتاجُوا إلى إنجادهم؛ وإن ما سألوا من معاونتهم لا سبيل لهم إليه إلا بزوال الخوْف عنهم من أن يُؤتَوا من قبل ظهورهم إذا هم اشتغلوا بحرْب من بين أيديهم من عمال سليمان بن عبد الله؛ فأعلمهم الذين سألوهم المظاهرة على حَرْب سليمان وعماله أنهم لا يغفلون عن كفايتِهم ذلك، حتى يأمنوا مما خافوا منه، فأجابهم الدّيْلم إلى ما سألوهم من ذلك، وتعاقدوا هم وأهل كلار وسالوس على معاونة بعضهم بعضاً على حَرْب سليمان بن عبد الله وابن عبد الله وابن أوس وغيرهم ممن قصدهم بحرب.

ثم أرسل ابنا رستم محمد وجعفر - فيما ذكر - إلى رجل من الطالبيّين المقيمين كانوا يومئذ بطبَرستان، يقال له محمد بن إبراهيم، يدعونه إلى البَيْعة له، فأبى وامتنع عليهم، وقال لهم: لكني أدلّكُم على رجل منا هو أقوم بما دعوتموه إليه منّي، فقالوا: مَنْ هو؟ فأخبرهم أنه الحسن بن زيد، ودلَّهم على منزله ومسكنه بالرّيّ، فوجّه القومُ إلى الرّيّ عن رسالة محمد بن إبراهيم العلويّ إليه مَنْ يدعوه إلى الشخوص معه إلى طبرستان؛ فشخص معه إليها، فوافاهم الحسن بن زيد، وقد صارت كلمة الديلم وأهل كلاروسالوس ورُويان على بيعتِه وقتال سليمان بن عبد الله واحدةً؛ فلما وافاهم الحسن بن زيد بايع له ابنا رستم، وجماعة أهل الثغور ورؤساء الديلم: كجايا ولاشام، ووَهْسُودان بن جستان، ومِنْ أهل رويان عبد الله بن وَنْدَاميد - وكان عندهم من أهل التألّه والتعبّد - ثم ناهضوا من في تلك النواحي من عمال ابن أوس فطردوهم عنها، فلحقوا بابن أوس وسليمان بن

عبد الله؛ وهما بمدينة سارية، وانضمّ إلى الحسن بن زيد مع مَنْ بايعه من أهل النواحي التي ذكرت؛ لما بلغهم ظهوره بها حوزيّة جبال طبرستان كما صْمُغَان وفادُسْبان وليث بن قباذ، ومن أهل السفح خشكجستان بن إبراهيم بن الخليل بن ونداسفجان، خلا ما كان من سكان جبل فِريم؛ فإن رئيسهم كان يومئذ والمتملك عليهم قارن بن شهريار؛ فإنه كان ممتنعاً بجبله وأصحابه، فلم ينقَدْ للحسن بن زيد ولا مَنْ معه حتى مات ميتة نفسه، مع موادعة كانت بينهما في بعض الأحوال، ومخاتنة ومصاهرةٍ كفّا من قارن بذلك من فعله عاديَة الحسن بن زيد ومن معه.

ثم زحف الحسن بن زيد وقُوّاده من أهل النواحي التي ذكرت نحو مدينة آمُل، وهي أول مدن طبرستان مما يلي كلار وسالوس من السفح ـ وأقبل ابن أوس من سارية إليها يريد دفعَه عنها، فالتقى جيشاهما في بعض نواحي آمُل، ونشبت الحرب بينهم، وخالف الحسن بن زيد وجماعة ممن معه من أصحابه موضع معركة القوم إلى ناحية أخرى، فدخلوها فاتصل الخبر بدخوله مدينة آمل بابن أوس، وهو مشتغل بحرب مَنْ هو في وجهه من رجال الحسن بن زيد؛ فلم يكن له همٌّ إلا النّجاء بنفسه واللحاق بسليمان بسارية؛ فلما دخل الحسن بن زيد آمُل كَثُف جيشه، وغلظ أمره، وانقضّ إليه كلّ طالب نهبٍ ومُريد فتنة من الصعاليك والحوزية وغيرهم؛ فأقام ـ فيما حُدّثت ـ الحسن بن زيد بآمُل أياماً؛ حتى جبى الخراج من أهلها، واستعدّ، ثم نهض بمن معه نحو سارية مريداً سليمان بن عبد الله، فخرج سليمان وابن أوس بمَنْ معهما من جيوشهما؛ فالتقى الفريقان خارج مدينة سارية، ونشبت الحرب بينهم، فخالف الوجهَ الذي التقى فيه الجيشان بعضُ قواد الحسن بن زيد إلى وجه آخر من وجوه سارية، فدخلها برجاله وأصحابه، فانتهى الخبر إلى سليمان بن عبد الله ومَنْ معه من الجند؛ فلم يكن لهم هَمٌّ غير النجاة بأنفسهم.

ولقد حدثني جماعة من أهل تلك الناحية وغيرها، أنّ سليمان بن عبد الله هَرَب وترك أهله وعِيِاله وثَقَله وكلّ ما كان له بسارية من مال وأثاث وغير ذلك بغير مانع ولا دافع؛ فلم يكن له ناهية دون جُرجان، وغلب على ما كان له ولغيره بها من جُنده الحسن بن زيد وأصحابه.

فأما عيال سليمان وأهله وأثاثه فإنه بلغني أن الحسن بن زيد أمر لهم بمركب حملهم فيه حتى ألحقهم بسليمان وهو بجرجان ، وأمّا ما كان لأصحابه فإن مَنْ كان مع الحسن بن زيد من التَّبَع انتهبه ، فاجتمع للحسن بن زيد بلحاق سليمان بن عبد الله بجُرجان إمْرة طبرستان كلها.

فلما اجتمعت للحسن بن زيد طَبرِستان ، وأُخرج عنها سليمان بن عبد الله وأصحابه وجّه إلى الرّيّ خيلاً مع رجل من أهل بيته ، يقال له الحسن بن زيد ، فصار إليها ، فطرد عنها عاملها من قِبَل الطاهرية ، فلما دخل الموجّه به من قِبَل الطالبيّين الرّي هرب منها عاملُها ، فاستخلف بها رجلاً من الطالبيين يقال له محمد بن جعفر ، وانصرف عنها ، فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الرّي إلى حدّ همذان ، وورد الخبر بذلك على المستعين ، ومدبّر أمره يومئذ وصيف التركيّ وكاتبه أحمد بن صالح بن شيرزاد ، وإليه خاتم المستعين ووزارته ، فوجّه إسماعيل بن فَرَاشة في جمع إلى همذان ، وأمره بالمقام بها وضبطها إلى أن يتجاوز إليها خيل الحسن بن زيد؛ وذلك أنّ ما وراء عمل هَمَذان كان إلى محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وبه عماله ، وعليه صلاحه.

فلما استقرّ بمحمد بن جعفر الطالبيّ القرار بالرّيّ ظهرت منه ـ فيما ذكر ـ أمور كرهها أهل الرّيّ ، فوجّه محمد بن طاهر بن عبد الله قائداً له من قِبَله ، يقال له محمد بن ميكال ـ وهو أخو الشاه بن ميكال ـ في جَمْع من الخيل والرّجالة إلى الرّيّ ، فالتقى هو ومحمد بن جعفر الطالبيّ خارج الرّيّ؛ فذُكر أن محمد بن ميكال أسر محمد بن جعفر الطالبيّ ، وفضّ جيشه ، ودخل الرّي ، فأقام بها ، ودعا بها للسلطان؛ فلم يتطاول بها مكثُه حتى وجّه الحسن بن زيد إليه خيلاً ، عليها قائد له من أهل اللازر ، يقال له واجن ، فلما صار واجن إلى الرّيّ خرج إليه محمد بن ميكال ، فاقتتلا ، فهزم واجن وأصحابه محمد بن ميكال وجيشه ، والتجأ محمد بن ميكال إلى مدينة الرّيّ معتصماً بها ، فاتّبعه واجن وأصحابه حتى قتلوه ، وصارت الرّيّ إلى أصحاب الحسن بن زيد.

فلمّا كان يوم عرفة من هذه السنة بعد مقتل محمد بن ميكال ، ظهر بالرّيّ أحمد بن عيسى بن عليّ بن حسين الصغير بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن

حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب؛ فصلّى أحمد بن عيسى بأهل الرّيّ صلاة العيد، ودعا للرضا من آل محمد؛ فحاربه محمد بن عليّ بن طاهر، فهزمه أحمد بن عيسى، فصار إلى قزوين(١).

* * *

وفي هذه السنة غُضب على جعفر بن عبد الواحد، لأنه كان بعث إلى الشاكريّة، فزعم وصيف أنه أفسدهم، فنُفي إلى البصرة لسبع بقين من شهر ربيع الأول(٢).

وفيها أسقطت مرتبة مَنْ كانت له مرتبة في دار العامة من بني أميّة، كابن أبي الشوارب والعثمانيين(١).

وأخرج في هذه السنة من الحبس الحسنُ بن الأفشين(١).

وأجلِس فيها العباسُ بن أحمد بن محمد، فعقد لجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف ببشاشات على مكة في جمادى الأولى.

وفيها وثب أهل حِمْص وقومٌ من كلب ـ عليهم رجل يقال له عُطَيف بن نعمة الكلبيّ ـ بالفضْل بن قارن أخي مازيار بن قارن؛ وهو يومئذ عامل السلطان على حِمْص، فقتلوه في رجَب؛ فوجّه المستعين إليهم موسى بن بُغا الكبير، فشخص موسى من سامُرّا يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من شهر رمضان؛ فلمّا قرب موسى تلقّاه أهلُها فيما بينها وبين الرَّستَن، فحاربهم فهزمهم؛ وافتتح حمص وقتل مِنْ أهلها مقتلة عظيمة، وأحرقها وأسر جماعة من رؤساء أهلِها، وكان عطيف قد لحق بالبدو(١).

وفيها مات جعفر بن أحمد بن عمّار القاضي يوم الأحد لسبع بقين من شهر رمضان.

وفيها مات أحمد بن عبد الكريم الجواري والتيميّ قاضي البصرة.

وفيها ولي أحمد بن الوزير قضاء سامرّا.

---

(١) انظر هذه الأخبار في البداية والنهاية [٨/ ٢١٨].
(٢) هذه الأخبار في المنتظم (١٢/ ٣٥).

وفيها وثبت الشاكريّة والجُنْد بفارس بعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ، فانتهبوا منزله ، وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن ، وهرب عبد الله بن إسحاق[١].

وفيها وجّه محمد بن طاهر من خُراسان بفيليْن كان وُجِّه بهما إليه من كابُل وأصنام وفوائح[١].

وغزا الصائفة فيها بلكاجُور.

وحجّ بالناس في هذه السنة جَعفر بن الفضل بشاشات وهو والي مكة[١].

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر قتل باغر التركيّ]

فممّا كان فيها من ذلك قتل وصيف وبُغا الصغير باغر التركيّ واضطراب أمر الموالي[٢].

ذكر الخبر عن سبب قتلهما باغر:

ذُكر أنّ سبب ذلك كان أن باغر كان أحد قتلَة المتوكل ، فزِيد لذلك في أرزاقه ، وأقطع قطائع؛ فكان مما أقطِع ضياع بسواد الكوفة ، فتضمّن تلك الضياع التي أقطِعها باغرُ هنالك مِن كاتب كان لباغر يهوديّ - رجل من دهاقين بارُوسما ونهر الملك - بألفيّ دينار في السنة ، فعدا رجل بتلك الناحية ، يقال له ابن مارِمّة على وكيل لباغر هنالك ، فتناوله أو دسّ إليه مَنْ تناوله ، فحُبس ابن مارمّة ، وقُيِّد ، ثم عمل حتى تخلص من الحبس ، فصار إلى سامُرّا؛ فلقي دُلَيْل بن يعقوب النصرانيّ وهو يومئذ كاتب بغا الشرابيّ وصاحب أمره ، وإليه أمر العسكر ، يركبُ إليه القوّاد والعمال؛ لمكانه من بُغا ، وكان ابن مارِمّة صديقاً لدُليل ، وكان باغر أحد قُوّاد بُغا ، فمنع دُليل باغر من ظلم أحمد بن مارمّة؛ وانتصف له منه ، فأوغر ذلك من فعله بصدر باغر ، وبايَنَ كلّ واحد من دُليل

---

(١) هذه الأخبار في المنتظم (١٢/ ٣٦).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٤٢).

وباغر صاحبَه بذلك السبب ، وباغر شجاع بطل معروف القَدْر في الأتراك ، يتوقّاه بُغا وغيره ، ويخافون شرّه.

فذكِر أنّ باغر جاء يوم الثلاثاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة خمسين ومئتين إلى بُغا ، وبُغا في الحمام ، وباغر سكران شديد السكر ، وانتظره حتى خرج من الحمام ، ثم دخل عليه ، فقال له : والله مامن قتل دُليل بُدٌّ ثم سبّه ، فقال له بغا : لو أردتَ قتل ابني فارسي ما منعتُك ، فكيف دُليل النصرانيّ! ولكنّ أمري وأمر الخلافة في يديْه فتنتظر حتى أصيِّر مكانه إنساناً ، وشأنَك به ، ثم وجّه بُغا إلى دُلَيل يأمره ألاّ يركب ؛ وقيل : بل تلقاه طبيب لبُغا ، يقال له ابن سرجويه ، فأخبره بالقصّة ، فرجع إلى منزله ، فاستخفى ، وبعث بُغا إلى محمد بن يحيى بن فيروز ، وكان ابن فيروز يكتب له قبل ذلك ، فجعله مكان دُلَيل ، فيوهم باغر أنه قد عزل دُليلاً ؛ فسكن باغر ، ثم أصلح بُغا بين دُلَيل وباغر ، وباغر يتهدّدُ دليلاً بالقَتْل إذا خلا بأصحابه ، ثم تلطّف باغر للمستعين ، ولزم الخدمة في الدار ، وكره المستعين مكانَه ؛ فلمّا كان يوم نوبة بُغا في منزله قال المستعين : أيّ شيء كان إلى إيتاخ من الأعمال؟ فأخبره وصيف ، فقال : ينبغي أن تصيّروا هذه الأعمال إلى أبي محمد باغر ، فقال وصيف : نعم ، وبلغت القصة دُليلاً ، فركب إلى بُغا فقال له : أنت في بيتك ؛ وهم في تدبير عزلك عن كلّ أعمالك ؛ فإذا عُزلت فما بقاؤك إلاّ أن يقتلوك! فركب بُغا إلى دار الخلافة في اليوم الذي نَوْبته في منزله بالعشيّ ، فقال لوصيف : أردتَ أن تُزِيلني عن مرتبتي ، وتجيء بباغر فتصيّره مكاني ؛ وإنما باغر عبدٌ من عبيدي ورجل من أصحابي ، فقال له وصيف : ما علمتُ ما أراد الخليفة من ذلك ، فتعاقد وصيف وبُغا على تنْحِية باغر من الدار والاحتيال له ، وأرجفوا له أن يؤمّر ويضَمّ إليه جيش سوى جيشه ؛ ويُخْلَع عليه ، ويُجلَس في الدار مجلس بُغا ووصيف ـ وهما يسمَّيان الأميرين ـ ودافعوه بذلك ، وإنما كان المستعين تقرّب إليه بذلك ليأمن ناحيته ، فأحسَّ هو ومن في ناحيته بالشرّ ، فجمع إليه الجماعة الذين كانوا بايعوه على قتل المتوكل أو بعضها مع غيرهم ؛ فلمّا جمعهم ناظرهم ووكّد البيعة عليهم كما وكّدها في قتل المتوكل ، فقالوا : نحن على بيعتنا ، فقال : الزموا الدّار حتى نقتل المستعين وبُغا ووصيفاً ، ونجيء بعليّ بن المعتصم أو بابن الواثق ، فنُقعده خليفة حتى يكون الأمر لنا ،

كما هو لهذين اللذين قد استوليا على أمر الدنيا ، وبقينا نحن في غير شيء؛ فأجابوه إلى ذلك ، وانتهى الخبر إلى المستعين ، فبعث إلى بُغا ووصيف؛ وذلك يوم الإثنين ، فقال لهما: ما طلبتُ إليكما أن تجعلاني خليفةً؛ وإنما جعلتماني وأصحابكما ثم تريدان أن تقتلاني! فحلفا له أنهما ما علما بذلك ، فأعلمهما الخبر.

وقيل: إنّ امرأة لباغر كانت مطلّقة منه ، سعت إلى أمّ المستعين وإلى بُغا بذلك ، وبكّر دُليل إلى بُغا وحضر وصيف إلى منزل بُغا ومع وصيف أحمد بن صالح كاتبه؛ فاتّفق رأيهم على أخذ باغر واثنين من الأتراك معه وحبسهم حتى يروا رأيَهم فيهم ، فأحضروا باغر ، فأقبل في عِدّة حتى دخل الدار إلى بُغا.

فذكر عن بشر بن سعيد المَرْثديّ أنه قال: كنت حاضراً دخولَه ، فمُنع من الوصول إلى بُغا ووصيف ، وعُطِف به إلى حمّام لبُغا ، ودعِيَ له بالقيود؛ فامتنع عليهم؛ فحبسوه في الحمّام؛ وبلغ ذلك الأتراك في الهارونيّ والكرْخ والدّور ، فوثبوا على إصطبل السلطان ، فأخذوا ما كان فيه من الدوابّ فانتهبوها وركبوها ، وحضروا الجوْسق بالسلاح؛ فلما أمسَوْا أمر وصيف وبُغا رشيدَ بن سعاد أخت وصيف أن يقتل باغر ، فأتاه في عدّة؛ فشدَخُوه بالطَّبرزينات حتى أسكنوه ، فلما علم المستعين باجتماعهم ، ركب ووصيف وبُغا حَرّاقة ، وصاروا إلى دار وصيف جميعاً ، وتراكض الناس يومهم - وهو يوم الثلاثاء وليلته - بالسلاح جائين وذاهبين؛ فقال لهم وصيف: ترفَّقُوا حتى تنظروا؛ فإن ثبتوا على المقاومة رمينا إليهم برأسه ، فلما انتهى قتله إلى الأتراك المشغّبة ، أقاموا على ما هم عليه من الشَّغَب حتى علموا أنّ المستعين وبُغا ووصيف قد انحدروا إلى بغداد؛ وقد كان وصيف أعطى قوماً من المغاربة فُرساناً ورجّالة السلاح والرّماح ، ووجّه بهم إلى هؤلاء المشغبة ، وبعث إلى الشاكريّة أن يكونوا على عُدّة إن احتيج إليهم ، وسكن الناس عند الظهر ، وهدأت الأمور؛ وقد كان عِدّةٌ من قُوّاد الأتراك صاروا إلى هؤلاء المشغبين وسألوهم الانصراف ، فقالوا: يُوقْ يُوقْ ، أي لا لا.

فذكر عن بشر بن سعيد عن جامع بن خالد - وكان أحد خلفاء وصيف من الأتراك - أنه كان المتولِّيَ مخاطبتهم مع عدّة ممن يعرف التركية ، فأعلموهم أن المستعين وبُغا ووصيف قد خرجوا إلى بغداد ، فأظهروا التندّم ، وانصرفوا

منكسرين؛ فلما انتشر الخبر بخروج المستعين صار الأتراك إلى دور دُليل ابن يعقوب ودور أهل بيته ممن قرب منه وجيرانه ، فانتهبوا ما فيها حتى صاروا إلى الخشب والدّوْرَانْدات؛ وقتلوا ما قدروا عليه من البغال ، وانتهبوا علَف الدوابّ والخمر التي في خزانة الشراب؛ ودفع عن دار سلمة بن سعيد النصرانيّ جماعة كان وكّلهم بها؛ من المصارعين وغيرهم من جيرانهم ، ومنعوهم من دخول الدار؛ لأنهم أرادوا دار إبراهيم بن مهران النصرانيّ العسكريّ ، فدفعوهم عنها ، وسلِم سلمة وإبراهيم من النهب.

وقال في قتل باغر والفتنة التي هاجت بسببه بعض الشعراء ، ذُكر أن قائله أحمد بن الحارث اليماميّ:

لعمري لئن قَتلوا باغراً ... لقد هاج باغِرُ حرباً طَحُونَا
وفَرَّ الخليفةُ والقائدَا ... نِ بالليلِ يلتمسانِ السَّفِينا
وصَاحُوا بِمَيْسَانَ مَلاَّحِهِمْ ... فجاءَهُمُ يَسبِقُ الناظرِينَا
فألزَمَهمْ بطنَ حَرَّاقةٍ ... وصَرَّتْ مَجَاذيفهم سَائِرِينَا
وما كان قَدْرُ ابنِ مارمَّةٍ ... فتكسبَ فيه الحروب الزَّبونا
ولكنْ دُليلٌ سَعَى سَعْيَةً ... فأخْزَى الإلهُ بها العالمينا
فحَلَّ ببغدادَ قبل الشّروقِ ... فحلَّ بها منه ما يَكرهُونا
فليتَ السَّفينةَ لم تأْتِنا ... وغرَّقها اللهُ والرَّاكِبينَا
وأقبلتِ التركُ والمَغربونَ ... وجاءَ الفراغِنةُ الدَّارعونا
تَسيرُ كراديسُهُمْ في السِّلاحِ ... يَرُوحونَ خيلاً ورَجْلا ثُبِينا
فقامَ بحربِهمُ عالمٌ ... بأَمرِ الحُروبِ تولاَّهُ حِينَا
فجدَّدَ سوراً على الجانبـ ... ـيْنِ حتَّى أحاطَهُمْ أجمعينا
وأحكَمَ أبوابَها المُصْمتَاتِ ... على السُّورِ يَحمِي بها المُسْتَعِينا
وهيّا مَجَانيقَ خَطَّارَةً ... تُفِيتُ النفوسَ وتحْمِي العرينا
وعَبَّى فَرُوضاً وجَيْشِيَّةً ... ألوفَ ألوفٍ إذ تحْسُبُونا
وعبّى المجانيقَ منظومةً ... على السور حتى أَغار العيونا

فذكر أنهم لما قدموا بغداد اعتلّ ابن مارمّة ، فعاده دُليل بن يعقوب ، فقال له: ما سببُ علّتك؟ قال: عَقرُ القيد انتقض عليّ ، فقال دُليل: لئن عقرك القَيْد؛

لقد نقضت الخلافة ، وبعثتَ فتنة ، ومات ابن مارِمّة في تلك الأيام؛ فقال أبو عليّ اليمامي الحنفيّ في شخوص المستعين إلى بغداد:

مـــا زَالَ إلاَّ لــــزوالِ مُلكـــهِ وحتفِـــهِ مـــن بعـــده وهُلكِـــهِ

ومنع الأتراك الناس من الانحدار إلى بغداد ، فُذكر أنهم أخذوا ملاَّحاً قد أكرى سفينته ، فضربوه مئتي سوط ، وصلبوه على دَقَل سفينته ، فامتنع أصحاب السفن من الانحدار إلاَّ سرّاً أو بمؤنة ثقيلة.

* * *

[وقوع الفتنة ببغداد بين أهلها وبين جند السلطان][(١)]

وفي هذه السنة هاجت الفتنة ووقعت الحرب بين أهل بغداد وجند السلطان الذين كانوا بسامرّا ، فبايع كلُّ من كان بسامُرّا منهم المعتزّ ، وأقام من ببغداد منهم على الوفاء ببيعة المستعين.

* ذكر الخبر عن سبب هيج هذه الفتنة ، وسبب بيعة من كان بسامرّا من الجند المعتزَّ وخلعهم المستعين ، ونصبهم الحرب لمن أقام على الوفاء ببيعته:

قال أبو جعفر: قد ذكرنا قبلُ موافاةَ المستعين وشاهك الخادم ووصيف وبُغا وأحمد بن صالح بن شير زاد بغداد؛ وكانت موافاتهم إياها يوم الأربعاء لثلاث ساعات مضيْن من النهار لأربعة أيام ـ وقيل لخمسة أيام ـ خلوْن من المحرّم من هذه السنة؛ فلما وافاها ، نزل المستعين على محمد بن عبد الله بن طاهر في داره ، ثم وافى بغداد خليفة لوصيف على أعماله ، يعرف بسلام؛ فاستعلم ما عنده ، ثم انصرف راجعاً إلى منزله بسامرّا ، فوافى القوّاد خلا جعفر الخياط وسليمان بن يحيى بن معاذ بغداد مع جِلّة الكتاب والعمال وبنى هاشم ، ثم وافَى بعد ذلك من قُوّاد الأتراك الذين في ناحية وصيف: كلباتكين القائد وطيْغج

---

(١) هذا العنوان بداية أخبار مطولة في ذكر فتنة شعواء حصلت في تلك الفترة العصيبة من تأريخ الأمة تنتهي في (٩/٣٤٨) وهذه الصفحات (٢٨٢ ـ ٣٤٥). مليئة بتفاصيل انفرد الطبري بذكرها من بين المؤرخين المتقدمين الثقات وقد ذكرها ابن الجوزي مختصراً (المنتظم / ١٢/ ٤٣ ـ ٤٩).

ولا نستطيع الجزم بصحتها من عدمها وانظر تعليقاتنا الآتية.

الخليفة، تركيّ، وابن عجوز الخليفة، نَسائيّ؛ وممّن في ناحية بُغا بايكباك القائد من غلمان الخدمة مع عدّة من خلفاء بُغا.

وكان ـ فيما ذكر ـ وجّه إليهم وصيف وبُغا قبل قدومهم رسولاً، يأمرانهم أن يصيرُوا إذا قدموا بغداد إلى الجزيرة التي حِذاء دار محمد بن عبد الله بن طاهر، ولا يصيروا إلى الجِسْر، فيُرعبوا العامة بدخولهم، ففعلوا وصاروا إلى الجزيرة، فنزلوا عن دوابهم، فوجِّهَتْ إليهم زواريق حتى عبروا فيها، فصعد كلباتكين وبايكباك والقوّاد من أهل الدور وأرناتجور التركيّ، فدخلوا على المستعين، فرموْا بأنفسهم بين يديه، وجعلوا مناطقهم في أعناقهم تذلُّلاً وخضوعاً، وكلموا المستعين وسألوه الصَّفْح عنهم والرّضا، فقال لهم: أنتم أهل بَغْي وفساد واستقلال للنعم؛ ألم ترفعوا إليّ في أولادكم، فألحقتهم بكم؛ وهم نحو من ألفيْ غلام، وفي بناتكم فأمرت بتصييرهنّ في عداد المتزوّجات وهنّ نحو من أربعة آلاف امرأة في المدّركين والمولودين! وكلّ هذا قد أجبتكم إليه، وأدرَرْت لكم الأرزاق حتى سبكتُ لكم آنية الذهب والفضة، ومنعتُ نفسي لذّتها وشهوتها؛ كلُّ ذلك إرادةً لصلاحكم ورضاكم؛ وأنتم تزدادون بَغْياً وفساداً وتهدُّداً وإبعاداً[1]!

فتضرّعوا، وقالوا: قد أخطأنا وأمير المؤمنين الصّادق في كلِّ قوله ونحن نسأله العفو عنا والصّفْح عن زَلّتنا! فقال المستعين: قد صفحت عنكُم ورضيت؛ فقال له بايكباك: فإن كنتَ قد رضيت عنا وصفحت، فقم فاركب معنا إلى سامُرّا؛ فإنّ الأتراك ينتظرونك؛ فأومأ محمد بن عبد الله إلى محمد بن أبي عون، فلكز في حَلْق بايكباك، وقال له محمد بن عبد الله: هكذا يقال لأمير المؤمنين؛ قُمْ فاركب معنا! فضحك المستعين من ذلك، وقال: هؤلاء قوم عَجَم؛ ليس لهم معرفة بحدُود الكلام، وقال لهم المستعين، تصيرون إلى سامُرّا، فإنَّ أرزاقكم دارّة عليكم، وانظر في أمري هاهنا ومقامي.

فانصرفوا آيسين منه، وأغضبهم ما كان من محمد بن عبد الله، وأخبروا مَنْ وردوا عليه من الأتراك خبرهم، وخالفوا فيما ردّ عليهم تحريضاً لهم على خلعه

(١) مثل هذه التفاصيل وضمنها لا يثبت إلا بإسناد صحيح فكيف يعتمد عليه ولا إسناد له؟ (فيما ذكر).

والاستبدال به ، وأجْمع رأيهم على إخراج المعتز والبيعة له؛ وكان المعتزّ والمؤيد في حبس في الجوسق في حُجْرة صغيرة ، مع كلّ واحد منهما غلام يخدمه؛ موكّلٌ بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بليار ومعه عدّة من الأعوان ، فأخرجوا المعتزّ من يومهم ، فأخذوا من شعره ، وقد كان بُويع له بالخلافة؛ وأمر للناس برزق عشرة أشهر للبيعة ، فلم يتم المال ، فأعطُوا شهرين لقلة المال عندهم.

وكان المستعين خلّف بسامرّا في بيت المال مما كان طلمجُور وأساتكين القائدان قدما به من ناحية الموصل من مال الشأم نحواً من خمسمئة ألف دينار؛ وفي بيت مال أمّ المستعين قيمة ألف ألف دينار ، وفي بيت مال العباس ابن المستعين قيمة ستمئة ألف دينار فذكر أن نسخة البيعة التي أخذت:

بسم الله الرحمن الرحيم

تبايعونَ عبد الله الإمام المعتزّ بالله أمير المؤمنين ببيعة طَوْع واعتقاد ، ورضاً ورغبة وإخلاص من سرائركم ، وانشراح من صدوركم ، وصدْق من نِيّاتِكم؛ لا مكرهين ولا مجبرين؛ بل مقرّين عالمين بما في هذه البيعة وتأكيدها من تقوى الله وإيثار طاعته ، وإعزاز حقه ودينه؛ ومن عموم صلاح عباد الله واجتماع الكلمة ، ولمّ الشعث ، وسكون الدّهماء ، وأمْن العواقب ، وعزّ الأولياء ، وقمع الملحدين؛ على أن أبا عبد الله المعتزّ بالله عبد الله وخليفتُه المفترض عليكم طاعته ونصيحته والوفاء بحقه وعهده ، لا تشكُّون ولا تُدْهنون ، ولا تَمِيلون ولا تَرْتابون ، وعلى السمع والطاعة ، والمشايعة والوفاء ، والاستقامة والنصيحة في السرّ والعلانية ، والخفوف والوقوف عند كلّ ما يأمر به عبد الله أبو عبد الله الإمام المعتزّ بالله أمير المؤمنين؛ من موالاة أوليائه؛ ومعاداة أعدائه؛ من خاصٍّ وعامّ ، وقريب وبعيد ، متمسكين ببيعتِهِ بوفاء العَقْد وذمة العهد؛ سرائركم في ذلك كعلانيتكم ، وضمائركم فيه كمثل ألسنتكم ، راضين بما يرضى به أمير المؤمنين بعد بيْعتكم هذه على أنفسكم ، وتأكيدكم إياها في أعناقكم صفقةً ، راغبين طائعين؛ عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونياتكم ، وبولاية عهد المسلمين لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين ، وعلى ألا تسعَوْا في نقض شيء مما أكد عليكم ، وعلى ألاّ يميل بكم في ذلك مميل عن نصرة وإخلاص

وموالاة؛ وعلى ألا تبدّلوا ولا تغيّروا ، ولا يرجع منكم راجع عن بيعته وانطوائه على غير علانيته؛ وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتموها بألسنتكم وعهودكم بيعةً يَطَّلع الله من قلوبكم على اجتبائها واعتمادها. وعلى الوفاء بذمّةِ الله فيها ، وعلى إخلاصكم في نُصْرتها وموالاة أهلها؛ لا يشوب ذلك منكم نفاق ولا إدهان ولا تأوّل؛ حتى تلقوا الله موفين بعهده ، مؤدّين حقَّه عليكم ، غير مستريبين ولا ناكثين؛ إذ كان الذي يبايعون منكم أمير المؤمنين بيعةَ خلافتِه وولاية العهد من بعده لإبراهيم المؤيد بالله أخي أمير المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

عليكم بذلك وبما أكدت عليكم به هذه البَيْعة في أعناقكم ، وأعطيتم بها من صفقة أيْمانكم ، وبما اشترط عليكم من وفاء ونُصْرة وموالاة واجتهاد ، وعليكم عهد الله إنَّ عهده كان مسؤولاً وذمّة الله عزّ وجلّ وذمة محمد ﷺ ، وما أخذ الله على أنبيائه ورسُله ، وعلى أحد من عباده من مواكيده ومواثيقه؛ أن تسمعوا ما أخذ عليكم في هذه البيْعَة ولا تبدّلوا ولا تميلوا وأن تمسَّكوا بما عاهدتم الله عليه تمسُّك أهلِ الطاعة بطاعتهم ، وذوي الوفاء والعهد بوفائهم ، ولا يلفتكم عن ذلك هوىً ولا مَيْلٌ ، ولا يُزيغ قلوبكم فتنة أو ضلالة عن هُدىً ، باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدّمين فيه حقّ الدين والطاعة والوفاء بما جعلتم على أنفسكم؛ لا يقبل منكم في هذه البيْعَة إلا الوفاء بها.

فمن نكث منكم ممّن بايع أمير المؤمنين وولّي عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين هذه البيعة على ما أخذ عليكم ، مسرّاً أو معلناً ، مصرّحاً أو محتالاً أو متأوّلاً؛ وادّهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذ عليه من مواثيق الله وعهوده ، وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الرّأي؛ فكلّ ما يملك كلّ واحد منكم ممن ختر في ذلك منكم عهدَه ، من مال أو عقار أو سائمة أو زَرْع أو ضَرْع صدقةٌ على المساكين في وجوه سبيل الله ، محبوس محرّم عليه أن يُرجع شيئاً من ذلك إلى ماله؛ عن حيلة يقدمها لنفسه ، أو يحتال له بها؛ وما أفاد في بقية عمره من فائدة مال يقلّ خطرها أو يجلّ؛ فذلك سبيلُها ، إلى أن توافيَه منِيّته ، ويأتي عليه أجله ، وكلّ مملوك يملكه اليوم وإلى ثلاثين سنة؛ ذكر أو أنثى ، أحرار لوجه الله ، ونساؤه يوم يلزمه فيه الحِنْث ومَنْ يتزوّج بعدهنّ إلى ثلاثين سنة طوالق طلاق

الحرَج؛ لا يقبل الله منه إلا الوفاء بها؛ وهو بريء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريئان؛ ولا قَبِل الله منه صرفاً ولا عدْلاً؛ والله عليكم بذلك شهيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأحضِر ـ فيما ذكر ـ البيعة أبو أحمد بن الرشيد وبه النّقْرس محمولاً في مَحفّة؛ فأمر بالبيعة فامتنع؛ وقال للمعتزّ: خرجتَ إلينا خروج طائع فخلعتها ، وزعمت أنك لا تقوم بها ، فقال المعتز: أكْرِهتُ على ذلك وخفت السيف ، فقال أبو أحمد: ما علينا أنك أكرِهت؛ وقد بايعنا هذا الرجل؛ فتريد أن نطلّق نساءنا ، ونخرج من أموالنا ، ولا ندري ما يكون! إن تركتنِي على أمري حتى يجتمع الناس؛ وإلا فهذا السيف ، فقال المعتزّ: اتركوه ، فُردّ إلى منزله من غير بيعة.

وكان ممن بايع إبراهيم الديرج وعتّاب بن عتّاب ، فهرب فصار إلى بغداد ، وأما الدّيرج فخُلِع عليه ، وأقِرّ على الشرْطة ، وخُلِع على سليمان بن يسار الكاتب ، وصُيِّر على ديوان الضياع ، وأقام يومه يأمر وينهى وينفّذ الأعمال ، ثم توارَى في الليل ، وصار إلى بغداد.

ولما بايع الأتراك المعتزّ ولّى عمالَه ، فولّى سعيد بن صالح الشرْطة ، وجعفر بن دينار الحرس ، وجعفر بن محمود الوزارة ، وأبا الحمار ديوان الخراج؛ ثم عُزِل وجُعِل مكانه محمد بن إبراهيم منقار ، وولي ديوان جيش الأتراك المعروف بأبي عمر كاتب سيما الشرابيّ ، وولّى مقلِّداً كَيْد الكلب أخا أبي عمر بيوتَ الأموال وإعطاءَ الأتراك والمغاربة والشاكريّة ، وولّى بريد الآفاق والخاتم سيما السارباني واستكتب أبا عمر؛ فكان في حدّ الوزارة.

ولما اتّصل بمحمد بن عبد الله خبرُ البيعة للمعتزّ وتوجيهه العمال ، أمر بقطع الميرة عن أهل سامُرّا ، وكتب إلى مالك بن طَوْق في المصير إلى بغداد هو ومَنْ معه من أهل بيته وجنده ، وإلى نجوبة بن قيس وهو على الأنبار في الاحتشاد والجمع ، وإلى سليمان بن عمران الموصلي في جَمْع أهل بيته ومَنْع السفن أو شيء من الميرة أن ينحدر إلى سامُرّا ، ومنَع أن يصعد شيء من المِيرة من بغداد إلى سامرّا ، وأخذت سفينة فيها أرزّ وسَقَطٌ ، فهرب الملاّح منها وبقيت السفينة حتى غرقت ، وأمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بتحصين بغداد؛ فتقدّم في ذلك؛ فأدير عليها السور من دِجْلة من باب الشّماسية إلى سوق الثلاثاء حتى

أورده دِجْلة من باب قطيعة أم جعفر ، حتى أورده قصر حميد بن عبد الحميد ، ورتَّب على كلّ باب قائداً في جماعة من أصحابه وغيرهم وأمر بحفر الخنادق حول السورين كما يدوران في الجانبين جميعاً ومظلّات يأوي إليها الفرسان في الحرّ والأمطار؛ فبلغت النفقة ـ فيما ذكر ـ على السورين وحفر الخنادق والمظلات ثلثمئة ألف دينار وثلاثين ألف دينار؛ وجعل على باب الشماسية خمس شدّاخات بعرض الطريق؛ فيها العوارض والألواح والمسامير الطِّوال الظاهرة ، وجُعل من خارج الباب الثاني باب معلّق بمقدار الباب ثخين ، قد ألبِس بصفائح الحديد ، وشُدّ بالحبال كي إن وافى أحدٌ ذلك البابَ أرسل عليه الباب المعلّق ، فقتل مَنْ تحته ، وجعل على الباب الداخل عرّادة ، وعلى الباب الخارج خمسة مجانيق كبار؛ وفيها واحدٌ كبير سمَّوْه الغضبان ، وستّ عرّادات ترمِي بها إلى ناحية رقّة الشمّاسيّة؛ وصُيّر على باب البَرَدان ثماني عَرّادات في كلّ ناحية أربع ، وأربع شدّاخات وكذلك على كلّ باب من أبواب بغداد في الجانب الشرقيّ والغربيّ ، [وجعل على كلّ باب من أبوابها قواداً برجالهم] وجعل لكلّ باب من أبوابها دهليزاً بسقائف تَسَعُ مئة فارس ومئة راجل؛ ولكل منجنيق وعرّادة رجالاً مرتّبين يمدّون بحباله ، ورامياً يرمي إذا كان القتال ، وفرض فروضاً ببغداد ومرّ قوم من أهل خراسان قدموا حجّاجاً ، فسألوا المعونة على قتال الأتراك ، فأعينوا ، وأمر محمد بن عبد الله بن طاهر أن يُفْرَض من العيّارين فرض ، وأن يُجعل عليهم عريف ، ويُعمل لهم تراس من البواريّ المقيَّرة ، وأن يُعمل لهم مخالٍ تُملأ حجارة ، ففعل ذلك وتولى ـ فيما ذكر ـ عمل البواريّ المقيّرة محمد بن أبي عون ، وكان الرّجل منهم يقوم خلْف الباريّة فلا يُرى منها. عُمِلت نسائجات ، أنفق عليها زيادة على مئة دينار؛ وكان العريف على أصحاب البواريّ المقيرة من العيّارين رجلاً يقال له ينْتَوَيْه ، وكان الفراغ من عمل السور يوم الخميس لسبع بقين من المحرم.

وكتب المستعين إلى عمّال الخراج بكل بلدة وموضع أن يكون حملهم ما يحملون من الأموال إلى السلطان إلى بغداد ، ولا يحملون إلى سامُرّا شيئاً؛ وإلى عمّال المعاون في ردّ كتب الأتراك ، وأمر بالكتاب إلى الأتراك والجند الذين بسامُرّا يأمرهم بنقض بيعة المعتزّ ومراجعة الوفاء ببيعتهم إياه ، ويذكرهم أياديه

عندهم ، وينهاهم عن معصيتِهِ ، ونكْث بيعته؛ وكان كتابه بذلك إلى سيما الشرابيّ .

ثم جرتْ بين المعتزّ ومحمد بن عبد الله بن طاهر مكاتبات ومراسلات ، يدعو المعتزّ محمداً إلى الدّخُول فيما دخل فيه مَنْ بايعه بالخلافة وخلع المستعين ، ويذكّره ما كان أبوه المتوكل أخذ له عليه بعد أخيه المنتصر من العَهْد وعقد الخلافة ، ودعوة محمدِ بن عبد الله المعتزَّ إلى ما عليه من الأوبة إلى طاعة المستعين ، واحتجاج كلّ واحد منهما على صاحبه فيما يدعوه إليه من ذلك بما يراه حُجّة له؛ تركتُ ذكرها كراهة الإطالة .

وأمر محمد بن عبد الله بكسر القناطِر وبَثق المياه بطسّوج الأنبار وما قرب منه من طسُّوج بادورَيَا ، ليقطع طريق الأتراك حين تخوّف من ورودهم الأنبار .

وكان الذي تولّى ذلك نجوبة بن قيس ومحمد بن حمد بن منصور السعديّ .

وبلغ محمد بن عبد الله توجيه الأتراك لاستقبال الشمسة التي كانت مع البينُوق الفرغانيّ مَنْ يحميها من أصحابه ، فوجّه محمد ليلة الأربعاء لعشر بقين من المحرّم خالد بن عمران وبندار الطبريّ إلى ناحية الأنبار .

ثم وجّه بعدهما رشيد بن كاوس ، فصادفوا البينوق ومَنْ معه من الأتراك والمغاربة ، وطالبهم خالد وبندار بالشمسة ، فصار البيْنُوق وأصحابه مع خالد وبندار إلى بغداد إلى المستعين .

وكان محمد بن الحسن بن جياويه الكردي يتولى معونة عُكبراء؛ وكان على الراذان رجل من المغاربة قد اجتمع عنده مالٌ ، فتوجّه إليه ابن جيلويه ، ودعاه إلى حَمْل مال الناحية ، فامتنع عليه ، ونَصَب له الحرب؛ فأسر ابن جيلويه المغربيّ ، وحمله إلى باب محمد بن عبد الله ، ومعه من مال الناحية اثنا عشر ألف دينار وثلاثون ألف درهم؛ فأمر محمد بن عبد الله لابن جيلويه بعشرة آلاف درهم ، وكتب كلُّ واحد من المستعين والمعتزّ إلى موسى بن بغا ، وهو مقيم بأطراف الشأم قرب الجزيرة ـ وكان خرج إلى حِمْص لحرب أهلها ـ يدعوه إلى نفسه ، وبعَث كلُّ واحد منهما إليه بعدّة ألوية يعقدها لمن أحبّ ، ويأمره المستعين بالانصراف إلى مدينة السلام ، ويستخلف على عمله من رأى ،

فانصرف إلى المعتزّ وصار معه ، وقدم عبد الله بن بُغا الصغير بغداد على أبيه؛ وكان قد تخلّف بسامُرّا حين خرج أبوه منها مع المستعين ، وصار إلى المستعين ، فاعتذر إليه وقال لأبيه: إنما قدمتُ إليك لأموت تحت ركابك ، وأقام ببغداد أياماً ، ثم استأذن ليخرج إلى قرية بقرب بغداد على طريق الأنبار ، فأذن له؛ فأقام فيها إلى الليل ، ثم هرب من تحت ليلته ، فمضى في الجانب الغربيّ إلى سامُرّا مجانباً لأبيه وممالئاً عليه؛ واعتذر إلى المعتزّ من مصيره إلى بغداد ، وأخبره أنه إنما صار إليها ليعرف أخبارهم ، وليصير إليه فيُعرّفه صحتها ، فقبل ذلك منه ، وردّه إلى خدمته.

وورد الحسن بن الأفشين بغداد ، فخلع عليه المستعين ، وضمّ إليه من الأشروسنيّة وغيرهم جماعة كثيرة ، وزاد في أرزاقه ستة عشر ألف درهم في كلّ شهر[١].

ولم يزل أسد بن داودسياه مقيماً بسامُرّا ، حتى هرب منها ، فذُكر أنّ الأتراك بعثوا في طلبه إلى ناحية الموصل والأنبار والجانب الغربيّ في كل ناحية خمسين فارساً ، فوافَى مدينة السلام؛ فدخل على محمد بن عبد الله ، فضمّ إليه من أصحاب إبراهيم الديرج مئة فارس ومئتي راجل ، ووكّله بباب الأنبار مع عبد الله بن موسى بن أبي خالد.

وعقد المعتزّ لأخيه أبي أحمد بن المتوكل يوم السبت لسبع بقين من المحرّم من هذه السنة - وهي سنة إحدى وخمسين ومئتين - على حرب المستعين وابن طاهر ، وولاّه ذلك ، وضمّ إليه الجيش ، وجعل إليه الأمرَ والنهي ، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركيّ ، فعسكر بالقاطول في خمسة آلاف من الأتراك والفراغنة وألفين من المغاربة ، وضمّ المغاربة إلى محمد بن راشد المغربيّ ، فوافوا عُكْبراء ليلة الجمعة لليلة بقيت من المحرّم؛ فصلّى أبو أحمد ، ودعا للمعتزّ بالخلافة؛ وكتب بذلك نسخاً إلى المعتز؛ فذكر جماعة من أهل عكْبراء أنهم رأوا الأتراك والمغاربة وسائر أتباعهم؛ وهم على خوف شديد ، يروْن أنّ محمد بن عبد الله قد خرج إليهم فسبقهم إلى حربهم ، وجعلوا ينتهبون القرى

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٤٤).

ما بين عُكبراء ، وبغداد وأوانا وسائر القرى من الجانب الغربيّ ، تخوّفاً على أنفسهم وخلّوْا عن الغَلاّت والضّياع ؛ فخرّبت الضياع ، وانتُهبت الغَلاّت والأمتعة وهدِمت المنازل ، وسُلب الناس في الطريق (١).

ولمّا وافى أبو أحمد عُكبراء ومَنْ معه خرج جماعة من الأتراك الذين كانوا مع بُغا الشرابيّ بمدينة السلام من مَواليه ، والمضمومين إليه ، فهربوا ليلاً ، فاجتازوا بباب الشمّاسيّة ؛ وكان على الباب عبد الرحمن بن الخطاب ، ولم يعلم بخبرهم ؛ وبلغ محمد بن عبد الله ذلك ، فأنكره عليه وعنَّفه وتقدّم في حفظ الأبواب وحراستها والنفقة على من يتولاّها.

ولما وافى الحسن بن الأفشين مدينة السلام وُكّل بباب الشّماسية.

ثم وافى أبو أحمد وعسكره الشماسيّة ليلةَ الأحد لسبع خلون من صفر ، ومعه كاتبه محمد بن عبد الله بن بشر بن سعد المرثديّ ، وصاحب خبر العسكر من قِبَل المعتزّ الحسن بن عمرو بن قماش ومن قِبَله ، صاحب خبر له يقال له جعفر بن أحمد البناتي ، يعرف بابن الخبازة ، فقال رجل من البصريّين كان في عسكره ويعرف بباذنجانة :

يـا بنـي طـاهـر أتتكـمْ جنـودُ اللـ ... ـهِ والمـوتُ بينهـا منثـورُ
وجيـوشٌ أمـامَهُـنّ أبـو أحمـ ... ـد نعْـمَ المـوْلـى ونِعْـمَ النصيـرُ

ولمّا صار أبو أحمد بباب الشمّاسية ولّى المستعين الحسين بن إسماعيل باب الشماسية ، وصيَّر مَنْ هناك من القوّاد تحت يده ؛ فلم يزل مقيماً هناك مدّة الحرب إلى أن شخص إلى الأنبار ؛ فولّى مكانه إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ؛ ولثلاث عشرة مضتْ من صفر ؛ صار إلى محمد بن عبد الله جاسوس له ؛ فأعلمه أن أبا أحمد قد عبَّى قوماً يحرقون ظلال الأسواق من جانبيْ بغداد ، فكُشطت في ذلك اليوم.

وذكر أن محمد بن عبد الله وجّه محمد بن موسى المنجم والحسين بن إسماعيل ، وأمرهما أن يخرجا من الجانب الغربيّ ، وأن يرتفعا حتى يجاوزا

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٤٥) وقد علّق ابن كثير على هذه الفتنة قائلاً : ثم جرت بينهما حروب طويلة وفتن مهولة جداً قد ذكرها ابن جرير مطولة [البداية والنهاية ٨/ ٢١٩].

عسكر أبي أحمد ويحزُرا: كَمْ في عسكره؟ فزعم محمد بن موسى أنه حَزَرهم ألفيْ إنسان ، معهم ألف دابة؛ فلما كان يوم الإثنين لعشر خلوْن من صفر وافت طلائع الأتراك إلى باب الشمّاسيّة ، فوقفوا بالقرب منه؛ فوجّه محمد بن عبد الله الحسينَ بن إسماعيل والشاه بن ميكال وبُندار الطبريّ فيمن معهم؛ وعزم على الركوب لمقاتلتهم ، فانصرف إليه الشاه ، فأعلمه أنه وافَى بمَنْ معه باب الشّماسيّة.

فلمّا عاين الأتراك الأعلام والرايات وقد أقبلت نحوَهم انصرفوا إلى معسكرهم؛ فانصرف الشاه والحسين ، وترك محمد الركوب يومئذ.

فلمّا كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر عزم محمد بن عبد الله على توجيه الجيوش إلى القُفْص ليعرض جنده هنالك ، ويُرهب بذلك الأتراك؛ وركب معه وصيف وبُغا في الدُّروع ، وعلى محمد دِرْع ، وفوق الدرْع صُدرة من درع طاهر؛ وعليه ساعد حديد؛ ومضى معه بالفقهاء والقضاة ، وعزم على دعائهم إلى الرجوع عمّا هم عليه من التمادي في الطُّغيان واللجَاج والعِصْيان ، وبعث يبذل لهم الأمان على أن يكون أبو عبد الله وليّ العهد بعد المستعين؛ فإنْ قبلوا الأمان وإلاّ باكرهم بالقتال يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة تخلو من صفر؛ فمضى نحو باب قُطْربل ، فنزل على شاطىء دجلة هو ووصيف وبغا ، ولم يمكنْه التقدّم لكثرة الناس؛ وعارضهم من جانب دِجلة الشرقيّ محمد بن راشد المغربيّ.

ثم انصرف محمد؛ فلما كان من الغد وافتْه رسل عبد الرحمن بن الخطاب وجه الفُلْس وعَلك القائد ومَنْ معهما من القوّاد ، يعلمونه أنّ القوم قد دنوْا منهم ، وأنهم قد رجعوا إلى عسكرهم إلى رقة الشماسيّة ، فنزلوا وضربوا مضاربَهم فأرسل إليهم ألا تبدؤوهم ، وإن قاتلوكم فلا تقاتلوهم؛ وادفعوهم اليوم ، فوافى باب الشماسيّة اثنا عشر فارساً من عسكر الأتراك ـ وكان على باب الشماسيّة باب وسَرَب وعلى السّرَب باب ، فوقف الاثنا عشر الفارس بإزاء الباب ، وشتموا مَنْ عليه ، ورموا بالسهام ، ومن بباب الشماسية سكوتٌ عنهم؛ فلما أكثروا أمر علَك صاحب المِنجنيق أن يرميَهم؛ فرماهم فأصاب منهم رجلاً فقتله؛ فنزل أصحابه إليه ، فحملوه وانصرفوا إلى عسكرهم بباب الشماسيّة.

وقدم عبد الله بن سليمان خليفة وصيف التركيّ الموجّه إلى طريق مكة لضبط

الطريق مع أبي الساج في ثلثمئة رجل من الشاكريّة ، فدخل على محمد بن عبد الله ، فخلع عليه خمس خلع ، وعلى آخر ممن معه أربع خلع .

ودخل أيضاً في هذا اليوم رجل من الأعراب من أهل الثعلبيّة يطلب الفَرْض معه خمسون رجلاً ، وورد الشاكريّة القادمون من سامرّا من قيادات شتى؛ وهم أربعون رجلاً ، فأمر بإعطائهم وإنزالهم فأعْطُوْا .

ووافى الأتراك في هذا اليوم باب الشماسيّة ، فرُموا بالسهام والمنجنيق والعرّادات؛ وكان بينهم قتلَى وجرحى كثير؛ وكان الأمير الحسين بن إسماعيل لمحاربتهم ، ثم أمِدّ بأربعمئة رجل من الملطّيين مع رجل يعرف بأبي السنا الغنويّ [وهو ابن أخت الهيثم الغنوي] ثم أمدّهم بقوم من الأعراب نحو من ثلثمئة رجل ، وحمل في هذا اليوم من الصلات لمن أبلَى في الحرب خمسة وعشرين ألف درهم ، وأطوقة وأسورة من ذهب؛ فصار ذلك إلى الحسين بن إسماعيل وعبد الرحمن بن الخطاب وعلَك ويحيى بن هرثمة والحسن بن الأفشين وصاحب الحرب الحسين بن إسماعيل ، فكان الجرحى من أهل بغداد أكثر من مئتي إنسان ، والقتلى عدّة ، وكذلك الجراحات في الأتراك والقتلَى أكثرهم بالمجانيق؛ وانهزم أكثر عامة أهل بغداد ، وثبت أصحاب البواريّ وانصرفوا جميعاً ، وهم في القتلى والجرحى شبيه بالسواء؛ وجُرح من هؤلاء - فيما ذكر - مئتان ، ومن هؤلاء مئتان ، وقتل جماعة من الفريقين .

وجاء كردوس من الفراغنة والأتراك في هذا اليوم إلى باب خُراسان من الجانب الشرقيّ ليدخلوا منه ، وأتى الصريخ محمد بن عبد الله ، وثبت لهم المبيّضة والغوغاء فردّوهم ، وقد كان محمد أمر أن يُمخَر تلك الناحية؛ فلما أرادوا الانصراف ، وحلّت عامة دوابهم ، ونجا أكثرهم ، أحضر الأتراك منجنيقاً ، فغلبهم الغوغاء عليه والمبيّضة ، وكسروا قائمة من قوائمه ، وقتِل اثنان من الشاشية من الحجاج ، وأمر بحمل الآجرّ من قصر الطين وتلك الناحية إلى باب الشماسيّة؛ وفتحوا باب الشماسيّة ، وأخرجوا إلى الآجرّ من لقطه ، وردّوه إلى هذا الجانب من السور .

وكان محمد بن عبد الله اتّصل به أنّ جماعة من الأتراك قد صاروا إلى ناحية النّهروان ، فوجّه قائدين من قوّاده يقال لهما عبد الله بن محمود السرخسيّ

ويحيى بن حفص المعروف بحبُوس في خمسمئة من الفرسان والرّجالة إلى هذه الناحية ، ثم أردفهم بسبعمئة رجل أيضاً ، وأمرهم بالمقام هناك؛ ومنع مَنْ أراده من الأتراك؛ فتوجّه آخرهم إلى هذه الناحية يوم الجمعة لسبع خلون من صفر .

فلما كان ليلة الإثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر ، صار قوم من الأتراك إلى النَّهْروان ، فخرج جماعة ممن كان مع عبد الله بن محمود ، فرجعوا هُرّاباً ، وأخِذت دوابّهم ، وانصرف مَنْ نجا منهم إلى مدينة السلام مفلولين ، وقتل زهاء خمسين رجلاً ، وأخذوا سِتين دابة ، وعدّة من البغال قد كانت جاءت من ناحية حُلوان عليها الثلج ، فوجّهوا بها إلى سامرّا ، ووجهوا برؤوس مَنْ قتلوا من الجند ، فكانت أول رؤوس وافت في تلك الحرب سامرّا .

وانصرف عبد الله بن محمود مفلولاً في شِرذمة ، وصار طريق خراسان في أيدي الأتراك ، وانقطع الطريق من بغداد إلى خراسان .

وكان إسماعيل بن فراشة وُجّه إلى همذان للمقام بها ، فكتب إليه بالانصراف ، فانصرف ، فأعطِيَ هو وأصحابه استحقاقهم .

ووجَّه المعتزّ عسكراً من الأتراك والمغاربة والفراغنة ومَنْ هو في عدادهم ، وعلى الأتراك والفراغنة الدرغماني الفرغانيّ ، وعلى المغاربة ربلة المغربيّ ، فساروا إلى مدينة السلام من الجانب الغربيّ ، فجازوا قُطربّل إلى بغداد ، وضربوا عسكرهم بين قُطْربّل وقطيعة أم جعفر؛ وذلك عشيّة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر .

فلما كان يوم الأربعاء من غد هذه الليلة ، وجّه محمد بن عبد الله بن طاهر الشاهَ بن ميكال من باب القطيعة وبُنداراً وخالد بن عمران فيمن معهم من أصحابهم من الفرسان والرّجّالة ، فصافّهم الشاه ، وأصحابه ، فترامَوْا بالحجارة والسهام ، وألجؤوا الشاه إلى مضيق عند باب القطيعة ، وكثر المبيّضة من أهل بغداد ، ثم حمل الشاه والمبيّضة حملة واحدة أزالوا بها الأتراك والمغاربة ومَنْ معهم عن موضعهم ، وحمل عليهم المبيّضة ، وأصحروا بهم ، وحمل عليهم الطبريّة فخالطوهم؛ وخرج عليهم بُندار وخالد بن عمران من الكمِين؛ وكانوا كمنوا في ناحية قُطْربّل ، فوضعوا في أصحاب أبي أحمد الأتراك منهم وغيرهم السيف ، فقتلوهم أبرح قتل؛ فلم يُفلت منهم إلاّ القليل ، وانتهب المبيضة

عسكرهم وما كان فيه من المتاع والأهل والأثقال والمضارب والحُرْثيّ ، فكلّ من أفلت منهم من السيف رمى بنفسه في دِجْلة ليعبرَ إلى عسكر أبي أحمد؛ فأخذه أصحاب الشبّارات ، وكانت الشبّارات قد شُحنت بالمقاتلة ـ فقُتِلوا وأسِروا وجُعل القتلى والرؤوس من الأتراك والمغاربة وغيرهم في الزّواريق ، فنصبت بعضها في الجسرين؛ وعلى باب محمد بن عبد الله؛ فأمر محمد بن عبد الله لمن أبلى في هذا اليوم بالأسورة ، فسُوِّر قوم كثير من الجند وغيرهم ، فطُلب المنهزمة ، فبلغ بعضهم أواناً ، وبلغ بعضهم ناحية عسكر أبي أحمد عَبْرَ دجلة ، وبعضهم نفذ إلى سامُرَّا .

وذُكر أن عسكر الأتراك يوم هُزِموا بباب القطيعة كانوا أربعة آلاف ، فقتِل منهم يوم الوقعة هنالك ألفان؛ وكان وُضع فيهم بالسيف من باب القَطيعة إلى القُفْص ، فقتَلوا مَنْ قتلوا ، وغرِّق مَنْ غُرِّق ، وأسِر منهم جماعة ، فخلَع محمد بن عبد الله على بُندار أربع خلع مُلحم ، ووشْي وسواد وخزّ ، وطوّقه طوقاً من ذهب ، وخلع على أبي السنا أربع خِلَع ، وعلى خالد بن عمران وجميع القوّاد ، كلّ رجل أربع خِلع ، وكان انصرافهم من الوقعة مع المغرب ، وسُخّرت البغال ، وأخِذ لها الجواليق لتحمل فيها الرؤوس إلى بغداد .

وكان كلُّ مَنْ وافى دار محمد برأس تركيّ أو مغربيّ أعطوْه خمسين درهماً وكان أكثر ذلك العمل للمبيّضة والعيّارين ، ثم وافى عيّار وبغداد قُطْربُّلَ ، فانتهبوا ما تركه الأتراك من متاع أهل قُطْربُّل وأبواب دورهم؛ فوجّه محمد في آخر هذا اليوم أخاه أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله والمظفّر بن سيسَل في أثر المنهزمين حِياطة لأهل بغداد؛ لأنه لم يأمن رجعتهم عليه فبلغا القُفْص ، وانصرفا سالمين ، وزعجا مَنْ أقام من الرجّالة والعيارين بناحية قُطْربل ، وأشير على محمد بن عبد الله أن يتبعهم بعسكر في اليوم الثاني وفي تلك الليلة ، ليوغل في آثارهم ، فأبى ذلك ولم يتبع مولِّياً ، ولم يأمر أن يُجهز على جريح ، وقبِل أمان من استأمن ، وأمر سعيد بن حُميد فكتب كتاباً يذكر فيه هذه الوقعة؛ فقرىء على أهل بغداد في مسجد جامعها ، نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيـم

أما بعد؛ فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكرَ نعمته ، والقادر فلا يعارَض في قدرته ، والعزيز فلا يغالب في أمره ، والحَكم العدل فلا يردّ حكمه ، والناصر فلا يكون نصره إلاّ للحق وأهله ، والمالك لكلّ شيء فلا يخرج أحد عن أمره ، والهادي إلى الرحمة فلا يضلّ من انقاد لطاعته ، والمقدّم إعذاره ليظاهر به حجته؛ الذي جعل دينه لعباده رحمة ، وخلافته لدينه عصمة ، وطاعة خلفائه فرضاً واجباً على كافة الأمة؛ فهم المستحفَظون في أرضه على ما بعث به رسله ، وأمناؤه على خلقه فيما دعاهم إليه من دينه ، والحاملون لهم على منهاج حقه؛ لئلا يتشعّب بهم الطريق إلى المخالفة لسبيله ، والهادي لهم إلى صراطه؛ ليجمعهم على الجادّة التي نَدب إليها عبادَه الذين بهم يُحمَى الدّين من الغواة والمخالفين؛ محتجّين على الأمم بكتاب الله الذي استعملهم به ، ودعا الأمة بحقّ الله الذي اختارهم له؛ إن جاهدوا كانت حجة الله معهم ، وإن حاربوا حكَم بالنصر لهم ، وإن بغاهم عدوّ كانت كفاية الله حائلةً دونهم ومعقلاً لهم ، وإن كادهم كائد فاللهُ من وراء عونهم ، نَصَبهم الله لإعزاز دينه؛ فمن عاداهم فإنما عادى الدّين الذي أعزّه وحرسه بهم ، ومن ناوأهم فإنما طعن على الحقّ الذي يكلؤه بحراستهم جيوشهم بالنّصر والعزّ منصورة ، وكتائبهم بسلطان الله من عدوّهم محفوظة ، وأيديهم عن دين الله دافعة ، وأشياعهم بتناصرهم في الحقّ عالية ، وأحزاب أعدائهم ببغيهم مقموعة ، وحجتهم عند الله وعند خلْقه داحضة ، ووسائلهم إلى النصر مردودة؛ تجمعهم مواطن التحاكم ، وأحكام الله بخذلانهم واقعة ، وأقداره بإسلامهم إلى أوليائه جارية ، وعاداتهم في الأمم السالفة والقرون الخالية ماضية؛ ليكون أهلُ الحق على ثقة من إنجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجُوبون بما قدّم إليهم من الإنذار ، معجّلة لهم نقمة الله بأيدي أوليائه ، معَدٌّ لهم العذاب عند ربهم ، والخزي موصول بنواصيهم في دنياهم ، وعذاب الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد.

وصلى الله على نبيه المصطفى ، ورسوله المرتَضى ، والمنقذ من الضّلالة إلى الهدَى ، صلاة تامّة نامية بركاتها ، دائمة اتصالها ، وسلم تسليماً.

والحمد لله تواضعاً لعظمته ، والحمد لله إقراراً بربوبيته ، والحمد لله اعترافاً بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته ، والحمد لله الهادي إلى حَمْدِه والموجب به مزيده ، والمحصي به عوائد إحسانه ، حمداً يرضاه ويتقبّله ، ويوجب طوْله وإفضاله ، والحمدُ لله الذي حكم بالخذلان على مَنْ بَغى على أهل دينه ، وسبق وعده بالنصر لمن بُغي عليه من أنصار حقه .

وأنزل بذلك كتابَه العزيز ، موعظةً للباغين ؛ فإن أقلعوا كانت التذْكِرة نافعة لهم ، والحجة عند الله لمن قام بها فيهم ، ثم أوجب بعد التذكرة والإصرار جهادهم ، فقال فيما قدَّم من وَعْده ، وأبان من برهانه : ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾ ، وعداً من الله حقّاً نهى به أعداءه عن معصيته ، وثبّت به أولياءه على سبيله ؛ والله لا يخلف الميعاد .

ولله عند أمير المؤمنين ـ في رئيس دعوته ، وسيف دولته ، والمحامي عن سلطانه ، ومحلّ ثقته ، والمتقدّم في طاعته ، ونصيحته لأوليائه ، والذابِّ عن حقه ، والقائم بمجاهدة أعدائه ؛ محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ـ نعمةٌ يُرغب إلى الله في إتمامها ، والتوفيق لشكرها ، والتطوّل بمن أراد المزيد فيها ؛ فإن الله قدّر لآبائه القيام بالدّعوة الأولى لآباء أمير المؤمنين ، ثم جمع له آثارهم بقيامه بالدّولة الثانية ؛ حين حاول أعداء الله أن يطمِسُوا معالم دينه ويعفوها ؛ فقام بحقّ الله وحقّ خليفته ، محامياً عنها ، ومرامياً من ورائها ، متناولاً للبعيد برأيه ونظره ، مباشراً للقريب بإشرافه وتفقُّده ، باذلاً نفسه في كلّ ما قرّبه من الله ، وأوجب له الزُّلْفة عنده ، وسيمتّع الله أمير المؤمنين به وليّاً ، مكانفاً على الحق ، وناصراً مؤازراً على الخير ، وظهيراً مجاهداً لعدوّ الدين .

وقد علمتم ما كان كتاب أمير المؤمنين تقدّم به إليكم فيما أحدثتْه الفرقة الضالة عن سبيل ربها ، المفارقة لعصمة دينها ، الكافرة لنعم الله ونعم خليفته عندها ، المباينة لجماعة الأمة التي ألَّف الله بخلافته نظامَها ، المحاولة لتشتيت الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثة لبيعته ، الخالعة لِربْقة الإسلام من أعناقها ، الموالي الأتراكُ ، وما صارت إليه من نصر الغلام المعروف بأبي عبد الله بن المتوكل لإقامتها عند مصير أمير المؤمنين إلى مدينة السلام ، محلّ سلطانه ،

ومجتمع أنصاره وأبناء أنصار آبائه؛ وما قابل به أمير المؤمنين خيانَتهم وآثره من الأناة في أمرهم.

ثم إنّ هؤلاء الناكثين جمعوا جمعاً من الأتراك والمغاربة، ومن ولج في سوادهم، ودخل في غُمارهم، مؤاتياً للفتنة من ألفاف الغيّ، ورأسوا عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتوكل، ثم ساروا نحو مدينة السلام في الجانب الشرقيّ، معلنين للبغي والاقتدار، مظهرين للغي والإصرار؛ فتأنّاهم أمير المؤمنين، وفسَّح لهم في النَّظرة لهم، وأمر بالكتاب إليهم بما فيه تبصيرُهم الرشد، وتذكيرهم بما قدّموا من البيعة، وإفهامهم ما لله عليهم وله في ذلك من الحقّ، وأنّ خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طوعاً الخروجُ من دين الله والبراءة منه ومن رسوله، وتحريمهم أموالَهم ونساءهم عليهم؛ وأن في تمسكهم به سلامة أديانهم، وبقاء نعمتهم، والاحتراس من حُلول النقَم بهم، وأن يبين لهم ما سلف من بلائه عندهم؛ من أسْنى المواهب، وأرفع الرغائب، والاختصاص بسنيّ المراتب، والتقدّم في المحافل؛ فأبوْا إلا تمادياً ونفاراً، وتمسكاً بالغيّ وإصراراً.

فقلّد أمير المؤمنين نصيحه المؤتمَن، ووليّه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين تدبير أمورهم ودعائهم إلى الحقّ ما كانت الإنابة أو محاربتهم إن جنح بهم غيُّهم، وتتابعوا في ضلالهم، فلم يألهم نظراً وإفهاماً، وتبييناً وإرشاداً، وهم في ذلك رافعون أصواتهم بالتوعّد لأهل مدينة السلام؛ بسفك دمائهم وسَبْي نسائهم وتغنُّم أموالهم؛ وقبل ذلك ما كانوا في مسيرهم على السبيل التي يستعملها أهل الشرْك في غاراتهم، ويميلون إليها عند إمكان النّهزة لهم؛ لا يجتازون بعامر إلا أخربوه، ولا بحريم لمسلم ولا غيره إلا أباحوه، ولا بمسلم يعجز عنهم إلا قتلوه، ولا بمال لمسلم ولا ذميّ إلا أخذوه؛ حتى انتقل كثير ممن سبقت إليه أخبارهم ممن أمامهم عن أوطانهم، وفارقوا منازلهم ورباعهم، وفزعوا إلى باب أمير المؤمنين تحصّناً من معرّتهم، لا يمرُّون بغنيّ إلا خلعوا عنه لباس الغنى؛ ولا بمستور إلا هتكوا عن الذرية والنساء ستره، لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمّةً، ولا يتوقّفون عن مسلم بهتك ولا مُثْلة، ولا يرغبون عما حرم الله من دم ولا حرمة.

ثم تلقّوا التذكرة بالحرب ، وقابلوا الموعظة بالإصرار على الذنب ، وعارضوا التبصير بالاستبصار في الباطل؛ فذلَفُوا نحو باب الشمّاسية ، وقد رتب محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين بذلك الباب والأبواب التي سبيلها سبيله من أبواب مدينة السلام الجيوش في العُدّة الكاملة ، والعدّة المتظاهرة؛ معاقلهم التوكّلُ على ربّهم ، وحصونهم الاعتصام بطاعته ، وشعارهم التكبير والتهليل أمام عدوهم.

ومحمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، يأمرُهم بتحصين مايليهم والإمساك عن الحرب ما كانت مندوحة لهم؛ فبادأهم الأولياء بالموعظة ، وبدأهم الغواة الناكثون بحروبهم ، وعادوْهم أياماً بجموعهم وعدادهم ، مُدلّين بعدّتهم مقدّرين ألا غالب لهم؛ ولا يعلمون بالله أنّ قدرته فوق قدرتهم ، وأن أقداره نافذة بخلاف إرادتهم ، وأحكامه عادلة ماضية لأهل الحقّ عليهم؛ حتى إذا كان يوم السبت للنصف من صفر وافوْا باب الشماسيّة بأجمعهم قد نشروا أعلامهم ، وتنادوْا بشعارهم ، وتحصّنوا بأسلحتهم ، وبدا الأمر منهم لمن عاينهم ، ليس لهم وعيد دون سفك الدماء ، وسبْي النساء ، واستباحة الأموال؛ فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا ، وقابلوهم بالتذكرة فلم يُصغوا إليها ، وبدؤوا بالحرب منابذين لها ، فتسرّع الأولياء عند ذلك إليهم ، واستنصروا عليهم ، واستحكمت بالله ثقتهم ، ونفذت به بصائرهم؛ فلم تزل الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم؛ فقتل الله من حُماتهم وفرسانهم ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعة كثيراً عَددها ، ونالت الجراحة المثخنة التي تأتي مَنْ نالته أكثر عامتهم.

فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه أنْ قد أكذب ظنونَهم ، وحال بينهم وبين أمانيهم ، وجعل عواقبها حسرات عليهم؛ استنهضوا جيشاً من سامُرّا من الأتراك والمغاربة في العتَاد والعُدّة والجلَد والأسلحة في الجانب الغربيّ ، طالبين المعرّة ، ومؤمّلين أن ينالوا نيلاً من أهله باشتغال إخوانِهم في الجانب الشرقيّ بأعدائهم.

وقد كان محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين شَحَن الجانبين جميعاً بالرّجال والعُدّة ، ووكَّل بكلّ ناحية مَنْ يقوم بحفظها وحراستها ، ويكفّ عن الرعية بوائقَ أعدائهم ، ووكل بكل باب من الأبواب قائداً في جَمْع كثيف ، ورتَّب على السور

مَنْ يراعيه في الليل والنهار وبث الرجال ليعرف أخبار أعداء الله في حركاتهم ونهوضهم ومقامهم وتصرّفهم ، فيعامل كلَّ حال لهم بحال يفتّ الله في أعضادهم بها .

فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، وافى الجيش الذي أنهضوه من الجانب الغربي البابَ المعروف بباب قُطْربّل ، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرقيّ من دجْلة في عدد لا يسعه إلاّ الفضاء ولا يحمله إلا المجال الفسيح ، وقد تواعَدُوا أن يكون دنوّهم مِن الأبواب معاً لشغل الأولياء بحربهم من الجهات ، فيضعفوا عنهم ويغلبوا حقَّهم بباطلهم؛ أملاً كاذباً غير صادق كادهم الله فيه ، وظناً خائباً لله فيه قضاء نافذ .

وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبي عون وبُندار بن موسى الطبريّ مولى أمير المؤمنين وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قطربُّل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته ، والاتباع لأمره والتصرّف مع كتابه ، والتوقّف عن الحرب حتى تسبق التذكرة الأسماع ، وتزول الحجة بالتتابع منهم والإصرار ، فنفذوا في جمعٍ يقابل جمعهم ، مستبصرين في حقّ الله عليهم ، مسارعين إلى لقاء عدوّهم ، محتسبين خطاهم ومسيرهم ، واثقين بالثواب الآجل والجزاء العاجل . فتلقاهم ومَنْ معهم أعداء الله ، قد أطلقوا نحوهم أعنَّتهم ، وأشرعوا لِنُحورهم أسنَّتهم ، لا يشكون أنهم نُهزة المختلس ، وغنيمة المنتهب؛ فنادوْهم بالموعظة نداء مسْمعاً ، فمجّتها أسماعهم ، وعميت عنها أبصارهم ، وصدَقهم أولياءُ الله في لقائهم؛ بقلوب مستجمعة لهم ، وعلم بأنّ الله لا يخلِف وعده فيهم؛ فجالت الخيل بهم جَوْلة ، وعاودت كَرّة بعد كرّة عليهم ، طعناً بالرماح ، وضرباً بالسيوف ، ورَشقاً بالسهام؛ فلما مسّهم ألم جِراحها ، وكلَمتْهم الحربُ بأنيابها ، ودارت عليهم رحاها ، وصمم عليهم أبناؤها ظمأ إلى دمائهم؛ ولَّوا أدبارَهم ، ومنح الله أكتافهم ، وأوقع بأسه بهم ، فقتِلت منهم جماعة لم يحترسوا من عذاب الله بتوبة ، ولم يتحصّنوا من عقابه بأمانة ، ثم ثابت ثانية؛ فوقفوا بإزاء الأولياء ، وعبَر إليهم أشياعُهم الغاوُون من عسكرهم بباب الشمّاسية ألف رجل من أنجادهم في السفن ، معاونين لهم على ضلالتهم؛ فأنهض لهم محمد بن عبد الله خالد بن عمران والشاهَ بن ميكال مولى طاهر نحوهم ، فنفذوا ببصيرةٍ لا يتخوّنها فتور ،

ونيّة لا يلحقها تقصير؛ ومعهما العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين.

فلماوافى الشاه فيمَنْ معه أعداء الله ، وكّل بالمواضع التي يتخوف منها مدخل الكُمناء ، ثم حمل مَنْ توجّه معه من القواد المسمَّين ماضين لا يغويهم الوعيد ، ولا يشكُّون من الله في النصر والتأييد ، فوضعوا أسيافَهم فيهم ، تمضي أحكام الله عليهم؛ حتى ألحقوهم بالمعسكر الذي كانوا عسكروا فيه وجاوزوه ، وسلبوهم كل ما كان من سلاح وكُراع وعتاد الحرب؛ فمن قتيلٍ غُودرت جثّته بمصرعه ، ونقلت هامته إلى مصيرٍ فيه معتبَرٌ لغيره ، ومن لاجىء من السيف إلى الغَرقَ لم يجزْه الله من حذاره ، من أسير مصفود يُقاد إلى دار أولياء الله وحزبه ، ومن هاربٍ بحشاشة نفسه ، قد أسكن الله الخوف قلبه؛ فكانت النقمة بحمد الله واقعة بالفريقين ممن وافى الجانب الغربيّ قادماً ، ومن عبر إليهم من الجانب الشرقيّ مُنجداً ، لم ينْجُ منهم ناجٍ ، ولم يعتصم منهم بالتوبة معتصم ، ولا أقبل إلى الله مقبل؛ فرقاً أربعاً يجمعها النار ، ويشملها عاجل النكال ، عظةً ومعتبراً لأولي الأبصار؛ فكانوا كما قال الله عز وجل: ﴿ ۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾.

ولم تزل الحرب بين الأولياء وبين الفرقة التي كانت في الجانب الشرقيّ والقتل محتفل في أعلامهم ، والجراح فاشية فيهم؛ حتى إذا عاينوا ما أنزل الله بأشياعهم من البَوار ، وأحلّ بهم من النقمة والاستئصال؛ ما لهم من الله من عاصم ، ولا من أوليائه ملجأ ولا موئل؛ ولَّوْا منهزمين مفلولين منكوبين ، قد أراهم الله العبَر في إخوانهم الغاوية ، وطوائفهم المضلَّة؛ وضلّ ما كان في أنفسهم لما رأوْا من نصر الله لجنده ، وإعزازه لأوليائه؛ والحمد لله ربّ العالمين قامع الغواة الناكبين عن دينه ، والبغاة الناقضين لعهده ، والمرّاق الخارجين من جملة أهل حقّه؛ حمداً مبلغاً رضاه ، وموجباً أفضل مزيده؛ وصلى الله أولاً وآخراً على محمد عبده وسورله ، الهادي إلى سبيله ، والدّاعي إليه بإذنه ، وسلم تسليماً. وكتب سعيد بن حُميد يوم السبت لسبع خلون من صفر سنة إحدى وخمسين ومئتين.

وركب محمد بن عبد الله بن طاهر يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر إلى باب الشمّاسية ، وأمر بهدم ما وراءِ سُور بغداد من الدور والحوانيت

والبَساتين وقطعْ النَّخْل والشَّجر من باب الشمّاسية إلى ثلاثة أبواب؛ لتتسع الناحية على مَنْ يحارب فيها؛ وكان وُجّه من ناحية فارس والأهواز نيِّفٌ وسبعون حماراً بمال إلى بغداد، قدم به ـ فيما ذكر ـ منكجور بن قارن الأشروسنيّ القائد، فوجَّه الأتراك وأبو أحمد بن بابك إلى طرارستان في ثلثمئة فارس وراجل؛ ليتلقَّى ذلك المال إذا صار إليها. فوجّه محمد بن عبد الله قائداً له يقال له: يحيى بن حفص، يحمل ذلك المال، فعدَل به عن طرارستان، خوفاً من ابن بابك؛ فلما علم ابن بابك أن المال قد فاته صار بمن معه إلى النهروان؛ فأوقع من كان معه من الجند بأهلها، وأخرج أكثرهم، وأحرق سفن الجسر؛ وهي أكثر من عشرين سفينة، وانصرف إلى سامُرّا.

وقدم محمد بن خالد بن يزيد ـ وكان المستعين قلده الثغور الجزريّة، وكان مقيماً بمدينة بلد ينتظر من يصير إليه من الجند والمال ـ فلما كان من اضطراب أمر الأتراك ودخول المستعين بغداد ما كان، لم يمكنه المصير إلى بغداد إلاّ من طريق الرّقة، فصار إليها بمَن معه من خاصّته وأصحابه؛ وهم زهاء أربعمئة فارس وراجل؛ ثم انحدر منها إلى مدينة السلام، فدخلها يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر، فصار إلى دار محمد بن عبد الله بن طاهر؛ فخلع عليه خمس خلع: دَبيقي، ومُلْحم، وخزّ، ووشْي، وسواد، ثم وجهه في جيش كثيف لمحاربة أيوب بن أحمد؛ فأخذ على ظهر الفرات فحاربه في نفر يسير، فهُزم وصار إلى ضَيْعته بالسواد.

فذكر عن سعيد بن حميد أنه قال: لمّا انتهى خبر هزيمة محمد بن عبد الله، قال: ليس يُفلح أحدٌ من العرب إلا أن يكون معه نبيّ ينصره الله به.

وفي هذا اليوم كانت للأتراك وقعة بباب الشمّاسية، كانوا صاروا إلى الباب، فقاتلوا عليه قتالاً شديداً حتى كشفوا مَنْ عليه، ورموا المنجنيق المنصوب بسرّة الباب بالنّفط والنار، فلم يعمل فيه نارهم، وكثرَهم من على الباب من الجند حتى أزالوهم عن موقفهم، ودفعوهم عن الباب بعد قتلهم عدّة يسيرة من أهل بغداد، وجرحهم منهم جماعةً كثيرة بالسِّهام. فوجّه محمد بن عبد الله إليهم عند ذلك العرّادات التي كانت تحمل في السفن والزّواريق، فرموْهم بها رمياً شديداً، فقتلوا منهم جماعة كثير نحواً من مئة إنسان، فتنحَّوْا عن الباب؛ وكان بعض

المغاربة صار في هذا اليوم إلى سور باب الشمّاسية؛ فرمى كُلاّباً إلى السور، وتعلّق به وصعد، فأخذه الموكلُون بالسور فقتلوه، ورَموْا برأسه في المنجنيق إلى عسكر الأتراك؛ وانصرفوا عند ذلك إلى معسكرهم.

وذكر أنّ بعض الموكلين بسُور باب الشمّاسية من الأبناء هاله ما رأى من كثرة مَنْ ورد باب الشمّاسية في هذا اليوم من الأتراك والمغاربة؛ وكانوا قَربُوا من الباب بأعلامهم وطبولهم، ووضع بعض المغاربة كلاّباً على السور؛ فأراد بعض الموكّلين بالسور أن يصيح: يا مستعين، يا منصور، فغلط؛ فصاح: يا معتز، يا منصور؛ فظنّه بعض الموكلين بالباب من المغاربة، فقتلوه وبعثوا برأسه إلى دار محمد بن عبد الله؛ فأمر بنصبه، فجاءت أمه وأخوه في عشية هذا اليوم بجُثّته في محمل يصيحان ويطلبان رأسه؛ فلم يُدفع إليهما؛ ولم يزل منصوباً على الجسر إلى أن أنزل مع ما أنزل من الرؤوس.

ووافى ليلة الجمعة لسبع بقين من صَفَر جماعة من الأتراك باب البَرَدان؛ وكان الموكّل به محمد بن رجاء؛ وذلك قبل شخوصه إلى ناحية واسط؛ فقتل منهم ستة نفر، وأسر أربعة، وكان الدّرغمان شجاعاً بطلاً، وصار في بعض الأيام مع الأتراك إلى باب الشماسيّة، فرمي بحجر منْجنيق، فأصاب صدره؛ فانصُرف به إلى سامُرّا، فمات بين بُصرى وعُكبراء؛ فحمل إلى سامرّا؛ فذكر يحيى بن العكيّ القائد المغربيّ أنه كان إلى جنب الدّرْغمان في يوم من أيامهم؛ إذ وافاه ناوكيّ، فأصاب عينه، ثم أصابه بعد ذلك حَجَر فأطار رأسه، فحمل مَيتاً.

وذُكر عن عليّ بن حسن الرامي، أنه قال: كنّا قد جمعنا على السور على باب الشمّاسية من الرّماة جماعة، وكان مغربيّ يجيء حتى يقرب من الباب، ثم يكشف استه ثم يضرط ويصيح؛ قال: فانتخبت له سهماً فأنفذته في دُبره حتى خرج من حلقه، وسقط مَيتاً. وخرج من الباب جماعة فنصبوه كالمصلوب، وجاءت المغاربة بعد ذلك، فاحتملوه.

وذكر أنّ الغوغاء اجتمعوا بسامُرّا بعد هزيمة الأتراك يوم قُطْربّل، ورأوا ضعف أمر المعتزّ، فانتهبوا سوق أصحاب الحُلي والسيوف والصيارفة، وأخذوا جميعَ ما وجدوا فيها من متاع وغيره، فاجتمع التجار إلى إبراهيم المؤيد أخي المعتزّ، فشكوا ذلك إليه، وأعلموه أنهم قد كانوا ضمنوا لهم أموالهم وحفظها عليهم.

قال: فقال لهم: كان ينبغي لكم أن تحوّلوا متاعكم إلى منازلكم؛ وكبُر عنده ذلك.

وقدم بحونة بن قيس بن أبي السعديّ يوم السبت لثمان بقين من صفر بمن فَرض من الأعراب وهم ستمئة راجل ومئتا فارس. وقدم في هذا اليوم عشرة نفر من وجوه أهل طَرَسوس يشكون بلكاجور، ويزعمون أن بيعة المعتز وردت عليه، فخرج بعد ساعتين من وصول الكتاب، ودعا إلى بيعة المعتزّ، وأخذ القوّادَ وأهل الثغر بذلك فبايع أكثرهم، وامتنع بعض، فأقبل على مَن امتنع بالضرب والقيد والحبس. وذُكر أنهم امتنعوا وهربوا لمّا أخذهم بالبيعة كرهاً، فقال وصيف: ما أظن الرّجل إلا [اغترّ ومُوِّه عليه] وأن الوارد عليه بكتاب المعتزّ هو الليث بن بابَك، وذكر له أنّ المستعين مات، وأقاموا المعتزّ مكانه؛ فتكلّم هؤلاء النّفر يشكون بلكاجور، ونسبوه إلى أنه فعل ذلك على عمد، ورفعوا عليه أنه كان يرَى في بني الواثق، وقد ورد كتاب بلكاجور يوم الأربعاء لأربع بقين من صفر مع رجل يقال له عليّ الحسين المعروف بابن الصّعلوك؛ يذكر فيه أنه ورد عليه كتاب من أبي عبد الله بن المتوكل، أنه قد وليَ الخلافة، وبايع له. فلما ورد عليه كتاب المستعين بصحة الأمر، جدّد أخذ البيعة على مَنْ قِبَله، وأنه على السمع والطاعة له. فأمر للرسول بألف درهم فقبضها، وقد كان أمر بالكتاب إلى محمد بن عليّ الأرمني المعروف بأبى نصر بولايته على الثغور الشامية، فلما ورد كتاب بلكاجور بالطاعة أمسك عن إنفاذ كتاب محمد بن عليّ الأرمنيّ بالولاية.

وفي يوم الإثنين لست بقين من صفر من هذه السنة قدم إسماعيل بن فراشة من ناحية همذَان في نحو ثلثمئة فارس، وكان جنده ألفاً وخمسمئة فتقدّم بعضُهم وتأخّر بعض، وتفرّقوا، وقدم معه برسول للمعتزّ، كان وُجّه إليه لأخذ البيعة، فقيّد الرسول وصار به إلى مدينة السلام على بغل بلا إكاف، فخلع على إسماعيل خمس خلع. وورد برجل ذكر أنه علويّ أخذ بناحية الريّ وطبرستان، متوجهاً إلى مَنْ هناك من العلوية؛ وكان معه دوابّ وغلمان؛ فأمر به فحبِس في دار العامة أشهراً، ثم أخذ منه كفيل وأطلِق.

وقرىء في هذا اليوم كتاب موسى بن بغا يذكر فيه أنه ورد كتاب المعتزّ، وأنه دعا أصحابه، وأخبرهم بما حدَث، وأمرهم بالانصراف معه إلى مدينة السلام؛ فامتنعوا، وأجابه الشاكريّة والأبناء، واعتزله الأتراك ومَنْ كانَفهم، وحاربوه

فقتل منهم جماعة وأَسَر أسرى؛ فهم قادمون معه. فكبّروا في دار ابن طاهر عند قراءتهم كتابه.

ولخمس بَقين من صَفَر دخلٍ من البصرة عشر سفائن بحرّية؛ تسمّى البوارج، في كل سفينة اشْتيام وثلاثة نفاطين ونجّار وخباز وتسعة وثلاثون رجلاً من الجذّافين والمقاتلة؛ فذلك في كلّ سفينة خمسة وأربعون رجلاً. فمدّت إلى الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر، ولعب أصحابها بالنيران، ثمّ مدّت إلى ناحية الشماسيّة في هذه الليلة، فَرُمِي مَنْ فيها من الأتراك بالنيران، فعزموا على الانتقال من معسكرهم برقّة الشماسية إلى بُستان أبي جعفر بالحير، ثم بدا لهم فارتفعوا فوق عسكرهم في موضع لا ينالهم شيء من النار.

ولليلة بقيت من صَفَر صار الأتراك والمغاربة إلى أبواب مدينة السلام من الجانب الشرقيّ، فأغلقت الأبواب في وجوههم، ورموا بالسهام والمنجنيقات والعرّادات، فقتل من الفريقين وجُرح جماعة كثيرة، فلم يزالوا كذلك إلى العصر.

وفي هذه السنة كرّ سليمان بن عبد الله راجعاً من جُرجان إلى طبرستان وشخص من آمُل، وخرج بجمع كثير وخيل وسلاح، فتنحّى الحسن بن زيد، ولحق بالدّيلم، فكتب إلى السلطان ابن أخيه محمد بن طاهر بدخوله طبرستان، فقرىء كتابه ببغداد، وكتب نسخة ذلك المستعين إلى بغا الصغير مولى أمير المؤمنين بفتح طبَرستان على يدي محمد بن طاهر وهزيمة الحسن بن زيد؛ وأن سليمان بن عبد الله دخل سارية على حالٍ من السلامة، وأنه ورد عليه ابنان لقارن بن شهريار مولى أمير المؤمنين، يقال لهما: مازيار ورستم، في خمسمئة رجل، إلى ما ذكر من غير ذلك في الفتح، وأنّ أهل آمُل أتوْه منيبين مظهرين إنابتَهم، مستقيلين عثراتهم؛ فلقيهم بما زاد في سكونهم وثقتهم، ونهض بعسكره على تعبيته، مستقرئاً للقرى والطرق، وتقدم بالنهي عن القتل، وترك العَرْض لأحدٍ في سلب وغيره، وتوعّد من جاوز ذلك؛ وأن كتاب أسد بن جندان وافاه بِهزيمة عليّ بن عبد الله الطالبيّ المسمى بالمرعشيّ فيمن كان معه؛ وهم أكثر من ألفيْ رجُل ورجلين من رؤساء الجبل، في جمع عظيم عند تأدّي الخبر إليهم بانهزام الحسن بن زيد ودخوله بالأولياء إلى تلك الناحية، وأنه دخل مدينة آمُل

في أحسن هيئة ، وأظهر عزّة وسلامة شاملة ، وانقطعت عنه أسباب الفتنة .

ولخمس بقين من المحرم من هذه السنة ورد كتاب العلاء بن أحمد عامل بغا الشرابيّ على الخراج والضِّياع بإرمينيَة ، بما كان من خروج رجلين بتلك الناحية؛ سمَّاهما وذكر إيقاعه بهما ، وأنهما التجأا إلى قلعة ، فوضع عليها المجانيق حتى جهدها ، وأنّهما خرجا من القلعة هاربيْن ، وخفي أمرُهما وصارت القلعة في أيدي الأولياء .

* * *

وفيها أيضاً ورد كتاب مؤرّخ لإحدى عشرة ليلة بقيَت من المحرّم بانتقاض أهل أردبيل ، وكتاب الطالبيّ إليهم ، وأنه بعث أربعة عساكر على أربعة أبواب مدينتهم ليحاصرهم .

* * *

وفيها ورد كتاب مخبر عن الحرب التي كانت بين عيسى بن الشيخ والموفّق الخارجيّ وأسْر عيسى الموفّق ، ومسألة عيسى المستعين توجيه ما يحتاج إليه من السلاح؛ ليكون عدّة له في البلد ، يقوى به الجند على الغزو ، وأن يكتب إلى صاحب الصّور في توجيه أربع مراكب إليه بجميع آلتها؛ تكون قبلَه مع ما قبله منها .

* * *

وفيها أيضاً ورد كتاب محمد بن طاهر بخبر الطالبيّ الذي ظهر بالريّ ونواحيها ، وما أعدّ له من العساكر ، ووجّه إليه من المقاتلة ، وبهرب الحسن بن زيد عند مصيره إلى المحمّدية وإحاطة عسكره بها ، وأنه عند دخوله المحمّدية وكّل بالمسالك والطرق ، وبثّ أصحابه ، وأنّ الله أظفره بمحمد بن جعفر أسيراً على غير عَقْد ولا عهد ، والذي صار إلى الريّ من العلوية في المرة الثانية بعدما أسِر محمد بن جعفر أحمدُ بن عيسى بن عليّ بن حسين الصغير بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وإدريس بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ، وهو الذي خرج في مصعد الحاجّ ، والذي بطبَرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن

الحسن بن عليّ بن أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه[1].

* * *

وفيها أيضاً ورد كتابٌ من محمد بن طاهر على المستعين ، يذكر فيه انهزام الحسن بن زيد منه ، وأنه لقيه في زُهاء ثلاثين ألفاً ، فجرت فيما بينه وبينه حرب ، وأنه قتَل من رؤوس أصحابه ثلثمئة ونيّفاً وأربعين رجلاً ، وأمر المستعين أن يقرأ نسخة كتابه في الآفاق .

* * *

وفيها خرج يوسف بن إسماعيل العلويّ ابن أخت موسى بن عبد الله الحسينيّ .

وفي شهر ربيع الأول منها أمر محمد بن عبد الله أن يُتخذ لعيّارى أهل بغداد كافركوبات ، وأن يصيّر فيها مسامير الحديد ، ويجعل ذلك في دار المظفر بن سيسل ؛ لأنهم كانوا يحضرون القتال بغير سلاح ، وكانوا يرمون بالآجُرّ ، ثم أمر منادياً ، فنادى : مَنْ أراد السلاح فليحضر دار المظفّر ، فوافاها العيارون من كلّ جانب ، فقسم ذلك فيهم ، وأثبت أسماءهم ، ورأس العيّارون عليهم رجلاً يدعى ينتويه ؛ ويكنى أبا جعفر وعدّة أخَر ؛ يدعى أحدهم دُونل ، والآخر دمحال ، والآخر أبا نملة ، والآخر أبا عصارة ، فلم يثبت منهم إلاّ ينتويه ؛ فإنه لم يزل رئيساً على عيّارى الجانب الغربيّ ؛ حتى انقضى أمر هذه الفتنة ، ولما أعطِيَ العيّارون الكافر كوبات تفرّقوا على أبواب بغداد ، فقتلوا من الأتراك ومن أتباعهم نحواً من خمسين نفساً في ذلك اليوم ، وقتل منهم عشرة أنفس وجُرح منهم خمسمئة بالنّشاب ، وأخذوا من الأتراك عَلَمَيْن وسُلَّمَين .

وفيها كانت لبحونة بن قيس وقعة مع جماعة من الأتراك بناحية بَزُوغَى ، لقيهم هو ومحمد بن أبي عون وغيرهما ، فأسروا منهم سبعة ، وقتلوا ثلاثة ، ورمى بعضُهم بنفسه في الماء ، فغرق بعضُهم ونجا بعضهم .

وذُكر عن أحمد بن صالح بن شيرزاد : أنه سأل رجلاً من الأسرى عن عدّة

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٥٠).

القوم الذين لقيهم بحونة ، قال: كنا أربعين رجلاً ، فلقينا بحونة وأصحابه ، سحَراً ، فقتِل منا ثلاثة ، وغرق ثلاثة ، وأسر ثمانية ، وأفلت الباقون ، وأخذِ ثماني عشرة دابة وجواشن وراية لعامل أوانا؛ وهو أخو هارون بن شعيب.

وكانت الوقعة بأوانا يوم الأربعاء ، وأقام جند بحونة وعبد الله بن نصر بن حمزة بقُطرُبُّل مسلحة.

وخرج ـ فيما ذكر ـ ينتويه وأصحابه من العيّارين في بعض هذه الأيام من باب قُطْربّل ، فمضوا يشتمون الأتراك حتى جازوا قُطْربّل ، فعبَر مَن عَبر إليهم من الأتراك ناشبة في الزواريق ، فقتلوا منهم رجلاً ، وجرحوا منهم عشرة؛ وكاثرهم العيّارون بالحجارة فأثخنوهم ، فرجعوا إلى معسكرهم ، فأحضر ينتويه دار ابن طاهر؛ فأمر ألاّ يخرج إلاّ في يوم قتال ، وسُوّر ، وأمر له بخمسمئة درهم.

ولأربع عشرة خلتْ من ربيع الأوّل منها ، قدم من ناحية الرّقة مزاحم بن خاقان ، وأمر القوّاد وبني هاشم وأصحاب الدواوين بتلقِّيه؛ وقدم معه مَنْ كان معه من أصحابه من الخراسانية والأتراك والمغاربة ، وكانوا زهاء ألف رجل؛ معه عتاد الحرب من كل صنْف ، ودخل بغداد ، ووصيف عن يمينه وبغا عن شماله ، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن يسار بغا ، وإبراهيم بن إسحاق خَلْفهم؛ وهو بوقارٍ ظاهر؛ فلمّا وصل خلع عليه سبع خلع ، وقُلّد سيفاً ، وخلع على ابنيه على كلّ واحد منهما خمس خلع ، ثم أمر أن يفرَض له ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرّجّالة ، ووجّه المعتز موسى بن أشناس ومعه حاتم بن داود بن بنحور في ثلاثة آلاف رجل من الفرسان والرّجالة فعسكر بإزاء عسكر أبي أحمد من الجانب الغربيّ بباب قُطْربّل لليلةٍ خلت من ربيع الأول ، وخرج رجل من العيّارين يعرف بديكويه على حمار وخليفته على حمار ، ومعهم تِرسَة وسلاح؛ وخرج آخر في الجانب الشرقي يكنى أبا جعفر ويعرف بالمخرّميّ في خمسمئة رجل في سلاح ظاهر ، معهم التِّرسة وبواري مُقيَّرة وسيوف وسكاكين في مناطقهم ، ومعهم كافر كوبات ، وقرب العسكر الوارد من سامرّا إلى الجانب الغربيّ من بغداد ، فركب محمد بن عبد الله ومعه أربعة عشر قائداً من قوّاده في عُدّة كاملة ، وخرج من المبيّضة والنظارة خلق كثير ، فسار حتى حاذى عسكر أبي أحمد؛ وكانت بينهم في الماء جَوْلة قتِل من عسكر أبي أحمد أكثر من خمسين رجلاً ، ومضى المبيّضة

حتى جازت العسكر بأكثر من نصف فرسخ ، فعبرت إليهم شبّارات من عسكر أبي أحمد؛ فكانت بينهم مناوشة ، وأخذوا عِدّة من الشبارات بما فيها من المقاتلة والملاحين ، فاستوثق منهم ، وانصرف محمد بن عبد الله ، وأمر ابن أبي عون أن يصرف الناس ، فوجّه ابنُ أبي عون إلى النّظارة والعامة من صرفهم وأغلظ لهم القول ، وشتَمهم وشتموه ، وضرب رجلاً منهم فقتله ، وحملت عليه العامة؛ فانكشف من بين أيديهم؛ وقد كان أربع شبّارات من شبّارات أهل بغداد تخلّفت؛ فلما انصرف ابن أبي عون منهزماً من العامة نظر إليها أهل عسكر أبي أحمد فوجّهوا في طلبها شبّارات ، فأخذوها وأحرقوا سفينة فيها عرّادة لأهل بغداد وصار العامة من فورهم إلى دار عوْن لينهبوها ، وقالوا: مايَلَ الأتراك ، وأعانهم وانهزم بأصحابه ، وكلّموا محمد بن عبد الله في صرفه وضجّوا ، فوجّه المظفر بن سيسل في أصحابه ، وأمره أن يصرِف العامة ويمنعهم أن يأخذوا لابن أبي عون شيئاً من متاعه ، وأعلمهم أنه قد عزله عن أمر الشبّارات والبحريات والحرب ، وصيّر ذلك إلى أخيه عبيد الله بن عبد الله ، فمضى مظفّر ، فصرف الناس عن دار محمد بن أبي عون.

وفي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول وافَى عسكر الأتراك الشاخص من سامُرّا إلى بغداد عُكْبَراء ، فأخرج ابن طاهر بندار الطبريّ وأخاه عبيد الله وأبا السنا ومزاحم بن خاقان وأسد بن داود سياه وخالد بن عمران وغيرهم من قُوّاده ، فمضوا حتى بلغوا قُطْرُبّل ، وفيها كمين الأتراك فأوقع بهم ، ونشبت الحرب بينهم؛ فدفعهم الأتراك حتى بلغوا الحائطين بطريق قُطْربّل ، وقاتل أبو السنا وأسد بن داود قتالاً شديداً ، وقتل كلّ واحد منهما عدّة من الأتراك والمغاربة ، ومال أبو السنا ميْلةً ، وتبعه الناس ، فقتل قائداً من قوّاد الأتراك يقال له سور ، ورُفع رأسه فصار من فوره إلى دار ابن طاهر ، وأعلمه هزيمة الناس وسأله المدد ، فأمر ابن طاهر به فطُوِّق ـ وكان وزن الأطواق كلّ طوق ثلاثين ديناراً ، وكلُّ سوار سبعة مثاقيل ونصف ـ وانصرف أبو السنا راجعاً إلى الناس فيمن أخرج إليهم من المدد من جميع الأبواب ، فذكر أن محمد بن عبد الله عنّف أبا السنا بإخلاله بموضعه ومجيئه نفسه بالرأس ، وقال له: أخللتَ بالناس ، فقبح الله هذا الرأس ومجيئك به!

ولما انصرف محمد بن عبدوس قاتل أسد بن داود أشدّ قتال بعد تفرّق الناس عنه ، فقتِل وثاب إلى موضعه قوم من أهل بغداد بعد ما أخذ الأتراك رأسه ، فدافعوهم عن جثّته ، فحملوه إلى بغداد في زورق ، وبلغ الأتراك باب قُطْربُّل ، فخرج الناس إليهم فدفعوهم عن الباب دفعاً شديداً ، واتبعوهم حتى نحّوْهم؛ فأتِي دار ابن طاهر بعدة رؤوس ممن قتل من الأتراك والمغاربة في هذا اليوم ، فأمر بنصبها بباب الشماسية ، فنصبت هنالك ، ثم رجع الأتراك والمغاربة على أهل بغداد من ناحية قُطْربّل ، فقتل من أهل بغداد خَلْق كثير ، وقتل من الأتراك جمع كثير؛ ولم يزل بندار ومن معه يقاتلونهم حتى أمسوا ، وانصرف بُندار بالناس ، وغلّقت الأبواب ، وأمر ابن طاهر المظفر بن سَيْسَل ورشيد بن كاوس ، وقائداً معهم فتوجّهوا في نحو من خمسمئة فارس من باب قُطْربُّل إلى ناحية عسكر ابن أشناس ، فوافوْهم على حالِ سكون وأمْن ، فقتلوا منهم نحواً من ثلثمئة ، وأسروا عدّة وانصرفوا.

وذُكر أنّ الأتراك والمغاربة وافوْا في هذا اليوم باب القطيعة ، فنقَبوا نقباً بقرب الحمام الذي يعرف بباب القطيعة ، فقتِل أوّل مَنْ خرج منهم من النقب ، وكان القتل في هذا اليوم أكثر في الأتراك والمغاربة والجراح بالسهام في أهل بغداد.

وسمعت جماعة يذكرون أنه حضر هذه الوقعة غلام لم يبلغ الحلم ، ومعه مخلاة فيها حجارة ومِقلاع في يده ، يرمي عنه فلا يخطىء وجوهَ الأتراك ووجوه دوابّهم ، وأنّ أربعة من فرسان الأتراك الناشبة جعلوا يرمُونه فيخطئونه وجعل يرميهم فلا يخطىء ، وتقطّر بهم دوابهم؛ فمضوا حتى جاؤوا معهم بأربعة من رجّالة المغاربة بأيديهم الرماح والتراس ، فجعلوا يحملون عليه ، ثم داخله اثنان منهم ، فرمى بنفسه في الماء ، ودخلا خلفه فلم يلحقاه ، وعبر إلى الجانب الشرقيّ ، وصِيحَ ، وكبّر الناس ، فرجعوا ولم يصلوا إليه.

وذُكر أنّ عبيد الله بن عبد الله دعا القوّاد في هذا اليوم وهم خمسة نفر ، فأمر كلَّ واحد منهم بناحية ، ثم مضى الناس إلى الحرب ، وانصرف هو إلى الباب؛ فقال لعبد الله بن جهم وهو موكّل بباب قُطْربُّل: إياك أن تَدَع منهم أحداً يدخل منهزماً من الباب ، ونشبت الحرب ، وتشتّت الناس ، ووقعت الهزيمة؛ وثبت أسد بن داود؛ حتى قُتِل وقَتل بيده ثلاثة ، ثم أتاه سهم غَرَب ، فوقع في حلْقه

فولّى ، وجاء سهم آخر فوقع في كَفَل دابته فشبّت به فصرعته؛ ولم يثبت معه أحد إلا ابنهَ ، فجُرح؛ وكان إغلاق الباب على المنهزمين أشدَّ من عدوّهم ، وحُمِل ـ فيما ذكر ـ إلى سامُرّا من أهل بغداد سبعون أسيراً ، ومن الرؤوس ثلثمئة رأس .

وذكر أنّ الأسرى لمّا قربوا من سامُرّا أمر الذي وجّه به معهم ألاّ يُدخلهم سامرّا إلاّ مغطِّي الوجوه ، وأنّ أهل سامرّا لمّا رأوْهم كثر ضجيجهم وبكاؤهم؛ وارتفعت أصواتهم وأصوات نسائِهم بالصُّرَّاخ والدعاء ، فبلغ ذلك المعتزّ ، فكره أن تغلظ قلوب مَنْ بحضرته من الناس عليه ، فأمر لكل أسير بدينارين ، وتقدّم إليهم بترك معاودة القتال ، وأمر بالرؤوس فدفِنت .

وكان في الأسرى ابن لمحمد بن نصر بن حمزة وأخ لقُسطنطينَةَ جارية أم حبيب وخمسة من وجوه بغداد ممن كان في النظّارة؛ فأما ابن محمد بن نصر ، فذكر أنه قُتِل وصلب بإزاء باب الشّماسيّة لمكان أبيه .

وفي يوم الخميس لأربع بَقِين من شهر ربيع الأول ، قدم أبو الساج من طريق مكة في نحو من سبعمئة فارس ومعه ثمانية عشر محملاً فيها ستة وثلاثون أسيراً من أسارى الأعراب في الأغلال ، ودخل هو وأصحابه بغداد في زِيّ حسن وسلاح ظاهر ، فصار إلى الدّار ، فخلِع عليه خمس خِلع ، وقلِّد سيفاً ، وانصرف إلى منزله مع أصحابه؛ وقد خلع على أربع نفر من أصحابه .

وفي يوم الإثنين لانسلاخ شهر ربيع الأول ، وافى باب الشّماسية ـ فيما قيل ـ جماعة من الأتراك ، معهم من المعتزّ كتاب إلى محمد بن عبد الله : وسألوا إيصاله إليه ، فامتنع الحسين بن إسماعيل من قبوله حتى استأمر؛ فأمر بقبوله؛ فوافَى يوم الجمعة ثلاثة فوارس ، فأخرج إليهم الحسين بن إسماعيل رجلاً معه سيف وتُرس ، فأخذ الكتاب من خريطة ، فأخرج ، فأوصله إلى محمد؛ فإذا فيه تذكير محمد بما يجب عليه من حفظه لقديم العهد بينه وبين المعتزّ والحرمة؛ وأن الواجب كان عليه أن يكون أوّل من سعى في أمره وتوجيه خلافته؛ وذكر أنّ ذلك أوّل كتاب ورد عليه من المعتزّ بعد الحرب .

وفي يوم السبت لخمس خلوْن من ربيع الآخر وافَى بغداد حَبْشون بن بغا الكبير ومعه يوسف بن يعقوب قوصرّة مولى الهادي فيمن كان مع موسى بن بغا من الشاكرّية ، وانضمّ إليهم عامة الشاكريّة المقيمين بالرّقة؛ وهم في نحو من ألف

وثلثمئة ، فخلع عليه خمس خلِع ، وعلى يوسف أربع خِلع ، وعلى نحو من عشرين من وجوه الشاكرّية ، وانصرفوا إلى منازلهم.

وقدِم بغداد رجل ذكر أن عِدّة الأتراك والمغاربة وحشْوَهم في الجانب الغربيّ اثنا عشر ألف رجل ورأسهم بايكباك القائد وأنّ عدة مَنْ مع أبي أحمد في الجانب الشرقيّ سبعة آلاف رجل خليفته عليهم الدّرغمان الفرغانيّ ، وأنه ليس بسامرّا من قوّاد الأتراك ولا من قوّاد المغاربة إلاّ ستة نفر ، وُكّلوا بحفظ الأبواب ، وكانت بين الفريقين وقعة يوم الأربعاء لسبع خَلَوْن من شهر ربيع الآخر ، فقتل ـ فيما ذكر ـ فيها من أصحاب المعتزّ مع من غرق منهم أربعمئة رجل ، وقتل من أصحاب ابن طاهر مع مَن غرق ثلثمئة رجل ، لم يكن فيهم إلا جنديّ؛ وذلك أنه لم يخرج في ذلك اليوم من الغوغاء أحد ، وقتِل الحسن بن عليّ الحربيّ؛ وكان يوماً صعباً على الفريقيْن جميعاً.

وذُكر أنّ مزاحم بن خاقان رَمى فيه موسى بن أشناس بسهم فأصابه ، فانصرف مجروحاً؛ وافتُقد من عسكر أبي أحمد نحو من عشرين قائداً من الأتراك والمغاربة.

ولما كان يوم الخميس لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خلَع على أبي الساج خمس خِلَع ، وعلى ابن فراشة أربع خِلع ، وعلى يحيى بن حفص حبُوس ثلاث خلع ، وعسكر أبو الساج في سوق الثلاثاء ، وأعطِيَ الجند بغالاً من بغال السلطان يُحمل عليها الرّجالة ، وحوّل مزاحم بن خاقان من باب حَرْب إلى باب السلامة ، وصار مكان مزاحم خالد بن عمران الطائيّ الموصليّ.

وذكر أن أبا السّاج لما أمره ابن طاهر بالشخوص قال له: أيّها الأمير ، عندي مشورة أشير بها ، قال: قل يا أبا جعفر؛ فإنك غير متّهم ، قال: إن كنت تريد أن تجادّ هؤلاء القوم فالرأي لك ألاّ تفارق قوّادك ولا تفرّقهم ، واجمعهم حتى تفضّ هذا العسكر المقيم بإزائك؛ فإنك إذا فرغت من هؤلاء فما أقدرك على من وراءك! فقال: إنّ لي تدبيراً ، ويكفي إن شاء. فقال أبو الساج: السمع والطاعة؛ ومضى لما أمِر به.

وذكر أن المعتزّ كتب إلى أبي أحمد يلومه للتقصير في قتال أهل بغداد ، فكتب إليه:

لأَمْـرِ المنـايـا علينـا طـريـقُ وللـدّهـرِ فيـه اتسـاعٌ وضيـقُ
فـأيّـامُنـا عِبـرٌ لـلأَنـام فمنهـا البُكـورُ ومنهـا الطُّـروقُ
ومنهـا هَنَـاتٌ تُشِيـبُ الـوليـدَ ويَخـذُلُ فيهـا الصَّـديـقَ الصـديـقُ
وسُـورٌ عَـريـضٌ لـه ذِرْوَةٌ تَفُـوتُ العيـونَ وبحْـرٌ عَمِيـقُ
قِتَـالٌ مُبيـدٌ وسَيْـفٌ عَتِيـدٌ وخَـوْف شـديـد، وحِصْـن وثيـقُ
وطـولُ صيـاحٍ لـداعـي الصبـاح الـ ـسـلاحَ السـلاحَ، فمـا يَسْتَفيـق
فهـذا قتيـلٌ وهـذا جـريـحٌ وهـذا حـريـقٌ وهـذا غـريـق
وهـذا قتيـل وهـذا تَليـل وآخـرُ يَشْـدخُـهُ المنجنيـقُ
هنـاكَ اغتصـاب وثَـمَّ انتهـاب ودُورٌ خـرابٌ وكـانـت تَـرُوقُ
إذا مـا سَمَـوْنـا إلـى مَسلَـكٍ وجـدنـاه قـد سُـدَّ عنـا الطـريـقُ
فبـالله نبلُـغُ مـا نَـرْتجيـهِ وبـاللهِ نَـدفَـعُ مـا لا نطِيـقُ

فأجابه محمد بن عبد الله ـ أو قيل على لسانه:

ألاَ كـلّ مـن زاغَ عـن أمـره وجـارَ بِـهِ عـن هُـداهُ الطـريـق
مـلاقٍ مـن الأَمـرِ مـا قـد وصَفْـتَ وهـذا بـأَمثـالِ هـذا خَليـقُ
ولا سيّمـا نـاكـثٌ بَيعـةً وتـوكيـدُهـا فيـه عهـد وثيـقُ
يُسَـدُّ عليـه طـريـقُ الهـدى ويلقـى مِـنَ الأَمـر مـا لا يُطيـقُ
وليـسَ بِبـالـغِ مـا يَـرْتجيـه مَـنْ كـان عـن غيـه لا يُفِيـقُ
أتـانَـا بـه خَبـرٌ سـائـرٌ رواه لنـا عـن خُلـوقٍ خُلـوقُ
وهـذا الكتـابُ لنـا شـاهـدٌ يُصَـدِّقـهُ ذَا النبـيُّ الصَّـدُوقُ

أما الشعر الأول؛ فإنه ينشد لعليّ بن أمية في فتنة المخلوع والمأمون، والجواب لا يعرف قائله.

وفي ربيع الآخر من هذه السنة ذُكر أن مئتي نفس من بين فارس وراجل مضوْا من قِبَل المعتزّ إلى ناحية البَندنيجِين ورئيسهم تركيّ يدعى أبلج فقصدوا الحسن بن عليّ، فانتهبوا داره، وأغاروا على قريته، ثم صاروا إلى قرية قريبة منها، فأكلوا وشربوا، فلمّا اطمأنوا استصرخ عليهم الحسن بن عليّ أكراداً من أخواله وقوماً من قرى حوله، فصاروا إليهم وهم غارّون، فأوقع بهم وقُتِل أكثرهم، وأسر سبعة عشر رجلاً منهم، وقتل أبلج، وهرب مَنْ بقي منهم ليلاً،

ثم بعث الحسن بن عليّ الأسرى ورأس أبلج ورؤوس مَنْ قتِل معه إلى بغداد.

والحسن بن عليّ هذا رجل من شيبان كان يخلف ـ فيما ذكر ـ يحيى بن حفص في عمله، وأمّه من الأكراد.

* * *

ذكر خبر المدائن في هذه الفتنة(١)

ذُكر أنّ أبا الساج وإسماعيل بن فراشة ويحيى بن حفص، لمَّا خُلع عليهم للشخوص نحو المدائن، عسكروا بسُوق الثلاثاء؛ فلما كان يوم الأحد لعشر بَقِين من شهر ربيع الأول، حمل رجّالته على البغال، وصار إلى المدائن، ثم إلى الصيّادة؛ وابتدأ في حفر خندق المدائن ـ وهو خندق كسرى ـ وكتب يستمدّ؛ فوجّه إليه خمسمئة رجل من رجالة الجيشيّة؛ وكان شخوصه في ثلاثة آلاف فارس وراجل، ثم استمدّه فأمدّه، فحصل في عسكره ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل، ثم أمِدّ بمئتي راجل من الشاكريّة القدماء، وحُمِلوا في السفن، وانحدروا إليه يوم الأحد لأربع خَلَوْن من جمادى الآخرة.

ذكر الخبر عن أمر الأنبار وما كان فيها من هذه الفتنة

فممّا كان بها أن محمد بن عبد الله وجّه بحونة بن قيس في الأعراب إلى الأنبار، وأمره بالمقام بها والفرض لأعراب الناحية، ففرَض قوماً منهم ومن المشبّهة بهم نحواً من ألفي رجل؛ فأقام بالأنبار وضبطها؛ فبلغه أن قوماً من الأتراك قد قصدُوه، فبثَق الماء من الفرات إلى خندق الأنبار، فامتلأ الخندق لزيادة الماء، وفاض على ما يليه من الصحارى؛ فصار الماء إلى السالِحين فصار ما يلي الأنبار بطيحة واحدةً، وقطع القناطر التي توصّل إلى الأنبار؛ وكتب يستمدّ، فندب للخروج إليه رشيد بن كاوس أخو الأفشين، وضمّ إليه ممن كان معه من رجال تتمة ألف رجل؛ خمسمئة فارس وخمسمئة راجل، فشخص وعسكر في قصر عبدويه، وأمدّه ابنُ طاهر بثلثمئة راجل من المَلَطِيّين القادمين من

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٤٣ ـ ٤٤٨) والبداية والنهاية [٨/ ٢١٩].

الثغور ، وانتخبوا ودفع إليهم استحقاقهم ، ونفذوا إليه يوم الثلاثاء ، ورحل من قصر عَبْدويْه يوم الإثنين سَلْخ ربيع الآخر في نحو من ألف وخمسمئة رجل ، وأخرج المعتزّ أبا نصر بن بُغا من سامُرّا على طريق الإسحاقيّ يوم الثلاثاء ، فسار يومه وليلتَه ، فصبّح الأنبار ساعة نزلها رُشيد بن كاوس.

وكان بحونة نازلاً في المدينة ورُشيد خارجها ، فلمَّا وافى أبو نصر عاجَل رشيداً وأصحابَه وهم غارُّون على غير تعبية ، فوضع أصحابه فيهم السَّيف ، ورموْهم بالنشاب فقتلوا عِدّة ، وثار بعضُ أصحاب رشيد إلى أسلحتهم فقاتلوا الأترَاك والمغاربة قتالاً شديداً ، وقتلوا منهم جماعة ، ثم انهزم الشاكريّة ورشيد على الطريق الذي جاؤوا فيه منصرفين إلى بغداد.

ولما بلغ بحونة ما لقيه أصحاب رشيد ، وأنّ الأتراك قد مالوا عند انهزام رشيد إلى الأنبار عَبَر إلى الجانب الغربيّ ، وقطع جسر الأنبار ، وعبر معه جماعة من أصحابه ، وصار رشيد إلى المُحَوَّل في ليلته ، وسار بحونة في الجانب الغربيّ حتى وافى بغداد يوم الخميس بالعشيّ ، ثم دخل رشيد في هذه العشيّة إلى دار ابن طاهر ، فأعلم بحونة محمد بن عبد الله أنه عند مصير الأتراك إلى الأنبار وجّه إلى رشيد يسأله أن يوجّه إليه مئة رجل من الناشبة ليرتبهم قُدّام أصحابه ، فامتنع من ذلك ، وسأله أن يضمّ إليه ناشبة من الفرسان والرّجالة ليصير إلى بني عمه ، وذكر أنهم مقيمون هنالك في الجانب الغربيّ على الطاعة وانتظار أمير المؤمنين ، وضمن أن يتلافى ما كان منه ، فضمّ إليه ثلثمئة رجل من فرسان الشاكرّية الناشبة ورجّالتهم ، وخلع عليه خَمس خلع ، ومضى إلى قصر ابن هُبيرة يستعدّ هنالك.

ثم اختار محمد بن عبد الله الحسينَ بن إسماعيل للأنبار ، ووجّه محمد بن رجاء الحِضاريّ معه وعبد الله بن نصر بن حمزة ورشيد بن كاوس ومحمد بن يحيى وجماعة من الناس ، وأمر بإخراج المال لمن يخرج مع الحسين ومع هؤلاء القوم؛ فامتنع مَنْ كان قدم من مَلَطْية من الشاكريّة وهم عُظْم الناس من قبْض رزق أربعة أشهر؛ لأنّ أكثرهم كان بغير دوابّ ، وقالوا: نحتاج إلى أن نقوي في أنفسنا ، ونشتريَ الدوابّ ، وكان الذي أطلِق لهم أربعة آلاف دينار ، ثم رضُوا بقبض أربعة أشهر ، فجلس الحسين في مجلسٍ على باب محمد بن عبد الله ، وتقدّم في تَصحيح الجرائد ، ليكون عَرضُه الناسَ وأصحابه في مدينة أبي جعفر ،

فأعطى في ذلك اليوم جماعة من خاصّته ، ثم صار الحسين وأصحابُ الدّواوين بعد ذلك إلى مدينة أبي جعفر ، ووضع العطاء لمَنْ يخرج معه من الجُنْد في ثلاثة مجالس؛ واستتمّ إعطاؤهم يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى.

فلمّا كان يوم الإثنين أحضِر الحسين بن إسماعيل الدّار ومعه القواد الخارجون معه: رشيد بن كاوس ، ومحمد بن رجاء ، وعبد الله بن نصر بن حمزة ، وأرمش الفرغانيّ ، ومحمد بن يعقوب أخو حزام ، ويوسف بن منصور بن يوسف البرْم ، والحسين بن عليّ بن يحيى الأرمنيّ ، والفضل بن محمد بن الفَضل ، ومحمد بن هَرْثمة بن النصر؛ وخلع على الحسين؛ وقُدّمت مرتبتُه إلى الفَوْج الثاني ـ وكان في الفوج الرابع ـ وخلع على هؤلاء القوّاد ، وصُيّر رُشيد بن كاوس على المقدمة ، ومحمد بن رجاء على الساقة ، ومضى الحسين ومَنْ ضُمّ إليه من عشيرته وقوّاده إلى معسكرهم ، وأمر وصيف وبغا أن يسبقا الحسين إلى معسكره ، وشيّعه عبيدُ الله بن عبد الله وجميع قوّاد ابن طاهر وكتّابه وبنو هاشم والوجُوه إلى الياسريّة ، وأخرج لأهل العسكر من المال ستة وثلاثون ألف دينار ، وحمل إلى معسكر الياسرية بعدُ لإعطاء مَنْ بقي ألف وثمانمئة دينار ، تمامَ استحقاقهم.

فلمّا كان يوم الخميس سارت مقدّمة الحسين والمقلّد لها عبد الله بن نصر ومحمد بن يعقوب في ألف فارس وراجل ، فنزلوا البَثْق المعروف بالقاطوفة؛ وكان الأتراك قد وجّهوا إلى المنصوريّة على خمسة فراسخ من بغداد جماعةً منهم ومن المغاربة والغوغاء زُهاء مئة إنسان ، فظُفر بسبعة من المغاربة ، فوُجِّه بهم إلى الحسين ، فأنفذهم إلى الباب ، وسار الحسين يوم الجمعة لسبع بقِين من جمادى الأولى ، وقد كان أهل الأنبار حين تنحّى بحونة ورشيد ، وصار الأتراك والمغاربة إلى الأنبار ونادوا الأمان؛ فأعطُوه ، وأمِروا بفتح حوانيتهم ، والتسوّق فيها والانتشار في أمورهم ، واطمأنُّوا إلى ذلك منهم وسكنوا ، وطمعوا فيهم أن يفوا لهم ، فأقاموا بذلك يومهم وليلتهم حتى أصبحوا وكان في وقت غلبتهم عليها وافتْهم سفن من الرَّقّة فيها دقيق وأطواف فيها زيت وغير ذلك؛ فأخذوه وجمعوا ما وجدوا فيها من إبل ودوابّ وبغال وحمير ، ووجّهوا بذلك مع مَنْ يؤديه إلى

منازلهم بسامُرّا ، وانتهبوا ما وجدوا ، ووجّهوا برؤوس مَنْ قُتل من أصحاب رشيد وبحونة وأهل بغداد وبمن أسروا وكانوا مئة وعشرين رجلاً ، والرؤوس سبعون رأساً ، وجعلوا الأسرى في الجُوالقات ، قد أخرجوا منها رؤوسهم حتى صاروا إلى سامُرّا ، وصار الأتراك إلى فم الأستانة ، وحاولوا سدّها ليقطعوا ماء الفرات عن بغداد ، فوجّهوا رجلاً ، ودفعوا إليه مالاً لآلة السِّكْر ، وسدّه مع القُلُوس والصواري ، ففطِن به وهو يبتاع ذلك ، فَحُمِل إلى دار ابن طاهر بعد أن نالته العامّة بالضرب والشتمّ؛ حتى أشفى على الموت ، فسئل عن أمره فصدَق ، فوُجّه به إلى الحبس.

وكان ابن طاهر قد وجّه الحارث خليفة أبي الساج؛ فكان على طريق مكة إلى قصر ابن هبيرة ، وضمّ إليه خمسمئة رجل من فرسان الشاكريّة القادمين معه؛ فنفذ ومَنْ معه لسبع خلون من جمادى الأولى ، ووجّه ابن أبي دلف هشام بن القاسم في مئتي راجل وفارس إلى السِّيبَيْن ، ليقيم هناك؛ فلما توجّه الحسين إلى الأنبار كُتب إليه باللحاق بعسكر الحسين ليصير معه إلى الأنبار ، ونُودِيَ ببغداد في أصحاب الحسين ومزاحم بن خاقان أن يلحَقُوا بقوّادهم ، فسار الحسين ، وتقدّم خالد بن عمران حتى نزل دِممَّا؛ فأراد أن يعقد على نهر أنق جسراً ليعبُر عليه أصحابه ، فمانعه الأتراك ، فعبَر إليهم جماعة من الرّجّالة فكشفوهم ، وعقد خالد الجسر ، فعبر هو وأصحابه ، وصار الحسين إلى دِممّا ، فعسكر خارجها ، وأقام في معسكره يوماً ، ووافتْه طلائع الأتراك ممّا يلي نهر أنق ونهر رُفَيْل فوق قرية دمِمَّا ، فصفّ الحسين أصحابه من جانب النهر والأتراك من الجانب الآخر ، وهم زُهاء ألف رجل ، وتراشقوا بالسهام ، فجُرح بينهم عداد ، وانصرف الأتراك إلى الأنبار.

وكان بحونة مقيماً بقصر ابن هبيرة ، فانضمّ إلى الحسين في جميع من كان معه من الأعراب وغيرهم ، وكتب بحونة يسأل مالاً لإعطاء أصحابه؛ فأمر أن يحمل إلى معسكر الحُسين لإعطاء أصحاب بحونة ثلاثة آلاف دينار ، وحمِل إلى الحسين مال وأطواق وأسورة وجوائز لمن أبلى في الحرب ، وكان الحسين وُعد أنْ يُمَدّ بالرجال حتى يكمل عسكره عشرة آلاف رجل ، فكتب ينتجز ذلك؛ فأمر بتوجيه أبي السنا محمد بن عبدوس الغنويّ والجحاف بن سواد في ألف فارس

وراجل من الملَطِيّين وجند انتخبوا من قيادات شتى ، فقبضوا أنزالهم لليلتين بقيتا من جمادى ، وساروا مع أبي السناء والجحاف على نهر كَرْخايا إلى المحوّل ، ثم إلى دمِمّا ، ونزل الحسين بعسكره في موضع ـ يعرف بالقَطيعة ـ واسع يحتمل العسكر ، فأقام فيه يومَه ، ثم عزل على الرّحلة منه إلى قرب الأنبار ، فأشار عليه رُشيد والقوّاد أن يُنزل عسكره بهذا الموضع لسَعته وحَصَانته ، ويسير هو وقوّاده في خيلٍ جريدةً ، فإن كان الأمر له كان قادراً أن ينقل عسكره ؛ وإن كان عليه انحاز إلى عسكره وراجع عدُوّه ؛ فلم يقبل الرأي ، وحملهم على المسير من موضعهم ، فساروا ، وبين الموضعين فرسخان أو نحوهما ، فلما بلغوا الموضع الذي أراد الحسين النزول فيه ، أمر الناس بالنزول ؛ وكان جواسيس الأتراك في عسكر الحُسين ، فساروا إليهم ، وأعلموهم رحلة الحسين ، وضيق العسكر بالموضع الذي نزل فيه ، فوافوْهم والناس يحطُّون أثقالهم ، فسار أهل العسكر ، ونادوْا السلاح ، فصافّوهم ؛ فكانت بينهم قتلَى من الفريقين ، وحمل أصحاب الحسين عليهم فكشفوهم كشفاً قبيحاً ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وغرق منهم خلق كثير في الفرات ، وكان الأتراك قد كمنوا قوماً ، فخرج الكمين عند ذلك على بقيّة العسكر ؛ فلم يكن لهم ملجأ إلا الفرات ، وغرق من أصحاب الحسين خلق كثير ، وقُتِل جماعة وأسرَ من الرجّالة جماعة ؛ وأما الفرسان فضربُوا دوابّهم هُرّاباً لا يلوون على شيء ، والقوّاد ينادونهم يسألونهم الرَّجْعة ، فلم يرجع منهم أحد ، وأبلى محمد بن رجاء ورُشيد يومئذ بلاء حسناً ، ولم يكن لمن انهزم معقل دون الياسريّة على باب بغداد ، فلم يملك القوّاد أمور أصحابهم ، فأشفقوا حينئذ على أنفسهم ، فانثنوْا راجعين وراءهم ، يحمونهم من أدبارهم أن يتبعوا ، وحوَى الأتراك جميع عسكر الحسين بما فيه من المضارب وأثاث الجند وتجارات أهل السوق ؛ وكان معه في السفن سلاح سلِم ؛ لأن الملاّحين حَرزُوا سفنهم ، فسلِم ما كان معهم من السلاح ومن تجارات التجّار .

وذكر عن ابن زنبور كاتب الحسين أنه أخِذ للحسين اثنا عشر صندوقاً فيها كسوة ومال من مال السلطان مبلغه ثمانيةُ آلاف دينار ، ونحو من أربعة آلاف دينار لنفسه ، ونحو من مئة بغل ؛ وانتهب فروضُ الحسين مضارب الحسين وأصحابه ، وطاروا مع مَنْ طار ، فوافوا الياسريّة ؛ وكان أكثر النهب مع أصحاب أبي السنا .

ووافى الحسين والفلّ الياسرية ويوم الثلاثاء لستٍّ خلوْن من جمادى الآخرة.

ولقي الحسينَ رجل من التجار في جماعة ممن ذهبت أموالهم في عسكره، فقال: الحمد لله الذي بيّض وجهك! أصعدتَ في اثني عشر يوماً، وانصرفت في يوم واحد! فتغافل عنه.

قال أبو جعفر: وممّا انتهى إلينا من خبر الحسين بن إسماعيل ومَنْ كان معه من القُوّاد والجند الذي كان محمد بن عبد الله بن طاهر استنهضَهم من بغداد في هذه السَّنة لحرب مَنْ كان قصد الأنبار وما اتّصل بها من البلاد من الأتراك والمغاربة، أنه لما صار إلى الياسرية منصَرفه مهزوماً من دِمِمَّا، أقام بها في بستان ابن الحَروريّ، وأقام مَنْ وافى الياسرية من المنهزمةِ في الجانب الغربيّ من الياسريّة، ومُنِعوا من العبور، ونُودي ببغداد فيمن دخلها من الجند الذين في عسكر الحسين أن يلحقوا بالحسين في معسكره، وأجِّلُوا ثلاثة أيام؛ فمن وجد منهم ببغداد بعد ثلاثة ضُرب ثلثمئة سوط، ومُحي اسمه من الديوان.

فخرج الناس، وأمر خالد بن عمران في الليلة التي قدم فيها الحسين أن يعسكر في أصحابه بالمحوَّل، وأعطى أصحابه أرزاقهم في تلك الليلة في الشَّرْج، ونودي في أصحابه بالمحوَّل باللحاق به.

ونودي في الفَرض القُدماء الذين كانوا فرضوا بسبب أبي الحسين يحيى بن عمر بالكوفة وهم خمسمئة رجل، وأصحاب خالد وهم نحو من ألف رجل، فعسكروا بالمحوّل يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة، وأمر ابن طاهر الشاهَ بن ميكال في صَبيحة الليلة التي وافى فيها الحسين أن يتلقاه ويمنعه من دخول بغداد، فلقيه في الطريق، فردّه إلى بستان ابن الحَروريّ، وأقاموا يومهم؛ فلما كان الليل صاروا إلى دار ابن طاهر، فوبّخه ابن طاهر، وأمره بالرُّجوع إلى الياسريّة لينفذ إلى الأنبار مع مَنْ ينفذ إليها من الجند؛ فصار من ليلته إلى الياسريّة، ثم أمر بإخراج مال لإعطاء شهر واحد لآل هذا العسكر فحمل تسعة آلاف دينار، وصار كتّاب ديوان العطاء وديوان العَرْض إلى الياسريّة لعرض الجند وإعطائهم.

فلما كان يوم الجمعة لسبع خلوْن من جمادى الآخرة توجَّه خالد بن عمران

مُصعِداً إلى قنطرة بهلايا ـ وهي موضع السِّكْر ـ وخرجت معه نحو من عشرين سفينة ، وركب عبيد الله بن عبد الله وأحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد إلى عسكر الحسين بن إسماعيل بالياسريّة ، فقرؤوا على الحسين والقوّاد كتاباً كُتبِ به عن المستعين ، يخبرهم فيه بسوء طاعتهم وما ركبوا من العصيان والتخاذل؛ فقرىء عليهم والعسكر مقيم ، والعُرّاض يعرضونهم ليتعرّفوا مَنْ قُتِل ومَنْ غرق من كلّ قيادة ، ونودي باللَّحاق بعسكرهم؛ فخرجوا ، وأتاهم كتاب بعض عيونهم بالأنبار يخبر أنّ القتلى كانت من الأتراك أكثر من مئتين ، والجرحى نحواً من أربعمئة؛ وأن جميع مَنْ أسره الأتراك من أهل بغداد الجيشية والفروض من الرّجّالة مئتان وعشرون إنساناً ، وأنه عدّ رؤوس مَنْ قتِل فوجدها سبعين رأساً ، وكانوا أخذوا جماعة من أهل الأسواق ، فصاحوا لأبي نصر: نحن أهل السوق ، فقال: ما بالكم معهم! فقالوا: أكرِهنا فخرجنا ، شئنا [أو أبينا] فأطلق من كان منهم يشبه السوقة. وأمر بحبس الأسرى في القَطِيعة.

وذُكر عن صاحب بغال السلطان: أن جميع ما ذهب من بغال السلطان مئة وعشرون بغلاً.

ورحل الحسين يوم الإثنين لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، وكتب إلى خالد بن عمران وهو مقيم على السِّكْر ، أن يرحل متقدّماً أمامه ، فامتنع خالد من ذلك؛ وذكر أنه لا يبرح من موضعه إلا أن يأتيَه قائد في جُند كثيف فيقيم مكانه ، لأنه يتخوّف أن يأتيَه الأتراك من خَلْفه من عسكرهم بناحية قُطْربُّل ، وأمر ابن طاهر بمال ، فحمل إلى الحسين بن إسماعيل لإعطاء جميع من في عسكره رزق شهر واحد؛ ليُفرَّق فيهم بدممّا ، وأمر أن يخرج معه الكتاب والعُرّاض لأصحابه هنالك ، وقلَّد أمر نفقات عسكره وإعطاء الجند من قبَل ديوان الخراج الفضلَ بن مظفَّر السبعيّ وحمَل المال مع السَّبْعيّ إلى معسكر الحسين ، لينفذ معه إذا نفذ.

وقد قيل: إنّ الحسين ارتحل إلى الأنبار في النصف من ليلة الأربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة ، فسارَ وتبعه من في عسكره يوم الأربعاء ، ونودي في أصحابه باللحاق به ، فسار حتى نزل دمِمَّا ، وأراد أن يعقد على نهر أنق جسراً ليعبُر عليه ، فمانعه الأتراك ، فعبر إليهم جماعة من أصحابه من الرجَّالة ،

فحاربوهم حتى كشفوهم ، وعقد خالد الجسر ، فعبر أصحابه ووجّه محمد بن عبد الله بكاتبه محمد بن عيسى بشيء شافهه به ، فيقال: إنه حمل معه أطْوَاقاً وأسورة ، وانصرف إلى منزله ، وصار إلى الحسين يوم السبت لثمان خَلَوْن من رجب رجل ، فأخبره أن الأتراك قد دُلُّوا على عدّة مواضع في الفُرات ، تُخاض إلى عسكره ، فأمر بضرب الرجل مئتي سوط ، ووكل بالمخاوض رجلاً من قُوّاده ، يقال له الحسين بن عليّ بن يحيى الأرمنيّ في مئة راجل ومئة فارس؛ فطلع أوّل القوم ، فخرج عليهم وقد أتاه منهم أربعة عشر علماً ، فقاتل أصحابه ساعةً ، ووكل بالقنطرة أبا السَّنا ، وأمره أن يمنع مَن انهزم من العُبور؛ فأتى الأتراك المخاضَة ، فرأوا الموكَّل بها ، فتركوه واقفاً ، وصاروا إلى مخاضة أخرى خَلْف الموكّل فقاتلوهم ، فصبر الحسين بن عليّ وقاتل ، فقيل للحسين بن إسماعيل ، فقصد نحوَه ، ولم يصل إليه حتى انهزم ، وانهزم خالد بن عمران معه ومَنْ معه ، ومنعهم أبو السنا من العبُور على القنطرة ، فرجع الرجَّالة والخراسانية فرَموْا بأنفسهم في الفرات ، فغرق من لم يُحسن السباحة ، وعَبَر مَنْ كان يحسن السباحة ، فنجا عُرياناً ، وخرج إلى جزيرة لا يصل منها إلى الشَّطّ ، لِمَا على الشطّ من الأتراك ، فذكر عن بعض جند الحسين ، أنه قال: بعث الحسين بن عليّ الأرمني إلى الحسين بن إسماعيل أنّ الأتراك قد وافوا المخاضَة ، فأتاه الرسول ، فقيل: الأمير نائم ، فرجع الرسول فأعلمه ، فردّ آخر ، فقال له الحاجب: الأمير في المخرَج ، فرجع فأخبره ، فردّ رسولاً ثالثاً ، فقال: قد خرج من المخرَج ونام؛ فعلت الصيحة فعَبر الأتراك ، فقعد الحسين في زورق أو شبّارة ، وانحدر واستأثر قوم من الخُراسانية ، ورموا ثيابهم وسلاحهم ، وقعدوا على الشطّ عُراةً ، وشدّ أصحاب أعلام الأتراك حتى ضربوا أعلامهم على مضرب الحسين بن إسماعيل ، واقتطعوا السوق ، وانحدرت عامة السفن ، فسلمت إلاّ ما كان موكّلاً به منها ، ولحق الأتراك أصحاب الحسين ، فوضعوا فيهم السيف؛ فقتلوا وأسروا نحواً من مئتين ، وغرق خَلْقٌ كثير؛ ووافى الحسين والمنهزمة بغدادَ نصف الليل ، ووافى فلّهم وبقيّتهم في النهار؛ وفيهم جرحى كثيرة ، فلم يزالوا إلى نصف النهار يتتابعون عُراة مجرَّحين ، وفُقِد من قواد الحسين بن يُوسف البَرْم وغيره. ثم جاء كتابه أنه أسير في أيدي الأتراك عند مُفْلح؛ وأنّ عدّة الأسرى من وقعة الحسين الثانية مئة ونيّف وسبعون إنساناً ، والقتلى مئة ، والدوابّ نحو من

ألفي دابة ومئتي بغل وأكثر ، وقيمة السلاح والثياب وغير ذلك أكثر من مئة ألف دينار ؛ فقال الهندوانيّ في الحسين بن إسماعيل :

يـا أَحْـزَمَ النـاسِ رأيـاً فـي تخلُّفـهِ عـن القتـالِ خَلطْـتَ الصفْـوَ بـالكـدَرِ
لمَّـا رأيـتَ سُيُـوفَ التـركِ مُصلَتَـةً علِمْتَ ما في سيوفِ الترْك من قَدَرِ
فَصِـرْتَ منحجـزاً ذُلاً ومَنقَصـةً والنُّجحُ يذهبُ بينَ العجْزِ والضَّجَرِ

ولحق بالمعتزّ في جمادى الآخرة منها من بغداد جماعة من الكتاب وبني هاشم ، ومن القوّاد مُزاحم بن خاقان أرطوج ، ومن الكتّاب عيسى بن إبراهيم بن نوح ويعقوب بن إسحاق ، ونماري ، ويعقوب بن صالح بن مرشد ، ومقلة ، وابنٌ لأبي مزاحم بن يحيى بن خاقان ، ومن بني هاشم عليّ ومحمد ابنا الواثق ، ومحمد بن هارون بن عيسى بن جعفر ، ومحمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن عليّ .

* * *

وفيها كانت وقعة بين محمد بن خالد بن يزيد وأحمد المولد وأيوب بن أحمد بالسُّكَيْر من أرض بني تغلب ، قتل بين الفريقين جماعة كثيرة ، وانهزم محمد بن خالد ، وانتهب الآخرون متاعه ، وهدم أيوب دور آل هارون بن معمر ، وقتل من ظفر به من رجالهم .

* * *

وفيها كانت لبلكاجور غزوة فتح ـ فيما ذكر ـ فيها مطمورة أصاب فيها غنيمة كثيرة ، وأسر جماعة من الأعلاج ، وورد بذلك على المستعين كتاب تاريخه يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين ومئتين .

* * *

وفي يوم السبت لثمان بقين من رجب من هذه السنة كانت وقعة بين محمد ابن رجاء وإسماعيل بن فراشة وبين جُعلان التركيّ بناحية بادَرَايا وباكُسايا ، فهزم ابن رجاء وابن فراشة جُعلانَ ، وقتلا من أصحابه جماعة ، وأسرا جماعة .

* * *

وفي رجب منها كان ـ فيما ذكر ـ وقعة بين ديوداد أبي الساج وبين بايكباك بناحية جَرْجَرايا ، قتل فيها أبو الساج بايكباكَ ، وقتل من رجاله جماعة ، وأسر منهم جماعة ، وغرق منهم في النهروان جماعة .

وفي النصف من رجب منها اجتمع مَنْ كان ببغداد من بني هاشم من العباسيين ، فصاروا إلى الجزيرة التي بإزاء دار محمد بن عبد الله ، فصاحوا بالمستعين وتناولوا محمد بن عبد الله بالشتم القبيح ، وقالوا : قد مُنعنا أرزاقنا ، وتُدفع الأموال إلى غيرنا ممن لا يستحقها ، ونحن نموت هزلاً وجوعاً! فإن دفعتَ إلينا أرزاقنا وإلا قصدنا إلى الأبواب ففتحناها ، وأدخلنا الأتراك؛ فليس يخالفنا أحد من أهل بغداد ، فعبر إليهم الشاه بن ميكال ، فكلّمهم ورفق بهم ، وسألهم أن يعبر معه منهم ثلاثة أنفس ليدخلهم على ابن طاهر ، فامتنعوا من ذلك ، وأبوا إلا الصّياح وشتْم محمد بن عبد الله؛ فانصرف عنهم الشاه؛ فلم يزالوا على حالهم على قُرْب الليل ، ثم انصرفوا واجتمعوا من غد ذلك اليوم ، فوجّه إليهم محمد بن عبد الله ، فأمرهم بحضُور الدّار يوم الإثنين ليأمر من يناظرهم ، فصاروا إلى الدّار فأمر محمد بن داود الطوسيّ بمناظرتهم؛ وبذل لهم رزق شهر واحد؛ وأمرهم أن يقبضوا ذلك ، ولا يكلّفوا الخليفة أكثر من هذا؛ فأبوْا أن يقبضوا رزْق شهر ، وانصرفوا .

* * *

[خروج الحسين بن محمد الطالبيّ وما آل إليه أمره][1]

وفيها خرج بالكوفة رجل من الطالبيّين يقال له الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب ، فاستخلف بها رجلاً منهم يقال له محمد بن جعفر بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن حسن ، ويكنى أبا أحمد ، فوجّه إليه المستعين مزاحم بن خاقان أرطُوج؛ وكان العلويّ بسوَاد الكوفة في ثلثمئة رجل من بني أسد وثلثمئة رجل من الجارودية والزيديّة وعامتهم صَوّافيّة؛ وكان العامل يومئذ بالكوفة أحمد بن نصر بن مالك الخُزاعيّ ، فقتَل العَلويّ من أصحاب ابن نصر أحدَ عشر رجلاً ، منهم من جند الكوفة أربعة ،

(١) انظر البداية والنهاية [٨/ ٢٢٠].

وهرب أحمد بن نصر إلى قَصْر ابن هبيرة؛ فاجتمع هو وهشام بن أبي دلف؛ وكان يلي بعضَ سواد الكوفة ـ فلما صار مزاحم إلى قرية شاهي كتب إليه في المقام حتى يوجّه إلى العلوي مَنْ يردّه إلى الفيئة والرجوع. فوجّه داود بن القاسم الجعفري، وأمر له بمالٍ، فتوجَّه إليه وأبطأ داود وخبرُه على مزاحم، فزحف مزاحم إلى الكوفة من قرية شاهي، فدخلها وقصد العَلويّ فهرب، فوجّه في طلبه قائداً، وكتب بفتحه الكوفة في خريطة مُرَيّشة.

وقد ذكر أن أهل الكوفة عند ورود مزاحم حملوا العلويّ على قتاله، ووعدوه النّصر، فخرج في غربيّ الفُرات؛ فوجّه مزاحم قائداً من قُوّاده في الشرقيّ من الفرات، وأمره أن يمضيَ حتى يعبر قنطرة الكوفة ثم يرجع، فمضى القائد لذلك، وأمر مزاحم بعض أصحابه الذين بقوا معه أن يعبروا مخاضة الفرات في قرية شاهي، وأن يتقدّموا حتى يحاربوا أهل الكوفة ويصافّوهم من أمامهم فساروا ومعهم مزاحم، وعَبَر الفرات، وخلَّفَ أثقالَه ومَنْ بقي معه من أصحابه؛ فلما رآهم أهل الكوفة ناوشوهم الحرب، ووافاهم قائد مزاحم، فقاتلهم من ورائهم ومُزاحم من أمامهم؛ فأطبقوا عليهم جميعاً فلم يفلت منهم أحد.

وذكر عن ابن الكرديّة: أنّ مزاحماً قتل من أصحابه قبل دخوله الكوفة ثلاثة عشر رجلاً، وقتل من الزيدية أصحاب الصّوف سبعة عشر رجلاً، ومن الأعراب ثلثمئة رجل؛ وأنه لما دخل الكوفة رُمِيَ بالحجارة فضرب ناحيتي الكوفة بالنار، وأحرق سبعة أسواق؛ حتى خرجت النار إلى السبيع، وهجم على الدار التي فيها العلويّ فهرب؛ ثم أتِي به وقُتِل في المعركة من العلويّة رجل وذكر أنه حبس جميع من بالكوفة من العَلويّة، وحبس أبناء هاشم، وكان العلوّي فيهم.

وذكر عن أبي إسماعيل العلويّ أن مُزاحماً أحرق بالكوفة ألف دار، وأنه أخذ ابنة الرجل منهم فعنّفها.

وذكر أنه أخِذ للعلويّ جوارٍ، فيهم امرأة حُرّة مضمومة، فأقامها على باب المسجد ونادى عليها.



وفي النصف من رجب من هذه السنة، ورد على مزاحم كتاب من المعتزّ

يأمره بالمسير إليه ، ويعده وأصحابه ما يحبّ ويحبّون ، فقرأ الكتاب مزاحم على أصحابه؛ فأجابه الأتراك والفراغنة والمغاربة ، وأبى الشاكرية ذلك ، فمضى فيمن أطاعه منهم وهم زُهاء أربعمئة إنسان ، وقد كان أبو نوح تقدّمه إلى سامُرّا ، فأشار بالكتاب إليه ، وكان مزاحم ينتظر أمر الحسين بن إسماعيل؛ فلما انهزم الحسين مضى إلى سامُرّا ، وقد كان المستعين وجّه إلى مزاحم عند فتح الكوفة عشرة آلاف دينار وخمس خلَع وسيفاً ، ونفذ الرسول إليه وألفى الجند الذين كانوا معه في الطريق؛ فردّوا جميع ذلك معهم ، وصاروا إلى باب محمد بن عبد الله ، وأعلموه ما فعل مزاحم. وكان في الجند والشاكريّة خليفة الحسين بن يزيد الحرانيّ وهشام بن أبي دلف والحارث خليفة أبي الساج ، فأمر ابن طاهر أن يخلع عن كلّ واحد منهم ثلاث خلَع.

وذكر أن هذا العلويّ كان قد ظهر بنينَوى في آخر جمادى الآخرة من هذه السنة؛ فاجتمع إليه جماعة من الأعراب ، وفيهم قومٌ ممن كان خرج مع يحيى بن عمر في سنة خمسين ومئتين ، وقد كان قدم إلى تلك الناحية هشام بن أبي دلف ، فواقعهم العلويّ في جماعة نحو من خمسين رجلاً، فهزمه وقتل عِدّة من أصحابه ، وأسر عشرين رجلاً وغلاماً ، وهرب العلَويُّ إلى الكوفة؛ فاختفى بها ، ثم ظهر بعد ذلك ، وحمِل الأسرى والرؤوس إلى بغداد ، فعرف خمسة نفر ممن كان مع أصحاب أبي الحسين يحيى بن عمر؛ فأطلقوا ، وأمر محمد بن عبد الله أن يضرب كلّ واحد ممن أطلق وعاد خمسمئة سوط ، فضرِبوا في آخر يوم من جمادى الآخرة.

وذُكر أن كتب أبي الساج لمّا وردت بما كان من إيقاعه ببايكباك ، وذلك لاثنتي عشرة بقيَتْ من رجب من هذه السنة ، وجّه إليه بعشرة آلاف دينار معونة له ، وبخلعة فيها خمسة أثواب وسيف.

* * *

وفيها كانت وقعة ـ فيما ذكر ـ بين منكجور بن خيدر وبين جماعة من الأتراك بباب المدائن هزمهم فيها مَنْكَجور ، وقتل منهم جماعة.

* * *

وفيها كانت لبلكاجور صائفة ، فتح فيها فتوحاً فيما ذكر .

* * *

وفيها كانت وقعة بين يحيى بن هرثمة وأبي الحسين بن قريش ، قُتِل من الفريقين جماعة ، ثم انهزم أبو الحسين بن قريش .

وفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من شعبان كان بباب بَغواريا وقعة بين الأتراك وأصحاب ابن طاهر؛ وكان السبب في ذلك أن الموكّل كان بباب بغواريا إبراهيم بن محمد بن حاتم والقائد المعروف بالنّساويّ في نحو من ثلثمئة فارس وراجل ، فجاءت الأتراك والمغاربة في جَمْع كثير ، فنقبوا السور في موضعين ، فدخلوا منهما ، فقاتلهم النساويّ فهزموه ، ووافوْا باب الأنبار ، وعليه إبراهيم بن مصعب وابن أبي خالد وابن أسد بن داود سياه ، وهم لا يعلمون بدخولهم باب بغواريا ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فقتل من الفريقين جماعة ، ثم إنّ مَنْ كان على باب الأنبار من أهل بغداد انهزموا لا يلوون على شيء ، فضرب الأتراك والمغاربة باب الأنبار بالنار فاحترق ، وأحرقوا ما كان على باب الأنبار من المجانيق والعرّادات ، ودخلوا بغداد حتى صاروا إلى باب الحديد ومقبار الرّهينة ومن ناحية الشارع إلى موضع أصحاب الدواليب ، فأحرقوا ما هنالك وأحرقوا كلّ ما قرب من ذلك من أمامهم وورائهم ، ونصبوا أعلامهم على الحوانيت التي تقرب من ذلك الموضع ، وانهزم الناس ، حتى لم يقف بين أيديهم أحد؛ وكان ذلك مع صلاة الغَداة ، فوجّه ابن طاهر إلى القوّاد ، ثم ركب في السلاح فوقف على باب درب صالح المسكين ، ووافاه القوّاد ، فوجّههم إلى باب الأنبار وباب بغواريا وجميع الأبواب التي في الجانب الغربيّ ، وشحنها بالرجال ، وركب بُغا ووصيف ، فتوجّه بُغا في أصحابه وولده إلى باب بغواريا ، وصار الشاه بن ميكال والعباس بن قارن والحسين بن إسماعيل إلى باب الأنبار والغوغاء ، فالتقوا والأتراك في داخل الباب ، فبادرهم العباس بن قارن ، فقتِل - فيما ذكر - في مقام واحد جماعة من الأتراك ، ووجّه برؤوسهم إلى باب ابن طاهر ، وكاثرهم الناس على هذه الأبواب ، فدفعوهم حتى أخرجوهم بعد أن قُتِل منهم جماعة؛ وكان بُغا الشرابيّ خرج إلى باب بغواريا في جمع كثير ، فوافاهم وهم غارُّون ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، وهرب الباقون ، فخرجوا من

الباب؛ فلم يزل بُغا يحاربهم إلى العصر؛ ثم انهزموا وانصرفوا ، ووكّل بالباب مَنْ يحفظه وانصرف إلى باب الأنبار ، ووجَّه في حمل الجصّ والآجرّ ، وأمر بسدّه.

وفي هذا اليوم أيضاً كانت حرب شديدة بباب الشَّماسية ، قُتِل من الفريقين ـ فيما ذكر ـ جماعة كثيرة ، وجُرِح آخرون؛ وكان الذي قاتل الأتراك في هذا اليوم ـ فيما ذكر ـ يوسف بن يعقوب قوصرّة.

وفيها أمر محمد بن عبد الله المظفّر بن سيسل أن يعسكر بالياسرية ، ففعل ذلك ، ثم انتقل إلى الكُناسة إلى أن وافاه بالفردل بن إيزنكجيك الأشروسني؛ فأمر له بفرض ، وضمّ إليه رجالاً من الشاكرية وغيرهم ، وأمر أن يضامّ المظفر ويعسكر بالكُناسة ، ويكون أمرهما واحداً ، ويضبط تلك الناحية؛ فأقاما هنالك حيناً ، ثم أمر بالفردل المظفّرَ بالمضيّ ، ليعرف خير الأتراك ليدبّر في أمرهم بما يراه؛ فامتنع من ذلك المظفّر ، وزعم أنّ الأمير لم يأمره بشيء مما سأله ، وكتب كلُّ واحد منهما يشكو صاحبَه ، وكتب المظفر يستعفي من المقام بالكُناسة ، ويزعم أنه ليس بصاحب حرب ، فأعفِيَ ، وأمر بالانصراف ولزوم البيت؛ وقلد أمر ذلك العسكر ومَنْ فيه من الجند النائبة والأثبات بالفردل ، وضمّ إليه أثبات المظفَّر وأفْرِد بالناحية.

* * *

وفي شهر رمضان من هذه السنة التقى هشام بن أبي دلف والعلويّ الخارجي بنينوى ، ومعه رجل من بني أسد ، فاقتتلوا فقتِل من أصحاب العَلويّ ـ فيما ذكر ـ نحو من أربعين رجلاً ، ثم افترقا ، فدخل العلويّ الكوفة فبايع أهلها المعتزّ ، ودخل هشام بن أبي دُلف بغداد.

وفي شهر رمضان من هذه السنة كانت بين أبي الساج والأتراك وقعة بناحية جَرْجَرَايا ، هزمهم فيها أبو الساج ، وقتَل منهم جماعة كثيرة ، وأسر منهم جماعة أخَر.

* * *

[ذكر خبر قتل بالفردل]

ولليلة بقيَتْ من شهر رمضان منها قُتِل بالفردل؛ وكان سبب قتله أن أبا نصر بن بغا لما غلب على الأنبار وما قرب منها ، وهزم جيوش ابن طاهر من تلك الناحية وأجلاهم عنها ، بثَّ خيله ورجالَه في أطراف بغداد من الجانب الغربيّ ، وصار إلى قصر ابن هبيرة ، وبها بحونة بن قيس من قِبَل ابن طاهر ، فهرب منه من غير قتال جرى بينه وبينه ، ثم صار أبو نصر إلى نهر صَرْصَر ، واتصل بابن طاهر خبرُه وخبر الوقْعة التي كانت بين أبي الساج والأتراك بجرجَرايا وخذلان مَنْ معه من الفروض إياه عند احمرار البأس ، فندبَ بالفردلَ إلى اللحاق بأبي الساج والمسير بمَنْ معه إليه ، فسار بالفردل فيمَن معه غداةَ يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، فسار يومَه وصبّح المدائن ، فوافاها مع موافاة الأتراك ومَنْ هو مضموم إليهم من غيرهم ، وبالمدائن رجال ابن طاهر وقوّاده ، فقاتلهم الأتراك ، فانهزموا ، ولحق مَنْ فيها من القواد بأبي الساج ، وقاتل بالفردل قتالاً شديداً؛ ولما رأى انهزام مَنْ هنالك من أصحاب ابن طاهر مضى متوجّهاً نحو أبي الساج بمن معه فأدرِك فقتل.

وذكر عن ابن القواريريّ ـ وكان أحد القوّاد ـ قال: كنتُ وأبو الحسين بن هشام موكّلين بباب بغداد ومنكجور منفرد بباب ساباط ، وكان بقرب بابه ثُلْمة في سور المدائن ، فسألت منكجور أن يسدّها فأبى ، فدخل الأتراك منها ، وتفرّق أصحابه ، قال: وبقيت في نحو من عشرة أنفس ، ووافى بالفردل هو وأصحابه ، فقال: أنا الأمير ، أنا فارس ومعي فارسان ، نمضي على الشطّ وتكون الرجّالة على السفن ، فدافع ساعة ثم مضى لوجهه وعسكرُه في السفن على حالهم يريد أبا الساج ، أو تلك الناحية ، وأقمتُ بعده ساعة تامة ، وتحتي أشقر عليه حلية ، فصرت إلى نهر فعثر بي ، فسقطت عنه؛ وقصدوني يقولون: صاحب الأشقر؛ فخرجت من النهر راجلاً قد طرحت عني السلاح ، فنجوت.

وغضب ابن طاهر على ابن القواريريّ وأصحابه ، وأمرهم بلزوم منازلهم ، وغرق بالفردل.

* * *

ولأربع خلون من شوّال من هذه السنة ، جمع ـ فيما ذكر ـ محمد بن عبد الله بن طاهر جميعَ قوّاده الموكلين بأبواب بغداد وغيرهم؛ فشاورهم جميعاً في الأمور ، وأعلمهم ما ورد عليهم من الهزائم؛ فكلٌّ أجاب بما أحبّ من بذل النفس والدم والأموال ، فجزاهم خيراً وأدخلهم إلى المستعين ، وأعلمه ما ناظرهم فيه وما ردّوا عليه من الجواب ، فقال لهم المستعين: والله يا معشرَ القوّاد ، لئن قاتلت عن نفسي وسلطاني ما أقاتل إلا عن دولتكم وعامتكم ، وأن يردّ الله إليكم أموركم قبل مجيء الأتراك وأشباههم؛ فقد يجب عليكم المناصحة والجهد في قتال هؤلاء الفسقة؛ فرَدّوا أحسن مَرَدّ ، وجزاهم الخير ، وأمرهم بالانصراف إلى مراكزهم فانصرفوا.

* * *

[ذكر خبر هزيمة الأتراك ببغداد]

وفي يوم الإثنين لأيام خلَتْ من ذي القعدة من هذه السنة كانت وقعة عظيمة لأهل بغداد ، هزموا فيها الأتراك ، وانتهبوا عسكرهم؛ وكان سبب ذلك أن الأبوابَ كلَّها من الجانبين فُتِحت ونُصبت المجانيق والعرّادات في الأبواب كلها والشّبارات في دِجْلة ، وخرج منها الجند كلُّهم ، وخرج ابن طاهر وبُغا ووصيف حين تزاحف الفريقان ، واشتدّت الحرب إلى باب القطيعة ، ثم عبروا إلى باب الشّماسية ، وقعد ابن طاهر في قُبّة ضربت له ، وأقبلت الرُّماة من بغداد بالناوكيّة في الزواريق؛ ربما انتظم السهم الواحد عدّة منهم فقتلهم ، فهزِمت الأتراك ، وتبعهم أهل بغداد حتى صاروا إلى عسكرهم ، وانتهبوا سوقهم هنالك ، وضربوا زورقاً لهم كان يقال له الحديديّ ، كان آفةً على أهل بغداد بالنار ، وغرق من فيه ، وأخذوا لهم شبّارتين؛ وهرب الأتراك على وجوههم لا يلوون على شيء ، وجعل وصيف وبغا يقولان كلما جيءَ برأس: ذهب والله الموالي ، واتَّبعهم أهلُ بغداد إلى الرُّوذَبار ، ووقف أبو أحمد بن المتوكل يردّ الموالي ، ويخبرهم أنهم إن لم يكرّوا لم يبق لهم بقيّة؛ وأن القوم يتبعونهم إلى سامُرّا ، فتراجعوا ، وثاب بعضهم ، وأقبلت العامة تحزّ رؤوس مَنْ قتل؛ وجعل محمد بن عبد الله يطوّق كلّ منْ جاء برأس ويصله ، حتى كثر ذلك ، وبدت الكراهة في وجوه من مع بُغا

ووصيف من الأتراك والموالي؛ ثم ارتفعت غَبرة من ريح جنوب ، وارتفع الدخان مما احترق ، وأقبلت أعلام الحسن بن الأفشين مع أعلام الأتراك يقدمها علمٌ أحمر ، قد استلبه غلام لشاهك ، فنسي أن ينكِّسه؛ فلما رأى الناسُ العَلم الأحمر ومَنْ خلفه ، توهموا أن الأتراك قد رجعوا عليهم وانهزموا؛ وأراد بعضُ مَنْ وقف أن يقتل غلام شاهك ، ففهمه ، فنكس العلم ، والناس قد ازدحموا منهزمين؛ وتراجع الأتراك إلى معسكرهم ولم يعلموا بهزيمة أهل بغداد ، فتحمَّلُوا عليهم؛ فانصرف الفريقان بعضهم عن بعض.

* * *

[خبر وقعة أبي السلاسل مع المغاربة]

وفيها كانت وقعة لأبي السلاسل وكيل وصيف بناحية الجبل مع المغاربة ، وكان سبب ذلك ـ فيما ذكر ـ أنّ رجلاً من المغاربة يقال له نصر سَلهب ، صار بمجموعة من المغاربة إلى عمل بعض ما إلى أبي الساج من الأرض ، وانتهب هو وأصحابه ما هنالك من القُوَى؛ فكتب أبو السلاسل إلى أبي الساج يعلمه ذلك ، فوجّه أبو الساج إليه ـ فيما ذكر ـ بنحو من مئة نفس بين فارس وراجل؛ فلمّا صاروا إليه كبس أولئك المغاربة ، فقتل منهم تسعة ، وأسر عشرين ، وأفلت نصر سهلب سارياً.

* * *

[ذكر خبر وقوع الصلح بين الموالي وابن طاهر]

ووضعت الحربُ أوزارها بعد هذه الوقعة بين الموالي وابن طاهر؛ فلم يعودوا لها ، وكان السبب في ذلك ـ فيما ذكر ـ أنّ ابن الطاهر قد كان كاتب المعتزّ قبل ذلك في الصلح؛ فلما كانت هذه الوقعة أُنْكِرَتْ عليه؛ فكتب إليه؛ فذكر أنه لا يعود بعدها لشيء يكرهه؛ ثم أغلقت بعد ذلك على أهل بغداد أبوابها؛ فاشتدّ عليهم الحصار ، فصاحوا في أوّل ذي القعدة من هذه السنة في يوم الجمعة: الجوع! ومضوْا إلى الجزيرة التي هي تلقاء دار ابن طاهر؛ فأرسل إليهم ابن طاهر: وجِّهوا إليّ منكم خمسة مشايخ ، فوجَّهُوا بهم ، فأدخِلوا عليه؛ فقال

لهم: إنَّ من الأمور أموراً لا يعلم بها العامَّة؛ وأنا عليل، ولعلي أعطي الجند أرزاقهم ثم أخرج بهم إلى عدوّكم، فطابت أنفسُهم وخرجوا عن غير شيء، وعادت العامة والتّجار بعدُ إلى الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر؛ فصاحوا وشكوْا ما هم فيه من غلاء السعر، فبعث إليهم فسكَّنهم؛ ووعدهم ومنَّاهم، وأرسل ابن طاهر إلى المعتز في الصلح، واضطرب أمرُ أهل بغداد، فوافَى بغداد للنصف من ذي القعدة من هذه السنة حماد بن إسحاق بن حماد بن زيد، وَوُجِّه مكانه أبو سعيد الأنصاريّ إلى عسكر أبي أحمد رهينة، فلقي حماد بن إسحاق ابنَ طاهر، فخلا به فلم يُذكرَ ما جرى بينهما. ثم انصرف حماد إلى عسكر أبي أحمد، ورجع أبو سعيد الأنصاريّ، ثم رجع حماد إلى ابن طاهر، فجرت بين ابن طاهر وبين أبي أحمد رسائل مع حَمّاد.

ولتسع بقِين من ذي القعدة خرج أحمد بن إسرائيل إلى عَسْكر أبي أحمد مع حماد وأحمد بن إسحاق وكيل عبيد الله بن يحيى بإذن ابن طاهر لمناظرة أبي أحمد في الصلح.

ولسبعٍ بقين من ذي القعدة أمر ابنُ طاهر بإطلاق جميع مَنْ في الحبوس ممن كان حُبسَ بسبب ما كان بينه وبين أبي أحمد من الحروب ومعاونته إياه عليه فأطلقه، ومن غد هذا اليوم اجتمع قوم من رجّالة الجند وكثيرٌ من العامة، فطلب الجند أرزاقَهم، وشكت العامة سوءَ الحال التي هم بها من الضيق وغلاء السعر وشدّة الحصار، وقالوا: إمّا خرجتَ فقاتلتَ؛ وإما تركتَنا؛ فوعدهم أيضاً الخروج أو فتح الباب للصلح، ومنَّاهم، فانصرفوا.

فلما كان بعد ذلك، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة شَحَن السجون والجسر وباب داره والجزيرة بالجند والرجال، فحضر الجزيرة بَشَرٌ كثير، فطردوا مَنْ كان ابن طاهر صيّرهم فيها، ثم صاروا إلى الجسر من الجانب الشرقيّ، ففتحوا سجن النساء، وأخرجوا مَنْ فيه، ومنعهم عليّ بن جهشيار ومَنْ معه من الطبريّة من سجن الرجال، ومانعهم أبو مالك الموكل بالجسر الشرقيّ، فشجّوه وجرحوا دابتين لأصحابه؛ فدخل داره وخلاّهم، فانتهبوا ما في مجلسه، وشدّ عليهم الطبريّة فنحَّوْهم حتى أخرجوهم من الأبواب، وأغلقوها دونهم، وخرج منهم جماعة، ثم عبر إليهم محمد بن أبي عون، فضَمِن للجند

رزق أربعة أشهر؛ فانصرفوا على ذلك ، وأمر ابن طاهر بإعطاء أصحاب ابن جهشيار أرزاقَهم لشهرين من يومهم فأعْطُوا.

* * *

[ذكر بدء عزم ابن طاهر على خلع المستعين والبيعة للمعتزّ]

ووجّه أبو أحمد خمس سفائن من دقيق وحنطة وشعير وقَتّ وتبن إلى ابن طاهر في هذه الأيام ، فوصلت إليه ، ولما كان يوم الخميس لأربع خلْون من ذي الحجّة علم الناس ما عليه ابن طاهر من خَلْعِه المستعين وبيعته للمعتزّ ، ووجّه ابن طاهر قُوّاده إلى أبي أحمد حتى بايعوه للمعتزّ ، فخلع على كل واحد منهم أربع خلع ، وظنت العامة أن الصلح جرى بإذن الخليفة المستعين ، وأن المعتزّ وليّ عهده.

* * *

[خروج العامة ونصرة المستعين على ابن طاهر]

ولما كان يوم الأربعاء خرج رشيد بن كاوُسَ ـ وكان موكَّلاً بباب السلامة ـ مع قائد يقال له نهشل بن صخر بن خزيمة بن خازم وعبد الله بن محمود ، ووجّه إلى الأتراك بأنه على المصير إليهم ليكون معهم ، فوافاه من الأتراك زُهاء ألف فارس؛ فخرج إليهم على سبيل التسليم عليهم؛ على أنّ الصلح قد وقع ، فسلم عليهم ، وعانق مَنْ عرف منهم ، وأخذوا بلجام دابّته ، ومضوْا به وبابنه في أثره؛ فلما كان يوم الإثنين صار رُشيد إلى باب الشّماسيّة فكلّم الناس ، وقال: إنّ أمير المؤمنين وأبا جعفر يقرأان عليكم السلام ، ويقولان لكم: مَنْ دخلَ في طاعتنا قرّبناه ووصلناه ، ومن أثر غير ذلك فهو أعلم؛ فشتمه العامة ، ثم طاف على جميع أبواب الشرقية بمثل ذلك ، وهو يُشْتَم في كل باب ، ويشتَم المعتزّ فلما فعل رشيد ذلك علمت العامة ما عليه ابن طاهر ، فمضت إلى الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر؛ فصاحوا به وشتمُوه أقبح شتم؛ ثم صاروا إلى بابه ، ففعلوا مثل ذلك ، فخرج إليهم راغب الخادم ، فحضَّهم على ما فعلوا ، وسألهم الزيادة فيما هم فيه من نصرة المستعين ، ثم مضى إلى الحظيرة التي فيها الجيش ، فمضى بهم وجماعة أُخَر غيرهم وهم زُهاء ثلثمئة في السلاح ، فصاروا إلى باب ابن طاهر ،

فكشفوا من عليه وردُّوهم ، فلم يبرحوا يقاتلونهم؛ حتى صاروا إلى دهليز الدّار ، وأرادوا إحراق الباب الداخل فلم يجدوا ناراً ، وقد كانوا باتوا بالجزيرة الليل كله يشتمونه ويتناولونه بالقبيح.

وذكر عن ابن شجاع البلخيّ أنه قال: كنتُ عند الأمير وهو يحدّثني ويسمع ما يُقذف به من كلّ إنسان؛ حتى ذكروا اسم أمِّه ، فضحك وقال: يا أبا عبد الله ، ما أدري كيف عرفوا اسم أمي! ولقد كان كثير من جواري أبي العباس عبد الله بن طاهر لا يعرفون اسمَها ، فقلت له: أيها الأمير ، ما رأيت أوسعَ من حلمك ، فقال لي: يا أبا عبد الله ، ما رأيت أوفَق من الصبر عليهم؛ ولابدّ من ذلك ، فلما أصبحوا وافوا الباب ، فصاحوا؛ فصار ابن طاهر إلى المستعين يسأله أن يطلع إليهم ويسكّنهم ويعلمهم ما هو عليه لهم؛ فأشرف عليهم من أعلى الباب وعليه البُرْدة ، والطَّويلة ، وابن طاهر إلى جانبه ، فحلف لهم بالله ما اتَّهمهُ؛ وإني لفي عافية ما عليّ منه بأس؛ وإنه لم يخلع ، ووعدهم أنه يخرج في غد يوم الجمعة ليصلّيَ بهم ، ويظهر لهم. فانصرف عامّتهم بعد قتلى وقعت.

ولما كان يوم الجمعة بكّر الناس بالصياح يطلبون المستعين ، وانتهبُوا دوابّ عليّ بن جهشيار - وكانت في الخراب ، على باب الجسر الشرقيّ - وانتهب جميع ما كان في منزله وهرب؛ وما زال الناس وقوفاً على ما هم عليه إلى ارتفاع النهار ، فوافى وصيف وبُغا وأولادهما ومواليهما وقُوّادهما وأخوال المستعين؛ فصار الناس جميعاً إلى الباب ، فدخل وصيف وبُغا في خاصّتهما ودخل أخوال المستعين معهم إلى الدهليز ، ووقفوا على دوابّهم ، وأعلم ابن طاهر بمكان الأخوال؛ فأذن لهم بالنزول فأبوْا ، وقالوا: ليس هذا يوم نزولنا عن ظهور دوابنا حتى نعلم نحن والعامة ما نحن عليه؛ ولم تزل الرّسل تختلف إليهم ، وهم يأبوْن ، فخرج إليهم محمد بن عبد الله نفسه ، فسألهم النزول والدخول إلى المستعين ، فأعلموه أنّ العامة قد ضجّت مما بلغها وصحّ عندها ما أنت عليه من خلْع المستعين والبَيْعة للمعتزّ ، وتوجيهك القوّاد بعد القواد للبيعة للمعتزّ ، وإرادتك التهويل ليصيرَ الأمر إليه ، وإدخاله الأتراك والمغاربة بغداد ، فيحكموا فيهم بحكمهم فيمن ظهروا عليه من أهل المدائن والقُرى ، واستراب بك أهل بغداد.

واتّهمُوك على خليفتهم وأموالهم وأولادهم وأنفسهم؛ وسألوا إخراجَ الخليفة إليهم ليروْه ويكذّبوا ما بلغهم عنه، فلما تبين محمد بن عبد الله صحّةَ قولهم، ونظر إلى كثرة اجتماع الناس وضجيجهم سأل المستعين الخروج إليهم، فخرج إلى دار العامة التي كان يدخلها جميعُ الناس، فنُصب له فيها كرسيٌّ وأدخل إليه جماعة من الناس فنظرُوا إليه، ثم خرجوا إلى من وراءهم؛ فأعلموهم صحّةَ أمره، فلم يقنعوا بذلك؛ فلما تبيّن له أنهم لا يسكنون دون أن يخرج إليهم ـ وقد كان عرف كثرة الناس ـ أمرَ بإغلاق الباب الحديد الخارج فأغلِق، وصار المستعين وأخواله ومحمد بن موسى المنجّم ومحمد بن عبد الله إلى الدرجة التي تُفضي إلى سطوح دار العامة وخزائن السلاح، ثم نصب لهم سلاليم على سطح المجلس الذي يجلس فيه محمد بن عبد الله والفتح بن سهل، فأشرف المستعين على الناس وعليه سَواد، وفوق السواد برْدة النبي ﷺ، ومعه القضيب؛ فكلّم الناس وناشدَهم، وسألهم بحقّ صاحب البردة إلا انصرفوا؛ فإنه في أمْن وسلامة، وإنه لابأس عليه من محمد بن عبد الله، فسألوه الرُّكوب معهم والخروج من دار محمد بن عبد الله لأنهم لا يأمنونه عليه، فأعلمهم أنه على النقلة منها إلى دار عمته أمّ حبيب ابنة الرشيد؛ بعد أن يصلح له ما ينبغي أن يسكن فيه، وبعد أن يحوّل أمواله وخزائنه وسلاحه وفرشه وجميع ماله في دار محمد بن عبد الله؛ فانصرف أكثرُ الناس وسكن أهل بغداد.

ولما فعل أهل بغداد ما فعلوا من اجتماعهم على ابن طاهر مرّة بعد مرّة وإسماعهم إياه المكروه، تقدّم إلى أصحاب المعاون ببغداد بتسخير ما قَدرُوا عليه من الإبل والبغال والحمير لينتقل عنها.

وذكروا أنه أراد أن يقصد المدائن، واجتمع على بابه جماعة من مشايخ الحربية والأرباض جميعاً؛ يعتذرون إليه، ويسألونه الصَّفح عمّا كان منهم، ويذكرون أنّ الذي فعل ذلك الغوغاء والسُّفهاء لسوء الحال التي كانوا بها والفاقة التي نالتْهم، فردّ عليهم ـ فيما ذكر ـ ردّاً جميلاً، وقال لهم قولاً حسناً، وأثنى عليهم، وصفح عمّا كان منهم، وتقدّم إليهم بالتقدّم إلى شبابهم وسفهائهم في الأخذِ على أيديهم وأجابهم إلى ترك النقْلة، وكتب إلى أصحاب المعاون بترك السخْرة.

[ذكر خبر انتقال المستعين إلى دار رزق الخادم بالرصافة]

ولأيام خَلَوْن من ذي الحجة انتقل المستعين من دار محمد بن عبد الله ، وركب منها ، فصار إلى دار رزق الخادم في الرُّصافة ، ومرّ بدار عليّ بن المعتصم ، فخرج إليه عليّ ، فسأله النزولَ عنده؛ فأمره بالرّكوب ، فلما صار إلى دار رزق الخادم نزلها ، فوصل إليها ـ فيما ذكر ـ مساء ، فأمر للفرسان من الجند حين صار إليها بعشرة دنانير لكلّ فارس منهم ، وبخمسة دنانير لكلّ راجل ، وركب بركوب المستعين ابن طاهر ، وبيده الحربة يسير بها بين يديه ، والقوّاد خلفه ، وأقام ـ فيما ذكر ـ مع المستعين ليلة انتقل إلى دار رزق محمد بن عبد الله إلى ثلث الليل؛ ثم انصرف ، وبات عنده وصيف وبُغا حتى السَّحَر ، ثم انصرفا إلى منازلهما .

ولمّا كان صبيحةُ الليلة التي انتقل المستعين فيها من دار ابن طاهر اجتمع الناس في الرُّصافة ، وأمِر القوّاد وبنُو هاشم بالمصير إلى ابن طاهر والسلام عليه ، وأن يسيرُوا معه إذا ركب إلى الرّصافة ، فصاروا إليه؛ فلما كان الضحى الأكبر من ذلك اليوم؛ ركب ابن طاهر وجميع قوّاده في تعبئة وحوله ناشبة رجَّالة؛ فلما خرج من داره وقَف للناس ، فعاتبهم وحلف أنه ما أضمر لأمير المؤمنين ـ أعزّه الله ـ ولا لوليّ له ولا لأحدٍ من الناس سوءاً ، وأنه ما يريد إلا إصلاح أحوالهم ، وما تدوم به النعمة عليهم ، وأنهم قد توهّموا عليه ما لا يعرفه ، حتى أبكى الناس ، فدعا له مَنْ حضر ، وعبر الجسر ، وصار إلى المستعين ، وبعث فأحضر جيرانه ، ووجوه أهل الأرباض من الجانب الغربيّ ، فخاطبهم بكلام عاتبهم فيه ، واعتذر إليهم مما بلغهم ، ووجَّه وصيف وبُغا مَنْ طاف على أبواب بغداد ، ووكّلا صالح بن وصيف بباب الشّماسية .

وذُكر: أنّ المستعين كان كارهاً لنقله عن دار محمد؛ ولكنه انتقل عنها من أجل الناس ركبوا الزواريق بالنّفاطين ليضربوا روشن بن طاهر بالنار لمّا صَعُبَ عليهم فتحُ بابه يوم الجمعة .

وذكر: أنّ قوماً منهم كنجور، وقفوا باب الشّماسيّة من قِبَل أبي أحمد، فطلبوا ابنَ طاهر ليكلموه، فكتب إلى وصيف يعلمه خبر القوم، ويسأله أن يعلم المستعين ذلك ليأمر فيه بما يرى؛ فردّ المستعين الأمر في ذلك إليه؛ وأنّ التدبير في جميع ذلك مردود إليه، فيتقدّم في ذلك بما رأى.

وذُكِر أنّ عليّ بن يحيى بن أبي منصور المنجم كلّم محمد بن عبد الله في ذلك بكلام غليظ، فوثب عليه محمد بن أبي عون فأسمعه وتناوله.

وذُكِر عن سعيد بن حُميد: أنّ أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وعبيد الله بن يحيى خَلَوْا بابن طاهر؛ فما زالوا يفتلونه في الذّروة والغارب، ويشيرون عليه بالصلح، وأنه ربما كان عنده قوم فأجْرَوا الكلام في خلاف الصُّلْح، فيكشر في وجوههم، ويعرض عنهم؛ فإذا حضر هؤلاء الثلاثة أقبَل عليهم وحادثهم وشاورهم.

وذكر عن بعضهم: أنه قال: قلت لسعيد بن حميد يوماً: ما ينبغي إلا أن يكون قد كان انطوى على المداهنة في أوّل أمره؛ قال: وددت أنه كان كذلك؛ لا والله ما هو إلاّ أن هُزِم أصحابه من المدائن والأنبار حتى كاتب القوم، وأجابهم بعد أن كان قد جادَّهم.

وحدّثني أحمد بن يحيى النحويّ ـ وكان يؤدّب ولد ابن طاهر ـ أنّ محمد بن عبد الله لم يزل جادّاً في نُصْرة المستعين حتى أحفظه عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فقال له: أطال الله بقاءك! إنّ هذا الذي تنصره وتجدّ في أمره من أشدّ الناس نفاقاً، وأخبثهم ديناً؛ والله لقد أمر وصيفاً وبغا بقتلك، فاستعظما ذلك ولم يفعلاه، وإن كنت شاكّاً فيما وصفت من أمره، فسلْ تُخْبَرْه؛ وإن مِنْ ظاهر نفاقه أنه كان وهو بسامُرّا لا يجهر في صلاته ببسم الله الرحمن الرحيم؛ فلما صار إلى ما قبلَك، جهر به مراءاةً لك؛ وتترك نصرة وليك، وصهرك وتربيتك؛ ونحو ذلك من كلام كلّمه به؛ فقال محمد بن عبد الله: أخزى الله هذا، لا يصلح لدين ولا دنيا، قال: وكان أوّل مَنْ تقدّم على صرف محمد بن عبد الله عن الجِدّ في أمر المستعين عبيد الله بن يحيى في هذا المجلس، ثم ظاهر عبيد الله بن يحيى على

ذلك أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد؛ فلم يزالوا به حتى صرفوه عمّا كان عليه من الرّأي في نصرة المستعين.

* * *

وفي يوم الأضحى من هذه السنة صلّى بالناس المستعين صلاة الأضْحَى في الجزيرة التي بحذاء دار ابن طاهر، وركب وبين يديه عبيد الله بن عبد الله، معه الحربة التي لسليمان، وبيد الحسين بن إسماعيل حربة السلطان، وبُغا ووصيف يكنُفانه؛ ولم يركب محمد بن عبد الله بن طاهر، وصلى عبد الله بن إسحاق في الرُّصَافة.

* * *

[ذكر بدء المفاوضة في أمر خلع المستعين]

وفي يوم الخميس ركب محمد بن عبد الله إلى المستعين، وحضره عدّة من الفقهاء والقضاة، فذُكِر أنه قال للمستعين: قد كنتَ فارقتَني على أن تنفذ في كل ما أعزم عليه؛ ولك عندي بخطّك رقعة بذلك، فقال المستعين: أحضِر الرُّقعة، فأحضرها؛ فإذا فيها ذكر الصلح؛ وليس فيها ذكر الخلْع، فقال: نعم، أنفذ الصلح، فقام الخَلنجيّ فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنه يسألك أن تخلع قميصاً قَمَّصك به الله، وتكلّم عليّ بن يحيى المنجّم فأغلظ لمحمد بن عبد الله.

ثم ركب بعد ذلك محمد بن عبد الله ـ وذلك للنصف من ذي الحجة ـ إلى المستعين بالرّصافة، ثم انصرف ومعه وصيف وبُغا، فمضوْا جميعاً حتى صاروا إلى باب الشماسيّة، فوقف محمد بن عبد الله على دابّته، ومضى وصيف وبُغا إلى دار الحسن بن الأفشين، وانحدرت المبيّضة والغوغاء من السور، ولم يطلق لأحد فتح الأبواب، وقد كان خرج قبل ذلك جماعةٌ كثيرة إلى عسكر أبي أحمد، فاشتروا ما أرادوا، فلمّا خرج من ذكرنا إلى باب الشّماسية نودي في أصحاب أبي أحمد ألا يباع من أحد من أهل بغداد شيء، فمُنعوا من الشراء، وكان قد ضرب لمحمد بن عبد الله بباب الشَّماسيّة مضرب كبير أحمر؛ وكان مع ابن طاهر بندار الطبريّ وأبو السنا ونحو من مئتي فارس ومئتي راجل، وجاء أبو أحمد في

زلّال حتى قرب من المضرب ، ثم خرج ودخل المضرَب مع محمد بن عبد الله ، ووقف الذين مع كلّ واحد منهما من الجُنْد ناحية ، فتناظر ابن طاهر وأبو أحمد طويلاً ، ثم خرجا من المضرَب ، وانصرف ابنُ طاهر من مضرَبه إلى داره في زلّال؛ فلما صار إليها خرج من الزلّال ، فركب ومضى إلى المستعين ليخبرَه بما دار بينه وبين أبي أحمد ، وأقام عنده إلى العَصْر ، ثم انصرف؛ فذُكر أنه فارقه على أن يعطَى خمسين ألف دينار ، ويُقطَع غلّة ثلاثين ألف دينار في السنة؛ وأن يكون مقامه بغداد حتى يجتمع لهم مال يُعطون الجند ، وعلى أن يولَّى بُغا مكة والمدينة والحجاز ، ووصيف الجبل وما والاه ، ويكون ثلث ما يجيء من المال لمحمد بن عبد الله ، وجُنْد بغداد والثلثان للموالي والأتراك.

وذُكر أنّ أحمد بن إسرائيل لما صار إلى المعتزّ ولّاه ديوانَ البريد ، وفارقه على أن يكون هو الوزير وعيسى بن فرّخانشاه على ديوان الخراج وأبو نوح على الخاتم والتوقيع؛ فاقتسموا الأعمال ، فوردت خريطة الموسم إلى بغداد بالسلامة ، فبعث بها إلى أبي أحمد ، ثم ركب ابن طاهر ـ فيما قيل ـ لأربع عشرة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة إلى المستعين ، لمناظرته في الخلْع ، فناظره فامتنع عليه المستعين ، وظنّ المستعين أن بُغا ووصيفاً معه ، فكاشفاه فقال المستعين: هذا عُنقي والسيف والنِّطع؛ فلما رأى امتناعه انصرف عنه ، فبعث المستعين إلى ابن طاهر بعليّ بن يحيى المنجم وقوم من ثقاته ، وقال: قولوا له: اتق الله ، فإنما جئتك لتدفع عني؛ فإن لم تدفع عني فكُفّ عني ، فردّ عليه؛ أمّا أنا فأقعد في بيتي؛ ولكن لابدّ لك من خلعها طائعاً أو مكرهاً.

وذكر عن عليّ بن يحيى أنه قال له: قل له: إن خلعتَها فلابأس؛ فوالله لقد تمزّقت تمزقاً لا يُرقع؛ وما تركتَ فيها فضلاً ، فلما رأى المستعين ضعفَ أمره وخذلانَ ناصريه أجاب إلى الخلْع؛ فلما كان يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيَتْ من ذي الحجة وجّه ابنُ طاهر ابنَ الكرديّة وهو محمد بن إبراهيم بن جعفر الأصغر بن المنصور والخلنجيّ وموسى بن صالح بن شيخ وأبا سعيد الأنصاريّ وأحمد بن إسرائيل ومحمد بن موسى المنجم إلى عسكر أبي أحمد ليوصِلوا كتابَ محمد إليه بأشياء سألها المستعين من حين نُدِب إلى أن يخلع نفسه ، فأوصلوا الكتاب ، فأجاب إلى ما سأل ، وكتب الجواب بأن يُقطع وينزل مدينة

الرسول ﷺ ، وأن يكون مضطرَبُه من مكة إلى المدينة ، ومن المدينة إلى مكة ، فأجابه إلى ذلك؛ فلم يقنع المستعين إلا بخروج ابن الكرديّة بما سأل إلى المعتزّ ، حتى يكتب بإجابته بذلك بخطه بعد مشافهة ابن الكرديّة المعتزّ بذلك ، فتوجَّه ابن الكردية بها.

وكان سبب إجابة المستعين إلى الخَلْع ـ فيما ذكر ـ أن وصيفاً وبُغا وابن طاهر ناظروه في ذلك وأشاروا عليه؛ فأغلظ لهم فقال له وصيف: أنت أمَرتنا بقتل باغر؛ فصِرْنا إلى ما نحن فيه؛ وأنت عرّضتنا لقتل أوتامش، وقلت: إنّ محمداً ليس بناصح؛ وما زالوا يفزِّعونه ويحتالون له، فقال محمد بن عبد الله: وقد قلت لي إنّ أمرنا لا يصطلح إلا باستراحتنا من هذيْن؛ فلمّا اجتمعت كلمتُهم أذعن لهم بالخلْع وكتب بما اشترط لنفسه عليهم؛ وذلك لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة.

ولمّا كان يومُ السَّبْت لعشر بقين من ذي الحجَّة؛ ركب محمد بن عبد الله إلى الرُّصافة وجميع القضاة والفقهاء ، وأدخلهم على المستعين فوجاً فوجاً ، وأشهدهم عليه أنه قد صيَّر أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر؛ ثم أدخل عليه البوّابين والخدَم ، وأخذ منه جوهر الخلافة ، وأقام عنده حتى مضى هُوِيّ من الليل ، وأصبح الناس يرجُفون بألوان الأراجيف ، وبعث ابن طاهر إلى قوّاده في موافاته؛ مع كلّ قائد منهم عشرة نفر من وجوه أصحابه ، فوافوْه ، فأدخلهم ومنّاهم ، وقال لهم: إنما أردت بما فعلت صلاحكم وسلامتَكم وحقْنَ الدماء ، وأعدّ للخروج إلى المعتزّ في الشروط التي اشترطها للمستعين ولنفسه ولقوّادِه قوماً ليوقِّع المعتزّ في ذلك بخطه ، ثم أخرجهم إلى المعتزّ ، فمضوا إليه حتى وقّع في ذلك بخطه إِمضاءً كل ما سأل المستعين وابن طاهر لأنفسهما من الشُّروط ، وشهدوا عليه بإقراره بذلك كله ، وخلَع المعتزّ على الرّسل ، وقلَّدهم سيوفاً ، وانصرفوا بغير جائزة ولا نظر في حاجة لهم ، ووجَّه معهم لأخذ البيعة له على المستعين جماعة من عنده؛ ولم يأمر للجند بشيء.

وحُمل إلى المستعين أمه وابنته وعياله بعدما فتّش عياله ، وأخذ منهم بعض ما كان معهم مع سعيد بن صالح؛ فكان دخول الرسل بغداد منصرَفهم من عند المعتزّ يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومئتين.

وذكر أن رسل المعتزّ لما صاروا بالشماسيّة ، قال ابن سجّادة : أنا أخاف من أهل بغداد ؛ فإمّا أن يحمل المستعين إلى الشماسيّة أو إلى دار محمد بن عبد الله ليبايع المعتزّ ، ويخلَع نفسه ويؤخذ منه القضيب والبُرْدة[١] .

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة كان ظهورُ المعروف بالكوكبي بقزوين وزَنجان وغلبتُه عليها وطرده عنها آل طاهر ؛ واسم الكوكبيّ الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

* * *

وفيها قطع بنو عُقيل طريق جُدّة ، فحاربهم جعفر بشاشات ، فقُتِل من أهل

---

(١) هذه التفاصيل الطويلة ابتداءً من (٩/ ٢٨٢).
وانتهاءً بهذه الصفحة (٣٤٥) علقنا على بعضها آنفاً وقلنا بأننا لم نجد ما يؤيدها من مصادر متقدمة موثوقة أخرى وقد ذكرها ابن الجوزي مختصراً (١٢/ ٤٣ ـ ٤٩).
وكذلك ابن كثير وقال ثم جرت بينهما حروب طويلة وفتن مهولة جداً قد ذكرها ابن جرير مطولة [البداية والنهاية ٨/ ٢١٩].
ولا نستطيع الجزم بصحة كل هذه التفاصيل أو عدم صحتها وفي بعض أجزائها نكارة واضحة والله تعالى أعلم.
وقد اختصر الحافظ السيوطي رحمه الله هذه الأحداث قائلاً :
ولما تنكر له (أي للمستعين) الأتراك خاف وانحدر من سامراء إلى بغداد فأرسلوا إليه يعتذرون ويخضعون له ويسألونه الرجوع فامتنع فقصدوا الحبس وأخرجوا المعتز بالله وبايعوه وخلعوا المستعين ، ثم جهز المعتز جيشاً كثيفاً لمحاربة المستعين واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين فوقعت بينهما وقعات ، ودام القتال أشهراً وكثر القتل وغلت الأسعار وعظم البلاء وانحلّ أمر المستعين فسعوا في الصلح على خلع المستعين وقام في ذلك إسماعيل القاضي وغيره بشروط مؤكدة [تأريخ الخلفاء / ٤٠٦].
وقد وصف السيوطي الخليفة المستعين بقوله : وكان خيراً فاضلاً بليغاً أديباً.
ولم نر ذكراً لخلافة المستعين عند غير الطبري من المؤرخين الثقات والأخباريين المتقدمين سوى ما قاله ابن قتيبة الدينوري متجاوزاً كل هذه التفاصيل مقتصراً على ثلاثة عناوين (البيعة ثم الخلع ثم القتل) فقال : ثم بويع أحمد المستعين بالله بن محمد بن أبي إسحاق المعتصم بعده وخلع في آخر سنة إحدى وخمسين ومئتين وقتل سنة اثنتين وخمسين ومئتين [المعارف/ ٢٠٠].

مكة نحوٌ من ثلثمئة رجل ، وبعض بني عقيل القائل :

عليك ثوبانِ وأُمِّي عاريَهْ فألقِ لي ثوبَك يا بنَ الزانيهْ

فلما فعل بنو عُقَيْل ما فعلوا غلتْ بمكة الأسعار ، وأغارت الأعراب على القرى .

[ذكر خبر خروج إسماعيل بن يوسف بمكّة](١)

وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب بمكة ، فهرب جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى العامل على مكة ، فانتهب إسماعيل بن يوسف منزلَ جعفر ومنزلَ أصحاب السلطان ، وقتل الجند وجماعة من أهل مكة ، وأخذ ما كان حمل لإصلاح العيْن من المال وما كان في الكعبة من الذّهب ، وما في خزائنها من الذّهب والفِضّة ، والطّيب وكُسوة الكعبة ، وأخذ من الناس نحواً من مئتي ألف دينار ، وأنهب مكة ، وأحرق بعضها في شهر ربيع الأول منها ، ثم خرج منها بعد خمسين يوماً ، ثم صار إلى المدينة ، فتوارَى عليّ بن الحسين بن إسماعيل العامل عليها ، ثم رجع إسماعيل إلى مكة في رجَب ، فحصرهم حتى تماوَت أهلُها جوعاً وعطشاً؛ وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم ، واللحم رطل بأربعة دراهم ، وشربة ماء ثلاثة دراهم؛ ولقيَ أهلُ مكة منه كلَّ بلاء ، ثم رحل بعد مقام سبعةٍ وخمسين يوماً إلى جُدّة ، فحبس عن الناس الطعام ، وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب ، فحمل إلى مكة الحنطة والذّرة من اليمن ، ثم وافت المراكب من القُلْزُم ، ثم وافى إسماعيل بن يوسف الموقف؛ وذلك يوم عرفة ، وبه محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقب كعب البقر ، وعيسى بن محمد المخزوميّ صاحب جيش مكة ـ وكان المعتزّ وجّههما إليها ـ فقاتلهم ، فقتل نحو من ألف ومئة من الحاجّ ، وسلب الناس ، وهربوا إلى مكة ، ولم يقفوا بعرَفة ليلاً ولا نهاراً ، ووقف إسماعيل وأصحابه ، ثم رجع إلى جُدّة فأفنى أموالها .

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٥٠).

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر المستعين وبيعة المعتزّ][(١)]

فمن ذلك ما كان من خلع المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم نفسَه من الخلافة. وبيعته للمعتزّ محمد بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم، والدّعاء للمعتزّ على منبريْ بغداد ومسجديْ جانبيها الشرقيّ منها والغربيّ، يوم الجمعة، لأربع خلوْن من المحرّم من هذه السنة، وأخذ البيعة له بها على مَنْ كان يومئذ بها من الجُنْد.

وذكر أن ابن طاهر دخل على المستعين ومعه سعيد بن حميد حين كتب له بشروط الأمان، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد كتب سعيد كتب الشروط وأكَّد غاية التأكيد، فنقرؤه عليك فتسمعه؟ فقال له المستعين: لا عليك! ألا تركتها يا أبا العباس؛ فما القوم بأعلم بالله منك؛ قد أكدتَ على نفسك قبلهم فكان ما قد علمت، فما ردّ عليه محمد شيئاً.

ولما بايع المستعين المعتزّ، وأخذ عليه البيعة ببغداد، وأشهد عليه الشهود من بني هاشم والقضاة والفقهاء والقوّاد نقل من الموضع الذي كان به من الرُّصافة إلى قصر الحسن بن سهل بالمخرِّم، هو وعياله وولده وجواريه، فأنزلوهم فيه جميعاً، ووكّل بهم سعيد بن رجاء الحِضَاريّ في أصحابه، وأخذ المستعين البُرْدة والقضيب والخاتم، ووجَّه مع عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وكتب معه:

أما بعد؛ فالحمد لله متمّم النعم برحمته، والهادي إلى شكره بفضله، وصلّى الله على محمد عبده ورسوله؛ الذي جمع له ما فرّق من الفضل في الرّسل قبلَه، وجعل تراثه راجعاً إلى مَنْ خَصّه بخلافته، وسلَّم تسليماً، كتابي إلى أمير المؤمنين وقد تمّم الله له أمرَه، وتسلّمت تُراث رسول الله ﷺ ممن كان عنده،

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٥٥) فقد ذكر الخبر مختصراً، أما القصائد والأبيات الشعرية فلم يذكرها ابن الجوزي وقد ذكر ابن كثير طرفاً منها وقال وقد ذكر ابن الجوزي مدائح الشعراء في المعتز وتشفيهم بخلع المستعين فأكثر من ذلك جداً [البداية والنهاية / ٨/ ٢٢٢].

وأنفذتُه إلى أمير المؤمنين مع عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبده.

ومنع المستعين الخروج إلى مكة، واختار أن ينزل البصرة، فذكر عن سعيد بن حميد أن محمد بن موسى بن شاكر، قال: البصرة وبيّة، فكيف اخترت أن تنزلها! فقال المستعين: هي أوْبى، أو ترك الخلافة!

وذكر: أنّ قُرْب جارية قبيحة جاءت برسالة إلى المستعين من المعتزّ، يسأله أن ينزل عن ثلاث جوارٍ كان المستعين تزوجهنّ من جواري المتوكل، فنزل عنهنّ، وجعل أمرهنّ إليهنّ؛ وكان احتبس عنده من الجوهر خاتمين يقال لأحدهما البُرْج وللآخر الجَبَل، فوجَّه إليه محمد بن عبد الله بقُرْبَ خاصيّة المعتزّ وجماعة، فدفعهما إليهم، وانصرفوا بذلك إلى محمد بن عبد الله، فوجّه به إلى المعتزّ.

ولست خلون من المحرَّم دخل ـ فيما قيل ـ بغداد أكثر من مئتي سفينة، فيها من صنوف التجارات وغنم كثير، وأُشخِص المستعين مع محمد بن مظفّر بن سَيسَل وابن أبي حفصة إلى واسط في نحو من أربعمئة فرسان ورجّالة، وقدم بعد ذلك على ابن طاهر عيسى بن فرّخانشاه وقُرْب، فأخبراه أن ياقوتة من جوهر الخلافة قد حبَسها أحمد بن محمّد عنده؛ فوجّه ابنُ طاهر الحسين بن إسماعيل فأخرجهما فإذا ياقوتة بهيّة، أربع أصابع طولاً في عرض مثل ذلك، وإذا هو قد كتب عليها اسمه، فدفعت إلى قُرْب، فبعثتْ بها إلى المعتزّ.

واستوزر المعتزّ أحمد بن إسرائيل، وخلع عليه، ووضع تاجاً على رأسه، وشخص أبو أحمد إلى سامُرّا يوم السبت لاثنتي عشرة خلت من المحرّم منها، وشيَّعه محمد بن عبد الله والحسن بن مخلد، فخلع على محمد بن عبد الله خمس خلع وسيفاً، ورجع من الرّوذباز.

وقال بعض الشعراء في خلع المستعين:

خُلِعَ الخلافةَ أحمدُ بنُ محمدٍ ... وسيُقتَلُ التالي له أو يُخلَعُ
ويزولُ مُلكُ بني أَبيه ولا يُرى ... أحدٌ تَملّكَ منهمُ يَستَمتِعُ
إيهاً بني العباس إنَّ سبيلَكمْ ... في قتلِ أعبُدكُمْ طريقٌ مَهْيَعُ
رَقَّعتمُ دُنياكمُ فتمزَّقَتْ ... بكُم الحياةُ تمزُّقاً لا يُرقَعُ

وقال بعض البغداديين:

إنّي أراكَ من الفِراقِ جزوعَا ... أضحى الإمامُ مسَيَّراً مخلوعا

كـانـت بـه الآفـاقُ تضحَـكُ بهجَـةً وَهـو الـربيـعُ لمـن أَراد ربيعَـا
لا تُنكِـري حَـدثَ الـزمـانِ وريْبَـه إنّ الـزمـانَ يُفـرِّقُ المجمُـوعـا
لَبِـسَ الخـلافـةَ واستجـدَّ محبّـةً يقضـي أُمـورَ المسلميـنَ جميعـا
فجنَـتْ عليـه يـدُ الـزمـانِ بَصـرفِـه حَرْباً وكانَ عن الحُروب شَسُوعا
وتجـانـفَ الأتـراك عنـه تمـرُّداً أضْحَـى وكـان ولا يُـرَاعُ مـروعـا
فنَـزا بهـم ، فَنَـزوْا بـه وتَعـاورتْ أيْـدِي الكمـاةِ مـن الـرؤوس نجيعـا
فـأزالـه المقـدارُ عـن رُتَـبِ العـلا فثَـوَى بِـواسـطَ لا يُحِـسُّ رُجـوعـا
غَدَرُوا به ، مكروا به ، خانوا به لـزِمَ الفـراشَ وحـالَـفَ التَّضجيعـا
وتكنَّفُـوا بغـدادَ مـن أقطـارِهـا قـد ذلَّلـوا مـا كـان قبـلُ مَنِيعـا
ولـو أنـه سعَـرَ الحـروبَ بنفسِـه متلبِّبـاً للقـائهـنَّ دُروعَـا
حتـى يُصـادِمَ بـالكمـاة كمـاتـهُ فيكـون مـن قَصدَ الحروبَ صَريعا
لَغَـدَا علـى رَيْـب الـزمـان مُحـرَّمـاً ولكـانَ إذ غَـدَرَ اللئـامُ مَنِيعـا
لكـنْ عصَـى رأيَ الشفيـق وعـذْلَـهُ وغَـدا لأمـر النـاكثيـنَ مُطِيعَـا
والمُلـكُ ليـس بمـالـكٍ سلطـانَـه مَـنْ كـان للـرأيِ السَّديـد مضيعـا
مـا زالَ يَخْـدَعُ نفسَـه عـن نفسِـه حتـى غَـدا عـن ملكـه مخـدُوعـا
بـاع ابـنُ طـاهـر دينَـه عـن بيعـةٍ أمسـى بهـا مُلـكُ الإمـام مَنيعـا
خلـعَ الخـلافـة والـرعيّـةَ فـاغتـدى مـن ديـنِ ربِّ محمـدٍ مخلـوعـا
فلْيَجْـرَعـنَّ بـذاك كـأسـاً مُـرَّةً وليُلفيَـنَّ لتـابعيـه تبيعـا

وقال محمد بن مروان بن أبي الجَنوب بن مروان حين خلع المستعين ، وصار إلى واسط :

إنَّ الأُمـورَ إلـى المعتزّ قـد رَجَعَـتْ والمُستعـان إلـى حـالاتِـهِ رَجَعَـا
وكـان يَعلـمُ أنَّ المُلـكَ ليـس لـه وأنَّـه لَـك لكـنْ نفسَـه خـدعَـا
ومـالـكُ المُلـكِ مـؤتيـهِ ونـازعُـه آتـاك مُلكـاً ومنـه الملـك قـد نَـزَعـا
إنَّ الخـلافـةَ كـانـت لا تُـلائِمُـهُ كـانـت كَـذَاتِ حليـل زُوّجَـتْ مُتَعَـا
مـا كـان أقبـحَ عنـد النـاسِ بيعتَـه وكان أحسَنَ قَوْلَ الناسِ قد خلِعا
ليـتَ السَّفِيـنَ إلـى قـافٍ دفَعْـنَ بـه نفسـي الفِـداءُ لمـلَّاحٍ بـه دَفَعـا
كم ساسَ قبلكَ أمرَ الناس من ملك لـو كـان حُمّـلَ مـا حُمِّلتَـه ظَلَعـا

أَمْسَى بكَ الناسُ بعد الضِّيق في سَعَةٍ ... واللهُ يَجعلُ بعد الضِّيقِ مُتَّسَعَا
واللهُ يدفعُ عنك السّوءَ من مَلكٍ ... فإنه بكَ عنَّا السوءَ قد دَفَعَا
ما ضاع مدحي ولا ضاع اصطناعُك لي ... وقد وَجَدْتُ بحمد اللهِ مُصْطَنعا
فارْدُدْ عليَّ بنجدٍ ضَيْعة قبِضَتْ ... فإنَّ مِثلكَ مثلي يُقطِعُ الضيَعا
فإنْ رَدَدْتَ إمام العَدْلِ غَلَّتَها ... فاللهُ آنُفَ حُسَّادي بِه جَدَعَا

وقال يمدح المعتزّ بعد خلع المستعين:

قد عادَتِ الدنيا إلى حَالِهَا ... وسَرَّنا اللهُ بإقبالِها
دنيا بك اللهُ كفى أهلها ... ما كان من شِدَّة أهوالِها
وكان قد ملَكَها جاهِلٌ ... لا تَصلُحُ الدُّنيا لجُهَّالِهَا
قد كانتِ الدنيا به قُفِّلَتْ ... فكنتَ مِفتاحاً لأقفالِهَا
إنَّ التي فُزتَ بها دُونَهُ ... عادَتْ إلى أحسَنِ أحوالِهَا
خلافةٌ كنتَ حقيقاً بها ... فضَّلكَ اللهُ بِسِرْبالِها
فردَّه اللهُ إلى حالِهِ ... وردّها اللهُ إلى حالِهَا
ولم تكن أوّلَ عاريَّةٍ ... رُدّتْ على رغْم إلى آلِها
واللهِ لو كان على قريةٍ ... ما كان يُجزي بعضَ أعمالها
أدخلَ في الملكِ يداً رعدَةً ... أخرجَها من بعدِ إدخالها
بَدَّلنا اللهُ به سيِّداً ... أسكَنَ دُنيا بعد زلزالها
بُدِّلَتِ الأُمَّةُ هذا بذَا ... كأنَّها في وقتِ دَجَّالِها
وقامَ بالمُلكِ وأَثقالِه ... وقام بالحربِ وأَثقالها
أَبْطلَ ما كان العِدَا أمَّلوا ... رَمْيُكَ بالخيلِ وأبطالِهَا
تُعمِلُ خَيْلاً طالَما نجحَتْ ... ما عَمِلَتْ خيلٌ كأعمالها

وقال الوليد بن عبيد البحتريّ في خلع المستعين ومدح المعتز:

أَلا هل أتاها أَنَّ مُظْلِمَةَ الدُّجى ... تَجلَّتْ وأَن العيشَ سُهّلَ جانبُهْ
وأنَّا ردَدْنا المُستَعارَ مُذَمَّماً ... على أَهلِهِ واستأْنَفَ الحق صاحبُهْ
عجبتُ لهذا الدّهر أعيَتْ صُرُوفُه ... وما الدّهرُ إلا صرْفُه وعجائبُهْ
متى أَمّلَ الدَّيّاك أن يُصطفى لَهُ ... عُرَى التّاج أو يُثْنى عليه عصائِبُهْ
وكيف ادَّعى حقَّ الخلافةِ غاصبٌ ... حَوَى دونه إرثَ النبيِّ أقَاربُه

بكى المِنبَرُ الشرقيُّ إذْ خارَ فوقَه ... على النَّاسِ ثور قد تَدَلَّت غَبَاغبُهْ
ثَقيل على جنبِ الثَّريد مُراقبٌ ... لشخصِ الخوانِ يبتَدي فيُواثِبُه
إذا ما احتشى من حاضِر الزَّادِ لم يُبَلْ ... أضاءَ شِهَابُ المُلكِ أم كلَّ ثاقِبُه
إذا بَكَّرَ الفرَّاشُ ينثو حديثَه ... تضاءَل مُطْريهِ وأطنَب عائبُهْ
تَخَطَّى إلى الأمْرِ الَّذي ليس أهلَهُ ... فَطوْراً يُناغيه وطوراً يُشاغِبُهْ
فكيف رأيتَ الحقَّ قَرَّ قرارُه ... وكَيْفَ رأيتَ الظُّلمَ زالتْ عواقبُهْ
ولم يكنِ المغْترُّ بالله إذ سَرَى ... ليُعجِزَ والمعتزُّ بالله طالِبُهْ
رَمَى بالقضِيب عُنوةً وهوْ صاغرٌ ... وعُرِّيَ من بُرْدِ النَّبيّ مناكبُهْ
وقد سرَّني أنْ قيل وُجِّه مسرعاً ... إلى الشَّرْقِ تُحْدَى سُفنُه وركائبُه
إلى كَسْكَرٍ خَلْف الدَّجاج ولم يَكن ... لِتُنْشَبَ إلا في الدجاج مخالبُه
وما لِحيَةُ القصَّارِ حيث تنفشَتْ ... بجالبةٍ خيراً على من يناسِبُهْ
يحوز ابن خَلاّدٍ على الشّعْرِ عنْدَه ... ويُضحي شُجاعٌ وهو للجهل كاتِبُهْ
فأقسمْتُ بالْوادِي الحَرام وما حَوَتْ ... أباطحُه من مَحْرَمٍ وأخاشبُهْ
لقد حملَ المعتزُّ أُمَةَ أحمدٍ ... على سَنَنٍ يَسري إلى الحقّ لاحِبُهْ
تَدارَكَ دينَ الله من بعد ما عَفَتْ ... معالِمُه فينَا وغارَت كواكبُهْ
وضَمَّ شعاعَ المُلكِ حتى تَجمَّعتْ ... مشارِقُهُ موفورةً ومغارِبُهْ

* * *

وانصرف أبو الساج ديوداد بن ديودست إلى بغداد لسبع بقين من المحرّم من هذه السنة ، فقلّده محمد بن عبد الله معاون ما سقَى الفرات من السَّواد ، فوجّه أبو الساج خليفةً له يقال له كربة إلى الأنبار ، وجَّه قوماً من أصحابه إلى قصر ابن هبيرة مع خليفة له ، ووجَّه الحارث بن أسد في خمسمئة فارس وراجل ، يستقرىء أعماله ، ويطرد الأتراك والمغاربة عنها ، وقد كانوا عاثوا في النواحي وتلصّصوا ، ثم شخص أبو الساج من بغداد لثلاث خلوْن من ربيع الأول ، ففرّق أصحابه في طساسيج الفرات ، ونزل قصر ابن هبيرة؛ ثم صار إلى الكوفة ، ووافى أبو أحمد سامرّا منصرفاً من معسكره إليها لإحدى عشرة بقيتْ من المحرّم ، فخلع المعتزّ عليه ستة أثواب وسيفاً ، وتُوِّج تاج ذهب بقلنسوة مجوهرة ، ووُشِّح وشاحيْ ذهب بجوهر ، وقُلِّد سيفاً آخر مرصّعاً بالجوهر ، وأجلِس على كرسيّ ، وخلع على الوجوه من القوّاد.

[ذكر خبر قتل شريح الحبشيّ]

وفيها قتل شريح الحبشيّ ، وكان سبب ذلك أنه حين وقع الصّلْح ، هرب في عِدّة من الحبَشة ، فقطع الطريق فيما بين واسط وناحية الجبل والأهواز ، ونزل قريةً من قُرى أمّ المتوكّل يقال لها ديري ، فنزل في خانها في خمسة عشر رجلاً ، فشربوا وسكروا ، فوثب عليهم أهلُ القرية فكتّفوهم ، وحملوهم إلى واسط ، إلى منصور بن نصر ، فحملهم منصور إلى بغداد ، فأنفذهم محمد بن عبد الله إلى العسكر ، فلمّا وصلوا قام بايكباك إلى شُريح ، فوسّطه بالسيف وصُلِب على خشبة بابك ، وضرب أصحابه بالسياط ما بين الخمسمئة إلى الألف.

* * *

وفي شهر ربيع الآخر منها توفِّيَ عبيد الله بن يحيى بن خاقان في مدينة أبي جعفر.

* * *

[ذكر حال بُغا ووصيف]

وفيها كتب المعتز إلى محمد بن عبد الله في إسقاط اسم بغا ووصيف ومن كان في رسمهما من الدواوين. -

ذكر أن محمد بن أبي عون أحد قوّاد محمد بن عبد الله ناظره لمّا صار أبو أحمد إلى سامرّا في قتل بُغا ووَصيف ، فوعَده أن يقتلهما؛ فبعث المعتزّ إلى محمد بن عبد الله بلواء ، وعقد لمحمد بن أبي عون لواء على البصرة واليمامة والبحرين ، فكتب قومٌ من أصحاب بُغا ووصيف إليهما بذلك ، وحذّروهما محمدَ بن عبد الله؛ فركب وصيف وبُغا إليه يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول ، فقال له بغا: بلَغنا أيها الأمير ما ضمنه ابن أبي عون من قتلنا؛ والقوم قد غدروا وخالفوا ما فارقونا عليه؛ والله لو أرادوا أن يقتلونا ما قدروا عليه ، فحَلف لهما أنه ما علم بشيء من ذلك؛ وتكلّم بُغا بكلام شديد ، ووصيف يكفُّه ، وقال

وصيف: أيّها الأمير ، قد غدر القوم ونحن نُمسك ونقعد في منازلنا حتى يجيء مَنْ يقتلنا! وكانا دخلا مع جماعة ، ثم رجعا إلى منازلهما ، فجمعا جندهما ومواليَهما ، وأخذا في الاستعداد وشِرَى السّلاح وتفريق الأموال في جيرانهما إلى سلخ ربيع ، وكان وصيف وبُغا عند قدوم قُرْب وجّه إليهما محمد بن عبد الله كاتبَه محمد بن عيسى ، فأقبلا معه حتى صارا عند دار محمد بن عبد الله بقرْب الجسر ، فلقيهما جعفر الكرديّ وابن خالد البرمكيّ؛ فتعلّق كلّ واحد منهما بلجام واحد منهما ، وقال لهما: إنما دُعيتما لتحملا إلى العسكر؛ وقد أعدّ لكما لذلك قومٌ أو لتقتلا ، فرجعا وجمعا جمعاً ، وأجريا على كلّ رجل كلَّ يوم درهمين؛ فأقاما في منازلهما.

وكان وصيف وجّه أختَه سعاد إلى المؤيد ، وكان المؤيّد في حِجْرها ، فأخرجت من قصر وصيف ألف ألف دينار كانت مدفونة فيه؛ فدفعتها إلى المؤيّد؛ فكلّم المؤيد المعتزَّ في الرضا عن وصيف؛ فكتب إليه بالرضا عنه؛ فضرب مضاربه بباب الشمّاسيّة على أن يخرج ، وتكلّم أبو أحمد بن المتوكل في الرضا عن بغا ، فكتب إليه بالرّضا ، واضطرب أمرهما وهما مقيمان ببغداد.

ثم اجتمع على المعتز الأتراك فسألوه الأمْرَ بإحضارهما ، وقالوا: هما كبيرانا ورئيسانا؛ فكتب إليهما بذلك ، فجاء بالكتاب بايكباك في نحو من ثلثمئة رجل؛ فأقام بالبرَدان ، ووجّه إليهما الكتاب لسبع بقين من شهر رمضان من هذه السنة؛ فكتب إلى محمد بن عبد الله بِمنعهما؛ فوجَّها بكاتبيهما أحمد بن صالح ودُليل بن يعقوب إلى محمد بن عبد الله ليسأذناه؛ فأتاهما جيش من الأتراك ، فنزلوا بالمصلَّى ، وخرج وصيف وبُغا وأولادهما وفرسانهما في نحو من أربعمئة إنسان ، وخلفا في دورهما الثّقَل والعيال ، ودعا أهل بغداد لهما ودعوْا لهم.

وقد كان ابن طاهر وجّه محمد بن يحيى الواثقيّ وبندار الطبريّ إلى باب الشماسيّة وباب البردَان ليمنعوهما ، ومضيا من باب خراسان ، ونفذا ولم يعلم كاتباهما حتى قال محمد بن عبد الله لأحمد ودُليل: ما صنع صاحباكما؟ فقال أحمد بن صالح: خلّفتُ وصيفاً في منزله ، قال: فإنه قد شخص الساعة ، قال: ما علمتُ؛ فلمّا صار إلى سامُرّا بكّر أحمد بن إسرائيل يوم الأحد لتسع بقين من شوّال من هذه السنة في السَّحَر إلى وصيف ، وأقام عنده مليّاً ، ثم انصرف إلى بُغا

فأقام عنده مليّاً ، ثم صار إلى الدّار ، فاجتمع الموالي وسألوا ردّهما إلى مراتبهما ، فأجِيبوا إلى ذلك ، وبعث إليهما ، فحضرا ورتّبا في مرتبتهما التي كانت قبل مصيرهما إلى بغداد ، وأمر بردّ ضياعهما ، وخلع عليهما خلع المرتبة ، ثم ركب المعتزّ إلى دار العامة ، وعقد لبُغا ووصيف على أعمالهما وردّ ديوان البريد كما كان قبل إلى موسى بن بغا الكبير ، فقبل موسى ذلك .



[ذكر الفتنة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر]

وفي شهر رمضان من هذه السنة كانت وقعة بين جند بغداد وأصحاب محمد بن عبد الله بن طاهر ، ورئيس الجند يومئذ ابن الخليل ، وكان السبب في ذلك ـ فيما ذكر ـ أن المعتزّ كتب إلى محمد بن عبد الله في بيع غَلّة طساسيج ضياع بادرويا وقُطْرُبّل ومَسْكِن وغيرها ، كلّ كُرَّين بالمعدّل بخمسة وثلاثين ديناراً من غلّة سنة اثنتين وخمسين ومئتين ، وكان المعتزّ ولّى بريد بغداد رجلاً يقال له : صالح بن الهيثم ، وكان أخوه منقطعاً إلى أتامش أيام المتوكل ، فارتفع أمرُ صالح هذا أيام المستعين؛ وكان ممن أقام بسامرّا؛ وهو من أهل المخرّم ، وكان أبوه حائكاً ثم صار يبيع الغزْل؛ ثم انتقل أخوه إليه لمّا ارتفع ، فلما أقدم ببغداد كُتِبَ إليه يُؤمر أن يقرأ الكتاب على قوّاد أهل بغداد كعتّاب بن عتاب ومحمد بن يحيى الواثقيّ ومحمد بن هرثمة ومحمد بن رجاء وشعيب بن عجيب ونظرائهم ، فقرأه عليهم ، فصاروا إلى محمد بن عبد الله ، فأخبروه؛ فأمر محمد بن عبد الله فأحضر صالح بن الهيثم ، وقال: ما حملك على هذا بغير علمي! وتهدّده وأسمعه ، وقال للقوّاد: انتظروا حتى أرى رأيي ، وآمركم بما أعزم عليه ، فانصرفوا من عنده على ذلك ، وشخص بعد ذلك ، واجتمع الفروض والشاكريّة والنائبة إلى باب محمد بن عبد الله يطلبون أرزاقهم لعشر خَلوْن من شهر رمضان؛ فأخبرهم أنّ كتاب الخليفة ورد عليه ، جوابَ كتاب له كان كتب بمسألة أرزاق جند بغداد ، إن كنتَ فرضت الفروض لنفسك ، فأعطِهم أرزاقهم؛ وإن كنت فرضتَ لنا فلا حاجة لنا فيهم ، فلما ورد الكتاب عليه أخرج لهم بعد شغَبهم بيوم ألفي دينار ، فوُضعت لهم ثم سكنوا .

ثم اجتمعوا لإحدى عشرة خلت من شهر رمضان؛ ومعهم الأعلام والطبول، وضربوا المضارب والخيم على باب حرْب وباب الشمّاسية وغيرهما، وبنوا بيوتاً من بوارِيّ وقصب، وباتوا ليلَتهم فلما أصبحوا كثُر جمعهم، وبيَّت ابنُ طاهر قوماً من خاصّته في داره، وأعطاهم درهماً درهماً؛ فلما أصبحوا مضوا من داره إلى المشغّبة؛ فصاروا معهم فجمع ابن طاهر جنده القادمين معه من خُراسان، وأعطاهم لشهرين، وأعطى جند بغداد القدماء؛ الفارس دِينارين والراجلَ ديناراً، وشحَن داره بالرجال؛ فلما كان يوم الجمعة اجتمع من المشغّبة خلق كثير بباب حرب بالسلاح والأعلام والطبول، ورئيسهم رجل يقال له عبدان بن الموفّق، ويكنى أبا القاسم وكان من أثبات عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان ديوان عبدان في ديوان وصيف، فقدم بغداد، فباع داراً له بمئة ألف دينار، فشخص إلى سامُرّا؛ فلما وثبت الشاكريّة بباب العامة كان معهم، فضربه سعيد الحاجب خمسمئة سوط، وحبسه حبساً طويلاً، ثم أطلق، فلما كان فتنة المستعين صار إلى بغداد، وانضمّ إليه هؤلاء المشغّبة، فحضَّهم على الطلب بأرزاقهم، وفائتهم، وضمن لهم أن يكون لهم رأساً يدبّر أمرهم فأجابوه إلى ذلك؛ فأنفق عليهم يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة نحواً من ثلاثين ديناراً فيما أقام لهم من الطعام، ومَنْ كانت لهم كفاية لم يحتج إلى نفقته؛ فكان ينصرف إلى منزله، فلمّا كان يوم الجمعة اجتمعتْ منهم جماعة كثيرة، وعزموا على المصير إلى المدينة ليمضوا إلى الإمام فيمنعوه من الصَّلاة والدعاء للمعتزّ، فساروا على تعبية في شارع باب حَرْب؛ حتى انتهوْا إلى باب المدينة في شارع باب الشأم، وجعل أبو القاسم هذا على كلّ درب يمرّ به قوماً من المشغبة من بين رامح وصاحب سيف ليحفظوا الدروب؛ كيلا يخرج منها أحد لقتالهم.

ولمّا انتهى إلى باب المدينة دخل معهم المدينة جماعة كثيرة، فصاروا بين البابين وبين الطّاقات فأقاموا هناك ساعة، ثم وجّهوا جماعة منهم يكونون نحواً من ثلثمئة رجل بالسلاح إلى رُحْبة الجامع بالمدينة؛ ودخل معهم من العامة خلْق كثير، فأقاموا في الرُّحبة، وصاروا إلى جعفر بن العباس الإمام، فأعلموه أنهم لا يمنعونه من الصَّلاة، وأنهم يمنعونه من الدعاء للمعتزّ، فأعلمهم جعفر أنه مريض لا يقدر على الخروج إلى الصلاة، فانصرفوا عنه، وصاروا إلى درب

أسد بن مرزبان ، فشحنوا الشارع النافذ إلى درب الرقيق ، ووكّلوا بباب درب سليمان بن أبي جعفر جماعة ، ثم مضوْا يريدون الجسر في شارع الحدّادين ، فوجّه إليهم ابن طاهر عِدّة من قوّاده فيهم الحسين بن إسماعيل والعباس بن قارن وعليّ بن جهشيار وعبد الله بن الأفشين في جماعة من الفرسان ، فناظروهم ودفعوهم دفعاً رفيقاً ، وحمل عليهم الجند والشاكريّة حملة جرحوا فيها جماعة من قوّاد ابن طاهر ، وأخذوا دابة ابن فلان وابن جهشيار ورجلٍ من فرض عبيد الله بن يحيى من الشأميين يقال له سعد الضبابيّ ، وجرحوا المعروف بأبي السنا ، ودفعوهم عن الجسر حتى صيّروهم إلى باب عمرو بن مسعدة .

فلما رأى الذين بالجانب الشرقيّ منهم أنّ أصحابهم قد أزالوا أصحابَ ابن طاهر عن الجِسْر كبّروا ، وحملُوا يريدون العبور إلى أصحابهم؛ وكان ابن طاهر قد أعدّ سفينة فيها شوك وقصب ليُضرِم فيها النار ، ويرسلها إلى الجسر الأعلى؛ ففعل ذلك ، فأحرقت عامة سفنه وقطعته؛ وصارت إلى الآخر ، فأدركها أهلُ الجانب الغربيّ ، ففرّقوها وأطفؤوا النار التي تعلّقت بسفن الجسر ، وعبر من الجانب الشرقيّ إلى الجانب الغربيّ خلْق كثير ، ودفعوا أصحاب ابن طاهر عن ساباط عمرو بن مسعدة ، وصاروا إلى باب ابن طاهر ، وصار الشاكريّة والجند إلى ساباط عمرو بن مسعدة ، وقُتِل من الفريقين إلى الظهر نحو من عشرة نفر ، وصار جماعة من الغوغاء والعامة إلى المجلس الذي يعرَف بمجلس الشرْطة في الجسر من الجانب الغربيّ إلى بيت يقال له بيت الرفوع ، فكسروا الباب ، وانتهبوا ما فيه؛ وكان فيه أصناف من المتاع ، فاقتتلوا عليه فلم يتركوا فيه شيئاً ، وكان كثيراً جليلاً ، وأحرق ابنُ طاهر الجسرين لمّا رأى الجند قد ظهروا على أصحابه ، وأمر بالحوانيت التي على باب الجسر التي تتصل بدرب سليمان أن تحرَق يمنة ويسرة ، ففعل فاحترق فيها للتجار متاع كثير ، وتهدّم حيطان مجلس صاحب الشرطة؛ فلمّا ضُربت الحوانيت بالنار حالت النار بين الفريقين ، وكبّرت الجند عند ذلك تكبيرة شديدة؛ ثم انصرفوا إلى معسكرهم بباب حرب ، وصار الحسين بن إسماعيل مع جماعة من القوّاد والشاكرية إلى باب الشأم ، فوقَف على التّجار والعامة فوبّخهم على معونتهم الجندَ ، وقال: هؤلاء قاتلوا على خبزهم وهم معذُورون؛ وأنتم جيران الأمير ومَنْ يجب عليه نُصرته ، فلِمَ فعلتم

ما فعلتم ، وأعنتم الشاكرية عليه ورميتم بالحجارة ، والأمير متحوّل عنكم! ثم صار محمد بن أبي عون إليهم ، فقال لهم مثل ذلك؛ وانصرف إلى ابن طاهر؛ فمكث الجُند المشتَغبون في مواضِعهم ومعسكرهم ، وانضمّ إلى ابن طاهر جماعة من الأثبات وجَمَع جميع أصحابه ، فجعل بعضهم في داره ، وبعضهم في الشارع النافذ من الجسر إلى داره ، قد عبّأهم تعبية الحرب ، حذاراً من كَرّة الجند عليه أياماً؛ فلم يكن لهم عودة؛ فصار في بعض الأيام التي كان من عودتهم ابنُ طاهر على وَجَلٍ ـ فيما ذكر ـ رجلان من المشغّبة استأمنا إليه ، فأخبراه بعورة أصحابهما ، فأمر لهما بمئتي دينار ، ثم أمر الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل بعد العشاء الآخرة بالمصير في جماعة من أصحابهما إلى باب حَرْب ، فتلطّفا لأبي القاسم رئيس القوم وابن الخليل ـ وكان من أصحاب محمد بن أبي عون ـ فصاروا إلى ما هناك؛ وكان أبو القاسم وابن الخليل قد صار كلُّ واحد منهما عند مفارقة الرَّجلين اللذيْن صارا إلى ابن طاهر ورجل آخر يقال له القُمّيّ؛ وتفرّق الشاكريّة عنهما إلى ناحية خوفاً على أنفسهم ، فمضى الشاه والحسين في طلبهما حتى خرجا من باب الأنبار ، وتوجّها نحو جسر بَطَاطِيا ، فذُكر أنّ ابن الخليل استقبلهما قبل أن يصيرا إلى جسر بطاطِيا ، فصاح بهما ابن الخليل وبمَنْ معهما من هؤلاء ، وصاحوا به؛ فلمّا عرفهم حمل عليهم ، فجرح منهم عدّة ، فأحدقوا به ، وصار في وسط القوم ، فطعنه رجل من أصحاب الشاه ، فرمى به إلى الأرض ، فبَعَجه عليّ بن جهشيار بالسَّيْف وهو في الأرض ، ثم حُمل على بغل وبه رَمق ، فلم يصلوا به إلى ابن طاهر حتى قَضَى ، وأمر الشاه بطرحه في كَنِيف في دهليز الدّار إلى أن حُمل إلى الجانب الشرقيّ؛ وأما عبدان بن الموفّق فإنه كان قد صار إلى منزله وإلى موضع اختفى فيه ، فدُلَّ عليه ، وأخِذ وحُمل إلى ابن طاهر ، وتفرّق الشاكريّة الذين كانوا بباب حرب ، وصاروا إلى منازلهم ، وقُيّد عبدان بن الموفق بقيدين فيهما ثلاثون رطلاً ، ثم صار الحسين بن إسماعيل إلى الحبس الذي هو فيه في دار العامة ، وقعد على كرسيّ ، ودعا به؛ فسأله: هل هو دسيس لأحد ، أو فعل ما فعل من قِبَل نفسه؟ فأخبره أنه لم يدسّه أحد؛ وإنما هو رجل من الشاكريّة طلب بخبزه ، فرجع الحسين إلى ابن طاهر فأعلمه ذلك ، فخرج طاهر بن محمد وأخوه إلى دار العامة الداخلة ، فقعدا وأحضرا مَنْ باتَ في الدار من القواد والحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال ، وأحضرا عبدانَ ،

فحمله رجلان ، فكان المخاطب له الحسين ، فقال : أنت رئيس القوم؟ فقال : لا؛ إنما أنا رجل منهم؛ طلبت ما طلبُوا ، فشتمه الحسين ، وقال حرب بن محمد بن عبد الله بن حرب : كذبت ، بل أنت رئيس القوم؛ وقد رأيناك تعبِّيهم بباب حرب وفي المدينة وباب الشأم ، فقال : ما كنت لهم برأس؛ وإنما أنا رجل منهم؛ طلبت ما طلبوا فأعاد عليه الحسين الشّتم ، وأمر بصفعه فصُفع ، وأمر بسحبه فسُحب بقيوده إلى أن أُخرِج من الدار ، وشتمه كلُّ من لحقه ، ودخل طاهر بن محمد إلى أبيه فأخبره خبَره ، وحمل عبدان على بغل؛ ومُضِي به إلى الحبس ، وحمل ابن الخليل في زورق عُبِرَ به إلى الجانب الشرقيّ ، وصلب؛ وأمر بعبدان فجرِّد وضرب مئة سوط بثمارها ، وأراد الحسين قتله ، فقال لمحمد بن نصر : ما ترى في ضربه خمسين سوطاً على خاصرته؟ فقال له محمد : هذا شهر عظيم؛ ولا يحلّ لك أن تصنع به هذا؛ فأمر به فصُلِب حيّاً ، وحُمِل على سلّم حتى صلِب على الجسر ، وربِط بالحبال ، فاستسقى بعد ما صُلِب ، فمنعه الحسين فقيل له : إن شرب الماء مات ، قال : فاسقوه إذاً؛ فسقوْه ، فتُرِك مصلوباً إلى وقت العصر ، ثم حُبِس؛ فلم يزل في الحبس يومين ثم مات اليوم الثالث مع الظهر؛ وأمر بصلبه على الخشبة التي كان صُلِب عليها ابن الخليل ، ودُفع ابن الخليل إلى أوليائه فدُفن .

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المؤيد ثم موته]

وفي رجب من هذه السنة خَلَع المعتزّ المؤيدَ أخاه من ولاية العهد بعهده[1] .

*** ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه :**

كان السبب في ذلك ـ فيما بلغنا ـ أنَّ العلاء بن أحمد عامل إرمينيَة بعث إلى إبراهيم المؤيد بخمسة آلاف دينار ليصلح بها أمره ، فبعث ابن فَرّخانشاه إليه ، فأخذها فأغرى المؤيد الأتراك بعيسى بن فرّخاشاه ، وخالفهم المغاربة ، فبعث المعتزّ إلى أخويه : المؤيد وأبي أحمد؛ فحبسهما في الجوْسق ، وقيّد المؤيد

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٥٥).

وصيّره في حجرة ضيّقة ، وأدرّ العطاء للأتراك والمغاربة ، وحبس كنجور حاجب المؤيد ، وضربه خمسين مقرعة ، وضرب خليفته أبا الهول خمسمئة سَوْط وطُوِّف به على جمل ، ثم رضيَ عنه وعن كَنجور ، فصُرِف إلى منزله .

وقد ذكر أنه ضرب أخاه المؤيد أربعين مقرعة ، ثم خُلع بسامرّا يوم الجمعة لسبع خلوْن من رجب ، وخُلع ببغداد يوم الأحد لإحدى عشرة خلتْ من رجب ، وأخِذت رقعة بخطه بخلْع نفسه .

ولست بقين من رجب من هذه السنة ـ وقيل لثمان بقين منه ـ كانت وفاة إبراهيم بن جعفر المعروف بالمؤيد .

* ذكر الخبر عن سبب وفاته :

ذكر أنّ امرأة من نساء الأتراك جاءت محمد بن راشد المغربيّ ، فأخبرته أن الأتراك يريدون إخراج إبراهيم المؤيد من الحبْس؛ وركب محمد بن راشد إلى المعتزّ ، فأعلمه ذلك ، فدعى بموسى بن بُغا ، فسأله فأنكر ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنما أرادوا أن يخرجوا أبا أحمد بن المتوكِّل لأنسهم به كان في الحرب التي كانت ، وأما المؤيد فلا ، فلما كان يوم الخيمس لثمان بَقِين من رجب دعا بالقضاة والفقهاء والشهود والوجوه ، فأخرج إليهم إبراهيم المؤيد ميّتاً لا أثر به ولا جرح؛ وحمِل إلى أمه إسحاق ـ وهي أمّ أبي أحمد ـ على حمار ، وحُمِل معه كفن وحنوط وأمر بدفنه ، وحوّل أبو أحمد إلى الحجرة التي كان فيها المؤيد .

وذكر أنّ المؤيد أدرِج في لحاف سمّور ، ثم أمسِك طرفاه حتى مات .

وقيل : إنه أقْعِدَ في حَجَر من ثلج ، ونضِّدت عليه حجارة الثلج فمات برداً .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المستعين]

وفي شوال منها قتِل أحمد بن محمد المستعين[١] .

(١) انظر لمقتله تأريخ بغداد (٥/ ٨٥) والبداية والنهاية (٨/ ٢٢) والمنتظم [١٢/ ٥٦] وقد أخرج الخطيب البغدادي (٥/ ٨٥) ومن طريقه ابن الجوزي (١٢/ ٥٦) عن ابن أبي الدنيا قال : قتل المستعين بموضع يقال له القادسية في طريق سامراء ، في شوال سنة اثنتين وخمسين ومئتين) =

* ذكر الخبر عن قتله :

ذُكر أن المعتز لما همَّ بقتل المستعين ، ورد كتابه على محمد بن عبد الله بن طاهر بنكبته ، وأمره بتوجيه أصحاب معاونه في الطسَاسيج ، ثم ورد عليه منه بعد ذلك كتاب مع خادم يدعى سيما ، يُؤمَر فيه بالكتاب إلى منصور بن نضر بن حمزة ـ وهو على واسط ـ بتسليم المستعين إليه؛ وكان المستعين بها مقيماً ، وكان الموكَّل به ابن أبي خميصة وابن المظفَّر بن سيل ومنصور بن نصر بن حمزة وصاحب البريد؛ فكتب محمد في تسليم المستعين إليه ، ثم وجّه ـ فيما قيل ـ أحمد بن طولون التركيّ في جيش ، فأخرج المستعين لستّ بقين من شهر رمضان ، فوافى به القاطول لثلاث خلوْن من شوال .

وقيل إن أحمد بن طولون كان موكَّلاً بالمستعين ، فوجّه سعيد بن صالح إلى المستعين في حَمْلِه ، فصار إليه سعيد فحمله .

وقيل إن سعيداً إنما تسلّم المستعين من ابن طولون في القاطول بعدما صار به ابن طولون إليها ، ثم اختُلف في أمرهما ، فقال بعضهم : قتله سعيد بالقاطول؛ فلمّا كان غد اليوم الذي قتله فيه أحضر جواريَه وقال : انظرنَ إلى مولاكنّ قد مات . وقد قال بعضهم : بل أدخله سعيد وابن طولون سامرّا ، ثم صار به سعيد إلى المنزل له فعذّبه حتى مات .

وقيل : بل ركب معه في زورق ومعه عدّة حتى حاذى به فم دُجَيل؛ شدّ في رجله حجراً ، وألقاه في الماء .

وذُكر عن متطبّب كان مع المستعين نصرانيّ يقال له فضلان ، أنه قال : كنتُ معه حين حمل ، وأنه أخذ به على طريق سامُرّا ، فلما انتهى إلى نهرٍ نظر إلى موكب وأعلام وجماعة ، فقال لفضلان : تقدم فانظر مَنْ هذا؛ فإن كان سعيداً فقد ذهبتْ نفسي؛ قال فضلان ، فتقدّمت إلى أوّل الجيش ، فسألتهم فقالوا : سعيد الحاجب ، فرجعت إليه فأعلمته ـ وكان في قبّة تعادله امرأة ـ فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون! ذهبت نفسي والله! وتأخرت عنه قليلاً .

= ا.هـ أما ما ذكره الطبري عن علة وفاته وكيفية ذلك فلم يصح كما هو الحال في الأخبار السابقة في كيفية وفاة بقية الخلفاء والله أعلم.

قال: فلقيَه أوّل الجيش ، فأقاموا عليه وأنزلوه ودابته ، فضربوه ضربةً بالسيف ، فصاح وصاحت دابته ، ثم قُتِل؛ فلما قُتِل انصرف الجيش.

قال: فصرت إلى الموضع ، فإذا هو مقتول في سراويل بلا رأس؛ وإذا المرأة مقتولة ، وبها عدّة ضربات ، فطرحنا عليهما نحن تراب النَّهر حتى واريناهما ، ثم انصرفنا.

قال: وأتِيَ المعتزّ برأسه وهو يلعب بالشطرنج؛ فقيل: هذا رأس المخلوع فقال: ضعوه هنالك ، ثم فرغ من لعبه ، ودعا به فنظر إليه ، ثم أمر بدفنه وأمر لسعيد بخمسين ألف درهم ووُلّي معونة البصرة.

وذكر عن بعض غلمان المستعين أنّ سعيداً لما استقبله أنزله ووكّل به رجلاً من الأتراك يقتله ، فسأله أن يمهله حتى يُصَلّيَ ركعتين؛ وكانت عليه جبة ، فسأل سعيد التركيّ الموكل بقتله أن يطلبها منه قبل قتله ، ففعل ذلك ، فلما سجد في الركعة الثانية قتله واحتز رأسه ، وأمر بدفنه ، وخفيَ مكانه.

وقال محمد بن مروان بن أبي الجَنُوب بن مروان بن أبي حفصة في أمرِ المؤيّد ويمدح المعتزّ:

أَنتَ الذي يُمسكُ الدُّنيا إذا اضطرَبتْ ... يا مُمْسكَ الدّينِ والدّنيا إذا اضْطَرَبا
إنَّ الرّعيّة ـ أبْقَاكَ الإله لَهَا ـ ... ترْجُو بِعَدْلك أَن تبقى لها حِقَبَا
لَقَدْ عُنِيتَ بحربٍ غير هَيّنَةٍ ... وكان عُودُكَ نَبْعاً لم يكن غَرَبا
ما كنتَ أولَ رأسٍ خانهُ ذنَبٌ ... والرأسَ كنتَ وكان النّاكثُ الذَّنَبَا
لَوْ كانَ تمَّ له ما كان دَبَّرَهُ ... لأَصبحَ المُلكُ والإسلامُ قد ذهَبا
أرَاد يُهلكُ دُنيانا ويُعْطِبُها ... وقَدْ أرادَ هَلاَكَ الدِّينِ والعَطَبا
لمّا أراد وثُوباً من سَفَاهتهِ ... أمسَى عليه إمامُ العَدْلِ قد وَثَبا
لَقَدْ رَمَاكَ بسهْمٍ لم يُصِبْكَ به ... ومَنْ رَمَاك عليه سهمهُ انقلبا
لَقَدْ رَعَيْتَ له ما كان من سببٍ ... فَمَا رَعَى لكَ إحساناً ولا سَبَبا
كحُسْنِ فعلِك لم يفعلْ أَخٌ بأَخٍ ... كُنَّا لِذَاكَ شهوداً لم نكن غيَبا
قَدْ كُنتَ مشتغلاً بالحربِ ذا تَعبٍ ... وكانَ يَلْعبُ ما كلَّفتهُ تَعبا
قَدْ كان يَا ذَا النَّدَى يُعْطَى بلا طلبٍ ... وكنتَ يا ذَا الندَى تعطيهِ ما طلبا
وكنتَ أكثرَ بِرّاً من أَبيه به ... ولم تكن بأخٍ في البِرّ كنتَ أَبا

وكـان قـرْبَ سَـريـرِ الملـكِ مَجلِسُـهُ فَقَـدْ تبـاعـدَ منـه بعـدَ مـا اقتـربـا
وكـان فـي نِعَـمٍ زالـت وكـان لـه بـابٌ يُـزارُ فـأَمسـى اليـومَ مُحْتَجَبَا
أَمسَـى وحيـداً وقـد كـانـتْ مـواكبُـه عشـريـنَ ألفـاً تـراهـمْ خلفـهُ عُصَبـا
أَين الصُّفوفُ الَّتي كانت تقومُ له كمـا يقـومُ إذا مـا جـاءَ أو ذهبـا
وذلَّ بعـدَ تَمـادِيـهِ ونَخْـوَتِـهِ كالحوتِ أصبح عنه الماءُ قد نَضَبَا
وقـد فسَخْـتَ عـن الأَعنـاقِ بَيعَتَـهُ فـلا خطيـبَ لـه يـدعـو إذا اختطبـا
لَقَّبْتَـهُ لَقبـاً مـن بعـدِ إمْـرَتِـهِ والله بـدَّلـهُ بـالإمْـرَةِ اللَّقبَـا
كَسَـوْتَـهُ ثـوبَ عـزٍّ فـاستهـانَ بِـهِ ولـم يَصُنـهُ فـأَمْسَى عنـه مُغتَصَبـا
كـم نعمـةٍ لَـكَ فيهـا كنـتَ تشـركَـه والله أخـرجـهُ منهـا بمـا اكتسَبَـا
شبّهتَـهُ بِسـراجٍ كـانَ ذا لَهَـبٍ فمـا تـرَكـتَ لـه نـوراً ولا لهبـاً
أَمسَـتْ قطيعـةُ إبـراهيـمَ قـد قَطَعـتْ حبـلَ الصَّفـاء وحبـل الـوُدِّ فـانقَضبـا
ومـا تـؤاخِـذُ يـا حِلفَ النَّـدَى أحـداً حَتَّـى تُبيّـن فيـه النَّكْـثَ والـرِّيَبَـا
إنـي بمـدْحِ بني العبـاس ذُو حسَـبٍ وكـان مـدْحِ بني العباسِ لـي حَسبا
إنَّ التُّقَـى يـا بنِـي العبَّـاسِ أَدَّبكـمْ حتى استفادتْ قريش منكُمُ الأَدبا
مَنْ كان مُقتَضباً في حوْلِ مدحكمُ فلسـتُ فيـه بحمْـدِ اللهِ مُقتضَبَـا

* * *

[أمر المعتز مع أهل بغداد]

ذُكر عن أبي عبد الرحمن الفانيّ أنّ فتىً من أهل سامُرّا أملى عليه مما عمله بعض أهلها عن ألسن الأتراك أن المعتزّ لمّا أفضت إليه الخلافة ، وقلده الله القيام بأمر عباده في المشارق والمغارب ، والبرّ والبحر ، والبدو والحضر ، والسهل والجبل ، تألّم بسوء اختيار أهل بغداد وفتنتهم؛ فأمر المعتزّ بالله بإحضار جماعة ممّن صَفتْ أذهانهم ، ورقّتْ طبائعهم ، ولطُف ظَنُّهم ، وصحّتْ نحائزهم ، وجادت غرائزهم ، وكملت عقولهم بالمشورة ، فقال أمير المؤمنين: أما تنظرون إلى هذه العصابة التي ذاع نفاقهم ، وغار شأوُهم؛ الهَمَج الطغام ، والأوغاد الذين لا مُسْكَة بهم ، ولا اختيار لهم ، ولا تمييز معهم؛ قد زيّن لهم تقحّمُ الخطأ سوءَ أعمالِهم ، فهم الأقلُّون وإن كثروا والمذمومون إن ذُكروا؛ وقد علمت أنه

لا يصلح لقود الجيش وسدّ الثغور وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم إلاّ رجل قد تكامَلَتْ فيه خلالٌ أربع : حَزْمٌ يُقَيِّف به عند موارد الأمور حقائق مصادرها ، وعلم يحجزه عن التهوّر والتغرير في الأشياء إلا مع إمكان فرصتها ، وشجاعة لا ينقصها الملمّات مع تواتر حوائجها ، وجودٌ يَهون به تبذير جلائل الأموال عند سؤالها ، وأما الثلاث ، فسرعة مكافأة الإحسان إلى صالح الأعوان ، وثقل الوطأة على أهل الزّيغ والعدوان ، والاستعداد للحوادث؛ إذ لا تؤمن من نوائب الزمان ، وأما الاثنتان؛ فإسقاط الحاجب عن الرّعيّة ، والحكم بين القويّ والضعيف بالسويّة ، وأما الواحدة فالتيقظ في الأمور مع عدم تأخير عمل اليوم لغد؛ فما ترون؛ وقد اخترت رجالاً لهم من مواليّ ، أحدهم شديد الشكيمة ، ماضي العزيمة ، لا تبطِره السرّاء ، ولا تدهشه الضرّاء ، لا يهاب ما وراءه ، ولا يهوله ما تلقاءه ، وهو كالحريش في أصل السّلام؛ إن حُرّك حمل ، وإن نهش قتل؛ عُدّته عتيدة ، ونقمته شديدة ، يلقى الجيش في النفر القليل العدد بقلب أشدّ من الحديد ، طالبٌ للثأر ، لا يفلّه العساكر ، باسلُ البأس ، مقتضب الأنفاس لا يعوزه ما طلَب ، ولا يفوته من هرب؛ وارِي الزناد ، مُطّلع العِماد ، لا تُشْرهه الرّغائب ، ولا تُعجزه النوائب؛ إن وليَ كفى ، وإن وعد وَفى ، وإن نازل فبطل ، وإن قال فعل ، ظِلّه لوليه ظليل ، وبأسه في الهياج عليه دليل؛ يفوق مَنْ ساماه ، ويُعجز مَنْ ناواه ، ويُتعب مَنْ جاراه ، وينعش منْ والاه .

فقام إليه رجل من القوم ، فقال : قد جمع الله فيك يا أمير المؤمنين فضائل الأدب ، وخَصّك بإرث النبوّة ، وألقى إليك أزمّة الحكمة ، ووفّر نصيبَك من حِباء الكرامة؛ وفسّح لك في الفَهْم ، ونوّر قلبك بأنفس العلوم وصفاء الذهن؛ فأفصح عن القلب البيانُ ، وأدرك فهمك يا أمير المؤمنين ما والله خبيء على من لم يُحْبَ بما حُبيتَ من المنن العظام ، والأيادي الجسام ، والفضائل المحمودة ، وشرف الطباع ، فنطَقت الحكمة على لسانك ، فما ظننتَه فهو صواب ، وما فهمته فهو الحقّ الذي لا يعاب ، وأنت والله يا أمير المؤمنين نسيجُ وحدِه ، وقَريع دهرِه ، لا يبلغ كليَّة فضله الوصفُ ، ولا يحصر أجزاء شرف فضله النعت .

ثم أمر أمير المؤمنين بالعقد لأنصاره على النواحي ، وأطلقهم في أشعار

أعدائهم وأبشارهم ودمائهم ، فلما بلغ محمد بن عبد الله ما أمر به في النواحي أنشأ كتاباً نسخته :

أما بعد فإنّ زيْغ الهوى صَدَفَ بكم عن حَزْم الرّأي ، فأقحمكم حبائل الخطأ ، ولو ملّكتُم الحقّ عليكم ، وحكمتم به فيكم لأوردكم البصيرةَ ، ونفى عنكم غيابة الحَيْرة ، والآن فإن تجنحوا للسَّلم تحقنوا دماءكم ، وترغدوا عيشكم ، ويصفح أمير المؤمنين عن جريرة جارِمكم؛ وأخْلَى لكم ذِرْوة سُبوغ النعمة عليكم ، وإن مضيتم على غُلَوائكم ، وسوَّل لكم الأمل أسوأ أعمالِكم ، فائْذنوا بحرب من الله ورسوله ، بعد نَبْذ المعذرة إليكم ، وإقامة الحجة عليكم ، ولئن شُنّت الغارات ، وشبّ ضُرام الحرب ، ودارت رحاها على قطبها ، وحسمت الصوارم أوصال حُماتها واستجرّت العوالي مَنْ نهمها ، ودُعَيت نزال ، والتحم الأبطال ، وكلحت الحرب عن أنيابها أشداقَها ، وألقت للتجرّد عنها قِنَاعها ، واختلفت أعناق الخيل ، وزحف أهل النجدة إلى أهل البغي ، لتعلمنّ أيّ الفريقين أسمح بالموت نفساً ، وأشدّ عند اللقاء بطشاً ، ولات حين معذرة ، ولا قبول فدية! وقد أعذر مَنْ أنذر؛ وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلَب ينقلبون!

فبلغ كتاب محمد بن عبد الله الأتراكَ ، فكتبوا جواب كتابه :

إن شخص الباطل تصوَّر لك في صورة الحقّ ، فتخيّل لك الغيّ رشداً كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ولو راجعتَ عُزوب عقلك أنار لك برهان البصيرة ، وحسم عنك موادّ الشبهة؛ ولكن حِصْت عن سنّة الحقيقة ، ونكصت على عقبيك لِمَا ملك طباعك مِنْ دواعي الحيرة؛ فكنت في الإصغاء لهتافه والتجرّد إلى وروده كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، ولعمرك يا محمد؛ لقد وَرَد وعدُك لنا ووعيدُك إيانا ، فلم يُدنِنَا منك ، ولم يُنئنا عنك ، إذ كان فحصُ اليقين قد كشف عن مكنون ضميرك ، وألفاك كالمكتفِي بالبرق نَهْجاً؛ إذا أضاء له مَشى فيه ، وإذا أظلم عليه قام ، ولعمرُك لئن اشتدّ في البغي شأْوُكَ ، ومتعت بصُبابة من الأمل ليكونن أمرك عليك غمة؛ ولنأتينّك بجنود لا قبل لك بها ، ولنُخرجنّك منها ذليلاً ، وأنت من الصاغرين ، ولولا انتظارنا كتابَ أمير المؤمنين بإعلامنا ما نعمل في شاكلته ، بلغْنا بالسّيَاط النياط ، وغمدْنا السيوف وهي كالّة ، وجعلنا عاليها سافِلها ، وجعلناها مأوى الظّلمان

والحيات والبوم؛ وقد ناديناك من كَثب ، وأسمعناك إن كنت حيّاً ، فإن تجب تُفلح ، وإن تأب إلا غيّاً نخزك به ، وعمّا قليل لتصبحُنّ نادمين .

* * *

[وقوع الفتنة بين الأتراك والمغاربة]

وفي أوّل يَوْم من رجب من هذه السنة كانت بين المغاربة والأتراك ملحَمة؛ وذلك أنّ المغاربة اجتمعت فيه مع محمد بن راشد ونصر بن سعيد؛ فغلبوا الأتراك على الجوْسَق ، وأخرجوهم منه ، وقالوا لهم: في كلّ يوم تقتلون خليفة ، وتخلعون آخر ، وتقتلون وزيراً! وكانوا قد وثبوا على عيسى بن فرّخانشاه؛ فتناولوه بالضَّرْب ، وأخذوا دوابّه ، ولما أخرجت المغاربة الأتراكَ من الجوْسق ، وغلبوهم على بيت المال ، أخذوا خمسين دابة مما كان الأتراك يركبونها؛ فاجتمع الأتراك ، وأرسلوا إلى مَنْ بالكرخ والدّور منهم ، فتلاقوا هم والمغاربة ، فقتِل من المغاربة رجلٌ ، فأخذت المغاربة قاتله ، وأعانت المغاربة الغوْغاء والشاكريّة ، فضعف الأتراك ، وانقادوا للمغاربة ، فأصلح جعفر بن عبد الواحد بين الفريقين ، فاصطلحوا على ألا يُحْدِثوا شيئاً ، ويكون في كلّ موضع يكون فيه رجل من قِبَل أحد الفريقين يكون فيه آخر من الفريق الآخر؛ فمكثوا على ذلك مُدَيدة .

وبلغ الأتراكَ اجتماعُ المغاربة إلى محمد بن راشد ونصر بن سعيد ، واجتمع الأتراك إلى بايكباك ، فقالوا: نطلب هذين الرأسين؛ فإن ظفرنا بهما فلا أحد ينطق؛ وكان محمد بن راشد ونصر بن سعيد قد اجتمعا في صدر اليوم الذي عَزَم الأتراك فيه على الوثوب بهما ، ثم انصرفا إلى منازلهما ، فبلغهما أن بايكباك قد صار إلى منزل ابن راشد ، فعدل محمد بن راشد ونصر بن سعيد إلى منزل محمد بن عزّون ليكونا عنده حتى يسكن الأتراك ، ثم يرجعا إلى جمعهما ، فغمز إلى بايكباك رجلٌ ، ودله عليهما ، وقيل إن ابن عزّون هو الذي دسّ من دلّ بايكباك والأتراك عليهما؛ فأخذهما الأتراك فقتلوهما؛ فبلغ ذلك المعتزّ ، فأراد قتل ابن عزّون ، فكلِّم فيه فنفاه إلى بغداد .

* * *

[ذكر خبر حمل الطالبيّين من بغداد إلى سامرّا]

وفيها حُمل محمد بن عليّ بن خلف العطار وجماعة من الطالبيين من بغداد إلى سامُرّا، فيهم أبو أحمد محمد بن جعفر بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب، وحمل معهم أبو هاشم داود بن القاسم الجعفريّ وذلك لثمانٍ خلون من شعبان منها.

* ذكر السبب في حملهم:

وكان السبب - فيما ذكر - أنّ رجلاً من الطالبيين شخص من بغداد في جماعة من الجيشية والشاكريّة إلى ناحية الكوفة، وكانت الكوفة وسوادها من عمل أبي الساج في تلك الأيام؛ وكان مقيماً ببغداد لمناظرة ابن طاهر إياه في الخروج إلى الريّ، فلما بلغ ابنَ طاهر خبرُ الطالبيّ الشاخص من بغداد إلى ناحية الكوفة، أمر أبا الساج بالشخوص إلى عمله بالكوفة، فقدّم أبو الساج خليفته عبد الرحمن إلى الكوفة، فلقيَ أبا الساج أبو هاشم الجعفريّ مع جماعة معه من الطالبيين ببغداد، فكلموه في أمر الطالبيّ الشاخص إلى الكوفة، فقال لهم أبو الساج: قولوا له يتنحّى عنّي، ولا أراه، فلمّا صار عبد الرحمن خليفة أبي الساج إلى الكوفة ودخلها رُمِيَ بالحجارة حتى صار إلى المسجد، فظنُّوا أنه جاء لحرب العلويّ، فقال لهم: إني لست بعامل؛ إنما أنا رجل وجِّهتُ لحرب الأعراب، فكفّوا عنه؛ وأقام بالكوفة، وكان أبو أحمد محمد بن جعفر الطالبيّ الذي ذكرت أنه حمل من الطالبيين إلى سامُرّا كان المعتزّ ولاه الكوفة بعدما هزم مزاحمُ بن خاقان العلويّ الذي كان وُجِّه لقتاله بها الذي قد مضى ذكره قبل في موضعه فعاث - فيما ذكر - أبو أحمد هذا في نواحي الكوفة وآذى الناس، وأخذ أموالهم وضياعهم، فلمّا أقام خليفة أبي الساج بالكوفة لطف لأبي أحمد العلَويّ هذا وآنسه حتى خالطه في المؤاكلة والمشاربة، وداخلَهُ. ثم خرج متنزّهاً معه إلى بستان من بساتين الكُوفة، فأمسى وقد عبّى له عبد الرحمن أصحابه، فقيّده وحمله مقيّداً بالليل على بغال الدخول؛ حتى ورد به بغداد في أول شهر ربيع الآخر، فلما أتى به محمد بن عبد الله حَبسه عنده، ثم أخذ منه كفيلاً وأطلقه، ووجِدت مع ابن أخ لمحمد بن عليّ بن خلف العطار كُتبٌ من الحسن بن زيد؛

فكتب بخبره إلى المعتزّ ، فورد الكتاب بحمله مع عتّاب بن عتّاب ، وحمل هؤلاء الطالبيين ، فحملوا جميعاً مع خمسين فارساً ، وحمل أبو أحمد هذا وأبو هاشم الجعفريّ ، وعليّ بن عبيد الله بن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب.

وتحدّث الناس في عليّ بن عبيد الله أنه إنما استأذن في المصير إلى منزله بسامُرّا ، فأذن له ووصَله ـ فيما قيل ـ محمد بن عبد الله بألف درهم؛ لأنه شكا إليه ضيقه ، وودّع أبو هاشم أهله.

وقيل إن سبب حمل أبي هاشم ، إنما كان ابن الكردية وعبد الله بن داود بن عيسى بن موسى قالا للمعتزّ: إنك إن كتبتَ إلى محمد بن عبد الله في حَمْل داود بن القاسم لم يحمله ، فاكتب إليه وأعلمه أنك تريد توجِيهه إلى طبرستان لإصلاح أمرها ، فإذا صار إليك رأيت فيه رأيك؛ فحُمل على هذا السبيل ولم يُعرض له بمكروه.

* * *

وفيها ولّي الحسن بن أبي الشوارب قضاء القضاة؛ وكان محمد بن عمران الضبي مؤدّب المعتزّ قد سمى رجالاً للمعتزّ للقضاء نحو ثمانية رجال؛ فيهم الخلنجيّ والخصّاف ، وكتب كتبَهم ، فوقَع فيه شفيع الخادم ومحمد بن إبراهيم بن الكردية وعبد السميع بن هارون بن سليمان بن أبي جعفر ، قالوا: إنهم من أصحاب ابن أبي داود ، وهم رافضة وقدَرِية وزيديّة وجهميّة.

فأمر المعتزّ بطردهم وإخراجهم إلى بغداد ، ووثب العامة بالخصاف ، وخرج الآخرون إلى بغداد ، وعزِل الضبيّ إلا عن المظالم[1].

وذكر أن أرزاق الأتراك والمغاربة والشاكريّة قُدّرت في هذه السنة ، فكان مبلغ ما يحتاجون إليه في السنة مئتي ألف ألف دينار ، وذلك خراج المملكة كلها لسنتين.

* * *

(١) انظر المنتظم (١٢/٥٦).

وفيها توجّه أبو الساج إلى طريق مكة وكان سبب ذلك ـ فيما ذكر ـ أن وَصيفاً لمّا صلح أمره ، ودفع المعتزُّ إليه خاتمه كتب إلى أبي الساج يأمره بالخروج إلى طريق مكة ليصلحه ، ووجّه إليه من المال ما يحتاج إليه؛ فأخذ في الجهاز؛ فكتب محمد بن عبد الله يسأل أن يصير طريق مكة إليه؛ فأجيب إلى ذلك ، فوجّه أبا الساج مِنْ قِبَله .

وفي أوّل ذي الحجة عقد لعيسى بن الشيخ بن السليل على الرَّمْلة ، فأنفذ خليفته أبا المغراء إليها ، فقيل : إنه أعطى بُغا أربعين ألف دينار على ذلك ، أو ضمِنها إليه .

وفيها كتب وصيفٌ إلى عبد العزيز بن أبي دُلَف بتوليته الجَبل ، وبعث إليه بخِلَع ، فتولّى ذلك من قِبَله .

وفيها قتِل محمد بن عمرو الشاري بديار ربيعة؛ قتله خليفة لأيوب بن أحمد في ذي القعدة .

وفيها سخط على كنجور ، وأمر بحبسه في الجوْسق ، ثم حُمِل إلى بغداد مقيَّداً ، ثم وجّه به إلى اليمامة فحبس هنالك .

وفيها أغار ابن جُسْتان صاحب الدّيْلم مع أحمد بن عيسى العلويّ والحسين بن أحمد الكوكبيّ على الرّيّ فقتلوا وسبوا ، وكان ما بها حين قصدوها عبد الله بن عزيز ، فهرب منها؛ فصالحهم أهل الرّيّ على ألفي درهم ، فأدَّوْها ، وارتحل عنها ابن جُسْتان ، وعاد إليها ابنُ عزيز ، فأسر أحمد بن عيسى وبعث به إلى نيسابور .

وفيها مات إسماعيل بن يوسف الطالبيّ الذي كان فعل بمكة ما فعل[١] .

وحجّ فيها بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور من قبل المعتزّ[٢] .

* * *

---

(١) انظر المنتظم (١٢/٥٦) .

(٢) انظر المنتظم (١٢/٥٦) .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من عَقد المعتزّ في اليوم الرابع من رجب لموسى بن بُغا الكبير على الجبل ، ومعه من الجيش يومئذ من الأتراك ومَنْ يجري مجراهم ألفان وأربعمئة وثلاثة وأربعون رجلاً ، منهم مع مُفلح ألف ومئة وثلاثون رجلاً[١] .

* * *

[ذكر خبر أخذ الكرج من ابن أبي دلف]

وفيها أوقع مُفلح وهو على مقدّمة موسى بن بُغا بعبد العزيز بن أبي دُلف لثمان ليال بَقِين من رجب من هذه السنة وعبد العزيز في زُهاء عشرين ألفاً من الصعاليك وغيرهم؛ وكانت الوقعة بينهما ـ فيما قيل ـ خارج هَمَذان على نحو من ميل ، فهزمه مُفْلح ثلاثة فراسخ يقتلون ويأسِرون ، ثم رجع مفلِح ومَنْ معه سالمين؛ وكتب بالفتح في ذلك اليوم ، فلما كان في شهر رمضان عبأ مفلح خيلَه نحو الكَرَج ، وجعل لهم كَمِيين ، ووجّه عبد العزيز عسكراً فيه أربعة آلاف فقاتلهم مفلِح ، وخرج كمين مفلح على أصحاب عبد العزيز فانهزموا ، ووضع أصحاب مُفْلح فيهم السَّيف ، فقتلوا وأسروا وأقبل عبد العزيز معيناً لأصحابه؛ فانهزم بانهزام أصحابه ، وترك الكرَج ، ومضى إلى قَلْعة له في الكَرَج يقال لها زز ، متحصناً بها ، ودخل مفلح الكرَج ، فأخذ جماعة من آل أبي دُلَف أسراً ، وأخذ نساءً من نسائهم؛ يقال إنه كان فيهم أمّ عبد العزيز؛ فأوثقهم.

* * *

وذكر أنه وجّه سبعين حملاً من الرؤوس إلى سامرّا وأعلاماً كثيرة.

وشخص فيها موسى بن بُغا من سامرّا إلى هَمذان فنزلها.

وفيها خلَع المعتزّ على بُغا الشرابيّ في شهر رمضان ، وألبسه التاج

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٦٣).

والوشاحين ، فخرج فيهما إلى منزله[١] .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل وصيف]

وفيها قُتل وصيف التركيّ؛ وذلك لثلاث بَقِين من شوّال منها؛ وكان السبب في ذلك ـ فيما ذكر ـ أنّ الأتراك والفراغنة والأشروسنية شغبوا وطلبوا أرزاقهم لأربعة أشهر؛ فخرج إليهم بُغا ووصيف وسيما الشرابيّ في نحو من مئة إنسان من أصحابهم؛ فكلّمهم وصيف ، وقال: ما تريدون؟ قالوا: أرزاقنا ، فقال: خذوا تراباً؛ وهل عندنا مال! وقال بغا: نعم ، نسأل أميرَ المؤمنين في ذلك؛ ونتناظر في دار أشناس ، وينصرف عنكم مَنْ ليس منكم ، فدخلوا دار أشناس ، ومضى سيما الشرابيّ منصرفاً إلى سامُرّا ثم تَبِعه بُغا لاستئمار الخليفة في إعطائهم؛ وكان وصيف في أيديهم؛ فوثب عليه بعضُهم ، فضربه بالسيف ضربتين ، ووجأه آخر بسكين ، فاحتمله نُوشِرى بن طاجبك ـ وهو أحد قوّاده ـ إلى منزله؛ فلما أبطأ عليهم بُغا ظنوا أنهم في التعبية عليهم؛ فاستخرجوه من منزل نوشرى؛ فضربوه بالطبرزينات حتى كسروا عضُدَيه ، ثم ضربوا عنقَه ، ونصبوا رأسه على محراك تَنّور ، وقصدت العامة بسامرّا الانتهاب لمنازل وصيف وولده ، فرجع بنو وَصيف ، فمنعوا منازلهم ، ثم جعل المعتزّ ما كان إلى وصيف من الأمور إلى بُغا الشرابيّ .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل بندار الطبري]

وفي يوم الفِطْر من هذه السنة قُتل بندار الطبريّ .

* ذكر سبب قتله :

فكان سبب ذلك أنه حكم بالبوازيج محكّم يدعى مُساور بن عبد الحميد في رجب من هذه السنة ، فوجّه المعتزّ إليه في شهر رمضان ساتكين ، فمال إلى ناحية طريق خراسان ، فوجّه محمد بن عبد الله إليه؛ وذلك أنّ طريق خراسان كان

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٧٠).

إليه بندار ومظفر بن سيسل مَسْلَحة ، فلما صارا بدسْكرة الملك أقاما؛ فذُكِر أنّ بندار خرج في آخر يوم من شهر رمضان متصيّداً ، فبَعُد في طلب الصَّيْد حتى جاوز دُور الدّسْكرة بنحو فرسخ؛ فبينا هو كذلك؛ إذ نظر إلى عَلَمين مقبلين معهما جماعة مُقْبلة نحو الدّسْكرة ، فوجّه بعض أصحابه لينظر ما الأعلام؛ فأخبره صاحب الجماعة أنه عامل كَرْخ جُدّان ، وأنه انتهى إليه أنّ رجلاً يقال له مساور بن عبد الحميد من الدّهاقين من أهل البوازيج شَرَى ، وأنه بلغه أنه يصير إلى كَرْخ جُدّان؛ فلما بلغه ذلك خرج هارباً إلى الدّسْكرة ليأنس بقرب بندار ومظفر؛ فانصرف بُندار من ساعته إلى المظفّر فقال له: إن الشاري يقصد كَرْخ جُدّان ، ويريدنا؛ فامض بنا نتلقّاه ، فقال له المظفّر: قد أمسينا ونريد أن نصلّيَ الجمعة ، وغداً العيد؛ فإذا انقضى العيد قصدناه ، فأبى بُندار ، ومضى من ساعته طمعاً بالمظفر الشارِي وحده دون مظفّر؛ فأقام مظفّر ولم يبرح من الدّسكرة ـ وبين الدسكرة وتَلْ عُكْبرَاء ثمانية فراسخ ، وبين تل عُكْبرَاء وموضع الوقعة أربعة فراسخ ـ فصار بُندار إلى تلّ عُكبراء ، فوافاها عند العَتمة ليلة الفطر ، فعلف دوابه شيئاً ، ثم ركب ، فسار حتى أشرف على عسكر الشاري ليلاً وهم يصلّون ويقرؤون القرآن؛ فأشار عليه بعضُ أصحابه وخاصّته أن يبيّتهم وهم غارُّون ، فأبى وقال: لا؛ حتى أنظر إليهم وينظروا إليّ ، فوجّه فارسيْن أو ثلاثة ليأتُوه بخبرِهم؛ فلمّا قرُبوا من عسكرهم نَذِروا بهم ، فصاحوا: السلاح! وركبوا فتواقَفوا إلى أن أصبحوا ، ثم اقتتلوا فلم يمكن أصحابَ بندار أن يرموا بَسَهْم واحد ، وكانوا زهاء ثلثمئة فارس وراجل فعبّاهُم ميمنة وميسرة وساقة ، وأقام هو في القلب ، فحمل عليهم مساور وأصحابُه ، فثبت لهم بُندار وأصحابه؛ ثم انحدر لهم الشّراة عن موضع عسكرهم ومبيتهم؛ ليطمع بندار وأصحابه في النَّهْب ، فلم يعرض بُندار وأصحابه لعسكرهم ، ثم كرّ الشُّرَاة عليهم بالسيوف والرماح ، وهم زهاء سبعمئة؛ فصبر الفريقان ، فصار الشراة إلى السيوف دون الرماح فقتِل من الشُّراة نحو من خمسين رجلاً ، ومن أصحاب بندار مثلهم ، ثم حمل الشراة حملةً ، فاقتطعوا من أصحاب بُندار نحواً من مئة رجل ، فصبر لهم المئة ساعة ، ثم قُتِلوا جميعاً ، وانهزم بُندار وأصحابه ، فجعلوا يقتطعونهم قطعة بعد قطعة فيقتلونهم ، وأمعن بُندار في الهَرب ، فطلبوه فلحقوه بقرب تلّ عُكْبرَاء على قَدْر أربعة فراسخ من موضع الوقعة؛ فقتلوه ونصبوا رأسَه ، ونجا مِنْ

أصحاب بُندار نحو من خمسين رجلاً ـ وقيل مئة رجل ـ انحازوا عنِ الوقْعَة عند اشتغال الخوارج بمَنْ كانوا يقتطعون منهم ، وانتهى خبرُه إلى مظفَّر وهو مقيم بالدّسْكرة ، فتنحّى من الدَّسكرة إلى ما قَرُب من بغداد ، ووصل خبرُ مقتله إلى محمد بن عبد الله بغدِ الفِطْر ، فذُكِر أنه لم يشرب ولم يَلْهُ ـ كما كان يفعل ـ غمّاً بما ورد عليه من مقتَله ، ثم مضى مُساور من فوره إلى حُلوان؛ فخرج إليه أهلها فقاتلوه ، فقتل منهم أربعمئة إنسان ، وقتلوا جماعة من أصحاب الشارِي ، وقُتِل عدّةٌ من حجّاج خراسان كانوا بحُلوَان ، فأعانوا أهلَ حُلْوان ، ثم انصرفوا عنهم .

* * *

[ذكر خبر موت محمد بن عبد الله بن طاهر][1]

وليلة أربع عشرة من ذي القعدة منها ، انخسف القمر؛ فغرِق كله أو غاب أكثره؛ ومات محمد بن عبد الله بن طاهر مع انتهاء خسوفه ـ فيما ذكر ـ وكانت علّته التي مات فيها قروحاً أصابته في حَلْقِه ورأسه فذبحته ، وذكر أن القروح التي كانت في حَلْقه ورأسه كانت تدخل فيها الفتائل؛ فلما مات تنازع الصلاةَ عليه أخوه عُبيد الله وابنه طاهر؛ فصلّى عليه ابنُه ، وكان أوصى بذلك ـ فيما قيل .

ثم وقع بين عبيد الله بن عبد الله أخي محمد بن عبد الله وبين حشم محمد بن عبد الله تنازعٌ حتى سلوا السيوف عليه ، ورُمي بالحجارة ، ومالت الغوغاء والعامة وموالي إسحاق بن إبراهيم مع طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر ، ثم صاحوا : طاهر يا منصور؛ فعبَر عبيدُ الله إلى ناحية الشرقية إلى داره ، ومال معه القوّاد لاستخلاف محمد بن عبد الله كان إياه على أعماله ووصيّته بذلك ، وكتابه بذلك إلى عمّاله ، ثم وجّه المعتزّ الخلع وولاية بغداد إلى عبيد الله ، وأمر عبيد الله للذي أتاه بالخلع من قِبَل المعتزّ فيما قيل بخمسين ألف درهم .

* * *

نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بن عبد الله إلى عمّاله باستخلافه أخاه عبيد الله بعده :

أما بعد فإنّ الله عزّ وجل جعل الموت حَتْماً مقضيّاً جارياً على الباقين من

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٦٨) وتأريخ بغداد (٥/ ٤٢٢).

خلقه ، حسبما جرى على الماضين؛ وحقيق على من أُعْطِيَ حظاً من توفيق الله ، أن يكون على استعداد لحلول ما لابدّ منه ولا محيص عنه في كلّ الأحوال ، وكتابي هذا وأنا في علّة قد اشتدّ الإشفاق منها ، وكاد الإياس يغلب على الرّجاء فيها؛ فإن يُبْلِ الله ويدفع فبقدرته وكريم عادته؛ وإن يَحْدُث بي الحدثُ الذي هو سبيل الأولين والآخرين؛ فقد استخلفتُ عبيد الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين أخي الموثوق باقتفائه أثري ، وأخذه بسدّ ما أنا بسبيله من سلطان أمير المؤمنين إلى أن يأتيَه من أمره ما يعمل بحسبه؛ فاعلمْ ذلك وائتمرْ فيما تتولاّه بما يرِد به كتب عبيد الله وأمره إن شاء الله.

وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين ومئتين.

* * *

وفيها نفى المعتزُّ أبا أحمد بن المتوكل إلى واسط ، ثم إلى البصرة ، ثم رُدّ إلى بغداد ، وأنزل إلى الجانب الشرقيّ في قصر دينار بن عبد الله [١].

وفيها نفى أيضاً عليّ بن المعتصم إلى واسط ثم رُدّ إلى بغداد فيها [٢].

وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر في ذي الحجة.

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن محمد بن سليمان الزينبي [٣].

وفيها غزا محمد بن معاذ بالمسلمين في ذي القعدة من ناحية مَلَطية ، فهُزِموا وأسر محمد بن معاذ.

وفيها التقى موسى بن بُغا والكوكبيّ الطالبيّ على فرسخ من قَزوين يوم الإثنين سَلْخ ذي القعدة منها ، فهزم موسى الكوكبيّ ، فلحق بالدّيْلم ، ودخل موسى بن بُغا قَزْوين.

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٦٤).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٦٤).
(٣) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٢٣).

وذكر لي بعض مَنْ شهد الوقعة ، أنّ أصحاب الكوكبيّ من الدّيلم لما التقوْا بموسى وأصحابه صفوا صفوفاً ، وأقاموا تِرَستهم في وجوههم يتّقون بذلك سهام أصحاب موسى؛ فلما رأى موسى أنّ سهام أصحابه لا تصل إليهم مع ما قد فعلوا ، أمر بما معه من النَّفط أن يُصَبّ في الأرض التي التقى هو وهم فيها؛ ثم أمر أصحابه بالاستطراد لهم ، وإظهار هزيمة منهم؛ ففعل ذلك أصحابه؛ فلمّا فعلوا ذلك ظنّ الكوكبيّ وأصحابه أنهم انهزموا؛ فتبعوهم ، فلما علم موسى أن أصحاب الكوكبيّ قد توسّطوا النفط أمر بالنار فأشعلت فيه ، فأخذت فيه النار ، وخرجت من تحت أصحاب الكوكبيّ ، فجعلت تحرقهم؛ وهرب الآخرون ، وكان هزيمة القوم عند ذلك ودخول موسى قَزْوين[١] .

وفيها لقي خطارمش مساور الشاري بناحية جَلولاء في ذي الحجة ، فهزمه مساور.

ثم دخلت سنة أَربع وخمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من مقتل بغا الشرابيّ[٢] .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

[ذكر خبر مقتل بغا الشرابي]

ذُكِر أنّ السبب في ذلك كان أنه كان يحضّ المعتزّ على المصير إلى بغداد ، والمعتزّ يأبى ذلك عليه ، ثم إن بُغا اشتغل مع صالح بن وصيف في خاصّته بعُرس جمعة بنت بُغا؛ كان صالح بن وصيف تزوّجها للنصف من ذي القعدة؛ فركب

(١) هذه الرواية أخرجها الطبري بإسناد عالٍ فليس بينه وبين الواقعة إلا راوٍ واحد هو شاهد عيان (ذكر لي بعض من شهد الوقعة) ورحم الله الطبري لِمَ لَمْ يذكر اسم الراوي حتى يتمكن النقاد من الحكم على الإسناد؟!

(٢) ذكر ابن الجوزي مقتل بغا الشرابي ضمن وقائع ووفيات سنة (٢٥٤ هـ) وقال كان قد طغى وخالف أمر المعتز واستبد بالأموال والأمر [المنتظم ١٢/ ٧٣].

المعتزّ ليلاً ، ومعه أحمد بن إسرائيل إلى كرْخ سامرّا يريد بايكباك ومَنْ كان معه على مثل ما هو عليه من انحرافه عن بُغا ، وكان سببُ انحرافه عنه ـ فيما ذكر ـ أنهما كانا في شراب لهما يشربانه ، فعربَد أحدُهما على صاحبه؛ فتهاجرا لذلك؛ وكان بايكباك بسبب ذلك هارباً من بُغا مستخفياً منه؛ فلما وافَى المعتزّ بمَنْ معه الكرْخ اجتمع من بايكباك أهلُ الكَرْخ وأهل الدُّور ، ثم أقبلوا مع المعتزّ إلى الجوسق بسامُرّا؛ وبلغ ذلك بُغا ، فخرج في غلمانه وهم زُهاء خمسمئة ومثلهم من ولده وأصحابه وقوّاده ، وصار إلى نهر نَيْزك ، ثم انتقل إلى مواضع ، ثم صار إلى السنّ ، ومعه من العين تسع عشرة بَدْرة دنانير ومئة بَدْرة دراهم؛ أخذها من بيت ماله وبيوت أموال السلطان؛ فأنفق منها شيئاً يسيراً حتى قُتِل.

وذكر أنه لما بلغه أن المعتزّ قد صار إلى موضع الكرْخ مع أحمد بن إسرائيل خرج في خاصّة قوّاده حتى صار إلى تَلّ عُكْبَراء ، ثم مضى فصار إلى السنّ؛ فشكا أصحابُه بعضُهم إلى بعض ما هم فيه من العسف ، وأنهم لم يخرجوا معهم بمضارب ، ولا ما يتدفّئون به من البرد ، وأنهم في شتاء ، وكان بُغا في مضرب له صغير على دِجْلة ، كان يكون فيه ، فأتاه ساتكين ، فقال: أصلح الله الأمير! قد تكلّم أهل العسكر ، وخاضوا في كذا وأنا رسولهم إليك ، فقال: كلّهم يقول مثل قولك؟ قال: نعم؛ وإن شئت فابعثْ إليهم حتى يقولوا مثل قولي ، قال: دعْني الليلة حتى أنظر ، ويخرج إليكم أمري بالغَداة ، فلما جنّ عليه الليل دعا بزَوْرق ، فركبه مع خادمين معه ، وحمل معه شيئاً من المال ، ولم يحمل معه سلاحاً ولا سِكّيناً ولا عموداً ، ولا يعلم أهل عسكره بذلك من أمره ، والمعتزّ في غَيْبة بُغا لا ينام إلا في ثيابه ، وعليه السلاح ، ولا يشرب نبيذاً ، وجميع جواريه على رجل ، فصار بُغا إلى الجسر في الثلث الأوّل من الليل؛ فلما قارب الزّورق الجسر بعث الموكّلون به مَن في الزّوْرق ، فصاح بالغلام ، فرجع إليهم ، وخرج بُغا في البستان الخاقانيّ ، فلحقه عدّة منهم؛ فوقف لهم وقال: أنا بُغا ، ولحقه وليد المغربيّ ، فقال له: ما لك جعلت فداك! فقال: إما أن تذهب بي إلى منزل صالح بن وصيف ، وإما أن تصيروا معي إلى منزلي؛ حتى أحسن إليكم ، فوكّل به وليد المغربيّ ، ومرّ يركض إلى الجوْسق ، فاستأذن على المعتزّ فأذن له ، فقال: يا سيدي هذا بُغا قد أخذته ووكّلت به ، قال: ويلك! جئني برأسه؛ فرجع

وليد ، فقال للموكلين به : تنحَّوْا عنه حتى أبلغه الرّسالة ، فتنحَّوْا عنه ، فضربه ضربة على جبهته ورأسه؛ ثم تناهى على يديْه فقطعهما ، ثم ضربه حتى صرعه وذبحه ، وحمل رأسه في بِرْكة قبائه ، وأتى به المعتزّ؛ فوهب له عشرة آلاف دينار ، وخلع عليه خِلعة ، ونصب رأسَه بسامرّا ، ثم ببغداد ، ووثبت المغاربة على جُثّته ، فأحرقوه بالنار ، وبعث المعتزّ من ساعته إلى أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخلد وأبي نوح ، فأحضرهم وأخبرهم ، وتتبّع عبيد الله بن طاهر بنيه ببغداد؛ وكانوا صاروا إليها هُرّاباً مع قوم يثقون بهم؛ فاستتروا عندهم فذكر أنه حُبِس في قصر الذّهب من ولده وأصحابه ، خمسة عشر إنساناً وفي المطبق عشرة.

وقيل : إنّ بُغا لمّا انحدر إلى سامرّا ليلةَ أخِذ شاور أصحابه في الانحدار إليها مكتتماً ، فيصير إلى منزل صالح بن وصيف ، وإذا قرب العيد دخل أهل العسكر ، وخرج هو وصالح بن وصيف وأصحابُه ، فوثبوا بالمغاربة ، فوثبوا بالمعتزّ.

وفيها عقد صالح بن وصيف لديوداد على ديار مُضَر وقِنّسْرين والعواصم فوثبوا بالمعتزّ في ربيع الأوّل منها.

وفيها عقد بايكباك لأحمد بن طولون على مصر[١].

وفيها أوقع مفلح وباجور بأهل قمّ ، فقتلا منهم مقتلة عظيمة؛ وذلك في شهر ربيع الأوّل منها.

وفيها مات علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا يوم الإثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ، وصلّى عليه أبو أحمد بن المتوكل في الشارع المنسوب إلى أبي أحمد ، ودفن في داره[٢].

وفيها في جمادى الآخرة وافى الأهواز دُلف بن عبد العزيز بن أبي دُلف

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٧٣).
(٢) انظر وفاة أبي الحسن (العسكري الهاشمي رضي الله تعالى عنه).
تأريخ بغداد (١٢/ ٥٦) والمنتظم (١٢/ ٧٤).

بتوجيه والده عبد العزيز إيّاه إليها وجُنْدَيْ سابور وتُسْتَر ، فجباها مئتي ألف دينار ثم انصرف.

وفي شهر رمضان منها شخص نوشري إلى مُساور الشاري فلقيَه وهزمه ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة.

وحجّ بالناس في هذه السنة عليّ بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد (١).

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من دخول مُفْلِح طَبَرستان ووقْعة كانت بينه وبين الحسن بن زيد الطالبيّ، هزم فيها مُفْلح الحسنَ بن زيد فلحق بالدّيلم ، ثم دخل مفلح آمُل ، وأحرق منازل الحسن بن زيد ، ثم توجّه نحو الديلم في طلب الحسن بن زيد (٢).

* * *

[ذكر خبر استيلاء يعقوب بن الليث على كرمان] (٣)

وفيها كانت وقعة بين يعقوب بن الليث وطوق بن المغلّس خارج كِرْمان أسر فيها يعقوب طوقاً؛ وكان السبب في ذلك ـ فيما ذكر ـ أنّ عليّ بن الحسين بن قُرَيش بن شِبْل كتب إلى السلطان يخطُب كِرْمان ـ وكان قَبْلُ من عمّال آل طاهر ـ وكتب يذكر ضعف آل طاهر وقلة ضبطهم ، بما إليهم من البلاد ، وأنّ يعقوب بن الليث قد غَلبهم على سجستان ، وتباطأ على السلْطان بتوجيه خراج فارس؛ فكتب السلطان إليه بولاية كِرْمان ، وكتب إلى يعقوب بولايتها يلتمس بذلك إغراءَ كلٍّ واحد منهما بصاحبه ليسقط مؤنة الهالك منهما عنه ويتفرّد بمُؤْنة الآخر؛ إذ كان كلّ واحد منهما عنده حرباً له وفي غير طاعته؛ فلما فعل ذلك بهما زحف يعقوب بن الليث من سِجِسْتان يريد كِرْمان ، ووجّه عليّ بن الحسين طوق بن

---

(١) انظر البداية والنهاية [٨/ ٢٢٤].

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

المغلّس وقد بلغه خبر يعقوب وقصده كِرْمان في جيش عظيم من فارس ، فصار طوق بكِرْمان ، وسبق يعقوب إليها فدخلها ، وأقبل يعقوب من سِجِسْتان ، فصار من كِرْمان على مرحلة .

فحدثني مَنْ ذكر أنه كان شاهداً أمرهما ، أن يعقوب بَقِيَ مقيماً في الموضع الذي أقام به من كِرْمان على مرحلة لا يرتحل عنه شهراً أو شهرين ، يتجسّس أخبار طَوْق ؛ ويسأل عن أمره كلّ من مَرّ به خارجاً من كِرْمان إلى ناحيته ، ولا يَدَع أحداً يجوز عسكره من ناحيته إلى كِرْمان ، ولا يزحف طَوْقٌ إليه ولا هو إلى طَوْق ، فلما طال ذلك من أمرهما كذلك أظهر يعقوب الارتحال عن معسكره إلى ناحية سِجِسْتان ، فارتحل عنه مرحلة ، وبلغ طوْقاً ارتحالُه ، فظنّ أنه قد بدا له في حربه ، وترك عليه كِرْمان وعلى عليّ بن الحسين ؛ فوضع آلة الحرْب وقعد للشرب ، ودعا بالملاهي ، ويعقوب في كلّ ذلك لا يغفل عن البحث عن أخباره ؛ فاتصل به ووضع طوْق آلة الحرب وإقباله على الشراب واللهو بارتحاله ؛ فكرّ راجعاً ، فطوى المرحلتيْن إليه في يوم واحد ، فلم يشعر طوْق وهو في لهوه وشربه في آخر نهاره إلا بغَبَرة قد ارتفعت من خارج المدينة التي هو فيها من كِرْمان ، فقال لأهل القرية : ما هذه الغَبرة؟ فقيل له : غَبَرة مواشي أهل القرية منصرفة إلى أهلها ، ثم لم يكن إلا كلا ولا ؛ حتى وافاه يعقوب في أصحابه ، فأحاط به وبأصحابه ؛ فذهب أصحاب طوق لمّا أحيط بهم يريدون المدافعة عن أنفسهم ، فقال يعقوب لأصحابه : أفرِجوا للقوم ، فأفرَجوا لهم ، فمرُّوا هاربين على وجوههم ، وخلَّوْا كلَّ شيء لهم مما كان معهم في معسكرهم ، وأسر يعقوب طَوْقاً[١] .

فحدثني ابنُ حماد البربريّ أن عليّ بن الحسين لمّا وَجّه طوقاً حمّله صناديق في بعضها أطواقه وأسورة ليطوّق ويسوّر من أبلى معه من أصحابه ، وفي بعضها أموال ليجيز من استحقّ الجائزة منهم ، وفي بعضها قيود وأغلال ليقيّد بها مَنْ أخذ من أصحاب يعقوب ؛ فلما أسَر يعقوب طَوقاً ورؤساء الجيش الذين كانوا معه أمر بحيازة كلّ ما كان مع طَوْق وأصحابه من المال والأثاث والكُراع والسلاح ، فحيزَ

(١) هذان خبران يرويهما الطبري بإسناد عال جداً إلا أن أبهم اسم الراوي الأول (من ذكر أنه كان شاهداً أمرهما) والثاني (ابن حماد البربري) دون ذكره لاسم هذا الابن .

ذلك كله ، وجُمع إليه؛ فلما أتِيَ بالصناديق أتِيَ بها مقفلَة ، فأمر ببعضها أن يُفتح ، ففتح فإذا فيه القيود والأغلال فقال لطَوْق: يا طَوْق؛ ما هذه القيود والأغلال؟ قال: حمّلنِيها عليّ بن الحسين لأقيّد بها الأسرى وأغلّهم بها ، فقال: يا فلان ، انظر أكبرها وأثقلها فاجعله في رجلْي طَوْق وغُلّه بغُلّ ، ثم جعل يفعل مثل ذلك بمن أسر من أصحاب طوق ، قال: ثمّ أمر بصناديق أخَر ففتحت؛ فإذا فيها أطوقة وأسورة ، فقال: يا طوْق ، ما هذه؟ قال: حمّلنِيها عليّ لأطوّق بها وأسوّر أهل البلاء من أصحابي ، قال: يا فلان؛ خذ من ذلك طَوْق كذا وسوار كذا ، فطوّق فلاناً وسوّره ، ثم جعل يفعل ذلك بأصحاب نفسه حتى طوّقهم وسوّرهم ، ثم جعل يفعل كذلك بالصناديق ، قال: ولما أمر يعقوب بمدّ يد طوق ليضعها في الغلّ ، إذا على ذراعه عصابة ، فقال له: ما هذا يا طوق؟ قال: أصلح الله الأمير! إني وجدت حرارة ففصدتها ، فدعا بعضٍ من معه فأمر بمدّ خفه من رجله ففعل ذلك ، فلما نزعه من رجله تناثر من خُفه كسر خبز يابسة ، فقال: يا طوْق هذا خفّي لم أنزعه من رجلي منذ شهرين ، وخبزي في خفّي منه آكل لا أطأ فراشاً ، وأنت جالس في الشرب والملاهي! بهذا التدبير أردت حربي وقتالي!

فلمّا فرغ يعقوب بن الليث من أمر طَوْق دخل كِرْمان ، وحازها وصارت مع سِجِسْتان من عمَله[١].

* * *

[ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث فارس][١]

وفيها دخل يعقوب بن الليث فارس وأسر عليّ بن الحسين بن قريش.

* ذكر الخبر عن سبب أسره إياه وكيف وصل إليه:

حدّثني ابن حمّاد البربريّ ، قال: كنتُ يومئذ بفارس عند عليّ بن الحسين بن قريش ، فورد عليه خبر وقْعة يعقوب بن الليث بصاحبه طَوْق بن المغلِّس ودخول

---

(١) هذه أخبار في ذكر دخول يعقوب بن الليث فارس وما رافقه انفرد بهما الطبري من بين المؤرخين المتقدمين الثقات عن شاهد عيان (ابن حماد الراوي) ولم نتبيّن من هو والله أعلم.

يعقوب كرْمان واستيلائه عليها ، ورجع إليه الفَلّ ، فأيقن بإقبال يعقوب إلى فارس؛ وعليّ يومئذ بشِيراز من أرض فارس ، فضمّ إليه جيشه ورجّالة الفلّ من عند طَوْق وغيرهم ، وأعطاهم السلاح ، ثم برز من شِيراز ، فصار إلى كُرّ خارج شيراز بين آخر طرفه عرضاً ممّا يلي أرض شِيراز ، وبين عَرْض جبل بها من الفضاء قدرُ ممرّ رجل أو دابة ، لا يمكن من ضيقه أن يمرّ فيه أكثر من رجل واحد ، فأقام في ذلك الموضع ، وضرب عسكره على شطّ ذلك الكُرّ مما يلي شِيراز ، وأخرج معه المتسوّقة والتجار من مدينة شِيراز إلى مُعسكره ، وقال : إن جاء يعقوب لم يجد موضعاً يجوز الفلاة إلينا؛ لأنه لا طريق له إلاّ الفضاء الذي بين الجبل والكرّ؛ وإنما هو قدر ممرّ رجل؛ إذا أقام عليه رجل واحد منع من يريد أن يجوزه ، وإن لم يقدر أن يجوز إلينا بقي في البرّ بحيث لا طعام له ولا لأصحابه ولا علَف لدوابهم.

قال ابن حماد : فأقبل يعقوب حتى قَرُب من الكُرّ ، فأمر أصحابه بالنزول أوّل يوم على نحو من ميل من الكُرّ مما يلي كِرْمان ، ثم أقبل هو وحده وبيده رمح عُشارِيّ؛ يقول ابن حماد : كأني أنظر إليه حين أقبل وحدَه على دابته ، ما معه إلا رجل واحد ، فنظر إلى الكُرّ والجبل والطريق ، وقرب من الكرّ ، وتأمل عسكر عليّ بن الحسين ، فجعل أصحاب علي يشتمونه؛ ويقولون : لنردنّك إلى شَعْب المراجل والقماقم ، يا صفّار ـ وهو ساكت لا يردّ عليهم شيئاً ـ قال : فلمّا تأمل ما أراد من ذلك ورآه ، انصرف راجعاً إلى أصحابه : قال : فلمّا كان من الغد عند الظهر أقبل بأصحابه ورجاله حتى صار على شطّ كُرّ مما يلي بَرّكِرمان ، فأمر أصحابه فنزلوا عن دوابهم ، وحطُّوا أثقالهم ، قال : ثم فتح صندوقاً كان معه.

قال ابن حماد : كأني أنظرُ إليهم وقد أخرجوا كلباً ذئبيّاً ، ثم ركبوا دوابّهم أعراء ، وأخذوا رماحهم بأيديهم ، قال : وقبل ذلك كان قد عبّأ عليّ بن الحسين أصحابَه ، فأقامهم صفوفاً على الممرّ الذي بين الجبل والكُرّ؛ وهم يرون أنه لا سبيل ليعقوب ، ولا طريق له يمكنه أن يجوزه غيره. قال : ثم جاؤوا بالكلب ، فرموا به في الكُرّ ، ونحن وأصحاب عليٍّ ينظرون إليهم يضحكون منهم ومنه ، قال : فلما رموا بالكلب فيه ، جعل الكلب يسبَحُ في الماء إلى جانب عسكر عليّ بن الحسين ، وأقحم أصحاب يعقوب دوابّهم خلْف الكلب ، وبأيديهم

رماحُهم ، يسيرون في أثر الكلب ، فلما رأى عليّ بن الحسين أن يعقوب قد قطع عامّة الكُرّ إليه وإلى أصحابه ، انتقض عليه تدبيرُه ، وتحيّر في أمره؛ ولم يلبث أصحاب يعقوب إلا أيسر ذلك حتى خرجوا من الكُرّ من وراء أصحاب عليّ بن الحسين؛ فلم يكن بأسرع من أن خرج أوائلهم منه حتى هرب أصحاب عليّ يطلبون مدينة شيراز ، لأنهم كانوا يصيرون إذا خرج أصحاب يعقوب من الكرّ بين جيش يعقوب وبين الكُرّ ، ولا يجدون ملجأ إن هُزموا ، وانهزم عليّ بن الحسين بانهزام أصحابه؛ وقد خرج أصحاب يعقوب من الكُرّ ، فكبتْ به دابته ، فسقط إلى الأرض ولحقه بعض السِّجْزيّة فهمَّ عليه بسيفه ليضرَبه؛ فبلغ إليه خادم له ، فقال: الأمير. فنزل إليه السجزيّ ، فوضع في عنقه عمامته ، ثم جرّه إلى يعقوب ، فلما أتى به أمر بتقييده ، وأمر بما كان في عسكره من آلة الحرب من السلاح والكُراع وغير ذلك ، فجُمع إليه ، ثم أقام بموضعه حتى أمسى ، وهجم عليه اللّيل ، ثم رحل من موضعه ، ودخل مدينة شِيراز ليلاً وأصحابه يضربون بالطّبول ، فلم يتحرّك في المدينة أحد ، فلمّا أصبح أنهب أصحابه دار عليّ بن الحسين ودور أصحابه؛ ثم نظر إلى ما اجتمع في بيت المال من مال الخرَاج والضِّياع ، فاحتمله ووضع الخراج ، فجباه ، ثم شخص منها متوجِّهاً إلى سِجِستان ، وحمل معه ابن قريش ومَنْ أسِرْ معه.

* * *

وفيها وجّه يعقوب بن الليث إلى المعتزّ بدوابّ وبُزاة ومِسْك هديّةً.

وفيها ولِيَ سليمان بن طاهر شرطة بغداد والسواد ، وذلك لستّ خلون من شهر ربيع الآخر ، وكانت موافاته سامُرّا من خُراسان - فيما ذكر - يوم الخميس لثمان خَلْون من شهر ربيع الأوّل ، وصار إلى الإيتاخية ، ثم دخل على المعتزّ يوم السبت ، فخلع عليه وانصرف.

وفيها كانت وقعة بين مساور الشاري ويارجوخ ، فهزمه الشاري وانصرف إلى سامُرّا مفلولاً.

ومات المعلّي بن أيوب في شهر ربيع الآخر منها.

* * *

[ذكر فعل صالح بن وصيف مع أحمد بن إسرائيل ورفيقيه][١]

وفيها أخذ صالح بن وصيف أحمد بن إسرائيل والحسن بن مخْلد وأبا نوح عيسى بن إبراهيم فقيَّدهم ، وطالبهم بأموال؛ وكان سبب ذلك ـ فيما ذكر ـ أنّ هؤلاء الكتّاب الذين ذكرتُ كانوا اجتمعوا يوم الأربعاء لليلتين خَلَتا من جمادى الآخرة من هذه السّنة على شراب لهم يشربونه ، فلمّا كان يوم الخميس غد ذلك اليوم ، ركب ابن إسرائيل في جَمْع عظيم إلى دار السلطان التي يَقْعُد فيها ، وركب ابن مخْلد إلى دار قَبيحة أمّ المعتز ـ وهو كاتبها ـ وحضر أبو نوح الدّار ، والمعتز نائم؛ فانتبه قريباً من انتصاف النهار ، فأذن لهم ، فحمل صالح بن وصيف على أحمد بن إسرائيل ، وقال للمعتزّ: يا أمير المؤمنين؛ ليس للأتراك عطاء ولا في بيت المال مالٌ ، وقد ذهب إلى إسرائيل وأصحابه بأموال الدنيا ، فقال له أحمد: يا عاصي يا بن العاصي! ثم لم يزالا يتراجعان الكلام حتى سقط صالح مغشيّاً عليه ، فرُشّ على وجهه الماء ، وبلغ ذلك أصحابه وهم على الباب ، فصاحوا صيحةً واحدة ، واخترطُوا سيوفَهم ، ودخلوا على المعتزّ مُصْلِتين؛ فلما رأى ذلك المعتزّ دخل وتركهم ، وأخذ صالح بن وصيف ابنَ إسرائيل وابنَ مخلد وعيسى بن إبراهيم فقيّدهم ، وأثقلهم بالحديد ، وحملهم إلى داره ، فقال المعتزّ لصالح قبل أن يحملهم: هَبْ لي أحمد؛ فإنه كاتبي؛ وقد ربّاني؛ فلم يفعل ذلك صالح ، ثم ضرب ابن إسرائيل؛ حتى كسرت أسنانُه ، وبطح ابن مخْلد فَضُرِب مئة سوط؛ وكان عيسى بن إبراهيم محتجِماً فلم يزل يُصفع حتى جرَت الدماء من محاجمه؛ ثم لم يُتركوا حتى أخِذت رقاعهم بمالٍ جليل قُسّط عليهم.

وتوجّه قوم من الأتراك إلى إسكاف ليأتوا بجعفر بن محمود ، فقال المعتزّ: أمّا جعفر فلا أرَبَ لي فيه ولا يعمل لي ، فمضوا ، فبعث المعتزّ إلى أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد المروزيّ ، فحمِل ليصيّره وزيراً ، وبعث إلى إسحاق بن منصور ، فأشخص وبعثت قبيحة إلى صالح بن وصيف في ابن إسرائيل: إمّا حملتَه إلى المعتزّ وإما ركبتُ إليك فيه.

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٧٩) فقد ذكر ابن الجوزي الخبر مختصراً جداً.

وقد ذُكر أنّ السبب في ذلك كان أنّ الأتراك طلبوا أرزاقَهم ، وأنهم جعلوا ذلك سبباً لما كان من أمرهم ، وأنّ الرسلَ لم تزل تختلف بينهم وبين هؤلاء الكتّاب؛ إلى أن قال أبو نوح لصالح بن وصيف: هذا تدبيرك على الخليفة ، فغُشِيَ على صالح حينئذ مما داخله من الحرَد والغَيْظ حتى رشُّوا على وجهه الماء ، فلمّا أفاق جرى بين يدي المعتزّ كلام كثير ، ثم خرجوا إلى الصلاة ، وخلا صالح بالمعتزّ ، ثم دُعِيَ بالقوم فلم يلبثوا إلا قليلاً ، حتى أخرِجوا إلى قُبّة في الصحن؛ ثم دُعِي بأبي نوح وابن مخلد فأخذت سيوفُهما وقلانسهما ومُزِّقت ثيابهما ، ولحقهما ابن إسرائيل فألقى نفسه عليهما؛ فثُلّث به؛ ثم أخرجوا إلى الدهليز وحُمِلوا على الدواب والبغال ، وارتدف خلف كلّ واحد منهم تركيّ ، وبعث بهم إلى دار صالح على طريق الحيْر ، وانصرف صالح بعد ساعة ، وتفرّق الأتراك ، فانصرفوا ، فلما كان بعد ذلك بأيام جُعل في رجْل كلّ واحد منهم ثلاثون رطلاً ، وفي عنق كل واحد منهم عشرون رطلاً من حديد ، وطولبوا بالأموال ، فلم يُجب واحد منهم إلى شيء؛ ولم ينقطع أمرُهم إلى أن دخل رجب؛ فوُجّهوا في قبض ضياعهم ودورهم وضياع أسبابهم وأموالهم ، وسُمّوا الكتّاب الخونة ، فقدم جعفر بن محمود يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة فولِيَ الأمر والنهي .

* * *

ولليلتين خَلَتَا من رجب ظهر بالكوفة عيسى بن جعفر وعليّ بن زيد الحسنيّان ، فقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى[١] .

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المعتزّ ثم موته][٢]

ولثلاث بقين من رجب منها خُلع المعتزّ ، ولليلتين خلتا من شعبان أظهِر

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٧٩).
(٢) المصدر السابق (١٢/ ٨٠).

موته؛ وكان سبب خلعه ـ فيما ذكر ـ أن الكتّاب الذي ذكرنا أمرهم ، لمّا فعل بهم الأتراك ما فعلوا ، ولم يُقرُّوا لهم بشيء ، صاروا إلى المعتزّ يطلبون أرزاقهم ، وقالوا له : أعطِنا أرزاقنا حتى نقتُل لك صالح بن وصيف ، فأرسل المعتزّ إلى أمه يسألها أن تعطيَه مالاً ليعطيَهم ، فأرسلت إليه : ما عندي شيء ، فلما رأى الأتراك ومَنْ بسامُرّا من الجند أن قد امتنع الكُتّاب من أن يُعطوهم شيئاً ، ولم يجدوا في بيت المال شيئاً ، والمعتزّ وأمه قد امتنعا من أن يَسْمَحا لهم بشيء؛ صارت كلمة الأتراك والفراغنة والمغاربة واحدةً ، فاجتمعوا على خَلْع المعتزّ ، فصاروا إليه لثلاث بَقِين من رجب؛ فذكر بعض أسباب السلطان أنه كان في اليوم الذي صاروا إليه عند نحرير الخادم في دار المعتز ، فلم يَرعْه إلا صياح القوم من أهل الكَرْخ والدُّور ، وإذا صالح بن وصيف وبايكباك ومحمد بن بُغا المعروف بأبي نصر ، قد دخلوا في السلاح ، فجلسوا على باب المنزل الذي ينزله المعتزّ ، ثم بعثوا إليه : اخرُج إلينا ، فبعث إليهم : إني أخذت الدّواء أمس ، وقد أجفلني اثنتي عشرة مرّة؛ ولا أقدر على الكلام من الضعف؛ فإن كان أمراً لابدّ منه ، فليدخل إليّ بعضُكم فَلْيُعْلِمْني وهو يرى أن أمره واقف على حاله ، فدخل إليه جماعة من أهل الكَرْخ والدّور من خلفاء القُوّاد ، فجرّوا برجْلِه إلى باب الحُجْرة؛ قال : وأحسبهم كانوا قد تناولوه بالضّرْب بالدبابيس ، فخرج وقميصه مخرّق في مواضع ، وآثار الدم على منكبِه ، فأقاموه في الشمس في الدار في وقت شديد الحرّ ، قال : فجعلتُ أنظر إليه يرفعُ قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي قد أقيم فيه ، قال : فرأيتُ بعضَهم يلطمه وهو يتقي بيده ، وجعلوا يقولون : اخلعْها ، فأدخلوه حجرَة على باب حجرة المعتزّ كان موسى بن بُغا يسكنها حين كان حاضراً ، ثم بعثوا إلى ابن أبي الشوارب ، فأحضروه مع جماعة من أصحابه؛ فقال له صالح وأصحابه : اكتبْ عليه كتاب خَلْع ، فقال : لا أحسنه؛ وكان معه رجل أصبهانيّ ، فقال : أنا أكتب ، فكتب وشهدوا عليه وخرجوا ، وقال ابن أبي الشوارب لصالح : قد شهدوا أنّ له ولأخته وابنه وأمه الأمان ، فقال صالح بكفّه : أي نعم؛ ووكلوا بذلك المجلس وبأمّه نساء يحفظنها .

فذكر أن قبيحة كانت اتّخذت في الدار التي كانت فيها سَرَباً ، وأنها احتالت هي وقُرْب وأخت المعتزّ ، فخرجوا من السَّرَب ، وكانوا أخذوا عليها الطرُق ، ومنعوا الناس أن يجوزوا من يوم فعلوا بالمعتزّ ما فعلوا؛ وذلك يوم الإثنين إلى يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب.

فذُكر أنه لما خُلع دفع إلى من يعذّبه ومُنِع الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطلَب حَسْوةً من ماء البئر ، فمنعوه ثم جصّصوا سرداباً بالجِصّ الثخين ، ثم أدخلوه فيه ، وأطبقوا عليه بابَه ، فأصبح ميّتاً.

وكانت وفاته لليلتين خَلَتا من شعبان من هذه السنة ، فلمّا مات أشهد على موته بنو هاشم والقواد؛ وأنه صحيح لا أثر فيه ، فدُفِن مع المنتصر في ناحية قصر الصّوامع؛ فكانت خلافته من يوم بويع له بسامُرّا إلى أن خُلع أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشِرين يوماً ، وكان عمره كلّه أربعاً وعشرين سنة [١] وكان أبيض أسود الشعر كثيفه ، حسن العينين والوجه ، ضيّق الجبين ، أحمر الوجنتين ، حسن الجِسم ، طويلاً.

وكان مولده بسامُرّا.



(١) والذي اختاره الحافظ ابن كثير ما يلي: (ولثلاث بقين من رجب من هذه السنة خلع الخليفة المعتز بالله ولليلتين مضتا من شعبان أظهر موته) [البداية والنهاية ٨/ ٢٢٥].
وقال أيضاً: وكان ذلك في اليوم الثاني من شعبان (أي اليوم الذي أشهدوا فيه جماعة من الأعيان على موته). من هذه السنة (أي ٢٥٥ هـ) وكان يوم السبت وصلى عليه المهتدي بالله ودفن مع أخيه المنتصر إلى جانب قصر الصوامع عن أربع وعشرين سنة.
وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً [البداية والنهاية ٨/ ٢٢٥].
وانظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٣٢) وتاريخ بغداد (٢/ ١٢٥).
وقد ذكر اثنان من الأئمة الثقات من أهل الحديث كلاماً جرى بينهما وبين المعتز بالله وطرفاً من أخباره وهما الزبير بن بكار وعلي بن حرب [وانظر تأريخ بغداد (٢/ ١٢٥) وتأريخ دمشق (١٨/ ٣١٧) وتأريخ بغداد (٢/ ١٢٤) وتأريخ الخلفاء (٤٠٦).

خلافة ابن الواثق المهتدي بالله

وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت من رَجب من هذه السنة ، بويع محمد بن الواثق؛ فسُمِّي بالمهتدي بالله؛ وكان يكنى أبا عبد الله؛ وأمه روميّة؛ وكانت تسمى قُرْب [1].

وذكر عن بعض من كان شاهداً أمرهم ، أنّ محمد بن الواثق لم يقْبَل بيعةَ أحد؛ حتى أتيَ بالمعتز فخلع نفسه؛ وأخبَر عن عجزه عن القيام بما أسْنِد إليه ، ورغبته في تسليمها إلى محمد بن الواثق؛ وأن المعتزّ مدّ يده فبايع الواثق؛ فسمَّوْه بالمهتدي ، ثم تنحّى وبايع خاصّة الموالي.

وكانت نسخة الرقعة بخلع المعتزّ نفسه:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أشهد عليه الشهود المسمَّوْن في هذا الكتاب؛ شهدوا أنّ أبا عبد الله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقرّ عندهم ، وأشهدهم على نفسه في صحّةٍ من عقله ، وجوازٍ من أمره؛ طائعاً غير مكرهٍ ، أنه نظر فيما كان تقلّده من أمر الخلافة والقيام بأمور المسلمين؛ فرأى أنه لا يصلحُ لذلك ، ولا يكمُل له؛ وأنه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها ، ضعيف عن ذلك؛ فأخرج نفسَه ، وتبرّأ منها ، وخلعها من رَقَبته ، وخلع نفسه منها ، وَبَرأ كلّ من كانت له في عنقه بَيْعة من جميع أوليائه وسائر الناس مما كان له في رقابهم من البيْعة والعهود والمواثيق والأيمان بالطّلاق والعتاق والصَّدَقة والحجّ وسائر الأيمان ، وحلَّلهم من جميع ذلك وجعلَهم في سَعَة منه في الدنيا والآخرة ، بعد أن تبين له أنّ الصلاح له وللمسلمين في خروجه عن الخلافة والتبرؤ منها ، وأشهد على نفسه بجميع ما سمى ، ووصف في هذا الكتاب جميع الشهود

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٨) وتأريخ بغداد (٣/ ٣٤٨).

المسمّيْن فيه ، وجميع مَنْ حضر؛ بعد أن قرئ عليه حرفاً حرفاً ، فأقرّ بفهمه ومعرفته جميع ما فيه طائعاً غير مكره؛ وذلك يوم الإثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومئتين.

فوقّع المعتز في ذلك: «أقرّ أبو عبد الله بجميع مافي هذا الكتاب ، وكتب بخطه».

وكتب الشهود شهاداتهم: شهد الحسن بن محمد ، ومحمد بن يحيى ، وأحمد بن جناب ، ويحيى بن زكرياء بن أبي يعقوب الأصبهانيّ ، وعبد الله بن محمد العامريّ ، وأحمد بن الفضل بن يحيى ، وحماد بن إسحاق ، وعبد الله بن محمد ، وإبراهيم بن محمد؛ وذلك يوم الإثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومئتين.

* * *

[قيام الشغب ببغداد ووثوب العامة بسليمان بن عبد الله][1]

وفي سلْخ رَجَب من هذه السنة ، كان ببغداد شَغَب ووُثوب العامة بسليمان بن عبد الله بن طاهر.

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وإلى ما آل الأمر إليه:

وكان السببُ في ذلك ، أنّ الكتاب من محمد بن الواثق ورَد يوم الخميس سلْخ رجب على سليمان ببغداد ببيعة الناس له ، وبها أبو أحمد بن المتوكل؛ وكان أخوه المعتزّ سيّره إلى البصرة حين سخط على أخيه من أمه المؤيد؛ فلما وقعت العصبية بالبصرة نقله إلى بغداد؛ فكان مقيماً بها ، فبعث سليمان بن عبد الله بن طاهر وإليه الشرطة يومئذ ببغداد ، فأحضره دارَه ، وسمع مَنْ ببغداد من الجند والغَوغاء بأمر المعتزّ وابن الواثق ، فاجتمعوا إلى باب سليمان ، وضجّوا هنالك ، ثم انصرفوا على أنه قيل لهم: لم يَرِدْ علينا من الخبر ما نعلم به ما عمل به القوم ، فغَدوْا يوم الجمعة على ذلك من الصياح والقَوْل الذي كان قيل لهم يوم الخميس ، وصلى الناس في المسجديْن ، ودُعِيَ فيهما للمعتزّ ، فلما

(١) انظر المنتظم [١٢/ ٨٥].

كان يوم السبت غدا القوم ، فهجموا على دار سليمان ، وهتفوا باسم أبي أحمد ، ودعوْا إلى بيعته ، وخلصوا إلى سليمان في داره ، وسألوه أن يريَهم أبا أحمد بن المتوكل ، فأظهره لهم ، ووعدهم المصير إلى محبَّتهم إن تأخر عنهم ما يحبّون ، فانصرفوا عنه بعد أن أكّدُوا عليه في حفظه .

وقدم يارجوخ فنزل البَرَدان ومعه ثلاثون ألف دينار لإعطاء الجند ممّن بمدينة السلام ، ثم صار إلى الشّماسيّة ، ثم غدا ليدخل بغداد؛ فبلغ الناس الخبرُ ، فضجُّوا وتبادروا بالخروج إليه ، وبلغ يارجوخ الخبرُ ، فرجع إلى البَرَدان ، فأقام بها ، وكتب إلى السلطان ، واختلفت الكتب حتى وجّه إلى أهل بغداد بمال رضُوا به ، ووقعت بيعة الخاصّة ببغداد للمهتدي يوم الخميس لسبع ليالٍ خَلَوْن من شعبان ، ودعي له يوم الجمعة لثمانٍ خلوْن من شعبان بعد أن كانت ببغداد فِتْنة ، قتل فيها وغرق في دِجْلة قوم ، وجرِح آخرون لأن سليمان كان يحفظ داره قوم من الطَّبَرية بالسلاح ، فحاربهم أهلُ بغداد في شارع دِجْلة وعلى الجسر؛ ثم استقام الأمر بعد ذلك وسكنوا .

* * *

[ذكر خبر ظهور قبيحة أم المعتزّ](١)

وفي شهر رمضان من هذه السنة ظهرت قَبيحة للأتراك ، ودلَّتْهم على الأموال التي عندها والذخائر والجوهر؛ وذلك أنها ـ فيما ذُكر ـ قد قَدّرَت الفتك بصالح ، وواطأت على ذلك النَّفر من الكتّاب الذين أوقع بهم صالح؛ فلما أوقع بهم صالح ، وعلمت أنهم لم يطووا عن صالح شيئاً من الخبر بسبب ما نالهم من العذاب؛ أيقنت بالهلاك؛ فعملت في التخلّص ، فأخرجت ما في الخزائن داخل الجوْسق من الأموال والجواهر وفاخرِ المتاع ، فأودعت ذلك كله مع ما كانت أودعت قبل ذلك مما هو في هذا المعنى ، ثم لم تأمن المعاجلة إلى ما نزَل بها

(١) هذا الخبر انفرد به الطبري من بين المؤرخين المتقدمين الثقات ولم يذكر له إسناداً بل تساهل كثيراً عند ذكر جزءاً منه مسنداً فقال [فذكر عمّن سمعها] (٩/ ٣٩٤) فلا ذكر اسم الواسطة بينه وبين الشاهد ولم يذكر اسم الشاهد بل تركه مبهماً (عمّن) وفي المتن مبالغة ونكارة والله أعلم .

وبابنها ، فاحتالت للهرب وجهاً ، فحفرت سَرَباً من داخل القصر من حجرة لها خاصّة ينفذ إلى موضع يفوت التفتيش ، فلمّا علمت بالحادثة بادرت من غير تلبّث ولا تلوّم؛ حتى صارت في ذلك السَّرَب ، ثم خرجت من القَصْر؛ فلما فرغ الذين شغبوا في أمر ابنها مما أرادوا إحكامَه؛ فصاروا إلى طلبها غير شاكّين في القدرة عليها ، وجدوا القصر منها خالياً ، وأمْرَها عنهم مستتراً؛ لا يقفون منه على شيء؛ ولا ما يؤديهم إلى معرفته؛ حتى وقفوا على السَّرَب ، فعلموا حينئذ أنهم منه أوتوا فسلكوه؛ وانتهوا إلى موضع لا يُوقف منه على خبر ولا أثر ، فأيقنوا بالفَوْت ، ثم رجموا الظّنُون؛ فلم يجدوا لها معقلاً أعزّ ولا أمنع إن هي لجأت إليه من حبيبَ حرّة موسى بن بغا التي تزوّجها من جواري المتوكل ، فأحالوا على تلك الناحية ، وكرهوا التعرّض لشيء من أسبابها ، ووضعوا العيون والأرصاد عليها ، وأظهروا التوعّد لمن وقفوا على معرفة بأمرها؛ ثم لم يُظهِرْهم عليها؛ فلم يزل الأمر منطوياً عنهم؛ حتى ظهرت في شهر رمضان؛ وصارت إلى صالح بن وصِيف ، ووسَّطت بينها وبين صالح العطَّارة؛ وكانت تثِق بها؛ وكانت لها أموال ببغداد ، فكتبت في حَمْلِها ، فاستخرج وحُمِل منها إلى سامُرّا.

فذُكِر أنه وافَى سامُرّا يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلَتْ من شهر رمضان من هذه السَّنَة قدر خمسمئة ألف دينار ، ووقَعُوا لها على خزائن ببغداد ، فوجّه في حملها ، فاستخرج وحمل منها ، فحمل إلى السلطان من ذلك متاعٌ كثير ، وأحيل من ببغداد من الجند والشاكرية المرتزقة بمال عظيم عليه ولم تزل تُباع تلك الخزائن متّصلاً ببغداد وسامُرّا عدّة شهور؛ حتى نفذت.

ولم تزل قبيحة مقيمة إلى أن شخص الناس إلى مكة في هذه السنة ، فسُيّرت إليها مع رجاء الربابيّ ووحَش مولى المهتدي؛ فذُكِر عمّن سمعها في طريقها وهي تدعو الله على صالح بن وصيف بصوتٍ عالٍ وتقول: اللهم أخز صالح ابن وصيف؛ كما هتك ستري ، وقتل ولدي ، وبدّد شملي ، وأخذ مالي ، وغرّبني عن بلدي ، وركب الفاحشة مني! فانصرف الناس عن الموسم واحتبست بمكة.

وذكر أنّ الأتراك لما تحركوا ، وثاروا بالمعتزّ أرسلوا إليه يطلبون منه خمسين ألف دينار؛ على أن يقتلوا صالحاً؛ ويستوي لهم الأمر ، فأرسل إلى أمه يعلمها

اضطرابهم عليه ، وأنه خائف على نفسه منهم ، فقالت : ما عندي مال ، وقد وردت لنا سفاتج ؛ فلينتظروا حتى نقبض ونعطيَهم ؛ فلما قُتل المعتزّ ، أرسل صالح إلى رجل جوهريّ ، قال الرجل : فدخلت إليه وعنده أحمد بن خاقان ؛ فقال : ويحك ! هو ذا ترى ما أنا فيه ! وكان صالح قد أخافوه وطالبوه بالمال ؛ ولم يكن عنده شيء ، فقال لي : قد بلغني أنّ لقبيحة خزانةً في موضع يرشدك إليه هذا الرجل ـ وإذا رجلٌ بين يديه ـ فامض ومعك أحمد بن خاقان ؛ فإن أصبتم شيئاً فأثبته عندك ، وسلِّمه إلى أحمد بن خاقان ، وصِرْ إليّ معه ، قال : فمضيت إلى الصُّفوف بحضرة المسجد الجامع ؛ فجاء بنا ذلك الرَّجُل إلى دار صغيرة معمورة نظيفة ؛ فدخلنا ففتشنا كلّ موضع فيها فلم نجد شيئاً ، وجعل ذلك يغلُظ على أحمد بن خاقان ، وهو يتهدّد الرجل ويتوعده ، ويُغلظ له ، وأخذ الرجل فأساً ينقر به الحيطان يطلب موضعاً قد سُتر فيه المال ؛ فلم يزل كذلك حتى وقع الفأس على مكان في الحائط استدلّ بصوته على أن فيه شيئاً ، فهدمه وإذا من ورائه باب ، ففتحناه ودخلنا إليه ؛ فأدّانا إلى سَرب ، وصرنا إلى دار تحت الدار التي دخلناها على بنائها وقسمتها ، فوجدنا من المال على رُفوف في أسفاط زهاء ألف ألف دينار ، فأخذ أحمد منها ومَن كان معه قدر ثلثمئة ألف دينار ، ووجدنا ثلاثة أسفاط : سَفَطاً فيه مقدار مكّوك زمرّد إلا أنه من الزّمرد الذي لم أر للمتوكل مثله ولا لغيره ، وسفطاً دونه فيه نصف مكّوك حبّ حبّ كبار ، لم أر والله للمتوكل ولا لغيره مثله ، وسفطاً دونه فيه مقدار كيلجة ياقوت أحمر لم أر مثله ، ولا ظننت أن مثله يكون في الدنيا ؛ فقوّمت الجميع على البيع ؛ فكانت قيمته ألفي ألف دينار ، فحملناه كله إلى صالح ؛ فلما رآه جعل لا يصدق ولا يوقنُ حتى أحضر بحضرته ووقف عليه ، فقال عند ذلك : فعل الله بها وفعل ؛ عرّضت ابنها للقتْل في مقدار خمسين ألف دينار ، وعندها مثل هذا في خزانة واحدة من خزائنها !

وكانت أم محمد بن الواثق توفِّيت قبل أن يبايعَ ؛ وكانت تحت المستعين ؛ فلما قُتِل المستعين صيرها المعتزّ في قصر الرُّصافة الذي فيه الحرم ، فلما ولي الخلافة المهتدي قال يوماً لجماعة من الموالي : أمّا أنا فليس لي أمّ أحتاج لها إلى غلّة عشرة آلاف ألف في كل سنة لجواريها وخدمها والمتصلين بها ؛ وما أريد

لنفسي وولدي إلا القوت ، وما أريد فضلاً إلا لإخوتي فإن الضّيقة قد مسّتهم .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل أحمد بن إسرائيل وأبي نوح][1]

ولثلاث بقين من رمضان من هذه السنة قتِل أحمد بن إسرائيل وأبو نوح .

* ذكر الخبر عن صفة القِتْلة التي قتلا بها :

فأما السبب الذي أدّاهما إلى القتل؛ فقد ذكرناه قبلُ ، وأما القِتْلة التي قُتِلا بها ، فإنه ذكر أن صالح بن وصيف لما استصفى أموالهما ، ومال الحسن بن مخْلَد ، وعذّبهم بالضرب والقَيْد وقرّب كوانين الفحم في شدّة الحرّ منهم ، ومنعهم كلّ راحة ، وهم في يده على حالهم ، ونسبهم إلى أمور عظام من الخيانة ، والقصد لذلّ السلطان والحِرْص على دوام الفتن والسعي في شقّ عصا المسلمين ، فلم يعارضْه المهتدي في شيء من أمورهم ، ولم يوافقه على شيء أنكره من فعله بهم ، ثمّ وجّه إليهم الحسن بن سيلمان الدوشابيّ في شهر رمضان ، ليتولّى استخراج شيء إن كان زُوِيَ عنه من أموالهم .

قال: فأخرِج إليّ أحمد بن إسرائيل ، فقلت له: يا فاجر ، تظنّ أنّ الله يُمهلك ، وأنّ أمير المؤمنين لا يستحِلّ قتلك؛ وأنت السببُ في الفتن ، والشريك في الدماء مع عظيم الخيانة وفساد النية والطويّة! إنّ في أقلّ من هذا ما تستوجب به المُثْلة كما استوجب من كان قبلك ، والقتل في العاجلة والعذاب والخزي في الآجلة ، إن لم تسعدَ من الله بعفو ، وإمهال ، ومن إمامك بصفح واحتمال؛ فاستر نفسَك من نزول ما تستحقّ بالصدق عما عندك من المال؛ فإنك إن تفعل ويوقَف على صدقك تسلم بنفسك ، قال: فذكر أنه لا شيء عنده ، ولا تُرِك له إلى هذا الوقت مال ولا عُقْدة ، قال: فدعوتُ بالمقارع وأمرت أن يقامَ في الشمس ، وأرعدتُ وأبرقتُ وإن كان ليفوتني الظفر منه بشيء من صَرامة ورُجْلة حتى أومَى إلى قدر تسعة عشر ألف دينار؛ فأخذت رقعته بها .

قال: ثمّ أحضرت أبا نوح عيسى بن إبراهيم فقلت له مثل الذي قلت لأحمد أو

(١) لم يذكر ابن الجوزي هذا الخبر وإنما ذكره ابن كثير [البداية والنهاية ٨/ ٢٢٦].

نحوه ، وزدت في ذلك بأن قلت : وأنت مع هذا مقيم على دينك النصرانية ، مرتكب فروج المسلمات تشفِّياً من الإسلام وأهله! ولا دلالة أدلّ على ذلك ممن لم يزل في منزلك على حالِ النصرانية من أهلٍ وولدٍ ، ومَن كان ذا عَقْدهُ فقد أباح الله دمه .

قال : فلم يُجب إلى شيء ، وأظهر ضعفاً وفقراً.

قال : وأما الحسن بن مَخْلد فأخرجتُه؛ فلما خاطبته خاطبت رجلاً موضَّعاً رخواً ، قال : فبكَّتُّه بما ظهر منه ، وقلت : مَنْ كان له الراضة بين يديه إذا سار على الشهاريّ وقدّر ما قدّرت ، وأراد ما أردت ، لم يكن موضَّعاً رطباً ولا مخنَّثاً رخواً ، قال : ولم أزل به حتى كتب رقعة بجوهر قيمته نَيِّف وثلاثون ألف دينار؛ قال : وردّوا جميعاً إلى موضعهم؛ وانصرفت . فكانت مناظرة الحسن بن سليمان الدوشابيّ لهم آخر مناظرة كانت معهم؛ ولم يناظروا أيام المهتدي فيما بلغني مناظرة غيرها .

فلما كان يوم الخميس لثلاث بقين من شهر رمضان أخرِج أحمد بن إسرائيل وأبو نوح عيسى بن إبراهيم إلى باب العامة ، فقعد صالح بن وصيف في الدار ، ووكّل بضربِهما حمّاد بن محمد بن حماد بن دَنْقَش ، فأقام أحمد بن إسرائيل وابن دَنْقَش يقول : أوجع ، وكان كلّ جلّاد يضربه سوطين ويتنحّى حتى وفّوْه خمسمئة سوط ، ثم أقاموا أبا نوح أيضاً فضُرب خمسمئة سوط ضربَ التّلف ، ثم حُمِلا على بغلين من بغال السّقائين على بطونهما ، منكّسةً رؤوسهما ، ظاهرة ظهورهما للناس ، فأما أحمد فحين بلغ خشبةَ بابك مات ، وحين وصلوا بأبي نوح مات؛ فدفن أحمد بين الحائطين ، ويقال إن أبا نوح مات من يومه في حبس السرخسيّ خليفة طلمجور على شُرَط الخاصّة ، وبقي الحسن بن مَخْلَد في الحبس .

وذُكِر عن بعض من حضر أنه قال : لقد رأيت حمّاد بن محمد بن حماد بن دَنقش وهو يقول للجلادين : أنفسَكم يا بني الفاعلة ـ لا يكني ـ ويقول : أوجعوا وغيّروا السياط ، وبدّلوا الرّجال ، وأحمد بن إسرائيل وعيسى يستغيثان؛ فذكر أن المهتدي لمّا بلغه ذلك قال : أمَا عقوبة إلا السوط أو القتل! أما يقوم مقام هذا شيء! أما يكفي! إنا لله وإنا إليه راجعون ، يقول ذلك ويسترجع مراراً.

وذكر عن الحسن بن مَخْلَد أنه قال: لم يكن الأمر فينا عند صالح إذا لم يحضره عبد الله بن محمد بن يَزْدَاد على ما كان يكون عليه من الغلظة إذا حضر، قال: وكان يقول لصالح: اضرب وعذّب فإنّ الأصلح من وراء ذلك القتل؛ فإنهم إن أفلتوا لم تؤمَن بوائقهم في الأعقاب؛ فضلاً عن الواترين؛ ويذكره قبيحَ ما بلغه عنهم، وكان يسرّ بذلك.

قال: وكاد داود بن [أبي] العباس الطوسيّ يحضرنا عند صالح فيقول: وما هؤلاء أعزّك الله، فبلغ منك الغضب بسببهم هذا المبلغ! فظنه يرقّقه علينا حتى يقول: على إني والله أعلم إن تخلصوا انتشر منهم شرٌّ كبير وفساد في الإسلام عظيم؛ فينصرف وقد أفتاه بقتلنا، وأشار عليه بإهلاكنا؛ فيزداد برأيه وما قال له علينا غيظاً، وإلى الإساءة بنا أنساً، فسُئل بعض من كان يخبر أمرهم: كيف نجا الحسن بن مَخْلَد مما صَلِيَ به صاحباه؟ فقال: بخصلتين؛ إحداهما أنه صَدقه عن الخبر في أوّل وهلة وأوجد الدَّلائل على ما قاله له إنه حقّ؛ وقد كان وعَده العفو إن صدَقه، وحلف له على ذلك، والأخرى أنّ أمير المؤمنين كلمه فيه وأعلمه حرمة أهله به، وأومأ إلى محبته لإصلاح شأنه، فردّه عن عظيم المكروه فيه، وقد كنت أرى أنه لو طالت لصالح مدّة وهو في يده، أطلقه واصطنعه، ولم يكن صالح بن وصيف اقتصر في أمر الكتاب على أخذ أموالهم وأموال أولادهم، حتى أخاف أسبابهم وقراباتهم بأخذ أموالهم، وتخطّى إلى المتصلين بهم.

* * *

[شغب الجند والعامة ببغداد وولاية سليمان بن عبد الله بن طاهر عليها]

ولثلاث عشرة خلت من شهر رمضان منها فتح السجن ببغداد، ووثبت الشاكرية والنائبة ببغداد من جندها بمحمد بن أوس البلخيّ:

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما آل الأمر إليه فيه:

ذكر أنَّ السبب في ذلك كان أنّ محمد بن أوس، قدِم بغداد مع سليمان بن عبد الله بن طاهر وهو على الجيش القادمين من خُراسان مع سليمان والصعاليك

الذين تألّفهم سليمان بالرّيّ ، ولم تكن أسماؤهم في ديوان السلطان بالعراق ، ولا أمِر سُليمان فيهم بشيء؛ وكانت السنّة فيهم أن يقام لمن قدم معه من خراسان بالعراق حسب ما يُقام بخُراسان لنظرائهم من مال ضياع وَرَثة ذي اليمينين ويكتب بذلك إلى خُراسان ليُعارض الوَرثة هناك من مال العامة» بدل ما كان دُفع من مالهم بالعراق ، فلما قدم سُليمان بن عبد الله العراق ، وجد بيت مال الوَرَثة فارغاً وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر قد تقدّم عندما صحّ عنده من الخبر بتصيير الأمر فيما كان يتوّلاه إلى أخيه سليمان بن عبد الله؛ فأخذ ما كان حاصلاً لورثة أبيه وجدّه في بيت مالهم ، واستسلف على ما لم يرتفع ، وتعجّل من المتقبّلين أموال نجوم لم تحلّ حتى استنظفت ذلك أجمع ، وشخص فأقام بالجُوَيْث في شرقيّ دِجْلة ، ثم عَبَر حتى صار في غربيّها ، فضاقت بسليمان الدّنيا ، وتحرّك الشاكرية والجُند في طلب الأرزاق ، وكتب سليمان إلى أبي عبد الله المعتزّ بذلك وقدّر أمر مالهم ، وأدخل في المال تقدير القادمين معه؛ ووجّه محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب الخراساني كاتبه في ذلك ، فأجيب بعد مناظرات إلى أن سُبِّبَ له على عمال السَّواد مالٌ صودر عليه لطمع مَنْ بمدينة السلام وشِحَنِ السواد لا يقوم بما يجب للنائبة فضلاً عن القادمين مع النائبة؛ فلم يتهيّأ لسُليمان الوصولُ إلى شيء من المال ، وقدم ابنُ أوس والصعاليك وأصحابه ، فقصّر المال عنه وعمن كان يقدّر وصوله إليه من النائبة ، فوقفوا على ذلك وعلى السبب المضرّ بهم فيه ، وكان القادمون مع سليمان من الصَّعاليك وغيرهم لما قدِموا بغداد أساؤوا المجاورة لأهلها ، وجاهروا بالفاحشة وتعرَّضوا للحُرَم والعبيد والغِلْمان ، وعادوْهم لمكانهم من السلطان؛ حتى امتلؤوا عليهم غيظاً وحَنقاً ، وقد كان سليمان بن عبد الله وحَرَ على الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق؛ لمكانه من عُبيد الله بن عبد الله [بن طاهر] ونصرته له وكفايته وانصرافه عن سليمان وأسبابه ، فلما انصرف الحسين بن إسماعيل إلى بغداد بعقب ما كان يتولاّه لعبيد الله من أمر الجند والشاكرية ، فحبس كاتبه في المطبَق وحاجبه في سجن باب الشأم ، ووكّل بباب الحسين بن إسماعيل جنداً من قِبَل إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم؛ لأنّ سليمان ولّى إبراهيم ما كان الحسين بن إسماعيل يتولاّه لعبيد الله من أمر جسرَيْ بغداد وطساسيج قطربُلّ ومسكن والأنبار؛ فلما حدث ما حدث من بيعة المهتدي وشَغَب الجند والشاكرية بمدينة

السلام ، ووقعت الحرب في تلك الأيام ، شدّ محمد بن أوس على رجل من المراوزة ، كان من الشيعة ، فضربه في دار سليمان ثلثمئة سوط ضرباً مبرِّحاً ، وحبسه بباب الشأم؛ وكان هذا الرّجلُ من خاصّة الحسين بن إسماعيل؛ فلمّا حدث هذا الحادث احتيج إلى الحُسين بن إسماعيل ، لفضل جَلَدِه وإقدامه فنُحِّيَ من كان ببابه موكّلاً فظهر ، فتراجع أصحابُه من غير أمر؛ وقد كانوا فُرّقوا على القوّاد وضُمّ منهم جمع كبير إلى محمد بن أبي عون القائد؛ فذُكِر أن المضمومين إلى ابن أبي عون لما صاروا إلى بابه ، فرّق فيهم من مالهم؛ للرّاجل عشرة دراهم ، وللفارس ديناراً؛ فلما رجعوا إلى الحسين رفع ابن أبي عون بذكر ذلك؛ فلم يخرج في ذلك تعيين ولا أمر؛ فلم يزل الحال على هذا والجند والشاكريّة يصيحون في طلب مال البيعة وما بقيَ لهم من مال الطمع المتقدّم ، وقد ردّ أمرهم في تَقسيط مالهم ، وقبضهم إلى الحسين على ما كان الأمر عليه أيام عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان الحسين لا يزال يلقي إليهم ما عليه محمد بن أوس ومَنْ قدم مع سليمان من القَصْد لأخذ أموالهم والفوز بها دونهم؛ حتى امتلأت قلوبهم ، فلمّا كان يومُ الجمعة لثلاث عشرة خلتْ من شهر رمضان ، اجتمع جماعة من الجند والشاكريّة ، ومعهم جماعة من العامة حتى صاروا إلى سجن باب الشأم ليلاً ، فكسروا بابه ، وأطلقوا في تلك الليلة أكثرَ مَنْ كان فيه ، ولم يبقَ فيه من أصحاب الجرائم أحدٌ إلا الضعيف والمريض والمثقَل؛ فكان ممن خرج في تلك الليلة نفرٌ من أهل بيت مساور بن عبد الحميد الشاري ، وخرج معهم المروزيّ مضروب محمد بن أوس وجماعة ممن قد لزم السلطانَ إلى أن صاروا إلى قبْضته زُهاء خمسين ألفاً ، وأصبح الناس في يوم الجمعة وباب الحبس مفتوح؛ فمَنْ قدر أن يمشيَ مشى ، ومَنْ لم يقدر اكترى له ما يركبه؛ وما يمنع من ذلك مانع ، ولا يدفع دافع؛ فكان ذلك من أقوى الأمور التي بعثت الخاصّة والعامة على دفع الهيْبة بينهم وبين سليمان بن عبد الله وسُدّ باب السجن بباب الشآم بآجرٍّ وطين؛ ولم يعلم أنه كان لإبراهيم بن إسحاق في هذه الليلة ولا لأحد من أصحابه حركة أصلاً؛ فتحدّث الناس أن الذي جُنِيَ على سجن باب الشأم بمكان المروزيّ الذي ضربه ابن أوس فيه حتى يخلص ، ثم لم يمض بعد ذلك خمسة أيام ، حتى نافر ابن أوس الحسينَ بن إسماعيل في أمر مال النائبة أراده محمد بن أوس لأصحابه ومنعه الحسين ، وتجاريا في ذلك كلاماً غلظ بينهما ،

فخرج محمد متنكراً؛ فلما كان الغد من ذلك اليوم غدَا محمد بن أوس إلى دار سليمان ، وغدا الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال مولى طاهر ، وحضر الناس باب سليمان؛ وكان بين مَنْ حضر من أصحاب ابن أوس وبين النائبة محادثة ، علت فيها الأصوات؛ فتبادر أصحابُ ابن أوس والقادمون إلى الجزيرة ، وعبر إليهم ابن أوس وولده؛ وتصايح الناس بالسلاح ، وخرج الحسين بن إسماعيل والشاه بن ميكال والمظفر بن سيسل في أصحابهم ، وصاح الناس بالعامة : مَنْ أراد النَّهب فليلحق بنا؛ فقيل : إنه عبر الجسرين من العامة في ذلك الوقت مئة ألف إنسان في الزَّواريق ، وتوافَى الجند والشاكرية بالسلاح؛ فوافى أوائل الناس الجزيرة؛ فلم يكن إلاّ قدر اللحظة حتى حمل رجل من أهل سَرَخس على الكبير من ولد محمد بن أوس ، وطعنه فأرْداه عن شهريّ كان تحته؛ ثم أخذته السيوف فانهزم عنه أصحابه ، فلم يعمل أحد منهم شيئاً ، وسُلب الجريح وحمل في زورق ، حتى عُبِر به إلى دار سليمان بن عبد الله بن طاهر ، فألقي هناك .

فذكر بعضُ مَنْ حضر سليمانَ ، أنه لما رآه اغرورقت عيناه من الدمع ، ومهّد له ، وأحضِر له الأطباء ، ومضى ابن أوس من وجهه إلى منزله؛ وكان ينزل في دار لآل أحمد بن صالح بن شيرزاد بالدّور ، مما يلي قصر جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، وجدّ أهلُ بغداد في آثارهم والقوّاد معهم حتى تلقوْهم ، فكانت بينهم وقعة بالدور؛ أولها في آخر الساعة الثانية وآخرها في أوّل الساعة السابعة؛ فلم يزالوا يتراشقُون بالنّشاب ، ويتطاعنون بالرِّماح ، ويتخابطون بالسيوف ، وأعان ابنَ أوس جيرانه من أهل سويقة قُطوطا وأصحاب الزَّواريق من ملاَّحي الدور ، واشتدَّت الحرب ووجّه أهلُ بغداد يطلبون نفَّاطين من دار سليمان ، فذكروا أنّ حاجبه دخل ، فأعلمه ذلك؛ فأمر بمنعهم منه؛ وقاتل ابنُ أوس قتالاً شديداً ، فناله جِراحٌ من سهام وطعن ، فانهزم وأصحابه؛ وقد كان أخرج حرمه من داره؛ فلم يزل أهلُ بغداد يتبعونهم حتى أخرجوهم من باب الشّماسية ، ووصل الناس إلى منزل ابن أوس؛ فانتهبوا جميعَ ما كان فيه؛ فذُكِر أنه انتهب له بقيمة ألفي ألف درهم؛ والمقلّل يقول : ألف ألف وخمسين ألفاً؛ وأنه انتهب له زُهاء مئة سراويل مبطّن بسمّور؛ سوى ما كان مبطَّناً بغيره من الوبَر مما يشاكل ذلك؛ وانتهب له من الفرش الطبريّ الخام والمقصور والمدرج والمقطوع

ما يكون قيمته ألف ألف درهم؛ وانصرف الناس ، فجعل الجند يدخلون دار سليمان ، وهم يكثرون ومعهم النهب وهم يصيحون ، وما لهم مانع ولا زاجر ، وأقام ابنُ أوس ليلتَه تلك بالشَّماسية مع من لحق به من أصحابه ، وقد كان أهل بغداد وثبوا بمنازل الصَّعاليك التي كانوا فيها سكَّاناً ، فنهبوها ، وتعرّضوا لمن كان تخلّف منهم ، فتلاحق القومُ هُرّاباً ، ولم يبق منهم في اليوم الثاني ببغداد أحد ظاهراً.

فذُكر أنّ سليمان وجّه تلك الليلة إلى ابن أوْس ثياباً وفرشاً وطعاماً؛ فيقال: إنّ محمداً قبِله ، وقيل: إنه ردّه وأصبح الناس في اليوم الثاني وغَدا الحُسين بن إسماعيل والمظفر بن سيسل إلى دار الشاه بن ميكال ، ولحق به وجوهُ الشاكرية والنائبة وغيرهم؛ فأقاموا هناك مُراغمين سليمان بن عبد الله بن طاهر ، وخلت دار سليمان فلم يحضرها إلا جُميّعة ، فبعث إليهم سليمان مع محمّد بن نصر بن حمزة بن مالك الخُزاعيّ وهو لا يعلم ما عليه عقد القوم يُعلمهم قبح ما ركبوا من محمد بن أوس ، وما يجب لمحمد بحُرمته وقديمه ، وأنّهم لو أنهوْا إليه ما أنكروا منه لتقدّم في ذلك بما يكفيهم معه الحال التي ركِبوها ، فضجّ الشاكريّة الذين حضروا دار الشاه جميعاً وقالوا: لا نرضى بمجاورة ابن أوس ولا بمجاورة أحدٍ من أصحابه ولا من الصعاليك المنضمين إليه؛ وإنهم إن أكرِهوا على ذلك تعاقدوا مباينته ، وخلع مَنْ يسومهم إياه ، وأحال الشاه بن ميكال والحسين بن إسماعيل والمظفر بن سيسل على كراهة القوم ، فرجع الرَّسول بذلك إلى سليمان ، فردّه إليهم بكلام دون ذلك ، ووعدهم وقال: أنا أثِق بقولكم وضمانكم دون أيمانكم وعهودِكم ، ثمّ استوى جالساً.

وذكر أنه لم يزل مستثقلاً محمد بن أوس ومَنْ لحق به من الصعاليك وغيرهم ، عارفاً بسوء رغبتهم ورداءة مذاهبهم ، وبسَوْم محمد بن أوس في نفسه خاصّة ومحبّته وشروعه في كلّ ما دعا إلى خلاف وفرقة ، وأسبغ هذا المعنى ، وكثر فيه حتى خرج به إلى الإغراق فيه؛ إلى أن قال: لقد كنت أدخلُ في قُنوتي في الصلاة طلب الراحة من ابن أوس ، ثم التفت إلى محمد بن عليّ بن طاهر ، فأمره بالمصير إلى ابن أوس ، والتقدّم إليه في العزم على الانصراف إلى خُراسان ، وأن

يعلمَه أنه لا سبيل له إلى الرجوع إلى مدينة السلام؛ ولا إلى تولّي شيء من الأمور التي يتولاّها لسليمان.

فلمّا تناهى الخبرُ إلى ابن أوْس رحل من الشّماسيّة فصار في رَقّةِ البرَدان على دجْلَة، فأقام بها أياماً حتى اجتمع إليه مَنْ تفرّق من أصحابه، ثم رحل فنزل النَّهروان؛ فلم يزل بها مقيماً، وقد كان كتب إلى بايكباك وصالح بن وصيف يعرِض عليهما نفسه، ويشكو إليهما ما نزل به؛ فلم يجد عندهما شيئاً مما قصد؛ وقد كان محمد بن عيسى بن عبد الرحمن مقيماً بسامرّا لينجز أمورَ سليمان، وكان كارهاً لابن أوْس، منحرفاً عنه، وكان ابن أوْس مضطرب الأمر لسوء محْضر محمد بن عيسى الكاتب؛ فلما انقطعت عن ابن أوس وأصحابه المادّة، تعبَّثوا بأهل القُرى والسابلة، وأكثروا الغارات والنهب، ورحل حتى نزل النّهروان.

فذُكِر عن بعض مَنْ قصدوه لينتهبوه، فذكّرهم المعاد، وخوّفهم الله: أنهم ردّوا عليه أن قالوا له: إن كان النهب والقتل جائزاً في مدينة السلام؛ وهي قبّة الإسلام ودار عز السلطان، فما استنكارُ ذلك في الصحاري والبراري! ثم رحل ابنُ أوس عن النَّهروان بعد أن أثَّر في تلك الناحية آثاراً قبيحة، وأخذ أهلَ البلاد بأداء الأموال، وحمل منها الطعام في السفن في بطن النّهروان إلى إسكاف بني جنيد لبيعه هناك.

وكان محمد بن المظفّر بن سيسل بالمدائن، فلمّا بلغه مصيرُ ابنِ أوس إلى النَّهروان صيّر إقامته بالنّعمانية من عمل الزوابي خوفاً على نفسه منه لحضور أبيه كان في يوم الوقعة.

فذُكِر عن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ـ وعبرتا ضيعتُه ـ: أنّ وكيله انصرف عنها هارباً بعد أن أدّى إلى ابن أوس تحت العذاب وخوف الموت قريباً من ألف وخمسمئة دينار؛ ولم يزل ابن أوس مقيماً هناك، يقرّب ويباعد، ويقبض ويبسط، ويشتدّ ويلين، ويرهب؛ حتى أتاه كتاب بايكباك بولاية طريق خراسان من قِبَله، فكان من وقت خروجه من مدينة السلام إلى وقت ورود الكتاب عليه بالولاية شهران وخمسة عشر يوماً.

وذُكر عن بعض ولد عاصم بن يونس العِجليّ أن أباه كان يتولّى ضياعاً

للنوشريّ بناحية طريق خُراسان ، وأنه كتب إلى النوشريّ يذكر ما عاين من قُوّة عسكر ابن أوس وظاهر عدتهم ، ويشير بأن يذكر ذلك لبايكباك ، ويصف خلاء طريق خُراسان من سلطان يتولاّه ويحوط أهلَه وأنّ هذا عسكر مشْحَنٌ بالرّجال والعُدّة والعتاد ، مقيم في العمل ، وأن النوشري ذكر ذلك لبايكباك ، وأشار عليه بتوليته طريق خراسان ، وتخفيف المؤنة عن السلطان فقبِل ما أشار به عليه ، وأمر بكتُبه فكتبت وولّي طريق خراسان في ذي القعدة من هذه السنة ـ وهي سنة خمس وخمسين ومئتين ـ وكان موسى خليفة مساور بن عبد الحميد الشاري مقيماً بالدَّسكَرة ونواحيها في زهاء ثلثمئة رجل ، قد ولاّه مُساور ما بين حُلوان إلى السوس على طريق خُراسان وبطن جُوخى وما قرب ذلك من طساسيج السواد.

* * *

وفيها أمر المهتدي بإخراج القِيان والمغنين والمغنيات من سامُرّا ونفيهم منها إلى بغداد؛ بعد أمرٍ كان قد تقدّم من قبيحة في ذلك قبل أن ينزل بابنها ما نزل ، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطَرْد الكلاب وإبطال الملاهي وردّ المظالم ، وجلس لذلك للعامة ، وكانت ولايته والدّنيا كلها من أرض الإسلام مفتونة.

* * *

[ذكر خبر استيلاء مفلح على طبرستان ثمّ انصرافه عنها]

وفيها شخص موسى بن بغا ومَنْ معه من الموالي وجند السلطان من الرّيّ وانصرف مُفلح عن طبرستان بعد أن دخلها ، وهزم الحسن بن زيد ، وأخرجه عنها إلى أرض الديلم.

* ذكر الخبر عن شخوصه عنها:

ذُكر: أنّ السبب في ذلك أنّ قبيحة أمّ المعتزّ ، لمّا رأت من الأتراك اضطراباً ، وأنكرت أمرَهم ، كتبت إلى موسى بن بغا تسأله القدومَ إلى ما قِبَلها ، وأمّلت وروده عليها قبل حدوث ما حدث عليها وعلى ابنها المعتزّ ، فعزم موسى على الانصراف إليها ، وكان ورودُ كتابها عليه ومُفلح بطبرستان.

فكتب موسى إلى مفلح يأمره بالانصراف إليها وهو بالرّيّ ، فحدّثني بعض أصحابنا من أهل طَبرستان ، أنّ كتاب موسى ورد على مُفلح بذلك ، وقد توجّه نحو أرض الدّيْلم في طلب الحسن بن زيد الطالبيّ ، فلما ورد عليه الكتابُ انصرف راجعاً إلى حيث توجه منه ، فعظم ذلك على قوم كانوا معه من رؤساء أهل طَبَرِستان ممن كان هارباً قبل مقدم مُفلح عليهم من الحسن بن زيد ، لِمَا كانوا قد رجوْا من مقدمه عليهم وكفايتهم أمرَ الحسن بن زيد والرجوع إلى منازلهم وأوطانهم ، وذلك أنّ مفلحاً كان يعدُهم اتّباع الحسن بن زيد حيث توجّه حتى يظفر به أو يُختَرَم دونه ، ويقول لهم ـ فيما ذكر لي ـ: لو رميتُ قلنسوتي في أرض الدّيلم ما اجترأ أحد منهم أن يدنُوَ منها ، فلما رأى القوم انصرافهَ عن الوجه الذي توجّه له من غير عسكر للحسن بن زيد ولا أحد من الديلم صدّه ، سألوه ـ فيما ذكر لي ـ عن السبب الذي صَرَفه عما كان يعدُهم به من اتّباع ابن زيد ، وجعلوا يكلمونه ـ فيما أخبرت ـ وهو كالمسبوت لا يجيبهم بشيء؛ فلما أكثروا عليه قال لهم: ورد عليّ كتاب الأمير موسى بعزمة منه ألاّ أضع كتابه من يدي بعد ما يصل إليّ حتى أقبِلَ إليه.

وأنا مغموم بأمركم؛ ولكن لا سبيل إلى مخالفة الأمير ، فلم يتهيّأ لموسى الشخوص من الرّيّ إلى سامرّا حتى وافاه الكتاب بهلاك المعتزّ وقيام المهتدي بعده بالأمر ، ففثأه ذلك عمّا كان عزم عليه من الشخوص ، لفوته ما قدَّر إدراكه من أمر المعتزّ.

ولمّا وردتْ عليه بيعة المهتدي ، امتنع أصحابه عليه من بيعته ، ثم بايعوا فورد خبر بيعتهم سامُرّا لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان من هذه السنة.

ثم إنّ المواليَ الذين في عسكر موسى بلغهم ما استخرج صالح بن وصيف من أموال الكتّاب وأسباب المعتزّ والمتوكل ، فشحُوا بذلك على المقيمين بسامُرّا؛ فدعوا موسى إلى الانصراف بهم إلى سامُرّا.

وقدم مفلح على موسى بالرّيّ تاركاً طبرستان على الحسن بن زيد ، فذكر عن القاشانيّ أنه قال: كتب إليّ ابن أخي من الرّيّ يذكر أنه لقي مفلحاً بالرّيّ ، فسأله عن سبب انصرافه فذكر أن الموالي قد أبوا أن يقيموا ، وأنهم إذا انصرفوا لم يُغنِ مقامه شيئاً.

ثم إن موسى افتتح خراج سنة ست وخمسين ومئتين يوم الأحد مستهلّ شهر رمضان سنة ستٍّ وخمسين ومئتين، فاجتنى - فيما ذكر - في يوم الأحد قدر خمسمئة ألف درهم، فاجتمع أهل الرّي، فقالوا، أعزّ الله الأمير! إنك تزعم أنّ الموالي يرجعون إلى سامُرّا لما يقدّرونه من كثرة العطاء هناك، وأنت وأصحابُك في أكثر وأوسع مما القوم هناك فيه؛ فإن رأيتَ أن تسدّ هذا الثغر، وتحتسب في أهله الأجر والثواب، وتلزمنا من خراجنا في خاصّ أموالنا لمن معك ما ترى أن نحتمله فعلت، فلم يُجبهم إلى ما سألوا فقالوا: أصلح الله الأمير! فإذا كان الأمير عزم على تركنا، والانصراف عنا، فما معنى أخذنا بالخراج لسنة لم نبتدىء بعمارتها؛ وأكثر غلة سنة خمس وخمسين ومئتين؛ التي قد أخذ الأمير خراجها في الصحارى لا يمكننا الوصول إليها إن رحل الأمير عنا! فلم يلتفت إلى شيء مما وصفوه له، وسألوه إياه.

واتصل خبرُ انصرافه بالمهتدي، فكتب إليه في ذلك كتباً كثيرة، لم تؤثر أثراً، فلما انتهى إليه قفول موسى من الرّيّ، ولم تغن الكتب شيئاً وجَّه رجلين من بني هاشم، يقال لأحدهما: عبد الصمد بن موسى، ويعرف الآخر بأبي عيسى يحيى بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عليّ بن عبد الله بن عباس، وحُمّلا رسالة إلى موسى وإلى من ضمّ عسكره من الموالي، يصدقهم فيها عن الحال بالحضْرة وضيق الأموال بها، وما يُحاذر من ذهاب ما يخلفونه وراء ظهورهم، وغلبة المطالبين عليه واتساع آثارهم إلى ناحية الجبل، فشخص بذلك الهاشميان في جماعة من الموالي [وأتباعهم من الديلم] وأقبل موسى ومن معه، وصالح بن وصيف في ذلك يعظم على المهتدي انصرافه، وينسبه إلى المعصية والخلاف، ويبتهل عليه في أكثر ذلك، ويبرأ إلى الله من فعله.

فذكر: أن كتاب صاحب البريد بهَمذَان لمّا ورد على المهتدي بفصُول موسى عنها، رفع المهتدي يديه إلى السماء، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: اللهمّ إني أبرأ إليك من فعل موسى بن بُغا وإخلاله بالثّغر وإباحته العدوّ؛ فإني قد أعذرت إليه فيما بيني وبينه، اللهم تولّ كيد مَنْ كايد المسلمين، اللهم انصر جيوش المسلمين حيث كانوا، اللهم إني شاخص بنيّتي واختياري إلى حيث نكب

المسلمون فيه ، ناصراً لهم ودافعاً عنهم ، فآجِرْني بنيتي إذ عدمتُ صالِحَ الأعوان! ثم انحدرتْ دموعه يبكي.

وذكر عن بعض من حضر المهتدي في بعض مجالسه التي يقول فيها هذا القول ، وحضره سليمان بن وهب ، فقال: أيأمرني أميرُ المؤمنين أن أكتب إلى موسى بما أسمع منه؟ فقال له: نعم ، اكتب بما تسمعُ مني؛ وإن أمكنك أن تنقشه في الصخر فافعل. فلقيه الهاشميان في الطريق ولم يُغنيا شيئاً ، وضجّ الموالي ، وكادوا يثبون بالرّسل ، ورد موسى في جواب الرّسالة ، يعتذر بتخلّف من معه عن الرجوع إلى قوله دون ورود باب أمير المؤمنين ، وأنه إن رام التخلف عنهم لم يأمنهم على نفسه ، ويحتجّ بما عاين الرّسل الموجهون إليه. فورد الرسل بذلك ، وأوفد مع الرسل موسى وفداً من عسكره ، فوافوا سامرّا لأربع خلوْن من المحرّم سنة ست وخمسين ومئتين.



[ذكر الخبر عن مفارقة كنجور عليّ بن الحسين بن قريش]

وفي هذه السنة فارق كنجور عليَّ بن الحسين بن قريش ، وكان قد نُفيَ أيام المعتز إلى فارس ، فوكل به عليّ بن الحسين ، وحبسه؛ فلما أراد عليّ بن الحسين محاربَة يعقوب بن الليث أخرجه من الحبس ، وضمّ إليه خيلا ورجالاً ، فلما انهزم الناس عن عليّ بن الحسين لحق كنجور بناحية الأهواز ، فأثّر في ناحية رامهرمز أثراً ، ثم لحق بابن أبي دُلف ، فوافاه بهمَذان ، وأساء السيرة في أسباب وصيف وضياعه ووكلائه في تلك الناحية ، ثم لحق بعد ذلك بعسكر موسى ، فلما أقبل موسى فيمنْ ضمه العسكر ، بلغ ذلك صالحاً ، فكتب عن المهتدي في حمل كنجور إلى الباب مقيّداً ، فأبى ذلك الموالي ، ثم لم تزل الكتب تختلف فيه إلى أن نزل العسكر القاطول ، ثم ظهر أنْ صالحاً قعد لمراغمته ، وأنّ موسى ترحّل إلى سامرّا على المباينة لصالح ومن مال إليه ، ولحق بايكباك بعسكر موسى ، وأقام موسى هناك يومين ووجّه المهتدي إليه أخاه إبراهيم لأمه في أمر كنجور يعلِمه أنّ الموالي بسامرا قد أبوْا أن يقارّوا على دخول كنجور ، ويأمره بتقييده وحمله إلى مدينة السلام؛ فلم يتهيأ في ذلك ما قدّره صالح ، وكان جوابهم

أن قالوا: إذا دخلنا سامرّا امتثلنا ما أمر به أمير المؤمنين في كنجور وغيره.

* * *

خروج أَول علويّ بالبصرة

وللنصف من شوّال من هذه السنة، ظهر في فُرات البصرة رجل زعم أنه عليّ بن محمد بن أحمد بن عليّ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وجمع إليه الزَّنج الذين كانوا يكسحون السِّباخَ، ثم عبر دِجلة، فنزل الدِّيناريّ[١].

* ذكر الخبر عن أمره والسبب الذي بعثه على الخروج هنالك:

وكان اسمه ونسبه ـ فيما ذُكر ـ عليّ بن محمد بن عبد الرحيم، ونسبُه في عبد القَيْس، وأمه قرّة ابنة عليّ بن رحيب بن محمد بن حكيم، من بني أسد بن خزيمة، من ساكني قرية من قرى الرّي، يقال لها وَرْزَنين، بها مولده ومنشؤه؛ فذُكر عنه أنه كان يقول: جدّي محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن عليّ بن الحسين، فلما قُتل زيد هرب فلحق بالرّيّ، فلجأ إلى وَرْزَنين، فأقام بها، وإن أبا أبيه عبد الرحيم رجلٌ من عبد القيس، كان مولده بالطالقان، وأنه قدم العراق فأقام بها، واشترى جارية سنديّة، فأولدها محمداً أباه؛ فهو عليّ بن محمد هذا، وأنه كان متصلاً قبل بجماعة من آل المنتصر؛ منهم غانم الشطرنجيّ وسعيد الصغير ويسُر الخادم؛ وكان منهم معاشه، ومن قوم من أصحاب السلطان وكتّابه يمدحهم ويستميحهم بشعره[٢].

ثم إنه شخص ـ فيما ذُكر ـ من سامرّا سنة تسع وأربعين ومئتين إلى البحرين، فادّعى بها أنه عليّ بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب، ودعا الناس بهجر إلى طاعته، واتّبعه جماعة كثيرة من أهلها، وأبته جماعة أخَر؛ فكانت بسببه بين الذين اتبعوه والذين أَبَوْهُ عصبية

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٨٥).
(٢) المصدر السابق نفسه.

قُتِلت بينهم جماعة فانتقل عنهم لما حدث ذلك إلى الأحساء ، وضوى إلى حيّ من بني تميم ثم من بني سعد ، يقال لهم : بنو الشّماس ؛ فكان بينهم مقامه ، وقد كان أهل البحرين أحلُّوه من أنفسهم محلّ النبيّ ـ فيما ذكر ـ حتى جُبيَ له الخراج هنالك ونفذ حكمه بينهم ، وقاتلوا أسباب السلطان بسببه ووتَر منهم جماعة كثيرة ، فتنكّروا له ، فتحوّل عنهم إلى البادية (١).

ولما انتقل إلى البادية صحبه جماعة من أهل البحرين ، منهم رجل كيّال من أهل الأحسَاء ، يقال له : يحيى بن محمد الأزرق المعروف بالبَحْرانيّ ، مولى لبني دارم ويحيى بن أبي ثعلب ، وكان تاجراً من أهل هَجَر ، وبعضُ موالي بني حنظلة أسود يقال له : سليمان بن جامع ؛ وهو قائد جيشه ، ثم كان ينتقل في البادية من حيّ إلى حيّ .

فذكر عنه أنه كان يقول : أوتيت في تلك الأيام آيات من آيات إمامتي ظاهرة للناس ؛ ومنها فيما ذكر عنه : أنه قال : إنِّي لُقِّيتُ سُوَراً من القرآن لا أحفظها فجرى بها لساني في ساعة واحدة ، منها : سبحان والكهف وص .

قال : ومن ذلك : أني لقيت نفسي على فراشي ، فجعلت أفكر في الموضع الذي أقصد له ، وأجعل مقامي به ؛ إذ نَبَتْ بي البادية ، وضقت بسوء طاعة أهلها ، فأظلتْني سحابة ، فبرقت ورعدت ، واتّصل صوت الرّعد منها بسمعي ، فخُوطبتُ فيه ، فقيل : اقصد البصرة ، فقلت لأصحابي وهم يكنُفونني : إني أمرت بصوت هذا الرّعد بالمصير إلى البصرة (٢).

وذكر أنه عند مصيره إلى البادية أوْهم أهلها : أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة ، فاختدع بذلك قوماً منهم ؛ حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة ، فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يقال له الرّدْم ، فكانت بينهم وقعة عظيمة ، كانت الدائرة فيها عليه وعلى أصحابه ، قُتلوا فيها قتلاً ذريعاً ، فنفرت عنه العرب وكرهتْه ، وتجنّبت صحبته ، فلما تفرّقت عنه العرب ، ونبت به البادية ، شخص عنها إلى البصرة ، فنزل بها في بني ضُبيعة ، فاتّبعه بها جماعة ؛

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٨٥) و(١٢/ ٨٦).

(٢) المصدر السابق (٩/ ٨٦).

منهم عليّ بن أبان المعروف بالمهلبيّ ، وأخواه محمد والخليل وغيرهم .

وكان قدومه البصرة في سنة أربع وخمسين ومئتين ، ومحمد بن رجاء الحضاريّ عامل السلطان بها ، ووافق ذلك فتنةُ أهل البصرة بالبلالية والسعدية ، فطمع في أحد الفريقين أن يميل إليه ، فأمر أربعة نفر من أصحابه ، فخرجوا بمسجد عبّاد ، أحدهم يسمى محمد بن سلْم القصاب الهجريّ ، والآخر بُرَيش القُرَيعيّ ، والثالث عليّ الضرّاب ، والرابع الحسين الصيدنانيّ ؛ وهم الذين كانوا صحبوه بالبحرين ، فدعوْا إليه ، فلم يجبه من أهل البلد أحد ، وثاب إليهم الجند ، فتفرّقوا ولم يظفر بأحد منهم ، فخرج من البصرة هارباً ، فطلبه ابن رجاء فلم يقدرْ عليه ، وأُخْبر ابن رجاء بميل جماعة من أهل البصرة إليه ، فأخذهم فحبسهم ؛ فكان فيمن حبس يحيى بن أبي ثعلب ومحمد بن الحسن الأياديّ وابن صاحب الزَّنْج عليّ بن محمد الأكبر وزوجتُه أمّ ابنه ومعها ابنة له وجارية حامل ، فحبسهم ومضى هو لوجهه يريد بغداد ، ومعه من أصحابه محمد بن سلْم ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع وبُريش القريعيّ ، فلما صاروا بالبَطيحة نذِر بهم بعض موالي الباهليّين ، كان يلي أمر البَطيحة ، يقال له : عُمَير بن عمار ، فأخذهم وحملهم إلى محمد بن أبي عَوْن ، وهوعامل السلطان بواسط ، فاحتال لابن أبي عَوْن حتى تخلّص هو وأصحابه من يده ، ثم صار إلى مدينة السلام ، فأقام بها حَوْلاً ، وانتسب فيها إلى أحمد بن عيسى بن زيد ؛ وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه بها آيات ، وعرف ما في ضمائر أصحابه ، وما يفعله كلّ واحد منهم ؛ وأنه سأل ربّه بها آيةً أن يعلم حقيقة أمره ، فرأى كتاباً يُكتب له ، وهو ينظر إليه على حائط ، ولا يرى شخص كاتبه [١] .

وذكر عن بعض تُبَّاعه : أنه بمقامه بمدينة السلام استمال جماعةً ، منهم : جعفر بن محمد الصَّوحانيّ ـ كان ينتسب إلى زيد بن صُوحان ـ ومحمد بن القاسم وغلاما يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان : مشرق ورفيق ؛ فسمّى مشرقاً حمزة وكنّاه أبا أحمد ، وسمّى رفيقاً جعفراً وكناه أبا الفضل ، ثم لم يزل عامه ذلك بمدينة السلام حتى عُزِل محمد بن رجاء عن البصرة ، فخرج عنها ، فوثب رؤساء

---

(١) انظر المنتظم (٩/ ٨٦) .

الفتنة من البلاليّة والسعدية ، ففتحوا المحابس ، وأطلقوا مَنْ كان فيها؛ فتخلّصوا فيمن تخلّص فلما بلغه خلاصُ أهله ، شخص إلى البصرة ، فكان رجوعه إليها في شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومئتين ، ومعه عليّ بن أبان ـ وقد كان لحق به وهو بمدينة السلام ـ ويحيى بن محمد ، ومحمد بن سلم ، وسليمان بن جامع ، وغلاما يحيى بن عبد الرحمن: مشرق ورفيق؛ وكان يحضر هؤلاء الستة رجلٌ من الجند يكنى أبا يعقوب ، ولقّب نفسه بعد ذلك بُجرْبان ، فساروا جميعاً حتى وافوْا برنخل ، فنزلوا قصراً هنالك يعرف بقصر القرشيّ ، على نهر يعرف بعمود ابن المنجم؛ كان بنو موسى بن المنجم احتفروه؛ وأظهر: أنه وكيل لولد الواثق في بيع السباخ ، وأمر أصحابه أن يَنْحلوه ذلك ، فأقام هنالك.

فذُكر عن ريحان بن صالح أحدُ غلمان الشُّورَجيّين ـ وهو أوّل من صحبه منهم ـ أنه قال: كنت موكلاً بغلمان مولاي ، أنقل الدقيق إليهم من البصرة ، وأفرّقه فيهم ، فحملت ذلك إليهم كما كنت أفعل ، فمررت به وهو مقيم ببرنخل في قصر القرشيّ ، فأخذني أصحابُه ، فصاروا بي إليه ، وأمروني بالتسليم عليه بالإمْرة ، ففعلت ذلك ، فسألني عن الموضع الذي جئتُ منه ، فأخبرته أني أقبلت من البصرة ، فقال: هل سمعتَ لنا بالبصرة خبراً؟ قلت: لا ، قال: فما خبر الزينبيّ؟ قلت: لا علم لي به ، قال: فخبر البلاليّة والسعديّة؟ قلت: ولا أعرف أخبارهم أيضاً ، فسألني عن أخبار غلمان الشّورجيّين وما يجري لكلّ غلام منهم من الدقيق والسوِيق والتمر وعمّن يعمل في الشورج من الأحرار والعبيد ، فأعلمته ذلك ، فدعاني إلى ما هو عليه ، فأجبته ، فقال لي: احتَلْ فيمن قدرت عليه من الغلمان ، فأقبلْ بهم إليّ ، ووعدني أن يقوّدني على من آتيه به منهم ، وأن يحسن إليّ ، واستحلفني ألاّ أعلِم أحداً بموضعه ، وأن أرجع إليه ، فخلّى سبيلي ، فأتيت بالدقيق الذي معي الموضع الذي كنت قصدته به ، وأقمت عنده يومي ، ثم رجعت إليه من غد ، فوافيته وقد قدم عليه رفيق غلام يحيى بن عبد الرحمن ، وكان وُجّه إلى البصرة في حوائج من حوائجه ، ووافاه بشبل بن سالم ـ وكان من غلمان الدبّاسين ـ وبحريرة كان أمره بابتياعها ليتخذها لواء؛ فكتب فيها بحمرة وخضرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ، إلى آخر الآية ، وكتب اسمه

واسم أبيه ، وعلّقها في رأس مُرْديّ وخرج في السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان[١] .

فلما صار إلى مؤخّر القصر الذي كان فيه ، لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالعطار ، متوجّهين إلى أعمالهم ، فأمر بأخذهم فأخذوا ، وكُتف وكيلهم ، وأخِذ معهم ، وكانوا خمسين غلاماً ، ثم صار إلى الموضع الذي يعمل فيه السنّائيّ ، فأخذ منه خمسمئة غلام ، فيهم المعروف بأبي حُدَيد ، وأمر بوكيلهم فأخذ معهم مكتوفاً ، وكانوا في نهر يعرف بنهر المكاثر ، ثم مضى إلى موضع السيرافيّ ، فأخذ منه خمسين ومئة غلام ، فيهم زُرَيق وأبو الخنجر . ثم صار إلى موضع ابن عطاء ، فأخذ طريقاً وصبيحاً الأعسر وراشداً المغربيّ وراشداً القرماطيّ ، وأخذ معهم ثمانين غلاماً ، ثم أتى موضع إسماعيل المعروف بغلام سَهْل الطحان ، ثم لم يزل يفعل ذلك كذلك في يومه ، حتى اجتمع إليه بشر كثير من غلمان الشورجيّين ، ثم جمعهم وقام فيهم خطيباً ، فمنَّاهم ووعدَهم أن يقودهم ويرأسهم ، ويملّكهم الأموال ، وحلف لهم الأيمان الغِلاظ ألا يغدر بهم ، ولا يخذَلهم ، ولا يدع شيئاً من الإحسان إلا أتى إليهم ، ثم دعا مواليَهم ، فقال: قد أردت ضرب أعناقكم لِمَا كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم ، وفعلتم بهم ما حرّم الله عليكم أن تفعلوه بهم ، وجعلتم عليهم ما لا يُطيقون ، فكلمني أصحابي فيكم ، فرأيت إطلاقكم ، فقالوا: إنّ هؤلاء الغلمان أُبّاق ، وهم يهرُبون منك فلا يُبقون عليك ولا علينا ، فخذ منا مالاً وأطلقهم لنا ، فأمر غلمانهم فأحضَروا شَطْباً ثم بَطَح كلُّ قوم مولاهم ووكيلهم ، فضرب كلّ رجل منهم خمسمئة شَطْبة ، وأحلفهم بطلاق نسائهم ألاّ يُعلموا أحداً بموضعه ، ولا بعدد أصحابه ، وأطلقهم ، فمضوْا نحو البصرة[٢] .

ومضى رجل منهم يقال له: عبد الله ، ويعرف بكَرِيخَا ، حتى عَبَر دُجَيْلاً ، فأنذر الشورجيّين ليحرِزوا غلمانهم ، وكان هناك خمسة عشر ألف غلام.

ثم سار بعدما صلّى العصر حتى وافى دُجَيلا ، فوجد سفن سَمَاد تدخل في

---

(١) انظر المنتظم (٩/ ٨٦).

(٢) انظر المنتظم (٩/ ٨٧).

المدّ ، فقدّمها ، فركب فيها ، وركب أصحابُه حتى عبروا دُجَيلا ، وصاروا إلى نهر ميمون ، فنزل المسجد الذي في وسط الشارع على نهر ميمون ، وأقام هناك ، ولم يزل ذلك دأبه ، يجتمع إليه السودان إلى يوم الفِطْر ، فلما أصبح نادى في أصحابه بالاجتماع لصلاة الفطر فاجتمعوا ، وركز المرديّ الذي عليه لواؤه ، وصلّى بهم وخطب خطبة ذكر فيها ما كانوا عليه من سوء الحال ، وأن الله قد استنقذهم به من ذلك ، وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ، ويملّكهم العبيد والأموال والمنازل ، ويبلغ بهم أعلَى الأمور ، ثم حلف لهم على ذلك ، فلما فرغ من صلاته وخطبته ، أمر الذين فهموا عنه قولَه أن يُفهِموه من لا فهم له من عجمهم ، لتطيب بذلك أنفسُهم ، ففعلوا ذلك ، ودخل القصر ، فلمّا كان بعد يوم قصد نهر بور ، فوافى جماعة من أصحابه هناك الحميريّ في جماعة ، فدفعوهم حتى أخرجوهم إلى الصحراء ، فلحقهم صاحب الزّنج فيمن معه ، فأوقع بالحميريّ وأصحابه ، فانهزموا حتى صاروا إلى بطن دِجلة ، واستأمن إليه رجل من رؤساء الزّنْج يكنى بأبي صالح ، يعرَف بالقصير في ثلثمئة من الزَّنج ، فمنّاهم ووعدهم[١].

فلما كثر من اجتمع إليه من الزَّنج قوّد قواده ، وقال لهم: كلّ مَنْ أتى منكم برجل فهو مضموم إليه ، وقيل إنه لم يقوّد قوّادَه إلاّ بعد مواقعة الخَوَل ببَيَان ومصيره إلى سَبخة القَنْدَل.

وكان ابنُ أبي عَون نقِل عن ولاية واسط إلى ولاية الأبُلّة وكُور دِجلة ، فذُكِر أنه انتهى إليه في اليوم الذي قوّد فيه قوّاده: أن الحميريّ وعَقيلاً مع خليفة ابن أبي عون المقيم كان بالأبُلّة ، قد أقبلوا نحوه ، ونزلوا نهر طين ، فأمر أصحابه بالمصير إلى الرزيقية وهي في مؤخّر الباذَاورْد ، فصار إليها في وقت صلاة الظهر ، فصلوا بها ، واستعدُّوا للقتال ، وليس في عسكره يومئذ إلا ثلاثة أسياف: سيفُه وسيف عليّ بن أبان ، وسيف محمد بن سلم ، ونهض بأصحابه فيما بين الظهر والعصر راجعاً نحو المحمديّة ، وجعل عليّ بن أبان في آخر أصحابه ، وأمره أن يعرف خبر مَنْ يأتيه من ورائه ، وتقدّم في أوائل الناس حتى

---

(١) انظر المنتظم (٩/ ٨٧).

وافى المحمديّة ، فقعد على النهر ، وأمر الناس فشربوا منه ، وتَوافَى إليه أصحابُه ، فقال له عليّ بن أبان : قد كنا نرى من ورائنا بارقةً ونسمع حسّ قوم يتبعوننا ، فلسنا ندري : أرجعوا عنا أم هم قاصدون إلينا؟ فلم يستتمّ كلامه حتى لحق القوم ، وتنادى الزنج السلاح ، فبدر مفرّج النوبيّ المكنى بأبي صالح ، وريحان بن صالح ، وفتح الحجام ـ وكان فَتْح يأكل ـ فلما نهض تناول طبقاً كان بين يديه ، وتقدّم أصحابه فلقيه رجل من الشورجيّين ، يقال له : بلبل ، فلمّا رآه فَتْح حمل عليه وحذَفه بالطبق الذي كان في يده ، فرمى بلبل بسلاحِه ، وولّى هارباً ، وانهزم أصحابه ، وكانوا أربعة آلاف رجل ، فذهبوا على وجوههم ، وقُتِل مَنْ قُتِل منهم ، ومات بعضهم عطشاً وأسِرَ منهم قوم فأُتِيَ بهم صاحب الزّنج ، فأمر بضرب أعناقهم فضربت ، وحملت الرؤوس على بغال كان أخذَها من الشورجيّين ، كانت تنقل الشورج ؛ ومضى حتى وافى القادسيّة ، وذلك وقت المغرب ، فخرج من القرية رجل من موالي بعض الهاشميين على أصحابه ، فقتل رجلاً من السودان ، فأتاه الخبر ، فقال له أصحابه : ائذن لنا في انتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا ، فقال : لا سبيلَ إلى ذلك دون أن نعرف ما عند القوم ، وهل فعل القاتل ما فعل عن رأيهم ، ونسألهم أن يدفعوه إلينا ؛ فإن فعلوا وإلا ساغ لنا قتالُهم .

وأعجلهم المسير ، فصاروا إلى نهر ميمون راجعين ، فأقام في المسجد الذي كان أقام فيه في بدأته وأمر بالرؤوس المحمولة معه فنُصبت ، وأمر بالأذان أبا صالح النوبيّ فأذّن ، وسلم عليه بالإمْرَة ، فقام فصلى بأصحابه العشاء الآخرة ، وبات ليلته بها ، ثم مضى من الغد حتى مرّ بالكرخ فطواها ، وأتى قرية تعرف بجُبَّى ، في وقت صلاة الظهر ، فعبر دُجَيلا من مخاضة دلّ عليها ، ولم يدخل القرية ، وأقام خارجاً منها ، وأرسل إلى مَنْ فيها ، فأتاه كبراؤهم وكبراء أهل الكَرْخ ، فأمرهم بإقامة الأنزال له ولأصحابه فأقيم له ما أراد ، وبات عندهم ليلتَه تلك ، فلما أصبح أهدى له رجل من أهل جُبَّى فرساً كُميتاً ، فلم يجد سرْجاً ، ولا لجاماً ، فركبه بحبل وسَنَفه بليف ، وسار حتى انتهى إلى المعروف بالعباسيّ العتيق ، فأخذ منه دليلاً إلى السِّيب ، وهو نهر القرية المعروفة بالجعفريّة ، ونذر به أهل القرية ، فهربوا عنها ، ودخلها فنزل دار جعفر بن

سليمان وهي في السوق وتفرّق أصحابُه في القرية ، فأتوْه برجل وجدُوه ، فسأله عن وكلاء الهاشميّين ، فأخبره أنهم في الأجمة ، فوجّه الملقب بجُرْبان ، فأتاه برئيسهم وهو يحيى بن يحيى المعروف بالزبيريّ أحد موالي الزياديّين ، فسأله عن المال ، فقال : لا مال عندي ، فأمر بضرب عنقه ، فلما خاف القتل أقرّ بشيء قد كان أخفاه ، فوجّه معه ، فأتاه بمئتي دينار وخمسين ديناراً وألف درهم؛ فكان هذا أول ما صار إليه ، ثم سأله عن دوابّ وُكلاء الهاشميّين فدله على ثلاثة براذين : كُميت وأشقر ، وأشهب؛ فدفع أحدها إلى ابن سلْم ، والآخر إلى يحيى بن محمد ، وأعطى مُشرقاً غلام يحيى بن عبد الرحمن الثالث[1] .

وكان رفيق يركب بغلاً كان يحمل عليه الثَّقَل ، ووجد بعض السودان داراً لبعض بني هاشم فيها سلاح ، فانتهبوه ، فجاء النوبيّ الصغير بسيف ، فأخذه صاحب الزَّنج ، فدفعه إلى يحيى بن محمد ، فصار في أيدي الزَّنج سيوفٌ وبالات وزقايات وتِراس ، وبات ليلته تلك بالسَّيب؛ فلما أصبح أتاه الخبر : أن رُميساً والحميريّ وعَقيلاً الأبُليّ قد وافوا السِّيب ، فوجّه يحيى بن محمد في خمسمئة رجل ، فيهم سليمان وريحان بن صالح وأبو صالح النوبيّ الصغير ، فلقوا القوم فهزموهم ، وأخذوا سُمَيريّة وسلاحاً ، وهرب مَنْ كان هنالك ورجع يحيى بن محمد فأخبره الخبر ، فأقام يومه ، وسار من غد يريد المذَار ، بعد أن اتخذ على أهل الجعفرية ألا يقاتلوه ، ولا يعينوا عليه أحداً ، ولا يستُروا عنه ، فلما عبر السّيب صار إلى قرية تعرف بقرية اليهود شارعة على دِجْلة ، فوافق هنالك رُمَيْساً في جَمْع ، فلم يزل يقاتلهم يومه ذلك ، وأسرَ من أصحابه عِدّة ، وعقر منهم جماعة بالنُّشاب ، وقتِل غلام لمحمد بن أبي عون كان مع رُمَيْس ، وغرقت سميْرية كان فيها ملاّحهُا ، فأخِذ وضربت عنقه ، وسار من ذلك الموضع يريد المذَار ، فلمّا صار إلى النهر المعروف بباب مداد جاوزه حتى أصحر ، فرأى بُستاناً ، وتلاًّ يعرف بجبل الشياطين ، فقصد للتلّ فقعد عليه ، وأثبت أصحابه في الصحراء ، وجعل لنفسه طليعة .

فذُكر عن شبل أنه قال : أنا كنت طليعته على دِجْلة ، فأرسلت إليه أخبره أن

---

(١) انظر المنتظم (٩/ ٨٨).

رُميساً بشاطىء دِجْلة يطلب رجُلاً يؤدِّي عنه رسالة ، فوجّه إليه عليّ بن أبان ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع ، فلما أتوْه قال لهم : اقرؤوا على صاحبكم السلام ، وقولوا له : أنت آمن على نفسك حيث سلكت من الأرض ؛ لا يعرض لك أحدٌ ، واردد هؤلاء العبيد على مواليهم ، وآخذ لك عن كلّ رأسٍ خمسة دنانير ، فأتوْه فأعلموه ما قال لهم رُميس ، فغضب من ذلك ، وآلى ليرجعنّ فليبقرنّ بطن امرأة رُميس ، وليحرقنّ داره ، وليخوضنّ الدماء هنالك ، فانصرفوا إليه ، فأجابوه بما أمِرُوا به ، فانصرف إلى مقابل الموضع الذي هو به من دِجْلة ، فأقام به ، فوافاه في ذلك اليوم إبراهيم بن جعفر المعروف بالهمْدانيّ ؛ ولم يكن لحق به إلا في ذلك الوقت ، وأتاه بكتب فقرأها ، فلما صلى العشاء الآخرة ، أتاه إبراهيم ، فقال له : ليس الرّأي لك إتيان المذار ، قال : فما الرأي؟ قال : ترجع ، فقد بايع لك أهل عبّادان ومَيَان رُوذان وسليمانان ، وخلّفت جمعاً من البلالية بفوّهة القَنْدل وأبرسان ينتظرونك ، فلمّا سمع السودانِ ذلك من قول إبراهيم مع ما كان رُمَيس عَرَض عليه في ذلك اليوم خافوا أن يكونَ احتال عليهم ليردّهم إلى مواليهم ، فهرب بعضُهم ، واضطرب الباقون ، فجاءه محمد بن سلْم فأعلمه اضطرابَهم ، وهرَب مَنْ هرب منهم ، فأمر بجمعهم في ليلته تلك ، ودعا مصلحاً ، وميّز الزّنج من الفراتية ، ثم أمر مصلحاً أن يعلمهم أنه لا يردّهم ولا أحداً منهم إلى مواليهم ، وحلف لهم على ذلك بالأيمان الغِلاظ ، وقال : لِيَحُطْ بي منكم جماعة ، فإن أحسّوا مني غدراً فتكُوا بي[١] ثم جمع الباقين ؛ وهم الفراتيّة والقرماطيّون والنوبة وغيرهم ممن يفصح بلسان العرب ، فحلف لهم على مثل ذلك ، وضمن ووثّق من نفسه ، وأعلمهم أنه لم يخرج لعَرَض من أعراض الدنيا ، وما خرج إلا غضباً لله ، ولمّا رأى ما عليه الناس من الفساد في الدين ، وقال : ها أنا ذا معكم في كلّ حرب ، أشرككم فيها بيدي ، وأخاطر معكم فيها بنفسي ، فرضوا ودعوْا له بخير ، فلمّا أسحر أمر غلاماً من الشورجيّين يكنى أبا مَنارة ، فنفخ في بوق لهم كانوا يجتمعون بصوته ، وسار حتى أتى السِّيب راجعاً ، فألفَى هناك الحميريَ ورُميْساً وصاحب ابن أبي عون ، فوجّه إليهم مشرقاً برسالة أخفاها ، فرجع إليه بجوابها ، فصار صاحب الزّنج إلى النهر ، فتقدم

(١) انظر المنتظم (٩/ ٨٨).

صاحب محمد بن أبي عون، فسلّم عليه، وقال له: لم يكن جزاء صاحبنا منك أن تفسد عليه عمَله، وقد كان منه إليك ما قد علمت بواسط، فقال: لم آت لقتالكم، فقل لأصحابك يوسّعون لي في الطريق، حتى أجاوزكم.

فخرج من النَّهر إلى دِجْلة، ولم يلبَثْ أن جاء الجند ومعهم أهل الجعفريّة في السلاح الشاك؛ فتقدّم المكتني بأبي يعقوب المعروف بجُرْبان، فقال لهم: يا أهل الجعفريّة، أما علمتم ما أعطيتمونا من الأيْمان المغلّظة ألاّ تقاتلونا ولا تُعينوا علينا أحداً، وأن تعينونا متى اجتاز بكم أحد منا! فارتفعت أصواتُهم بالنعير والضّجيج، ورموْه بالحجارة والنّشاب، وكان هناك موضع فيه زُهاء ثلثمئة زرنوق، فأمر بأخذها فأخذت، وقرن بعضها ببعض حتى صارت كالشاشات، وطرحت إلى الماء، وركبها المقاتلة فلحقوا القوم، فقال بعضهم: عبر عليّ بن أبان يومئذ قبل أخذ الزَّرَانيق سباحة، ثم جمعت الزَّرانيق، وعبر الزنج، وقد زالوا عن شاطىء النهر فوضعوا فيهم السيف، فقتل منهم خلق كثير، وأتي منهم بأسرى، فوبّخَهم وخلّى سبيلهم، ووجه غلاماً من غلمان الشورجيين يقال له: سالم يعرف بالزغاويّ، إلى مَنْ كان دخل الجعفرية من أصحابه، فردَّهم، ونادى: ألا برئت الذّمة ممن انتهب شيئاً من هذه القرية، أو سبى منها أحداً، فمن فعل ذلك فقد حلّت به العقوبة الموجِعة.

ثم عبر من غربيّ السّيب إلى شرقيّه، واجتمع أصحابه الرؤساء حتى إذا جاوز القرية بمقدار غَلْوة سمع النعير من ورائه في بطن النهر، فتراجع الزّنج، فإذا رُميس والحميريّ وصاحب ابن أبي عون قد وافوْه لمّا بلغهم حال أهل الجعفرية، فألقى السودان أنفسَهم عليهم، فأخذوا منهم أربع سُمَيريّات بملاّحيها ومقاتليها، فأخرجوا السمَيريّات بمن فيها، ودعا بالمقاتلة فسألهم، فأخبروه أن رُميساً وصاحب ابن أبي عون لم يَدعاهم حتى حملاهم على المصير إليه، وأنّ أهل القرى حرّضوا رُميساً وضَمِنوا له ولصاحب ابن أبي عون مالاً جليلاً، وضمن له الشورجيّون على ردّ غلمانهم؛ لكلّ غلام خمسة دنانير، فسألهم عن الغلام المعروف بالنميريّ المأسور والمعروف بالحجّام، فقالوا: أما النميريّ فأسير في أيديهم، وأما الحجام فإن أهل الناحية ذكروا أنه كان يتلصص في ناحيتهم، ويسفك الدماء، فضُرِبت عنقه، وصُلب على نهر أبي الأسد، فلما عرف خبرَهم

أمر بضرب أعناقهم ، فضرِبت إلا رجلاً يقال له : محمد بن الحسن البغداديّ ، فإنه حلف له أنه جاء في الأمان ، لم يُشْهِر عليه سيفاً ، ولا نصب له حرباً ، فأطلقه ، وحمل الرؤوس والأعلام على البغال ، وأمر بإحراق سفنهم فأحرِقت .

وسار حتى أتى نهر فريد ، فانتهى إلى نهر يعرف بالحسن بن محمد القاضي وعليه مسنّاة تعترض بين الجعفرية ورُستاق القُفْص ، فجاءه قوم من أهل القرية من بني عجْل ، فعرضوا عليه أنفسَهم ، وبذلوا له ما لديْهم ، فجزاهم خيراً ، وأمر بترك العرض لهم .

وسار حتى أتى نهراً يعرف بباقثا ، فنزل خارجاً من القرية التي على النهر وهي قرية تشرع على دُجيل ، فأتاه أهل الكرخ ، فسلّموا عليه ، ودعَوْا له بخير ، وأمدُّوه من الإنزال بما أراد ، وجاءه رجل يهوديّ خيبريّ يقال له ماندويه فقبّل يده ، وسجَد له ـ زعم ـ شكراً لرؤيته إيّاه ، ثم سأله عن مسائل كثيرة فأجابه عنها ، فزعم أنه يجدُ صفته في التوراة ، وأنه يرى القتال معه ، وسأله عن علامات في بدنه ذكر أنه عرفها فيه ، فأقام معه ليلَته تلك يحادثه[١] .

وكان إذا نزل اعتزل عسكره بأصحابه الستة ، ولم يكن يومئذ يُنكر النبيذ على أحد من أصحابه ، وكان يتقدّم إلى محمد بن سلْم في حفظ عسكره ؛ فلما كان في تلك الليلة أتاه في آخر الليل رجلٌ من أهل الكَرْخ ، فأعلمه أن رُمَيْساً وأهل المفتح والقوى التي تتصل بها وَعقيلاً وأهل الأُبُلّة قد أتوه ومعه الدّبيلا بالسلاح الشاك ، وأنّ الحميريّ في جمع من أهل الفُرات ، وقد صاروا في تلك الليلة إلى قنطرة نهر ميمون ، فقطعوها ليمنعوه العبور ، فلمّا أصبح أمر ، فصيح بالزّنج ، فعبروا دُجيلا ، وأخذ في مؤخّر الكرخ حتى وافى نهر ميمون ، فوجد القنطرة مقطوعة ، والناس في شرقيّ النّهر والسُّمَيْريّات في بطنه ، والدبَيلاَ في السُّمْيرّيات ، وأهل القرى في الجريبيّات والمجونحات ؛ فأمر أصحابه بالإمساك عنهم ، وأن يرحلوا عن النهر توقّياً للنُّشاب ، ورجع فقعد على مئة ذراع من القرية ؛ فلمّا لم يروا أحداً يقاتلهم خرج منهم قوم ليعرفوا الخبر ، وقد كان أمر جماعة من أصحابه ، فأتوا القرية ، فكَمَنُوا فيها مخفين لأشخاصهم ؛ فلما أحسوا خروج مَنْ خرج منهم ،

---

(١) انظر المنتظم (٩/ ٨٨).

شدّوا عليهم ، فأسروا اثنين وعشرين رجلاً ، وسعوا نحو الباقين ، فقتلوا منهم جماعة على شاطىء النهر ، ورجعوا إليه بالرؤوس والأسرى ، فأمر بضرب أعناقهم بعد مناظرة جرتْ بينه وبينهم ، وأمر بالاحتفاظ بالرؤوس ، وأقام إلى نصف النهار؛ وهو يسمع أصواتهم ، فأتاه رجل من أهل البادية مستأمناً ، فسأله عن غَوْر النهر؛ فأعلمه أنه يعرف موضعاً منه يُخاض ، وأعلمه أن القوم على معاودته بجمْعهم يقاتلونه؛ فنهض مع الرَّجل حتى أتى به موضعاً على مقدار ميل من المحمّدية ، فخاض النهر بين يديه ، وخاض الناس خلفه ، وحمله ناصح المعروف بالرمليّ ، وعبر بالدوابّ؛ فلما صار في شرقيّ النهر كرّ راجعاً نحو نهر ميمون؛ حتى أتى المسجد فنزل فيه ، وأمر بالرؤوس فنُصِبت ، وأقام يومه ، وانحدر جيش رُميس بجمعه في بطن دُجيل ، فأقاموا بموضع يعرف بأقشَى بإزاء النهر المعروف ببَرد الخيار ، ووجّه طليعة فرجع إليه ، فأخبره بمقام القوم هناك ، فوجّه من ساعته ألفَ رجل ، فأقاموا بسبَخة هناك على فُوّهة هذا النهر ، وقال لهم: إن أتوْكم إلى المغرب؛ وإلاّ فأعلموني ، وكتب كتاباً إلى عَقيل ، يذكره فيه أنه قد بايعه في جماعة من أهل الأبُلّة ، وكتب إلى رُمَيس يذكّره حِلفه له بالسِّيب أنه لا يقاتله؛ وأنه يُنهي أخبارَ السلطان إليه ، ووجّه بالكتابين إليهما مع بعض الأكرة بعد أن أحلفه أن يوصلهما.

وسار من نهر ميمون يريد السَّبَخَة التي كان هيّأ فيها طليعةً؛ فلمّا صار إلى القادسية والشيِّفيا ، سمع هناك نعيراً ، ورأى رمياً؛ وكان إذا سار يتنكب القرى؛ فلم يدخلْها ، وأمر محمد بن سَلْم أن يصير إلى الشيِّفيا في جماعة؛ فيسأل أهلها أن يُسلموا إليه قاتل الرجل من أصحابه في ممرّه كان بهم؛ فرجع إليه ، فأخبره أنهم زعموا: أنَّه لا طاقة لهم بذلك الرّجل لولائه من الهاشميين ، ومنعهم له؛ فصاح بالغلمان ، وأمرهم بانتهاب القريتين ، فانتهب منهما مالاً عظيماً؛ عيناً ووَرِقاً وجوهراً وحُلِيّاً وأواني ذهب وفضة ، وسبى منهما يومئذ غلماناً ونسوة؛ وذلك أوّلُ سَبْي سُبي ، ووقفوا على دار فيها أربعة عشر غلاماً من غلمان الشورج ، قد سُدّ عليهم باب؛ فأخذهم وأتِيَ بمولى الهاشميين القاتل صاحبه فأمر محمد بن سلم بضرب عنقه ، ففعل ذلك ، وخرج من القريتين في وقت العصر ، فنزل السَّبَخة المعروفة ببرَد الخيار.

فلما كان في وقت المغرب أتاه أحد أصحابه الستّة ، فأعلمه أن أصحابه ، قد

شغلوا بخمور وأنبذة وجدوها في القادسيّة؛ فصار ومعه محمد بن سلم ويحيى بن محمد إليهم، فأعلمهم أنّ ذلك مما لا يجوز لهم، وحرّم النبيذ في ذلك اليوم عليهم، وقال لهم: إنكم تلاقون جيوشاً تقاتلونهم، فدعوا شُرب النبيذ والتشاغل به، فأجابوه إلى ذلك؛ فلما أصبح جاءه غلام من السودان، يقال له: قاقويه، فأخبره أن أصحاب رُميس قد صاروا إلى شرقيّ دُجيل، وخرجوا إلى الشطّ، فدعا عليّ بن أبان، فتقدم إليه أن يمضِيَ بالزّنج، فيوقع بهم؛ ودعا مشرقاً، فأخِذ منه إصطرلاباً، فقاس به الشمس، ونظر في الوقت، ثم عبر وعبر الناس خلفه القنطرة التي على النهر المعروف ببرَد الخيار؛ فلما صاروا في شرقيّه، تلاحق الناس بعليّ بن أبان، فوجدوا أصحاب رُميس وأصحاب عَقيل على الشطّ، والدَّبيلا في السفن يرمون بالنُّشاب، فحملوا عليهم؛ فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وهبّتْ ريح من غربيّ دُجيل، فحملت السفن، فأدنتها من الشطّ، فنزل السودان إليها، فقتلوا مَنْ وجدوا فيها، وانحاز رُميس ومَنْ كان معه إلى نهر الدير على طريق أقشى، وترك سفنه لم يحرّكها ليظنّ أنه مقيم، وخرج عَقيل وصاحب ابن أبي عون إلى دِجْلة مبادريْن؛ لا يلويان على شيء.

وأمر صاحب الزَّنْج بإخراج ما في السفن التي فيها الدَّبيلا؛ وكانت مقرونةً بعضها ببعض، فنزل فيها قاقويه ليفتّشها، فوجد رجلاً من الدَّبيلا، فحاول إخراجَه فامتنع عليه، وأهوى إليه بسُرتَي كان معه؛ فضربه ضربة على ساعده، فقطع بها عِرقاً من عروقه، وضربه ضربةً على رجله، فقطعتْ عصبةً من عصبه، وأهوى له قاقويه، فضربه ضربةً على هامته فسقط، فأخذ بشعره، واحتزّ رأسه؛ فأتى به صاحب الزّنج، فأمر له بدينار خفيف، وأمر يحيى بن محمد أن يقوِّدَه على مئة من السودان، ثم سار صاحب الزَّنج إلى قرية تعرف بالمهلبيّ تقابل قَيَّاران، ورجع السودان الذين كانوا اتّبعوا عَقيلاً وخليفة ابن أبي عون، وقد أخذ سُميريّة فيها ملاّحان؛ فسألهم عن الخبر، فقالوا: اتّبعناهم فطرحوا أنفسهم إلى الشطّ، وتركوا هذه السميريّة، فجئنا بها.

فسأل الملاّحيْن، فأخبراه أن عقيلاً حملهما على اتباعه قهراً، وحبس نساءهما حتى اتّبعاه، وفعل ذلك بجميع مَنْ تبعه من الملاّحين؛ فسألهما عن سبب مجيء الدّبيلا، فقالا: إنّ عقيلاً وعدهم مالاً؛ فتبعوه؛ فسألهما عن السفن

الواقفة بأقشى ، فقالا : هذه سفن رُميس وقد تركها ، وهرب في أوّل النهار ، فرجع حتى إذا حاذاها ؛ أمر السودان فعبروا فأتوا بها ؛ فأنهبهم ما كان فيها ، وأمر بها فأحرِقت ، ثم صار إلى القرية المعروفة بالمهلّبيّة اسمها تنغت ، فنزل قريباً منها ، وأمر بانتهابها وإحراقها ؛ فانتُهبتْ وأحرقت ، وسار على نهر الماديان ، فوجد فيها تموراً ، فأمر بإحراقها .

وكان لصاحب الزَّنج بعد ذلك أمور من عيْشه هو وأصحابه في تلك الناحية تركنا ذكرها ، إذ لم تكن عظيمة ؛ وإن كان كلّ أموره كانت عظيمة .

ثم كان من عظيم ما كان له من الوقائع مع أصحاب السلطان وقعة كانت مع رجل من الأتراك يكنى أبا هلال في سوق الرّيان ؛ ذكر عن قائد من قوّاده يقال له ريحان ، أن هذا التركيّ وافاهم في هذا السوق ، ومعه زهاء أربعة آلاف رجل أو يزيدون ، وفي مقدّمته قوم عليهم ثياب مُشهرَة وأعلام وطبول ، وأن السودان حملوا عليه حملة صادقة ، وأنّ بعض السودان ألقى صاحب علم القوم فضربه بخشبتين كانتا معه في يده فصرعه ، وانهزم القوم ، وتلاحق السودان ، فقتلوا من أصحاب أبي هلال زُهاء ألف وخمسمئة ، وإن بعضهم اتبع أبا هلال ففاته بنفسه على دابة عُرْي ، وحال بينهم وبين من أفلت ظلمة الليل ؛ وأنه لما أصبَح ؛ أمر بتتبعهم ، ففعلوا ذلك فجاؤوا بأسرى ورؤوس فقتل الأسرى كلهم . ثُمَّ كانت له وقعة أخرى بعد هذه الوقعة مع أصحاب السلطان ؛ هزمهم فيها ، وظفر بهم ، وكان مبتدأ الأمر في ذلك ـ فيما ذكر عن قائد لصاحب الزنج من السودان يقال له : ريحان ـ أنه قال : لما كان في بعض الليل من ليالي هذه السنة التي ذكرنا أنه ظهر فيها ، سمع نباح كلب في أبواب تعرف بعمرو بن مسعدة ، فأمر بتعرّف الموضع الذي يأتي منه النّباح ، فوجّه لذلك رجلاً من أصحابه ، ثم رجع فأخبره أنه لم ير شيئاً ؛ وعاد النباح ، قال ريحان : فدعاني ، فقال لي : صر إلى موضع هذا الكلب النابح ، فإنه إنما نَبح شخصاً يراه ، فصرتُ فإذا أنا بالكلب على المسنّاة ، ولم أر شيئاً ، فأشرفتُ فإذا أنا برجل قاعد في درجات هنالك ، فكلّمتُه ، فلما سمعني أُفصحُ بالعربيّة ، كلّمني ، فقال : أنا سيْران بن عفو الله ، أتيتُ صاحبكم بكتب من شيعته بالبصْرة ، وكان سيْران هذا أحد مَنْ صحب صاحب الزّنج أيام مُقامه بالبصرة ، فأخذته فأتيته به ، فقرأ الكتب التي كانت معه ، وسأل عن الزّينبيّ وعن

عدّة مَنْ كان معه ، فقال: إن الزّينبيّ قد أعدّ لك الخوَل والمطّوعة والبلالية والسعدية؛ وهم خلق كثير ، وهو على لقائك بهم ببَيَان ، فقال له: اِخفض صوتَك ، لئلا يرتاع الغلمان بخبرك ، وسأله عن الذي يقود هذا الجيش ، فقال: قد نُدِب لذلك المعروف بأبي منصور ، وهو أحد موالي الهاشميين ، قال له: أفرأيتَ جمعَهم؟ قال: نعم؛ وقد أعدُّوا الشُّرُط لكتف من ظفروا به من السودان ، فأمره بالانصراف إلى الموضع الذي يكون فيه مُقامه ، فانصرف سيران إلى عليّ بن أبان ومحمد بن سلم ويحيى بن محمد ، فجعل يحدّثهم إلى أن أسْفر الصبح ، ثم سار صاحب الزَّنج إلى أن أشرف عليهم ، فلما انتهى إلى مؤخَّر تُرْسَى وبرسونا وسنداذان بَيَـان ، عرض له قوم يريدون قتاله ، فأمر عليّ بن أبان فأتاهم فهزمهم ، وكان معهم مئة أسود ، فظفر بهم ، قال ريحان: فسمعته يقول لأصحابه: من أمارات تمام أمركم ما ترَوْن من إتيان هؤلاء القوم بعبيدهم فيسلِّمونهم إليكم ، فيزيد الله في عددكم ثم سار حتى صار إلى بَيَان.

قال ريحان: فوجّهني وجماعة من أصحابه إلى الحجر لطلب الكاروان وعسكرهم في طرف النخل في الجانب الغربيّ من بيان ، فتوجّهنا إلى الموضع الذي أمرنا بالمصير إليه ، فألفينا هناك ألفاً وتسعمئة سفينة ، ومعها قوم من المطوّعة قد احتبسوها ، فلما رأوْنا خلَّوْا عن السفن ، وعبروا سُلبان عَرايا ماضين نحو جُوبك ، وسقْنا السفن حتى وافيناه بها ، فلما أتيناه بها أمر فبُسِط له على نشز من الأرض وقعد ، وكان في السفن قوم حجّاج أرادوا سلوك طريق البصرة؛ فناظرهم بقيّة يومه إلى وقت غروب الشمس ، فجعلوا يصدقونه في جميع قوله ، وقالوا: لو كان معنا فضل نفقة لأقمنا معك ، فردّهم إلى سفنهم؛ فلما أصبحوا أخرجهم ، فأحلفهم ألاّ يخبروا أحداً بعدّة أصحابه ، وأن يقللوا أمره عند من سألهم عنه ، وعرضوا عليه بساطاً كان معهم ، فأبدله ببساط كان معه ، واستحلفهم أنه لا مال للسلطان معهم ولا تجارة ، فقالوا: معنا رجل من أصحاب السلطان ، فأمر بإحضاره ، فأحضر ، فحلف الرَّجل أنه ليس من أصحاب السلطان ، وأنه رجل معه نُقَل أراد به البصرة ، فأحضر صاحب السفينة التي وُجد فيها ، فحلف له أنه إنما اتّجر فيه ، فحمله فخلى سبيله ، وأطلق الحجاج فذهبوا ، وشرع أهل سليمانان على بيان بإزائه في شرقيّ النهر؛ فكلمهم أصحابُه

وكان فيهم حسين الصيدنانيّ الذي كان صحبه بالبصرة؛ وهو أحد الأربعة الذين ظهروا بمسجد عبّاد ، فلحق به يومئذ؛ فقال له: لِمَ أبطأتَ عني إلى هذه الغاية؟ قال: كنتُ مختفياً ، فلما خرج هذا الجيش دخلتُ في سواده ، قال: فأخبِرْني عن هذا الجيش ، ما هم؟ وما عدّة أصحابه؟ قال: خرج من الخَوَل بحضرتي ألف ومئتا مقاتل ، ومن أصحاب الزينبيّ ألف ، ومن البلاليّةِ والسعديّة زهاء ألفين ، والفرسان مائتا فارس ، ولما صاروا بالأبُلّة وقع بينهم وبين أهلها اختلاف؛ حتى تلاعنوا ، وشتم الخَوَلُ محمد بن أبي عون ، وخلفتُهم بشاطىء عثمان وأحسبهم مصبّحيك في غد ، قال: فكيف يريدون أن يفعلوا إذا أتونا؟ قال: هم على إدخال من سندادان بَيان ، ويأتيك رجّالتهم من جنبي النهر.

فلما أصبح وجّه طليعةً ليعرف الخبر ، واختاره شيخاً ضعيفاً زمِناً لئلا يُعرض له؛ فلم يرجع إليه طليعتُه ، فلمّا أبطأ عنه وجّه فتحاً الحجام ومعه ثلثمئة رجل ، ووجّه يحيى بن محمد سندادان ، وأمره أن يخرج في سو بَيَان ، فجاءه فَتْح فأخبره أن القوم مقبلون إليه في جمع كثير ، وأنهم قد أخذُوا جنبي النَّهر؛ فسأل عن المدّ ، فقيل: لم يأتِ بعدُ ، فقال: لم تدخل خيلُهم بعد ، وأمر محمد بن سَلْم وعليّ بن أبان أن يقعدوا لهم في النخل ، وقعد هو على جَبل مشرف عليهم؛ فلم يلبث أن طلعت الأعلام والرّجال حتى صاروا إلى الأرض المعروفة بأبي العلاء البلخيّ؛ وهي عطفة على دُبَيران؛ فأمر الزّنج فكبَّروا ثم حملوا عليهم فوافوا بهم دبيران ، ثم حمل الْخَوَل يقدُمهم أبو العباس بن أيمن المعروف بأبي الكباش وبشير القيسيّ ، فتراجع الزَّنج حتى بلغوا الجبل الذي هو عليه ، ثم رجعوا عليهم؛ فثبتوا لهم ، وحمل أبو الكباش على فَتْح الحجام فقتله ، وأدرك غلاماً يقال له دينار من السودان فضربَه ضربات ، ثم حمل السودان عليهم ، فوافَوْا بهم شاطىء بيان ، وأخذتهم السيوف.

قال ريحان: فعهدِي بمحمد بن سلم وقد ضرب أبا الكباش ، فألقى نفسه في الطين ، فلحقه بعضُ الزّنج ، فاحتزّ رأسه ، وأما عليّ بن أبان؛ فإنّه كان ينتحل قتل أبي الكباش وبشير القيسيّ ، وكان يتحدّث عن ذلك اليوم فيقول: كان أوّل مَنْ لقيني بشير القيسيّ ، فضربني وضربتُه ، فوقعتْ ضربته في تُرسي ، ووقعت ضربتي في صدره وبطنه؛ فانتظمتْ جوانح صدره ، وفريتُ بطنَه ، وسقط

فأتيته ، فاحتززتُ رأسه ، ولقيني أبو الكباش ، فشُغِل بي ، وأتاه بعضُ السودان من ورائه فضربه بعصاً كانت في يده على ساقيه؛ فكسرهما فسقط ، فأتيتُه ولا امتناع به ، فقتلته واحتززتُ رأسه؛ فأتيت بالرأسين صاحب الزّنج.

قال محمد بن الحسن بن سهل: سمعت صاحبَ الزّنج يخبر أن عليّاً أتاه برأس أبي الكباش ورأس بشير القيسيّ ـ قال: ولا أعرفهما ـ فقال: كان هذان يقدمان القوم ، فقتلتهما فانهزم أصحابهما لمّا رأوا مصرعهما.

قال ريحان ـ فيما ذكر عنه: وانهزم الناس فذهبوا كلّ مذهب ، واتّبعهم السودان إلى نهر بَيَان ، وقد جَزَر النهر ، فلما وافوْه انغمسوا في الوحْل ، فقتِل أكثرهم ، قال: وجعل السودان يمرّون بصاحِبِهم دينار الأسود الذي كان أبو الكباش ضربه ، وهو جريح ملقىً فيحسبونه من الخوَل فيضربونه بالمناجل حتى أثخِن ، ومرّ به من عرفه ، فحمل إلى صاحب الزّنج ، فأمر بمداواة كلومِه.

قال ريحان: فلما صار القوم إلى فُوّهة نهر بيان ، وغرق مَنْ غرق ، وأخذت السفن التي كانت فيها الدوابّ ، إذا ملوّح يلوّح من سفينة ، فأتيناه فقال: ادخلوا النهر المعروف بشريكان ، فإنّ لهم كميناً هناك ، فدخل يحيى بن محمد وعليّ بن أبان ، فأخذ يحيى في غربيّ النهر ، وسلك عليّ بن أبان في شرقيّة؛ فإذا كمين في زهاء ألف من المغاربة ، ومعهم حسين الصَّيْدانيّ أسيراً قال: فلمّا رأوْنا شدّوا على الحسين؛ فقطّعوه قطعاً ، ثم أقبلوا إلينا ، ومدّوا رماحَهم ، فقاتلوا إلى صلاة الظهر ، ثم أكبّ السودان عليهم فقتلوهم أجمعين ، وحَوَوْا سلاحهم؛ ورجع السودان إلى عسكرهم؛ فوجدوا صاحبهم قاعداً على شاطىء بيان ، وقد أتِيَ بنيّف وثلاثين عَلَماً وزهاء ألف رأس ، فيها رؤوس أنجاد الخَوَل وأبطالهم؛ ولم يلبث أن أتوْه بزهير يومئذ.

قال ريحان: فلم أعرفه ، فأتى يحيى وهو بين يديْه ، فعرفه فقال لي: هذا زهير الخَوَل؛ فما استبقاؤك إياه! فأمر به فضُربت عنقه ، وأقام صاحب الزنج يومه وليلته ، فلما أصبح وجّه طليعة إلى شاطىء دجْلة ، فأتاه طليعته ، فأعلمه أن بدجلة شَذَاتَين لاصقتين بالجزيرة ، والجزيرة يومئذ على فُوّهة القَنْدَل ، فردّ الطليعة بعد العصر إلى دجلة ليعرف الخبر؛ فلمّا كان وقت المغرب أتاه المعروف بأبي العباس خال ابنه الأكبر ، ومعه رجل من الجند يقال له عمران ، وهو زَوْج أم

أبي العباس هذا ، فصفّ لهما أصحابه ، ودعا بهما؛ فأدّى إليه عمران رسالة ابن أبي عون ، وسأله أن يعبر بياناً ليفارق عمله ، وأعلمه أنه قد نحّى الشذَا عن طريقه ، فأمر بأخذ السفن التي تخترق بَيَاناً من جُبَّى ، فصار أصحابه إلى الحجر ، فوجدوا في سُلبان مئتي سفينة ، فيها أعدال دقيق ، فأخِذَتْ ، ووُجد فيها أكسية وبرّكانات ، وفيها عشرة من الزَّنْج ، وأمر الناس بركوب السفن ، فلما جاء المدّ وذلك في وقت المغرب ـ عبر وعبر أصحابه حيال فُوّهة القندل ، واشتدّت الريح ، فانقطع عنه من أصحابه المكنّى بأبي دلف ، وكان معه السفن التي فيها الدقيق؛ فلمّا أصبح وافاه أبو دلف فأخبره أن الرّيح حملته إلى حسك عِمْران ، وأن أهل القرية همُّوا به؛ وبما كان معه ، فدفعهم عن ذلك ، وأتاه من السودان خمسون رجلاً ، فسار عند موافاة السفن والسودان إياه حتى دخل القَنْدل ، فصار إلى قرية للمعَلَّى بن أيوب ، فنزلها ، وانبثّ أصحابه إلى دُبّا ، فوجدوا هناك ثلثمئة رجل من الزَّنْج ، فأتوْه بهم ، ووجدوا وكيلاً للمعلّى بن أيوب ، فطالبه بمال ، فقال: اعبُر إلى برسان ، فآتيك بالمال ، فأطلقه ، فذهب ولم يَعُد إليه؛ فلما أبطأ عليه أمر بانتهاب القرية فانتُهبت.

قال ريحان ـ فيما ذكر عنه: فلقد رأيتُ صاحب الزَّنج يومئذ ينتهب معنا ، ولقد وقعتْ يدي ويده على جبّة صوف مُضرّبة؛ فصار بعضها في يده وبعضها في يدي ، وجعل يجاذبني عليها حتى تركتُها له ، ثم سار حتى صار إلى مسلحة الزينبيّ على شاطىء القَنْدَل في غربيّ النهر ، فثبت له القوم الذين كانوا في المسلحة: وهم يروْن أنهم يطيقونه ، فعجزوا عنه؛ فقتِلوا أجمعين؛ وكانوا زُهاء مئتين ، وبات ليلته في القَصْر ، ثم غدا في وقت المدّ قاصداً إلى سَبَخة القَنْدل ، واكتنف أصحابه حافتي النهر ، حتى وافوا مُنْذُران ، فدخل أصحابه القرية فانتهبوها ، ووجدوا فيها جمعاً من الزَّنج ، فأتوه بهم ، ففرّقهم على قوّاده ، ثم صار إلى مؤخّر القَنْدل ، فأدخل السفن النهر المعروف بالحَسَني النافذ إلى النهر المعروف بالصالحيّ؛ وهو نهر يؤدي إلى دُبَّا ، فأقام بسبَخةٍ هناك.

فذكر عن بعض أصحابه أنه قال: هاهنا قوّد القوّاد؛ وأنكر أن يكون قوّد قبل ذلك ، وتفرّق أصحابُه في الأنهار حتى صاروا إلى مربّعةِ دُبَّا ، فوجدوا رجلاً من التمّارين من أهل كلاّء البصرة ، يقال له: محمد بن جعفر المُريديّ ، فأتوه به ،

فسلّم عليه وعرفه ، وسأله عن البلاليّة ، فقال: إنما أتيتُك برسالتهم ، فلقيني السودان ، فأتوْك بي ، وهم يسألونك شروطاً إذا أعطيتَهم إياها سمعوا لك وأطاعوا ، فأعطاه ما سأل لهم ، وضمن القيام له بأمرهم؛ حتى يصيروا في حيّزه ، ثم خلّى سبيله ، ووجّه معه مَنْ صيّره إلى الفيّاض ، ورجع عنه ، فأقام أربعة أيام ينتظره؛ فلم يأته ، فسار في اليوم الخامس وقد سرّح السفن التي كانت معه في النهر ، وأخذ هو على الظهر فيما بين نهر يقال له: الدّاورْدانيّ والنهر المعروف بالحسَنيّ والنهر المعروف بالصالحي ، فلم يتعدّ حتى رأى خيلاً مقبلة من نحو نهر الأمير زهاء ستمئة فارس ، فأسرع أصحابُه إلى النهر الدّاوردانيّ ، وكان الخيل في غربية ، فكلَّموهم طويلاً ، وإذا هم قوم من الأعراب فيهم عنترة بن حجنا ، وثمال ، فوجّه إليهم محمد بن سلم ، فكلّم ثمالاً وعنترة ، وسألا عن صاحب الزَّنج ، فقال: ها هو ذا ، فقال: نريد كلامَه ، فأتاه فأخبره بقولهما ، وقال له: لو كلّمتَهما! فزجره ، وقال: إنّ هذا مكيدة ، وأمر السودان بقتالهم ، فعَبرُوا النهر ، فعدلت الخيل عن السودان ، ورفعوا علماً أسود ، وظهر سليمان أخو الزينبيّ ـ وكان معهم ـ ورجع أصحاب صاحب الزَّنْج ، وانصرف القوم ، فقال لمحمد بن سلم: ألم أعلمك أنهم إنما أرادوا كيدَنا!

وسار حتى صار إلى دُبّا ، وانبثّ أصحابه في النخل ، فجاؤوا بالغنم والبقر ، فجعلوا يذبحون ويأكلون ، وأقام ليلته هناك؛ فلمّا أصبح سار حتى دخل الأرخنج المعروف بالمطّهريّ ، وهو أرخنج ينفذ إلى نهر الأمير المقابل للفيّاض من جانبيه ، فوجدوا هناك شهاب بن العلاء العنبريّ ، ومعه قوم من الخَول ، فأوقعوا به ، وأفلت شهاب في نُفَير ممن كان معه ، وقُتِل من أصحابه جماعة ، ولحق شهاب بالمنصف من الفيّاض ، ووجد أصحاب صاحب الزّنج ستمئة غلام من غلمان الشورجيّين هناك ، فأخذوهم ، وقتلوا وكلاءهم ، وأتوْه بهم ، ومضى حتى انتهى إلى قصر يعرف بالجوهريّ على السَّبَخة المعروفة بالبرامكة ، فأقام فيه ليلَته تلك؛ ثم سار حيث أصبح حتى وافى السَّبَخة التي تُشرَع على النهر المعروف بالدِّيناريّ ، ومؤخرها يُفضي إلى النهر المعروف بالمحدث ، فأقام بها ، وجمع أصحابه ، وأمرهم ألا يعجّلوا بالذهاب إلى البصرة حتى يأمرهم وتفرّق أصحابُه في انتهاب كلّ ما وجدوا وبات هناك ليلته تلك.

ذكر الخبر عن مسير صاحب الزنج بزنوجه وجيوشه فيها إلى البصرة[(١)]

ذكر: أنه سار من السَّبخَة التي تشرع على النهر المعروف بالديناريّ، ومؤخرها يفضي إلى النهر المعروف بالحدث، بعدما جمع بها أصحابه يريد البصرة؛ حتى إذا قابل النهر المعروف بالرياحيّ أتاه قوم من السودان، فأعلموه: أنهم رأوا في الرياحيّ بارقةً، فلم يلبث إلا يسيراً حتى تنادى الزّنج السلاح، فأمر عليّ بن أبان بالعُبور إليهم، وكان القوم في شرقيّ النهر المعروف بالديناريّ، فعبَر في زهاء ثلاثة آلاف، وحبّش صاحب الزَّنج عنده أصحابه، وقال لعليّ: إن احتجتَ إلى مزيد في الرّجال فاستمدّني، فلما مضى، صاح الزّنج: السلاح! لحركة رأوْها من غير الجهة التي صار إليها عليّ، فسأل عن الخبر، فأخبِر أنه قد أتاه قوم من ناحية القرية الشارعة، على نهر حرْب المعروفة بالجعفريّة، فوجّه محمد بن سلْم إلى تلك الناحية.

فذكر عن صاحبه المعروف بريحان، أنه قال: كنتُ فيمن توجّه مع محمد، وذلك في وقت صلاة الظهر، فوافينا القومَ بالجعفريّة، فنَشب القتال بيننا وبينهم إلى آخر وقت العصر، ثم حمل السودان عليهم حملةً صادقة، فولّوْا منهزِمين وقُتِل من الجند والأعراب وأهل البصرة البلالية والسعدية خمسمئة رجل، وكان فتْح المعروف بغلام أبي شيث معهم يومئذ، فولى هارباً، فاتّبعه فيروز الكبير؛ فلمّا رآه جادّاً في طلبه رماه ببيضة كانت على رأسه؛ فلم يرجع عنه؛ فرماه بترسه فلم يرجع عنه، فرماه بتنّور حديد كان عليه فلم يرجع عنه؛ ووافى به نهر حرْب، فألقى فتحٌ نفسه فيه، فأفلت ورجع فيْروز، ومعه ما كان فتح ألقاه من سلاحه؛ حتى أتى به صاحب الزَّنج.

---

(١) هذه الأخبار استغرقت الصفحات (٤٣١ ـ ٤٣٧).
وفيها تفاصيل دقيقة عن سير المعارك التي خاضها صاحب الزنج وجيشه ضد قوات الخليفة العباسي حوالي مدينة البصرة، وقد روى بعضها عن أصحابه وبعضها الآخر عن شهود عيان آخرين وانظر تعليقنا في نهاية أخبار صاحب الزنج ضمن أحداث سنة (٢٧٠ هـ) (١٠/ ٦٦٣/خ ٦٠٤).

قال محمد بن الحسن: قال شِبْل: حُكيَ لنا: أنّ فتحاً طفَر يومئذ نهر حرب، قال: فحدّثت هذا الحديث الفضل بن عدّي الدارميَّ، فقال: أنا يومئذ مع السعديّة، ولم يكن على فتح تنُّور حديدٍ، وما كان عليه إلا صُدْرة حرير صفراء، ولقد قاتل يومئذ حتى لم يبق أحد يقاتل، وأتى نهر حرب، فوثبه، حتى صار إلى الجانب الغربيّ منه، ولم يُعرف ما حكى ريحان من خبر فيروز.

قال: وقال ريحان: لقيتُ فيروز قبل انتهائه إلى صاحب الزّنج، فاقتصّ عليّ قصّته وقصّة فَتْح، وأراني السلاح، وأقبل الزّنج على أخذ الأسلاب، وأخذتُ على النهر المعروف بالدّيناريّ؛ فإذا أنا برجل تحت نخلة عليه قلنسوة خزّ، وخُفّ أحمر ودرّاعة، فأخذتُه فأراني كتباً معه، وقال لي: هذه كتبٌ لقوم من أهل البصرة، وجّهوني بها، فألقيت في عنقه عمامة، وقدته إليه، وأعلمته خبره، فسأله عن اسمه فقال: أنا محمد بن عبد الله، وأكنَّى بأبي الليث، من أهل أصبهان، وإنما أتيتُك راغباً في صحبتك، فقبِله، ولم يلبث أن سمع تكبيراً؛ فإذا عليّ بن أبان قد وافاه ومعه رأسُ البلاليّ المعروف بأبي الليث القواريريّ.

قال: وقال شِبْل: الذي قتل أبا الليث القواريريّ وصيف المعروف بالزّهريّ وهو من مذكوري البلاليّة، ورأس المعروف بعبْدان الكسبيّ، وكان له في البلاليّة صوت في رؤوس جماعة منهم، فسأله عن الخبر فأخبره أنه لم يكن فيمن قاتله أشدّ قتالاً من هذين ـ يعني أبا الليث وعبدان ـ وأنه هزمهم حتى ألقاهم في نهر نافذ؛ وكانت معهم شذاة فغرّقها، ثم جاءه محمد بن سلْم ومعه رجل من البلالية أسيراً، أسره شِبْل يقال له محمد الأزرق القوايريّ، ومعه رؤوس كثيرة، فدعا الأسير فسأله عن أصحاب هذين الجيشين، فقال له: أما الذين كانوا في الرياحيّ فإنّ قائدهم كان أبا منصور الزّينبيّ، وأما الذين كانوا مما يلي نهر حرب، فإن قائدهم كان سليمان أخا الزينبي من ورائهم مُصْحراً، فسأله عن عددهم فقال له: لا أحصيهم، إلاّ أني أعلم أنهم كثير عددهم، فأطلق محمد القواريريّ، وضمه إلى شِبْل، وسار حتى وافى سَبَخة الجعفرية، فأقام ليلتَه بين القتلى؛ فلما أصبح جمع أصحابه فحذَّرهم أن يدخل أحد منهم البصرة، وسار فتسرّع منهم أنكلويه وزُريق وأبو الخَنْجر ـ ولم يكن قُوِّد يومئذ ـ وسليم ووصيف الكوفيّ، فوافوا النهر المعروف بالشاذاني، وأتاهم أهل البصرة، وكَثروا عليهم؛ وانتهى الخبر إليه،

فوجّه محمد بن سلْم وعليّ بن أبان ومشرقاً غلام يحيى في خلق كثير ، وجاء هو يسايرهم؛ ومعه السفن التي فيها الدوابّ المحمولة ونساء الغلمان حتى أقام بقنطرة نهر كثير.

قال ريحان: فأتيته وقد رُميت بحجر ، فأصاب ساقي ، فسألني عن الخبر فأخبرته أنّ الحرب قائمة ، فأمرني بالرّجوع ، وأقبل معي حتى أشرف على نهر السيابجة ، ثم قال لي: امض إلى أصحابنا ، فقل لهم يستأخروا عنهم ، فقلت له: ابعد عن هذا الموضع فإني لست آمنُ عليك الخَول ، فتنحّى ، ومضيت فأخبرت القوّاد بما أمر به ، فتراجعوا ، وأكبّ أهل البصرة عليهم ، وكانت هزيمة ، وذلك عند العصر ، ووقع الناس في النهرين: نهر كثير ونهر شَيْطان ، فجعل يهتف بهم ويردّهم فلا يرجعون ، وغرق جماعة من أصحابه في نهر كثير ، وقتِل منهم جماعة على شطّ النهر وفي الشاذانيّ؛ فكان ممن غرق يومئذ من قوّاده أبو الجون ومبارك البحرانيّ وعطاء البربريّ وسلام الشأميّ ، ولحقه غلام أبي شيث وحارث القَيْسيّ وسُحيل ، فعَلَوا القنطرة ، فرجع إليهم وانهزموا عنه حتى صاروا إلى الأرض ، وهو يومئذ في دُرّاعة وعمامة ونعل وسيف ، وتُرسه في يده؛ ونزل عن القنطرة وصعدها البصريون يطلبونه ، فرجع فقتل منهم بيده رجلاً على خمس مراق من القنطرة ، وجعل يهتف بأصحابه ويعرّفهم مكانه ، ولم يكن بقي معه في ذلك الموضع من أصحابه إلا أبو الشّوْك ومصلح ورفيق غلام يحيى.

قال ريحان: فكنت معه فرجع؛ حتى صار إلى المعلّى ، فنزل في غربيّ نهر شيطان.

قال محمد بن الحسن: فسمعتُ صاحب الزّنج يحدّث ، قال: لقد رأيتُني في بعض نهار هذا اليوم؛ وقد ضللت عن أصحابي ، وضلّوا عني ، فلم يبق معي إلا مصلح ورفيق ، وفي رِجْلي نعل سنديّ ، وعليّ عمامة قد انحلّ كُور منها فأنا أسحبها من ورائي ، ويعجلني المشيّ عن رفعها ، ومعي سيفي وتُرسِي ، وأسرع مصلح ورفيق في المشي وقصّرتُ ، فغابا عني ، ورأيت في أثري رجلين من أهل البصرة؛ في يد أحدهما سيف ، وفي يد الآخر حجارة ، فلما رأياني عَرَفاني ، فجدّا في طلبي ، فرجعت إليهما فانصرفا عني ، ومضيتُ حتى خرجت إلى

الموضع الذي فيه مجمع أصحابي؛ وكانوا قد تحيَّروا لفقدي؛ فلما رأوْني سكنوا إلى رؤيتي.

قال ريحان: فرجع بأصحابه إلى موضع يعرف بالمعلّى في غربيّ نهر شيطان، فنزل به، وسأل عن الرّجال؛ فإذا قد هرب كثير منهم، ونظر فإذا هو من جميع أصحابه في مقدار خمسمئة رجل، فأمر بالنفخ في البوق الذي كانوا يجتمعون لصوته، فلم يرجع إليه أحد، وبات ليلته، فلما كان في بعض الليل جاء الملقب بجُرْبان، وقد كان هرب فيمن هرب، ومعه ثلاثون غلاماً فسأله: أين كانت غيبته؟ فقال: ذهبت إلى الزّوارقة طليعةً.

قال ريحان: ووجّهني لأتعرّف له مَنْ في قنطرة نهر حَرْب، فلم أجد هناك أحداً، وقد كان أهل البصرة انتهبُوا السفن التي كانت معه، وأخذوا الدوابّ التي كانت فيها في هذا اليوم، وظفروا بمتاع من متاعه، وكتب من كتبه، وإصطرلابات كانت معه؛ فلما أصبح من غد هذا اليوم نظر في عدة أصحابه، فإذا هم ألف رجل قد كانوا ثابوا إليه في ليلتهم تلك.

قال ريحان: فكان فيمن هرب شبل، وكان ناصح الرّمليّ ينكر هرب شبل، قال ريحان: فرجع شبل من غد، ومعه عشرة غلمان، فلامه وعنّفه وسأل عن غلام كان يقال له نادر يكنى بأبي نعجة، وعن عنبر البربريّ؛ فأخبر أنهما هربا فيمن هرب، فاقام في موضعه، وأمر محمد بن سلم أن يصير إلى قنطرة نهر كَثير، فيعظ الناس ويُعلمهم ما الذي دعاه إلى الخروج، فصار محمد بن سلم وسليمان بن جامع ويحيى بن محمد، فوقف سليمان ويحيى، وعبر محمد بن سلِم حتى توسَّط أهل البصرة، وجعل يكلِّمهم، ورأوْا منه غِرّة فانطووا عليه؛ فقتلوه.

قال الفضل بن عديّ: عَبَرِ محمد بن سلم إلى أهل البصرة ليعظهم وهم مجتمعون في أرض تعرف بالفضْل بن ميمون؛ فكان أوّل من بدر إليه وضربه بالسيف فتحُ غلام أبي شيث، وأتاه ابن التّومنيّ السعديّ، فاحتزّ رأسه، فرجع سليمان ويحيى إليه، فأخبراه الخبر، فأمرهما بطيٍّ ذلك عن الناس حتى يكون هو الذي يقوله لهم، فلمّا صلى العصر نعى محمد بن سلم لأصحابه، وعرف خبره من لم يكن عرفه، فقال لهم: إنكم تقتلون به في غد عشرة آلاف من أهل البصرة، ووجّه زُريقاً وغلاماً له يقال له: سقلبتويا، وأمرهما بمنع الناس من

العبور؛ وذلك في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وخمسين ومئتين.

قال محمد بن الحسن: فحدّثني محمد بن سمعان الكاتب، قال: لما كان في يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة جمع له أهل البصرة، وحشدوا له لمّا رأوا من ظهورهم عليه في يوم الأحد، وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحمّاد الساجيّ - وكان من غُزاة البحر - في الشَّذَا، وله علم بركوبها والحرب فيها، فجمع المطوعة ورماة الأهداف، وأهل المسجد الجامع ومَنْ خفّ معه من حزبي البلالية والسعدية، ومَنْ أحبّ النظر من غير هذه الأصناف من الهاشميّين والقرشيين وسائر أصناف الناس، فشحن ثلاثة مراكب من الشّذا من الرماة، وجعلوا يزدحمون في الشذا حرصاً على حضور ذلك المشهد، ومضى جمهور الناس رجّالة، منهم من معه السلاح، ومنهم نظّارة لا سلاح معهم، فدخلت الشَّذَا والسفن النهرَ المعروف بأم حبيب بعد زوال الشمس من ذلك اليوم في المدّ ومرّت الرّجالة والنظارة على شاطىء النهر، قد سدّوا ما ينفذ فيه البصر تكاثفاً وكثرة، وكان صاحب الزنج مقيماً بموضعه من النهر المعروف بشيطان.

قال محمد بن الحسن: فأخبرنا صاحبُ الزّنج أنه لما أحسّ بمصير الجمع إليه، وأتته طلائعه بذلك وَجّه زُريقاً وأبا الليث الأصبهانيّ في جماعة معهما في الجانب الشرقيّ من النهر كميناً وشِبْلاً وحسيناً الحماميّ في جماعة من أصحابه في الجانب الغربيّ بمثل ذلك، وأمر عليّ بن أبان ومَنْ بقي معه من جمْعه بتلقّي القوم، وأن يجثوا لهم فيمن معه، ويستتروا بتراسهم فلا يثور إليهم منهم ثائر حتى يوافيَهم القوم ويُوموا إليهم بأسيافهم؛ فإذا فَعلوا ذلك ثاروا إليهم، وتقدّم إلى الكمينين: إذا جاوزهما الجمع وأحسّا بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجا من جنبتي النهر، ويصيحا بالناس، وأمر نساء الزّنج بجمع الآجرّ وإمداد الرجال به.

قال: وكان يقول لأصحابه بعد ذلك: لمّا أقبل إليّ الجمع يومئذ وعاينته رأيت أمراً هائلاً راعني، وملأ صدري رهبة وجَزعاً، وفزعت إلى الدعاء، وليس معي من أصحابي إلا نفر يسير؛ منهم مصلح؛ وليس منا أحد إلا وقد خُيِّل له مصرعه في ذلك، فجعل مصلح يعجّبني من كثرة ذلك الجمع، وجعلت أومئ إليه أن يمسك فلما قرب القوم مني قلت: اللهم إن هذه ساعة العسرة، فأعني، فرأيت

طيوراً بيضاً تلقّتْ ذلك الجمع ، فلم أستتمّ كلامي حتى بصرت بُسميريّة قد انقلبتْ بمن فيها ، فغرقوا ثم تلتها الشّذَا ، وثار أصحابي إلى القوم الذين قصدوا لهم فصاحوا بهم ، وخرج الكمينان عن جنبتي النهر من وراء السفن والرّجّالة ، وخبطوا مَنْ ولّى من الرّجّالة والنظّارة الذين كانوا على شاطئ النهر المعروف ، فغرقت طائفة ، وقتلت طائفة ، وهربت طائفة نحو الشطّ طمعاً في النجاة ، فأدركها السيف؛ فمن ثبت قُتِل ، ومن رجع إلى الماء غرق ، ولجأ من كان على شاطىء النهر من الرّجّالة إلى النهر فغرقوا وقتِلوا ، حتى أبير أكثر ذلك الجمع ، ولم ينج منهم إلا الشريد ، وكثر المفقودون بالبصرة ، وعلا العويل من نسائهم ، وهذا يوم الشذا الذي ذكره الناس ، وأعظموا ما كان فيه من القتل ، وكان فيمن قتل من بني هاشم جماعة من ولد جعفر بن سليمان وأربعون رجلاً من الرّماة المشهورين؛ في خلق كثير لا يحصى عددهم وانصرف الخبيث وجُمعت له الرؤوس ، فذهب إليه جماعة من أولياء القتلى ، فعرضها عليهم ، فأخذوا ما عرفوا منها ، وعبّأ ما بقى عنده من الرؤوس التي لم يأت لها طالب في جريبيّة ملأها منها ، وأخرجها من النهر المعروف بأم حبيب في الجزر ، وأطلقها ، فوافت البصرة ، فوقفت في مشرعة تعرف بمشرعة القيّار ، فجعل الناس يأتون تلك الرؤوس ، فيأخذ رأسَ كل رجل أولياؤه ، وقويَ عدوّ الله بعد هذا اليوم ، وتمكن الرّعب في قلوب أهل البصرة منه ، وأمسكوا عن حربه ، وكتِب إلى السلطان بخبر ما كان منه ، فوجّه جُعْلان التركيّ مدداً لأهل البصرة ، وأمر أبا الأحوص الباهليّ بالمصير إلى الأبُلّة والياً ، وأمدّه برجل من الأتراك يقال له: جُريح.

فزعم الخبيث أنّ أصحابه قالوا له بعقب هذه الوقعة: إنا قد قتلنا مقاتلة أهل البصرة ، ولم يبق فيها إلا ضعفاؤهم ومَنْ لا حراك به ، فائْذنْ لنا في تقحُّمها. فزَبرَهم وهجَّن آراءهم ، وقال لهم: لا بل ابعدوا عنها؛ فقد أرعبناهم وأخفناهم وأمنتم جانبهم؛ فالرأي الآن أن تَدَعو حربَهم حتى يكونوا هم الذين يطلبونكم ، ثم انصرف بأصحابه إلى سَبَخة بمآخير أنهارهم إردبّ يقارب النهر المعروف بالحاجر ، قال شبل: هي سَبخة أبي قرّة وقعها بين النهرين: نهر أبي قرّة والنهر المعروف بالحاجر.

فأقام هناك ، وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ ، وهذه السبخة متوسطة النخل والقرى والعمارات ، وبثّ أصحابه يميناً وشمالاً يغير بهم على القرى ، ويقتل بهم الأكرة وينهب أموالهم ، ويسوق مواشيَهم.

فهذا ما كان من خبره وخبر الناس الذين قربوا من موضع مخرجه في هذه السنة.

* * *

ولليلتين بقيتا من ذي القعدة منها حُبس الحسن بن محمد بن أبي الشوارب القاضي ، ووُلِّي عبد الرحمن بن نائل البصريّ قضاء سامرّا في ذي الحجة منها (١).

وحجّ بالناس فيها عليّ بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عليّ (٢).

* * *

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

[ذكر الخبر عن وصول موسى بن بغا إلى سامرّا واختفاء صالح]

فمن ذلك ما كان من موافاة موسى بن بُغا سامُرّا واختفاء صالح بن وصيف لمقدَمه ، وحَمْل من كان مع موسى من قوّاد المهتدي من الجوسق إلى دار ياجور (٣).

ذكر أنّ دخول موسى بن بغا سامرّا بمن معه كان يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلتْ من المحرّم من هذه السنة؛ فلما دخلها أخذ في الحَيْر ، وعبّأ أصحابه ميمنة وميسرة وقلباً في السلاح ، حتى صار إلى باب الحَيْر مما يلي الجوسق والقصر

---

(١) انظر أخبار قضاء القضاة بـ «سرَّ من رأى وبغداد» [أخبار القضاة للقاضي وكيع/ ٦٨٣].

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٨٩).

(٣) انظر المنتظم (١٢/ ١٠٠).

الأحمر؛ وكان ذلك يوماً جلس فيه المهتدي للناس للمظالم؛ فكان ممن أحضره في ذلك اليوم بسبب المظالم أحمد بن المتوكل بن فِتيان؛ فكان في الدار إلى أن دخل الموالي، فحملوا المهتدي إلى دار ياجور، واتّبعه أحمد بن المتوكّل إلى ما هناك، فلم يزل موكّلاً به في مضرب مفلح إلى أن انقطع الأمر، ورُدَّ المهتدي إلى الجوسق، ثم أطلق، وكان القيّم يأمر دار الخلافة بايكباك، فصيّرها إلى ساتكين قبل ذلك بأيام، فظنّ الناس أنه إنما فعل ذلك لثقتِهِ بساتكين، وأنه على أن يغلب على الدار والخليفة وقت قدوم موسى، فلما كان في ذلك اليوم لزم منزله، وترك الدار خالية، وصار موسى في جيشه إلى الدار، والمهتدي جالس للمظالم؛ فأعلم بمكانه، فأمسك ساعة عن الإذن، ثم أذن لهم، فدخلوا فجرى من الكلام نحوُ ما جرى يوم قَدِم الوفد والرسل، فلمّا طال الكلام تراطنوا فيما بينهم بالتركيّة، وأقاموه من مجلسه، وحملوه على دابة من دواب الشاكريّة، وانتهبوا ما كان في الجوْسق من دوابّ الخاصة، ومضوْا يريدون الكرخ، فلما صاروا عند باب الحيْر في القطائع عند دار ياجور أدخلوه دار ياجور.

فذُكِر عن بعضِ الموالي ممن حضرهم ذلك اليوم، أنّ سبب أخذهم المهتدي ذلك اليوم كان أنّ بعضهم قال لبعض: إنّ هذه المطاولة إنما هي حيلة عليكم حتى يكبسكُمْ صالح بنِ وصيف بجيشه، فخافوا ذلك، فحملوه وذهبوا به إلى الموضع الآخر؛ فذُكِر عمّن سمع المهتدي يقول لموسى: ما تريد ويحك! اتّق الله وخَفْه؛ فإنك تركب أمراً عظيماً، قال: فردّ عليه موسى: إنا ما نريد إلا خيراً، ولا وتربة المتوكل لا نالك منا شرٌّ البتة.

قال الذي ذكر ذلك: فقلت في نفسي: لو أراد خيراً لحلف بتربة المعتصم أو الواثق.

ولما صاروا به إلى دار ياجور أخذوا عليه العهود والمواثيق ألا يمايل صالحاً عليهم، ولا يضمر لهم إلا مثل ما يظهر؛ ففعل ذلك، فجدّدوا له البيعة ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرّم، وأصبحوا يوم الثلاثاء، فوجّهوا إلى صالح أن يحضرهم للمناظرة، فوعدهم أن يصير إليهم.

فذكر عن بعض رؤساء الفراغنة، أنه قيل له: ما الذي تطالبون به صالح بن وصيف؟ فقال: دماء الكتّاب وأموالهم ودم المعتزّ وأمواله وأسبابه. ثم أقبل القوم

على إبرام الأمور وعسكرهم خارج باب الحيْر عند باب ياجور؛ فلما كانت ليلة الأربعاء استتر صالح؛ فذكر عن طلمجُور أنه قال: لما كانت ليلة الأربعاء اجتمعنا عند صالح، وقد أمر أن يفرّق أرزاق أصحاب النوبة عليهم، فقال لبعض من حضره: اخرج فأعرض مَنْ حضر من الناس، فكانوا بالغداة زُهاء خمسة آلاف، قال: فعاد إليه، وقال: يكونون ثمانمئة رجل، أكثرهم غلمانك ومواليك، فأطرق مليّاً، ثم قام وتركَنا، ولم يأمر بشيء وكان آخر العهد.

وذكر عمّن سمع بَخْتِيشُوع يقول وهو يعرّض بصالح قبل قدوم موسى، حرّكْنَا هذا الجيش الخشن، وأرغمناه، حتى إذا أقبل إلينا تشاغلنا بالنرد والشرب، كأنا بنا وقد اختفينا إذا ورد القاطول! فكان الأمر كذلك.

وغدا طُغتا إلى باب ياجور سَحَر يوم الأربعاء فلقيه مفلح، فضربه بطبرزين، فشجّه في جانب جبينه الأيمن، فكان الذين أقاموا مع صالح الليلة التي استتر فيها من القوّاد الكبار طُغْتا بن الصيْغُون وطلمجُور صاحب المؤيد ومحمد بن تركش وخمّوش والنوشريّ، ومن الكتّاب الكبار أبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وعبد الله بن منصور وأبو الفرج، وأصبح الناس يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من المحرّم وقد استتر صالح، وغدا أبو صالح إلى دار ياجور، وجاء عبد الله بن منصور، فدخل الدار مع سليمان بن وهب، وتنصّح إليهم أن عنده سفاتج بخمسة آلاف دينار.

وذكر أن صالحاً أراده على حملها، فأبى أن يقرّ الأمر قراره.

وخلع في هذا اليوم على كنجور ليتولّى أمر دار صالح وتفتيشها، ومضى ياجور صاحب موسى فأتى بالحسن بن مَخْلَد من الموضع الذي كان فيه محبوساً من دار صالح.



وفي هذا اليوم من هذا الشهر وُلِّيَ سليمان بن عبد الله بن طاهر مدينة السلام

والسواد ، ووجّه إليه بخلَع ، وزيد على ما كان يخلع على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[١] .

وفيه رُدّ المهتدي إلى الجوسق ، ودفع عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن بن مَخْلَد .

وفيه أظهر النداء على صالح .

* * *

[ذكر الخبر عن قتل صالح بن وصيف]

ولثمان بقين من صفر من هذه السنة قتِل صالح بن وصيف[٢] .

* ذكر الخبر عن سبب قتله وسبب الوصول إليه بعد اختفائه :

ذكر أن سبب ذلك كان أن المهتدي لمّا كان يوم الأربعاء لثلاث بقين من المحرّم سنة ست وخمسين ومئتين أظهر كتاباً ، ذكر أن سيما الشرابيّ زعم أنّ امرأة جاءت به مما يلي القصر الأحمر ، ودفعته إلى كافور الخادم الموكّل بالحرم ، وقالت له : إن فيه نصيحة ، وإن منزلي في موضع كذا فإن أردتموني فاطلبوني هناك ، فأوصل الكتاب إلى المهتدي ، فلما طُلبت في الموضع الذي وصفت حين احتيج إلى بحثها عن الكتاب لم توجد ، ولم يعرف لها خبر .

وقد ذُكر أن المهتدي أصاب ذلك الكتاب ، ولم يدر من رمى به ، فذُكر أن المهتدي دعا سليمان بن وهب بحضرة جماعة من الموالي فيهم موسى بن بغا ومفلِح وبايكباك وياجور وبكالبا وغيرهم؛ فدفع الكتاب إلى سليمان ، وقال له : تعرف هذا الخط؟ قال : نعم ، هذا خطّ صالح بن وصيف ، فأمره أن يقرأ عليهم ، فإذا صالح يذكر فيه أنه مستخفٍ بسامرّا ، وأنه إنما استتر متخيراً للسلامة وإبقاءً على الموالي ، وخوفاً من إيصال الفتن بحرب إن حدثت بينهم ، وقصداً لأن يبيت القوم ، ويكون ما يأتونه بعد بصيرة مما ذكر في هذا الباب .

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٠٠ ـ ١٠١) .

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ١٠٠) .

ثم ذكر ما صار إليه من أموال الكتّاب ، وقال: إنّ عِلْم ذلك عند الحسن بن مَخْلَد ، وهو أحدهم ، وهو في أيديكم ، ثم ذكر من وصل إليه ذلك المال وتولى تفريقه ، وذكر ما صار إليه من أمر قبيحة ، وأشار إلى أن علم ذلك عند أبي صالح بن يزداد وصالح العطار ، ثم ذكر أشياء في هذا المعنى ، بعضها يعتذر به وبعضها يحتجّ به ، ومخرج القول في ذلك يدلّ على قوّة في نفسه.

فلما فَرغ سليمان من قراءة الكتاب وصله المهتدي بقول منه يحثُّ على الصلح والهدنة والألفة والاتفاق ، ويكرّه إليهم الفرقة والتفاني والتباغض ، فدعا ذلك القوم إلى تُهمته ، وأنه يعلم بمكان صالح ، وأنه يتقدّمهم عنده ، فكان بينهم في ذلك كلام كثير ومناظرات طويلة ، ثم أصبحوا يوم الخميس لليلتين بقيتا من المحرّم سنة ست وخمسين ومئتين ، فصاروا جميعاً إلى دار موسى بن بغا في داخل الجوسق يتراطنون ويتكلمون ، واتصل الخبر بالمهتدي.

فذكر عن أحمد بن خاقان الواثقيّ أنه قال: من ناحيتي انتهى الخبر إلى المهتدي؛ وذلك أني سمعت بعض مَنْ كان حاضر المجلس وهو يقول: جمع القوم على خلع الرجل.

قال: فصرت إلى أخيه إبراهيم ، فأعلمته بذلك ، فدخل عليه فأعلمه ذلك ، وحكاه عني؛ فلم أزل خائفاً أن يعجل أمير المؤمنين فيخبرهم عني بالخبر ، فرزق الله السلامة.

وذكر أن أخا بايكباك قال لهم في هذا المجلس لما أطلعوه على ما كانوا عزموا عليه: إنكم قتلتم ابن المتوكل ، وهو حسن الوجه ، سخيّ الكف ، فاضل النفس ، وتريدون أن تقتلوا هذا وهو مسلم يصوم ولا يشرب النبيذ من غير ذنب! والله لئن قتلتم هذا لألْحَقنّ بخراسان ، ولأشيعنّ أمركم هناك.

فلما اتصل الخبر بالمهتدي خرج إلى مجلسه متقلّداً سيفاً ، وقد لبس ثياباً نظافاً ، وتطيّب ، ثم أمر بإدخالهم إليه ، فأبوْا ذلك مليّاً ، ثم دخلوا عليه ، فقال لهم: إنه قد بلغني ما أنتم عليه من أمري؛ ولستُ كَمَنْ تقدّمني مثل أحمد بن محمد المستعين ، ولا مثل ابن قبيحة؛ والله ما خرجت إليكم إلاّ وأنا متحنّط ، وقد أوصيتُ إلى أخي بولدي ، وهذا سيفي؛ والله لأضربنّ به ما استمسك قائمهُ

بيدي؛ والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكنّ أو ليذهبنّ بها أكثركم ، أمَا دين! أما حياء! أما رِعة! كم يكون هذا الخلاف على الخلفاء والإقدام والجرأة على الله! سواء عليكم مَنْ قصد الإبقاء عليكم ومن كان إذا بلغه مثل هذا عنكم دعا بأرطال الشراب فشربها مسروراً بمكروهكم وحبّاً لبواركم! خبِّروني عنكم؛ هل تعلمون أنه وصل إليّ من دنياكم هذه شيء! أما إنك تعلم يا بايكباك أنّ بعض المتصلين بك أيسر من جماعة إخوتي وولدي؛ وإن أحببتَ أن تعرف ذلك فانظر: هل ترى في منازلهم فرشاً أو وصائف أو خدماً أو جواريَ! أو لهم ضياع أو غلات! سوءة لكم! ثم تقولون: إني أعلم علم صالح ، وهل صالحٌ إلا رجل من الموالي ، وكواحد منكم! فكيف الإقامة معه إذا ساء رأيكم فيه! فإن آثرتم الصلح كان ذلك ما أهوى لجمعكم ، وإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه فشأنكم؛ فاطلبوا صالحاً ، ثم ابلغوا شفاء أنفسكم؛ وأما أنا فما أعلم علمه. قالوا: فاحلف لنا على ذلك ، قال: أمّا اليمين فإني أبذلها لكم؛ ولكني أؤخّرها حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدّلين وأصحاب المراتب غداً إذا صلّيت الجمعة ، فكأنهم لانوا قليلاً ، ووجّه في إحضار الهاشميين فحضروا في عشيّتهم ، فأذن لهم ، فسلّموا ولم يذكرْ لهم شيئاً ، وأمِروا بالمصير إلى الدار لصلاة الجمعة ، فانصرفوا وغدا الناس يوم الجمعة ولم يحدثوا شيئاً ، وصلّى المهتدي ، وسكن الناس وانصرفوا هادنين.

وذُكِر عن بعض مَنْ سمع الكلام في يوم الأربعاء يقول: إن المهتدي لما خُوّن صالح قال: إن بايكباك قد كان حاضراً ما عمل به صالح في أمر الكتّاب ومال ابن قبيحة ، فإن كان صالح قد أخذ من ذلك شيئاً فقد أخذ مثل ذلك بايكباك؛ فكان ذلك الذي أحفظ بايكباك.

وقال آخر: إنه سمع هذا القول ، وإنه ذكر محمد بن بغا ، وقال: قد كان حاضراً وعالماً بما أجرَوا عليه الأمر ، والشريك في ذلك أجمع ، فأحفظ ذلك أبا نصر.

وقد قيل: إن القوم من لدن قدم موسى كانوا مضمرين هذا المعنى ، منطوين على الغِلّ؛ وإنما كان يمنعهم منه خوف الاضطراب وقلة الأموال؛ فلما ورد عليهم مال فارس والأهواز تحرّكوا ، وكان ورود ذلك عليهم يوم الأربعاء لثلاث

بقين من المحرّم ، ومبلغه سبعة عشر ألف ألف درهم وخمسمئة ألف درهم .

* * *

[ذكر الخبر عن خروج العامة على المهتدي](١)

فلما كان يوم السبت انتشر الخبر في العامة أنّ القوم على أن يخلعوا المهتدي ، ويفتكوا به ، وأنهم أرادوه على ذلك ، وأرهقوه ، وكتبوا الرقاع وألقوْها في المسجد الجامع والطرقات؛ فذكر بعض من زعم أنه قرأ رقعة منها فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا معشرَ المسلمين ، ادعوا الله لخليفتكم العدْل الرضيّ المضاهي لعمر بن الخطاب أن ينصرَه على عدّوه ، ويكفيه مؤنة ظالمِه ، ويتمّ النعمة عليه وعلى هذه الأمة ببقائه؛ فإن الموالِيَ قد أخذوه بأن يخلع نفسه وهو يعذَّب منذ أيام ، والمدبّر لذلك أحمد بن محمد بن ثوابة والحسن بن مَخْلَد ، رحِم الله من أخلص النّية ودعا وصلى على محمد ﷺ !

فلما كان يوم الأربعاء لأربع خلْون من صفر من هذه السنة ، تحرّك الموالي بالكرْخ والدّور ، ووجّهوا إلى المهتدي على لسان رجل منهم يقال له عيسى : إنّا نحتاج أن نلقي إلى أمير المؤمنين شيئاً ، وسألوا أن يوجّه أمير المؤمنين إليهم أحد إخوته ، فوجّه إليهم أخاه عبد الله أبا القاسم ، وهو أكبر إخوته ، ووجّه معه محمد بن مباشر المعروف بالكرخيّ ، فمضيا إليهم ، فسألاهم عن شأنهم ، فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمير المؤمنين ، وأنه بلغهم أن موسى بن بغا وبايكباك وجماعة من قوّادهم يريدونه على الخلع ، وأنهم يبذلون دماءهم دون ذلك ، وأنهم قد قرؤوا بذلك رقاعاً أُلْقِيَتْ في المسجد والطرقات ، وشكوا مع ذلك سوء حالهم ، وتأخُّر أرزاقهم ، وما صار من الإقطاعات إلى قوّادهم التي قد أجحفت بالضياع والخراج ، وما صار لكبرائهم من المعاون والزّيادات من الرسوم القديمة مع أرزاق النساء والدّخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٠١) وانظر تعليقنا الآتي .

الخراج ، وكثر كلامهم في ذلك ، فقال لهم أبو القاسم عبد الله بن الواثق: اكتبوا هذا في كتاب إلى أمير المؤمنين ، أتولّى إيصاله لكم؛ فكتبوا ذلك ، وكاتبهم في الذي يكتبون محمد بن ثقيف الأسود؛ وكان يكتب لعيسى صاحب الكرخ أحياناً ، وانْصرف أبو القاسم ومحمد بن مباشر ، فأوصلا الكتاب إلى المهتدي ، فكتب جوابَه بخطّه ، وختمه بخاتمه ، وغدا أبو القاسم إلى الكَرْخ ، فوافاهم فصاروا به إلى دار أشناس وقد صيروها مسجداً جامعاً لهم ، فوقف ووقفوا له في الرَّحبَة ، واجتمع منهم زهاء مئة وخمسين فارساً ونحو من خمسمئة راجل ، فأقرأهم من المهتدي السلام ، وقال: يقول لكم أمير المؤمنين: هذا كتابي إليكم بخطّي وخاتمي ، فاسمعوه وتدبّروه ، ثم دفع الكتاب إلى كاتبهم فقرأه ، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ، وصلى الله على محمد النبيّ وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً ، فهمت كتابكُم ، وسرّني ما ذكرتم من طاعتكم وما أنتم عليه؛ فأحسن الله جزاءكم ، وتولّى حياطتكم؛ فأما ما ذكرتم من خَلّتكم وحاجتكم ، فعزيز عليّ ذلك فيكم ، ولوددت والله أنّ صلاحكم يهيّأ بألا آكل ولا أطعم ولدي وأهلي إلاّ القوت الذي لا شبع دونه ، ولا ألبس أحداً من ولدي إلا ما ستر العورة ، ولا والله - حاطكم الله - ما صار إليّ منذ تقلدت أمرَكم لنفسي وأهلي وولدي ومتقدمي غلمانيّ وحشمي إلا خمسة عشر ألف دينار ، وأنتم تقِفون على ما ورد ويرَد ، كلّ ذلك مصروف إليكم ، غير مدّخر عنكم ، وأما ما ذكرتم مما بلغكم ، وقرأتم به الرّقاع التي ألقبت في المساجد والطرق ، وما بذلتم من أنفسكم؛ فأنتم أهل ذلك ، وأين تعتذرون مما ذكرتم ونحن وأنتم نفس واحدة! فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأمانَتكم خيراً ، وليس الأمر كما بلغكم ، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله ، وأما ما ذكرتم من الإقطاعات والمعاون وغيرها ، فأنا أنظر في ذلك وأصير منه إلى محبّتكم إن شاء الله والسلام عليكم ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم حافظاً ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً كثيراً.

فلما بلغ القارىء من الكتاب إلى الموضع الذي قال: «ولم يصل إليّ إلا قدر خمسة عشر ألف دينار» ، أشار أبو القاسم إلى القارىء ، فسكت ثم قال: وهذا

ما قدِّر ، هذا قد كان أمير المؤمنين في أيام إمارته يستحق في أقلّ من هذه المدة ما هو أكثر منه بأرزاقه وإنزاله ومعونته ، وقد تعلمون ما كان مَنْ تقدّمه يصرفه في صِلات المخنّثين والمغنين وأصحاب الملاهي وبناء القصور وغير ذلك ، فادعوا الله لأمير المؤمنين ، ثم قرأ الكتاب حتى أتى على الكتاب.

فلما فرغ كثُر الكلام وقالوا قولاً ، فقال لهم أبو القاسم: اكتبوا بذلك كتاباً صدّروه على مجاري الكتاب إلى الخلفاء ، واكتبوه عن القوّاد وخلفائهم والعُرفاء بالكرخ والدّور وسامرّا فكتبوا ـ بعد أن دعوا الله فيه لأمير المؤمنين: إن الذي يسألون أن تردّ الأمور إلى أمير المؤمنين في الخاصّ والعام ، ولا يعترض عليه معترض ، وأن تردَّ رسومهم إلى ما كانت عليه أيام المستعين بالله؛ وهو أن يكون على كلّ تسعة منهم عريف ، وعلى كل خمسين خليفة ، وعلى كل مئة قائد ، وأن تسقط النساء والزيادات والمعاون ، ولا يدخل مولًى في قبَالة ولا غيرها ، وأن يوضع لهم العطاء في كلّ شهرين على ما لم يزل ، وأن تبطل الإقطاعات ، وأن يكون أمير المؤمنين يزيد مَنْ شاء ويرفع مَنْ شاء ، وذكروا أنهم صائرون في أثر كتابهم إلى باب أمير المؤمنين ، ومقيمون هناك إلى أن تقضَى حوائجُهم ، وإنه إن بلغهم أنّ أحداً اعترض أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن بغا وبايكباك ومفلحاً وياجور وبكالبا وغيرها.

ودعوا الله لأمير المؤمنين ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم ، فانصرف به حتى أوصله ، وتحرّك الموالي بسامرّا ، واضطرب القوّاد جدّاً ، وقد كان المهتدي قعد للمظالم وأدخل الفقهاء والقضاة ، وأخذوا مجالسهم ، وقام القوّاد في مراتبهم ، وسبق دخول أبي القاسم دخول المتظلّمين.

فقرأ المهتدي الكتاب قراءة ظاهرة ، وخلا بموسى بن بغا ، ثم أمر سليمان بن وهب أن يوقّع في رقعتهم بإجابتهم إلى ما سألوا ، فلما فعل ذلك في فصل من الكتاب أو فصلين ، قال أبو القاسم: يا أمير المؤمنين ، لا يقنعهم إلا خطّ أمير المؤمنين وتوقيعه ، فأخذ المهتدي كتابهم فضرب على ما كان سليمان وقع في ذلك ، ووقع في كل باب بإجابتهم إلى ما سألوا ، وبأن يفعل ذلك ، ثم كتب كتاباً مفرداً بخطّه وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى أبي القاسم ، فقال أبو القاسم لموسى

وبايكباك ومحمد بن بغا: وجّهوا إليهم معي رسلاً يعتذرون إليهم مما بلغهم عنكم، فوجّه كل واحد منهم رجلاً، وصار أبو القاسم إليهم وهم في مواضعهم، وقد صاروا زهاء ألف فارس وثلاثة آلاف راجل؛ وذلك في وقت الظهر من يوم الخميس لخمس ليال خلوْن من صفر من هذه السنة، فأقرأهم من أمير المؤمنين السلام، وقال لهم: إنّ أمير المؤمنين، قد أجابكم إلى كلّ ما سألتم، فادعوا الله لأمير المؤمنين، ثم دفع كتابهم إلى كاتبهم، فقرأه عليهم بما فيه من التوقيعات؛ ثم قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين؛ فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم؛ أرشدكم الله وحاطكم، وأمتع بكم، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم؛ وعلى أيديكم. فهمتُ كتابكم، وقرأته على رؤسائكم، فذكروا مثل الذي ذكرتم، وسألوا مثل الذي سألتم، وقد أجبتكم إلى جميع ما سألتم محبّةً لصلاحكم وألفتكم واجتماع كلمتكم، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم، وأن تصير دارّة عليكم، فليست لكم حاجة إلى حركة، فطيبُوا نفساً، والسلام. أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم، وأصلح أموركم وأمور المسلمين بكم، وعلى أيديكم!

فلما فرغ القارىء من الكتاب، قال لهم أبو القاسم: وهؤلاء رسل رؤسائكم يعتذرون إليكم من شيء إن كان بلغكم عنهم، وهم يقولون: إنما أنتم إخوة؛ وأنتم منّا وإلينا.

وتكلم الرسل بمثل ذلك، فتكلّموا أيضاً كلاماً كثيراً، ثم كتبوا كتاباً يعتذرون فيه بمثل العذر الأوّل إلى أمير المؤمنين، وذكروا فيه خصالاً مما ذكروه في الكتاب الذي قبله، ووصفوا أنه لا يقنعهم إلا أن ينفذ إليهم خمس توقيعات، توقيعاً بحط الزيادات، وتوقيعاً بردّ الإقطاعات، وتوقيعاً بإخراج الموالي البوابين من الخاصّة إلى عداد البرانيّين، وتوقيعاً بردّ الرسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعين، وتوقيعاً بردّ التلاجىء حتى يدفعوها إلى رجل يضمُّون إليه خمسين رجلاً من أهل الدور، وخمسين رجلاً من أهل سامُرّا ينتجزون من الدواوين، ثم يصير أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته أو غيرهم، ممن يرى ليسفر بينه

وبينهم بأمورهم ، ولا يكون رجلاً من الموالي ، وأن يؤمر صالح بن وصيف فيحاسب هو وموسى بن بغا على ما عندهم من الأموال ، وأنه لا يرضيهم دونَ ما سألوا في كتبهم كلها مع تعجيل العطاء ، وإدرار أرزاقهم عليهم في كلّ شهرين ، وأنهم قد كتبوا إلى أهل سامُرّا والمغاربة في موافاتهم ، وأنهم صائرون إلى باب أمير المؤمنين لينجز ذلك لهم ، ودفعوا الكتاب إلى أبي القاسم أخي أمير المؤمنين ، وكتبوا كتاباً آخر إلى موسى بن بغا وبايكباك ومحمد بن بغا ومفلح وياجور وبكالبا وغيرهم من القوّاد الذين ذكروا أنهم كتبوا كتاباً ، ذكروا فيه أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا ، وأن أمير المؤمنين لا يمنعهم ما سألوا إلا أن يعترضوا عليه ، وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوهم لم يوافقوهم على شيء ، وأنّ أمير المؤمنين إن شاكتْه شوكة أو أخذ من رأسه شعرة ، أخذوا رؤوسهم جميعاً ، وأنه ليس يقنعهم إلا أن يظهر صالح بن وصيف حتى يجمع بينه وبين موسى بن بُغا ، حتى ينظر أين موضع الأموال؛ فإن صالحاً قد كان وعدهم قبل استتاره أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر .

ثم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى ، ووجّهوا مع أبي القاسم عدّة نفر منهم؛ ليوصلوا إلى أمير المؤمنين كتابهم ، وليستمعوا كلامه .

فلما رجع أبو القاسم وجّه موسى زهاء خمسمئة فارس ، فوقفوا على باب الحيْر بين الجوسق والكَرْخ ، فمال إليهم أبو القاسم ورسل القوم ورسل أنفسهم ، فدفع رسول موسى إلى موسى كتاب القوم إليه وإلى أصحابه ـ وفي الجماعة سليمان بن وهب وولده وأحمد بن محمد بن ثَوَابة وغيرهم من الكتاب ـ فلما قرأ الكتاب عليهم أعلمهم أبو القاسم أنَّ معه كتاباً من القوم إلى أمير المؤمنين ، ولم يدفعه إليهم ، فركبوا جميعاً وانصرفوا إلى المهتدي ، فوجدوه في الشمس قاعداً على لِبد ، قد صلّى المكتوبة؛ وكسر جميع ما كان في القصر من الملاهي وآلاتها وآلات اللعب والهَزْل ، فدخلوا فأوصلوا إليه الكتب ، وخلوا مليّاً ، ثم أمر المهتدي سليمان بن وهب بإنشاء الكتب على ما سألوا في خمس رقاع ، فأنفذها المهتدي في دَرج كتاب منه بخطّه ، ودفعه إلى أخيه ، وكتب القُوّاد إليهم جواب كتابهم ، ودفعوه إلى صاحب موسى ، فصار إليهم أبو القاسم في وقت المغرب ، فأقرأهم من المهتدي السلام ، وقرأ عليهم كتابه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وفّقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه ، فهمت كتابكم ، حاطكم الله ، وقد أنفذت إليكم التوقيعات الخمس على ما سألتم ، فوكّلوا منْ يتنجّزها من الدواوين إن شاء الله ، وأما ما سألتم من تصيير أمركم إلى أحد إخوتي ليوصل إليّ أخباركم ، ويؤدي إليّ حوائجكم؛ فوالله إني لأحبّ أن أتفقد ذلك بنفسي ، وأن أَطَّلع على كلّ أمركم وما فيه مصلحتكم ، وأنا مختار لكم الرجل الذي سألتم ، من إخوتي أو غيرهم إن شاء الله؛ فاكتبوا إليّ بحوائجكم وما تعلمون أن فيه صلاحكم؛ فإني صائر من ذلك إلى ما تحبّون إن شاء الله ، وفّقنا الله وإياكم لطاعته وما يرضيه.

وأوصل إليهم رسول موسى كتاب موسى وأصحابه؛ فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أبقاكم الله وحفظكم ، وأتمّ نعمته عليكم ، فهمنا كتابكم؛ وإنما أنتم إخواننا وبنو عمنا ، ونحن صائرون إلى ما تحبّون ، وقد أمر أمير المؤمنين أعزه الله في كل ما سألتم بما تحبون وأنفذ التوقيعات به إليكم ، وأما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين وتغيّرنا له فهو الأخ وابن العم ، وما أردنا من ذلك ما تكرهون؛ فإن وعدكم أن يعطيَكم أرزاق ستة أشهر فقد رفعنا إلى أمير المؤمنين رقاعاً ، نسأله مثل الذي سألتم ، وأما ما قلتم من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض الأمر إليه ، فنحن سامعون مطيعون لأمير المؤمنين ، والأمور مفوَّضة إلى الله وهو مولانا ونحن عبيده ، وما نعترض عليه في شيء من الأمور أصلاً ، وأما ما ذكرتم أنا نريد بأمير المؤمنين سوءاً ، فمَنْ أراد ذلك فجعل الله دائرة السوْء عليه ، وأخزاه في دنياه وآخرته ، أبقاكم الله وحفظكم ، وأتمّ نعمتَه عليكم!

فلما قرأ الكتابات عليهم ، قالوا لأبي القاسم: هذا المساء قد أقبل ، ننظر في أمرنا الليلة ، ونعود بالغداة لنعرّفك رأينا ، فافترقوا وانصرف أبو القاسم إلى أمير المؤمنين.

ثم أصبح القوم من غداة يوم الجمعة ، فلما كان في آخر الساعة الأولى ،

ركب موسى بن بغا من دار أمير المؤمنين ، وركب الناس معه وهم قدر ألف وخمسمئة رجل؛ حتى خرج من باب الحيْر الذي يَلِي القطائع من الجوْسق والكَرْخ ، فعسكر هناك ، وخرج أبو القاسم أخو المهتدي ، ومعه الكرخيّ ، حتى صار إلى القوم ، وهم زهاء خمسمئة فارس وثلاثة آلاف راجل؛ وقد كان أبو القاسم انصرف في الليل ومعه التوقيعات؛ فلما صار بينهم أخرج كتاباً من المهتدي نسخته شبيه بالكتاب الذي في درجه التوقيعات ، فلما قرأ الكتاب ضجّوا ، واختلفتْ أقاويلهم ، وكَثُر مَنْ يلحقُ بهم من رجّالة الموالي من ناحية سامرّا في الحيْر؛ فلم يزل أبو القاسم ينتظر أن ينصرف من عندهم بجواب يحصّله يؤديه إلى أمير المؤمنين ، فلم يتهيأ ذلك إلى الساعة الرابعة ، وانصرفوا ، فطائفة يقولون: نريد أن يعزّ الله أمير المؤمنين ، ويوفِّر علينا أرزاقنا؛ فإنا قد هلكنا بتأخيرِها عنا ، وطائفة يقولون: لا نرضى حتى يوَلِّيَ علينا أمير المؤمنين إخوَته ، فيكونَ واحدٌ بالكرْخ ، وآخر بالدّور ، وآخر بسامُرّا ، ولا نريد أحداً من الموالي يكون علينا رأساً ، وطائفة تقول: نريد أن يظهر صالح بن وصيف ـ وهي الأقل.

فلما طال الكلام بهذا منهم ، انصرف أبو القاسم إلى المهتدي بجملة من الخبر ، وبدأ بموسى في الموضع الذي هو معسكر فيه ، فانصرف بانصرافه ، فلما صلّى المهتدي الجمعة صيّر الجيش إلى محمد بن بغا ، وأمره بالمصير إلى القوم مع أخيه أبي القاسم ، فركب معه محمد بن بُغا في زهاء خمسمئة فارس ، ورجع موسى إلى الموضع الذي كان فيه بالغَداة ، ومضى أبو القاسم ومحمد بن بغا حتى خالطا القوم ، وأحاط الجميع بهم ، فقال أبو القاسم لهم: إنّ أمير المؤمنين يقول: قد أخرجت التوقيعات لكم بجميع ما سألتم ، ولم يبق لكم مما تحبّون شيء إلا وأمير المؤمنين يبلغ فيه الغاية ، وهذا أمان لصالح بن وصيف بالظهور ، وقرأ عليهم أماناً لصالح ، بأنّ موسى وبايكباك سألا أمير المؤمنين أعزّه الله ذلك ، فأجابهما إليه ، وأكده بغاية التأكيد ، ثم قال: فعلامَ اجتماعكم! فأكثروا الكلام؛ فكان الذي حصّله عند انصرافه أن قالوا: نريد أن يكون موسى في مرتبة بُغا الكبير ، وصالح في مرتبة وصيف أيام بُغا ، وبايكباك في مرتبته الأولى ، ويكون الجيش في يد مَن هو في يده؛ إلى أن يظهر صالح بن وصيف ، فيوضع لهم العطاء ، وتتنجّز لهم الأرزاق بما في التوقيعات ، فقال: نعم.

فانصرف القوم ، فلما صاروا على قدر خمسمئة ذراع اختلفوا ، فقال قوم: قد رضينا ، وقال قوم: لم نرض ، وانصرف رسل المهتدِي إليه: إنّ القومَ قد تفرّقوا؛ وهم على أن ينصرفوا ، فانصرف موسى عند ذلك ، وتفرّق الناس إلى مواضعهم من الكَرْخ والدّور وسامرّا ، فلما كان غداة يوم السبت ، ركب ولد وصيف وجماعة من مواليهم وغلمانهم ، وتنادى الناس: السلاح! وانتهب دوابَّ العامة الرّجالة؛ رجّالة أصحاب صالح بن وصيف ومضوا فعسكروا بسامرّا في طرف وادي إسحاق بن إبراهيم ، عند مسجد لُجَين أمّ ولد المتوكل ، وركب أبو القاسم عند ذلك يريد دار المهتدي ، فمرّ بهم في طريقه ، فتعلّقوا به وبمن كان معه من حشمه وغلمانه ، فقالوا له: تؤدي إلى أمير المؤمنين عنا رسالة؟ فقال لهم: قولوا ، فخلطوا ولم يتحصل من قولهم شيئاً إلا: إنا نريد صالحاً ، فمضى حتى أدى إلى أمير المؤمنين ذلك وإلى موسى ، وجماعة القواد حضور.

فذُكر عمّن حضر المجلس أنّ موسى بن بغا ، قال: يطلبون صالحاً مني؛ كأني أنا أخفيتُه وهو عندي! فإن كان عندهم فينبغي لهم أن يظهروه ، وتأكد عندهم الخبر باجتماع القوم ، وتحلُّب الناس إليهم ، وتهايجوا من دار أمير المؤمنين؛ فركبوا في السلاح ، وأخذوا في الحيْر حتى اجتمعوا ما بين الدكة وظهر المسجد الجامع؛ فاتّصل الخبر بالأتراك ومَنْ كان ضَوَى إليهم ، فانصرفوا ركضاً وعدْواً لا يلوي فارس على راجل ، ولا كبير على صغير حتى دخلوا الدروب والأزقة ، ولحقوا بمنازلهم ، وزحف موسى وأصحابه جميعاً ، فلم يبق بسامُرّا قائد يركب إلى دار أمير المؤمنين إلا ركب معه ، ولزموا الحيْر حتى خرجوا مما يلي الحائطين ، ثم خرجوا؛ فأما مفلح وواجن ومن انضم إليهما فسلكوا شارع بغداد حتى بلغوا سوق الغنم ، ثم عطفوا إلى شارع أبي أحمد ، حتى لحقوا بجيش موسى ، وأما موسى وجماعة القواد الذين كانوا معه مثل ياجور وساتكين ويارْجُوخ وعيسى الكرخيّ ، فإنهم سلكوا على سَمْت شارع أبي أحمد ، حتى صاروا إلى الوادي ، وانصرفوا إلى الجوْسق؛ فكان تقدير الجيش الذين كانوا مع موسى في هذا اليوم ـ وهو يوم السبت ـ أربعة آلاف فارس في السلاح والقِسيّ الموتّرة والدّروع والجَواشن والرّماح والطبرزينات ، وكان أكثرُ القوّاد الذين كانوا بالكرْخ يطلبون صالحاً مع موسى في هذا الجيش يريدون محاربة مَنْ يطلب صالحاً.

وقد ذكر عن بعض من تخيّر أمرهم؛ أنّ أكثر مَنْ كان راكباً مع موسى كان هواه مع صالح ، ولم يكن للكرخيين والدّوريِّين في هذا اليوم حركة؛ فلمّا وصل القوم إلى الجوسق كان أوّل ما ظهر منهم النداء بأن مَنْ لم يحضر دار أمير المؤمنين في غداة يوم الأحد من قُوّاد صالح وأهله وغلمانه وأصحابه أسقِط اسمه ، وخُرّب منزله ، وضرب وقُيِّد وحُذِّر إلى المطبَق؛ ومن وُجد بعد ثالثة من هذه الطبقة ظاهراً بعد استتار ، فقد حلّ به مثل ذلك ، ومن أخذ دابّة لعاميّ أو تعرّض له في طريق؛ فقد حلّت به العقوبة المُوجعة.

وبات الناس ليلة الأحد لثمان خلون من صَفَر على ذلك؛ فلما كان غداة يوم الإثنين انتهى إلى المهتدي أن مساوراً الشاري صار إلى بَلَد ، فقتل بها وحرّق ، فنادى في مجلسه بالنفير ، وأمر موسى ومفلحاً وبايكباك بالخروج ، وأخرج موسى مضاربه؛ فلمّا كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة مَضت من صَفر بطل أمر موسى ومحمد بن بغا ومُفْلح في الخروج ، وقالوا: لا يبرح أحدٌ منا حتى ينقطع أمرنا وأمر صالح؛ وهم مجمعون على ذلك ، يخافون من صالح أن يخلفهم بمكروه.

وذكر عن بعض الموالي أنه قال: رأيت بعض بني وصيف ـ وهو الذي كان جمع تلك الجموع ـ يلعب مع موسى وبايكباك بالصوالجة في ميدان بغا الصغير يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر ، ثم جدّ هؤلاء في طلب صالح بن وصيف ، فهُجم بسببه على جماعة ممن كان متصلاً به قبل ذلك ، وممّن اتهموه أنه آواه ، منهم إبراهيم بن سعدان النحويّ وإبراهيم الطالبيّ وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر الشيعي وأبو الأحوص بن أحمد بن سعيد بن سلْم بن قُتيبة وأبو بكر خَتَن أبي حَرْملة الحجّام وشارية المغنية والسرخسيّ صاحب شُرطة الخاصة وجماعة غيرهم.

فذُكر عن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مصعب بن زريق ، قال: حدّثني صاحب رُبع القبّة ـ وهو ربع تلقاء دار صالح بن وصيف ـ قال: بينا نحن قعود يوم الأحد ، إذا غلام قد خرج من زُقاق ، وأراه مذعوراً ، فأنكرناه ، فأردنا مسألتَه عن شأنه؛ ففاتنا؛ فلم نلبث أن أقبل عَيَّار من موالي صالح بن وصيف يعرف بروزبة ، ومعه ثلاثة نفر أو أربعة ، فدخلوا الزّقاق ، فأنكرناهم ، فلم يلبثوا أن

خرجوا وأخرجوا صالح بن وصيف ، فسألنا عن الخبر ، فإذا الغلام قد دخل داراً في الزّقاق يطلب ماءً ليشربه ، قال: فسمع قائلاً يقول بالفارسية: أيها الأمير تنحّ ، فإن غلاماً قد جاء يطلب ماء؛ فسمع الغلام ذلك ، وكان بينه وبين هذا العيّار معرفة ، فجاء فأخبره فجمع العيّار ثلاثة أناسيّ ، وهجم عليه فأخرجه.

وذكر عن العيّار الذي هجم عليه ، أنه قال: قال لي الغلام ما قال ، فأقبلت ومعي ثلاثة نفر ، فإذا بصالح بن وصيف بيده مرآة ومُشط ، وهو يسرّح لحيته ، فلما رآني بادر فدخل بيتاً ، فخفت أن يكون قصد لأخذ سيف أو سلاح ، فتلوّمت ثم نظرت إليه؛ فإذا هو قد لجأ إلى زاوية ، فدخلت إليه فاستخرجتُه فلم يزدني على التضرّع شيئاً ، قال: فلما تضرّع إليّ قلت: ليس إلى تركك سبيل؛ ولكني أمرّ بك على أبواب إخوتك وأصحابك وقوّادك وصنائعك؛ فإن اعترض لي منهم اثنان أطلقتُك في أيديهم، قال: فأخرجته فما لقيت إلا مَنْ هو عوني على مكروهه.

فذكر أنه لما أخذ مضى به نحو ميلين ، ليس معه إلا أقلّ من خمسة نفر من أصحاب السلطان ، وذكر أنه أخذ حين أخِذ ، وعليه قميص ومبطّنة ملحم وسراويل ، وليس على رأسه شيء وهو حاف.

وقيل إنه حمل على بِرْذون صِنابيّ والعامة تعدو خلفَه وخمسة من الخاصّة يمنعون منه؛ حتى انتهوْا به إلى دار موسى بن بُغا؛ فلما صاروا به إلى دار موسى بن بغا أتاه بايكباك ومُفْلح وياجور وساتكين وغيرهم من القوّاد ، ثمّ أخرجوه من باب الحيْر الذي يلي قِبْلة المسجد الجامع؛ ليذهبوا به إلى الجوسق ، وهو على بغل بإكاف ، فلمّا صاروا به إلى حدّ المنارة ، ضربه رجل من أصحاب مفلح ضربة من ورائه على عاتقه كاد يقِذهُ منها ، ثم احتزُّوا رأسه وتركوا جيفته هناك ، وصاروا به إلى المهتدي؛ فوافوْا به قبيل المغرب وهو في بِرْكة قباء رجل من غلمان مفلح يقطر دماً ، فوصلوا به إليه ، وقد قام لصلاة المغرب ، فلم يره ، فأخرجوه ليُصلَح ، فلما قضى المهتدي صلاته ، وخبّروه أنهم قتلوا صالحاً ، وجاؤوا برأسه لم يزدهم على أن قال: وارُوه؛ وأخذ في تسبيحه ، ووصل الخبر إلى منزله ، فارتفعت الواعية وباتوا ليلتهم.

فلما كان يوم الإثنين لسبع بقين من صفر حُمل رأس صالح بن وصيف على قناة ، وطِيف به ، ونودي عليه: هذا جزاء مَنْ قتَل مولاه ، ونصِب بباب العامة

ساعة ثم نُحّي ، وفُعِل به ذلك ثلاثة أيام تتابعاً ، وأخرِج رأس بغا الصغير في وقت صلب رأس صالح يوم الإثنين ، فدُفع إلى أهله ليدفنوه.

فذكر عن بعض الموالي أنه قال: رأيت مفلحاً وقد نظر إلى رأس بغا ، فبكى وقال: قتلني الله إنْ لم أقتل قاتلَك؛ فلمّا كان يوم الخميس لأربع بَقين من صفر ، وجّه موسى بالرأس إلى أمّ الفضل ابنة وَصيف ، وهي امرأة النوشريّ ، وكانت قبله عند سَلمة بن خاقان.

فذُكِر عن بعض بني هاشم أنه قال: هَنَّأتُ موسى بن بغا بقتل صالح فقال: كان عدوّ أمير المؤمنين استحقّ القتل ، قال: وهنّأتُ بايكباك بذلك؛ فقال: مالي أنا وهذا! إنما كان صالح أخِي ، فقال السَّلوليّ لموسى إذ قتل صالح بن وصيف:

وجئتَ إذْ جئتَ يا مُوسى على قَدرٍ ... وَنِلْتَ وتْرَكَ من فرعون حينَ طَغَى
ثلاثةٌ كُلُّهُم باغٍ أخو حَسَدٍ ... يَرمِيكَ بالظّلم والعُدْوانِ عن وَتَرِ
وصيفُ بالكرْخِ ممثُولٌ به وبُغا ... بالجسْرِ محتَرِقٌ بالجمر والشَّررِ
وصالحْ بن وصيفٍ بَعدُ مُنعَفِرٌ ... في الحيْرِ جيفتُه والرُّوحُ في سَقَرِ

* * *

وفي مستهلّ جُمادى الأولى من هذه السنة رحل موسى بن بغا وبايكباك إلى مساور ، وشيّعهم محمد بن الواثق.

وفي جمادى الأولى أيضاً منها التقى مُساور بن عبد الحميد وعُبيدة العُمروسيّ الشاري بالكُحَيل ، وكانا مختلفي الآراء ، فظفر مساور بعبيدة فقتله.

وفي هذا الشهر من هذه السنة التقَى مساور الشاري ومفلح ، فحُدّثت عن مساور ، أنه انصرف من الكُحَيل بعد قتله العمروسيّ ، وقد كُلِم كثير من أصحابه فلم تندمل كُلُومهم ، ولغِبوا من الحرب التي كانت جرت بين الفريقين إلى عسكر موسى ومن ضمّه ذلك العسكر وهم حامون ، فأوقع بهم؛ فلما لم يصل إلى ما أراد منهم من الظفر بهم ، وكان التقاؤهم بجبل زيني تعلق هو وأصحابه بالجبل فصاروا إلى ذِرْوته ، ثم أوقدوا النيران ، وركزوا رماحهم ، وعسكر موسى بسفح الجبل ثم هبط مساور وأصحابه من الجبل ، من غير الوجه الذي عسكر به موسى ، فمضى موسى وأصحابه يحسبون أنهم فوق الجبل ففاتوهم.

* * *

[ذكر الخبر عن خلع المهتدي ثم موته]

وفي رجب من هذه السنة لأربع عشرة ليلة خلت منه خُلِع المهتدي ، وتوفِّيَ يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب(١) .

*** ذكر الخبر عن سبب خلعه ووفاته :**

ذكر أن ساكني الكرخ بسامرّا والدور تحرّكوا ليلتين خَلَتا من رجب من هذه السنة ، يطلبون أرزاقهم ، فوجّه إليهم المهتدي طبايغو الرئيس عليهم وعبد الله أخا المهتدي ، فكلَّمهم فلم يقبلوا منهما ، وقالوا : نحن نريد أن نكلِّم أميرَ المؤمنين مشافهةً ، وخرج أبو نصر بن بُغا تحت ليلتِه إلى عسكر أخيه ، وهو بالسِّنّ بالقرب من الشاري ، ودخل دار الجوْسق جماعة منهم؛ وذلك يوم الأربعاء ، فكلّمهم المهتدي بكلام كثير ، وقطع العطاء عن الناس يوم الأربعاء والخميس والناس متوقّفون حتى يعرفوا ما صنع موسى بن بُغا ، وكان موسى وضع العطاء في عسكره لشهر ، وكان على مناجزة الشاري إذا استوى أصحابه ، فوقع الاختلاف ، ومضى موسى يريد طريق خُراسان .

واختُلف في سبب الاختلاف الذي جرى ، فصار من أجله موسى إلى طريق خُراسان ، والسبب الذي من أجله خرج المهتدي لحرب من حاربه من الأتراك ، فقال بعضهم : كان السبب الذي من أجْله تنحّى موسى عن وجه الشاري وتَرَك حربه وصار إلى طريق خُراسان : أنّ المهتدي استمال بايكباك ، وهو مع موسى مقيم في وجه الشاري مساور ، وكتب إليه يأمره أن يضمّ العسكر الذي مع موسى إلى نفسه ، وأن يكون هو الأميرَ عليهم ، وأن يقتل موسى بن بغا ومُفلحاً ، أو يحملَهما إليه مقيَّديْن ، فلما وصل الكتاب إلى بايكباك ، أخذه ومضى به إلى موسى بن بغا ، فقال : إني لستُ أفرح بهذا؛ وإنما هذا تدبير علينا جميعاً ، وإذا فُعِل بك اليوم شيء فُعِل بي غداً مثلُه ، فما ترى؟

---

(١) وقال ابن الجوزي وفي هذه السنة (٢٥٦ هـ) خلع المهتدي بالله لأربع عشرة خلت من رجب وقتل وفي سبب خلعه قولان . . . إلخ [المنتظم ١٢/ ١٠٢].

قال: أرى أن تصير إلى سامرّا ، فتخبره أنك في طاعته ، وناصره على موسى ومفلح؛ فإنه يطمئنّ إليك ، ثم ندبّر في قتله.

فقدم بايكباك فدخل على المهتدي ، وقد مضوْا إلى منازلهم كما قدموا من عند الشاري؛ فأظهر له المهتدي الغضب ، وقال: تركتَ العسكر ، وقد أمرتُك أن تقتل موسى ومفلحاً ، وداهنتَ في أمرهما! قال: يا أمير المؤمنين ، وكيف لي بهما ، وكيف يتهيأ لي قتلهما؟ وهما أعظم جيشاً مني ، وأعزّ مني! ولقد جرى بيني وبين مفلِح شيء في بعض الأمر؛ فما انتصفتُ منه؛ ولكني قد قدمتُ بجيشي وأصحابي ومَنْ أطاعني لأنصرْك عليهما ، وأقوّي أمرك؛ وقد بقي موسى في أقلّ العدد ، قال: ضعْ سلاحك ، وأمر بإدخاله داراً ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ، ليس هذا سبيل مثلي إذا قدم من مثل هذا الوجه؛ حتى أصير إلى منزلي ، وآمر أصحابي وأهلي بأمري ، قال: ليس إلى ذلك سبيل ، أحتاج إلى مناظرتك ، فأخذ سلاحَه ، فلما أبطأ خبرُه على أصحابه سعى فيهم أحمد بن خاقان حاجب بايكباك ، فقال: اطلبوا صاحبَكم قبل أن يحدُث به حدث؛ فجاشت الترك ، وأحاطوا بالجوسق ، فلما رأى ذلك المهتدي وعنده صالح بن عليّ بن يعقوب بن أبي جعفر المنصور شاوره ، وقال: ما ترى؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ إنه لم يبلغْ أحد من آبائك ما بلغتَه من الشجاعة والإقدام ، وقد كان أبو مسلم أعظم شأناً عند أهل خراسان من هذا التركيّ عند أصحابه؛ فما كان إلاّ أن طرح رأسه إليهم حتى سكنوا ، وقد كان فيهم مَنْ يعبده ويتّخذه ربّاً ، فلو فعلتَ مثل ذلك سكنوا؛ فأنت أشدّ من المنصور إقداماً ، وأشجع قلباً ، فأمر المهتدي الكرخيّ - واسمه محمد بن المباشر ، وكان حدّاداً بالكرخ يطرق المسامير ، فانقطع إلى المهدي ببغداد فوثق به ولزمه - فأمره بضرب عنق بايكباك ، فضرب عنقه ، والأتراكُ مصطفون في الجوسَق في السلاح ، يطلبون بايكباك؛ فأمر المهتدي عتّاب بن عتّاب القائد أن يرميَهم برأسه فأخذ عتاب الرأس؛ فرمى به إليهم ، فتأخرّوا وجاشوا ، ثم شدّ رجل منهم على عتّاب ، فقتله ، فوجّه المهتدي إلى الفراغنة والمغاربة والأوكشبّة والأشروسنيّة والأتراك الذين بايعوه على الدرهمين والسويق ، فجاؤوا ، فكانت بينهم قتلَى كثيرة ، كثر فيها الناسُ ، فقيل: قُتل من الأتراك الذين قاتلوا نحو من أربعة آلاف ، وقيل ألفان وقيل ألف؛ وذلك يومَ

السبت لثلاث عشرة خلتْ من رجب من هذه السنة.

ثمّ تتامّ القوم يوم الأحد، فاجتمع جميع الأتراك، فصار أمرهم واحداً، فجاء منهم زُهاء عشرة آلاف رجل، وجاء طوغيتا أخو بايكباك وأحمد بن خاقان حاجب بايكباك في نحو من خمسمئة؛ مع مَنْ جاء مع طوغيتا من الأتراك والعجم، وخرج المهتدي ومعه صالح بن عليّ والمصحفُ في عنقه، يدعو الناس إلى أن ينصروا خليفتهم، فلما التحم الشرّ مال الأتراك الذين مع المهتدي إلى أصحابهم الذين مع أخي بايكباك، وبقي المهتدي في الفراغنة والمغاربة ومَنْ خفّ معه من العامة، فحمل عليهم طوغيتا أخو بايكباك حَمْلَة ثائر حرّان موتور، فنقض تعبيتَهم، وهزمهم وأكثر فيهم القتل وولَّوْا منهزمين، ومضى المهتدي يركضُ منهزماً، والسيف في يده مشهور، وهو ينادي: يا معشرَ الناس، انصروا خليفتكم، حتى صار إلى دار أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وهي بعد خشبة بابك؛ وفيها أحمد بن جُمَيل صاحب المعونة، فدخلها ووضع سلاحه، ولبس البياض ليعلوَ داراً وينزل أخرى ويهرب، فطُلِب فلم يُوجَد، وجاء أحمد بن خاقان في ثلاثين فارساً يسأل عنه حتى وقف على خبره في دار ابن جميل، فبادرهم ليصعد، فرمي بسهم وبُعِج بالسيف، ثم حمله أحمد بن خاقان على دابة أو بغل، وأردف خلفه سائساً حتى صار به إلى داره، فدخلوا عليه، فجعلوا يصفعونه ويبزُقون في وجهه، وسألوه عن ثمن ما باع من المتاع والخرْثيّ، فأقرّ لهم بستمئة ألف قد أودعها الكرخيّ الناسَ ببغداد، وأصابوا عنده خسفَ الواضحة مُغنّية فأخذوا رقعته بستمئة ألف دينار؛ ودفعوه إلى رجل، فوطىء على خُصيَيْه حتى قتله.

وقال بعضهم: كان السببُ وأول الخلاف، أنّ اللاحقين من أولاد الأتراك اجتمعوا، وقالوا: لا نرضى أن يكون علينا رئيسٌ غير أمير المؤمنين، وكتبوا إلى موسى بن بُغا وبايكباك، وهما في وجه الشاري، فوافى موسى في رجاله حتى صار إلى قنطرة في ناحية الوزيريّة يوم الجمعة، وعسكر المهتدي في الحَيْر، وقرب منهم، ثم خرج إلى الجوْسق، وعليه السلاح؛ فلما كان يوم السبت لثلاث عشرة خلتْ من رجب، دخل بايكباك طائعاً، ومضى موسى إلى ناحية طريق خراسان في نحو من ألفي رجل، وجاء المهتدي رجلٌ من الموالي؛ فقال له: إنّ

بايكباك قد وعد موسى أن يفتك بك في الجوسق ، فأخذ المهتدي بايكباك ، وأمر بنزع سلاحه وحبسه ، فحُبس يوم السبت إلى وقت العصر ، ثم خرج أهل الكرخ وأهل الدّور يطلبونه ، وانصرفوا وبكّروا يوم الأحد ، فلم يتخلفْ منهم أحد إلا حضر راكباً وراجلاً في السلاح ، فلما صاروا إلى الجوْسق ، صلّى المهتدي الظهر ، وخرج إليهم في الفراغنة والمغاربة ، فتطارد لهم الأتراك ، فحملوا عليهم ، فلمّا تَبِعوهم خرج كمين لهم ، فقتل من الفراغنة والمغاربة جماعةً كبيرة ، وهرب المهتدي ، ومرّ على باب أبي الوزير وغلام له يصيح : يا معشرَ الناس ، هذا خليفتكم؛ وتراكض الأتراكُ خلْفه ، فدخل دار أحمد بن جميل ، وتسلق المهتدي من دار إلى دار ، وأحدق الأتراك بتلك الناحية كلها ، فأخرجوه من دار غلام لعبد الله بن عمر البازيار ، وحملوه وبه طعنةٌ في خاصرته على برْذون أعجف ، في قميص وسراويل ، وانتهبوا دار الكرخيّ ودور بني ثَوَابة وجماعة من الناس؛ فلمّا كان يوم الإثنين حمل أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان إلى دار يارْجوخ ، والأتراك يدورون في الشوارع ، ويحمَدون العامة إذ لم يتعرّضوا لهم .

وقال آخرون : بل كان السبب في ذلك؛ أنّ أهل دور سامرّا والكرخ تحرّكوا في يوم الإثنين لليلة خلتْ من رجب من هذه السنة ، واجتمعوا بالكرْخ وفوقها ، فوجّه المهتدي إليهم كيغلَغ وطبايغو بن صول أرتكين وعبد الله أخا نفسه ، فلم يزالوا بهم حتى سكنوا ورجعوا إلى الدار ، وبلغ أبا نصر محمد بن بغا الكبير أنّ المهتدي قد تكلّم فيه وفي أخيه موسى ، وقال للموالي : إنّ الأموال عندهم ، فتخوّفه وإياهم ، فهرب في ليلة الأربعاء لثلاث خلْون من رجب ، فكتب إليه المهتدي أربعة كتب يعطيه فيها الأمان على نفسه ومَنْ معه ، ووصل كتابان إليه وهو بالمحمّدية مع أبرتكين بن برنمكاتكين ، ووصل الآخران إليه مع فرج الصغير ، فوثِق بذلك ، فرجع حتى دخل الدار هو وأخوه حَبْشون وبكالبا ، فحبِسوا وحُبِس معهم كَيْغَلغ ، فأفرد أبو نصر عنهم؛ فطلب منه المال ، فقبض من وكيله خمسة عشر ألف دينار ، وقتِل يوم الثلاثاء لثلاث خلوْن من رجب ، ورُمِي به في بئر من آبار القناة ، وأخرج من البئر يوم الإثنين للنصف من رجب ، ومضى به إلى منزله وقد أراح ، فاشتُرِي له ثلثمئة مثقال مسك وستمئة مثقال كافور ، وصُيِّر عليه فلم تنقطع الرائحة ، وصلى عليه الحسن بن المأمون ،

وكتب المهتدي إلى موسى بن بُغا عند حبسه أبا نصر يأمره بتسليم العسكر إلى بايكباك والإقبال إلى سامرّا في مواليه ، وكتب إلى بايكباك في تسلُّم العسكر والقيام بقتال الشاري ، فصار بايكباك بالكتاب إلى موسى فقرأه ، فاجتمعوا على الانصراف إلى سامرّا ، وبلغ المهتدي ذلك ، وأنهم على خلافه ، فجمع الموالي ، فحضّهم على الطاعة ، وأمرهم بلزومه في الدّار وترك الإخلال به ، وأجرى على كل رجل من الأتراك ومَنْ يجري مجراهم في كلّ يوم درهمين ، وعلى كلّ رجل من المغاربة درهماً ، فاجتمع له من الفريقين وأخدانهم زهاء خمسة عشر ألف إنسان ، منهم من الأتراك المعروف بالكاملي في الجوْسق وغيره من المقاصير ، وكان القيّم بأمر الدار بعد حبس كيغَلغ مسرور البلخيّ والرئيس من القوّاد طبايغو والقيّم بحبس من حُبس من هؤلاء عبد الله بن تكين . وبلغ موسى ومفلحاً وبايكباك حبسُ أبي نصر وحبشون ومَنْ حُبِس ، فأخذوا حذرَهم .

وجرت الرسل والكتب بينهم وبين المهتدي يوم الخميس وخرج المهتدي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلتْ من رجب بجمعه متوقّعاً ورود القوم عليه؛ فلم يأت أحد ، فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب صحّ الخبر بأنّ موسى قد عَرَج عن طريق سامرّا إلى ناحية الجبل مع مفلح ، ودخل يوم السبت بايكباك ويارجوخ وأساتكين وعليّ بن بارس وسيما الطويل وخطارمش إلى الدار ، فحبس بايكباك وأحمد بن خاقان خليفته ، وصُرف الباقون ، فاجتمع أصحاب بايكباك وغيره من الأتراك ، وقالوا: لمَ يُحبَس قائدنا؟ ولمَ قتِل أبو نصر؟ فخرج إليهم المهتدي يوم السبت ـ ولم يكن بينهم حرب ـ فرجع ، وخرج يوم الأحد وقد اجتمعوا له ، وجمع هو المغاربة والأتراك البرّانيين والفراغنة فصير على الميمنة مسروراً البلخيّ ، وعلى الميسرة يارجوخ ، والمهتدي في القلب مع أساتكين وطبايغوا وغيرهما من القوّاد .

فلما حمِيت الشمس ، قرب القوم بعضهم من بعض ، وهاجت الحرب ، وطلبوا بايكباك ، فرمى إليهم المهتدي برأسه ـ وكان عتّاب بن عتاب أخرجه من بركة قبائه ـ فلما رأوا شدّ أخوه طغوتيا في جماعة من خاصّته على جمع المهتدي وعطفت الميمنة والميسرة من عسكر المهتدي فصاروا معهم ، وانهزم الباقون عن المهتدي ، وقُتل جماعة من الفريقين .

فذُكر عن حَبْشون بن بغا، أنه قال: قُتِل سبعمئة وثمانون إنساناً، وتفرّق الناس، ودخل المهتدي الدار، فأغلق الباب الذي دخل فيه، وخرج من باب المصافّ حتى خرج من الباب المعروف بإيتاخ، ثم إلى سويقة مسرور، ثم درب الواثق؛ حتى خرج إلى باب العامة، وهو ينادي: يا معشرَ الناس، أنا أمير المؤمنين؛ قاتلوا عن خليفتكم، فلم تجبه العامة إلى ذلك، وهو يمرّ في الشارع وينادي، فلم يرهم ينصرونه، فصار إلى باب السجن، فأطلق مَنْ فيه، وهو يظنّ أنهم يعينونه؛ فلم يكن منهم إلا الهرب، ولم يجبه أحد، فلمّا لم يجيبوه، صار إلى دار أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد، وفيها أحمد بن جميل صاحب الشُّرطة نازل، فدخل عليه، فأخرج من ناحية ديوان الضياع، ثم صيّر به إلى الجوسق، فحبس فيه عند أحمد بن خاقان، وانتهب دار أحمد بن جُمَيل.

وكان ممن قتل في المعركة من قواد المغاربة نصر بن أحمد الزبيريّ، ومن قوّاد الشاكرية عتّاب بن عتاب حين جاء برأس بايكباك إليهم، وقتَل المهتدي - فيما قيل - في الوقعة عدة كثيرة بيده، ثم جرى بينهم وبينه بعد أن حُبس كلام شديد، وأرادوه على الخلع فأبى، واستسلم للقتل، فقالوا: إنه كان كتب رُقعة بيده لموسى بن بغا وبايكباك وجماعة من القوّاد؛ أنه لا يغدر بهم ولا يغتالهم، ولا يفتك بهم ولا يهمّ بذلك، وأنه متى فعل ذلك بهم أو بأحد منهم ووقفوا عليه فهمْ في حلٍّ من بيعته، والأمر إليهم يُقعدون من شاؤوا، فاستحلُّوا بذلك نقضَ أمره.

وقد كان يارجوخ بعد انهزام الناس صار إلى الدار، فأخرج من ولد المتوكل جماعة، فصار بهم إلى داره، فبايعوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فِتْيان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من رجب، وسُمِّي المعتمد على الله، وأشهِد يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب على وفاة المهتدي محمد بن الواثق، وأنه سليم ليس به إلا الجراحتان اللتان نالتاه يوم الأحد في الوقعة؛ إحداهما من سَهْم والأخرى من ضَرْبة، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد وعدّة من إخوة أمير المؤمنين، ودُفِن في مقبرة المنتصر، ودخل موسى بن بغا ومفلح سامرّا يوم السبت لعشر بقين من رَجب، فسلّم على المعتمد فخلَع عليه، وصار إلى منزله وسكن الناس.

وقال بعضهم ـ وذكر أنه كان شاهداً أمرهم: لمّا كان ليلة الإثنين لليلة خلت من رجب ثار أهل الكرْخ والدّور جميعاً، فاجتمعوا، وكان المهتدي يوجّه إليهم إذا تحرّكوا أخاه عبد الله، فوجّه إليهم في هذا اليوم عبد الله أخاه كما كان يوجّهه، فصار إليهم؛ فوجَدهم قد أقبلوا يريدون الجوْسق، فكلّمهم، وضمِن لهم القيام بحوائجهم، فأبوْا وقالوا: لا نرجع حتى نصيرَ إلى أمير المؤمنين ونشكُو إليه قصتنا، فانصرف عنهم عبد الله، وفي الدار في هذا الوقت أبو نصر محمد بن بغا وحَبْشون وكَيْغَلغ ومسرور البلخيّ وجماعة؛ فلما أدّى عبد الله إلى المهتدي ما دار بينه وبينهم، أمره بالرجوع إليهم، وأن يأتيَ بجماعة منهم فيوصلَهم إليه؛ فخرج فتلقاهم قريباً من الجوْسَق، فأرداهم على أن يقفوا بموضعهم، ويوجّهوا معه جماعة منهم فأبوْا، فلمّا تناهَى الخبرإلى أبي نصر ومَنْ كان معه في الدّار بأنّ جمعهم قد أقبل، خرجوا جميعاً من الدار مما يلي باب النزالة، فلم يبق في الدّار إلا مسرور البلخيّ وألطون خليفة كيْغَلَغ، ومن الكتّاب عيسى بن فَرُّخانشاه، ودخل الموالي مما يلي باب القصر الأحمر، فملؤوا الدار زُهاء أربعة آلاف، فصاروا إلى المهتدي، فشكْوا إليه حالهم.

وكان اعتمادهم في مسألتهم أن يعزل عنهم أمراءهم، ويضمّ أمورهم إلى إخوة أمير المؤمنين، وأن يؤخذ الأمراء والكتّاب بالخروج مما اختانوه من أموال السلطان؛ وذكروا أن قدره خمسون ومئة ألف ألف، فوعدهم النظر في أمرهم وإجابتهم إلى ما سألوا، فأقاموا يومَهم ذلك في الدّار، فوجّه المهتدي محمد بن مباشر الكرخيّ، فاشترى لهم الأسوقة، ومضى أبو نصر بن بغا من فورِه ذلك؛ حتى عسكر في الحَيْر بالقرب من موضع الحلْبة، فلحق به زهاء خمسمئة رجل، ثم تفرّقوا عنه في ليلتهم؛ فلم يبقَ إلا في أقلّ من مئة، ومضى فصار إلى المحمّدية، وأصبح الموالي في غداة يوم الأربعاء يطالبون بما كانوا يطالبون به أولاً، فقيل لهم: إنّ هذا الأمر الذي تريدونه أمرٌ صعب، وإخراج الأمر عن أيدي هؤلاء الأمراء ليس بسهل عليكم، فكيف إذا جمع إلى ذلك أخذهم بالأموال! فانظروا في أموركم؛ فإن كنتم تظنون أنكم تصبرون على هذا الأمر حتى يبلغَ منه غايته أجابكم إليه أمير المؤمنين، وإن تكن الأخرى فإنّ أميرَ المؤمنين يحسن لكم النظر، فأبوْا إلا ما سألوه أولاً، فدُعوا إلى أيمان البيعة على أن يقيموا على هذا

القول ، ولا يرجعوا عنه ، وأن يقاتلوا مَنْ قاتلهم فيه ، وينصحوا لأمير المؤمنين ويوالُوه ، فأجابوه إلى ذلك ، فأخذِت عليهم أيمان البيعة ، فبايع في ذلك اليوم زُهاء ألف رجل وعيسى بن فرّخا نشاه الذي تجري على يده الأمور ، ومقامه مقام الوزير ، ثم كتبوا إلى أبي نصر كتاباً عن أنفسهم؛ كتبه لهم عيسى بن فرّخانشاه ، يذكرون فيه إنكارهم خروجَه من الدار عن غير سبب ، وأنهم إنما قصدوا أميرَ المؤمنين ليشكوا إليه حاجتَهم ، وأنهم لما وجدوا الدار فارغة أقاموا فيها ، وأنهم إذا عاد ردّوه إلى حاله ، ولم يهيّجوه ، وكتب عيسى عن الخليفة بمثل ذلك إليه ، فأقبل من المحمّدية بين العصر والعشاء ، فدخل الدار ، ومعه أخوه حَبْشون وكيغلغ وبكالبا وجماعة منهم ، فقام الموالي في وجوههم معهم السلاح ، وقعد المهتدي ، فوصل إليه أبو نصر ومَنْ معه ، فسلّم عليه ، ودنا فقبل يد المهتدي ورجلَه والبساط ، وتأخّر فخاطبه المهتدي بأن قال له: يا محمد ، ما عندك فيما يقول الموالي؟ قال: وما يقولون؟ قال: يذكرون أنكم احتجبتم الأموال ، واستبددتم بالأعمال ، فما تنظرون في شيء من أمورهم ، ولا فيما عاد لمصلحتهم ، فقال محمد: يا أميرَ المؤمنين؛ وما أنا والأموال! ما كنتُ كاتبَ ديوان ، ولا جرتْ على يدي أعمال. فقال له: فأين هي الأموال؟ وهل هي إلا عندك وعند أخيك ، وكتّابكم وأصحابكم! ودنا الموالي ، فتقدّم عبد الله بن تكين وجماعة منهم ، فأخذوا بِيد أبي نصر وقالوا: هذا عدوّ أمير المؤمنين ، يقوم بين يديه بسيفٍ ، فأخذوا سيفه ، ودخل غلام لأبي نصر كان حاضراً يقال له ثيتل ، فسلّ سيفه ، وخطا ليمنعهم من أبي نصر ، وكانت خطوته تلي الخليفة ، فسبقه عبد الله بن تكين ، فضرب رأسه بالسيف ، فما بَقيَ في الدار أحدٌ إلا سلَّ سيفه ، وقام المهتدي ، فدخل بيتاً كان بقربه ، وأخذ محمد بنُ بغا ، فأدخِل حجرة في الدار ، وحُبس أصحابه الباقون ، وأراد القوم قتلَ الغلام فمنعهم المهتدي ، وقال: إنّ لي في هذا نظراً ثم أمر فأعطِيَ قميصاً من الخزانة ، وأمر بغسل رأسه من الدّم ، وحُبِس.

فأصبح الناس يوم الأربعاء وقد كثرُوا ، والبيعة تؤخذ ، ثمّ أمر عبد الله بن الواثق بالخروج إلى الرفيف في ألف رجل من الشاكرية والفراغنة وغيرهم؛ وكان ممن أمر بالخروج من قوّاد خراسان محمد بن يحيى الواثقيّ وعتاب بن عتاب

وهارون بن عبد الرحمن بن الأزهر وإبراهيم أخو أبي عون ويحيى بن محمد بن داود وولد نصر بن شيث وعبد الرحمن بن دينار وأحمد بن فريدون وغيرهم.

ثم إن عبد الله بن الواثق بلغه عن هؤلاء القوّاد أنهم يقولون: إنه ليس بصواب شخوصهم إلى تلك الناحية، فترك الخروج إليها.

ثم إنهم أرادوا أن يكتبوا إلى موسى ومفلح بالانصراف وتسليم العسكر إلى مَنْ فيه من القوّاد، فأجمعوا على أن يكتبوا إليهما بذلك كتاباً، وكتبا إلى بعض القوّاد في تسلّم العسكر منهما، وكتُبا إلى الصغار بما سأل أصحابهم بسامُرّا، وما أجيبوا إليه، وأمر بنسخ الكتب التي كُتبت إلى القوّاد، وأن ينظروا؛ فإن سارع موسى ومفلح إلى ما أمِرا به من الإقبال إلى الباب في غلمانهم وتسليم العسكر إلى مَن أمِرا بتسليمه إليه؛ وإلا شدّوهما وثاقاً، وحملوهما إلى الباب، ووجّهوا هذه الكتب مع ثلاثين رجلاً منهم، فشخصوا عن سامرّا ليلة الجمعة لخمس خلون من رجب من هذه السنة، وأجرِي على مَنْ أخِذت عليه البيعة في الدار على كلّ رجل منهم في اليوم درهمان، فكان المتولي لتفرقة ذلك عليهم عبد الله بن تكين، وهو خال ولد كنجور.

ولما تناهى الخبر إلى موسى وأصحابه اتّهم كنجور، وأمر بحبسه بعد أن ناله بالضرب، وموسى حينئذ بالسنّ، ولما انتهى الخبر إلى بايكباك وهو بالحديثة أقبل إلى السنّ، فاستخرج كنجور من الحبس، واجتمع العسكر بالسنّ، ووصل إليهم الرسل، وأوصلوا الكتب، وقرؤوا بعضها على أهل العسكر، وأخذوا عليهم البيعة بالنصرة لهم، فارتحلوا حتى نزلوا قنطرة الرفيف يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب؛ وخرج المهتدي في هذا اليوم إلى الحَير، وعرض الناس، وسار قليلاً، ثم عاد وأمر أن تخرج الخيام والمضارب فتضرب في الحَيْر، وأصبح الناس يوم الجمعة، وقد انصرف من عسكر موسى زُهاء ألف رجل؛ منهم كوتكين وحشنَج.

ثم خرج المهتدي إلى الحَيْر، ثم صيّر ميمنته عليها كوتكين، وميسرته عليها حشنَج، وصار هو في القلب، ثم رجع الرسل تختلف بين العسكرين، والذي يريد موسى بن بغا أن يُولّى ناحية ينصرف إليها، والذي يريد القوم من موسى أن يُقبل في غلمانه ليناظرهم؛ فلم يتهيّأ بينهم في ذلك اليوم شيء.

فلما كان ليلة السبت ، انصرف مَنْ أراد الانصراف عن موسى ، ورجع موسى ومفلح يريدان طريق خُراسان في زهاء ألف رجل ، ومضى بايكباك وجماعة من قوّاده في ليلتهم مع عيسى الكرخيّ ، فباتوا معه ، ثم أصبحوا يوم السبت ، وأقبل بايكباك ومَنْ معه حتى دخلوا الدار ، فأخذت سيوفهم بايكباك ويارجوخ وأساتكين وأحمد بن خاقان وخطارمش وغيرهم ، فوصلوا جميعاً إلى المهتدِي فسلّموا فأمِروا بالانصراف إلا بايكباك؛ فإنّ المهتدي أمر أن يوقَف بين يديه ، ثم أقبل يعدّد عليه ذنوبه ، وما ركب من أمر المسلمين والإسلام.

ثم إنّ الموالي اعترضوه ، فأدخلوه حجرة في الدار ، وأغلقوا عليه الباب ، ثم لم يلبث إلا قدر خمس ساعات حتى قُتِل يوم السبت من الزّوال ، واستوى الأمر ، فلم تكن حركة ، ولا تكلّم أحد إلا نفر يسير أنكروا أمر بايكباك ، ولم يُظهروا كلّ الجزع ، فلما كان يوم الأحد ، أنكر الأتراك مساواة الفراغنة لهم في الدار ودخولهم معهم ، ووَضح عندهم أنّ التدبير إنما جرى في قتل رؤسائهم حتى يقدم عليهم الفراغنة والمغاربة ، فخرجوا من الدّار بأجمعهم ، وبقيت الدّار على الفراغنة والمغاربة ، وأنكر الأتراك بناحية الكَرْخ ذلك ، وأضافوا إليه طلب بايكباك لاجتماع أصحاب بايكباك معهم ، فأدخل المهتدي إليه جماعة من الفراغنة ، وأخبرهم بما أنكره الأتراك ، وقال لهم: إنْ كنتم تعلمون أنكم تقومون بهم؛ فما يكره أمير المؤمنين قربكم؛ وإن كنتم بأنفسكم تظنّون عجزاً عنهم أرضيناهم بالمصير إلى محبتهم من قَبْل تفاقم الأمر ، فذكر الفراغنة أنهم يقومون بهم ويقهرونهم ، إذا اجتمعت كلمتهم وكلمة المغاربة ، وعدّدوا أشياء كثيرة من تقديمهم عليهم ، وأرادوا المهتدي على الخروج إليهم؛ فلم يزل كذلك إلى الظهر ، ثم ركب وأكثر الفرسان الفراغنة وأكثر الرجّالة المغاربة ، ووجّه إليهم وهُم بين الكرخ والقطائع والأتراك زُهاء عشرة آلاف. ، وهم في ستة آلاف لم يكن معهم من الأتراك إلا أقل من ألف وهم أصحاب صالح بن وصيف وجماعة مع يارجوخ ، فلما التقى الزّحفان ، انحاز يارجوخ بمَن معه من الأتراك ، وانهزم أصحاب صالح بن وصيف ، فرجعوا إلى منازلهم وخرج طاشتُمُر من خلف الدكّة ، وكانوا جعلوا كميناً ، وتصادم القوم ، فكانت الحرب بينهم ساعة من النهار ، ضرباً وطعناً ورمياً.

ثم وقعت الهزيمة على أصحاب المهتدي ، فثبت وأقبل يدعوهم إلى نفسه ، ويقاتل حتى يئس من رجوعهم؛ ثم انهزم وبيده سيف مشطّب ، وعليه دِرْع وقَباء؛ ظاهَرَ به حرير أبيض معيّن ، فمضى حتى صار إلى موضع خشبة بابك ، وهو يحثّ الناس على مجاهدة القوم ونُصرته؛ فلم يتبعه أحد إلا جماعة من العيّارين؛ فلما صاروا إلى باب السجن تعلقوا بلجامه ، وسألوه إطلاق من في السجن ، فانصرف بوجهه عنهم ، فلم يتركوه حتى أمر بإطلاقهم ، فانصرفوا عنه ، واشتغلوا بباب السجن ، وبقيَ وحده ، فمرّ حتى صار إلى موضع دار أبي صالح بن يَزْداد ، وفيها أحمد بن جُمَيل ، فدخل الدار وأغلِقت الأبواب ، فنزع ثيابه وسلاحه؛ وكانت به طعنة في وركه ، فطلب قمصياً وسراويل ، فأعطاه أحمد بن جُمَيل ، وغسل الدّم عن نفسه ، وشرب ماء وصلّى ، فأقبل جماعة من الأتراك ، مع يارْجوخ نحو مِن ثلاثين رجلاً؛ حتى صاروا إلى دار أبي صالح ، فضربوا الباب حتى دخلوها؛ فلما أحسّ بهم أخذ السيف وسعى ، فصعِد على درجة في الدار ، ودخل القوم؛ وقد علا السطح ، فأراد بعضُهم الصعود لأخذه ، فضربه بالسيف فأخطأه ، وسقط الرجل عن الدّرجة ، فرمَوْه بالنشاب ، فوقعت نُشّابة في صدره ، فجرحته جراحة خفيفة ، وعلم أنه الموت؛ فأعطى بيده ، ونزل فرمى بسيفه فأخذوه ، فجعلوه على دابة بين يدي أحدهم ، وسلكوا الطريق الذي جاء منه ، حتى صيّروه إلى دار يارْجوخ في القطائع ، وأنهبوا الجوسق؛ فلم يبق فيه شيء ، وأخرجوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فِتْيان ـ وكان محبوساً في الجوْسق ـ وكتبوا إلى موسى بن بغا وسألوه الانصراف إليهم ، فأقام المهتدي عندهم لم يُحدثوا في أمره شيئاً؛ فلما كان يوم الثلاثاء بايعوا أحمد بن المتوكل في القَطائع ، وصاروا به يوم الأربعاء إلى الجوْسق فبايعه الهاشميون والخاصّة ، وأرادوا المهتدي على الخلْع في هذه الأيام ، فأبى ولم يجبهم ، ومات يوم الأربعاء ، وأظهروا يوم الخميس لجماعة الهاشميّين والخاصّة ، فكشفوا عن وجهه وغسلوه ، وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومئتين.

وقدم موسى بن بغا يوم السبت لعشر بقين من رجب ، وركب أحمد بن فتيان إلى دار العامة يوم الإثنين لثمان بقين من رجب ، فبايعوه بيعة العامة.

فذكر عن محمد بن عيسى القرشيّ ، أنه قال: لما صار المهتدي في أيديهم أبى أن يخلع نفسَه ، فخلعوا أصابع يديْه ورجليْه من كفيه وقدميه ، حتى ورمت كفاه وقدماه ، وفعلوا به غير شيء حتى مات.

وقد ذكر في سبب قتل أبي نصر محمد بن بغا أنه كان خرج من سامرّا يريد أخاه موسى ، فوجّه إليه المهتدي أخاه عبد الله في جماعة من المغاربة والفراغنة ، فلحقوه بالرّفيف ، فجيء به فحبِس وكان قد دخل على المهتدي مسلِّماً قبل خلافهم ، فقال له: يا محمد؛ إنما قدم أخوك موسى في جيشه وعبيده حتى يقتل صالح بن وصيف وينصرف ، قال: يا أميرَ المؤمنين؛ أعيذك بالله؛ موسى عبدُك وفي طاعتك؛ وهو مع هذا في وجه عدوّ كلِب ، قال: قد كان صالحٌ أنفع لنا منه ، وأحسنَ سياسة للملك ، وهذا العَلَويّ قد رجع إلى الرَّيّ ، قال: وما حيلته يا أمير المؤمنين؟ قد هزمه وقتل أصحابه وشرّد به كلّ مشرّد ، فلما انصرف عاد ، وهذا فعله أبداً؛ اللهمّ إلا أن تأمره بالمقام بالرّيّ دهرَه ، قال: دع هذا عنك ، فإنّ أخاك ما صنع شيئاً أكثر من أخذ الأموال واحتجانها[1] لنفسه ، فأغلظ له أبو نصر ، وقال: يُنظر فيما صار إليه وإلى أهل بيته منذ وليتَ الخلافة فيردّ ، ويُنْظَر ما صار إليك وإلى إخوتك فيردّ فأمر به فأخِذ وضُرِب وحُبِس ، وانتُهِبت داره ودار ابن ثوابة ، ثم أباح دم الحسن بن مَخْلَد وابن ثوابة وسليمان بن وهب القطان كاتب مُفلح ، فهربوا فانتهِبت دورهم ، ثم جاء المهتدي بالفراغنة والأشروسنية والطبرية والديالمة والإشتاخنيّة ومَنْ بقي من أتراك الكرخ وولد وصيف ، فسألهم النصرة على موسى ومفلح ، وضرب بينهم ، وقال: قد أخذوا الأموال واستأثروا بالفيء ، وأنا أخاف أن يقتلوني ، وإن نصرتموني أعطيتكُم جميعَ ما فاتكم ، وزدتكم في أرزاقكم ، فأجابوه إلى نصره والخلاف على موسى وأصحابه ، ولزموا الجَوْسق وبايعوه بيعة جديدة وأمر بالسويق والسكر فاشتُرِي لهم ، وأجرَى على كلّ رجل منهم في كلّ يوم درهمين ، وأطعِموا في بعض أيامهم الخبز واللحم ، وتولى أمرَ جيشه أحمد بن وصيف وعبد الله بن بُغا الشرابيّ والتفتْ ، معهم بنو هاشم ، وجعل يركب في بني هاشم ، ويدور في الأسواق ، ويسأل

(١) قال في المعجم: احتجن المال: جمعه ، واحتواه ، واختصَّ نفسه به.

الناس النصرة ، ويقول: هؤلاء الفساق يقتلون الخلفاء ، ويثِبون على مواليهم ، وقد استأثروا بالفيء ، فأعينوا أمير المؤمنين وانصروه ، وتكلّم صالح بن يعقوب بن المنصور وغيره من بني هاشم ، ثم كتب بعدُ إلى بايكباك يأمره أن يضمّ الجيش كله إليه ، وأنه الأمير على الجيش أجمَع ، ويأمره بأخذ موسى ومفلح.

ولما هلك المهتدي طلبوا أبا نصر بن بغا ، وهم يظنُّون أنه حَيّ ، فدُلوا على موضعه ، فنُبِش فوجدوه مذبوحاً ، فحمِل إلى أهله ، وحُمِلت جثّة بايكباك فدُفنت ، وكسرت الأتراك على قبر محمد بن بغا ألف سيف ، وكذلك يفعلون بالسيد منهم إذا مات ، وقيل إنّ المهتدي لما أبى أن يخلعها ، أمروا مَنْ عَصَر خصيته حتى مات؛ وقيل: إنّ المهتدي لما احتُضر قال:

أَهُمّ بأَمْرِ الحزْمِ لو أَسْتطيعُهُ وقدْ حيلَ بينَ العيرِ والنّزوان

وقيل إنّ محمد بن بغا لم يحدثوا في أمره يوم حُبِس شيئاً ، وطالبوه بالأموال ، فدفع إليهم نيّفاً وعشرين ألف دينار ، ثم قتلوه بعد؛ بعجوا بطنَه ، وعصروا حَلْقه ، وأُلْقِيَ في بئر من القناة ، فلم يزل هنالك حتى أخرجه الموالي بعد أسرهم المهتدي بيوم ، فدفن.

وكانت خلافة المهتدي كلها إلى أن انقضى أمره أحدَ عشر شهراً وخمسة وعشرين يوماً ، وعمره كله ثمان وثلاثون سنة ، وكان رحْبَ الجبهة ، أجْلَح ، جهم الوجه ، أشْهَلَ ، عظيم البطن ، عريض المنكبين ، قصيراً ، طويل اللحية ، وكان ولد بالقاطول(١).

---

(١) وهذا القول هو الذي اختاره الحافظ ابن كثير فقال بصيغة الجزم: وكانت خلافته أقلّ من سنةٍ بخمسة أيام [البداية والنهاية ٨/ ٢٢٩].

وقال الخطيب وكان (أي: المهتدي) من أحسن الخلفاء مذهباً (أي من بين الخلفاء العباسيين) وأجملهم طريقة وأظهرهم ورعاً وأكثرهم عبادة وإنما روى حديثاً واحداً [تأريخ بغداد ٣/ ٣٤٨].

وأخرج الخطيب البغدادي [٣/ ٣٤٩] ومن طريقة ابن الجوزي [المنتظم ١٢/ ٨٤] ، عن عبد الله بن إبراهيم الإسكافي (عم محمد بن أحمد القراريطي) قال: حضرت مجلس المهتدي بالله وقد جلس للمظالم فاستعداه رجلٌ على ابن له ، فأمر بإحضاره ، فأُحْضِر وأقامه إلى جنب الرجل فسأله عمّا ادعاه عليه فأقرّبه فأمره بالخروج إليه من حقّه فكتب له بذلك كتاباً فلما فرغ قال له الرجل: والله يا أمير المؤمنين ما أنت إلا كما قال الشاعر:

[ذكر أخبار صاحب الزنج مع جُعلان]

* وفي هذه السنة وافَى جعلان البصرة لحرب صاحب الزنج.

* ذكر الخبر عما كان من أمرهما هنالك:

ذكر أن جُعلان لما صار إلى البصرة زحف بعسكره منها، حتى صار بينه وبين عسكر صاحب الزَّنْج فرسخ، فخندق على نفسه ومَنْ معه، فأقام ستة أشهر في خندقه، فوجّه الزينبيُّ وُبَريه وبنو هاشم ومَنْ خفّ لحرب الخبيث، من أهل البصرة في اليوم الذي تواعدهم جعلان للقائه، فلما التقوْا لم يكن بينهم إلا الرميُ بالحجارة والنشاب، ولم يجد جعلان إلى لقائه سبيلاً لضيق الموضع بما فيه من النخل والدّغل عن مجال الخيل، وأصحابه أكثرهم فرسان[1].

فذكر عن محمد بن الحسن أنّ صاحب الزنج قال: لمّا طال مقام جُعلان في خندقه، رأيتُ أن أخفِيَ له من أصحابي جماعة يأخذون عليه مسالك الخندق، ويبيّتونه فيه، ففعل ذلك، وبيته في خندقه، فقُتِل جماعة من رجاله، ورِيع الباقون رَوْعاً شديداً، فترك جعلان عسكره ذلك، وانصرف إلى البصرة؛ وقد كان الزينبيّ قبل بيات الخبيث جعلان جمع مقاتلة البلالية والسعدية، ثم وجّه لهم من ناحية نهر نافذ وناحية هَزَارْدر، فواقعوه من وجهين، ولقيهم الزَّنْج، فلم يثبتوا لهم، وقهرهم الزّنج، فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وانصرفوا مفلولين، وانحاز جعلان إلى البصرة، فأقام بها وظهر عجزه للسلطان.

* * *

= حكّمتموه فقضى بينكم ... أبلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوة في حكمه ... ولا يبالي غبن الخاسر

فقال له المهتدي: أما أنت أيها الرجل فجزاك الله خيراً وأما أنا فما جلست هذا المجلس حتى قرأت في المصحف ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ فما رأيت باكياً أكثر من بكائه ذلك اليوم. ا هـ.

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٠١) فقد ذكر الخبر كما عند الطبري.

وفيها صرف جُعلان عن حرب الخبيث ، وأمر سعيد الحاجب بالشخوص إليها لحربه .

وفيها تحوّل صاحب الزَّنْج من السَّبْخة التي كان ينزلها إلى الجانب الغربيّ من النهر المعروف بأبي الخصيب .

وفيها أخذ صاحب الزّنج ـ فيما ذكر ـ أربعة وعشرين مركباً من مراكب البحر ، كانت اجتمعت تريد البصرة ، فلمّا انتهى إلى أصحابها خبره وخبر مَنْ معه من الزّنج وقطعهم السبيل ، اجتمعت آراؤهم على أن يشدُّوا مراكبهم بعضها إلى بعض؛ حتى تصير كالجزيرة ، يتصل أولها بآخرها ، ثم يسيروا بها في دِجْلة ، فاتّصل به خبرها ، فندب إليها أصحابه ، وحرّضهم عليها ، وقال لهم: هذه الغنيمة الباردة .

قال أبو الحسن : فسمعت صاحب الزَّنْج يقول: لمّا بلغني قربُ المراكب منى نهضت للصلاة ، وأخذت في الدعاء والتضرّع ، فخوطبتُ بأن قيل لي: قد أظلّك فتح عظيم ، والتفتُّ فلم ألبث أن طلعت المراكب ، فنهض أصحابي إليها في الجريبيّات؛ فلم يلبثوا أن حَوَوْها وقتلوا مقاتلتها ، وسبَوْا ما فيها من الرّقيق ، وغنموا منها أموالاً عظاماً لا تُحصَى ولا يعرف قدرها ، فأنهب ذلك أصحابه ثلاثة أيام ، ثم أمر بما بقي فحِيَز له .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول الزنج الأبلّة][1]

ولخمس بَقِين من رجب من هذه السنة ، دخل الزَّنج الأبلّة ، فقتلوا بها خلقاً كثيراً وأحرقوها .

* ذكر الخبر عنها وعن سبب الوصول إليها :

ذكر أن صاحب الزّنج لما تنحّى جعلان عن خندقه بشاطىء عثمان الذي كان فيه ، وانحاز إلى البصرة ألح بالسرايا على أهل الأبُلَّة ، فجعل يحاربهم من ناحية

(١) انظر المنتظم (١٢/١٠٨).

شاطىء عثمان بالرجالة ، وبما خفّ له من السفن من ناحيةٍ دِجْلة ، وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر مَعْقِل.

فذكر عن صاحب الزّنج ، أنه قال: ميّلت بين عبّادان والأبُلّة ، فملتُ إلى التوجّه إلى عَبَّادان ، وندبتُ الرّجالة لذلك ، فقيل لي: إن أقرب العدو داراً ، وأولاه بألا تتشاغل بغيره عنه أهلُ الأبُلة ، فرددت الجيش الذي كنت سيّرتُ نحو عبّادان إلى الأبُلّة. فلم يزالوا يحاربون أهل الأبُلّة إلى ليلة الأربعاء لخمس بقين من رجب سنة ست وخمسين ومئتين ، فلما كان في هذه الليلة اقتحمها الزنج مما يلي دِجْلة ونهر الأبُلّة ، فقتل بها أبو الأحوص وابنه ، وأضرمت ناراً ، وكانت مبنية بالساج محفوفة بناء متكاثفاً ، فأسرعت فيها النار ، ونشأت ريحٌ عاصف ، فأطارت شرر ذلك الحريق حتى وصلت بشاطىء عثمان ، فاحترقَ وقُتِل بالأبُلّة خلقٌ كثير ، وغرق خلق كثير ، وحُويت الأسلاب ، فكان ما احترق من الأمتعة أكثر مما انتُهب.

وقتِل في هذه الليلة عبدُ الله بن حميد الطوسيّ وابنٌ له؛ كانا في شَذاة بنهر مَعْقِل مع نُصير المعروف بأبي حمزة.

* * *

[ذكر خبر استيلاء صاحب الزنج على عبّادان][1]

وفيها استسلم أهل عبّادان لصاحب الزّنج فسلّموا إليه حصنهم.

* ذكر الخبر عن السبب الذي دعاهم إلى ذلك:

ذُكر أنّ السبب في ذلك أنّ الخبيث لما فعل أصحابُه من الزّنج بأهل الأبُلّة ما فعلوا ، ضعفت قلوبهم ، وخافوهم على أنفسهم وحُرمهم ، فأعطوا بأيديهم ، وسلموا إليه بلدهم ، فدخلها أصحابه ، فأخذوا مَنْ كان فيها من العبيد ، وحملوا ما كان فيها من السلاح إليه ، ففرّقه عليهم.

* * *

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٠٨).

[ذكر خبر دخول أصحاب الزنج الأهواز]

وفيها دخل أصحابه الأهواز وأسروا إبراهيم بن المدبر.

* ذكر الخبر عن سبب ذلك:

وكان الخبيث لما أوقع أصحابه بالأُبُلّة، وفعلوا بها ما فعلوا، واستسلم له أهلُ عَبّادان، فأخذ مماليكهم، فضمّهم إلى أصحابه من الزَّنْج، وفرّق بينهم ما أخذ من السلاح الذي كان بها، طمع في الأهواز، فاستنهض أصحابه نحو جُبّى، فلم يثبتْ لهم أهلها، وهربوا منهم، فدخلوا فقتلوا وأحرقوا، ونهبوا وأخربوا ما وراءها؛ حتى وافوا الأهواز، وبها يومئذ سعيد بن يكسين والٍ وإليه حربُها، وإبراهيم بن محمد بن المدبّر، وإليه الخراج والضّياع؛ فهرب الناس منهم أيضاً فلم يقاتلهم كثير أحد، وانحاز سعيد بن تكسين فيمَن كان معه من الجُند، وثبت إبراهيم بن المدبّر فيمن كان معه من غلمانه وخَدَمِه، فدخلوا المدينة، فاحتوَوْها، وأسروا إبراهيم بن محمد بعد أن ضُرب ضربةً على وجهه، وحوَوْا كلّ ما كان يملك من مال وأثاث ورقيق؛ وذلك يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومئتين.

ولما كان من أمره ما كان بالأهواز بعد الذي كان منه بالأُبُلّة؛ رعب أهل البصرة رعباً شديداً، فانتقل كثير من أهلها عنها، وتفرّقوا في بلدان شتَّى، وكثرت الأراجيف من عوامّها.

* * *

وفي ذي الحجة من هذه السنة وجّه صاحب الزَّنْج إلى شاهين بن بسْطام جيشاً عليهم يحيى بن محمد البحرانيّ لحربه؛ فلم يَنَلْ يحيى من شاهين ما أمّل وانصرف عنه.

وفي رجب من هذه السنة وافى البصرة سعيد بن صالح المعروف بالحاجب من قِبَل السلطان لحرب صاحب الزَّنْج.

وفيها كانت بين موسى بن بُغا والذين كانوا توجّهوا معه إلى ناحية الجبل مخالفينْ لمحمد بن الواثق وبين مساور بن عبد الحميد الشاري وقعة بناحية خانِقين، ومُساور في جمع كثير وموسى وأصحابه في مئتين، فهزموا مساوراً، وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة.

خلافة المعتمد على الله

وفيها بويع أحمد بن أبي جعفر المعروف بابن فِتْيان، وسُمِّيَ المعتمد على الله، وذلك يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت من رجب(١) .

* * *

وفيها بعث إلى موسى بن بغا وهو بخانقين بموت محمد بن الواثق وبيعة المعتمد ، فوافى سامُرّا لعشر بقين من رجب .

ولليلتين خَلَتا من شعبان ولِيَ الوزارة عبيد الله بن يحيى بن خاقان .

وفيها ظهر بالكوفة عليّ بن زيد الطالبيّ ، فوجّه إليه الشاه بن ميكال في عسكر كثيف ، فلقيَه عليّ بن زيد في أصحابه ، فهزمه وقتل جماعة كثيرة من أصحابه ، ونجا الشاه(٢) .

وفيها وثب محمد بن واصل بن إبراهيم التميميّ؛ وهو من أهلِ فارس ، ورجلٌ من أكرادها يقال له: أحمد بن الليث بالحارث بن سيما الشرابيّ عامل فارس ، فحارباه ، فقتِل الحارث ، وغلب محمد بن واصل على فارس .

وفيها وجّه مفلح لحرب مساور الشاري وكنجور لحرب عليّ بن زيد الطالبيّ بالكوفة .

وفيها غَلَب جيش الحسن بن زيد الطالبيّ على الريّ ، في شهر رمضان منها .

---

(١) وقال ابن قتيبة الدينوري ثم استخلف أحمد بن أبي جعفر المعتمد على الله ويكنى أبا العباس وبويع يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومئتين [المعارف/ ٢٠١] أي أنه اتفق تماماً مع الطبري في هذا التأريخ والله أعلم.

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ١٠٨).

وفيها شخص موسى بن بغا لإحدى عشرة ليلةً خلت من شَوَّال منها من سامرّا إلى الرّي ، وشيّعه المعتمد[١] .

وفيها كانت بين أماجور وابن لعيسى بن الشيخ على باب دِمشق وقعة ، فسمعتُ مَنْ ذكر أنه حضر أماجور ، وقد خرج في اليوم الذي كانت فيه هذه الوقْعة من مدينة دمشق مرتاداً لنفسه عسكراً وابنُ عيسى بن الشيخ وقائد لعيسى يقال له : أبو الصهباء في عسكر لهما بالقرب من مدينة دمشق ، فاتصل بهما خبرُ خروج أماجور ، وأنه خرج في نفر من أصحابه يسير ، فطمعا فيه ، فزحفا بمَنْ معهما إليه ، ولا يعلم أماجور بزحُوفهما إليه حتى لقياه ، والتحمت الحرب بين الفريقين ، فقتِل أبو الصهباء ، وهُزم الجمع الذي كان معه ومع ابن عيسى؛ ولقد سمعتُ مَنْ يذكر أنّ عيسى وأبا الصهباء كانا يومئذ في زُهاء عشرين ألفاً من رجالهما ، وأن أماجور في مقدار مئتين إلى أربعمئة .

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة منها قدم أبو أحمد بن المتوكل من مكة إلى سامرا .

وفيها وجّه إلى عيسى بن الشيخ إسماعيل بن عبد الله المروزيّ المعروف بأبي النصر ومحمد بن عبيد الله الكريزيّ القاضي والحسين الخادم المعروف بعرق الموت بولاية أرمينيَة ، على أن يصرف عن الشأم آمناً؛ فقبل ذلك وشخص عن الشأم إليها .

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن أحمد بن عيسى بن أبي جعفر المنصور[٢] .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

[ذكر خبر مسير يعقوب بن الليث إلى فارس وانصرافه عنها][٣]

فمن ذلك ما كان من مصير يعقوب بن الليث إلى فارس ، وبعثة المعتمد إليه

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٠٨).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق (١٢/ ١٢٣).

طُغتا وإسماعيل بن إسحاق وأبا سعيد الأنصاريّ في شعبان منها ، وكتاب أبي أحمد بن المتوكل إليه بولاية بَلْخ وطَخارستان إلى ما يلي ذلك من كَرْمان وسِجستان والسِّند وغيرها ، وما جعل له من المال في كلّ سنة ، وقبوله ذلك وانصرافه.

وفي ربيع الآخر منها قدم رسول يعقوب بن الليث بأصنام ذكر أنه أخذها من كابُل.

ولاثنتي عشرة خلتْ من صفر عقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن ، ثم عقد له أيضاً بعد ذلك لسبع خَلَوْن من شهر رمضان على بغداد والسواد وواسط وكُور دِجلة والبصرة والأهواز وفارس ، وأمر أن يُوَلّي صاحب بغداد أعماله ، وأن يُعْقد ليارْجوخ على البصرة وكُور دجْلة واليمامة والبحرين مكان سعيد بن صالح ، فولّى يارجوخ منصور بن جعفر بن دينار البصرة وكُور دجلة إلى ما يلي الأهواز.

* * *

[ذكر خبر انهزام الزنج أمام سعيد بن الحاجب][1]

وفيها أمِر بُغراج باستحثاث سعيد الحاجب في المصير إلى دِجْلة والإناخة بإزاء عسكر صاحب الزَّنج ، ففعل ذلك بُغراج ـ فيما قيل ـ ومضى سعيد الحاجب لما أمُرِ به من ذلك في رجب من هذه السنة.

فذُكر أن سعيداً لمّا صار إلى نهر مَعْقِل وجد هنالك جيشاً لصاحب الزَّنج بالنهر المعروف بالمُرْغاب ـ وهو أحد الأنهار المعترضة في نهر معقِل ـ فأوقع بهم فهزمهم ، واستنقذ مافي أيديهم من النِّساء والنهب ، وأصابت سعيداً في تلك الوقعة جراحات ، منها جراحة في فيه ، ثم سار سعيد حتى صار إلى الموضع المعروف بعسكر أبي جعفر المنصور ، فأقام به ليلة ، ثم سار حتى أناخ بموضع يقال له: هَطمَة من أرض الفرات ، فأقام هنالك أياماً يعبّي أصحابه ، ويستعدّ للقاء صاحب الزَّنْج ، وبلغه في أيام مقامه هنالك: أن جيشاً لصاحب الزَّنْج

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٢٣).

بالفُرات ، فقصد لهم بجماعة من أصحابه ، فهزمهم ، وكان فيهم عمران زَوْج جدّة ابن صاحب الزّنج المعروف بأنكلاي ، فاستأمن عمران هذا إلى بُغراج ، وتفرّق ذلك الجمع ، قال محمد بن الحسن : فلقد رأيتُ المرأة من سكان الفرات تجد الزنجيَّ مستتراً بتلك الأدغال ، فتقبض عليه حتى تأتي به عسكر سعيد ما به منها امتناع ، ثم قصد سعيد حرب الخبيث فعبر إلى غربيّ دجلة ، فأوقع به وقعات في أيام متوالية ، ثم انصرف سعيد إلى معسكر بهَطمَة ، فأقام به يحاربه باقي رجب وعامّة شعبان .

* * *

[خلاص ابن المدبّر من صاحب الزنج]

وفيها تخلص إبراهيم بن محمد بن المدبر من حبس الخبيث ، وكان سبب تخلصِه منه ـ فيما ذكر ـ أنه كان محبوساً في غرفة في منزل يحيى بن محمد البحرانيّ ، فضاق مكانه على البَحْرانيّ ، فأنزله إلى بيت من أبيات داره ، فحبسه فيه ، وكان موكَّلاً به رجلان ، ملاصقٌ مسكنهما المنزل الذي فيه إبراهيم ، فبذل لهما ، ورغّبهما فسَرَبَا له سَرَباً إلى الموضع الذي فيه إبراهيم من ناحيتهما ، فخرج هو وابن أخ له يعرف بأبي غالب ورجل من بني هاشم كان محبوساً معهما .

* * *

[ذكر خبر إيقاع صاحب الزنج بسعيد وأصحابه]

وفيها أوقع أصحاب الخبيث بسعيد وأصحابه فقتلوه ومَنْ معه .

*** ذكر الخبر عن هذه الوقعة :**

ذُكر أن الخبيث وجّه إلى يحيى بن محمد البحرانيّ وهو مقيم بنهر مَعْقِل في جيش كثيف يأمره بالتوجّه بألف رجل من أصحابه ، يرئّس عليهم سليمان بن جامع وأبا الليث ، ويأمرهما بالقَصْد لعسكر سعيد ليلاً حتى يوقعا به في وقت طلوع الفجر ، ففعل ذلك ، فصارا إلى عسكر سعيد ، فصادفا منهم غِرّةً وغفلة ، فأوقعا بهم وقْعَةً ، فقتلا منهم مقتلة عظيمة ، وأحرَق الزَّنج يومئذ عسكر سعيد ، فضعف سعيد ومَنْ معه ، ودخل أمرَهم خللٌ للبيات الذي تهيّأ عليهم ،

ولاحتباس الأرزاق عنهم ، وكانت سبيت لهم من مال الأهواز؛ فأبطأ بها عليهم منصور بن جعفر الخياط ، وكان إليه يومئذ حرب الأهواز ، وله من ذلك يدٌ في الخراج .

ولما كان من أمر سعيد بن صالح ما كان ، أمِر بالانصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش الذي معه وما إليه من العمل هنالك إلى منصور بن جعفر؛ وذلك أنّ سعيداً ترك بعدما كان من بيات الزَّنْج أصحابه وإحراقهم عسكره؛ فلم يكن له حركة إلى أن صُرِف عمّا كان إليه من العمل هنالك .

* * *

[خبر الوقعة بين منصور بن جعفر وصاحب الزنج]

وفيها كانت وقعة بين منصور بن جعفر الخياط وبين صاحب الزّنج ، قُتل فيها من أصحاب منصور جماعة كثيرة .

* ذكر الخبر عن صفة هذه الوقعة :

ذُكر أن سعيداً الحاجب لمّا صُرف عن البصرة ، أقام بُغْرَاج بها يحمِي أهلها ، وجعل منصور يَجمع السفن التي تأتي بالمِيرة ، ثم يُبذْرِقها في الشَّذَا إلى البصرة ، فضاق بالزنج الميرة ، ثم عبّأ منصور أصحابه ، وجمع إلى الشذا التي كانت معه الشَّذَا الجنّابيات والسفن ، وقصد صاحبَ الزَّنج في عسكره ، فصعد قصراً على دجلة ، فأحرقه وما حوله ، ودخل عسكر الخبيث من ذلك الوجه ، ووافاه الزَّنج ، وكمّنوا له كميناً ، فقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ، وألجىء الباقون إلى الماء ، فغرق منهم خلق كثير وحمِل من الرؤوس يومئذٍ ـ فيما ذكر ـ زهاء خمسمئة رأس إلى عسكر يحيى بن محمد البحرانيّ بنهر معقِل ، وأمر بنصبها هنالك .

وفيها ظَهر من بغداد بموضع يقال له : برْكةُ زلزلٍ علي خنّاق ، وقد قتل خلقاً كثيراً من النساء ودفنهنّ في دار كان فيها ساكناً ، فحمِل إلى المعتمد؛ فبلغني : أنه أمَر بضربه ، فضُرِب ألفي سوط وأربعمئة أرزن فلم يمت حتى ضرب الجلاّدون أنثيْه بخشب العقابيْن ، فمات ، فرُدّ إلى بغداد فصُلب بها ثم أحرِقت جثته .

* * *

[خبر مقتل شاهين بن بسطام وهزيمة إبراهيم بن سيما]

وفيها قتل شاهين بن بسطام وهزِم إبراهيم بن سيما.

* ذُكر الخبر عن سبب مقتل شاهين وانهزام إبراهيم:

ذُكر: أن البحرانيّ كان كتب إلى الخبيث يُشير عليه بتوجيه جيش إلى الأهواز للمقام بها، ويرغّبه في ذلك، وأن يبدأ بقطع قنطرة أرْبُك؛ لئلا يصلَ الخيل إلى الجيش، وأن الخبيث وجّه عليّ بن أبان لقطع القنطرة، فلقيَه إبراهيم بن سيما منصرفاً من فارس؛ وكان بها مع الحارث بن سيما في الصَّحْراء المعروفة بدَسْت أربُك، وهي صحراء بين الأهواز والقنطرة، فلما انتهى عليّ بن أبان إلى القنطرة أقام مُخْفِياً نفسه ومَنْ معه، فلمّا أصحرت الخيل، خرجت عليه من جهات، فقَتَلَتْ من الزَّنْج خَلْقاً كثيراً، وانهزم عليّ، وتبعته الخيل إلى الفَنْدم، وأصابته طعنة في أخمَصِه، فأمسك عن التوجّه إلى الأهواز، وانصرف على وجهه إلى جُبَّى وصُرف سعيد بن يكسين ووليِّ إبراهيم بن سيما، وكاتبه شاهين، فأقبلا جميعاً: إبراهيم بن سيما على طريق الفرات قاصداً لذُنَابة نهر جُبّى، وعليّ بن أبان بالخيزرانيّة؛ فأقبل شاهين بن بِسْطام على طريق نهر موسى، يقدّر لقاء إبراهيم في الموضع الذي قصد إليه، وقد اتّعدا لمواقعة عليّ بن أبان، فسبق شاهين، وأتى عليّ بن أبان رجلٌ من نهر موسى فأخبره بإقبال شاهين إليه؛ فوجّه عليّ نحوه، فالتقيا في وقت العصر على نهر يعرف بأبي العباس - وهو نهر بين نهر موسى ونهر جُبّى - ونشبت الحرب بينهما، وثبت أصحاب شاهين، وقاتلوا قتالاً شديداً، ثم صدمهم الزّنج صدمة صادقة، فولّوْا منهزمين؛ فكان أوّل مَنْ قتِل يومئذ شاهين وابن عمّ له يقال له حيّان، وذلك أنه كان في مقدّمة القوم، وقُتِل معه من أصحابه بشر كثير، وأتى عليّ بن أبان مخبر فأخبره بورود إبراهيم بن سيما؛ وذلك بعد فراغه من أمر شاهين، فسار من فوره إلى نهر جُبّى، وإبراهيم بن سيما معسكر هنالك لا يعلم خبر شاهين، فوافاه عليّ في وقت العشاء الآخرة، فأوقع بهم وقعة غليظة قتل فيها جمعاً كثيراً؛ وكان قتلُ شاهين والإيقاع بإبراهيم فيما بين العصر والعشاء الآخرة.

قال محمد بن الحسن: فسمعت عليّ بن أبان يحدّث عن ذلك، قال: لقد

رأيتُني يومئذ ، وقد ركبني حُمّى نافض كانت تعتادني ، وقد كان أصحابي حين نالوا ما نالوا من شاهين تفرّقوا عني ، فلم يصر إلى عسكر إبراهيم بن سيما معي إلا نحو من خمسين رجلاً ، فوصلت إلى العسكر ، فألقيت نفسي قريباً منه ، وجعلت أسمع ضجيج أهلِ العسكر وكلامَهم؛ فلما سكنتْ حركتهُم ، نهضت فأوقعتُ بهم.

ثم انصرف عليّ بن أبان عن جُبَّى لمّا قُتِل شاهين ، وهُزم إبراهيم بن سيما ، لورود كتاب الخبيث عليه بالمصير إلى البصرة لحرب أهلها.

* * *

[ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام](1)

وفيها دخل أصحاب الخبيث البصرة.

*** ذكر الخبر عن سبب وصولهم إلى ذلك وما عملوا بها حين دخلوها:**

ذُكر: أنّ سعيد بن صالح لمّا شخَص من البَصْرة ضمّ السلطان عملَه إلى منصور بن جعفر الخياط؛ وكان من أمرِ منصور وأمرِ أصحاب الخبيث ما قد ذكرناه قبلُ ، وضعف أمر منصور ، ولم يَعُدْ لقتال الخبيث في عسكره ، واقتصر على بذْرقة القَيْروانات ، واتّسع أهلُ البصرة لوصول الميَر إليهم؛ وكان انقطاع ذلك عنهم قد أضرّ بهم ، وانتهى إلى الخبيث الخبر بذلك ، واتساعُ أهل البصرة ، فعظم ذلك على الخبيث ، فوجّه عليّ بن أبان إلى نواحي جُبَّى ، فعسكر

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٢٤) وقد أخرج الخطيب البغدادي ومن طريقه ابن الجوزي بالسند الموصول عن علي بن أبي أمية قال: (شاهد عيان قال: لما كان من دخول الزنج البصرة ما كان وقتلوا بها من قتلوا وذلك في شوال سنة سبع وخمسين ومئتين بلغنا أنهم دخلوا على الرياشي المسجد بأسيافهم والرياشي قائم يصلي الضحى فضربوه بالأسياف. . . إلخ وفيه: حتى مات فلما خرج الزنج عن البصرة دخلناها فمررنا بيني مازن وهناك كان ينزل الرياشي فدخلنا مسجده. . . إلخ. تأريخ بغداد (١٢/ ١٤٠) والمنتظم (١٢/ ١٣٤).
قلت وهذا يعني أن الطبري كان دقيقاً عندما ذكر أنه (أي صاحب الزنج) خاض معركة البصرة في شهر شوال من سنة (٢٥٧ هـ) فقد أخرجه الخطيب مسنداً عن رجل عاصر تلك الأحداث ودخل البصرة بعد خروج الزنج منها ، والله أعلم.

بالخيزُرانيّة ، وشغل منصور بن جعفر عن بَذْرَقة القَيْروانات إلى البصرة ، فعاد حال أهل البصرة إلى ما كانت عليه من الضيق ، وألحّ أصحاب الخبيث على أهل البصرة بالحرب صباحاً ومساء .

فلما كان في شوال من هذه السنة أزمع الخبيث على جَمْع أصحابه للهجوم على أهل البصرة ، والجدّ في خرابها ، وذلك لعلمه بضعف أهلها وتفرّقهم ، وإضرار الحصار بهم ، وخراب ما حولها من القرى؛ وكان قد نظر في حساب النجوم ، ووقف على انكساف القمر ليلة الثلاثاء لأربع عشرة ليلة تخلُو من الشهر .

فذكر عن محمد بن الحسن بن سهل أنه قال : سمعتُه يقول : اجتهدتُ في الدعاء على أهل البصرة ، وابتهلت إلى الله في تعجيل خَرابها ، فخوطبتُ ، فقيل لي : إنما البصرة خُبْزةٌ لك تأكلها من جوانبها؛ فإذا انكسر نصْفُ الرغيف خربت البصرة؛ فأوّلْتُ انكسار نصف الرغيف انكساف القمر المتوقَّع في هذه الأيام ، وما أخلق أمر البصرة أن يكون بعده .

قال : فكان يحدّث بهذا حتى أفاض فيه أصحابه ، وكثر تردده في أسماعهم وإحالته إياه بينهم .

ثم ندب محمد بن يزيد الدارميّ؛ وهو أحد مَنْ كان صحبه بالبحرين للخروج إلى الأعراب ، وأنفذه فأتاه منهم خَلْق كثير ، فأناخوا بالقنْدل ، ووجّه إليهم الخبيث سليمان بن موسى الشعرانيّ ، وأمرهم بتطرّق البصرة ، والإيقاع بها ، وتقدّم إلى سليمان بن موسى في تمرين الأعراب على ذلك؛ فلمّا وقع الكسوف أنهض عليّ بن أبان ، وضمّ إليه طائفة من الأعراب ، وأمره بإتيان البصرة مما يلي بني سعد ، وكتب إلى يحيى بن محمد البحرانيّ ـ وهو يومئذ محاصر أهل البصرة ـ في إتيانها مما يلي نهر عديّ ، وضمّ سائر الأعراب إليه ، قال محمد بن الحسن : قال شبل : فكان أوّل مَنْ واقع أهل البصرة عليّ بن أبان ، وبُغراج يومئذ بالبصرة في جماعة من الجُند ، فأقام يقاتلهم يومين ، ومال الناس نحوه .

وأقبل يحيى بمن معه مما يلي قصر أنس قاصداً نحو الجسر ، فدخل عليّ بن أبان المهلبيّ وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال ، فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت ويوم السبت ، وغادى يحيى البصرة يوم

الأحد ، فتلقّاه بُغراج وبُرَيْهُ في جَمْع فردّاه ، فرجع فأقام يومه ذلك ، ثم غاداهم يوم الإثنين ، فدخل وقد تفرّق الجند ، وهرب بُريه ، وانحاز بغراج بمَن معه ، فلم يكن في وجهه أحدٌ يدافعه ، ولقيَه إبراهيم بن يحيى المهلبيّ ، فاستأمنه لأهل البصرة فآمنهم ، ونادى منادي إبراهيم بن يحيى: مَنْ أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم ، فحضر أهل البصرة قاطبةً حتى ملؤوا الرّحاب ، فلما رأى اجتماعَهم انتهز الفرصة في ذلك منهم ، فأمر بأخذ السكك والطرق والدّرُوب لئلا يتفرقوا ، وغَدر بهم ، وأمر أصحابه بقتلهم ، فقتل كلّ مَنْ شهد ذلك المشهد إلا الشاذّ ، ثم انصرف يومَه ذلك ، فأقام بقصر عيسى بن جعفر بالخُرَيبة .

قال محمد: وحدّثني الفضل بن عديّ الدارميّ ، قال: أنا حين وجّه الخائن لحرب أهل البصرة في حَيز أهل البصرة مُقيمٌ في بني سعد ، قال: فأتانا آت في الليل؛ فذكر أنه رأى خيلاً مجتازة تؤمّ قصر عيسى بالخرَيبة ، فقال لي أصحابي: اخرج فتعرّف لنا خَبَر هذه الخيل ، فخرجتُ فإذا جماعة من بني تميم وبني أسد ، فسألتُهم عن حالهم ، فزعموا أنهم أصحاب العَلَويّ المضمومون إلى عليّ بن أبان ، وأنّ عليّاً يوافِي البصرة في غدِ تلك الليلة ، وأنّ قصده لناحية بني سعد ، وأن يحيى بن محمد بجمعه قاصد لناحية آل المهلب. فقالوا: قل لأصحابك من بني سعد: إن كنتم تريدون تحصينَ حُرَمكم ، فبادروا إخراجهم قبل إحاطة الجيش بكم .

قال الفضل: فرجعتُ إلى أصحابي ، فأعلمتُهم خبرَ الأعراب فاستعدّوا ، فوجهوا إلى بُريْه يعلِمونه الخبر ، فوافاهم فيمن كان بقِيَ من الخَول وجماعة من الجند وقت طلوع الفجر ، فساروا حتى انتهوْا إلى خندق يعرف ببني حِمَّان ، ووافاهم بنو تميم ومقاتلة السعديّة ، فلم يلبثوا أن طلع عليهم عليّ بن أبان في جماعة الزَّنْج والأعراب على مُتون الخيل ، فذهِل بُريه قبل لقاء القوم ، فرجع إلى منزله؛ فكانت هزيمةٌ ، وتفرّق مَنْ كان اجتمع من بني تميم ، ووافى عليّ فلم يدافعه أحدٌ ، ومرّ قاصداً إلى المِرْبد ، ووجّه بُرَيه إلى بني تميم يستصرخُهم ، فنهض إليه منهم جماعة ، فكان القتال بالمِرْبَد بحضرة دار بُرَيْه ، ثم انهزم بُريه عن داره ، وتفرّق الناس لانهزامه ، فأحرقت الزنج دارَه ، وانتهبوا ما كان فيها ، فأقام الناس يقتلون هنالك ، وقد ضَعُف أهلُ البصرة ، وقوِي عليهم الزَّنْج ،

واتصلت الحرب بينهم إلى آخر ذلك اليوم ، ودخل عليّ المسجد الجامع فأحرقه ، وأدركه فتح غلام أبي شيث في جماعة من البصريّين ، فانكشف عليّ وأصحابه عنهم ، وقُتِل من الزَّنْج قوم ، ورجع عليّ فعسكر في الموضع المعروف بمقبرة بني شيبان ، فطلب الناس سلطاناً يقاتلون معه فلم يجدوه ، وطلبوا بُريْهاً ، فوجدوه قد هرب ، وأصبح أهلُ البصرة يوم السبت ، فلم يأتهم عليّ بن أبان ، وغاداهم يوم الأحد ، فلم يقف له أحد ، وظفر بالبصرة .

قال محمد بن الحسن : وحدّثني محمد بن سمعان ، قال : كنت مقيماً بالبصرة في الوقت الذي دخلها الزَّنْج ، وكنت أحضرُ مجلس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المعروف ببُريه ، فحضرته وحضر يوم الجمعة لعشر ليال خلون من شوال سنة سبع وخمسين ومئتين وعنده شهاب بن العلاء العنبريّ ، فسمعتُ شهاباً يحدّثه أن الخائن قد وجّه بالأموال إلى البادية ليعرّض بها رجال العرب ، وأنه قد جمع جمعاً كثيراً من الخيل ، وهو يريد تورّد البصرة بهم وبرجّالته من الزنج ، وليس بالبصرة يومئذ من جند السلطان إلا نيّف وخمسون فارساً مع بُغراج ، فقال بُريه لشهاب : إنّ العرب لا تقدم عليّ بمساءة؛ وكان بريه مطاعاً في العرب ، محبّباً إليهم .

قال ابن سمعان : فانصرفت من مجلس بُرَيه ، فلقيت أحمد بن أيوب الكاتب ، فسمعته يحكي عن هارون بن عبد الرحيم الشيعيّ؛ وهو يومئذ يلي بَريد البصرة ، أنّه صَحّ عنده أن الخائن جمّع لثلاث خَلَوْن من شَوّال في تسعة أنفس؛ فكان وجوه أهل البصرة وسلطانها المقيم بها من الغَبَا عن حقيقة خبر الخائن على ما وصفت ، وقد كان الحصار عضّ أهل البصرة ، وكثر الوباء بها ، واستعرَت الحرب فيها بين الحزبين المعروفين بالبلالية والسعدية .

فلما كان يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيَتْ من شوّال من هذه السنة ، أغارت خيل الخائن على البَصْرة صبحاً في هذا اليوم؛ من ثلاثة أوجه من ناحية بني سَعْد والمربد والخُرَيبة؛ فكان يقودُ الجيش الذي سار إلى المِربَد عليّ بن أبان ، وقد جعل أصحابه فرقتين؛ فرقة وَلّى عليها رفيقاً غلام يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان ، وأمرهم بالمصير إلى بني سعد ، والفرقة الأخرى سار هو فيها إلى المِرْبَد؛ وكان يقود الخيل التي أتت من ناحية الخُريبة يحيى بن محمد الأزرق

البحرانيّ ، وقد جمع أصحابه من جهة واحدة؛ وهو فيهم؛ فخرج إلى كلّ فرقة من هؤلاء من خفّ مِن ضعفاء أهل البصرة ، وقد جَهَدهم الجوع والحصار ، وتفرّقت الخيل التي كانت مع بُغراج فرقتين: فرقة صارت إلى ناحية المِرْبَد ، وفرقة صارت إلى ناحية الخُرَيبة ، وقاتل من ورد ناحية بني سعد جماعة من مقاتلة السعديّة فتح غلام أبي شيث وصحبه ، فلم يُغْنِ قليلٌ من أهل البصرة إلى جموع الخبيث شيئاً ، وهجم القوم بخيلهم ورجلهم.

قال ابن سمعان: فإنّي يومئذ لفِي المسجد الجامع؛ إذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاثة أوجه: زهران والمِرْبد وبني حِمَّان في وقت واحد؛ كأنّ موقِدِيها كانوا على ميعاد؛ وذلك صدْر يوم الجمعة ، وجلّ الخطب ، وأيقن أهل البصرة بالهلاك ، وسَعَى مَنْ كان في المسجد الجامع إلى منازلهم ، ومضيتُ مبادراً إلى منزلي؛ وهو يومئذ في سكة المِرْبد ، فلقيني منهزمو أهل البصرة في السكة راجعين نحو المسجد الجامع ، وفي أخراهم القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشميّ؛ وهو على بغل متقلّد سيفاً يصيح بالناس: ويحكم! أتسلمون بلدكم وحرمكم! هذا عدوّكم قد دخل البلد، فلم يلووا عليه ، ولم يسمعوا منه ، فمضى وانكشفت سكة المِرْبد؛ فصار بين المنهزمين والزَّنج فيها فضاء يسافر فيه البَصر.

قال محمد: فلما رأيتُ ذلك دخلت منزلي ، وأغلقت بابي ، وأشرفتُ فإذا خيل من الأعراب ورجّالة الزنج ، تقدَّمهم رجل على حصان كُميت ، بيده رمح ، عليه عَذبة صفراء؛ فسألت بعد أن صِير بي إلى مدينة الخائن عن ذلك الرجل ، فادّعى عليّ بن أبان أنه ذلك الرجل ، وأنّ الراية الصفراء رايتُه ، ودخل القوم ، فغابوا في سكة المِرْبد إلى أن بلغوا باب عثمان؛ وذلك بعد الزوال ثم انصرفوا ، فظنّ الناس من رعاع أهل البصرة وجهالهم أنّ القوم قد مضوْا لصلاة الجمعة ، وكان الذي صرفهم أنهم خشوا أن يخرجَ عليهم جمع السعديّة والبلالية من المربَّعة ، وخافوا الكمناء هناك فانصرفوا وانصرف من كان بناحية زَهْران وبني حصن؛ وذلك بعد أن أحرقوا وأنهبوا واقتدروا على البلد ، وعلموا أنه لا مانع لهم منه ، فأغبُّوا السبت والأحد ، ثم غادوا البصرة يوم الإثنين ، فلم يجدوا عنها مدافعاً ، وجُمع الناس إلى باب إبراهيم بن يحيى المهلبيّ وأعطوا الأمان.

قال محمد بن سمعان: فحدثني الحسن بن عثمان المهلبيّ الملقب بمُنْدَلِقَة

ـ وكان من أصحاب يحيى بن محمد ـ قال: أمرني يحيى في تلك الغداة بالمصير إلى مقبرة بني يَشْكر ، وحَمْل ما كان هناك من التنانير ، فصرتُ إليها ، فحملتُ نَيِّفاً وعشرين تَنّوراً على رؤوس الرجال ، حتى أتيت بها دار إبراهيم بن يحيى ، والناس يظنّون أنها تعدّ لاتخاذ طعام لهم؛ وهم من الجوع وشدة الحصار والجهد على أمر عظيم ، وكثر الجمع بباب إبراهيم بن يحيى ، وجعلوا ينوبون ويزدادون؛ حتى أصبحوا وارتفعت الشمس.

قال ابن سمعان: وأنا يومئذ قد انتقلت من سكة المربد من منزلي إلى دار جدّ أمي هشام المعروف بالدافّ ، وكانت في بني تميم ، وذلك للذي استفاض في الناس من دخول بني تميم في سِلْم الخائن؛ فإني لهناك إذ أتى المخبرون بخبر الوَقْعة بحضرة دار إبراهيم بن يحيى ، فذكروا أن يحيى بن محمد بن البحرانيّ أمر الزَّنج ، فأحاطوا بذلك الجمع ، ثم قال: مَنْ كان من آل المهلب فلْيدخل دار إبراهيم بن يحيى ، فدخلتْ جماعة قليلة ، وأغلقوا الباب دونهم ، ثم قيل للزَّنج: دونكم الناس فاقتلوهم ، ولا تُبقوا منهم أحداً ، فخرج إليهم محمد بن عبد الله المعروف بأبي الليث الأصبهاني ، فقال للزَّنج: كيلوا ـ وهي العلامة التي كانوا يعرفونها فيمن يؤمرون بقتله ـ فأخذ الناسَ السيف.

قال الحسن بن عثمان: فإني لأسمع تشهّدهم وضجيجهم ، وهم يقتَلون ، ولقد ارتفعت أصواتهم بالتشهّد؛ حتى لقد سمعت بالطُّفَاوة ، وهم على بعُد من الموضع الذي كانوا به ، قال: ولما أتِيَ على الجمع الذي ذكرنا أقبل الزّنج على قتل مَنْ أصابوا ، ودخل عليّ بن أبان يومئذ ، فأحرق المسجد الجامع ، وراح إلى الكَلّاء ، فأحرقه من الجبل إلى الجسر ، والنار في كلّ ذلك تأخذ في كلّ شيء مَرّت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع ، ثم ألحّوا بالغُدوّ والرّواح على مَنْ وجدوا يسوقونهم إلى يحيى بن محمّد؛ وهو يومئذ نازلٌ بسَيْحان؛ فمن كان ذا مال قرّره حتى يستخرج ماله ويقتله ، ومن كان مُمْلِقاً قتله.

وذُكِرَ عن شبْل أنه قال: باكر يحيى البصْرة يوم الثلاثاء بعد قتل مَنْ قتل بباب إبراهيم بن يحيى ، فجعل ينادي بالأمان في الناس ليظهروا ، فلم يظهر له أحدٌ ، وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فصرف عليّ بن أبان عن البصرة ، وأفرد يحيى بها لموافقة ما كان أتى يحيى من القتل إياه ووقوعه لمحبّته ، وأنه استقصر ما كان من

عليّ بن أبان المهلبيّ من الإمساك عن العيْث بناحية بني سعد.

وقد كان عليّ بن أبان أوفد إلى الخبيث من بني سعد وفداً، فصاروا إليه، فلم يجدوا عنده خيراً، فخرجوا إلى عَبّادان، وأقام يحيى بالبصرة، فكتب إليه الخبيث يأمره بإظهار استخلاف شِبْل على البصرة ليسكن الناس، ويظهر المستخفي، ومَنْ قد عُرف بكثرة المال، فإذا ظهروا أخِذوا بالدلالة على ما دفنوا وأخفَوْا من أموالهم، ففعل ذلك يحيى؛ فكان لا يخلو في يوم من الأيام من جَماعة يُؤتى بهم، فمَنْ عُرف منهم باليسار استنظف ما عنده وقتله، ومن ظهرت له خَلّتهُ عاجله بالقتل؛ حتى لم يدع أحداً ظهر له إلا أتى عليه، وهرب الناس على وجوههم، وصرف الخبيث جيشه عن البصرة.

قال محمد بن الحسن: ولما أخرب الخائن البصرة، وانتهى إليه عظيم ما فعل أصحابه فيها، سمعته يقول: دعوتُ على أهل البصرة في غداة اليوم الذي دخلها أصحابي، واجتهدت في الدعاء، وسجدت، وجعلت أدعو في سجودي، فرُفعتْ إليّ البصرة، فرأيتها ورأيت أصحابي يقاتلون فيها، ورأيت بين السماء والأرض رجلاً واقفاً في الهواء في صورة جَعْفر المعلوف المتوَلّي كان للاستخراج في ديوان الخراج بسامُرّا، وهو قائم قد خفض يده اليسرى، ورفع يده اليمنى، يريد قلب البصرة بأهلها، فعلمتُ أن الملائكة تولّت إخرابها دون أصحابي ولو كان أصحابي تولَّوْا ذلك لما بلغوا هذا الأمر العظيم الذي يحكى عنها، وإن الملائكة لتنصرني وتؤيدني في حربي، وتثبِّت مَن ضعُف قلبه من أصحابي.

قال محمد بن الحسن: وانتسب الخبيث إلى يحيى بن زيد بن عليّ بعد إخرابه البصرة، وذلك لمصير جماعة من العلويّة الذين كانوا بالبصرة إليه، وأنه كان فيمن أتاه منهم عليّ بن أحمد بن عيسى بن زيد، وعبد الله بن عليّ في جماعة من نسائهم وحُرَمهم، فلمّا جاؤوه ترك الانتساب إلى أحمد بن عيسى، وانتسب إلى يحيى بن زيد.

قال محمد بن الحسن: سمعتُ الخبيث وقد حضره جماعة من النوْفليّين، فقال القاسم بن الحسن النوفليّ: إنه قد كان انتهى إلينا أنك من ولد أحمد بن عيسى بن زيد، فقال: لست من ولد عيسى، أنا من ولد يحيى بن زيد. وهو في ذلك كاذب، لأن الإجماع في يحيى أنه لم يعقِب إلا بنتاً ماتت وهي ترضع.

[ذكر الخبر عن الحرب بين محمد المولَّد والزنج][(١)]

وفيها أشخص السلطان محمداً المولّد إلى البصرة لحرب صاحب الزَّنْج ، فشخص من سامُرّا يوم الجمعة لليلة خلت من ذي القعدة .

* ذكر الخبر عما كان من أمر المولَّد هناك :

ذكر أن محمداً المعروف بالمولَّد لما صار إلى ما هنالك نزل الأبُلّة ، وجاء بُـرَيه ، فنزل البصرة ، واجتمع إلى بُريه من أهل البصرة خلق كثير ممن كان هرب ، وكان يحيى حين انصرف عن البصرة أقام بالنهر المعروف بالغوثيّ .

قال محمد : قال شِبْل : فلما قدم محمد المولَّد كتب الخبيث إلى يحيى يأمره بالمصير إلي نهر أوّا ، فصار إليه بالجيش ، وأقام يحارب المولّد عشرة أيام ، ثم أوطن المولّد المقام ، واستقرّ وفتر عن الحرب ، فكتب الخبيث إلى يحيى يأمره بتبييته ، ووجَّه إليه الشذا مع المعروف بأبي الليث الأصبهانيّ ، فبيّته ونهض المولَّد بأصحابه ، فقاتلهم بقية ليلته ومن غدٍ إلى العصر ، ثم ولى منصرفاً ، ودخل الزّنج عسكره ، فغنموا ما فيه ، فكتب يحيى إلى الخبيث بخبره ، فكتب إليه يأمره باتباعه ، فاتبعه إلى الحوانيت ، وانصرف ، فمرّ بالجامدَة ، فأوقع بأهلها ، وانتهب كلَّ ما كان في تلك القرى ، وسفَك ما قدر على سفكه من الدماء ، ثم عسكر بالجالة ، فأقام هناك مدّة ، ثمّ عاد إلى نهر معقل .

وفيها أخذ محمد المولّد سعيد بن أحمد بن سعيد بن سَلْم الباهليّ ، وكان قد تغلّب على البطائح ، هو وأصحابه من باهلة وأفسدوا الطريق .

وفيها خالف محمد بن واصل السلطان بفارس ، وغلب عليها .

وحجّ بالناس في هذه السنة الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس[(٢)] .

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٢٥).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ١٢٥).

وفيها وثب بسيل المعروف بالصقلبيّ ـ وقيل له الصقلبيّ وهو من أهل بيت المملكة ، لأن أمه صقلبيَّة ـ على ميخائيل بن توفيل ملك الروم فقتله ، وكان ميخائيل منفرداً بالمملكة أربعاً وعشرين سنة ، وتملّك الصقلبيّ بعده على الروم[١] .

* * *

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من الموافاة بسعيد بن أحمد بن سعيد بن سلْم الباهليّ باب السلطان ، وأمر السلطان بضربه بالسياط ، فضرب سبعمئة سوط ـ فيما قيل ـ في شهر ربيع الآخر منها ، فمات فصُلِب[٢] .

وفيها ضُرب عنق قاضٍ لصاحب الزَّنج ، كان يقضي له بعبّادان ، وأعناق أربعة عشر رجلاً من الزَّنْج بباب العامّة بسامُرّا؛ كانوا أسِرُوا من ناحية البصرة[٣] .

وفيها أوقع مُفْلح بأعراب بتَكريت ، ذكر أنهم كانوا مايلوا الشاري مساوراً.

وفيها أوقع مسرور البلخيّ بالأكراد اليعقوبيّة فهزمهم ، وأصاب فيهم.

وفيها دخل محمد بن واصل في طاعة السلطان ، وسلم الخراج والضياع بفارس إلى محمد بن الحسين بن الفيّاض.

وعقد المعتمد يوم الإثنين لعشر بقين من شهر ربيع الأول لأبي أحمد أخيه على ديار مُضر وقنَّسرين والعواصم ، وجلس يوم الخميس مستهلّ شهر ربيع الآخر ، فخلع عليه وعلى مُفلِح ، فشخصا نحو البصرة ، وركب ركوباً عامّاً ، وشيع أبا أحمد إلى بَرْكُوَار ، وانصرف[٤] .

* * *

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ١٢٦).

(٢) المصدر السابق (١٢/ ١٣٧).

(٣) المصدر السابق (١٢/ ١٣٦).

(٤) لعقد المعتمد لأخيه أبي أحمد على ديار مضر انظر المنتظم (١٢/ ١٣٦).

[ذكر الخبر عن قتل منصور بن جعفر الخياط]

وفيها قُتِل منصور بن جعفر بن دينار الخياط.

*** ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان أمره:**

ذكر: أن الخبيث لما فرغ أصحابه من أمر البصرة؛ أمر عليّ بن أبان المهلبيّ بالمصير إلى جُبّى لحرب منصور بن جعفر، وهو يومئذ بالأهواز، فخرج إليه فأقام بإزائه شهراً، وجعل منصور يأتي عسكر عليّ وهو مقيم بالخيزُرانيّة، ومنصور إذ ذاك في خفّ من الرجال، فوجّه الخبيث إلى عليّ بن أبان باثنتي عشرة شذاة مشحونة بجُلْدِ أصحابه، وولّى أمرها المعروف بأبي الليث الأصبهاني، وأمره بالسمع والطاعة لعليّ بن أبان فصار المعروف بأبي الليث إلى عليّ، فأقام مخالفاً له، مستبدّاً بالرأي عليه، وجاء منصور كما كان يجيء للحرب، ومعه شذوات، فبدر إليه أبو الليث عن غير مؤامرة منه لعليّ بن أبان، فظفر منصور بالشَّذَوات التي كانت معه، وقَتَل فيها من البِيضان والزَّنج خلقاً كثيراً، وأفلت أبو الليث، فانصرف إلى الخبيث، فانصرف عليّ بن أبان وجميع مَنْ كان معه، فأقاموا شهراً، ثم رجع عليّ لمحاربة منصور في رجاله، فلما استقرّ عليّ وجّه طلائع يأتونه بأخبار منصور، وعساكره، وكان لمنصور وال مقيم بِكَرْنبا، فبيّت عليّ بن أبان ذلك القائد، فقتله وقتل عامّة مَنْ كان معه، وغنم ما كان في عسكره، وأصاب أفراساً، وأحرق العسكر، وانصرف من ليلته حتى صار في ذُنابة نهر جُبَّى، وبلغ الخبر منصوراً، فسار حتى انتهى إلى الخيزُرانيّة، فخرج إليه عليّ في نُفَير من أصحابه، وكانت الحرب بينهما منذ ضحى ذلك اليوم إلى وقت الظهر، ثم انهزم منصورٌ، وتفرّق عنه أصحابُه، وانقطع عنهم، وأدركته طائفة من الزَّنْج اتبعوا أثره إلى نهر يعرف بعمر بن مهْران، فلم يزل يكرّ عليهم حتى تقصّفت رماحه، ونفدت سهامه، ولم يبق معه سلاح، ثم حمل نفسه على النهر ليعبر، فصاح بحصان كان تحته؛ فوثب وقصرت رجلاه، فانغمس في الماء.

قال شبل: كان سبب تقصير الفرس عن عبور النهر بمنصور: أنّ رجلاً من الزّنْج كان ألقى نفسه لمَّا رأى منصوراً قاصداً نحو النهر يريد عبورَه فسبقه سباحةً،

فلما وثب الفرس تلقاه الأسود ، فنكص به ، فغاضا معاً ، ثم أطلع منصور رأسَه ، فنزل إليه غلامٌ من السودان من عُرفاء مصِلح يقال له: أبرون ، فاحتزَّ رأسَه وأخذ سَلبه ، وقُتل ممن كان معه جماعة كثيرة ، وقُتل مع منصور أخوه خَلَف بن جعفر ، فولّى يارجوخ ما كان إلى منصور من العمل أصغجون.

* * *

[ذكر الخبر عن قتل مفلح]

ولاثنتي عشرة بقيتْ من جُمادى الأولى منها ، قُتِل مُفلِح بسهم أصابه بغير نصل في صُدغه يوم الثلاثاء ، فأصبح ميتاً يوم الأربعاء في غدِ ذلك اليوم ، وحُمِلت جثّته إلى سامُرّا ، فدفن بها.

*** ذكر الخبر عن سبب مقتله وكيف كان الوصول إليه:**

قد مضى ذكري شخوص أبي أحمد بن المتوكل من سامُرّا إلى البصرة لحرب اللعين لمَّا تناهى إليه وإلى المعتمد ما كان من فظيع ما ركب من المسلمين بالبصرة ، وما قرب منها من سائر أرض الإسلام ، فعاينتُ أنا الجيش الذي شخص فيه أبو أحمد ومفلح ببغداد ، وقد اجتازوا بباب الطاق ، وأنا يومئذ نازلٌ هنالك ، فسمعت جماعةً من مشايخ أهل بغداد يقولون: قد رأينا جيوشاً كثيرة من الخلفاء ، فما رأينا مثلَ هذا الجيش أحسن عُدّة ، وأكمل سلاحاً وعتاداً ، وأكثر عدداً وجمعاً ، وأتبع ذلك الجيش من متسوّقة أهل بغداد خلق كثير.

وذكر عن محمد بن الحسن أن يحيى بن محمد البحرانيّ كان مقيماً بنهر معقِل قبل موافاة أبي أحمد موضعَ الخبيث ، فاستأذنه في المصير إلى نهر العباس ، فكره ذلك وخاف أن يوافيَه جيشُ السلطان ، وأصحابه متفرّقون ، فألحّ عليه يحيى حتى أذن له ، فخرج واتّبعَه أكثر أهله عسكر الخبيث.

وكان عليّ بن أبان مقيماً بجُبَّى في جمع كثير من الزَّنج ، والبصرة قد صارت مغنماً لأهل عسكر الخبيث؛ فهم يغادونها ويراوحونها لنقل ما نالته أيديهم منها ، فليس بعسكر الخبيث يومئذ من أصحابه إلا القليل؛ فهو على ذلك من حاله حتى وافى أبو أحمد في الجيش الذي كان معه فيه مفلح ، فوافى جيشٌ عظيم هائل لم يرد على الخبيث مثله؛ فلمّا انتهى إلى نهر معقِل هرب مَنْ كان هناك من جيش

الخبيث ، فلحقوا به مرعوبين ، فراع ذلك الخبيث ، فدعى برئيسين من رؤساء جيشه الذي كان هناك ، فسألهما عن السبب الذي له تركا موضعهما؛ فأخبراه بما عاينا من عظم أمر الجيش الوارد ، وكثرة عدد أهله وإحكام عُدّتهم؛ وأنّ الذي عاينا من ذلك لم يكن في قوتهما الوقوف له في العِدّة التي كانا فيها ، فسألهما: هل علما مَنْ يقود الجيش؟ فقالا: لا قد اجتهدنا في علم ذلك ، فلم نجد من يصدُقنا عنه ، فوجّه الخبيث طلائعَه في سُميريّات لتعرف الخبر ، فرجعت رسله إليه بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه؛ ولم يقف أحدٌ منهم على مَنْ يقوده ويرأسه ، فزاد ذلك في جزعه وارتياعه ، فبادر بالإرسال إلى عليّ بن أبان ، يعلمه خبر الجيش الوارد ، ويأمره بالمصير إليه فيمن معه ، ووافى الجيش ، فأناخ بإزائه؛ فلما كان اليوم الذي كانت فيه الوقعة وهو يوم الأربعاء ، خرج الخبيث ليطوف في عسكره ماشياً ، ويتأمل الحال فيمن هو مقيم معه من حزبه ومَنْ هو مقيم بإزائه ، من أهل حربه ، وقد كانت السّماء مطرت في ذلك اليوم مطراً خفيفاً والأرض ثريّة تزل عنها الأقدام ، فطوف ساعة من أول النهار ، ثم رجع فدعا بدواة وقرطاس لينفذ كتاباً إلى عليّ بن أبان ، يعلمه ما قد أظلّه من الجيش ويأمره بتقديم مَنْ قدر على تقديمه من الرّجال ، فإنه لَفِي ذلك إذ أتاه المكتنى أبا دُلف ـ وهو أحد قوّاد السودان ـ فقال له: إن القوم قد صعدوا وانهزم عنهم الزَّنج ، وليس في وجوههم مَنْ يردّهم حتى انتهوْا إلى الحبل الرابع. فصاح به وانتهره ، وقال: اغرُب عني فإنك كاذب فيما حكيتَ؛ وإنما ذلك جزع دخلك لكثرة ما رأيتَ من الجمع ، فانخلع قلبُك ، ولست تدري ما تقول.

فخرج أبو دلف من يديه ، وأقبل على كاتبه ، وقد كان أمر جعفر بن إبراهيم السجّان بالنداء في الزَّنج وتحريكهم للخروج إلى موضع الحرب؛ فأتاه السجّان ، فأخبره أنه قد ندب الزَّنج ، فخرجوا ، وإنّ أصحابه قد ظفروا بسُمَيريّتين ، فأمره بالرجوع لتحريك الرّجّالة ، فرجع ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً ، حتى أصيب مفلح بسهم غَرَبٍ لا يُعرف الرامي به ، ووقعت الهزيمة ، وقَويَ الزنج على أهل حربهم ، فنالوهم بما نالوهم به من القتل ، ووافى الخبيث زنجه بالرؤوس قابضين عليها بأسنانهم حتى ألقوْها بين يديه ، فكثرت الرؤوس يومئذ حتى ملأت كلّ شيء ، وجعل الزّنج يقتسمون لحوم القتلى ويتهادوْنها بينهم.

وأتى الخائن بأسير من أبناء الفراغنة ، فسأله عن رأس الجيش ، فأعلمه بمكان أبى أحمد ومفْلِح ، فارتاع لذكر أبي أحمد ـ وكان إذا راعه أمر كذّب به ـ فقال: ليس في الجيش غير مفلِح! لأني لست أسمع الذكر إلا له؛ ولو كان في الجيش مَن ذكر هذا الأسير لكان صوتُه أبعد ، ولمَا كان مفلح إلاَّ تابعاً له ، ومضافاً إلى صحبته.

وقد كان أهلُ عسكر الخبيث لمَّا خرج عليهم أصحاب أبي أحمد ، جزعوا جزعاً شديداً ، وهربوا من منازلهم ، ولجؤوا إلى النهر المعروف بنهر أبي الخصيب ولا جسر يومئذ عليه ، فغرق فيه يومئذ خلق كثير من النساء والصبيان ، ولم يلبث الخبيث بعد الوقعة إلا يسيراً ، حتى وافاه عليّ بن أبان في جمع من أصحابه ، فوافاه وقد استغنى عنه ، ولم يلبث مُفلحٌ أن مات ، وتحيّز أبو أحمد إلى الأبُلّة ، ليجمع ما فرّقت الهزيمة منه ، ويجدّد الاستعداد ، ثم صار إلى نهر أبي الأسد فأقام به.

قال محمد بن الحسن: فكان الخبيث لا يدري كيف قُتل مُفْلِح ، فلما بلغه أنه أصيب بسهم ، ولم ير أحداً ينتحل رميَه ادّعى: أنه كان الراميَ له.

قال: فسمعته يقول: سقط بين يديّ سهم ، فأتاني به واح خادمي ، فدفعه إليّ ، فرميت به فأصبت مفلحاً.

قال محمد: وكذَب في ذلك ، لأني كنت حاضراً ذلك المشهد ، وما زال عن فرسه ، حتى أتاه المخبر بخبر الهزيمة ، وأتِيَ بالرؤوس وانقضت الحرب.

* * *

وفي هذه السنة وقع الوباء في الناس في كور دِجْلة ، فهلك فيها خَلْق كثير في مدينة السَّلام وسامُرّا وواسط وغيرها.

وفيها قُتل خرسخارس ببلاد الروم في جماعة من أصحابه.

* * *

[ذكر خبر أسر يحيى بن محمد البحرانيّ ثم قتله](١)

وفيها أسِر يحيى بن محمد البحرانيّ صاحب قائد الزّنج ، وفيها قُتِل.

* ذكر الخبر عن أسره وقتله وكيف كان ذلك :

ذكِر عن محمد بن سمعان الكاتب أنه قال: لمّا وافَى يحيى بن محمد نهر العباس ، لقيه بفُوّهة النهر ثلثمئة وسبعون فارساً من أصحاب أصغجون العامل ـ كان عامل الأهواز في ذلك الوقت ، كانوا مرتّبين في تلك الناحية ـ فلما بصر بهم يحيى استقلّهم ، ورأى كثرة مَنْ معه من الجمع مما لا خوف عليه معهم ، فلقيتهم أصحابه غير مستجنّين بشيء يردّ عنهم عاديتهم ، ورشقتهم أصحابُ أصغجون بالسهام ، فأكثروا الجراح فيهم ، فلمّا رأى ذلك يحيى عبّر إليهم عشرون ومئة فارس كانت معه ، وضمّ إليهم من الرّجال جمعاً كثيراً ، وانحاز أصحاب أصغجون عنهم ، وولج البحرانيّ ومَنْ معه نهر العباس؛ وذلك وقت قلّة الماء في النهر ، وسفنُ القَيْروانات جانحة على الطين.

فلما أبصر أصحابُ تلك السفن بالزَّنج تركوا سفنَهم ، وحازها الزَّنج ، وغنموا ما كان فيها غنائم عظيمة جليلة ، ومضوْا بها متوجّهين نحو البطيحة المعروفة ببطيحة الصحناة ، وتركوا الطريق النّهج ، وذلك للتحاسد الذي كان بين البحرانيّ وعليّ بن أبي المهلبيّ ، وإن أصحاب يحيى أشاروا عليه ألا يسلك الطريق الذي يمرّ فيها بعسكر عليّ ، فأصغى إلى مشورتهم ، فشرعوا له الطريق المؤدي إلى البطيحة التي ذكرنا ، فسلكها حتى ولج البطيحة ، وسرّح الخيل التي كانت معه ، وجعل معها أبا الليث الأصبهانيّ ، وأمره بالمصير بها إلى عسكر قائد الزَّنج ، وكان الخبيث وجّه إلى يحيى البحرانيّ يعلمه ورودَ الجيش الذي ورد عليه ، ويأمره بالتحرّز في منصرفه من أن يلقاه أحدٌ منهم ، فوجّه البحرانيّ الطلائع إلى دِجْلة فانصرفت طلائعه وجيش أبي أحمد منصرف من الأبُلّة إلى نهر أبي الأسد ، وكان السبب في رجوع الجيش إلى نهر أبي الأسد: أنّ رافع بن بِسطام وغيره من مجاوري نهر العباس وبطيحة الصّحْناة كتبوا إلى أبي أحمد

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٤).

يعرّفونه خبر البحرانّي وكثرة جمعه ، وأنه يقدّر أن يخرج من نهر العباس إلى دِجْلة فيسبق إلى نهر أبي الأسد ويعسكر به ، ويمنعه المِيرة ، ويحولُ بينه وبين من يأتيه أو يصدر عنه؛ فرجعت إليه طلائعهُ بخبره ، وعظم أمر الجيش عنده ، وهيبته منه؛ فرجع في الطريق الذي كان سلكه بمشقة شديدة نالتْه ونالت أصحابه ، وأصابهم وباء من تردّدهم في تلك البطيحة ، فكثر المرض فيهم ، فلما قربوا من نهر العباس جعل يحيى بن محمد سليمان بن جامع على مقدّمته ، فمضى يقود أوائل الزَّنْج ، وهم يجرّون سفنهم ، يريدون الخروج من نهر العباس ، وفي النهر للسلطان شذوات وسميريات تحمي فوّهته من قبل أصغجون ، ومعها جَمْعٌ من الفُرْسان والرّجالة ، فراعه وأصحابه ذلك ، فخلَّوْا سفنهم ، وألقَوْا أنفسَهم في غربيّ نهر العباس ، وأخذوا على طريق الزّيدان ماضين نحو عسكر الخبيث ، ويحيى غارّ بما أصابهم ، لم يأتِه علم شي من خبرِهم ، وهو متوسِّط عسكره ، قد وقف على قنطرة قُورَج العباس في موضع ضيّق تشتدّ فيه جرية الماء ، فهو مشرف على أصحابه الزَّنْج وهم في جرّ تلك السفن التي كانت معهم ، فمنها ما يغرق ، ومنها ما يسلم .

قال محمد بن سمعان : وأنا في تلك الحال معه واقف ، فأقبل عليّ متعجّباً من شدّة جرية الماء وشدّة ما يلقى أصحابه من تلقّيه بالسفن ، فقال لي : أرأيتَ لو هجم علينا عدوّنا في هذه الحال ، مَنْ كان أسوأ حالاً منا! فما انقضى كلامُه حتى وافاه طاشتمر التركيّ في الجيش الذي أنفذه إليهم أبو أحمد عند رجوعه من الأبُلّة إلى نهر أبي الأسد ، ووقعت الضّجّة في عسكره .

قال محمد : فنهضت مُتشوقاً للنظر؛ فإذا الأعلام الحمر قد أقبلتْ في الجانب الغربيّ من نهر العباس ويحيى به ، ولما رآها الزَّنْج ألقَوْا أنفسهم في الماء جملة ، فعبروا إلى الجانب الشرقيّ ، وعرِيَ الموضع الذي كان فيه يحيى ، فلم يبق معه إلا بضعة عشر رجلاً ، فنهض يحيى عند ذلك ، فأخذ درقتَه وسيفه ، واحتزم بمنديل ، وتلقَّى القوم الذين أتوْه في النفر الذين معه ، فرشقهم أصحاب طاشتمر بالسهام ، وأسرع فيهم الجراح ، وجرح البحرانيّ بأسهم ثلاثة في عَضُدْيه وساقه اليسرى ، فلما رآه أصحابه جريحاً تفرّقوا عنه ، فلم يعرَف فيقصد له ، فرجع حتى دخل بعض تلك السفن ، وعَبَر به إلى الجانب الشرقيّ من النهر؛ وذلك وقت

الضحى من ذلك اليوم ، وأثقَلت يحيى الجراحات التي أصابتْه ، فلما رأى الزّنج ما نزل به اشتدّ جزعهم ، وضعفت قلوبهم ، فتركوا القتال ، وكانت همّتهم النجاة بأنفسهم ، وحاز أصحاب السلطان الغنائم التي كانت في السفن بالجانب الغربيّ من النهر؛ فلما حَوَوْها أقعدوا في بعض تلك السفن النّفاطين وعبّروهم إلى شرقيّ النهر ، فأحرقوا ما كان هناك من السفن التي كانت في أيدي الزّنج ، وانفضّ الزَّنج عن يحيى ، فجعلوا يتسللون بقية نهارهم بعد قتل فيهم ذريع ، وأسر كثير؛ فلمّا أمسوا وأسدف الليل طارُوا على وجوههم ، فلما رأى يحيى تفرّق أصحابه ، ركب سُمَيريّة كانت لرجل من المقاتلة البِيضان ، وأقعَد معه فيها متطبّباً يقال له عبّاد يعرف بأبي جيش؛ وذلك لِمَا كان به من الجراح ، وطمع في التخلّص إلى عسكر الخبيث ، فسار حتى قرب من فُوّهة النهر ، فبصُر ملاحو السميريّة بالشذا والسميريّات واعتراضها في النهر ، فجزعوا من المرور بهم ، وأيقنوا أنهم مدرَكون ، فعبروا إلى الجانب الغربيّ ، فألقَوْه ومَنْ معه على الأرض في زرع كان هناك ، فخرج يمشي وهو مثقَل؛ حتى ألقى نفسه؛ فأقام بموضعه ليلَته تلك ، فلما أصبح بموضعه ذلك نهض عبّاد المتطبّب الذي كان معه ، فجعل يمشي متشوقاً لأن يرى إنساناً فرأى بعض أصحاب السلطان ، فأشار إليهم فأخبرهم بمكان يحيى ، وأتاه بهم حتى سلّمه إليهم.

وقد زعم قوم: أنّ قوماً مرُّوا به ، فرأوه فدلّوا عليه ، فأخِذ ، فانتهى خبره إلى الخبيث صاحب الزَّنْج فاشتدّ لذلك جزعه ، وعظم عليه توجّعه.

ثم حمِل يحيى بن محمد الأزرق البحرانيّ إلى أبي أحمد ، فحمله أبو أحمد إلى المعتمد بسامُرّا ، فأمر ببناء دكة بالحَيْر ، بحضرة مجرى الحلبة فبُنيت ، ثم رفع للناس حتى أبصروه ، فضرب بالسياط.

وذُكر: أنه دخل سامرّا يوم الأربعاء لتسع خلوْن من رجب على جمل ، وجلس المعتمد من غدِ ذلك اليوم ـ وذلك يوم الخميس ـ فضُرب بينْ يديه مئتي سوط بثمارها ، ثم قُطعت يداه ورجلاه من خلاف ، ثم خُبط بالسيوف ، ثم ذُبح ثم أحرق.

قال محمد بن الحسن: لمّا قُتِل يحيى البحرانيّ ، وانتهى خبره إلى صاحب الزّنج؛ قال: عَظُم عليّ قتله ، واشتدّ اهتمامي به ، فخوطبتُ فقيل لي: قتلُه خير

لك ، إنه كان شرهاً ، ثم أقبل على جماعة كنت أنا فيهم ، قال : ومنْ شرهه أنا غنمنا غنيمة من بعض ما كنَّا نصيبه؛ فكان فيه عقدان ، فوقعا في يد يحيى ، فأخفى عني أعظمهما خطراً ، وعرض عليّ أخسهما ، واستوهبنيه فوهبته له ، فرُفع لي العقد الذي أخفاه ، فدعوته فقلت : أحضرْني العقد الذي أخفيتَه ، فأتاني بالعقد الذي وهبتُه له ، وجحد أن يكون أخذ غيره ، فرُفِع لي العقد ، فجعلت أصفه وأنا أراه ، فبُهت ، وذهب فأتاني به ، واستوهبنيه فوهبتُه له ، وأمرته بالاستغفار .

وذكر عن محمد بن الحسن : أن محمد بن سمعان حدّثه : أنّ قائد الزنج قال لي في بعض أيامه : لقد عُرِضَتْ عليّ النبوّة فأبيتُها ، فقلتُ : ولمَ ذاك؟ قال : لأنّ لها أعباء خِفت ألا أطيق حملها!

* * *

[ذكر خبر انحياز أبي أحمد بن المتوكل إلى واسط]

وفي هذه السنة انحاز أبو أحمد بن المتوكل من الموضع الذي كان به من قرب من قائد الزّنج إلى واسط[1] .

* ذكر الخبر عن سبب انحيازه ذلك إليها :

ذُكر : أنّ السبب في ذلك كان أنّ أبا أحمد لمّا صار إلى نهر أبي الأسد ، فأقام به؛ كثر العلل فيمن معه من جنده وغيرهم ، وفشا فيهم الموت ، فلم يزل مقيماً هنالك حتى أبلّ مَنْ نجا منهم من الموت من عِلّته ، ثم انصرف راجعاً إلى باذاوَرْد ، فعسكر به ، وأمر بتجديد الآلات وإعطاء مَنْ معه من الجند أرزاقَهم وإصلاح الشذوات والسميريات والمعابر ، وشحنها بالقوّاد مِنْ مواليه وغلمانه ، ونهض نحو عسكر الخبيث ، وأمر جماعة من قُوّاده بقصد مواضع سمّاها لهم من نهر أبي الخصيب وغيره ، وأمر جماعة منهم بلزومه والمحاربة معه في الموضع الذي يكون فيه ، فمال أكثر القوم حين وقعت الحرب ، والتقى الفريقان إلى نهر أبي الخصيب ، وبقي أبو أحمد في قلّة من أصحابه ، فلم يَزُلْ عن موضعه إشفاقاً

(١) لم يتحدث ابن الجوزي عن هذه المسألة وانظر البداية والنهاية [٨/ ٢٣٤].

من أن يطمع فيه الزَّنْج وفيمن بإزائهم من أصحابه وهم بسبخة نهر منكى ، وتأمل الزّنج تفرق أصحاب أبي أحمد عنه ، وعرفوا موضعه ، فكثروا عليه ، واستعَرَت الحرب ، وكثر القتل والجراح بين الفريقين وأحرق أصحاب أبي أحمد قصوراً ومنازل من منازل الزَّنْج ، واستنقذوا من النساء جمعاً كثيراً ، وصرف الزَّنج جمعهم إلى الموضع الذي كان فيه أبو أحمد فظهر الموفّق على الشَّذَا ، وتوسَّط الحرب محرّضاً أصحابه حتى أتاه مِنْ جمع الزَّنْج ما عَلِمَ أنه لا يقاومَ بمثل العدّة اليسيرة التي كان فيها ، فرأى أنّ الحزم في محاجزتهم ، فأمر أصحابه عند ذلك بالرجوع إلى سفنهم على تُؤدَة ومَهَل ، فصار أبو أحمد إلى الشَّذَا التي كان فيها بعد أن استقرّ أكثرُ الناس في سفنهم ، وبقيت طائفة من الناس ، ولجؤوا إلى تلك الأدغال والمضايق ، فانقطعوا عن أصحابهم ، فخرج عليهم كُمناء الزَّنج ، فاقتطعوهم ووقعوا بهم ، فحامَوْا عن أنفسهم ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وقتلوا عدداً كثيراً من الزَّنْج ، وأدركتهم المنايا فقتلوا وحَمَلوا إلى قائد الزنج مئة رأس وعشرة أرؤس ، فزاد ذلك في عتوّه ، ثم انصرف أبو أحمد إلى الباذاوَرْد في الجيش ، وأقام يعبي أصحابه للرجوع إلى الزَّنج ، فوقعت نار في طرف من أطراف عسكره ؛ وذلك في أيام عصوف الريح ، فاحترق العسكر ، ورحل أبو أحمد منصرفاً ، وذلك في شعبان من هذه السنة إلى واسط ، فلمَّا صار إلى واسط تفرّق عنه عامة من كان معه من أصحابه .

* * *

ولعشر خلون من شعبان كانت هدَّة صعبة هائلة بالصَّيْمَرَة ، ثم سُمع من غد ذلك اليوم ـ وذلك يوم أحد ـ هدّة هي أعظم من التي كانت في اليوم الأول ، فتهدّم من ذلك أكثر المدينة ، وتساقطت الحيطان وهلك من أهلها ـ فيما قيل ـ زهاء عشرين ألفاً .

وضرب بباب العامة بسامرّا رجل يعرف بأبي فَقْعَس ، قامت عليه البيّنة ـ فيما قيل ـ بشتم السلف ألف سوط وعشرين سوطاً ، فمات وذلك يوم الخميس لسبع خلوْن من شهر رمضان[١] .

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٣٦).

مات يارْجُوخ يوم الجمعة لثمان خلون من شهر رمضان، فصلى عليه أبو عيسى بن المتوكل، وحضر جعفر بن المعتمد.

وفيها كانت وقْعَة بين موسى بن بُغا وأصحاب الحسن بن زيد، فهزم موسى أصحابَ الحسن.

وفيها انصرف مسرور البلخيّ عن مساور الشاريِ إلى سامُرّا، ومعه أسراء من الشُراة، واستخلف على عسكره بالحديثة جعلان، ثم شخص أيضاً مسرور البلخيّ إلى ناحية البوازيج، فلقيَ مساوراً بها، فكانت بينهما وقعة بها أسر مسرور من أصحابه جماعة، ثم انصرف لليال بقيت من ذي الحجة[١].

وفي هذ السنة حدث في الناس ببغداد داء كان أهلها يسمُّونه القُفّاع.

وفيها رجع أكثر الحاجّ من القَرْعاءِ خوفَ العطش، وسلم مَنْ سار منهم إلى مكة.

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن[٢].

* * *

ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك منصرف أبي أحمد بن المتوكل من واسط، وقدومه سامُرّا يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ربيع الأول، واستخلافه على واسط وحرب الخبيث بتلك الناحية محمداً المولَّد[٣].

* * *

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٤).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ١٥٢).

[ذكر الخبر عن مقتل كنجور]

ومن ذلك مقتل كَنْجور[١] .

* ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أنه كان واليَ الكوفة ، فانصرف عنها يريد سامُرّا بغير إذن ، فأمِر بالرجوع فأبى ، فحمِل إليه ـ فيما ذكر ـ مالٌ ليفرّق في أصحابه أرزاقهم منه ، فلم يقنع ذلك ، ومضى حتى ورد عُكبَرَاء في ربيع الأول ، فتوجّه إليه من سامُرّا عدّة من القواد ، فيهم : ساتكين وتكين وعبد الرحمن بن مفلح وموسى بن أتامش وغيره؛ فذبحوه ذبحاً ، وحُمِل رأسه إلى سامُرّا ، لليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، وأصيب معه نيّف وأربعون ألف دينار ، وألزِم كاتب له نصرانيّ مالاً ، ثم ضرِب هذا الكاتب في شهر ربيع الآخر بباب العامة ألف سوط ، فمات .

* * *

وفيها غلب شركب الجمّال على مرْو وناحيتها ، وأنهبها[٢] .

وفيها انصرف يعقوب بن الليث عن بلخ ، فأقام بقُهِستانَ ، وولَّى عماله هَرَاة وبُوشَنج وباذَغِيش ، وانصرف إلى سِجستان .

وفيها فارق عبد الله السِّجزيّ يعقوب بن الليث مخالفاً له ، وحاصر نيسابور ، فوجّه محمد بن طاهر إليه الرّسل والفقهاء ، فاختلفوا بينهما ، ثمّ ولاه الطَّبَسَين وقُهستان .

* * *

[ذكر خبر دخول المهلبيّ ويحيى بن خلف سوق الأهواز][٣]

ولست خلوْن من رجب منها ، دخل المهلبيّ ويحيى بن خلف النّهْرَبَطِّيّ سوق

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٥) .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) انظر المنتظم (١٢/ ١٥٢) فقد ذكر أصل الخبر فقط .

الأهواز ، فقتلوا بها خَلْقاً كثيراً وقتلوا صاحب المعونة بها .

*** ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وكيف كان هلاك صاحب الحرب من قبل السلطان فيها :**

ذُكر : أنّ قائد الزنج خفيَ عليه أمرُ الحريق الذي كان في عسكر أبي أحمد بالباذَاوَرْد ، فلم يُعلم خبرُه إلا بعد ثلاثة أيام ، ورد به عليه رجلان من أهل عبّادان ، فأخبراه فعاد للعيْث ، وانقطعت عنه المِيرة ، فأنهض عليّ بن أبان المهلبيّ ، وضمّ إليه أكثر الجيْش ، وسار معه سُليمان بن جامع ، وقد ضمّ إليه الجيش الذي كان مع يحيى بن محمد البحرانيّ وسليمان بن موسى الشعرانيّ ، وقد ضُمّت إليه الخيل وسائر الناس مع عليّ بن أبان المهلبيّ والمتولي للأهواز يومئذ رجلٌ يقال له أصغجون ، ومعه نيزَك في جماعة من القوّاد ، فسار إليهم عليّ بن أبان في جمعه من الزنج ، ونذِر به أصغجون ، فنهض نحوه في أصحابه ، فالتقى العسكران بصحراء تُعرف بَدسْتمَاران ، فكانت الدّبرة يومئذ على أصغجون ، فقُتِل نَيْزك في جمع كثير من أصحابه ، وغرق أصغجون ، وأسر الحسن بن هرثمة المعروف بالشار يومئذ ، والحسن بن جعفر المعروف براوشار .

قال محمّد بن الحسن : فحدّثني الحسن بن الشار ، قال : خرجنا يومئذ مع أصغجون للقاء الزّنج؛ فلم يثبت أصحابنا ، وانهزموا ، وقُتِل نيزك ، وفقد أصغجون فلمّا رأيت ذلك نزلت عن فرس محذوف كان تحتي ، وقدّرتُ أن أتناول بذنَب جنَيبة كانت معي ، وأقحمها النهر ، فأنجو بها ، فسبقني إلى ذلك غلامي ، فنجا وتركني ، فأتيت موسى بن جعفر لأتخلّص معه ، فركب سفينة ، ومضى فيها ، ولم يُقِمْ عليّ ، وبصرت بزورق فأتيته فركبته ، فكثر الناس عليّ وجعلوا يطلبون الركوب معي فيتعلّقون بالزّورق حتى غرقوه ، فانقلب ، وعلوتُ ظهره ، وذهب الناس عني ، وأدركني الزَّنْج ، فجعلوا يرمونني بالنُّشاب ، فلما خفت التّلف قلت : أمسكوا عن رميي ، وألقوا إليّ شيئاً أتعلّق به ، وأصِير إليكم ، فمدّوا إليّ رمحاً ، فتناولتُه بيديّ وصرت إليهم .

وأما الحسن بن جعفر ، فإن أخاه حمله على فرس ، وأعدّه ليسفر بينه وبين أمير الجيش ، فلما وقعت الهزيمة بادر في طلَب النجاة ، فعثر به فرسُه فأخِذ .

فكتب عليّ بن أبان إلى الخبيث بأمر الوقعة ، وحمل إليه رؤوساً وأعلاماً كثيرة ، ووجّه الحسن بن الشار والحسن بن جعفر وأحمد بن روح ، فأمر بالأسرى إلى السجن ، ودخل عليّ بن أبان الأهواز ، فأقام يعيث بها إلى أن ندب السلطان موسى بن بُغا لحرب الخبيث .

* * *

[شخوص موسى بن بغا لحرب صاحب الزنج][1]

وفيها شخص موسى بن بُغا عن سامرّا لحربه ، وذلك لثلاث عشر بقيت من ذي القعدة ، وشيّعه المعتمد إلى خلف الحائطيْن ، وخلع عليه هناك .

وفيها وافى عبد الرحمن بن مفلح الأهواز وإسحاق بن كُنْدَاج البصرة وإبراهيم بن سيما باذاورد لحرب قائد الزنج من قبل موسى بن بغا .

*** ذكر الخبر عما كان من أمر هؤلاء في النواحي التي ضمت إليهم مع أصحاب قائد الزّنج في هذه السنة :**

ذكر أن ابن مُفلِح لما وافى الأهواز ، أقام بقنطرة أربُك عشرة أيام ، ثم مضى إلى المهلبيّ ، فواقعه ، فهزمه المهلبيّ ، وانصرف ، واستعدّ ثم عاد لمحاربته ، فأوقع به وقعة غليظة ، وقتل من الزّنْج قتلاً ذريعاً ، وأسر أسرى كثيرة ، وانهزم عليّ بن أبان ، وأفلت ومن معه من الزّنج ، حتى وافوا بيَاناً ، فأراد الخبيث ردّهم ، فلم يرجعوا للذّعر الذي خالط قلوبَهم ، فلمّا رأى ذلك أذِن لهم في دخول عسكره ، فدخلوا جميعاً ، فأقاموا بمدينته ، ووافى عبد الرحمن حصن المهديّ ليعسكر به ، فوجّه إليه الخبيث عليّ بن أبان ، فواقعه فلم يقدر عليه ، ومضى عليّ يريد الموضع المعروف بالدّكر ، وإبراهيم بن سيما يومئذ بالباذاوَرْد ، فواقعه إبراهيم ، فهُزم عليّ بن أبان ، وعاوده فهزمه أيضاً إبراهيم ، فمضى في الليل ، وأخذ معه أدلاّء؛ فسلكوا به الآجام والأدغال؛ حتى وافى نهر يحيى ، وانتهى خبره إلى عبد الرحمن ، فوجّه إليه طاشتِمُر في جمع من الموالي ، فلم يصل إلى عليّ ومَنْ معه لوعورة الموضع الذي كانوا فيه ،

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٤).

وامتناعه بالقصب والحلافي ، فأضرمه عليهم ناراً ، فخرجوا منه هاربين ، فأسر منهم أسرى ، وانصرف إلى عبد الرحمن بن مفلح بالأسرى والظَّفر ، ومضى عليّ بن أبان حتى وافى نسوخاً ، فأقام هناك فيمن معه من أصحابه ، وانتهى الخبر بذلك إلى عبد الرحمن بن مفلح ، فصرف وجهه نحو العمود ، فوافاه وأقام به .

وصار عليّ بن أبان إلى نهر السِّدرة ، وكتب إلى الخبيث يستمدّه ويسأله التوجيه إليه بالشذاءات ، فوجّه إليه ثلاث عشرة شَذاة ، فيها جمع كثير من أصحابه فسار عليّ ومعه الشَّذَا حتى وافى عبد الرحمن ، وخرج إليه عبد الرحمن بمن معه ، فلم يكن بينهما قتال ، وتواقف الجيشان يومهما ذلك؛ فلما كان الليل ، انتخب عليّ بن أبان من أصحابه جماعةً يثِق بجَلَدهم وصبرهم ، ومضى فيهم ومعه سليمان بن موسى المعروف بالشعرانيّ وترك سائر عسكره ، مكانَه ليخفى أمرُه ، فصار من وراء عبد الرحمن ، ثم بيّته في عسكره ، فنال منه ومن أصحابه نيلاً ، وانحاز عبد الرحمن عنه ، وخلى عن أربع شذوات من شَذَواته ، فأخذها عليّ وانصرف ، ومضى عبد الرحمن لوجهه حتى وافى الدولاب فأقام به ، وأعدّ رجالاً من رجاله ، وولّى عليهم طاشتمر ، وأنفذهم إلى عليّ بن أبان ، فوافوْه بنواحي بياب آزر ، فأوقعوا به وقعة ، انهزم منها إلى نهر السِّدرة ، وكتب طاشتمر إلى عبد الرحمن بانهزام عليّ عنه ، فأقبل عبد الرحمن بجيشه حتى وافى العمود ، فأقام به ، واستعدّ أصحابه للحرب ، وهيّأ شذواته ، وولّى عليها طاشتمر ، فسار إلى فُوّهة نهر السدرة ، فواقع علي بن أبان وقعةً عظيمة ، انهزم منها عليّ ، وأخذ منه عشر شذوات ، ورجع عليّ إلى الخبيث مفلولاً مهزوماً ، وسار عبد الرحمن من فورِه ، فعسكر ببَيان ، فكان عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سيما يتناوبان المصير إلى عسكر الخبيث ، فيُوقعان به ، ويُخيفان مَنْ فيه ، وإسحاق بن كُنْداج يومئذ مقيم بالبصرة ، قد قطع المِيرة عن عسكر الخبيث؛ فكان الخبيث يجمع أصحابه في اليوم الذي يخاف فيه موافاة عبد الرحمن بن مفلح وإبراهيم بن سيما حتى ينقضي الحرب ، ثم يصرف فريقاً منهم إلى ناحية البصرة ، فيواقع بهم إسحاق بن كُنْداج ، فأقاموا في ذلك بضعة عشر شهراً إلى أن صُرف موسى بن بغا عن حرب الخبيث ، ووُلِّيها مسرور

البلخيّ ، وانتهى الخبر بذلك إلى الخبيث [١].

* * *

وفيها غلب الحسن بن زيد على قومِس ، ودخلها أصحابه.

وفيها كانت وقعة بين محمد بن الفضل بن سنان القزويني ووهْسُوذان بن جُسْتَان الديلميّ ، فهُزِم محمد بن الفضل وهوذان.

وفيها ولّى موسى بن بغا الصَّلابيَّ الرّيّ حين وثب كَيْغَلَغ على تكين ، فقتله فسار إليها.

وفيها غلب صاحب الروم على سُمَيساط ، ثم نزل على مَلَطْية ، وحاصر أهلها ، فحاربه أهل مَلَطْية فهزموه ، وقتل أحمدُ بن محمد القابوس نصراً الإقريطشيَّ بطريق البطارقة [٢].

وفيها وُجِّه من الأهواز جماعة من الزّنْج أسروا إلى سامُرّا ، فوثبت العامة بهم بسامُرّا ، فقتلوا أكثرهم وسلبوهم.

* * *

[ذكر الخبر عن دخول يعقوب بن الليث نيسابور] [٣]

وفيها دخل يعقوب بن الليث نيسابور.

* ذكر الخبر عن الكائن الذي كان منه هناك:

ذكر: أن يعقوب بن الليث صار إلى هَراة ، ثم قصد نيسابور ، فلمّا قرب منها وأراد دخولَها ، وجّه محمد بن طاهر يستأذنه في تلقّيه ، فلم يأذن له ، فبعث بعمومته وأهل بيته ، فتلقَّوْه ، ثم دخل نيسابور لأربع خَلَوْن من شوال بالعشيّ ، فنزل طرفاً من أطرافها يعرف بداوداباذ ، فركب إليه محمد بن طاهر ، فدخل عليه في مضربه ، فساءله ، ثم أقبل على تأنيبه وتوبيخه على تفريطه في عمله ، ثم

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

انصرف وأمر عُزَير بن السريّ بالتوكيل به ، وصرف محمد بن طاهر وولّى عزيراً نيسابور ، ثم حبس محمد بن طاهر وأهل بيته ، وورد الخبر بذلك على السلطان ، فوجّه إليه حاتم بن زيرك بن سلام ، ووردت كتب يعقوب على السلطان لعشر بقين من ذي القعدة ، فقعد ـ فيما ذكر ـ جعفر بن المعتمد وأبو أحمد بن المتوكل في إيوان الجوسق ، وحضر القوّاد ، وأذِن لرسل يعقوب فذكر رسلُه ما تناهَى إلى يعقوب من حال أهل خراسان ، وأنّ الشراة والمخالفين قد غلبوا عليها ، وضعف محمد بن طاهر ، وذكروا مكاتبة أهل خراسان يعقوب ومسألتهم إياه قدومَه عليهم واستعانتهم ، وأنه صار إليها ، فلمّا كان على عشرة فراسخ من نيسابور ، سار إليه أهلُها ، فدفعوها إليه فدَخلها ، فتكلّم أبو أحمد وعبيد الله بن يحيى ، وقالا للرسل: إنّ أمير المؤمنين لا يقارّ يعقوب على ما فعل ، وأنه يأمره بالانصراف إلى العمل الذي ولاه إياه ، وأنه لم يكن له أن يفعل ذلك بغير أمره فليرجع ، فإنه إن فعل كان من الأولياء ، وإلا لم يكن له إلا ما للمخالفين ، وصرف إليه رسله بذلك ووصلوا ، وخلَع على كلّ واحد منهم خلعة فيها ثلاثة أثواب؛ وكانوا أحضروا رأساً على قناة فيه رقعة فيها: هذا رأس عدوّ الله عبد الرحمن الخارجيّ بهرَاة ، ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة ، قتله يعقوب بن الليث.

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس المعروف ببُرَيه[١].

* * *

ثم دخلت سنة ستين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك قتلُ رجل من أكراد مساور الشاري محمد بن هارون بن المعمَّر ، وجده في زورق يريد سامُرّا ، فقتله وحَمَل رأسه إلى مساور ، فطلبت

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٥٢).

ربيعة بدمه في جمادى الآخرة ، فندب مسرور البلخيّ وجماعة من القوّاد إلى أخذ الطريق على مساور.

وفيها قُتِل قائد الزَّنج عليّ بن زيد العلويّ صاحب الكوفة(١).

* * *

[خبر الوقعة بين يعقوب بن الليث والحسن بن زيد الطائي]

وفيها واقع يعقوب بن الليث الحسن بن زيد الطالبيّ ، فهزمه ودخل طبرستان.

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وعن سبب مصير يعقوب إلى طبرستان:

أخبرني جماعة من أهل الخِبرة بيعقوب: أنّ عبد الله السجزيّ كان يتنافس الرياسة بسجستان ، فقهره يعقوب ، فتخلّص منه عبد الله ، فلحق بمحمد بن طاهر بنيسابور ، فلمّا صار يعقوب إلى نيسابور وهرب عبد الله ، فلحق بالحسن بن زيد ، فشخص يعقوب في أثره بعد ما كان من أمره وأمر محمد بن طاهر ما قد ذكرت قبلُ ، فمرّ في طريقه إلى طبرستان بأسفرائيم ونواحيها ، وبها رجل كنت أعرفه يطلب الحديث ، يقال له: بديل الكشّيّ ، يظهر التطوّع والأمر بالمعروف ، وقد استجاب له عامة أهل تلك الناحية ، فلما نزلها يعقوب راسلَه ، وأخبره أنه مثله في التطوّع وأنه معه ، فلم يزل يرفق به حتى صار إليه بديل ، فلمّا تمكن منه قيّده ، ومضى به معه إلى طَبَرِستان ، فلما صار إلى قرب ساريَة لقيه الحسن بن زيد.

فقيل لي: إنّ يعقوب بعث إلى الحسن بن زيد يسأله أن يبعث إليه بعبد الله السجزيّ حتى ينصرف عنه؛ فإنه إنما قصد طَبرِستان من أجلِه لا لحربه ، فأبى الحسن بن زيد تسليمَه إليه ، فآذنه يعقوب بالحرب ، فالتقى عسكراهما فلم تكن

---

(١) لعل خطأً مطبعياً قد وقع فلفظ الخبر هنا بصيغة المبني للمجهول (قُتِل قائد الزنج عليّ بن زيد).
والصواب (وفيها قَتَلَ قائدُ الزنج صاحبَ الكوفةِ عليَّ بن زيد الصاوي) وانظر المنتظم (١٢/ ١٥٦) والبداية والنهاية (٨/ ٢٣٥).

إلا كَلاَ ولا ، حتى هزِم الحسن بن زيد ، ومضى نحو الشِّرِّز وأرض الديلم ، ودخل يعقوب سارية ، ثم تقدّم منها إلى آمُل ، فجبى أهلَها خراج سنة ، ثم شخص من آمُل نحو الشِّرّز في طلب الحسن بن زيد حتى صار إلى بعض جبال طَبَرِستان ، فأدركتْه فيه الأمطار ، وتتابعت عليه ـ فيما ذكر لي ـ نحواً من أربعين يوماً ، فلم يتخلّص مِن موضعه ذلك إلا بمشقة شديدة ، وكان ـ فيما قيل لي ـ قد صعد جبلاً ، لمّا رام النزول عنه لم يمكنه ذلك إلا محمولاً على ظهور الرجال ، وهلك عامّة ما كان معه من الظهر .

ثم رام الدخول خلْف الحسن بن زيد إلى الشِّرز ؛ فحدثني بعض أهل تلك الناحية : أنه انتهى إلى الطريق الذي أراد سلوكَه إليه ، فوقف عليه ، وأمر أصحابه بالوقوف ، ثم تقدّم أمامهم يتأمّل الطريق ، ثم رجع إلى أصحابه ، فأمرهم بالانصراف ، وقال لهم : إن لم يكن إليه طريق غير هذا فلا طريق إليه .

فأخبرني الذي ذكر لي ذلك : أن نساء أهل تلك الناحية قلن لرجالهنّ : دعُوه يدخل هذا الطريق ؛ فإنه إنْ دخل كفيناكم أمرَه ، وعلينا أخذُه وأسره لكم ، فلما انصرف راجعاً ، وشخص عن حدود طَبَرِستان ، عرض رجالَه ، ففقد منهم ـ فيما قيل لي ـ أربعين ألفاً ، وانصرف عنها ، وقد ذهب معظم ما كان معه من الخيل والإبل والأثقال .

وذُكر : أنه كتب إلى السلطان كتاباً يذكر فيه مسيرَه إلى الحسن بن زيد ، وأنه سار من جُرجان ، إلى طَمِيس ، فافتتحها ، ثم سار إلى سارية وقد أخرب الحسن بن زيد القناطر ، ورفع المعابر ، وعوَّر الطريق ، وعسكر الحسن بن زيد على باب سارية متحصِّناً بأودية عظام ، وقد مالأه خُرْشاد بن جِيلاو ، صاحب الدَّيْلم ، فزحف باقتدار فيمن جمع إليه من الطبرية والديالمة والخراسانية والقُمّية والجبلية والشامية والجزُريّة ، فهزمتُه وقتلتُ عدّة لم يبلغها بعهدي عدّة ، وأسرتُ سبعين من الطالبيّين ؛ وذلك في رجب ، وسار الحسن بن زيد إلى الشِّرّز ومعه الديلم .

* * *

وفي هذه السنة اشتدّ الغلاء في عامّة بلاد الإسلام ، فانجلى ـ فيما ذكر ـ عن

مكة من شدة الغلاء مَنْ كان بها مجاوراً إلى المدينة وغيرها من البلدان ، ورحل عنها العامل الذي كان بها مقيماً وهو بُرَيه ، وارتفع السعر ببغداد ، فبلغ الكُرّ الشعير عشرين ومئة دينار ، والحنطة خمسين ومئة ، ودام ذلك شهوراً[١].

وفيها قتلت الأعراب منجور والي حمص ، فاستعمِل عليها بُكْتمر.

وفيها صار يعقوب بن الليث حين انصرف عن طَبرستان إلى ناحية الريّ ، وكان السبب في مصيره إليها ـ فيما ذكر لي ـ مصير عبد الله السجزيّ إلى الصّلابيِّ مستجيراً به من يعقوب ، لمّا هزم يعقوب الحسن بن زيد ، فلما صار يعقوب إلى خوار الريّ كتب إلى الصَّلابيّ يخيِّره بين تسليم عبد الله السجْزيّ إليه حتى ينصرف عنه ، ويرتحل عن عمله ، وبين أن يأذن بحربه ، فاختار الصَّلابيّ ـ فيما قيل لي ـ تسليم عبد الله ، فسلّمه إليه ، فقتله يعقوب ، وانصرف عن عمل الصلابيّ.

* * *

[ذكر خبر مقتل العلاء بن أحمد الأزديّ]

وفيها قتِل العلاء بن أحمد الأزديّ.

* ذكر الخبر عن سبب مقتله:

ذكر: أن العلاء بن أحمد فُلِج وتعطّل ، فكتب السلطان إلى أبي الرُّدَيْنيّ عمر بن عليّ بن مُرّ بولاية أَذْرَبَيجان ، وكانت قبلُ إلى العلاء ، فصار أبو الردينيّ إليها ليتسلَّمها من العلاء ، فخرج العلاء في قُبّة في شهر رمضان لحرب أبي الردينيّ ، ومع أبي الردينيّ جماعة من الشُّراة وغيرهم ، فقتِل العلاء.

فذكر أنه وجّه عدّة من الرجال في حمل ما خلّف العلاء ، فحُمل من قلعته ما بلغت قيمته ألفين وسبعمئة ألف درهم.

* * *

وفيها أخذت الروم لؤلؤة من المسلمين.

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٥٦).

وحجّ بالناس فيها إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي المعروف ببُرَيْه [١].

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من انصراف الحسن بن زيد من أرض الدّيلم إلى طَبرستان وإحراقه شالوس لمَا كان من ممالأتهم يعقوب وإقطاعه ضياعهم الدّيالمة [٢].

ومن ذلك ما كان من أمر السلطان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بجمع مَنْ كان ببغدادِ من حاجّ خراسان والريّ وطبرستان وجرجان ، فجمعهم في صفر منهم ، ثم قرىء عليهم كتاب يُعلَمون فيه أنّ السلطان لم يولّ يعقوب بن الليث خُراسان ، ويأمرهم بالبراءة منه لإنكاره دخولَه خُراسان وأسره محمد بن طاهر.

* * *

وفي هذه السنة تُوفِّيَ عبد الله بن الواثق في عسكر الصفار يعقوب.

وفيها قَتَل مساور الشاري يحيى بن حفص الذي كان يلِي خراسان بكَرْخ جُدَّان في جمادى الآخرة ، فشخص مسرور البلخيّ في طلبه ، ثم تبعه أبو أحمد بن المتوكل ، وتنحّى مساور فلم يلحق [٣].

وفي جمادى الأولى منها هلك أبو هاشم داود بن القاسم الجعفريّ.

* * *

[ذكر خبر وقعة كانت برامَهُرْمز في هذا العام] [٤]

وفيها كانت بين محمد بن واصل وعبد الله بن مُفلِح وطاشتمر وقعة

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٥٦).
(٢) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٥).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

برامَهُرْمُز ، فقتَل ابنُ واصل طاشتمر ، وأسِر ابن مُفلح.

*** ذكر الخبر عن هذه الوقعة والسبب فيها :**

كان السبب في ذلك ـ فيما ذكر لي ـ أنّ ابن واصل قتل الحارث بن سيما وهو عامل السلطان بفارس وتغلَّب عليها ، فضُمَّت إلى موسى بن بُغا فارس والأهواز والبَصْرة والبحرين واليمامة؛ مع ما كان إليه من عمل المشرق؛ فوجّه موسى بن بغا عبدَ الرحمن بن مفلِح إلى الأهواز ، وولاّه إياها وفارس ، وضمّ إليه طاشتمر ، فاتّصل بابن واصل ذلك من فعل موسى ، وأنّ ابن مفلح قد توجّه إلى فارس يريده ، وكان قبلُ مقيماً بالأهواز على حرب الخارجيّ بناحية البصرة ، فزحف إليه ابنُ واصل ، فالتقيا برامَهُرْمز ، وانضمّ أبو داود الصّعلوك إلى ابن واصل معيناً له على ابن مُفْلِح ، فظفر ابن واصل بابن مُفْلِح ، فأسره وقتل طاشتمر ، واصطلم عسكرَ ابن مفلح ، ثمّ لم يزل ابن مُفلح في يده حتى قتله ، فلم يجبه إلى ذلك ابنُ واصل ، ولما فرغ ابنُ واصل من ابن مُفلح أقبل مظهراً: أنه يريد واسطاً لحرب موسى بن بغا حتى انتهى إلى الأهواز ، وبها إبراهيم بن سيما في جمع كثير ، فلما رأى موسى بن بغا شدَّة الأمر وكثرة المتغلِّبين على نواحي المشرق ، وأنه لا قَوام له بهم ، سأل أن يُعفَى من أعمال المشرق ، فأعفِي منها ، وضُمّ ذلك إلى أبي أحمد ، ووُلّيه أبو أحمد بن المتوكل ، فانصرف موسى بن بغا من واسط إلى باب السلطان مع عُمّاله عن أعمال المشرق.

* * *

وفيها ولِّيَ أبو الساج الأهواز وحرب قائد الزّنج ، فصار إليها أبو الساج بعد شخوص عبد الرحمن بن مفلح إلى ناحية فارس[(١)].

وفيها كانت بين عبد الرحمن صهر أبي الساج وعليّ بن أبان المهلبيّ وقعة بناحية الدولاب ، قُتِل فيها عبدُ الرحمن ، وانحاز أبو الساج إلى عسكر مكرَم ، ودخل الزَّنج الأهواز ، فقتلوا أهلَها ، وسبَوْا وانتهبوا وأحرقوا دورَها ، ثمّ صُرِف أبو الساج عمّا كان إليه من عمل الأهواز وحرب الزّنج ، ووُلِّيَ ذلك إبراهيم بن

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٦).

سيما ، فلم يزل مقيماً في عمله ذلك حتى انصرف عنه بانصراف موسى بن بغا ، عمّا كان إليه من عمل المشرق .

وفيها وُلّيَ محمد بن أوس البلخيّ طريقَ خراسان .

ولما ضُمّ عمل المشرق إلى أبي أحمد ولَّى مسروراً البلخيّ الأهواز والبصرة وكُور دِجْلة واليمامة والبحرين في شعبان من هذه السنة ، وحرب قائد الزنج .

وفيها وُلِّيَ نصر بن أحمد بن أسد السامانيّ ما وراءَ نهر بلخ ، وذلك في شهر رمضان منها ، وكتب إليه بولايته ذلك .

وفي شوّال منها زحف يعقوب بن الليث إلى فارس ، وابنُ واصل مقيم بالأهواز ، فانصرف منها إلى فارس ، فالتقى هو ويعقوب بن الليث في ذي القعدة ، فهزمه يعقوب وفلَّ عسكره ، وبعث إلى خُرَّمَة إلى قلعة ابن واصل ، فأخذ ما كان فيها ، فذُكر أنه بلغت قيمة ما أخذ يعقوب منها أربعين ألف ألف درهم ، وأسر مرداساً خال ابن واصل .

* * *

وفيها أوْقع أصحابُ يعقوب بن الليث بأهل زَمّ موسى بن مِهْران الكرديّ؛ لما كان من ممالأتهم محمد بن واصل ، فقتلوهم ، وانهزم موسى بن مِهْران .

وفيها لاثنتي عشرة مضت من شوّال منها ، جلس المعتمد في دار العامّة ، فولّى ابنه جعفراً العهد ، وسماه المفوّض إلى الله ، وولاّه المغرب ، وضمّ إليه موسى بن بغا ، وولاّه إفريقية ومصر والشأم والجزيرة والموصل وإرمينيَة وطريق خراسان ومِهْرَجا نَقَذَق وحُلوان ، وولّى أخاه أبا أحمد العهد بعد جعفر ، وولاّه المشرق ، وضمّ إليه مسروراً البلخيَّ ، وولاّه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكَسْكر وكُوردِجلة والأهواز وفارس وأصبهان وقمَّ والكَرَج والدِيْنَوَر والرّيّ وزِنجان وقزوين وخراسان وطَبَرِستان وجُرجان وكَرْمان وسِجِستان والسند ، وعقد لكلّ واحد منهما لواءين: أسود وأبيض ، وشرط إن حدث به حدث الموت وجعفر لم يكمل للأمر؛ أن يكون الأمر لأبي أحمد ، ثم لجعفر ، وأُخذت البيعة على الناس بذلك ، وفرّقت نسخ الكتاب ، وبُعث بنسخة مع الحسين بن محمد بن أبي الشوارب ، ليعلّقها في الكعبة ، فعقد جعفر

المفوّض لموسى بن بغا على المغرب في شوال وبعث إليه بالعقد مع محمد المولَّد[١].

وفيها فارق محمد بن زَيْدويه يعقوبَ بن الليث ، فاعتزل عسكره في آلاف من أصحابه ، فصار إلى أبي الساج فقبِله ، وأقام معه بالأهواز ، وبعث إليه من سامُرّا بخلعة ، ثم سأل ابن زيدويه السلطان توجيه الحسين بن طاهر بن عبد الله معه إلى خراسان .

وسار مسرور البلخيّ مقدّمة لأبي أحمد من سامُرّا ، لسبع خَلَوْن من ذي الحجة ، وخلع عليه وعلى أربعة وثلاثين من قوّاده ـ فيما ذكر ـ وشيَّعه وليّا العهد ، واتبعه الموفّق شاخصاً من سامرّا لتسع بقين من ذي الحجة[٢].

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس[٣].

ومات الحسن بن محمد بن أبي الشوارب فيها بمكّة بعدما حجّ[٤].

* * *

ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر دخول يعقوب بن الليث رامهرمز][٥]

فمما كان فيها من ذلك موافاة يعقوب بن الليث رامَهُرْمُز في المحرّم وتوجيه السلطان إليه إسماعيل بن إسحاق وبُغراج ، وإخراج السلطان مَنْ كان محبوساً من

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٦٣).

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ١٦٤).

(٣) المصدر السابق نفسه (١٢/ ١٩٤).

(٤) فيما يتعلق بموت القاضي الحسن بن محمد بن أبي الشوارب أخرج ابن الجوزي عن محمد بن العباس قال: قرىء على ابن المنادي وأنا أسمع: قال دخل إلى مدينة السلام الحسن بن محمد بن أبي الشوارب قاضي القضاة للمعتمد فتوفي بمدينة السلام لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة إحدى وستين [المنتظم ١٢/ ١٦٥].

(٥) انظر تعليقنا ٩/ ٥١٩/ (٥٤٤).

أسباب يعقوب بن الليث من السجْن؛ لأنه لما كان من أمره ما كان في أمر محمد بن طاهر ، حبَس السلطانُ غلامَه وصيفاً ومَنْ كان قِبَلَه من أسبابه ، فأطلق عنهم بعدما وافى يعقوب رامهرمز؛ وذلك لخمس خَلَوْن من شهر ربيع الأول ، ثم قدم إسماعيل بن إسحاق من عند يعقوب ، وخرج إلى سامُرّا برسالة من عنده ، فجلس أبو أحمد ببغداد ، ودعا بجماعة من التجار ، وأعلمهم: أنّ أمير المؤمنين أمر بتولية يعقوب بن الليث خُراسان وطَبَرِستان وجُرجان والرّيّ وفارس والشُّرطة بمدينة السلام؛ وذلك بمحضر من درْهم بن نصر صاحب يعقوب.

وكان المعتمد قد صرف درهماً هذا من سامُرّا إلى يعقوب بجواب ما كان يعقوب أرسله ، يسأله لنفسه ، فأرسل معه إليه عمر بن سيما ومحمد بن تركشه ، ووافى فيها رسل ابن زيدويه بغداد في شهر ربيع الأول منها برسالة من عنده ، فخلع عليه أبو أحمد ، ثمّ انصرف في هذه السنة الذين توجّهوا إلى يعقوب بن الليث إلى السلطان ، فأعلموه أنه يقول: إنه لا يرضيه ما كتب إليه دون أن يصير إلى باب السلطان ، وارتحل يعقوب من عسكر مَكْرَم فصار أبو الساج إليه ، فقبّله وأكرمه ووصله.

ولما رجعت الرسل بما كان من جواب يعقوب عسكر المعتمد يوم السبت لثلاث خلوْن من جمادى الآخرة بالقائم بسامُرّا ، واستخلَف على سامُرّا ابنه جعفراً ، وضمّ إليه محمداً المولَّد ، ثم سار منها يوم الثلاثاء لستٍّ خلون من جمادى الآخرة ، ووافى بغداد يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، فاشتقّها حتى جازها ، وصار إلى الزعفرانيّة فنزلها ، وقدّم أخاه أبا أحمد من الزعفرانيّة ، فسار يعقوب بجيشه من عسكر مكرَم؛ حتى صار من واسط على فرسخ ، فصادف هنالك بَثْقاً قد بثقه مسرور البلخيّ من دِجلة لئلا يقدر على جوازه ، فأقام عليه حتى سدّه ، وعبره؛ وذلك لست بقين من جمادى الآخرة ، وصار إلى باذبين ، ثم وافَى محمد بن كثير من قِبَل يعقوب عسكرَ مسرور البلخيّ ، فصار بإزائه ، فصار مسرور بعسكره إلى النعمانيّة ، ووافى يعقوب واسطاً ، فدخلها لستّ بقين من جمادى الآخرة ، وارتحل المعتمد من الزغفرانية يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الآخرة حتى صار إلى سيب بني كُوما ، فوافاه هنالك مسرور البلخيّ؛ وكان مسيرُ مسرور البلخيّ إليه في الجانب

الغربيّ من دِجْلة ، فعبرَ إلى الجانب الذي فيه العسكر ، فأقام المعتمد بسِيب بني كوما أياماً ، حتى اجتمعت إليه عساكره ، وزحف يعقوب من واسط إلى دير العاقول ، ثم زحف من دير العاقول نحو عسكر السلطان ، فأقام المعتمد بالسِّيب ، ومعه عبيد الله بن يحيى ، وأنهض أخاه أبا أحمد لحرب يعقوب ، فجعل أبو أحمد موسى بن بغا على ميمنتِه ، ومسروراً البلخيّ على ميسرته ، وصار هو في خاصته ، ونخبة رجاله في القلب ، والتقى العسكران يوم الأحد لليال خَلَوْن من رجب بموضع يقال له: اضطربد بين سِيب بني كوما ودير العاقول ، فشدّت ميسرة يعقوب على ميمنة أبي أحمد فهزمتها ، وقتلت منها جماعة كثيرة منهم من قوّادهم إبراهيم بن سيما التركيّ وطباغوا التركيّ ومحمد طُغَتا التركيّ والمعروف بالمبرقع المغربيّ وغيرهم ، ثم ثاب المنهزمون وسائر عسكر أبي أحمد ثابت ، فحمَلوا على يعقوب وأصحابه ، فثبتوا وحاربوا حرباً شديداً ، وقتِل من أصحاب يعقوب جماعة من أهل البأس؛ منهم الحسن الدرهميّ ومحمد بن كثير وكان على مقدمة يعقوب ـ والمعروف بلبادة ـ فأصابت يعقوب ثلاثة أسهم في حَلْقِه ويديه ، ولم تزل الحرب بين الفريقين ـ فيما قيل ـ إلى آخر وقت صلاة العصر.

ثمّ وافى أبا أحمد الدَّيرانيّ ومحمد بن أوس ، واجتمع جميعُ من في عسكر أبي أحمد ، وقد ظهر من كثير ممن مع يعقوب كراهة القتال معه إذ رأوا السلطان قد حضر لقتاله ، فحملوا على يعقوب ومَنْ قد ثبت معه للقتال ، فانهزم أصحابُ يعقوب ، وثبت يعقوب في خاصّة أصحابه؛ حتى مضوا وفارقوا موضع الحرب.

فذُكر: أنه أخذ من عسكره من الدّوابّ والبغال أكثر من عشرة آلاف رأس، ومن الدنانير والدّراهم ما يكلّ عن حمله، ومن جرب المسك أمر عظيم، وتخلّص محمد بن طاهر بن عبد الله ، وكان مثقلاً بالحديد؛ خلّصه الذي كان موكَّلاً به.

ثم أحضر محمد بن طاهر ، فخُلع عليه على مرتبته ، وقرىء على الناس كتابٌ فيه:

ولم يزل الملعون المارق المسمّى يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعة ، حتى أحدث الأحداث المنكرة؛ من مصيره إلى صاحب خراسان ، وغلبته إياه عليها ، وتقلّده الصلاة والإحداث بها ، ومصيره إلى فارس مَرة بعد مرة ،

واستيلائه على أموالها ، وإقباله إلى باب أمير المؤمنين مُظهرَ المسألة في أمور أجابه أمير المؤمنين منها ما لم يكن يستحقه ، استصلاحاً له ، ودفعاً بالتي هي أحسن؛ فولاّه خُراسان والرّيّ وفارس وقزوين وزِنجان والشرطة بمدينة السلام ، وأمر بتكنيته في كُتبه ، وأقطعه الضياع النفيسة؛ فما زاده ذلك إلاّ طغياناً وبغياً ، فأمره بالرجوع فأبى ، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسَّط الطريق بين مدينة السلام وواسط ، وأظهر يعقوب أعلاماً على بعضها الصّلبان ، فقدّم أمير المؤمنين أخاه أبا أحمد الموفق بالله وليّ عهد المسلمين في القلب ، ومعه أبو عمران موسى بن بغا في الميمنة وفي جناح الميمنة إبراهيم بن سيما ، وفي الميسرة أبو هاشم مسرور البلخيّ ، وفي جناح الميسرة الديرانيّ ، فتسرّع وأشياعه في المحاربة ، فحاربه حتى أثخِن بالجراح ، وحتى انتزع أبو عبد الله محمد بن طاهر سالماً من أيديهم ، وولوْا منهزمين مجروحين مسلوبين ، وسلّم الملعون كلّ ما حواه ملكه .

كتاباً مؤرخاً بيوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من رجب .

ثم رجع المعتمد إلى معسكره وكتب إلى ابن واصل بتولية فارس ، وقد كان صار إليها وجمع جماعةً .

ثم رجع المعتمد إلى المدائن ، ومضى أبو أحمد ومعه مسرور وساتكين وجماعة من القوّاد ، وقبض على ما لأبي الساج من الضِّياع والمنازل ، وأقطعها مسروراً البلخيّ ، وقدم محمد بن طاهر بن عبد الله بغداد يوم الإثنين لأربع عشرة بقيت من رجب ، وقد رُدّ إليه العمل ، فخُلع عليه في الرُّصافة ، فنزل دار عبد الله بن طاهر ، فلم يعزل أحداً ، ولم يولِّ وأمر له بخمسمئة ألف درهم .

وكانت الوقعة التي كانت بين السلطان والصفّار يوم الشعانين[(١)] .

وقال محمد بن عليّ بن فَيْد الطائيّ يمدح أبا أحمد ويذكر أمر الصفّار :

---

(١) هذا الخبر استغرق الصفحات (٥١٦ ـ ٥١٩) جاء فيه الطبري على ذكر خروج يعقوب بن الليث ثم استعداد الخليفة بنفسه لحربه وخروجه مع قواده لذلك ثم رجوع المعتمد إلى المدائن بعد تلك المعركة وقد ذكره ابن الجوزي مختصراً (المنتظم ١٢/ ١٧٣).
وانظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٨).

نَعَبَ الغرابُ عَدِمتُه من ناعِبِ وصَبا فؤادي لادِّكارِ حَبائبي
نادى بَينهُم فجادَتْ مُقْلَتي لزِيالِ أَرحُلهم بدَمْعٍ ساكب
بانوا بأَترابٍ أَوانِسَ كالدُّمَى مثل المَهاقُبّ البُطونِ كواعبِ
فأُولئكنّ غَرائِرٌ تَيَمْنَني بسَوالفٍ وقَوائمٍ وحَواجِبِ
لوَلِيّ عهدِ المسلمينَ مَناسِبٌ شَرُفَتْ وأشرَقَ نورُها بمناصِبِ
ومراتبٌ في ذِرْوةٍ لا تُرتَقى أكرِمْ بها من ذِرْوةٍ ومراتبِ
ولقد أَتى الصَّفارُ في عُددٍ لها حُسْنٌ فَوافَتْهُنَّ نكبةُ ناكب
جَلبَ القضاءُ إليه حَتْفاً عاجلاً سَقياً ورَعْياً للقضاءِ الجالِبِ
أغواه إبليسُ اللعينُ بكَيْدِه واغترَّه منه بوعدٍ كاذبِ
حتى إذا اختلَفوا وظنَّ بأَنه قد عزَّ بين عساكرٍ وكتائبِ
دَلَفتْ إليه عساكرٌ مَيْمونةٌ يَلقَوْنَ زحفاً باللواءِ الغالب
في جَحفلٍ لجِبٍ تُرى أَبطالُه من دارعٍ أو رامحٍ أو ناشب
وبدا الإمامُ بِرايةٍ منصُورةٍ لمحمّدٍ سَيفِ الإلهِ القاضبِ
ووَلِّي عهدِ المسلمين موفقٌ باللهِ أَمضى من شِهَابٍ ثاقبِ
وكأنه في الناسِ بَدْرٌ طالع متهلِّلٌ بالنورِ بين كواكب
لمّا التَقَوْا بالمشرَفيّة والقنا ضرباً وطعْنَ محاربٍ لمحاربِ
ثارَ العجاجُ وفوقَ ذاك غمامةٌ غَرّاءُ تَسكُبُ وَبْلَ صَوْبٍ صائبِ
فَلَّ الجُموعَ بحَزمِ رأيٍ ثاقب منه وأفرَدَ صاحباً عن صاحبِ
للهِ دَرُّ مُوَفَّقٍ ذي بهجةٍ ثَبْتِ المقامِ لدَى الهياج مواثِب
يا فارسَ العربِ الذي ما مثله في الناس يُعرفُ آخَرٌ لنَوائب
من فادح الزَّمَنِ العضوضِ ومن لُقا جيش لِذي غدر خَؤُونٍ غاصب

* * *

[ذكر خبر توجه رجال الزنج إلى البطيحة ودست ميسان]

وفيها وجه قائد الزنج جيوشه إلى ناحية البطيحة ودَست مَيسَان.

* ذكر الخبر عن سبب توجيهه إياهم إليها:

ذُكر: أنّ سبب ذلك كان أنّ المعتمد لمّا صرف موسى بن بغا عن أعمال

المشرق وما كان متّصلاً بها ، وضمَها إلى أخيه أبي أحمد ، وضمّ أبو أحمد عمل كُور دِجلة إلى مسرور البلخيّ ، وأقبل يعقوب بن الليث مريداً أبا أحمد ، وصار إلى واسط ، خَلت كُوردجْلة من أسباب السلطان ، خلا المدائن وما فوق ذلك ، وكان مسرور قد وجّه قبل ذلك إلى الباذاوَرْد مكان موسى بن أتامش جُعلان التركيّ ، وكان بإزاء موسى بن أتامش ، من قِبَل قائد الزَّنْج سليمان بن جامع ، وقد كان سليمان قبل أن يصرف ابنُ أتامش عن الباذاوَرْد قد نال من عسكره ، فلمّا صُرف ابن أتامش وجُعل موضعه جعلان ، وجّه سليمان من قِبَله رجلاً من البحرانيّين يقال له ثعلب بن حفص ، فأوقع به ، وأخذ منه خيلاً ورجلاً ، ووجّه قائد الزنج من قِبَله رجلاً من أهل جُبَّى يقال له أحمد بن مهديّ في سُميريّات ، فيها رماة من أصحابه ، فأنفذه إلى نهر المرأة ، فجعل الجبائيّ يوقع بالقُرى التي بنواحي المذار ـ فيما ذكر ـ فيعيث فيها ، ويعود إلى نهر المرأة فيقيم به .

فكتب هذا الجبائيّ ، إلى قائد الزَّنج يخبره بأن البطيحة خالية من رجال السلطان لانصراف مسرور وعساكره عند ورود يعقوب بن الليث واسطاً ، فأمر قائد الزَّنج سليمان بن جامع وجماعة من قُوّاده بالمصير إلى الحوانيت ، وأمر رجلاً من الباهليّين يقال له عُمَيْر بن عمار ، كان عالماً بطرق البَطيحة ومسالكها ، أن يسير مع الجبائيّ حتى يستقرّ بالحوانيت .

فذكر محمد بن الحسن : أن محمد بن عثمان العبّادانيّ قال : لمّا عزم صاحب الزَّنْج على توجيه الجيوش إلى ناحية البطيحة ودَسْتُميسان أمر سليمان بن جامع أن يعسكر بالمُطوّعة وسليمان بن موسى أن يعسكر على فُوّهة النهر المعروف باليهوديّ ، ففعلا ذلك ، واقاما إلى أن أتاهما إذنه ، فنهضا ، فكان مسير سليمان بن موسى إلى القرْية المعروفة بالقادسيّة ، ومسير سليمان بن جامع إلى الحوانيت والجُبّائيّ في السميريّات أمام جيش سليمان بن جامع ، ووافى أبّا التركيّ دجْلة في ثلاثين شَذاة ، فانحدر يريد عسكر قائد الزّنج ، فمرّ بالقرية التي كانت داخلة في سلْم الخبيث فنال منها ، وأحرق؛ فكتب الخبيث إلى سليمان بن موسى في منعه الرجوع ، وأخذ عليه سليمان الطريق ، فأقام شهراً يقاتل حتى تخلّص فصار إلى البطيحة .

وذكر محمد بن عثمان : أن جَبّاشاً الخادم زعم أن أبّا التركيَّ لم يكن صار إلى

دجلة في هذا الوقت ، وأنّ المقيم كان هناك نُصير المعروف بأبي حمزة.

وذكر: أن سليمان بن جامع لمّا فصل متوجّهاً إلى الحوانيت ، انتهى إلى موضع يعرف بنهر العتيق ، وقد كان الجبائيّ سار في طريق الماديان فتلقّاه رميس ، فواقعه الجبائيّ ، فهزمه ، وأخذ منه أربعاً وعشرين سُميريّة ونيّفاً وثلاثين صلغة ، وأفلت رميس ، فاعتصم بأجَمة لجأ إليها ، فأتاه قوم من الجوخانيّين ، فأخرجوه منها فنجا ، ووافق المنهزمين من أصحاب رميس خروج سليمان من النهر العتيق ، فتلقاهم فأوقع بهم ، ونال منهم نيلاً، ومضى رميس حتى لحق بالموضع المعروف ببرّمساور ، وانحاز إلى سليمان جماعة من مذكوري البلاليّين وأنجادهم في خمسين ومئة سُميريّة ، فاستخبرهم عما أمامه ، فقالوا: ليس بينك وبين واسط أحدٌ من عمّال السلطان وولاته ، فاغترّ سليمان بذلك ، وركن إليه ، فسار حتى انتهى إلى الموضع الذي يعرف بالجازرة ، فتلقّاه رجل يقال له أبو معاذ القرشيّ ، فواقعه ، فانهزم سليمان عنه ، وقتل أبو معاذ جماعة من أصحابه ، وأسر قائداً من قواد الزَّنْج ، يقال له: رياح القندليّ ، فانصرف سليمان إلى الموضع الذي كان معسكراً به ، فأتاه رجلان من البلاليّة ، فقالا له: ليس بواسط أحد يدفع عنها غير أبي معاذ في الشَّذَوات الخمس التي لقيك بها ، فاستعدّ سليمان وجمع أصحابه وكتب إلى الخبيث كتاباً مع البلاليّة الذين كانوا استأمنوا إليه وأنقذهم إلا جُميِّعة يسيرة في عشر سُميريّات ، انتخبهم للمقام معه ، واحتبس الإثنين معه اللذين أخبراه عن واسط بما أخبراه به ، وصار قاصداً لنهر أبان، فاعترض له أبو معاذ، في طريقه، وشبّت الحرب بينهما ، وعصفت الريح ، فاضطربت شذا أبي معاذ، وقويَ عليه سليمان وأصحابه ، فأدبر عنهم معرّداً ومضى سليمان حتى انتهى إلى نهر أبان فاقتحمه ، وأحرق وأنهب وسبى النساء والصبيان ، فانتهى الخبر بذلك إلى وُكلاء كانوا لأبي أحمد في ضياع من ضِياعه مُقيمين بنهر سِنداد، فساروا إلى سليمان في جماعة ، فأوقعوا به وقعةً ، قتلوا فيها جمعاً كثيراً من الزَّنْج، وانهزم سليمان وأحمد بن مهديّ ومن معهما إلى معسكرهما.

قال محمد بن الحسن: قال محمد بن عثمان: لما استقرّ سليمان بن جامع بالحوانيت ، ونزل بنهر يعرف بيعقوب بن النضر ، وجّه رجلاً ليعرف خبر واسط ومَنْ فيها من أصحاب السلطان؛ وذلك بعد خروج مسرور البلخيّ وأصحابه

عنها ، لورود يعقوب إياها ، فرجع إليه فأخبره بمسير يعقوب نحو السلطان ، وقد كان مسرور قبل شخوصه عن واسط إلى السِّيب وجّه إلى سليمان رجلاً يقال له وصيف الرّحال في شَذَوات؛ فواقعه سليمان فقتله ، وأخذ منه سبع شَذَوات ، وقتل مَنْ ظفر به ، وألقى القتلى بالحوانيت ليُدخل الرّهبة في قلوب المجتازين بهم من أصحاب السلطان.

فلمّا ورد على سليمان خبرُ مسير مسرور عن واسط ، دعا سليمان عُمير بن عمار خليفته ورجلاً من رؤساء الباهليّين يقال له أحمد بن شريك ، فشاورهما في التنحّي عن الموضع الذي تصل إليه الخيل والشَّذَوات ، وأن يلتمس موضعاً يتصل بطريق متى أراد الهرب منه إلى عسكر الخبيث سلكه ، فأشارا عليه بالمصير إلى عقر ماور ، والتحصّن بطهيثَا والأدْغال التي فيها ، وكره الباهليون خروجَ سيلمان بن جامع من بين أظهرهم لغمسهم أيديهم معه ، وما خافوا من تعقب السلطان إياهم ، فحمل سليمان بأصحابه ماضياً في نهر البرور إلى طَهيثا ، وأنفذ الجُبّائيّ إلى النهر المعروف بالعتيق في السُّميريّات ، وأمره بالبدار إليه بما يعرف من خبر الشذا ، ومن يأتي فيها ومن أصحاب السلطان ، وخلّف جماعة من السودان لإشخاص مَنْ تخلّف من أصحابه ، وسار حتى وافى عقر ماور ، فنزل القرية المعروفة بقرية مرْوان بالجانب الشرقيّ من نهر طهيثا في جزيرة هناك.

وجمع إليه رؤساء الباهليّين وأهل الطفوف ، وكتب إلى الخبيث يعلمه ما صنع ، فكتب إليه يصوّب رأيه ، ويأمره بإنفاذ ما قبله من مِيرَة ونَعَم وغنم ، فأنفذ ذلك إليه ، وسار مسرور إلى موضع معسكر سليمان الأول ، فلم يجد هناك كثير شيء ، ووجد القوم قد سبقوه إلى نقل ما كان في معسكرهم ، وانحدر أبّا التركيّ إلى البطائح في طلب سليمان؛ وهو يظنّ أنه قد ترك الناحية ، وتوجّه نحو مدينة الخبيث فمضى ، فلم يقف لسليمان على أثر ، وكرّ راجعاً ، فوجد سليمان قد أنفذ جيشاً إلى الحوانيت ليطرُق من شذّ من عسكر مسرور ، فخالف الطريق الذي خاف أن يؤدّيَهُ إليهم ، ومضى في طريق آخر؛ حتى انتهى إلى مسرور ، فأخبره أنه لم يعرف لسليمان خبراً.

وانصرف جيش سليمان إليه بما امتاروا ، وأقام سليمان ، فوجّه الجُبائيَّ في السُّميريّات للوقوف على مواضع الطعام والمِيَر والاحْتيال في حَمْلها. فكان

الجبائيّ لا ينتهي إلى ناحية فيجد فيها شيئاً من المِيرة إلا أحرقه ، فساء ذلك سليمان ، فنهاه عنه فلم يَنْتَهِ ، وكان يقول : إن هذه المِيرة مادّة لعدوّنا ، فليس الرأي ترك شيء منها .

فكتب سليمان إلى الخبيث يشكو ما كان من الجُبَّائيّ في ذلك ، فورد كتاب الخبيث على الجُبّائيّ يأمره بالسمع والطاعة لسليمان ، والائتمار له فيما يأمره به .

وورد على سليمان أن أغرْتمش وخُشيشاً قد أقبلا قاصديْن إليه في الخيل والرِّجال والشَّذَا والسُّميريّات ، يريدان مواقعته ، فجزع جزعاً شديداً ، وأنفذ الجبائيَّ ليعرف أخبارهما ، وأخذ في الاستعداد للقائهما ، فلم يلبث أن عاد إليه الجُبائيّ مهزوماً ، فأخبره أنهما قد وافيا باب طنج ؛ وذلك على نصف فرسخ من عسكر سليمان حينئذ ، فأمره بالرّجوع والوقوف في وجه الجيش ، وشغله عن المصير إلى العسكر إلى أنْ يلحق به ؛ فلما أنفذ الجبائيّ لما وُجّه له صعد سليمان سطحاً ، فأشرف منه ، فرأى الجيش مقبلاً ، فنزل مسرعاً ، فعبَر نهر طهيثا ، ومضى راجلاً ، وتبعه جَمْعٌ من قوّاد السودان حتى وافوْا باب طنج ، فاستدبر أغرتمش ، وتركهم حتى جدُّوا في المسير إلى عسكره ، وقد كان أمر الذي استخلفه على جيشه ألاّ يدع أحداً من السودان يظهر لأحد من أهل جيش أغرتمش ، وأن يخفوا أشخاصهم ما قدرُوا ، ويَدَعُوا القوم حتى يتوغّلوا النهر إلى أن يسمعوا أصوات طبوله ؛ فإذا سمعوها خرجوا عليهم ، وقصدوا أغرتمش .

فجاء أغرتمش بجيشه حتى لم يكن بينه وبين العسكر إلاّ نهر يأخذ من طهيثا يقال له جارورة بني مَرْوان ، فانهزم الجُبائيّ في السُّميريّات حتى وافى طهيثا ، فخلف سُميرِيّاته بها ، وعاد راجلاً إلى جيش سليمان ، واشتدّ جزع أهل عسكر سليمان منه ، فتفرّقوا أيادي سبا ، ونهضت منهم شِرذمة فيها قائد من قوّاد السودان يقال له أبو النداء ، فتلقَّوْهم فواقعوهم ، وشغلوهم عن دخول العسكر ، وشدّ سليمان من وراء القوم ، وضرب الزَّنج بطبولهم ، وألقوْا أنفسهم في الماء للعبورِ إليهم ؛ فانهزم أصحابُ أغرتمش وشدّ عليهم مَنْ كان بطهيثا من السودان ، ووضعوا السيوف فيهم ، وأقبل خُشيش على أشهب كان تحته يريد الرجوع إلى عسكره ، فتلقّاه السودان ، فصرعوه وأخذتْه سيوفهم ، فقتِل وحُمل رأسه إلى سليمان ، وقد كان خُشيش حين انتزعوا إليه ، قال لهم : أنا خُشيش ؛ فلا

تقتلوني ، وامضوا بي إلى صاحبكم ، فلم يسمعوا لقوله وانهزم أغرتمش ، وكان في آخر أصحابه ، ومضى حتى ألقى نفسه إلى الأرض فركب دابّة ومضى ، وتبعهم الزّنج حتى وصلوا إلى عسكرهم؛ فنالوا حاجتَهم منه ، وظفروا بشذوات كانت مع خُشيش ، وظفر الذين اتبعوا الجيش المولي بشَذَوات كانت مع أغرتمش فيها مال ، فلما انتهى الخبر إلى أغرتمش ، كرّ راجعاً حتى انتزعها من أيديهم ، ورجع سليمان إلى عسكره ، وقد ظفر بأسلاب ودوابّ ، وكتب بخبر الوقعة إلى قائد الزَّنْج؛ وما كان منه فيها ، وحمل إليه رأس خشيش وخاتمه ، وأقرَّ الشَّذَوات التي أخذها في عسكره فلما وافى كتابُ سليمان ورأس خُشيش ، أمر فطِيف به في عسكره ، ونصب يوماً؛ ثم حمله إلى عليّ بن أبان ، وهو يومئذ مقيم بنواحي الأهواز ، وأمر بنصبه هناك؛ وخرج سليمان والجُبائيّ معه وجماعة من قُوّاد السودان إلى ناحية الحوانيت متطرّفين ، فتوافقوا هناك ثلاث عشرة شَذَاة مع المعروف بأبي تميم أخي المعروف بأبي عَوْن صاحب وصيف التركيّ ، فأوقعوا به ، فقتل وغرق ، وظفروا من شَذَواته بإحدى عشرة شذاة.

قال محمد بن الحسن : هذا خبر محمد بن عثمان العبّادانيّ؛ فأما جَبَّاش؛ فزعم : أن الشّذا التي كانت مع أبي تَميم كانت ثمانية ، فأفلت منهم شذاتان كانتا متأخّرتين ، فمضتا بمنْ فيهما وأصاب سلاحاً ونهباً ، وأتى على أكثر مَنْ كان في تلك الشَّذَوات من الجيش ، ورجع سليمان إلى عسكره ، وكتب إلى الخبيث بما كان منه مِنْ قتل المعروف بأبي تميم؛ ومن كان معه ، واحتبس الشَّذَوات في عسكره.

* * *

وفيها كبس ابن زيدويه الطيِّبَ ، فأنهبها.

وفيها وُلِّيَ القضاء عليّ بن محمد بن أبي الشوارب[1].

وفيها خرج الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر من بغداد لليال بقين منه ، فصار إلى الجبل.

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٧٤).

وفيها مات الصَّلابيّ ، ووُلِّيَ الريّ كيغَلغ .

ومات صالح بن عليّ بن يعقوب بن المنصور في ربيع الآخر منها .

ووُلِّيَ إسماعيل بن إسحاق قضاء الجانب الشرقيّ من بغداد ، فجمع له قضاء الجانبين .

وفيها قتِل محمد بن عتّاب بن عتّاب ، وكان وُلِّيَ السّيبيْن فصار إليها ، فقتلتْه الأعراب .

وللنصف من شهر رمضان صار موسى بن بغا إلى الأنبار متوجّهاً إلى الرّقة .

وفيها قتل أيضاً القطان صاحب مفلِح ، وكان عاملاً بالموصل على الخراج ، فانصرف منها ، فقتِل في الطريق .

وعقد فيها لكفتمر عليّ بن الحسين بن داود ، كاتب أحمدُ بن سهل اللطفيّ على طريق مكة في شهر رمضان .

وفيها وقع بين الحنّاطين والجزّارين بمكة قتال قبل يوم التَّروية بيوم ، حتى خاف الناس أن يبطل الحج ، ثم تحاجزوا إلى أن يحجَّ الناس ، وقد قتل منهم سبعة عشر رجلاً[١] .

وفيها غلب يعقوب بن الليث على فارس وهرب ابن واصل[٢] .

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين الزنج وأحمد بن ليثويه]

وفيها كانت وقعة بين الزّنج وأحمد بن لَيْثَويْه ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر أبا داود الصعلوك وقد كان صار معهم[٣] .

*** ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسبب أسر الصعلوك :**

ذكر أن مسروراً البلخيّ وجه أحمد بن ليثويه إلى ناحية كور الأهواز ، فلما

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٨).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

وصل إليها نزل السوس ، وكان الصَّفار قد قلّد محمد بن عبيد الله بن أزاذَ مَرْد الكرديّ كُور الأهواز ، فكتب محمد بن عبيد الله إلى قائد الزَّنج يطمعه في الميل إليه ، وقد كانت العادة جرت بمكاتبة محمد إياه من أوّل مخرجه ، وأوهمه أنه يتولّى له كور الأهواز ويداري الصّفار حتى يستويَ له الأمر فيها ، فأجابه الخبيث إلى ذلك على أن يكون عليّ بن أبان المتولي لها ، ويكون محمد بن عبيد الله يخلفُه عليها ، فقبل محمّد بن عبيد الله ذلك ، فوجّه عليّ بن أبان أخاه الخليل بن أبان ، في جمع كثير من السودان وغيرهم ، وأيّدهم محمد بن عبيد الله بأبي داود الصُّعلوك ، فمضوْا نحو السوس؛ فلم يصلوا إليها ، ودفعهم ابن ليثويه ومن كان معه من أصحاب السلطان عنها ، فانصرفوا مفلولين ، وقد قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر منهم جماعة ، وسار أحمد بن ليثويه حتى نزل جنديْ سابور.

وسار عليّ بن أبان من الأهواز منجِداً محمد بن عبيد الله على أحمد بن ليثَوَيْه ، فتلقاه محمد بن عبيد الله في جَمْع من الأكراد والصعاليك؛ فلما قرب منه محمد بن عبيد الله سارا جميعاً ، وجعلا بينهما المسرُقان؛ فكانا يسيران عن جانبيه؛ ووجّه محمد بن عبيد الله رجلاً من أصحابه في ثلثمئة فارس ، فانضمّ إلى عليّ بن أبان ، فسار عليّ بن أبان ومحمد بن عبيد الله إلى أن وافَيَا عسكر مُكْرَم ، فصار محمد بن عبيد الله إلى عليّ بن أبان وحده ، فالتقيا وتحادثا ، وانصرف محمد إلى عسكره ، ووجّه إلى عليّ بن أبان القاسم بن عليّ ورجلاً من رؤساء الأكراد ، يقال له حازم ، وشيخاً من أصحاب الصفار يعرف بالطّالقانيّ ، وأتوْا عليّاً ، فسلّموا عليه ، ولم يزل محمد وعليّ على ألفة ، إلى أن وافى عليٌّ قنطرة فارس ، ودخل محمد بن عبيد الله تُسْتَر ، وانتهى إلى أحمد بن ليثَوَيْه تضافُر عليّ بن أبان ومحمد بن عبيد الله على قتالِه ، فخرج عن جنديْ سابور ، وصار إلى السوس ، وكانت موافاة علي قنطرة فارس في يوم الجُمعة ، وقد وعده محمد بن عبيد الله أن يخطُب الخاطب يومئذ ، فيدعو لقائد الزّنج ، وله على منبر تُسْتَر ، فأقام عليّ منتظراً ذلك ، ووجّه بهبوذ بن عبد الوهاب لحضور الجمعة وإتيانه بالخبر؛ فلما حضرت الصلاة قام الخطيب ، فدعا للمعتمد والصّفار ومحمد بن عبيد الله ، فرجع بهبوذ إلى عليّ بالخبر ، فنهض عليّ من ساعته ، فركب دوابّه ، وأمر أصحابه بالانصراف إلى الأهواز ، وقدّمهم أمامه ، وقدّم

معهم ابن أخيه محمد بن صالح ومحمد بن يحيى الكرمانيّ وكاتبه وأقام حتى إذا جاوزوا كسر قنطرة كانت هناك لئلا يتبعه الخيل.

قال محمد بن الحسن: وكنت فيمن انصرف مع المتقدّمين من أصحاب عليّ ومرّ الجيش في ليلتهم تلك مسرِعين، فانتهوْا إلى عسكر مكرَم في وقت طلوع الفجر؛ وكانت داخلة في سلْم الخبيث، فنكث أصحابه، وأوقعوا بعسكر مَكْرَم، ونالوا نهباً، ووافى عليّ بن أبان في أثر أصحابه، فوقف على ما أحدثوا فلم يقدِر على تغييره، فمضى حتى صار إلى الأهواز ولما انتهى إلى أحمد بن ليثويْه انصرافُ عليّ، كرّ راجعاً حتى وافى تُسْتَر، فأوقع بمحمد بن عبيد الله ومَنْ معه، فأفلت محمد، ووقع في يده المعروف بأبي داود الصعلوك، فحمله إلى باب السلطان المعتمد، وأقام أحمد بن ليثويْه بتُسْتَر.

قال محمد بن الحسن: فحدّثني الفضل بن عديّ الدارميّ - وهو أحد مَنْ كان من أصحاب قائد الزّنج انضمّ إلى محمد بن أبان أخي عليّ بن أبان قال: لمّا استقرّ أحمد بن ليثويْه بتُسْتَر، خرج إليه عليّ بن أبان بجيشه، فنزل قرية يقال لها: برنجان، ووجّه طلائع يأتونه بأخباره، فرجعوا إليه، فأخبروه أنّ ابن ليثويْه، قد أقبل نحوه، وأنّ أوائل خيله قد وافت قرية تعرف بالباهليّين، فزحف عليّ بن أبان إليه، وهو يبشّر أصحابه، ويعدُهم الظفر، ويحكي لهم ذلك عن الخبيث، فلمّا وافى الباهليين تلقاه ابن ليثويه في خيله، وهي زهاء أربعمئة فارس؛ فلم يلبثوا أن أتاهم مدد خيل، فكثرت خيلُ أصحاب السلطان واستأمن جماعة من الأعراب الذي كانوا مع عليّ بن أبان إلى ابن ليثويْه، وانهزم باقي خيل عليّ بن أبان، وثبت جُميِّعة من الرّجّالة، وتفرّق عنه أكثرهم، واشتدّ القتال بين الفريقين، ترجّل عليّ بن أبان، وباشر القتال بنفسه راجلاً، وبين يديه غلام من أصحابه يقال له فَتْح، يعرف بغلام أبي الحديد، فجعل يقاتل معه، وبصر بعليّ أبو نصر، سَلْهب وبدر الروميّ المعروف بالشعرانيّ فعرفاه، فأنذر الناس به، فانصرف هارباً حتى لجأ إلى المسرُقان، فألقى بنفسه فيه، وتلاه فَتْح، فألقى نفسه معه، فغرق فتح، ولحق عليّ بن أبان نصر المعروف، بالروميّ، فتخلّصه من الماء، فألقاه في سُمَيريّة ورُميَ عليّ بسهم، وأصيب به في ساقه، وانصرف مفلولاً، وقتل من أنجاد السودان وأبطالهم جماعة كثيرة.

* * *

وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن العباس بن محمد(١) .

* * *

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ظفرعُزَيز بن السريّ صاحب يعقوب بن الليث بمحمد بن واصل وأخذه أسيراً.

وفيها كانت بين موسى دالجويه والأعراب بناحية الأنبار وقعة ، فهزموه وفلّوه ، فوجّه أبو أحمد ابنه أحمد في جماعة من قوّاده في طلب الأعراب الذين فلّوا موسى دالجويه.

وفيها وثب الدّيرانيّ بابن أوس فبيّته ليلاً ، وفرّق جمعه ، ونهب عسكره ، وأفلت ابن أوس ، ومضى نحو واسط.

وفيها خرج في طريق الموصل رجلٌ من الفراغنة ، فقطع الطريق ، فظُفِر به فقتِل.

* * *

[ذكر الوقعة بين ابن ليثويْه مع أخي عليّ بن أبان](٢)

وفيها أقبل يعقوب بن الليث من فارس ، فلمّا صار إلى النُّوبنْدَجان انصرف أحمد بن ليثويْه عن تُسْتَر ، وصار فيها يعقوب إلى الأهواز ، وقد كان لابن ليثويه

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٨).

(٢) لم يُشِر ابن الجوزي إلى هذا الخبر ولكن ذكره ابن كثير ضمن إشارته إلى وقائع أخرى إذ قال:

فيها جرت حروب كثيرة منتشرة في بلدان شتى فمن ذلك مقتلة عظيمة في الزنج قبّحهم الله حصرهم في بعض المواقف بعض الأمراء من جهة الخلفية فقتل الموجودين عندهم عن آخرهم ولله الحمد والمنة [البداية والنهاية ٨/ ٢٣٨].

قبل ارتحاله عن تُستر وقعة مع أخي عليّ بن أبان، ظفر فيها بجماعة كثيرة من زنوجه.

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة:

ذكر عن عليّ بن أبان: أن ابن ليثويْه لما هزمه في الوقْعة التي كانت بينهما في الباهليّين، فأصابه ما أصابه فيها، ووافى الأهواز، لم يقمْ بها، ومضى إلى عسكر صاحبه قائد الزّنج، فعالج ما قد أصابه من الجِراح حتى برأ، ثم كرّ راجعاً إلى الأهواز، ووجّه أخاه الخليل بن أبان وابن أخيه محمد بن صالح المعروف بأبي سهل، في جيش كثيف إلى ابن لَيثويْه؛ وهو يومئذ مقيم بعسكر مكرَم، فسارا فيمن معهما، فلقيهما ابنُ ليثويْه على فرسخ من عسكر مكرَم، قاصداً إليهما، فالتقى الجمعان، وقد كمّن ابن ليثويْه كميناً، فلما استحرّ القتال تطارد ابن ليثويْه، فطمع الزّنج فيه، فتبِعوه حتى جاوزوا الكمين، فخرج من ورائهم؛ فانهزموا وتفرّقوا، وكرّ عليهم ابن ليثويْه، فنال حاجته منهم، ورجعوا مفلولين، فانصرف ابن ليثويه بما أصاب من الرؤوس إلى تُستَر، ووجّه عليّ بن أبان أنكلويه مسلحةً إلى المسرُقان إلى أحمد بن لَيْثَوَيْه، فوجّه إليه ثلاثين فارساً من جُلْد أصحابه، وانتهى إلى الخليل بن أبان مسيرُ أصحاب ابن ليثويه إلى المسلَحة، فكمن لهم فيمن معه، فلما وافوْه خرج إليهم، فلم يفلِتْ منهم أحد، وقُتِلوا عن آخرهم، وحُمِلت رؤوسهم إلى عليّ بن أبان، وهو بالأهواز، فوجّهها إلى الخبيث، وحينئذ أتى الصفّار الأهواز، وهرب عنها ابن ليثويه.

*** ذكر الخبر عما كان من أمر الصفّار هنالك في هذه السنة:**

ذُكر أنّ يعقوب بن الليث لما صار إلى جنديْ سابور، نزلها وارتحل عن تلك الناحية كلّ مَنْ كان بها مِنْ قبَل السلطان، ووجّه إلى الأهواز رجلاً من قبَله يقال له: الحصن بن العنبر، فلمّا قاربها خرج عنها عليّ بن أبان صاحب قائد الزَّنج، فنزل نهر السدرة، ودخل حصن الأهواز، فأقام بها، وجعل أصحابه وأصحاب عليّ بن أبان يُغير بعضهم على بعض، فيصيب كلّ فريق منهم مِن صاحبه، إلى أن استعدّ عليّ بن أبان، وسار إلى الأهواز، فأوقع بالحصن ومَنْ معه وقعةً غليظة، قتلَ فيها من أصحاب يعقوب خلقاً كثيراً، وأصاب خيلاً، وغنم غنائم كثيرة، وهرب الحصن ومَنْ معه إلى عسكر مكرمَ، وأقام عليّ بالأهواز حتى

استباح ما كان فيها ، ثم رجع عنها إلى نهر السدرة ، وكتب إلى بَهْبُوذ يأمره بالإيقاع برجل من الأكراد من أصحاب الصفّار كان مقيماً بدَوْرَق ، فأوقع به بهبوذ ، فقتل رجاله وأسره ، فمنَّ عليه وأطلقه؛ فكان عليّ بعد ذلك يتوقّع مسير يعقوب إليه فلم يَسِرْ ، وأمدّ الحصن بن العنبر بأخيه الفضل بن العنبر ، وأمرهما بالكفّ عن قتال أصحاب الخبيث ، والاقتصار على المقام بالأهواز ، وكتب إلى عليّ بن أبان يسأله المهادنة ، وأن يقرّ أصحابه بالأهواز ، فأبى ذلك عليّ دون نقل طعام كان هناك ، فتجافَى له الصفّار عن نقل ذلك الطعام ، وتجافى عليّ للصفار عن علَف كان بالأهواز ، فنقل عليّ الطعام ، وترك العلَف ، وتكافّ الفريقان ، أصحاب عليٍّ وأصحاب الصفار.

* * *

وفيها توفِّيَ مَساور بن عبد الحميد الشاري [١].

وفيها مات عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، سقط عن دابته في الميدان منْ صدمة خادم له ، يقال له: رشيق ، يوم الجمعة لعشر خَلَوْن من ذي القعدة ، فسال من منخره وأذنه دمٌ ، فمات بعد أن سقط بثلاث ساعات ، وصلى عليه أبو أحمد بن المتوكل ، ومشى في جنازته ، واستوزر من الغد الحسن بن مخلد.

ثم قدم موسى بن بغا سامرّا لثلاث بقين من ذي القعدة ، فهرب الحسن بن مخلد إلى بغداد ، واستوزر مكانه سليمان بن وهب ، لستّ ليال خلَوْن من ذي الحجة ، ثم ولي عبيد الله بن سليمان كتبة المفوّض والموفق إلى ما كان يلي من كتبة موسى بن بغا ، ودفعت دار عبيد الله بن يحيى إلى كيغَلغ [٢].

وفيها أخرج أخو شركب الحسينَ بن طاهر عن نيسابور ، وغلب عليها ، وأخذ أهلها بإعطائه ثلث أموالهم ، وصار الحسين إلى مَرْو ، وبها أخو خوارزم شاه يدعو لمحمد بن طاهر [٣].

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٨).
(٢) لوفاة الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان وترجمته انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩) وتأريخ دمشق (٤٤/ ٤٤٧).
(٣) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٨).

وفي هذه السنة سلّمت الصقالبة لؤلؤة إلى الطاغية[١] .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن إسحاق بن الحسن بن إسماعيل[٢] .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك توجيهُ يعقوب الصفّار جيشاً إلى الضَّيْمَرة ، فتقدّموا إليها ، وأخذوا صَيغُون ، ومُضيَ به إليه أسيراً ، فمات عنده .

ولإحدى عشرة خلت من المحرّم ، عسكر أبو أحمد ومعه موسى بن بغا بالقائم ، وشيّعهما المعتمد ، ثم شخصا من سامرّا لليلتين خلتَا من صفر ، فلمّا صارا ببغداد ، مات بها موسى بن بغا ، وحُمِل إلى سامرّا ، فدفن بها[٣] .

وفيها في شهر ربيع الأول ماتت قبيحة أمّ المعتزّ[٤] .

وفيها صار ابن الدَّيرَانيّ إلى الدينَور ، وتعاون ابن عياض ودُلَف بن عبد العزيز بن أبي دلَف عليه ، فهزماه ، وأخذا أمواله وضياعه ، ورجع إلى حُلوان مفلولاً[٥] .

* * *

[خبر أسر الروم لعبد الله بن رشيد]

وفيها أسرت الروم عبد الله بن رشيد بن كاوس .

* ذكر الخبر عن سبب أسرهم إياه :

ذُكِر أنّ سبب ذلك كان : أنه دخل أرض الروم في أربعة آلاف من أهل الثغور

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٨) .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) المصدر السابق نفسه ، والمنتظم (٢/ ١٩٦) .

(٥) المصدر السابق نفسه .

الشأمية ، فصار إلى حصنَيْن ، والمسكنين ، فغنم المسلمون ، وقفل ، فلمّا رحل عن البَدَنْدون ، خرج عليه بطريق سلوقيَة وبطريق قَذَيْذيَة وبطريق قُرّة وكوكب وخَرْشنة ، فأحدقوا بهم ، فنزل المسلمون فعرقبوا دوابهم ، وقاتلوا ، فقُتلوا إلا خمسمئة أو ستمئة ، وضعوا السياط في خواصر دوابّهم وخرجوا ، فقتل الرّوم مَنْ قتلوا ، وأسر عبد الله بن رشيد بعد ضرباتٍ أصابته ، وحُمِل إلى لؤلؤة ، ثم حمِل إلى الطاغية على البريد.

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين محمد المولّد وقائد الزنج]

وفيها وُلِّيَ محمد المولّد واسطاً ، فحاربه سليمان بن جامع ، وهو عامل على ما يلي تلك الناحية من قِبَل قائد الزّنج ، فهزمه وأخرجه عن واسط فدخلها.

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسببها:

ذُكر: أنّ السبب في ذلك كان أنّ سليمان بن جامع الموجّه كان من قبل قائد الزّنج إلى ناحية الحوانيت والبطائح لمّا هزم جُعلان التركيَّ عامل السلطان ، وأوقع بأغَرْتمِش ، ففلَّ عسكره ، وقتل خُشَيْشاً ، ونهب ما كان معهم كتب إلى صاحبه قائد الزّنج يستأذنه في المصير إليه ، ليحدث به عهداً ، ويصلح أموراً من أمور منزله؛ فلمّا أنفذ الكتاب بذلك ، أشار عليه أحمد بن مهديّ الجبائيُّ بتطرُّق عسكر البخاريّ ، وهو يومئذ مقيم بَبردُودا ، فقبل ذلك ، وسار إلى بَرْدودا ، فوافى موضعاً يقال له: أكرمهر؛ وذلك على خمسة فراسخ من عسكر تكين ، فلما وافى ذلك الموضع ، قال الجبائيّ لسليمان: إن الرأي أن تقيم أنت هاهنا ، وأمضي أنا في السُّميريّات ، فأجرّ القوم إليك ، وأتعبهم فيأتوك وقد لغِبوا ، فتنال حاجتَك منهم ، ففعل سليمان ذلك ، فعبّى خيله ، ورجّالته في موضعه ذلك ، ومضى أحمد بن مهديّ في السُّميريات مُسحراً ، فوافى عسكر تكين ، فقاتله ساعة ، وأعدّ تكين خيلَه ورجاله وتطارد الجُبائيّ له ، وأنفذ غلاماً إلى سليمان ، يعلمه أنّ أصحاب تكين واردون عليه بخيلهم ، فلقي الرسول سليمان ، وقد أقبل يقفو أثر الجُبَّائيّ لمّا أبطأ عليه خبره ، فردّه إلى معسكره ، ووافى رسول آخر للجبائيّ بمثل الخبر الأوّل ، فلما رجع سليمان إلى عسكره ، أنفذ ثعلب بن

حفص البحرانيّ وقائداً من قواد الزَّنج ، يقال له منيناً في جماعة من الزَّنْج فجعلهما كميناً في الصحراء ممّا يلي ميسرة خيل تكين ، وأمرهما إذا جاوزهم خيل تكين أن يخرجوا من ورائهم ، فلما علم الجبائيُّ أن سليمان قد أحكم لهم خيلَه وأمر الكمين رفع صوته ، ليسمع أصحاب تكين؛ يقول لأصحابه: غررتموني وأهلكتموني ، وقد كنت أمرتكم ألا تدخلوا هذا المدخل فأبيتم إلا إلقائي وأنفسكم هذا الملْقَى الذي لا أرانا ننجو منه ، فطمع أصحاب تِكين لمّا سمعوا قوله ، وجدُّوا في طلبه ، وجعلوا ينادون: بلبل في قفص ، وسار الجبائيّ سيراً حثيثاً ، وأتبعوه يرشقونه بالسهام ، حتى جاوزوا موضع الكمين ، وقاربوا عسكر سليمان ، وهو كامن من وراء الجدُر في خيله وأصحابه ، فزحف سليمان ، فتلقّى الجيش ، وخرج الكمين من وراء الخيل ، وثنى الجبائيّ صدور سُميريّاته إلى مَنْ في النهر ، فاستحكمت الهزيمة عليهم من الوجوه كلها ، وركبهم الزّنج يقتلونهم ويسلبونهم؛ حتى قطعوا نحواً من ثلاثة فراسخ.

ثم وقف سليمان وقال للجبائيّ: نرجع فقد غنمنا وسلمنا ، والسلامة أفضل من كل شيء ، فقال الجبائيّ: كلا؛ قد نخبنا قلوبَهم ، ونفذتْ حيلتنا فيهم ، والرأي أن نكسبهم في ليلتنا هذه ، فلعلّنا أن نزيلهم عن عسكرهم ، ونفضَّ جمعهم ، فأتبع سليمان رأي الجبَائيّ ، وصار إلى عسكر تكين ، فوافاه في وقت المغرب ، فأوقع به ، ونهض تكين فيمن معه ، فقاتل قتالاً شديداً ، فانكشف عنه سليمان وأصحابه ، ثم وقف سليمان وعبّأ أصحابه ، فوجّه شبلاً في خيل من خيله ، وضمّ إليه جمعاً من الرّجّالة إلى الصحراء ، وأمر الجبّائيّ ، فسار في السُّمَيريّات في بطن النهر ، وسار هو فيمن معه من أصحابه الخيّالة والرجّالة ، فتقدّم أصحابه حتى وافى تكين ، فلم يقف له أحد ، وانكشفوا جميعاً وتركوا عسكرهم ، فغنم ما وجد فيه ، وأحرق العسكر ، وانصرف إلى معسكره بما أصاب من الغنيمة ، ووافى عسكره ، فألفى كتاب الخبيث قد ورد بالإذن له في المصير إلى منزله ، فاستخلف الجُبائيّ ، وحمل الأعلام التي أصابها من عسكر تكين والشَّذوات التي أخذها من المعروف بأبي تميم ومن خُشيش ومن تكين ، وأقبل حتى ورد عسكر الخبيث ، وذلك في جمادى الأولى من سنة أربع وستين ومئتين.

* * *

* ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله تهيأ للزنج دخول واسط ، وذكر الخبر عن الأحداث الجليلة في سنة أربع وستين ومئتين [(١)]:

ذكر : أن الجُبّائيّ يحيى بن خلف لمّا شخص سليمان بن جامع من معسكره بعد الوقعة التي أوقعها بتكين إلى صاحب الزَّنج ؛ خرج في السُّمَيريّات بالعسكر الذي خلّفه سليمان معه إلى ما زروان لطلب المِيرة ، ومعه جماعة من السودان ، فاعترضه أصحاب جُعْلان ، فأخذوا سفناً كانتْ معه ، وهزموه ، فرجع مفلولاً حتى وافَى طهيثا ، ووافتْه كتب أهل القرية ، يخبرونه أنّ منجور مولى أمير المؤمنين ومحمد بن عليّ بن حبيب اليشكريّ لما اتّصل بهما خبر غيبة سليمان بن جامع عن طَهيثا ؛ اجتمعا وجمعا أصحابهما ، وقصدا القرية ، فقتلا فيها وأحرقا وانصرفا ، وجلا من أفلت ممن كان فيها ، فصاروا إلى القرية المعروفة بالحجّاجية ، فأقاموا بها ، فكتب الجُبّائيّ إلى سليمان بخبر ما وردت به كُتب أهل القرية ، مع ما ناله من أصحاب جُعْلان ، فأنهض قائد الزّنج سليمان إلى طهيثا معجّلاً ، فوافاها ، فأظهر أنه يقصد لقتال جُعْلان ، وعبّا جيشه ، وقدّم الجبائيّ أمامه في السميريّات ، وجعل معه خيلاً ورجلاً ، وأمره بموافاة مازروان والوقوف بإزاء عسكرُ جُعلان ، وأنْ يظهر الخيل ويرعاها بحيث يراها أصحاب جُعلان ، ولا يُوقع بهم ، وركب هو في جيشه أجمع إلا نفراً يسيراً خلّفهم في عسكره ، ومضى في الأهواز حتى خرج على الهورَيْن المعروفين بالربَّة والعمرقة ، ثم مضى نحو محمد بن عليّ بن حبيب ، وهو يومئذ بموضع يقال له تلّفَخّار ، فوافاه فأوقع به وقعةً غليظة ، قتل فيها قتلى كثيرة ، وأخذ خيلاً كثيرة وحاز غنائم جزيلة ، وقتل أخاً لمحمد بن عليّ ، وأفلت محمد ، ورجع سليمان ، فلما صار في صحراء بين البزّاق والقرية وافتْه خيل لبني شيبان ، وقد كان فيمن أصاب سليمان بتلّفخّار سيد من سادات بني شيبان ، فقتله وأسر ابناً له صغيراً ، وأخذ حِجْراً كانت تحته ، فانتهى خبره إلى عشيرته ، فعارضوا سليمان بهذه الصحراء في أربعمئة فارس ، وقد كان سليمان وجّه إلى عُمير بن عمار خليفته بالطفّ حين توجّه إلى ابن حبيب ، فصار إليه ، فجعله دليلاً لعلمه بتلك الطريق ، فلمّا رأى

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٩١) فقد ذكر هذه الأحداث مختصراً جداً.

سليمان خيل بني شيبان قدّم أصحابه أجمعين إلاّ عمير بن عمار فإنه انفرد ، فظفرت به بنو شيبان فقتلوه ، وحملوا رأسه ، وانصرفوا.

وانتهى الخبر إلى الخبيث ، فعظُم عليه قتل عُمير ، وحمل سليمان إلى الخبيث ما كان أصاب من بلد محمد بن عليّ بن حبيب؛ وذلك في آخر رجب من هذه السنة ، فلما كان في شعبان نهض سليمان في جَمْع من أصحابه؛ حتى وافى قرية حسان ، وبها يومئذ قائد من قوّاد السلطان يقال له: جيْش ابن حمرتكين ، فأوقع به ، فأجفل عنه ، وظفر بالقرية فانتهبها ، وأحرق فيها وأخذ خيلاً ، وعاد إلى عسكره ، ثم خرج لعشر خلوْن من شعبان إلى الحوانيت وأصعد الجبائيّ في السميريّات إلى برمساور؛ فوجد هنالك صلاغاً فيها خيل من خيل جُعلان ، كان أراد أن يوافي بها نهر أبان ، وقد كان خرج إلى ما هناك متصيّداً ، فأوقع الجبائيّ بتلك الصلاغ ، فقتل مَنْ فيها ، وأخذ الخيل ـ وكانت اثني عشر فرساً ـ وعاد إلى طَهيثا ، ثم نهض سليمان إلى تلّ رمانا ، لثلاث بقين من شعبان فأوقع بها ، وجلا عنها أهلها ، وحاز ما كان فيها ، ثم رجع إلى عسكره ، ونهض لعشر ليال خَلْون من شهر رمضان إلى الموضع المعروف بالجازرة ، وأبّا يومئذ هناك ، وجُعْلان بمازروان.

وقد كان سليمان كتب إلى الخبيث في التوجيه إليه بالشّذَا ، فوجّه إليه عشر شذوات ، مع رجل من أهل عبّادان يقال له الصقر بن الحسين ، فلمّا وافى سليمان الصّقر بالشَّذا أظهر أنه يريد جُعْلان وبادرت الأخبار إلى جُعْلان بأن سليمان يريد موافاته؛ فكانت همّته ضبط عسكره ، فلما قَرُب سليمان من موضع أبّا مال إليه ، فأوقع به ، وألفاه غارّاً بمجيئه ، فنال حاجته ، وأصاب ستّ شذَوات.

قال محمد بن الحسن: قال جبّاس: كانت الشَّذَوات ثمانية ، وجدها في عسكره ، وأحرق شذاتين كانتَا على الشطّ ، وأصاب خيلاً وسلاحاً وأسلاباً ، وانصرف إلى عسكره ، ثم أظهر أنه يريد قصد تكين البخاريّ ، وأعدّ مع الجبائيّ وجعفر بن أحمد خال ابن الخبيث الملعون المعروف بأنكلاي سفناً ، فلما وافت السفن عسكر جُعْلان؛ نهض إليها ، فأوقع بها ، وحازها وأوقع سليمان من جهة البرّ ، فهزمه إلى الرُّصافة ، واسترجع سفنه ، وحاز سبعة وعشرين فرساً ومهرين من خيل جُعْلان وثلاثة أبغل ، وأصاب نهباً كثيراً وسلاحاً ، ورجع إلى طَهيثا.

قال محمد: أنكر جبّاش أن يكون لتكين في هذا الموضع ذكر، ولم يعرف خبر العبادانيّ في تكين، وزعم أنّ القصد لم يكن إلاّ إلى جُعْلان، وقد كان خبره خفيَ على أهل عسكره حتى أرجفوا بأنه قد قُتِل وقتل الجبّائيّ معه، فجزعوا أشدّ الجزع، ثم ظهر خبره وما كان منه من الإيقاع بجعلان، فسكنوا وقرّوا إلى أن وافَى سليمان، وكتب بما كان منه إلى الخبيث، وحمل أعلاماً وسلاحاً، ثم صار سليمان إلى الرُّصافة في ذي القعدة، فأوقع بمطر بن جامع، وهو يومئذ مقيم بها، فغنم غنائم كثيرة، وأحرق الرّصافة، واستباحها، وحمل أعلاماً إلى الخبيث، وانحدر لخمس ليالٍ خلون من ذي الحجة سنة أربع وستين ومئتين إلى مدينة الخبيث، فأقام ليعيّد هناك ويقيم في منزله، ووافى مطر بن جامع القرية المعروفة بالحجّامية، فأوقع بها، وأسر جماعةً من أهلِها. وكان القاضي بها من قبَل سليمان رجلاً من أهلها يقال له: سعيد بن السيد العدويّ، فأسِر وحُمِل إلى واسط هو وثعلب بن حفص وأربعة قوّاد كانوا معه، فصاروا إلى الحرجليّة على فرسخيْن، ونصف من طهيثا، ومضى الجبائيّ في الخيل والرجُل لمعارضة مطر، فوافى الناحية وقد نال مطر ما نال منها، فانصرف عنها، وكتب إلى سليمان بالخبر، فوافى سليمان يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة من هذه السنة، ثم صرف جُعْلان، ووافى أحمد بن ليثويْه، فأقام بالشديديّة، ومضى سليمان إلى موضع يقال له: نهر أبان، فوجد هناك قائداً من قوّاد ابن ليثويْه يقال له: طُرْناج، فأوقع به وقتله.

قال محمد: قال جبّاش: المقتول بهذا الموضع بينَك، فأما طُرْناج فإنه قتِل بمازروان، ثم وافى الرّصافة، وبها يومئذ عسكر مطر بن جامع، فأوقع به، فاستباح عسكره، وأخذ منه سبع شَذَوات، وأحرق شَذَاتين، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومئتين.

قال محمد: قال جبّاش: كانت هذه الوقعة بالشديديّة، والذي أخِذ يومئذ ستّ شذوات، ثم مضى سليمان في خمس شَذَوات، ورتّب فيها صناديد قوّاده وأصحابه، فواقعه تكين البخاريّ بالشديديّة، وقد كان ابن ليْثويه حينئذ صار إلى ناحية الكوفة وجُنُبلَاء، فظهر تكين على سليمان، وأخذ منه الشذَوات التي كانت معه بآلتها وسلاحها، ومقاتلتها، وقتِل في هذه الوقعة جِلّة قوّاد سليمان.

ثم زحف ابن ليثويْه إلى الشديديّة ، وضبط تلك النواحي إلى أن ولَّى أبو أحمد محمّداً المولَّد واسطاً.

قال محمد: قال جبّاش: لمّا وافَى ابن ليثويه الشديديّة سار إليه سليمان ، فأقام يومين يقاتله ، ثم تطارد له سليمان في اليوم الثالث ، وتبعه ابن ليثويه فيمن تسرّع معه ، فرجع إليه سليمان ، فألقاه في فوّهة بردودا ، فتخلص بعد أن أشفى على الغرق ، وأصاب سليمان سبع عشرة دابة من دوابّ ابن ليثويه.

قال: وكتب سليمان إلى الخبيث يستمدّه ، فوجّه إليه الخليل بن أبان في زُهاء ألف وخمسمئة فارس ، ومعه المذوّب ، فقصد عند موافاة هذا المدد إياه لمحاربة محمد المولَّد ، فأوقع به فهرب المولَّد ، ودخل الزَّنج واسطاً ، فقتِل بها خلْق كثير ، وانتهبت وأحرقت ، وكان بها إذ ذاك كنجور البخاريّ ، فحامى يومه ذلك إلى وقت العصر ، ثم قتِل ، وكان الذي يقود الخيل يومئذ في عسكر سليمان بن جامع الخليل بن أبان وعبد الله المعروف بالمذوّب ، وكان الجُبّائيّ في السميريّات ، وكان الزنجيّ بن مهربان في الشَّذَوات ، وكان سليمان بن جامع في قوّاده من السودان ورجّالته منهم ، وكان سليمان بن موسى الشعرانيّ وأخواه في خيله ورجْله مع سليمان بن جامع ؛ فكان القوم جميعاً يداً واحدةً ، ثم انصرف سليمان بن جامع عن واسط ، ومضى بجميع الجيش إلى جُنْبُلاء ليعيث ويخرب ، ووقع بينه وبين الخليل بن أبان اختلافٌ ، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه عليّ بن أبان ، فاستعفى له قائد الزنج من المُقام مع سليمان ، وأذن للخليل بالرجوع إلى مدينة الخبيث مع أصحاب عليّ بن أبان وغلمانه ، وتخلّف المذوَّب في الأعراب مع سليمان ، وأقام بمعسكره أياماً ، ثم مضى إلى نهر الأمير ، فعسكر به ، ووجّه الجبائيَّ والمذوّب إلى جُنْبُلاء ، فأقاما هنالك تسعين ليلة ، وسليمان معسكر بنهر الأمير.

قال محمد: قال جبّاش: كان سليمان معسكراً بالشديديّة.

* * *

[ذكر خبر خروج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرّا]

وفي هذه السنة خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامُرّا ، ومعه الحسن بن وهب ، وشيّعه أحمد بن الموفّق ومسرور البلخيّ وعامة القواد ؛ فلما صار بسامُرّا

غضب عليه المعتمد وحبسه وقيّده ، وانتهب داره ودار ابنيْه وهب وإبراهيم ، واستوزر الحسن بن مخلّد لثلاث بقين من ذي القعدة ، فشخص الموفّق من بغداد ومعه عبيد الله بن سليمان ، فلما قرب أبو أحمد من سامُرّا تحوّل المعتمد إلى الجانب الغربيّ ، فعسكر به ، ونزل أبو أحمد ومَنْ معه جزيرة المؤيد ، واختلفت الرسل بينهما ، فلمّا كان بعد أيام خَلَوْن من ذي الحجة ، صار المعتمد إلى حَرّاقة في دِجْلة ، وصار إليه أخوه أبو أحمد في زَلّالٍ؛ فخلع على أبي أحمد وعلى مسرور البلخيّ وكيْغَلغ وأحمد بن موسى بن بغا ، فلما كان يوم الثلاثاء لثمان خلَوْن من ذي الحجة يوم التَّروية عَبَر أهلُ عسكر أبي أحمد إلى عسكر المعتمد ، وأطلق سليمان بن وهب ، ورجع المعتمد إلى الجوْسق ، وهرب الحسن بن مخلّد وأحمَد بن صالح بن شيرزاد ، وكتب في قبض أموالهما وأموال أسبابهما ، وحبس أحمد بن أبي الأصبغ ، وهرب القوّاد المقيمون الذين كانوا بسامرّا إلى تَكْريت ، وتغيّب أبو موسى بن المتوكل ، ثم ظهر ، ثم شخص القوّاد الذين كانوا صاروا إلى تَكْرِيت إلى الموْصل ، ووضعوا أيديهم في الجباية .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشميّ الكوفيّ[١] .

* * *

ثم دخلت سنة خمس وستين ومئتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

[ذكر الوقعة بين أحمد بن ليثويه وسليمان قائد الزنج][٢]

فمن ذلك ما كان من وقعة كانت بين أحمد بن لَيْثويْه وسليمان بن جامع قائد صاحب الزَّنج بناحية جُنْبُلاء.

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة وسببها :

ذُكر : أن سليمان بن جامع كتب إلى صاحب الزَّنج ، يخبره بحال نهر يعرف

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٩١).

(٢) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٨).

بالزهيريّ ، ويسأله الإذن له في النفقة على إنفاذ كَرْيِهِ إلى سوَاد الكوفة والبرار ، ويُعلمِه: أنّ المسافة في ذلك قريبة ، وأنه متى أنفذه تهيّأ له بذلك حَمْل كلّ ما بنواحي جُنْبُلاء وسواد الكوفة من المِيرة فوجّه الخبيث بذلك رجلاً يقال له: محمد بن يزيد البصريّ ، وكتب إلى سليمان بإزاحة عِلله في المال والإقامة معه في جيشه إلى وقت فراغه ، مما وُجّه له ، فمضى سليمان بجميع جيشه حتى أقام بالشريطيّة نحواً من شهر ، وألقى الفعَلة في النهر؛ وخلال ذلك ما كان سليمان يتطرّق ما حوله من أهل خُسْرُ سابور؛ وكانت المِيرة تتّصل به من ناحية الصين وما والاها إلى أن واقعه ابن لَيْثويْه عامل أبي أحمد على جُنْبُلاء ، فقتل له أربعة عشر قائداً.

قال محمد بن الحسن: قتل سبعة وأربعين قائداً وخَلْقاً من الخلق لا يحصى كثرة ، واستبيح عسكره ، وأحرِقت سفنه ، وكانت مقيمةً في هذا النهر الذي كان مقيماً على إنفاذه ، فمضى مفلولاً حتى وافى طَهيثا ، فأقام بها ، ووافى الجُبّائيُّ في عقب ذلك ، ثم أصعد بالموضع المعروف ببرّتمرتا ، واستخلف على الشَّذَوات الاشتيام الذي يقال له الزنجيّ بن مهربان ، وقد كان السلطان وجّه نُصيراً لتقييد شامرْج ، وحمْله إلى الباب ، وتقلّد ما كان يتقلّده ، فوافى نصير الزّنجيّ بن مهربان بعد حمله شامرج مقيّداً بنهر برّتمرتا ، وأخذ منه تسع شَذَوات ، واستردّ الزنجيّ منها ستّاً.

قال محمد بن الحسن: أنكر جبّاش أن يكون الزّنجيّ بن مهربان استردّ من الشَّذَوات شيئاً ، وزعم أنّ نصيراً ذهب بالشَّذَوات أجمع ، وانصرف إلى طَهِيثا ، وبادر بالكتاب إلى سليمان ، ووافاه ، فأقام سليمان بطهِيثا إلى أن اتّصل به خبر إقبال الموفّق.

وفيها أوقع أحمد بن طولون بسيما الطويل بأنطاكية ، فحصره بها ، وذلك في المحرّم منها ، فلم يزل ابن طولون مقيماً عليها حتى افتتحها ، وقتل سيما [١].

وفيها وثب القاسم بن مماه بدُلف بن عبد العزيز بن أبي دُلف بأصبهان ،

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٩).

فقتله ، ثم وثب جماعة من أصحاب دُلف على القاسم ، فقتلوه ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز.

وفيها لحق محمد المولَّد بيعقوب بن الليث ، فصار إليه ، وذلك في المحرّم منها ، فأمر السلطان بقبض أمواله وعقاراته[١].

وفيها قتلت الأعراب جُعلان المعروف بالعيّاربِدِمًّا ، وكان خرج لبَذْرقة قافلة ، فقتلوه؛ وذلك في جمادى الأولى؛ فوجّه السلطان في طلب الذين قتلوه جماعةً من الموالي ، فهرب الأعراب ، وبلغ الذين شخصوا في طلبهم عين التّمر ، ثم رجعوا إلى بغداد ، وقد مات منهم من البرد جماعة؛ وذلك أنّ البرد اشتدّ في ذلك الأيام ودام أياماً ، وسقط الثلج ببغداد.

وفيها أمر أبو أحمد بحبس سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ، فحبِسا وعدة من أسبابهم في دار أبي أحمد ، وانتهبت دور عِدّة من أسبابه ، ووكل بحفظ داري سليمان وابنه عبيد الله ، وأمر بقبض ضياعهما وأموالهما وأموال أسبابهما وضياعهم خلا أحمد بن سليمان ، ثم صولح سليمان وابنه عبيد الله على تسعمئة ألف دينار ، وصيِّرا في موضع يصل إليهما من أحبّا.

وفيها عسكر موسى بن أتامش وإسحاق بن كُنْداجيق وبنغجور بن أرخُوز والفضل بن موسى بن بغا بباب الشماسيّة ، ثم عبروا جسر بغداد ، فصاروا إلى السفينتين ، وتبعهم أحمد بن الموفّق ، فلم يرجعوا ، ونزلوا صَرْصَر.

وفيها استكتب أبو أحمد صاعد بن مخلَد؛ وذلك لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الآخرة ، وخلع عليه ، فمضى صاعد إلى القوّاد بصرصَر ، ثم بعث أبو أحمد ابنه أحمد إليهم ، فناظرهم فانصرفوا معه فخلع عليهم.

وفيها خرج ـ فيما ذكر ـ خمسة من بطارقة الرّوم في ثلاثينَ ألفاً من الروم إلى أذَنة ، فصاروا إلى المصلى.

وأسروا أرخوز ـ وكان والي الثغور ـ ثم عُزِل ، فرابط هناك فأسِر ، وأسِر معه نحوٌ من أربعمئة رجل ، وقَتَلوا ممّن نفر إليهم نحواً من ألف وأربعمئة رجل ،

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٩).

وانصرفوا اليوم الرابع ، وذلك في جُمادى الأولى منها .

وفي رجب منها عسكر موسى بن أتامش وإسحاق بن كُنْدَاجيق وبنغجور بن أرخوز بنهر دَيَالى .

وفيها غلب أحمد بن عبد الله الخُجُستانيّ على نيسابور ، وصار الحسين بن طاهر عامل محمد بن طاهر إلى مَرْو ، فأقام بها وأخو شركب الجمّال بين الحسين والخُجستانيّ أحمد بن عبد الله .

وفيها أخرِبت طوس .

وفيها استورز إسماعيل بن بلبُل .

وفيها مات يعقوب بن الليث بالأهواز وخلفه أخوه عمرو بن الليث؛ وكتب عمرو إلى السلطان بأنه سامع له ومطيع؛ فوجّه إليه أحمد بن أبي الأصبغ في ذي القعدة منها [١].

وفيها قتلت جماعة من أعراب بني أسد عليّ بن مسرور البلخيّ بطريق مكة قبل مصيره إلى المُغيثة ، وكان أبو أحمد ولَّىٰ محمد بن مسرور البلخيّ طريق مكة ، فولاّه أخاه عليّ بن مسرور .

وفيها بعث ملك الروم بعبد الله بن رشيد بن كاوس الذي كان عامل الثغور فأسِر إلى أحمد بن طولون مع عِدّة من أسراء المسلمين وعِدّة مصاحف هدية منه له [٢].

وفيها صارت جماعة من الزّنج في ثلاثين سُمَيريّة إلى جَبُّل ، فأخذوا أربع سفن فيها طعام ، ثم انصرفوا [٣].

وفيها لحق العباس بن أحمد بن طولون مع مَنْ تبعه ببرْقة ، مخالفاً لأبيه أحمد ، وكان أبوه أحمد استخلفه ـ فيما ذكر ـ على عمله بمصر لمَا توجّه إلى الشأم؛ فلما انصرف أحمد عن الشأم راجعاً إلى مصر حمل العباس ما في بيت مال

---

(١) لوفاة يعقوب بن الليث انظر وفيات الأعيان (٦/ ٤٠٢) وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٣).
(٢) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٩).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ١٩٧).

مصر من الأموال ، وما كان لأبيه هناك من الأثاث وغير ذلك ، ثم مضى إلى بَرْقة ، فوجّه إليه أحمد جيشاً ، فظفروا به وردّوه إلى أبيه أحمد ، فحبسه عنده ، وقُتِل لسبب ما كان منه جماعةٌ كانوا شايعوا ابنَه على ذلك.

وفيها دخل الزَّنج النّعمانيّة ، فأحرقوا سوقَها ، وأكثر منازل أهلها ، وسَبوا ، وصاروا إلى جَرْجَرَايا ، ودخل أهلُ السواد بغداد (١) .

وفيها ولَّى أبو أحمد عمرَو بن الليث خُراسان وفارس وأصبهان وسِجْستان وكَرْمان والسند ، وأشهد له بذلك ، ووجّه بكتابه إليه بتوليته ذلك مع أحمد بن أبي الأصبغ ، ووجّه إليه مع ذلك العهد والعقد والخلع (٢) .

وفي ذي الحجة منها صار مسرور البلخي إلى النيل ، فتنحّى عنها عبد الله بن ليْثويه في أصحاب أخيه ، وقد أظهر الخلاف على السلطان ، فصار ومَنْ معه إلى أحمد أباذ ، فتبعهم مسرور البلخيّ يريد محاربتهم؛ فبدر عبد الله بن ليثويْه ومَنْ كان معه ، فترجّلوا لمسرور وانقادوا له بالسمع والطاعة ، وعبد الله بن ليثويْه نزع سيفه ومنطقته فعلقهما في عُنُقه ، يعتذر إليه ، ويحلف أنه حمل على ما فعل ، فقبل منه ، وأمر فخلع عليه وعلى عدّة من القوّاد معه .

* * *

[ذكر خبر شخوص تكين البخاري إلى الأهواز]

وفيها شخص تكين البخاريُّ إلى الأهواز مقدمة لمسرور البلخيّ (٣) .

* ذكر الخبر عمّا كان من أمر تكين بالأهواز حين صار إليها :

ذكر محمد بن الحسن أنّ تكين البخاري ولاّه مسرور البلخيّ كور الأهواز حين ولأّه أبو أحمد عليها ، فتوجّه تكين إليها ، فوافاها وقد صار إليها عليّ بن أبان المهلبيّ ، فقصد تُسْتَر ، فأحاط بها في جَمْع كثير من أصحابه الزَّنج وغيرِهم؛ فراع ذلك أهلَها ، وكادوا أن يُسلموها ، فوافاها تكين في تلك الحال ، فلم يضع

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٩٧).
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٣٩).

عنه ثياب السَّفَر؛ حتى واقع عليّ بن أبان وأصحابه؛ فكانت الدَّبَـرَة على الزَّنج، فقتِلوا وهُزِموا وتفرّقوا، وانصرف عليّ فيمن بقي معه مفلولاً مدحوراً، وهذه وقعة باب كُودَك المشهورة.

ورجع تكين البخاريّ، فنزل تُسْتَر، وانضمّ إليه جمعٌ كثير من الصعاليك وغيرهم، ورحل إليه عليّ بن أبان في جمع كثير من أصحابه، فنزل شرقيّ المسرُقان، وجعل أخاه في الجانب الغربيّ في جماعة من الخيل، وجعل رجّالة الزّنج معه، وقدم جماعة من قواد الزَّنج؛ منهم أنكلويه وحسين المعروف بالحماميّ وجماعة غيرهما، فأمرهم بالمقام بقنطرة فارس.

وانتهى الخبر بما دبره عليّ بن أبان إلى تكين، وكان الذي نقل إليه الخبر غلاماً يقال له وصيف الروميّ، وهرب إليه من عسكر عليّ بن أبان، فأخبره بمقام هؤلاء القوم بقنطرة فارس، وأعلمه تشاغُلَهم بشرب النبيذ وتفرّق أصحابهم في جمع الطعام، فسار إليهم تكين في الليل في جمع من أصحابه، فأوقع بهم؛ فقتل من قوّاد الزّنج أنكلويه، والحسين المعروف بالحمّاميّ ومفرّج المكنى أبا صالح وأندرون، وانهزم الباقون، فلحقوا بالخليل بن أبان، فأعلموه ما نزل بهم؛ وسار تكين على شرقيّ المسرُقان حتى لقيَ عليّ بن أبان فِي جمعه، فلم يقف له عليّ وانهزم عنه، وأسِر غلام لعليّ من الخيالة يعرف بَجَعْفَرَويْه، ورجع عليّ والخليل في جمعهما إلى الأهواز، ورجع تكين إلى تُسْتَر، وكتب عليُّ بن أبان إلى تكين يسأله الكفَّ عن قتل جعفرويه، فحبسه، وجرت بين تكين وعليّ بن أبان مراسلات وملاطفات، وانتهى الخبر بها إلى مسرور، فأنكرها، وانتهى إلى مسرور أنّ تكين قد ساءت طاعته، وركن إلى عليّ بن أبان ومايله.

قال محمد بن الحسن: فحدّثني محمد بن دينار، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ المأمونيّ الباذغيسيّ ـ وكان من أصحاب تكين البخاريّ ـ قال: لمّا انتهى إلى مسرور الخبر بالتياث تكين عليه توقّف حتى عرف صحة أمره، ثم سار يريد كُور الأهواز وهو مظهرٌ الرضا عن تكين والإحماد لأمره، فجعل طريقه على شابَرْزان، ثم سار منها حتى وافى السوس، وتكين قد عرف ما انتهى إلى مسرور من خبرِه، فهو مستوحش من ذلك ومن جماعة كانت تبعته عند مسرور من قوّاده، فجرت بين مسرور وتكين رسائل حتى أمنَ تكين،

فصار مسرور إلى وادي تُسْتَر ، وبعث إلى تكين ، فعبَر إليه مسلِّماً ، فأمر به فأخِذ سيفه ، ووُكِّل به؛ فلما رأى ذلك جيش تكين انفضُّوا من ساعتهم ، ففرقة منهم صارت إلى ناحية صاحب الزّنج ، وفرقة صارت إلى محمد بن عبيد الله الكرديّ ، وانتهى الخبر إلى مسرور ، فبسط الأمان لمن بقى من جيش تَكين ، فلحقوا به.

قال محمد بن عبد الله بن الحسن المأمونيّ: فكنت أحد الصائرين إلى عسكر مسرور ، ودفع مسرور تكين إلى إبراهيم بن جُعْلان ، فأقام في يده محبوساً ، حتى وافاه أجلُه فتوفِّيَ.

وكان بعض أمر مسرور وتكين الذي ذكرناه في سنة خمس وستين ، وبعضه في سنة ست وستين.

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشميّ(١).

وفيها كانت موافاة المعروف بأبي المغيرة بن عيسى بن محمد المخزومي متغلّباً بزنج معه على مكة.

* * *

ثم دخلت سنة ست وستين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تولية عمرو بن الليث عبيد الله بن عبد الله بن طاهر خلافتَه على الشرْطة ببغداد وسامُرّا في صفر ، وخلع أبي أحمد عليه ، ثم مصير عبيد الله بن عبد الله إلى منزله ، فخلع عليه فيه خلعة عمرو بن الليث ، وبعث إليه عمرو بعمود من ذهب(٢).

وفي صفر منها غلب أساتكين على الرّيّ ، وأخرج عنها طَلَمَجُور العامل الذي كان عليها ، ثم مضى هو وابنه أذكوتكين إلى قَزْوين ، وعليها أبرون أخو كيغَلَغ ، فصالحاه ودخلا قَزْوين ، وأخذا محمد بن الفضل بن سنان العجليّ ، فأخذا

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٩٧).
(٢) المصدر السابق نفسه (١٢/ ٢٠٧).

أمواله وضياعه ، وقتله أساتكين ، ثم رجع إلى الرّيّ ، فقاتله أهلها فغلبهم ودخلها[١] .

وفيها وردت سريّة من سرايا الرّوم تلَّ بَسْمَى من ديار ربيعة ، فقتلَتْ من المسلمين ، وأسرَتْ نحواً من مئتين وخمسين إنساناً ، فنفر أهلُ نَصِيبين وأهل الموصِل ، فرجعت الروم[٢] .

وفيها مات أبو الساج بجنديسابور ، في شهر ربيع الآخر ، منصرفاً عن عسكر عمرو بن الليث إلى بَغداد ، ومات قبله في المحرّم منها سليمان بن عبد الله بن طاهر[٣] .

وولّى عمرو بن الليث فيها أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلف أصبهان .

وولّى فيها محمد بن أبي الساج الحرَميْن وطريق مكة .

وفيها ولِّيَ أغرتمش ما كان تكين البخاريّ يليه من عمال الأهواز ، فسار أغرتمش إليها ، ودخلها في شهر رمضان ، فذكر محمد بن الحسن أن مسروراً وجّه أغرتمش ، وأبّا ومَطَر بن جامع لقتال عليّ بن أبان ، فساروا حتى انتهوْا إلى تُسْتَر ، فأقاموا بها ، واستخرجوا مَن كان في حبس تكين ، وكان فيه جعفرويه في جماعة من أصحاب قائد الزَّنج ، فقتِلوا جميعاً ، وكان مطر بن جامع المتولّي قتلهم ، ثم ساروا حتى وافَوْا عسكر مكرَم ، ورحل إليهم عليّ بن أبان ، وقدّم أمامه إليهم الخليل أخاه ، فصار إليهم الخليل ، فواقفهم وتلاه عليّ ، فلما كثر عليهم جمْع الزَّنج ، قطعوا الجسر وتحاجزوا ، وجنَّهم الليل ، فانصرف عليّ بن أبان في جميع أصحابه ، فصار إلى الأهواز ، وأقام الخليل فيمن معه بالمسرُقان ، وأتاه الخبر بأن أغرتمش ، وأبّا ومَطَر بن جامع قد أقبلوا نحوه ، ونزلوا الجانب الشرقيّ من قنطرة أربُك ليعبروا إليه ، فكتب الخليل بذلك إلى أخيه عليّ بن أبان ، فرحل عليّ إليهم حتى وافاهم بالقنطرة ، ووجّه إلى الخليل يأمره بالمصير إليه ، فوافاه وارتاع مَنْ كان بالأهواز من أصحاب عليّ ، فقلعوا

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٠) .

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٠٧) .

(٣) المصدر السابق نفسه .

عسكره ، ومضوْا إلى نهر السِّدرة ، ونشبت الحرب بين عليّ بن أبان وقوّاد السلطان هناك؛ وكان ذلك يومهم ، ثم تحاجزوا.

وانصرف عليّ بن أبان إلى الأهواز ، فلم يجد بها أحداً ، ووجد أصحابه أجمعين قد لحقوا بنهر السِّدرة، فوجّه إليهم مَنْ يردّهم، فعسر ذلك عليه فتبعهم ، فأقام بنهر السِّدرة ورجع قوّاد السلطان حتى نزلوا عسكر مكرم؛ وأخذ عليّ بن أبان في الاستعداد لقتالهم ، وأرسل إلى بهبوذ بن عبد الوهاب ، فأتاه فيمن معه من أصحابه ، وبلغ أغرتمش وأصحابه ما أجمع عليه من المسير إليهم عليّ ، فساروا نحوه ، وقد جعل عليّ بن أبان أخاه على مقدّمته ، وضمّ إليه بَهْبُوذ وأحمد بن الزَّرنجيّ ، فالتقى الفريقان بالدُّولاب ، فأمر عليّ الخليلَ بن أبان أن يجعلَ بَهْبُوذ كميناً، فجعله وسار الخليل حتى لقيَ القوم، ونشب القتال بينهم ، فكان أوّل نهار ذلك اليوم لأصحاب السلطان ، ثم جالوا جَوْلة وخرج عليهم الكمين ، وأكبّ الزّنج إكبابةً، فهزموهم، وأسِر مطر بن جامع ، صُرِعَ عن فرس كان تحته ، فأخذه بهبوذ فأتى به عليّاً ، وقتل سيما المعروف بصغراج في جماعة من القوّاد[1].

ولمّا وافى بهبوذ عليّاً ، بمطر؛ سأله مطر استبقاءَه ، فأبى ذلك عليّ ، وقال: لو كنت أبقيت على جعفرويْه ، لأبقينا عليك ، وأمر به فأدْنِيَ إليه ، فضرب عنقَه بيده.

ودخل عليّ بن أبان الأهواز ، وانصرف أغرتمش وأبّا فيمن أفلت معهما ، حتى وافيا تُسْتَر ، ووجّه عليّ بن أبان بالرؤوس إلى الخبيث ، فأمر بنصبها على سُور مدينته.

قال: وكان عليّ بن أبان بعد ذلك يأتي أغرتمش ، وأصحابه ، فتكون الحرب بينهم سِجالاً عليه وله ، وصرَف الخبيث أكثر جنوده إلى ناحية عليّ بن أبان ، فكثروا على أغرتمش ، فركن إلى الموادعة ، وأحبّ عليّ بن أبان مثل ذلك ، فتهادنَا ، وجعل عليّ بن أبان يُغير على النواحي ، فمن غاراته مصيره إلى القرية المعروفة ببيرُوذ ، فظهر عليها ، ونال منها غنائم كثيرة ، فكتب بما كان منه من ذلك إلى الخبيث ، ووجّه بالغنائم التي أصابها وأقام.

* * *

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٠).

وفيها فارق إسحاق بن كُنْدَاجيق عسكر أحمد بن موسى بن بغا؛ وذلك أن أحمد بن موسى بن بغا لمّا شخص إلى الجزيرة ولَّى موسى بن أتامش ديار ربيعة، فأنكر ذلك إسحاق، وفارق عسكره لسبب ذلك، وصار إلى بَلَد، فأوقع بالأكراد اليعقوبية فهزَمهم، وأخذ أموالهم فقويَ بذلك، ثم لقي ابن مساور الشاري فقتله.

وفي شوّال منها قَتَل أهلُ حِمْص عاملَهم عيسى الكرخيّ.

وفيها أسر لؤلؤ غلام أحمد بن طولون موسى بن أتامش؛ وذلك أن لؤلؤاً كان مقيماً برابية بني تميم، وكان موسى بن أتامش مقيماً برأس العين، فخرج ليلاً سكران ليكبِسهم، فكمنوا له، فأخذوه أسيراً، وبعثوا به إلى الرّقة، ثم لقي لؤلؤ أحمدَ بن موسى وقوّاده ومَنْ معهم من الأعراب في شوّال، فهزم لؤلؤ، وقُتل من أصحابه جماعة كثيرة، ورجع ابن صفوان العُقَيليّ، والأعراب إلى ثقل عسكر أحمد بن موسى لينتهبوه، وأكبّ عليهم أصحاب لؤلؤ، فبلغت هزيمة المنفلت منهم قَرَقيسيا، ثم صاروا إلى بغداد وسامرّا، فوافوْها في ذي القعدة، وهرب ابنُ صفوان إلى البادية.

وفيها كانت بين أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلف وبكتمر وقعة، وذلك في شوال منها، فهزم أحمد بن عبد العزيز بكتمر فصار إلى بغداد.

وفيها أوْقَع الخُجُستانيّ بالحسن بن زيد بجُرجان على غِرّة من الحسن، فهرب منه الحسن، فلحق بآمُل، وغلب الخُجُسْتَانيّ على جُرجان وبعض أطراف طَبَرِستان؛ وذلك من جُمادى الآخرة منها ورجب.

وفيها دعا الحسن بن محمد بن جَعفر بن عبد الله بن حسن الأصغر العقيقيّ أهل طِبرسْتان إلى البَيْعة له؛ وذلك أنّ الحسن بن زيد عند شخوصه إلى جُرجان كان استخلفهَ بسارية فلمَا كان من أمر الخُجُستانيّ وأمر الحسن ما كان بجُرجان، وهرب الحسن منها، أظهر العقيقيّ بسارية أنّ الحسن قد أسِرَ؛ ودعا من قبَله إلى بيعته، فبايعه قومٌ، ووافاه الحسن بن زيد فحاربه، ثم احتال له الحسن حتى ظفر به فقتله[١].

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٠).

وفيها نهب الخُجستانيّ أموالَ تجّار أهل جُرجان ، وأضرم النار في البلد .

وفيها كانت وقعة بين الخُجْستانيّ وعمرو بن الليث ، علا فيها الخجستانيّ على عمرو وهزمه ، ودخل نيسابور ، فأخرج عامل عمرو بها عنها ، وقتل جماعة مما كان يميل إلى عمرو بها .

* * *

[ذكر الخبر عن الفتنة بين الجعفرية والعلوية]

وفيها كانت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرّية والعَلويّة .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان سببُ ذلك ـ فيما ذُكر ـ أنّ القيّم بأمر المدينة ووادي القرى ونواحيها كان في هذه السنة إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفريّ ، فولّى وادي القرى عاملاً من قبَله ، فوثَب أهلُ وادي القُرى على عامل إسحاق بن محمد ، فقتلوه ، وقتلوا أخوين لإسحاق ، فخرج إسحاق إلى وادي القُرى ، فمرض به ومات ، فقام بأمر المدينة أخوه موسى بن محمد ، فخرج عليه الحسن بن موسى بن جعفر ، فأرضاه بثمانمئة دينار ، ثم خرج عليه أبو القاسم أحمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد ، ابن عمّ الحسن بن زيد صاحب طَبَرستان؛ فقتل موسى ، وغلب على المدينة ، وقدمها أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الحَسن بن زيد ، فضبط المدينة؛ وقد كان غلا بها السعر ، فوجّه إلى الجار ، وضمن للتجار أموالهم ، ورفع الجباية؛ فرخُص السعر ، وسكنت المدينة ، فولّى السلطان الحسنيّ المدينة إلى أن قدمها ابنُ أبي الساج .

* * *

وفيها وثبت الأعراب على كُسوة الكعبة ، فانتهبوها ، وصار بعضُها إلى صاحب الزَّنج ، وأصاب الحاجّ فيها شدّة شديدة[1] .

وفيها خرجت الرّوم إلى ديار ربيعة ، فاستنفر الناس ، فنفروا في برد ووقت لا يمكنُ الناس فيه دخول الدّرب .

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٠٧).

وفيها غزا سيما خليفة أحمد بن طولون على الثغور الشامية في ثلثمئة رجل من أهل طَرَسُوس ، فخرج عليهم العدوّ في بلاد هَرقلة ، وهم نحو من أربعة آلاف ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل المسلمون من العدوّ خَلْقاً كثيراً ، وأصيب من المسلمين جماعة كثيرة.

وفيها كانت بين إسحاق بن كُنْدَاجيق وإسحاق بن أيوب وقْعة ، هزم فيها ابن كنداجيق إسحاق بن أيوب ، فألحقه بنصيبين ، وأخَذ ما في عسكره ، وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، وتبعه ابن كُنْدَاجيق ، وصار إلى نَصيبين ، فدخلها ، وهرب إسحاق بن أيوب منه ، واستنجد عليه عيسى بن الشيخ وهو بآمِد وأبا المَغراء بن موسى بن زرارة؛ وهو بأَرْزَن ، فتظاهروا على ابن كُنْدَاجيق ، وبعث السلطان إلى ابن كُنْدَاجيق بخلع ولواء على الموصل وديار ربيعة وأرمينيَة مع يوسف بن يعقوب ، فخلع عليه ، فبعثوا يطلبون الصّلح ، ويبذلون له مالاً على أن يُقِرّهم على أعمالهم مئتي ألف دينار.

وفيها وافى محمد بن أبي الساج مكة ، فحاربه ابن المخزوميّ ، فهزمه ابن أبي الساج ، واستباح ماله؛ وذلك يوم التروية من هذه السنة [١].

* * *

[ذكر خبر دخول أصحاب قائد الزنج رامهرمز]

وفيها دخل أصحاب قائد الزنج رَامَهُرْمُز.

* ذكر الخبر عن سبب مصيرهم إليها:

قد ذكرنا قبلُ ما كان من أمر محمد بن عبيد الله الكرديّ وعليّ بن أبان صاحب الخبيث ، حين تلاقيَا على صلْح منهما ، فذُكِر أنّ عليّاً كان قد احتجن على محمد ضِغْناً في نفسه؛ لما كان في سفره ذلك؛ وكان يرصده بشرّ ، وقد عرف ذلك منه محمد بن عبيد الله ، وكان يروم النَّجاة منه؛ فكاتبَ ابنَ الخبيث المعروف بأنكلاي ، وسأله مسألة الخبيث ضمّ ناحيته إليه لتزول يد عليّ منه ، وهاداه ،

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٠).

فزاد ذلك عليّ بن أبان عليه غيظاً وحَنَقاً؛ فكتب إلى الخبيث يعرّفه به ، ويصحّح عنده أنه مصرّ على غدرِه ، ويستأذنه في الإيقاع به ، وأن يجعل الذّريعة إلى ذلك مسألته حمل خراج ناحيته إليه ، فأذن له الخبيث في ذلك ، فكتب عليّ إلى محمد بن عبيد الله في حَمْل المال ، فلواه به ، ودافعه عنه ، فاستعدّ له عليّ ، وسار إليه ، فأوقع برامهرمُز ، ومحمدُ بن عبيد الله يومئذ مقيمٌ بها ، فلم يكن لمحمد منه امتناع ، فهرب ودخل عليّ رامهرمُز فاستباحها ، ولحق محمد بن عبد الله بأقصى معاقله من أرْبَقَ والبيلم ، وانصرف عليّ غانماً ، وراع ما كان من ذلك من عليٍّ محمداً ، فكتب يطلب المسألة ، فأنهى ذلك عليّ إلى الخبيث ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك ، وإرهاق محمد بحمْل المال ، فحمل محمد بن عبيد الله مئتي ألف درهم ، فأنفذها عليّ إلى الخبيث ، وأمسك عن محمد بن عبيد الله وعن أعماله.

* * *

[ذكر الخبر عن وقعة أكراد داربان مع صاحب الزنج]

وفيها كانت وقعةٌ لأكراد الداربان مع زَنْج الخبيث ، هُزِموا فيها وفُلُّوا.

* ذكر الخبر عن سبب ذلك:

ذُكر عن محمد بن عبيد الله بن أزارْمَرْد أنه كتب إلى عليّ بن أبان بعد حمله إليه المالَ الذي ذكرنا مبلغه قبلُ ، وكفِّ عليّ عنه وعن أعماله ، يسأله المعونة على جماعة من الأكراد كانوا بموضع يقال له الداربان ، على أن يجعل له ولأصحابه غنائمهم ، فكتب عليّ إلى الخبيث يسأله الإذن له في النهوض لذلك ، فكتب إليه أن وجِّه الخليل بن أبان وبهبوذ بن عبد الوهاب ، وأقِمْ أنت ، ولا تنفذ جيشك حتى تتوثّق من محمد بن عبيد الله برهائن تكون في يدك منه ، تأمن بها من غدره فقد وترتَه ، وهو غير مأمون على الطلب بثأره.

فكاتب عليٌّ محمّدَ بن عبيد الله بما أمره به الخبيث ، وسأله الرهائن ، فأعطاه محمد بن عبد الله الأيمان والعهود ، ودافعه على الرهائن ، فدعا عليّاً الحِرْصُ على الغنائم التي أطمعه فيها محمد بن عبيد الله إلى أن أنفذ الجيش ، فساروا ومعهم رجال محمد بن عبيد الله؛ حتى وافوا الموضع الذي قصدوا له ، فخرج

إليهم أهله ، ونشبت الحرب ، فظهر الزّنج في ابتداء الأمر على الأكراد ، ثم صدّقهم الأكراد ، وخذلهم أصحاب محمد بن عبيد الله ، فتصدّعوا وانهزموا مفلولين مقهورين؛ وقد كان محمد بن عبيد الله أعدّ لهم قوماً أمرهم بمعارضتهم إذا انهزموا ، فعارضوهم وأوقعوا بهم ، ونالوا منهم أسلاباً ، وأرجلوا طائفة منهم عن دوابّهم فأخذوها ، فرجعوا بأسوأ حال ، فكتب المهلبيّ إلى الخبيث بما نال أصحابه ، فكتب إليه يعنّفه ، ويقول: قد كنتُ تقدّمت إليك ألاّ تركن إلى محمد بن عبيد الله ، وأن تجعل الوثيقة بينك وبين الرّهائن ، فتركتَ أمري ، واتبعتَ هواك ، فذاك الذي أردَاك ، وأردى جيشك.

وكتب الخبيث إلى محمد بن عبيد الله ، أنه لم يخف عليّ تدبيرُك على جيش عليّ بن أبان ، ولن تعدم الجزاء على ما كان منك.

فارتاع محمد بن عبيد الله مما ورد به عليه كتاب الخبيث ، وكتب إليه بالتضرّع والخضوع ، ووجّه بما كان أصحابه أصابوا من خيل أصحاب عليّ حيث عورضوا وهم منهزمون ، فقال: إني صرتُ بجميع مَنْ معي إلى هؤلاء القوم الذين أوقعوا بالخليل وبَهْبُوذ ، فتوعّدتهم وأخفتهم ، حتى ارتجعت هذه الخيل منهم ، ووجّهت بها ، فأظهر الخبيث غضباً ، وكتب إليه يتهدده بجيش كثيف يرميه به ، فأعاد محمد الكتاب بالتضرّع والاستكانة ، فأرسل إلى بَهْبُوذ فضمن له مالاً ، وضمن لمحمد بن يحيى الكِرمانيّ مثل ذلك ، ومحمد بن يحيى يومئذ الغالب على عليّ بن أبان ، والمصرّف له برأيه ، فصار بَهْبُوذ إلى عليّ بن أبان ، وظاهره محمد بن يحيى الكِرْمانيّ على أمره حتى أصلحا رأي عليّ في محمد بن عبيد الله وسلاّ ما في قلبه من الغَيْظ والحنَق عليه ، ثم مضيا إلى الخبيث ، ووافق ذلك ورودُ كتاب محمد بن عبيد الله عليه ، فصوّبا وصعّدا حتى أظهر لهما الخبيث قبولَ قولهما ، والرجوعَ لمحمد بن عبيد الله إلى ما أحبّ ، وقال: لست قابلاً منه بعد هذا إلا أن يَخطب لي على منابر أعماله.

فانصرف بَهْبُوذ والكرمانيّ بما فارقهما عليه الخبيث ، وكتبا به إلى محمد بن عبيد الله ، فأصدر جوابه إلى كلّ ما أراده الخبيث ، وجعل يُراوغ عن الدّعاء له على المنابر ، وأقام عليّ بعد هذا مدّة ، ثم استعدّ لمتُّوث ، وسار إليها؛ فرامها فلم يطقها لحصانتها وكثرة مَنْ يدافع عنها من أهلها ، فرجع خائباً فاتّخذ سلاليم

وآلات ليرقى بها السور ، وجمع أصحابه واستعدّ .

وقد كان مسرور البلخيّ عرف قصدَ عليٍّ مَتُّوث ، وهو يومئذ مقيمٌ بكُور الأهواز ، فلما عاود المسيرَ إليها ، سار إليه مسرور ، فوافاه قبيل غروب الشمس ، وهو مقيم عليها ؛ فلما عاين أصحاب عليّ أوائل خيل مسرور ، انهزموا أقبحَ هزيمة ، وتركوا جميع آلاتهم التي كانوا حملوها ، وقتِل منهم جمع كثير ، وانصرف عليّ بن أبان مدحوراً ، ولم يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى تتابعت الأخبار بإقبال أبي أحمد ، ثم لم يكن لعليّ بعد رجوعه من متُّوث وقعة حتى فتحت سوق الخميس وطهيثا على أبي أحمد ، فانصرف بكتاب ورد عليه من الخبيث يحِفِزه فيه حفزاً شديداً بالمصير إلى عسكره .

* * *

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي الكوفيّ(١) .

* * *

ثم دخلت سنة سبع وستين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك حبس السلطان محمد بن طاهر بن عبد الله وعدّة من أهل بيته بعقب هزيمة أحمد بن عبد الله الخُجُستانيّ عمرو بن الليث ، وتهمة عمرو بن الليث محمد بن طاهر بمكاتبة الخُجسْتانيّ والحسين بن طاهر ، ودعا الحسين والخجستانيّ لمحمد بن طاهر على منابر خراسان .

* * *

[ذكر خبر غلبة أبي العباس بن الموفق على سليمان بن جامع](٢)

وفيها غلب أبو العباس بن الموفّق على عامة ما كان سليمان بن جامع صاحب قائد الزنج غلب عليه من قرى كور دجلة كعَبْدَسِي ونحوها .

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٠٧).

(٢) هذه بداية أخبار طويلة ومتعددة هامة تتعلق بتفاصيل هذه المعارك الشرسة انفرد بها الطبري =

* ذكر الخبر عن سبب غلبة أبي العباس على ذلك ، وما كان من أمره وأمر الزّنج في تلك الناحية :

ذكر محمَد بن الحسن : أنّ محمد بن حماد حدّثه أن الزَّنج لمّا دخلوا واسطاً وكان منهم بها ما قد ذكرناه قبلُ ، واتَّصل الخبر بذلك إلى أبي أحمد بن المتوكل ندب ابنَه أبا العباس للشخوص إلى ناحية واسط لحرب الزّنج ، فخفّ لذلك أبو العباس ، فلما حضر خروج أبي العباس ركبَ أبو أحمد إلى بستان موسى الهادي في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومئتين ، فعرض أصحاب أبي العباس ، ووقف على عدّتهم؛ فكان جميع الفرسان والرّجّالة عشرة آلاف رجل في أحسن زِيّ وأجمل هيئة وأكمل عِدّة ، ومعهم الشَّذا والسُّمَيرِيّات والمعابر للرجّالة؛ كل ذلك قد أحكمت صنعته ، فنهض أبو العباس من بستان الهادي، وركب أبو أحمد مشيِّعاً له حتى نزل الفِرْك ، ثم انصرف ، وأقام أبو العباس بالفِرْك أياماً ، حتى تكاملت عُدده ، وتلاحق أصحابه ، ثم رحل إلى المدائن ، وأقام بها أيضاً ، ثم رحل إلى دير العَاقُول.

قال محمد بن حمّاد: فحدّثني أخي إسحاق بن حماد وإبراهيم بن محمد بن إسماعيل الهاشميّ المعروف ببُريه ، ومحمد بن شعيب الإشتيام ، في جماعة كثيرة ممن صحب أبا العباس في سفره ـ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ـ قالوا: لمّا نزل أبو العباس دير العاقول؛ ورد عليه كتاب نُصير المعروف بأبي حمزة صاحب الشذَا والسميريّات ، وقد كان أمضاه على مقدّمته ، يعلمه فيه أن سليمان بن جامع قد وافَى في خيل ورجّالة وشذوات وسميريّات ، والجبائيّ يقدمه ، حتى نزل الجزيرة التي بحضرة بردودا ، وأن سليمان بن موسى الشعرانيّ قد وافى نهر أبان برجّالة وفرسان وسُميريّات ، فرحل أبو العباس حتى وافى

= من بين غيره من المؤرخين المتقدمين الثقات ولهذه الروايات أهمية كبيرة (٩/ ٥٥٧ ـ ٦٠٠) فالطبري مؤرخ متقدم ثقة وقد عاصر تلك الأحداث إلاَّ أنه لم يعايشها ولم يشارك فيها بنفسه ولكنه التقى بمن شارك فيها وإن كان شهود العيان الذين التقى بهم ليسوا من رواة الحديث الذين وثقوا ووردت أسماؤهم في كتب الثقات ولا نستطيع أن نجزم بصحة كل ما ورد فيها من عدم صحتها والله أعلم ـ وانظر تعليقنا في آخر هذه الأخبار ضمن أحداث سنة ٢٧٠ هـ ـ وانظر المنتظم (١٢/ ٢١١).

جَرْجَرَايا ، ثم فم الصِّلح ، ثم ركب الظهر ، فسار حتى وافى الصِّلح ووجّه طلائعه ليعرف الخبر ، فأتاه منهم مَنْ أخبره بموافاة القوم وجمعهم وجيشهم ، وأن أولهم بالصِّلح وآخرهم ببستان موسى بن بغا ، أسفلَ واسط ، فلما عرف ذلك عدل عن سُنن الطريق ، واعترض في مسيره ، ولقي أصحابه أوائل القوم؛ فتطاردوا لهم حتى طمعوا واغترّوا ، فأمعنوا في اتباعهم ، وجعلوا يقولون لهم: اطلبوا أميراً للحرب؛ فإنّ أميركم قد شغَل نفسَه بالصيد ، فلمّا قَرُبوا من أبي العباس بالصِّلْح خرج عليهم فيمن معه من الخيل والرَّجْل ، وأمر فصِيح بنُصير: إلى أين تتأخر عن هؤلاء الأكلب! ارجع إليهم؛ فرجع نُصير إليهم.

وركب أبو العباس سُميرّية ، ومعه محمد بن شعيب الإشتيام ، وحف بهم أصحابه ، من جميع جهاتهم ، فانهزموا ، ومنح الله أبا العباس وأصحابَه أكتافهم؛ يقتلونهم ويطردونهم حتى وافَوا قرية عبد الله؛ وهي على ستة فراسخ من الموضع الذي لَقُوهم فيه ، وأخذوا منهم خمس شَذَوات وعدّة سُميريّات ، واستأمن منهم قوم وأسِر منهم أسرى ، وغرق ما أدرك من سفنهم؛ فكان ذلك أوّل الفتح على العباس بن أبي أحمد.

ولما انقضت الحربُ في هذا اليوم ، أشار على أبي العباس قوّاده وأولياؤه ، أن يجعل معسكَرهُ بالموضع الذي كان انتهى إليه من الصِّلح؛ إشفاقاً عليه من مقاربة القوم ، فأبى إلاّ نُزول واسط.

ولما انهزم سليمان بن جامع ومَنْ معه ، وضرب اللهُ وجُوههم ، انهزم سليمان بن موسى الشعرانيّ عن نهر أبان؛ حتى وافى سوق الخميس ، ولحق سليمان بن جامع بنهر الأمير؛ وقد كان القوم حين لقوا أبا العباس أجالُوا الرّأي بينهم ، فقالوا: هذا فتىً حَدثٌ؛ لم تطل ممارسته الحروب وتدرّبه بها ، فالرّأي لنا أن نرميَه بحدّنا كلِّه ، ونجتهد في أوّل لقية نلقاه في إزالته؛ فلعلّ ذلك أن يروعه ، فيكون سبباً لانصرافه عنا ، ففعلوا ذلك ، وحشدوا واجتهدوا ، فأوقع الله بهم بأسَه ونقمته ، وركب أبو العباس من غدِ يوم الوقعة ، حتى دخل واسطاً في أحسن زيّ ، وكان يوم جُمعة ، فأقام حتى صلى بها صلاة الجمعة ، واستأمن إليه خلق كثير ، ثم انحدر إلى العُمْر ـ وهو على فرسخ من واسط ـ فقدّم فيه عسكره ، وقال: اجعل معسكري أسفلَ واسط ، ليأمنَ مَنْ فوقه الزّنج ، وقد كان

نُصير المعروف بأبي حمزة والشاه بن ميكال أشارا عليه أن يجعل مُقامه فوق واسط ، فامتنع من ذلك ، وقال لهما : لست نازلاً إلا العُمْر ؛ فانزلا أنتما في فُوّهة بردودا ، وأعرض أبو العباس عن مشاورة أصحابه واستماع شيء من آرائهم ؛ فنزل العُمر ، وأخذ في بناء الشَّذَوات ، وجعل يراوح القوم القتال ويغاديهم ؛ وقد رتّب خاصّة غلمانه في سُميريّات فجعل في كلّ سميريّة اثنين منهم ، ثم إن سليمان استعدّ وحشد وجمع وفرّق أصحابه فجعلهم في ثلاثة أوجه : فرقة أتت من نهر أبان ، وفرقة من برتمرتا ، وفرقة من بردودا ، فلقيَهم أبو العباس ؛ فلم يلبثوا أن انهزموا ، فخلفت طائفة منهم بسوق الخميس وطائفة بمازروان ، وأخذ قوم منهم في برّتمرنا وآخرون أخذوا الماديان ، وقوم منهم اعتصموا للقوم الذين سلكوا الماديان ؛ فلم يرجع عنهم حتى وافى نهر بَرْمساور ، ثم انصرف ، فجعل يقف على القُرى والمسالك ، ومعه الأدلاَّء ؛ حتى وافَى عسكره ، فأقام به مريحاً نفسه وأصحابه ، ثم أتاه مخبرٌ فأخبره أنّ الزَّنج قد جمعوا واستعدّوا لكبس عسكره ، وأنهم على إتيان عسكره من ثلاثة أوجه ، وأنهم قالوا : إنه حدثٌ غِرٌّ يغرّ بنفسه ، وأجمع رأيهم على تكمين الكُمناء والمصير إليه من الجهات الثلاث التي ذكرنا ، فحذر لذلك ، واستعدّ له ، وأقبلوا إليه وقد كمنوا زُهاء عشرة آلاف في برتمرتا ونحواً من هذه العدّة في قُسّ هثا ، وقدّموا عشرين سُميريّة إلى العسكر ليغترّ بها أهلُه ، ويجيزوا المواضع التي فيها كمناؤهم ؛ فمنع أبو العباس الناس من اتباعهم ؛ فلما علموا أن كيدهم لم ينفذ ، خرج الجُبّائيّ وسليمان في الشَّذَوات والسميريّات ، وقد كان أبو العباس أحسن تعبئة أصحابه ، فأمر نصيراً المعروف بأبي حمزة أن يبرز للقوم في شذواته ، ونزل أبو العباس عن فرس كان ركبه ، ودعا بشذاة من شَذَواته قد كان سماها الغزال ، وأمر إشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجذّافين لهذه الشذاة ، وركبها واختار من خاصّة أصحابه وغلمانه جماعة دفع إليهم الرّماح ، وأمر أصحاب الخيل بالمسير بإزائه على شاطىء النهر ، وقال لهم : لا تدعوا المسير ما أمكنكم إلى أن تقطعكم الأنهار ، وأمر بتعبير بعض الدوّاب التي كانت ببردودا ، ونشبت الحرب بين الفريقين ؛ فكانت معركة القتال من حدّ قرية الرمل إلى الرّصافة ؛ فكانت الهزيمة على الزَّنج ، وحاز أصحاب أبي العباس أربع عشرة شَذَاة ، وأفلت سليمان والجبّائي في ذلك اليوم بعد أن أشفيا على الهلاك راجِلين ، وأخذت دوابّهما بحلاها وآلتها ، ومضى الجيش

أجمع لا ينثنى أحد منهم حتى وافوا طهيثا ، وأسلموا ما كان معهم من أثاث وآلة ، ورجع أبو العباس ، وأقام بمعسكره في العمر ، وأمر بإصلاح ما أخذ منهم من الشَّذَا والسميريّات وترتيب الرجال فيها ، وأقام الزَّنج بعد ذلك عشرين يوماً؛ لا يظهر منهم أحد ، وكان الجبائيّ يجيء في الطلائع في كلّ ثلاثة أيام وينصرف ، وحفر آباراً فوق نهر سِنْداد ، وصيّر فيها سفافيد حديد ، وغشّاها بالبواريّ ، وأخفى مواضعها ، وجعلها على سَنن مسير الخيل ليتهوّر فيها المجتازون بها؛ وكان يوافي طرف العسكر متعرّضاً لأهله ، فتخرج الخيل طالبةً له ، فجاء في بعض أيامه ، وطلبته الخيل كما كانت تطلبه ، فقطر فرس رجل من قوّاد الفراغنة في بعض تلك الآبار ، فوقف أصحاب أبي العباس بما ناله من ذلك على ما دبّر الجُبائيّ ، فحذروا ذلك ، وتنكّبوا سلوك ذلك الطريق ، وألحّ الزَّنج في مغاداة العسكر في كلِّ يوم للحرب ، وعسكروا بنهر الأمير في جمع كثير؛ فلمّا لم يجد ذلك عليهم أمسكوا عن الحرب قَدْر شهر.

وكتب سليمان إلى صاحب الزّنج يسأله إمداده بسُميريّات؛ لكلّ واحدة منهنّ أربعون مجدافاً ، فوافاه من ذلك في مقدار عشرين يوماً أربعون سُميريّة ، في كل سُميريّة مقاتلان ، ومع ملاحيها السيوف والرماح والتِّراس ، وجعل الجُبائيّ موقفه حيال عسكر أبي العباس، وعاودُوا التعرّض للحرب في كلّ يوم؛ فإذا خرج إليهم أصحاب أبي العباس انهزموا عنهم ، ولم يثبتوا لهم؛ وخلال ذلك ما تأتي طلائعهم ، فتقطع القناطر ، وترمي ما ظهر لها من الخيل بالنّشاب ، وتضرِم ما وجدت في النوبة من المراكب التي مع نصير بالنار؛ فكانوا كذلك قدر شهرين.

ثم رأى أبو العباس أن يكمِّن لهم كميناً في قرية الرمل ، ففعل ذلك ، وقدّم لهم سُميريات أمام الجيش ليطمعوا فيهاً ، وأمر أبو العباس فأعِدّت له سُميريّة ولزيرَك سميرية وحمل جماعة من غلمانه الذين اختارهم ، وعرفهم بالنجدة في السميريّات ، فحمل بدراً ومؤنساً في سُميريّة ، ورشيقاً الحجّاجيّ ويُمْناً في سميريّة وخَفيفاً ويُسراً في سميريّة ، ونذيراً ووصيفاً في سُميريّة؛ وأعدّ خمس عشرة سُميريّة ، وجعل في كلّ سميريّة مقاتلين ، وجعلها أمام الجيش.

* * *

قال محمد بن شعيب الإشتيام: وكنتُ فيمن تقدّم يومئذ ، فأخذ الزّنج من

السميريّات المتقدّمة عدّة ، وأسروا أسرى ، فانطلقتُ مسرعاً ، فناديتُ بصوت عال: قد أخذ القوم سُميريّاتنا ، فسمع أبو العباس صوتي وهو يتغدّى ، فنهض إلى سُميريّته التي كانت أعدّت له؛ وتقدّم العسكر ، ولم ينتظر لحاق أصحابه ، فتبعه منهم من خفّ لذلك.

قال: فأدركنا الزّنج ، فلمّا رأونا قذف الله الرّعب في قلوبهم ، فألقوا أنفسهم في الماء ، وانهزموا فتخلّصنا أصحابنا ، وحوينا يومئذ إحدى وثلاثين سُميريّة من سُميْريّات الزنج ، وأفلت الجبائيّ في ثلاث سُميريّات ، ورمى أبو العباس يومئذ عن قوس كانت في يده حتى دميت إبهامه؛ فانصرف؛ ولو أنا جددنا في طلب الجبائيّ في ذلك اليوم ظننتُ أنا أدركناه ، فمنعَنا من ذلك شدّة اللغوب ، ورجع أبو العباس وأكثر أصحابه بمواضعهم من فُوّهة بردودا لم يُرْمَ أحد منهم؛ فلمّا وافَى عسكره أمر لمن كان صحبه بالأطواق والخِلَع والأسورة وأمر بإصلاح السميريّات المأخوذة من الزَّنج ، وأمر أبا حمزة أن يجعل مقامه بما معه من الشَّذا في دِجْلة بحذاء خُسْرُسابور.

ثم إنّ أبا العباس رأى أن يتوغّل في مازروان حتى يصير إلى القرية المعروفة بالحجّاجيّة ، وينتهى إلى نهر الأمير ، ويقف على تلك المواضع ، ويتعرّف الطرق التي تجتاز فيها سُميريّات الزّنج ، وأمر نصيراً فقدّمه بما معه من الشَّذَا والسميريّات ، فسار نصير لذلك؛ فترك طريق مازروان ، وقصد ناحية نهر الأمير ، فدعا أبو العباس سُميريّته ، فركبها ومعه محمد بن شعيب ، ودخل مازروان وهو يرى أن نصيراً أمامه ، وقال لمحمد: قدّمني في النهر لأعرف خبر نُصير ، وأمر الشذَا والسميريّات بالمصير خلفه.

قال محمد بن شعيب: فمضينا حتى قاربنا الحجّاجية ، فعرضت لنا في النهر صلْغة فيها عشرة زنوج؛ فأسرعنا إليها ، فألقى الزُّنوج أنفسهم في الماء ، وصارت الصلغة في أيدينا ، فإذا هي مملوءة شعيراً ، وأدركنا فيها زنجيّاً فأخذناه ، فسألناه عن خبر نصير وشذواته فقال: ما دخل هذا النهر شيء من الشَّذَا والسُّميريّات ، فأصابتنا حيرة ، وذهب الزنج الذين أفلتوا من أيدينا فأعلموا أصحابهم بمكاننا ، وعرض للملاحين الذين كانوا معنا غنمٌ فخرجوا لانتهابها.

قال محمد بن شعيب: وبقيتُ مع أبي العباس وحدي ، فلم نلبث أن وافانا

قائد من قوّاد الزنج ، يقال له مُنتاب ، في جماعة من الزَّنج من أحد جانبي النهر ، ووافانا من الجانب الآخر عشرة من الزَّنج ، فلمّا رأينا ذلك خرج أبو العباس ، ومعه قوسه وأسهمه ، وخرجتُ برمح كان في يدي ، وجعلتُ أحميه بالرّمح وهو يرمي الزّنج ، فجرح منهم زنجيّين ، وجعلوا يثوبون ويكثرون ، وأدركنا زيرك في الشَّذا ومعه الغلمان؛ وقد كان أحاط بنا زُهاء ألفي زنجيّ من جانبي مازروان ، وكفى الله أمرهم ، وردّهم بذلّةٍ وصَغار ، ورجع أبو العباس إلى عسكره ، وقد غنم أصحابه من الغنم والبقر والجواميس شيئاً كثيراً ، وأمر أبو العباس بثلاثة من الملاّحين الذين كانوا معه ، فتركوه لانتهاب الغنم ، فضرِبت أعناقهم ، وأمر لمن بقي بالأرزاق لشهر ، وأمر بالنداء في الملاّحين ألا يبرح أحدٌ من السميريّات في وقت الحرب؛ فمن فعل ذلك فقد حلّ دمه .

وانهزم الزَّنج أجمعون حتى لحقوا بطَهيثا ، وأقام أبو العباس بمعسكره في العُمر ، وقد بثّ طلائعه في جميع النواحي ، فمكث بذلك حيناً ، وجمع سليمان بن جامع عسكر وأصحابه ، وتحصّن بطهيثا ، وفعل الشعرانيّ مثل ذلك بسوق الخميس؛ وكان بالصِّينيّة لهم جيش كثيف أيضاً ، يقود أهله رجل منهم يقال له نصر السِّنديّ ، وجعلوا يُخرجون كلَّ مَا وجدوا إلى إخرابه سبيلاً ، ويحملون ما قدروا على حمله من الغلاّت ، ويعمرون مواضعهم التي هم مقيمون بها ، فوجّه أبو العباس جماعة من قوّاده ، منهم الشاه وكمُشْجُور والفضل بن موسى بن بغا ، وأخوه محمد على الخيل إلى ناحية الصّينيّة ، وركب أبو العباس ومعه نصير وزِيرك في الشَّذَا والسميريّات ، وأمر بخيل فعبرَ بها من بَرْمساور إلى طريق الظهر .

وسار الجيش حتى صار إلى الهُرْث ، فأمر أبو العباس بتعبير الدوابّ إلى الهُرْث ، فعبرت فصارتْ إلى الجانب الغربيّ من دِجْلة ، وأمَر بأن يُسلك بها طريق دير العمال ، فلما أبصر الزّنج الخيل دخلتهم منها رهبة شديدة ، فلجؤوا إلى الماء والسفن ، ولم يلبثوا أن وافتهم الشَّذَا والسميريّات ، فلم يجدوا ملجأ واستسلموا ، فقتِل منهم فريق ، وأسِر فريق ، وألقى بعضهم نفسه في الماء ، فأخذ أصحاب أبي العباس سفنهم؛ وهي مملوءة أرزّاً ، فصارت في أيديهم ، وأخذوا سُميريّة رئيسهم المعروف بنصر السنديّ ، وانهزم الباقون ، فصارت

طائفة منهم إلى طَهيثا وطائفة إلى سوق الخميس ، ورجع أبو العباس غانماً إلى عسكره ، وقد فتح الصينيّة وأجلى الزّنج عنها .

قال محمد بن شعيب : وبينا نحن في حرب الزّنج بالصينيّة إذ عرض لأبي العباس كُرْكيّ طائر ، فرماه بسهم ، فشكّه فسقط بين أيدي الزّنج ، فأخذوه فلما رأوا موضع السهم منه ، وعلموا أنه سهم أبي العباس زاد ذلك في رعبهم ؛ فكان سبباً لانهزامهم يومئذ .

وقد ذُكر عمن لا يُتّهم : أن خبر السهم الذي رمى به أبو العباس الكُرْكيّ في غير هذا اليوم ، وانتهى إلى أبي العباس أنّ بِعَبْدَسِي جيشاً عظيماً يرأسهم ثابت بن أبي دلف ، ولؤلؤ الزنجيّان ، فصار أبو العباس إلى عَبْدَسي قاصداً للإيقاع بهما ومَنْ معهما في خيل جريدة ، قد انتخبت من جُلد غلمانه وحماة أصحابه ، فوافى الموضع الذي فيه جمعهم في السَّحَر ، فأوقع بهم وقعَة غليظة ، قُتِل فيها من أبطالهم ، وجُلد من رجالهم خلق كثير ، وانهزموا ، وظفر أبو العباس برئيسهم ثابت بن أبي دلف ، فمنّ عليه واستبقاه وضمّه إلى بعض قوّاده ، وأصاب لؤلؤاً سهم فهلك منه ، واستُنقذ يومئذ من النساء اللواتي كنّ في أيدي الزَّنْج خلقٌ كثير ، فأمر أبو العباس بإطلاقهنّ وردّهن إلى أهلهنّ ، وأخَذ كلَّ ما كان الزنج جمعوه .

ثم رجع أبو العباس إلى معسكره ، فأمر أصحابه أن يُريحوا أنفسَهم ليسير بهم إلى سوق الخميس ، ودعا نصيراً فأمره بتعبئة أصحابه للمسير إليها ، فقال له نصير : إنّ نهر سوق الخميس ضيّق ، فأقم أنت وائذن لي في المسير إليه حتى أعايِنَه ، فأبى أن يدَعه حتى يعاينه ، ويقف على علم ما يحتاج إليه منه قبل موافاة أبيه أبي أحمد ؛ وذلك عند ورود كتاب أبي أحمد عليه بعزمه على الانحدار .

قال محمد بن شعيب : فدعاني أبو العباس ، فقال لي : إنه لابدّ لي من دخول سوق الخميس ، فقلت : إن كنتَ لابدّ فاعلاً ما تذكر فلا تكثر عدد مَنْ تحمل معك في الشَّذَا ، ولا تزد على ثلاثة عشر غلاماً عشرة رماة وثلاثة في أيديهم الرماح ؛ فإني أكره الكثرة في الشَّذَا مع ضيق النهر ، فاستعدّ أبو العباس لذلك ، وسار إليه ونُصير بين يديه حتى وافَى فم بَرْمساور ، فقال له نُصير : قدّمني أمامك ، ففعل ذلك ، فدخل نُصير في خمس عشرة شَذَاة ، واستأذنه رجل من قوّاد الموالى يقال

له موسى دالجويه في التقدّم بين يديه ، فأذن له ، فسار وسار أبو العباس حتى انتهى به مسيره إلى بَسامِي ثم إلى فوّهة براطق ونهر الرّق النهر الذي ينفذ إلى رواطا وعَبْدَسِي؛ وهذه الأنهار الثلاثة تؤدِّي إلى ثلاث فرق مفترقة ، فأخذ نصير في طريق نهر براطق وهو النهر المؤدى إلى مدينة سليمان بن موسى الشعرانيّ التي سمّاها المنيعة بسوق الخميس ، وأقام أبو العباس على فُوّهة هذا النهر ، وغاب عنه نُصَير حتى خفيَ عنه خبره ، وخرج علينا في ذلك الموضع من الزّنج خلق كثير فمنعونا من دخول النهر ، وحالوا بيننا وبين الانتهاء إلى السور - وبين هذا الموضع الذي انتهينا إليه والسور المحيط بمدينة الشعرانيّ مقدار فرسخين - فأقاموا هناك يحاربوننا ، واشتدّت الحرب بيننا وبينهم وهم على الأرض؛ ونحن في السفن من أوّل النهار إلى وقت الظهر ، وخفيَ علينا خبرُ نُصَير ، وجعل الزّنج يهتفون بنا : قد أخذنا نُصيراً فماذا تصنعون؟ ونحن تابعوكم حيثما ذهبتم ، فاغتمّ أبو العباس لما سمع منهم هذا القول ، فاستأذنه محمد بن شعيب في المسير ليتعرّف خبر نصير ، فأذن له ، فمضى في سُميريّة بعشرين جذّافاً حتى وافى نصيراً أبا حمزة ، وقد قرب من سَكْر كان الفسقة سكروه ، ووجده قد أضرم النار فيه وفي مدينتهم ، وحارب حرباً شديداً ورزق الظفر بهم ، وكان الزّنج ظفروا ببعض شذوات أبي حمزة ، فقاتل حتى انتزع ما كانوا أخذوا من أيديهم ، فرجع محمد بن شعيب إلى أبي العباس ، فبشره بسلامة نصير ومَنْ معه ، وأخبره خبره ، فسّر بذلك وأسَرَ نصير يومئذ من الزنج جماعة كثيرة ، ورجع حتى وافى أبا العباس بالموضع الذي كان واقفاً به ، فلمّا رجع نصير قال أبو العباس : لستُ زائلاً عن موضعي هذا حتى أرواحهم القتال في عشيّ هذا اليوم؛ ففعل ذلك ، وأمر بإظهار شَذاة واحدة من الشّذوات التي كانت معه لهم ، وأخفى باقيها عنهم ، فطمعوا في الشَّذَاة التي رأوها ، فتبعوها ، وجعل مَنْ كان فيها يسيرون سيراً ضعيفاً حتى أدركوها ، فعلقوا بسكانها ، وجعل الملاحون يسيرون حتى وافَوا المكان الذي كانت فيه الشَّذَوات المكمَّنة .

وقد كان أبو العباس ركب سُميريّة ، وجعل الشذا خلْفه ، فسار نحو الشذاة التي علق بها الزّنج لما أبصرها ، فأدركها ، والزّنج ممسكون بُسكانها يحيطون بها من جوانبها ، يرمون بالنّشاب والآجرّ ، وعلى أبي العباس كيز تحته درع .

قال محمد: فنزعنا يومئذ من كيز أبي العباس خمساً وعشرين نُشابة، ونزعتُ من لُبّادَةٍ كانت عليّ أربعين نشابة، ومن لبابيد سائر الملاحين الخمس والعشرين والثلاثين، وأظفر الله أبا العباس بستّ سُميريّات من سُميريّات الزّنج، وتخلص الشذا من أيديهم، وانهزموا، ومال أبو العباس، وأصحابه نحو الشّط، وخرج من الزّنج المقاتلة بالسيوف والتراس، فانهزموا لا يلوون على شيء للرهبة التي وصلت إلى قلوبهم ورجع أبو العباس سالماً غانماً، فخلع على الملاّحين ووصلهم، ثم صار إلى معسكره بالعُمر، فأقام به إلى أن وافى الموفّق.

* * *

ولإحدى عشرة ليلةً خلت من صفر منها، عسكر أبو أحمد بن المتوكل بالفِرْك، وخرج من مدينة السلام يريد الشخوص إلى صاحب الزّنْج لحربه؛ وذلك أنه ـ فيما ذكر ـ كان اتّصل به أنّ صاحب الزنج كتب إلى صاحبه عليّ بن أبان المهلبيّ يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جامع، ليجتمعا على حرب أبي العباس بن أبي أحمد، وأقام أبو أحمد بالفِرْك أياماً؛ حتى تلاحق به أصحابه ومَنْ أراد النهوض به إليه، وقد أعدّ قبل ذلك الشذا والسُّميريّات والمعابر والسفن، ثم رحَل من الفِرْك ـ فيما ذكر ـ يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول في مواليه وغلمانه وفرسانه ورجّالته فصار إلى رومية المدائن، ثم صار منها، فنزل السِّيب ثم دَيْر العاقول ثم جَرْجَرَايا، ثم قُنَّى ثم نزل جَبُّل، ثم نزل الصِّلح، ثم نزل على فرسخ من واسط، فأقام هنالك يومه وليلته، فتلقّاه ابنه أبو العبّاس به في جريدة خيل فيها وجوه قوّاده وجنده، فسأله أبو أحمد عن خبر أصحابه، فوصف له بلاءهم ونصحهم، فأمر أبو أحمد له ولهم بِخِلَع فخُلِعت عليهم، وانصرف أبو العباس إلى معسكره بالعُمْر، فأقام يومه، فلمّا كانت صبيحة الغد رحل أبو أحمد منحدراً في الماء، وتلقّاه ابنه أبو العباس بجميع مَنْ معه من الجند في هيئة الحرب والزّيّ الذي كانوا يلقوْن به أصحاب الخائن، فجعل يسير أمامه حتى وافى عسكره بالنهر المعروف بشيرزاد؛ فنزل به أبو أحمد، ثم رحل منه يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول؛ فنزل على النهر المعروف بِسِنْداد بإزاء القرية المعروفة بعبد الله، وأمر ابنه أبا العباس، فنزل شرقيّ دِجْلة بإزاء فُوّهة بردودا، وولاّه مقدّمته، ووضع العطاء فأعطى

الجيش ، ثم أمر ابنه بالمسير أمامه بما معه من آلة الحرب إلى فُوّهة بَرْمساور ، فرحل أبو العباس في المختارين من قواده ورجاله ، منهم زِيرَك التركيّ صاحب مقدّمته ، ونُصَير المعروف بأبي حمزة صاحب الشّذَا والسُّميريّات.

ورحل أبو أحمد بعد ذلك في الفرسان والرجّالة المنتخبين ، وخلّف سواد عسكره وكثيراً من الفرسان والرّجالة بمعسكره؛ فتلقّاه ابنه أبو العباس بأسرى ورؤوس وقتلى قتلهم من أصحاب الشعرانيّ؛ وذلك أنه وافى عسكره الشعرانيُّ في ذلك اليوم قبل مجيء أبيه أبي أحمد؛ فأوقع به وأصحابه؛ فقتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر منهم جماعة؛ فأمر أبو أحمد بضرب أعناق الأسرى فضُربت ، ونزل أبو أحمد فوّهة بَرْمساور ، وأقام به يومين ، ثم رحل يريد المدينة التي سمّاها صاحب الزّنج المنيعةَ من سوق الخميس في يوم الثلاثاء لثماني ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر من هذه السنة بمن معه من الجيش وما معه من آلة الحرب ، وسلك في السفن في برمساور ، وجعلت الخيل تسير بإزائه شرقيّ برمساور ، حتى حاذى النهر المعروف ببراطق الذي يوصل إلى مدينة الشعرانيّ.

وإنما بدأ أبو أحمد بحرب سليمان بن موسى الشعرانيّ قبل حرب سليمان بن جامع من أجل أن الشعرانيَّ كان وراءه ، فخاف إن بدأ بابن جامع أن يأتيه الشعرانيُّ من ورائه ، ويشغله عمّن هو أمامه؛ فقصده من أجل ذلك؛ وأمر بتعبير الخيل وتصيير ها على جانبي النهر المعروف ببراطق ، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدّم في الشذَا والسُّميريّات ، وأتبعه أبو أحمد في الشَّذَا بعامّة الجيش. فلمّا بصر سليمان ومَنْ معه من الزّنج وغيرهم بقصد الخيل والرجّالة سائرين على جنبتي النهر ومسير الشذا والسميريّات في النهر ، وقد لقيهم أبو العباس قبل ذلك فحاربوه حرباً ضعيفة ، انهزموا وتفرَّقوا.

وعلا أصحاب أبي العباس السور ، ووضعوا السيوف فيمن لقيهم وتفرّق الزَّنج وأتباعهم ، ودخل أصحاب أبي العباس المدينة ، فقتلوا فيها خلقاً كثيراً ، وأسروا بشراً كثيراً ، وحوَوْا ما كان في المدينة ، وهرب الشعرانيّ ومَنْ أفلت منهم معه ، وأتبعهم أصحاب أبي أحمد حتى وافَوا بهم البطائح ، فغرق منهم خلق كثير ، ونجا الباقون إلى الآجام ، وأمر أبو أحمد أصحابَه بالرجوع إلى معسكرهم قبل غروب الشمس من يوم الثلاثاء ، وانصرف وقد استنقذ من

المسلمات زُهاء خمسة آلاف امرأة؛ سوى مَنْ ظَفر به من الزنجيات اللواتي كنّ في سوق الخميس، فأمر أبو أحمد بحياطة النساء جميعاً، وحملهنّ إلى واسط ليُدفعن إلى أوليائهنّ، وبات أبو أحمد بحيال النهر المعروف ببراطق، ثم باكر المدينة من غد، فأذن للناس في حياطة ما فيها من أمتعة الزّنج، وأخذ ما كان فيها أجمع، وأمر بهدم سورها وطمّ خندقها وإحراق ما كان بقيَ فيها من السفن، ورحل إلى معسكره ببرمساور بالظفر بما بالرساتيق والقرى التي كانت في يد الشعرانيّ وأصحابه من غلّات الحِنْطة والشعير والأرزّ، فأمر ببيع ذلك، وصرف ثمنه في أعطيات مواليه وغلمانه، وجنده وأهل عسكره، وانهزم سليمان الشعرانيّ وأخواه ومَنْ أفلت، وسُلب الشعْرانيّ ولده وما كان بيده من مال، ولحق بالمذار، فكتب إلى الخائن بخبره وما نزل به واعتصامه بالمذار.

فذكر محمد بن الحسن، أن محمد بن هشام المعروف بأبي واثلة الكرمانيّ قال: كنتُ بين يدي الخائن وهو يتحدَّث، إذ ورد عليه كتاب سليمان الشعرانيّ بخبر الوقعة وما نزل به، وانهزامه إلى المذار، فما كان إلاّ أن فضّ الكتاب، فوقعت عينُه على موضع الهزيمة حتى انحلّ وكاءُ بطنه، ثم نهض لحاجته، ثم عاد، فلمّا استوى به مجلسه أخذ الكتاب وعاد يقرؤه، فلما انتهى إلى الموضع الذي أنهضه، نهض حتى فعل ذلك مراراً، قال: فلم أشكّ في عظم المصيبة، وكرهتُ أن أسأله، فلمّا طال الأمر تجاسرتُ، فقلت: أليس هذا كتاب سليمان بن موسى؟ قال: نعم، ورد بقاصمة الظَّهْر: أنّ الذين أناخوا عليه أوقعوا به وقعة لم تبق منه ولم تَذْر؛ فكتب كتابه هذا وهو بالمَذار، ولم يسلم بشيء غير نفسه، قال: فأكبرتُ ذلك، واللهُ يعلم مكروه ما أخفِي من السرور الذي وصل إلى قلبي، وأمسكُ مُبشراً بدنوّ الفرج، وصبرَ الخائنُ على ما وصل إليه، وجعل يظهر الجلَد، وكتب إلى سليمان بن جامع يحذّره مثل الذي نزل بالشعراني، ويأمره بالتيقّظ في أمره وحفظ ما قبَله.

وذكر محمد بن الحسن: أن محمد بن حماد قال: أقام الموفّق بعسكره ببرمساور يومين، لتعرّف أخبار الشعرانيّ وسليمان بن جامع والوقوف على مستقرّه، فأتاه بعضُ مَنْ كان وجّهه لذلك، فأخبره: أنه معسكر بالقرية المعروفة بالحوانيت، فأمر عند ذلك بتعبير الخيل إلى أرض كَسْكَر في غربيّ دِجْلة، وسار

على الظهر ، وأمر بالشّذا وسفن الرجّالة فحُدّرت إلى الكثيثة ، وخلّف سواد عسكره وجمعاً كثيراً من الرجال والكُراع بفوّهة برمساور ، وأمر بُغراج بالمقام هناك؛ فوافى أبو أحمد الصينيّة ، وأمر أبا العباس بالمصير في الشذا والسميريّات إلى الحوانيت مخِفّاً لتعرّف حقيقة خبر سليمان بن جامع في مقامه بها ، وإن وجد منه غِرّة أوقع به ، فسار أبو العباس في عشيّ ذلك اليوم إلى الحوانيت ، فلم يلفَ سليمانَ هنالك ، وألفَى من قوّاد السودان المشهورين بالبأس والنجدة شِبْلاً وأبا النداء وهما من قدماء أصحاب الفاسق الذين كان استتبعهم في بدء مخرجه. وكان سليمان بن جامع خَلْف هذين القائدين في موضعهما لحفظ غلات كثيرة كانت هناك ، فحاربهما أبو العباس ، وأدخل الشّذَا موضعاً ضيقاً من النهر ، فقتل مِنْ رجالهما ، وجرح بالسهام خَلقاً كثيراً ـ وكانوا أجلد رجال سليمان بن جامع ونخبتهم الذين يعتمد عليهم ـ ودامت الحرب بينهم إلى أن حجز الليل بين الفريقين.

قال: وقال محمد بن حماد: في هذا اليوم كان من أمرِ أبي العباس في الكركيّ الذي ذكره محمد بن شعيب في يوم الصّينيّة ، وقد مرّ به سانحاً ، قال: واستأمن في هذا اليوم رجلٌ إلى أبي العباس ، فسأله عن الموضع الذي فيه سليمان بن جامع ، فأخبره أنه مقيم بطهيثا ، فانصرف أبو العباس حينئذ إلى أبيه بحقيقة مقام سليمان بمدينته التي سماها المنصورة ، وهي في الموضع الذي يعرف بطَهِيثا ، وأن معه هنالك جميع أصحابه غير شبل وأبي النداء؛ فإنهما بموضعهما من الحوانيت لما أمِروا بحفظه ، فلما عرف ذلك أبو أحمد ، أمر بالرّحيل إلى بردودا؛ إذ كان المسلك إلى طهِيثا منه؛ وتقدّم أبو العباس في الشّذَا والسمَيريّات ، وأمر من خلّفه ببرمساور أن يصيروا جميعاً إلى بردودا ، ورحل أبو أحمد في غد ذلك اليوم الذي أمر أبا العباس فيه بما أمره به إلى بردودا ، وسار إليها يومين؛ فوافاها يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومئتين ، فأقام بها يصلح ما يحتاج إلى إصلاحه من أمر عسكره ، وأمر بوضع العطاء ، وإصلاح سفن الجسور ليحدرها معه ، واستكثر من العمال والآلات التي تُسَدّ بها الأنهار ، وتُصلح بها الطرق للخيل ، وخلّف ببردودا بُغْرَاج التركيّ ، وقد كان لمّا عزم على الرجوع إلى بردودا أرسل إلى غلام له يقال له:

جعلان وكان مخلَّفاً مع بغراج في عسكره ، فأمر بقلع المضارب وتقديمها مع الدوابّ المخلّفة قِبَله والسلاح إلى بردودا ، فأظهر جعلان ما أمر به في وقت العشاء الآخرة ، ونادى في العسكر والناس غارّون ، فألقِي في قلوبهم أنّ ذلك لهزيمة كانت ، فخرجوا على وجوههم ، وترك الناس أسواقَهم وأمتعتَهم ، ظنّاً منهم أن العدوّ قد أظلّهم ، ولم يلوِ منهم أحد على أحد ، وقصدوا قصد الرجوع إلى عسكرهم ببردودا ، وساروا في سواد ليلتهم تلك ، ثم ظهر لهم بعد ذلك حقيقة الخبر ، فسكنوا واطمأنّوا[1] .

وفي صفر من هذه السنة كان بين أصحاب كَيْغَلغ التركيّ وأصحاب أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وقْعة بناحية قَرْماسين ، فهزمهم كَيْغَلَغ ، وصار إلى هَمْذان ، فوافاه أحمد بن عبد العزيز فيمن قد اجتمع من أصحابه في صفر ، فحاربه ، فانهزم كَيغَلغ ، وانحاز إلى الصّيْمَرَة .

* * *

وفي هذه السنة لثلاث بَقِين من شهر ربيع الآخر دخل أبو أحمد وأصحابه طَهِيثا ، وأخرجوا منها سليمان بن جامع ، وقُتِل بها أحمد بن مهديّ الجبّائيّ .

* * *

ذكر الخبر عن سبب دخول
أبي أحمد وأصحابه طَهِيثا ومقتل الجبائيّ

ذكر محمد بن الحسن : أن محمّد بن حماد حدّثه أن أبا أحمد لما أعطى أصحابه ببردودا ، فأصلح ما أراد إصلاحه من عُدّةِ حرب مَنْ قصد لحربه في مخرجه ؛ سار متوجّهاً إلى طهِيثا ؛ وذلك يوم الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين ومئتين ، وكان مسيره على الظهر في خَيْله .

---

(١) لعبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج انظر المنتظم [١٢/ ٢١٢] فقد ذكر خلاصة الخبر الذي استغرق هنا الصفحات (٥٩٤ _ ٥٩٩) وانظر البداية والنهاية [٨/ ٢٤١] فقد اختصر الحافظ ابن كثير هذه التفاصيل عن عبور أو مسير أحمد الموفق إلى مدينة المختارة (مدينة صاحب الزنج في جنوب العراق).

وحدِّرت السفن بما فيها من الرّجّالة والسلاح والآلات، وحُدِّرت المعابر والشَّذوات والسُّميريّات، إلى أن وافى بها النهر المعروف بمَهْرُوذ بحضرة القرية المعروفة بقرية الجوزيّة، فنزل أبو أحمد هناك، وأمر بعقد الجسر على النهر المعروف بمَهروذ، وأقام يومه وليلته، ثم غدا فعبَّر الفرسان والأثقال بين يديه على الجسر، ثم عبر بعد ذلك، وأمر القوّاد والناس بالمسير إلى طَهِيثا، فصاروا إلى الموضع الذي ارتضاه أبو أحمد لنفسه منزلاً على ميلين من مدينة سليمان بن جامع، فأقام هنالك بإزاء أصحاب الخائن يوم الإثنين والثلاثاء لثمان بقين من شهر ربيع الآخر، وأمطرت السماء مَطَراً جَوْدا، واشتدّ البرد أيام مقامه هنالك، فشغل بالمطر والبرد عن الحرب، فلم يحارب هذه الأيام وبقية الجمعة، فلما كان عشية يوم الجمعة ركب أبو أحمد في نفر من قوّاده ومواليه لارتياد موضع لمجال الخيل، فانتهى إلى قريب من سور سليمان بن جامع، فتلقّاه منهم جمع كثير، وخرج عليه كُمناء من مواضع شتى، ونشبت الحرب واشتدّت؛ فترجّل جماعة من الفرسان، ودافعوا حتى خرجوا عن المضايق التي كانوا وغلوها، وأسِر من غلمان أبي أحمد وقوّاده غلام يقال له وصيف عَلْمدار وعدّة من قوّاد زِيرَك، ورمى أبو العباس أحمدَ بن مهديّ الجبائيّ بسهم في إحدى منخريه، فخرق كلّ شيء وصل إليه حتى خالط دماغه، فخرّ صريعاً، وحُمِل إلى عسكر الخائن وهو لمآبه، فعظُمت المصيبة به عليه؛ إذا كان أعظمَ أصحابه غِنىً عنه، وأشدّهم بصيرةً في طاعته، فمكث الجبائيّ يعالَج أياماً، ثم هلك، فاشتدّ جزع الخائن عليه، فصار إليه، فولِيَ غسله وتكفينه والصلاة عليه والوقوف على قبره إلى أن دفن، ثم أقبل على أصحابه فوعظَهم، وذكر موت الجبائيّ، وكانت وفاته في ليلة ذات رعود وبروق، وقال فيما ذكر: علمتُ وقت قَبْض روحه قبل وصول الخبر إليه بما سمع من زَجل الملائكة بالدّعاء له والترحُّم عليه.

قال محمد بن الحسن: فانصرف إليّ أبو واثِلة ـ وكان فيمن شهده ـ فجعل يُعجّبني مما سمع، وجاءني محمد بن سمعان فأخبرني بمثل خبر محمد بن هشام، وانصرف الخائن من دفن الجبائيّ منكسراً، عليه الكآبة.

قال محمد بن الحسن: وحدثني محمد بن حماد أنّ أبا أحمد انصرف من الوقعة التي كانت عشيّة يوم الجمعة لأربع ليال بقين من شهر ربيع الآخر، وكان

خبره قد انتهى إلى عسكره ، فنهض إليه عامة الجيش ، فتلقوْه منصرفاً ، فردّهم إلى عسكره؛ وذلك في وقت المغرب؛ فلمّا اجتمع أهلُ العسكر أمِروا بالتحارس ليلتَهم والتأهّب للحرب ، فأصبحوا يوم السبت لثلاث بقِين من شهر ربيع الآخر؛ فعبّأ أبو أحمد أصحابه ، وجعلهم كتائب يتلُو بعضُها بعضاً؛ فرساناً ورجّالة ، وأمر بالشَّذَا والسميريّات أن يُسار بها معه في النهر الذي يشقّ مدينة طَهيثا المعروف بنهر المُنذر ، وسار نحو الزَّنْج حتى انتهى إلى سور المدينة ، فرتّب قُوّاد غلمانه في المواضع التي يخاف خروج الزَّنج عليه منها ، وقدّم الرجّالة أمام الفرسان ، ووكّل بالمواضع التي يخاف خروج الكُمناء منها ، ونزل فصلى أربع ركعات ، وابتهل إلى الله عزّ وجلّ في النصر له وللمسلمين ، ثم دعا بسلاحه فلبسه ، وأمر ابنه أبا العباس بالتقدّم إلى السور وتحضيض الغلمان على الحرب ، ففعل ذلك؛ وقد كان سليمان بن جامع أعدّ أمام سور مدينته التي سمّاها المنصورة خندقاً ، فلمّا انتهى إليه الغلمان تهيبوا عبورَه ، وأحجموا عنه ، فحرّضهم قوّادُهم وترجّلوا معهم ، فاقتحموه متجاسرين عليه ، فعبروه ، وانتهوا إلى الزَّنْج وهم مشرفون من سور مدينتهم ، فوضعوا السلاح فيهم ، وعبرت شِرْذمة من الفرسان الخندق خوضاً.

فلمّا رأى الزَّنج خبر هؤلاء القوم الذين لقوهم وكرّهم عليهم؛ ولّوْا منهزمين ، وأتبعهم أصحاب أبي أحمد ، ودخلوا المدينة من جَوانبها ، وكان الزَّنج قد حصنوها بخمسة خنادق ، وجعلوا أمام كلّ خندق منها سوراً يمتنعون به ، فجعلوا يقفون عند كلّ سور وخندق إذا انتهوا إليه ، وجعل أصحاب أبي أحمد يكشفونَهم في كلّ موقف وقفوه ، ودخلت الشَّذَا ، والسميريّات مدينتهم من النهر المشقق لها بعد انهزامهم ، فجعلت تُغرق كلّ ما مرّت لهم به من شَذاة وسُميريّة ، واتبعوا مَنْ بحافتي النهر ، يُقتلون ويُؤسرون ، حتى أجلُوا عن المدينة وعمّا اتصل بها ، وكان زهاءُ ذلك فرسخاً ، فحوى أبو أحمد ذلك كله ، وأفلت سليمان بن جامع في نفر من أصحابه ، فاستحرّ القتل فيهم والأسر ، واستنقَذ أبو أحمد من نساء أهل واسط وصبيانهم ومما اتصل بذلك من القُرى ونواحي الكوفة زُهاء عشرة آلاف ، فأمر أبو أحمد بحياطتهم والإنفاق عليهم ، وحُملوا إلى واسط ، ودُفعوا إلى أهليهم ، واحتوى أبو أحمد وأصحابه على كلّ ما كان في تلك المدينة من

الذخائر ، والأموال والأطعمة والمواشي ، وكان ذلك شيئاً جليل القدر ، فأمر أبو أحمد ببيع ما أصاب من الغلّات وغير ذلك ، وحمله إلى بيت ماله ، وصرفه في أعطيات من في عسكره من مواليه وجنوده ، فحملوا من ذلك ما تهيّأ لهم حمله ، وأسِر من نساء سليمان وأولاده عدّة ، واستُنقِذ يومئذ وصيف عَلْمدار ومَنْ كان أسِر معه عشيّة يوم الجمعة ، فأخرجوا من الحبس ، وكان الأمر أعجل الزَّنج عن قتلهم ، ولجأ جمع كثير ممن أفلت إلى الآجام المحيطة بالمدينة ، فأمر أبو أحمد فعُقد جِسرٌ على هذا النهر المعروف بالمنذر ، فعبر الناس إلى غربيّه ، وأقام أبو أحمد بطهيثا سبعة عشر يوماً ، وأمر بهدم سور المدينة وطمّ خنادقها ، ففعل ذلك ، وأمر بتتبع مَنْ لجأ إلى الآجام ، وجعل لكل مَنْ أتاه برجل منهم جُعْلاً ، فتسارع الناس إلى طلبهم؛ فكان إذا أتيَ بالواحد منهم عفا عنه ، وخلع عليه وضمّه إلى قوّاد غلمانه لما دبّر من استمالتهم وصرفهم عن طاعة صاحبهم ، وندب أبوأحمد نُصيراً في الشَّذَا والسميريّات لطلب سليمان بن جامع والهرب معه من الزنج وغيرهم ، وأمره بالجِدّ في اتباعهم حتى يجاوز البطائح ، وحتى يلج دجْلة المعروفة بالعوراء ، وتقدّم في فتح الكُور التي كان الفاسق أحدثها ، ليقطع بها الشذَا عن دجلة فيما بينه وبين النهر المعروف بأبي الخصيب ، وتقدّم إلى زيرَك في المقام بطَهِيثا ليتراجع إليها الذين كان الفاسق أجلاهم عنها من أهلها ، وأمره بتتبع مَنْ بَقِيَ في الآجام من الزّنج حتى يظفر بهم .

* * *

وفي شهر ربيع الآخر منها ماتت أم حبيب بنت الرّشيد ، ورحل أبو أحمد بعد إحكامه ما أراد إحكامه إلى معسكره ببرْدُودا مزمِعاً على التوجّه نحو الأهواز ليصلحها؛ وقد كان اضطراب أمرُ المهلبيّ وإيقاعه بمن أوقع عليه من الجيوش التي كانت بها وغلبته على أكثر كُورها ، وقد كان أبو العباس تقدّمه في مسيره ذلك ، فلما وافَى بردودا أقام أياماً ، وأمر بإعداد ما يحتاج إليه للمسير على الظهر إلى كُور الأهواز ، وقدِمَ مَنْ يصلح الطريق والمنازل ويعدّ فيها المِيَر للجيوش التي معه ، ووافاه قبل أن ترحّل عن واسط زيرك منصرفاً عن طهيثا؛ بعد أن تراجع إلى النواحي التي كان بها الزّنج أهلُها ، وخلّفهم آمنين ، فآمره أبو أحمد بالاستعداد والانحدار في الشَّذَا والسُّميريّات في نخبة أصحابه وأنجادهم ، ليصير بهم إلى

دِجْلة العوراء، فتجتمع يدُه ويد أبي حمزة على نفض دِجْلة واتباع المنهزمين من الزَّنْج والإيقاع بكل مَنْ لقوا من أصحاب الفاسق، إلى أن ينتهيَ بهم السير إلى مدينته بنهر أبي الخصيب، وإن رأوا موضع حرب حاربوه في مدينته، وكتبوا بما كان منهم إلى أبي أحمد ليردّ عليهم من أمره ما يعملون بحسبه، واستخلف أبو أحمد على من خلّف في عسكره بواسط ابنه هارون، وأزمع على الشخوص فيمن خفّ من رجاله وأصحابه، ففعل ذلك بعد أن تقدّم إلى ابنه هارون في أن يحدّر الجيش الذي خلّفه معه في السفن إلى مستقرّه بدِجْلة إذا وافى كتابه بذلك.

* * *

وفي يوم الجمعة لليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة ـ وهي سنة سبع وستين ومئتين، ارتحل أبو أحمد من واسط شاخصاً إلى الأهواز وكورها، فنزل باذبين ثم جوخَى ثم الطِّيب ثم قُرقوب ثم درستان ثم على وادي السوس، وقد كان عُقد له عليه جسر، فأقام به من أوّل النهار إلى آخر وقت الظهر، حتى عبّر أهلَ عسكره أجمع، ثم سار حتى وافَى السوس، فنزلها ـ وقد كان أمر مسروراً وهو عامله على الأهواز ـ بالقدوم عليه، فوافاه في جيشه وقوّاده من غد اليوم الذي نزل فيه السوس، فخلع عليه وعليهم، وأقام بالسوس ثلاثاً.

وكان ممن أسِرَ بَطهِثيا من أصحاب الفاسق أحمد بن موسى بن سعيد البصريّ المعروف بالقَلُوص، وكان أحد عُدَده وقدماء أصحابه، أسِر بعد أن أثخِن جراحاً كانت منها منيّته؛ فلمّا هلك أمر أبو أحمد باحتزاز رأسه ونصبه على جسر واسط.

وكان ممّن أسِر يومئذ عبد الله بن محمد بن هشام الكَرْمانيّ؛ وكان الخبيث اغتصبه أباه، فوجّهه إلى طهيثا، وولاّه القضاء والصَّلاة بها، وأسِر من السودان جماعةٌ كان يعتمد عليهم، أهل نجدة وبأس وجَلد؛ فلمّا اتصل به الخبر بما نال هؤلاء انتقض عليه تدبيرُه، وضلَّت حِيَله، فحمله فَرْط الهَلع على أن كتب إلى المهلبيّ وهو يومئذ مقيم بالأهواز في زهاء ثلاثين ألفاً مع رجل كان صحِبه، يأمره بترك كلّ ما قِبَله من المِيَر والأثاث، والإقبال إليه؛ فوصل الكتاب إلى المهلبيّ وقد أتاه الخبر بإقبال أبي أحمد إلى الأهواز وكُوَرِها، فهو لذلك طائر العقل، فترك جميع ما كان قِبَله، واستخلف عليه محمد بن يحيى بن سعيد الكَرْنبائيّ، فَدخِل قلبُ الكرنبائيّ من الوَجل، فأخلى ما استُخلِف عليه، وتبع المهلّبيّ؛

وبجُبَّى والأهواز ونواحيها يومئذ من أصناف الحبوب والتمر والمواشي شيء عظيم ، فخرجوا عن ذلك كله.

وكتب أيضاً الفاسق إلى بَهْبوذ بن عبد الوهاب ، وإليه يومئذ عمل الفَنْدم والباسيَان ، وما اتّصل بهما من القُرى التي بين الأهواز وفارس ، وهو مقيم بالفَنْدم ، يأمره بالقدوم عليه ، فترك بَهْبوذ ما كان قِبَله من الطعام والتمر ـ وكان ذلك شيئاً عظيماً ـ فحوى جميع ذلك أبو أحمد ، فكان ذلك قوةً له على الفاسق ، وضعفاً للفاسق.

ولَمّا فصل المهلبيّ عن الأهواز تفرّق أصحابُه في القرى التي بينها وبين عسكر الخبيث فانتهبوها ، وأجْلَوْا عنها أهلَها ، وكانوا في سلْمهم ، وتخلّف خلْق كثير ممّن كان مع المهلبيّ من الفرسان والرجّالة عن اللحاق به ، فأقاموا بنواحي الأهواز ، وكتبوا يسألون أبا أحمد الأمان لما انتهى إليهم من عفوه عمّن ظفر به من أصحاب الخبيث بطهِيثا ، ولحق المهلبيّ ومَنْ اتّبعه من أصحابه بنهر أبي الخصيب.

وكان الذي دعا الفاسق إلى أمر المهلبيّ وبهبوذ بسرعة المصير إليه خوفُه موافاة أبي أحمد وأصحابه إياه على الحال التي كانوا عليها من الوَجَل وشدّة الرّعب مع انقطاع المهلبيّ وبهبوذ فيمن كان معهما عنه ، ولم يكن الأمر كما قدّر.

وأقام أبو أحمد حتى أحرز ما كان المهلبيّ وبهبوذ خلّفاه ، وفُتِحت السكور التي كان الخبيث أحدثها في دِجْلة ، وأصلِحت له طرقه ومسالكه ورحل أبو أحمد عن السوس إلى جنديسابور ، فأقام بها ثلاثاً؛ وقد كانت الأعلاف ضاقت على أهل العسكر ، فوجّه في طلبها ، وحملها ورحل عن جند يسابور إلى تُسْتَر ، وأمر بجباية الأموال من كُور الأهواز ، وأنفذ إلى كلّ كورة قائداً ليرُوج بذلك حمل الأموال ، ووجّه أحمد بن أبي الأصبغ إلى محمد بن عبيد الله الكرديّ ، وقد كان خائفاً أن يأتيَه صاحب الفاسق قبل موافاة أبي أحمد كور الأهواز ، وأمره بإيناسه وإعلامه ما عليه رأيُه من العفو عنه ، والتغمّد لزلته ، وأن يتقدّم إليه في تعجيل حمل الأموال والمسير إلى سوق الأهواز ، وأمر مسروراً البلخيّ عامله بالأهواز بإحضار مَنْ معه من الموالي والغلمان والجند ليعرضهم ، ويأمرَ بإعطائهم الأرزاق ، وينهضهم معه لحرب الخبيث. فأحضرهم ، وعُرضوا رجلاً رجلاً ،

وأعطُوا ثم رحل إلى عسكر مُكْرَم ، فجعله منزلاً اجتازه ورحل منه فوافَى الأهواز ، وهو يرى أنه قد تقدَّمه إليها من الميرة ما يحمل عساكره ، فغلظ الأمر في ذلك اليوم ، واضطرب له الناس اضطراباً شديداً ، وأقام ثلاثة أيام ينتظر ورود المِيَر؛ فلم تَرِد ، فساءت أحوال الناس ، وكاد ذلك يفرّق جماعتهم ، فبحث أبو أحمد عن السبب المؤخّر ورودها ، فوجد الجند قد كانوا قطعوا قنطرة قديمة أعجمية كانت بين سوق الأهواز ورامَ هرمز يقال لها : قنطرة أربُك ، فامتنع التجار ومن يحمل الميرة من تطرُّقه لقطع تلك القنطرة ، فركب أبو أحمد إليها وهي على فرسخين من سُوق الأهواز ، فجمع مَنْ كان بقيَ في العسكر من السودان ، وأمرهم بنقل الحجارة والصّخْر لإصلاح هذه القنطرة وبَذَل لهم الأموال الرغيبة ، فلم يرِمْ حتى أصلحت في يومه ذلك ، ورُدّت إلى ما كانت عليه ، فسلكها الناس ، ووافت القوافل بالمِيَر ، فحيِيَ أهل العسكر ، وحسنت أحوالهم.

وأمر أبو أحمد بجمع السفن لعقد الجسر على دُجيل ، فجمعت من كُور الأهواز وأخذ في عقد الجِسر ، وأقام بالأهواز أياماً حتى أصلح أصحابهُ أمورهم ، وما احتاجوا من آلاتهم ، وحسُنت أحوال دوابِّهم ، وذهب عنها ما كان نالها من الضرّ بتخلف الأعلاف ، ووافت كتب القوم الذين كانوا تخلّفوا عن المهلبيّ ، وأقاموا بسوق الأهواز يسألونه الأمان؛ فآمنهم ، فأتاه نحو من ألف رجل ، فأحسن إليهم ، وضمهم إلى قُوّاد غلمانه ، وأجرى لهم الأرزاق ، وعقد الجسر على دُجَيل ، فرحل بعد أن قدّم جيوشه ، فعبر الجسر ، وعسكر بالجانب الغربيّ من دُجيل في الموضع المعروف بقصر المأمون ، فأقام هنالك ثلاثاً ، وأصابت الناس في هذا الموضع من الليل زلزلة هائلة ، وقَى الله شرّها ، وصرف مكروهها.

وقد كان أبو أحمد قبل عبور الجسر المعقود على دُجَيل قدّم أبا العباس ابنه إلى الموضع الذي كان عزم على نزوله من دِجْلة العوراء ، وهو الموضع المعروف بنهر المبارك من فُرات البصرة ، وكتب إلى ابنه هارون بالانحدار في جميع الجيش المتخلف معه إلى نهر المبارك أيضاً لتجتمع العساكر هناك ، فرحل أبو أحمد عن قصر المأمون ، فنزل بقُورَج العباس ، ووافاه أحمد بن أبي الأصبغ هنالك بما صالح عليه محمد بن عبيد الله وبهدايا أهداها إليه من دوابّ وضوارٍ

وغير ذلك ، ثم رحل عن القورَج ، فنزل بالجعفرية ، ولم يكن بهذه القرية ماء إلا من آبار كان أبو أحمد تقدّم بحفرها في عسكره ، وأنفذ لذلك سعداً الأسود مولى عبيد الله بن محمد بن عمار من قورَج العباس ، فحُفرت ، فأقام بهذا الموضع يوماً وليلة ، وألفَى هناك مِيَراً مجموعة ، واتّسع الناس بها ، وتزوَّدوا منها.

ثم رحل إلى الموضع المعروف بالبشير ، وألفى فيه غديراً من المطر ، فأقام به يوماً وليلة ، ورحل في آخر الليل يريد نهر المبارك ، فوافاه بعد صلاة الظهر ، وكان منزلاً بعيد المسافة؛ وتلقّاه ابناه أبو العباس وهارون في طريقه ، فسلّما عليه ، وسارا بسيره حتى ورد نهر المبارك ، وذلك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومئتين.

وكان لِزيرك ونصير في الذي كان أبو أحمد وجّه فيه زيرك من تتبُّع فلّ الخبيث من طَهيثا أثرٌ فيما بين وصول أبي أحمد من واسط إلى حال مصيره إلى نهر المبارك؛ وذلك ما ذكره محمد بن الحسن عن محمد بن حماد ، قال: لمَّا اجتمع زيرك ونصير بدِجْلة العوراء؛ انحدرا حتى وافيا الأبُلّة ، فاستأمن إليهما رجل من أصحاب الخبيث ، فأعلمهما أن الخبيث قد أنفذ عدداً كثيراً من السُّميريّات والزّواريق والصلاغ مشحونة بالزَّنج ، يرأسهم رجل من أصحابه ، يقال له: محمد بن إبراهيم ، يكنى أبا عيسى ، ومحمد بن إبراهيم هذا رجل من أهل البصرة ، كان جاء به رجل من الزَّنج عند خراب البصرة يقال له: يَسار ، كان على شُرْطة الفاسق ، فكان يكتب ليسار على ما كان يلي حتى مات ، وارتفعت حال أحمد بن مهدي الجبائيّ عند الخبيث ، فولاّه أكثر أعمالِه ، وضمّ محمد بن إبراهيم هذا إليه ، فكان كاتبه إلى أن هلك الجبائيّ - فطمِع محمد بن إبراهيم هذا في مرتبته ، وأن يحلّه الخبيث محلّ الجبائيّ ، فنبذ الدواة والقلم ، ولبس آلة الحرب ، وتجرّد للقتال ، فأنهضه الخبيث في هذا الجيش ، وأمره بالاعتراض في دجْلة لمدافعة مَنْ يردُها من الجيوش ، فكان في دجْلة أحياناً ، وأحياناً يأتي بالجمع الذي معه إلى النهر المعروف بنهر يزيد ، ومعه في ذلك الجيش شِبْل بن سالم وعمرو المعروف بغلام بوذي وأجلاد من السودان وغيرهم ، فاستأمن رجل كان في ذلك الجيش إلى زيرك ونُصير ، وأخبرهما خبره ، وأعلمهما أن محمد بن إبراهيم على القصد لسواد عسكر نُصَير ، ونصير يومئذ معسكر بنهر المرأة ،

وأنهم على أن يسلكوا الأنهار المعترضة على نهر معقِل وبثْق شيرِين ، حتى يوافوا الموضع المعروف بالشرطة ، ليخرجوا من وراء العسكر فيكبُّوا على طرفيْه؛ فرجع نصير عند وصول هذا الخبر إليه من الأبُلّة مبادراً إلى معسكره ، وسار زيرَك قاصداً لبَثْق شيرين؛ حتى صار من مؤخّرة في موضع يعرف بالميشان؛ وذلك أنه قدّر أن محمد بن إبراهيم ومن معه يأتون عسكر نُصير من ذلك الطريق؛ فكان ذلك كما ظنّ ، ولقيهم في طريقهم فوهب الله له العلوّ عليهم بعد صبر منهم له ومجاهدة شديدة؛ فانهزموا ولجؤوا إلى النهر الذي كانوا وضعوا الكمين فيه ، وهو نهر يزيد ، فدُلّ زيرك عليهم ، فتوغّلت عليهم سُميريّاته وشذواته ، فقتِل منهم طائفة وأسِر طائفة؛ وكان ممن ظفِر به منهم محمد بن إبراهيم المكنى أبا عيسى وعمرو المعروف بغلام بوذي ، وأخِذ ما كان معهم من السُّميريّات ، وذلك نحو من ثلاثين سُميريّة ، وأفلت شبل في الذين نجوْا ، فلحق بعسكر الخبيث ، وخرج زيرك من بَثْق شِيرين ظافراً ومعه الأسارى ورؤوس مَنْ قتل مع ما حوى من السميريّات والزّواريق وسائر السفن ، فانصرف زيرك من دِجْلة العَوْراء إلى واسط؛ وكتب إلى أبي أحمد بما كان من حربه والنصر والفتح.

وكان فيما كان من زيرك في ذلك وصول الجزَع إلى كلّ مَنْ كان بدِجْلة وكُورها من أتباع الفاسق ، فاستأمن إلى أبي حمزة وهو مقيم بنهر المرأة منهم زهاء ألفي رجل ـ فيما قيل ـ فكتب بخبرهم إلى أبي أحمد ، فأمره بقبولهم وإقرارهم على الأمان وإجراء الأرزاق عليهم ، وخلطهم بأصحابه ومناهضته العدوّ بهم.

وكان زيرك مقيماً بواسط إلى حين ورود كتاب أبي أحمد على ابنه هارون بالمصير بالجيش المتخلّف معه إلى نهر المبارك ، فانحدر زيرك مع هارون ، وكتب أبو أحمد إلى نصير وهو بنهر المرأة يأمره بالإقبال إليه إلى نهر المبارك ، فوافاه هنالك؛ وكان أبو العباس عند مصيره إلى نهر المبارك انحدر إلى عسكر الفاسق في الشَّذَا والسُّميريّات ، فأوقع به في مدينته بنهر أبي الخصيب.

وكانت الحرب بينه وبينهم من أوّل النهار إلى آخر وقت الظهر ، واستأمن إليه قائد من قوّاد الخبيث المضمومين كانوا إلى سليمان بن جامع ، يقال له: منتاب ، ومعه جماعة من أصحابه؛ فكان ذلك مما كسر الخبيث وأصحابَه ، وانصرف أبو العباس بالظَّفَر ، وخلع على منتاب ووصله وحمله ، ولمّا لقيَ أبو العباس أباه

أعلمه خبر منتاب ، وذكر له خروجه إليه بالأمان ، فأمر أبو أحمد لمنتاب بخِلْعة وصِلة وحُملان ، وكان منتاب أوّل مَنْ استأمن من قوّاد الزَّنج .

ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين ومئتين ، كان أول ما عمل به في أمر الخبيث ـ فيما ذكر محمد بن الحسن بن سهل ، عن محمد بن حمّاد بن إسحاق بن حمّاد بن زيد ـ أن كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء وانتهاك المحارم وإخراب البلدان والأمصار ، واستحلال الفروج والأموال ، وانتحال ما لم يجعله الله له أهلاً من النبوّة والرسالة ، ويعلمه أن التوبة له مبسوطة ، والأمان له موجود؛ فإن هو نزع عما هو عليه من الأمور التي يسخَطها الله ، ودخل في جماعة المسلمين ، محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه؛ وكان له به الحظّ الجزيل في دنياه ، وأنفذ ذلك مع رسوله إلى الخبيث ، والتمس الرّسول إيصالَه ، فامتنع أصحاب الخبيث من إيصال الكتاب ، فألقاه الرسول إليهم ، فأخذوه وأتوا به إلى الخبيث ، فقرأه فلم يزدْه ما كان فيه من الوعظ إلا نفوراً وإصراراً ، ولم يجب عن الكتاب بشيء ، وأقام على اغتراره ، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبَره بما فعل ، وترك الخبيث الإجابة عن الكتاب ، وأقام أبو أحمد يوم السبت والأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء متشاغلاً بعرض الشَّذَا والسُّميريّات وترتيب قوّاده ومواليه وغلمانه فيها ، وتخيّر الرماة وترتيبهم في الشَّذَا والسُّميريّات ، فلما كان يوم الخميس سار أبو أحمد في أصحابه ، ومعه ابنه أبو العباس إلى مدينة الخبيث التي سمّاها المختارة من نهر أبي الخصيب ، فأشرف عليها وتأمّلها ، فرأى من مَنَعَتها وحصانتها بالسُّور والخنادق المحيطة بها وما عوّر من الطرق المؤدية إليها وأعِدّ من المجانيق والعرّادات والقسيّ الناوكيّة وسائر الآلات على سورها ما لم ير مثله ممن تقدّم من منازعي السلطان ، ورأى من كثرة عدد مقاتلتهم واجتماعهم ما استغلظ أمره ، فلمّا عاين أصحابه أبا أحمد ، ارتفعت أصواتُهم بما ارتجّت له الأرض ، فأمر أبو أحمد عند ذلك ابنه أبا العباس بالتقدّم إلى سُور المدينة وَرشْق مَنْ عليه بالسهام ، ففعل ذلك ودنا حتى ألصق شَذواته بمسنّاة قصر الخائن ، وانحازت الفسقة إلى الموضع الذي دنت منه الشَّذَا ، وتحاشدوا وتتابعت سهامهم ، وحجارة مجانيقهم وعرّاداتهم ومقاليعهم ، ورمى عوامُّهم بالحجارة

عن أيديهم ، حتى ما يقع طرف ناظر من الشذَا على موضع إلاّ رأى فيه سهماً أو حجراً ، وثبت أبو العباس ، فرأى الخائن وأشياعه من جدّهم واجتهادهم وصَبْرهم ما لا عهد لهم بمثله من أحد حاربهم .

فأمر أبو أحمد أبا العباس ومن معه بالرجوع إلى مواقفهم ليروِّحوا عن أنفسهم ويداووا جراحهم ، ففعلوا ذلك .

واستأمن إلى أبي أحمد في تلك الحال مقاتلان من مقاتلة السُّميريّات ، فأتوه بسُمَيريتهما وما فيها من الآلات والملاّحين ، فأمر للمقاتلين بخلَع ديباج ومناطق محلاّة ، ووصلهما ، وأمر للملاحين بخلَع من خلع الحرير الأحمر والثياب البيض بما حسن موقعه منهم وعمهم جميعاً بصلاته ، وأمر بإدنائهم من الموضع الذي يراهم فيه نظراؤهم؛ فكان ذلك من أبخع المكايد التي كيد بها الفاسق ، فلما رأى الباقون ما صار إليه أصحابهم من العفو عنهم والإحسان إليهم ، رغبوا في الأمان وتنافسوا فيه ، فابتدروه مسرعين نحوه ، راغبين فيما شرع لهم منه ، فصار إلى أبي أحمد في ذلك اليوم عدد من أصحاب السميريّات ، فأمر فيهم بمثل ما أمر به في أصحابهم ، فلما رأى الخبيثُ ركونَ أصحاب السميريّات إلى الأمان واغتنامهم له أمر بردّ مَنْ كان منهم في دِجْلة إلى نهر أبي الخصيب ، ووكل بفوّهة النهر مَنْ يمنعهم من الخروج ، وأمر بإظهار شذواته ، وندب لهم بَهْبوذ بن عبد الوهاب ، وهو من أشدّ حماته بأساً ، وأكثرهم عدداً وعِدّة ، فانتدب بهبوذ لذلك في أصحابه ، وكان ذلك في وقت إقبال المدّ وقوّته ، وقد تفرّقت شَذَوات أبي أحمد ، ولحق أبو حمزة فيما معه منها بشرقيّ دِجْلة ، فأقام هنالك وهو يرى أنّ الحرب قد انقضت واستُغنى عنه .

فلما ظهر بَهْبوذ فيما معه من الشَّذَوات أمر أبو أحمد بتقديم شَذَواتِه ، وأمر أبا العباس بالحمل على بهبوذ بما معه من الشَّذَا ، وتقدّم إلى قُوّاده وغلمانه بالحمل معه؛ وكان الذي صَلِيَ بالحرب من الشَّذَوات التي مع أبي العباس وزيرك من الشَّذَوات التي رتب فيها قوّاد الغلمان اثنتي عشرة شذاة ، فنشبت الحرب ، وطمع أصحاب الفاسق في أبي العباس وأصحابه لقلة عدد شذواتهم ، فلما صُدِموا انهزموا ووجّه أبو العباس ومَنْ معه في طلب بهبوذ ، فألجؤوه إلى فناء قصر الخبيث ، وأصابتْه طعنتان ، وجُرِح بالسهام جراحات ، وأوهِنت أعضاؤه

بالحجارة ، وخلّى ما كان عليه مع أصحابه ، فأولجوه نهر أبي الخصيب وقد أشفى على الموت ، وقتل يومئذ ممن كان مع بهبوذ قائد من قوّاده ذو بأس ونجدة وتقدّم في الحرب ، يقال له: عميرة ، وظفر أصحاب أبي العباس بشذَاة من شَذَوات بهبوذ ، فقتل أهلها ، وغرقوا وأخذت الشذاة ، وصار أبو العباس ومَن معه بشذواتهم بعد أن أتاهم أمر أبي أحمد بذلك ، وبإلحاق الشَّذَا بشرقيّ دِجلة وصرف الجيش ، فلمّا رأى الفاسق جيش أبي أحمد منصرفاً أمر مَنْ كان انهزم في شَذواتِه إلى نهر أبي الخصيب بالظهور ليسكّن بذلك روعةَ أصحابه ، وليكون صرفه إياهم إذا صرفهم عن غير هزيمة ، فأمر أبو أحمد جماعة من غلمانه بأن يثبّتوا صدور شذواتهم إليهم؛ ويقصدوهم فلما رأوا ذلك ولَّوْا منهزمين مذعورين وتأخرت عنهم شذاة من شذواتهم ، فاستأمن أهلها إلى أبي أحمد ، ونكسوا علماً أبيض كان معهم ، فصاروا إليه في شذاتهم فأمّنوا وحُبوا ووُصِلوا وكُسوا ، فأمر الفاسق عند ذلك بردّ شذواتهم إلى النهر ومنعها من الخروج ، وكان ذلك في آخر النهار ، وأمر أبو أحمد أصحابه بالرجوع إلى معسكرهم بنهر المبارك .

واستأمن إلى أبي أحمد في هذا اليوم عند منصرَفه خَلْق كثير من الزَّنْج وغيرهم ، فقبلهم ، وحملهم في الشَّذَا والسميريّات ، وأمر أن يخلع عليهم ويوصلوا ويُحبَوْا ، وتُكتب أسماؤهم في المضمومين إلى أبي العباس .

وسار أبو أحمد ، فوافى عسكره بعد العشاء الأخيرة ، فأقام به يوم الجمعة والسبت والأحد ، ثم عزم على نقل عسكره إلى حيث يقرب منه عليه القَصْد لحرب الخبيث ، فركب الشَّذَا في يوم الإثنين لستّ ليال بقين من رجب سنة سبع وستين ومئتين ، ومعه أبو العباس والقوّاد من مواليه وغلمانه ، فيهم زيرك ونصير حتى وافَى النهر المعروف بنهر جَطّى في شرقيّ دجْلة ، وهو حيال النهر المعروف باليهوديّ ، فوقف عليه ، وقدّر فيه ما أراد وانصرف ، وخلّف به أبا العباس وزيرك ونُصيراً ، وعاد إلى معسكره ، فأمر فنودي في الناس بالرحيل إلى الموضع الذي اختار من نهر جَطّى ، وتقدّم في قوْد الدوابّ بعد أن أصلحت لها الطرق ، وعقدت القناطر على الأنهار ، وغدا في يوم الثلاثاء لخمس بقين من رجب في جميع عساكره حتى نزل نهر جَطّى ، فأقام به إلى يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة سبع وستين ومئتين ، ولم يحارب في شيء من هذه الأيام، وركب

في هذا اليوم في الخيل والرجّالة، ومعه جميع الفرسان، وجعل الرجالة والمطوّعة في السفن والسميريّات، على كل رجل منهم لأمَتُه وزِيّه، وسار حتى وافى الفرات، ووازى عسكر الفاسق وأبو أحمد من أصحابه وأتباعه في زُهاء خمسين ألف رجل أو يزيدون، والفاسق يومئذ في زهاء ثلثمئة ألف إنسان، كلهم يقاتل أو يدافع؛ فمن ضاربٍ بسيف، وطاعن برمح، ورامٍ بقوس، وقاذف بمقلاع، ورامٍ بعرّادة أو منجنيق؛ وأضعفهم أمرُ الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثرون السواد، والمعتَنون بالنعير[١] والصّياح، والنساء يشركنهم في ذلك.

فأقام أبو أحمد في هذا اليوم بإزاء عسكر الفاسق إلى أن أضحى، وأمر فنودي أنّ الأمان مبسوط للناس؛ أسودِهم وأحمرِهم إلاّ الخبيث، وأمر بسهام فعُلّقت فيها رقاع مكتوب فيها من الأمان مثل الذي نودي به، ووعد الناس فيها الإحسان ورمى بها إلى عسكر الخبيث، فمالت إليه قلوب أصحاب المارق بالرّهبة والطمع فيما وعدهم من إحسانه وعفوه؛ فأتاه في ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشَّذا إليه، فوصلهم وحباهم، ثم انصرف إلى معسكره بنهر جطّى، ولم يكن في هذا اليوم حرب.

وقدم عليه قائدان من مواليه، أحدهما بكتمر والآخر جعفر بن بغلاغز، في جمع من أصحابهما فكان ورودهما زائداً في قوّة مَنْ مع أبي أحمد.

ورحل أبو أحمد عن نهر جَطّى إلى معسكر قد كان تقدم في إصلاحه، وعقد القناطر على أنهاره، وقطع النهر ليوسعه بفرات البصرة بإزاء مدينة الفاسق؛ فكان نزوله هذا المعسكر في يوم الأحد للنصف من شعبان سنة سبع وستين ومئتين، وأوطن هذا المعسكر، وأقام به، ورتب قوّاده، ورؤساء أصحابه مراتبهم فيه، فجعل نُصيراً صاحب الشَّذَا والسميريات في جيشه في أوّل العسكر وآخره بالموضع الموازي النهر المعروف بجُوى كور، وجعل زيرك التركيّ صاحب مقدّمة أبي العباس في أصحابه موازياً ما بين نهر أبي الخصيب وهو النهر الموسوم بنهر الأتراك والنهر المعروف بالمغيرة، ثم تلاه عليّ بن جهشيار حاجبه في جَيْشه.

وكانت مضاربُ أبي أحمد وابنيه حيالَ الموضع المعروف بديْر جابِيل، وأنزل

---

(١) النَّعير: الصُّراخ والصياح في حربٍ، أو شرٍّ.

راشداً مولاه في مواليه وغلمانه الأتراك والخزر والرّوم والديالمة والطبرية والمغاربة والزّنج على النهر المعروف بهَطَمة ، وجعل صاعد بن مَخْلَد وزيره في جيشه من الموالي والغلمان فُويق عسكر راشد ، وأنزل مسروراً البلخيّ في جيشه على النهر المعروف بسِنْدادَان ، وأنزل الفضل ومحمداً ، ابني موسى بن بُغا في جيشهما على النهر المعروف بهالة ، وتلاهما موسى دالجويه في جيشه وأصحابه وجعل بُغْراج التركيّ على ساقته نازلاً على نهر جَطَّى ، وأوطنوه ، وأقاموا به ، ورأى أبو أحمد من حال الخبيث وحصانة موضعه وكثرة جمعه ما علم أنه لابدّ له من الصبر عليه ومحاصرته وتفريق أصحابه عنه؛ ببذل الأمان لهم ، والإحسان إلى مَنْ أناب منهم ، والغلظة على مَنْ أقام على غيّه منهم ، واحتاج إلى الاستكثار من الشَّذَا وما يحارب به في الماء.

فأمر بإنفاذ الرّسل في حمل المِيَر في البرّ والبحر ، وإدرارها إلى معسكره بالمدينة التي سماها الموفَّقيّة ، وكتب إلى عماله في النواحي في حمل الأموال إلى بيت ماله في هذه المدينة ، وأنفذ رسولاً إلى سِيراف وجنّابا في بناء الشذَا والاستكثار منها لما احتاج إليه من ترتيبها في المواضع التي يقطع بها المِيَر عن الخائن وأشياعه ، وأمر بالكتاب إلى عمّاله في النواحي بإنفاذ كل مَنْ يصلح للإثبات في الديوان ، ويرغب في ذلك ، وأقام ينتظر شهراً أو نحوه؛ فوردت المِيَر متتابعةً يتلو بعضها بعضاً ، وجهّز التجار صنوف التجارات والأمتعة وحملوها إلى المدينة الموفقيّة واتخذت بها الأسواق ، وكثر بها التجار والمتجهزون من كلّ بلد ، ووردتها مراكب البحر؛ وقد كانت انقطعت لقطع الفاسق وأصحابه سبلها قبل ذلك بأكثر من عشر سنين ، وبنى أبو أحمد مسجد الجامع ، وأمر الناس بالصَّلاة فيه ، واتَّخذ دُورَ الضَّرْب ، فضرب فيها الدنانير والدراهم ، فجمعت مدينة أبي أحمد جميع المرافق ، وسيق إليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لا يفقدون بها شيئاً مما يوجد في الأمصار العظيمة القديمة ، وحملت الأموال ، وأدرّ للناس العطاء في أوقاته ، فاتّسعوا وحسنت أحوالهم ، ورغب الناس جميعاً في المصير إلى المدينة الموفقيّة والمقام فيها.

وكان الخبيث بعد ليلتين من نزول أبي أحمد مدينته الموفقيّة أمر بهبوذ بن عبد الوهاب ، فعبَر والناس غارُّون في سُميريّات إلى طرف عسكر أبي حَمْزة

فأوقع به ، وقتل جماعة من أصحابه ، وأسر جماعة ، وأحرق كوخات كانت لهم قبل أن يبنى الناس هنالك ، فأمر أبو أحمد نُصيراً عند ذلك بجمع أصحابه ، وألاّ يطلق لأحد مفارقة عسكره ، وأن يحرس أقطار عسكره بالشَّذَا والسميريّات والزّواريق فيها الرجّالة إلى آخر مَيان رُوذان والقَنْدل وأبرسان ، للإيقاع بمن هنالك من أصحاب الفاسق.

وكان بميان روذان من قوّاده أيضاً إبراهيم بن جعفر الهمدانيّ في أربعة آلاف من الزَّنج ، ومحمد بن أبان المعروف بأبي الحسن أخو عليّ بن أبان بالقَنْدل في ثلاثة آلاف ، والمعروف بالدّور في أبرسان في ألف وخمسمئة من الزّنج والجبائيّين ، فبدأ أبو العباس بالهمدانيّ فأوقع به ، وجرت بينهما حروب ، قُتِل فيها خلق كثير من أصحاب الهمدانيّ ، وأسر منهم جماعة ، وأفلت الهمدانيّ في سُميريّة قد كان أعدّها لنفسه ، فلحق فيها بأخي المهلبيّ المكنى بأبي الحسن ، واحتوى أصحاب أبي العباس على ما كان في أيدي الزّنج وحملوه إلى عسكرهم.

وقد كان أبو أحمد تقدم إلى ابنه أبي العباس في بذل الأمان لمن رغب فيه ، وأن يضمن لمن صار إليه الإحسان ، فصار إليه طائفة منهم في الأمان فآمنهم ، فصار بهم إلى أبيه ، فأمر لكل واحد منهم من الخِلَع والصلات على أقدارهم في أنفسهم ، وأن يوقفوا بإزاء نهر أبي الخصيب ليعاينهم أصحابهم. . . وأقام أبو أحمد يكايد الخائن ببذل الأمان لمن صار إليه من الزّنج وغيرهم ، ومحاصرة الباقين والتضييق عليهم ، وقطع المِيَر والمنافع عنهم؛ وكانت ميرة الأهواز وما يرد من صنوف التجارات منها ومن كورها ونواحي أعمالها يسلك به النهر المعروف ببيان ، فسرى بهبوذ في جُلد رجاله ليلة من الليالي ، وقد نمِي إليه خبر قيروان ورد بصنوف من التجارات والمِيروكمّن في النخل؛ فلما ورد القَيْروان خرج إلى أهله ، وهم غارّون ، فقَتل منهم وأسَر ، وأخذ ما أحبّ أن يأخذ من الأموال.

وقد كان أبو أحمد أنفذ لبَذْرقة ذلك القَيْروان رجلاً من أصحابه في جمع ، فلم يكن للموجَّه لذلك ببهبوذ طاقة ، لكثرة عدد مَنْ معه وضيق الموقع على الفرسان ، وأنه لم يكن بهم فيه غناء ، فلما انتهى ذلك إلى أبي أحمد ، غلظ عليه ما نال الناس في أموالهم وأنفسهم وتجارتهم ، وأمر بتعويضهم ، وأخلف عليهم

مثلَ الذي ذهب لهم ، ورتّب الشذا على فوّهة بيان وغيره من الأنهار التي لا يتهيّأ للفرسان سلوكُها في بنائها والإقبال بها إليه ، فورد عليه منها عددٌ صالح ، فرتّب فيها الرجال ، وقلّد أمرها أبا العباس ابنه ، وأمره أن يوكل بكل موضع يرد إلى الفسَقة منه مِيرة ، فانحدر أبو العباس لذلك إلى فُوّهة البحر في الشذوات ، ورتب في جميع تلك المسالك القوّاد ، وأحكم الأمر فيه غاية الإحكام .

* * *

وفي شهر رمضان منها كانت وقعة بين إسحاق بن كُنْدَاج وإسحاق بن أيوب وعيسى بن الشيخ وأبي المغراء وحمدان الشاري ومن تأشّب إليهم من قبائل رَبيعة وتَغْلِب وبكْر واليمن ، فهزمهم ابن كُنْدَاج إلى نَصِيبين ، وتَبِعهم إلى قريب من آمِد ، واحتوَى على أموالهم ، ونزلوا آمِد ، فكانت بينه وبينهم وقعات .

* * *

[ذكر خبر مقتل صندل الزنجيّ]

وفي شهر رمضان منها قُتل صندل الزنجيّ، وكان سبب قتله أن أصحاب الخبيث عَبَرُوا لليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكر ـ أعني سنة سبع وستين ومئتين ـ يريدون الإيقاع بعسكر نصير وعسكر زيرك ، فنذر بهم الناس، فخرجوا إليهم ، فردّوهم خائبين ، وظفروا بصندل هذا ، وكان ـ فيما ذكروا ـ يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورؤوسهنّ ويقلّبهنّ تقليب الإماء ، فإن امتنعت منهنّ امرأة ضرب وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزّنج يبيعها بأوكس الثمن ، فلما أتِيَ به أبو أحمد ، أمر به فشُدّ بين يديه ، ثم رمِيَ بالسهام ، ثم أمر به فقتل .

* * *

[ذكر خبر استئمان الزنج إلى أبي أحمد]

وفي شهر رمضان من هذه السنة استأمن إلى أبي أحمد خلْق كثير من عند الزنج .

* ذكر سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك أنه كان ـ فيما ذكر ـ استأمن إلى أبي أحمد رجلٌ من مذكوري أصحاب الخبيث ورؤسائهم وشجعانهم ، يقال له : مهذَّب ، فحمِل في

الشذا إلى أبي أحمد ، فأتِيَ به في وقت إفطاره ، فأعلمه أنه جاء متنصّحاً راغباً إلى الأمان ، وأن الزَّنج على العبور في ساعتهم تلك إلى عسكره للبيات ، وأنّ الذين ندب الفاسق لذلك أنجادهم وأبطالهم؛ فأمر أبو أحمد بتوجيه مَنْ يحاربهم إليهم ومن يمنعهم من العبور وأن يعارضوا بالشَّذا ، فلما علم الزَّنج أن قد نذِر بهم انصرفوا منهزمين ، فكثر المستأمنة من الزّنج وغيرهم وتتابعوا؛ فبلغ عدد مَنْ وافى عسكر أبي أحمد منهم إلى آخر شهر رمضان سنة سبع وستين ومئتين خمسة آلاف رجل من بين أبيض وأسود.

وفي شوال من هذه السنة ورد الخبر بدخول الخجُستانيّ نيسابور وانهزام عمرو بن الليث وأصحابه ، فأساء السيرة في أهلها ، وهدم دور آل مُعاذ بن مسلم ، وضرب من قدر عليه منهم واقتطع ضياعهم ، وترك ذكر محمد بن طاهر ، ودعا له على منابر ما غلب عليه من مدن خراسان وللمعتمد ، وترك الدعاء لغيرهما.

* * *

[ذكر خبر الإيقاع بالزنج في هذا العام]

وفي شوال من هذه السنة كانت لأبي العباس وقعة بالزّنج ، قُتِل فيها منهم جمع كثير.

* ذكر سبب ذلك:

وكان السبب في ذلك ـ فيما بلغني ـ أنّ الفاسق انتخب من كلّ قيادة من أصحابه أهل الجلَد والبأس منهم ، وأمر المهلبيّ بالعبور بهم ليبيّت عسكر أبي أحمد ، ففعل ذلك ، وكانت عِدّة مَنْ عبَر من الزَّنج وغيرهم زهاء خمسة آلاف رجل أكثرهم من الزنج ، وفيهم نحو من مئتي قائد ، فعَبرُوا إلى شرقيّ دجْلة ، وعزموا على أن يصير القوّاد منهم إلى آخر النخل مما يلي السَّبَخة؛ فيكونوا في ظهر عسكر أبي أحمد ، ويعبر جماعة كثيرة منهم في الشَّذَا والسُّميريّات والمعابر قبالة عسكر أبي أحمد ، فإذا نشبت الحرب بينهم انكبّ مَنْ كان عبر من قوّاد الخبيث ، فصار إلى السَّبخة على عسكر أبي أحمد الموفق ، وهم غارّون مشاغيل بحرب مَنْ بإزائهم ، وقدّر أن يتهيأ له في ذلك ما أحبه ،

فأقام الجيش في الفُرات ليلَتهم، ليغادوا الإيقاع بالعسكر. فاستأمن إلى أبي أحمد غلام كان معهم من الملاّحين، فأنهى إليه خبرَهم وما اجتمعت عليه آراؤهم، فأمر أبو أحمد أبا العباس والقُوّاد والغلمان بالنهوض إليهم؛ وقصد الناحية التي فيها أصحاب الخبيث، وأنفذ جماعة من قُوّاد غلمانه في الخيل إلى السَّبَخة التي في مؤخّر النخل بالفرات، لتقطعهم عن الخروج إليها، وأمر أصحاب الشَّذَا والسميريّات، فاعترضوا في دجْلة، وأمر الرّجالة بالزَّحْف إليهم من النخل، فلما رأى الفجّار ما أتاهم من التدبير الذي لم يحتسبوه كرّوا راجعين في الطريق الذي أقبلوا منه طالبين التخلص، فكان قصدهم لجوِّيث باروَيْه، وانتهى خبر رجوعهم إلى الموفّق، فأمر أبا العباس وزِيرك بالانحدار في الشَّذَوات يسبقونهم إلى النهر؛ ليمنعوهم من عبوره. وأمر غلاماً من غلمانه، يقال له: ثابت، له قيادة جَمْع كثير من غلمانه السودان أن يحمل أصحابه في المعابر والزّواريق وينحدر معهم إلى الموضع الذي فيه أعداء الله للإيقاع بهم حيث كانوا، فأدركهم ثابت في أصحابه بجويِّث بارويه، فخرج إليهم فحاربهم محاربة طويلة، وثبتوا له، واستقبلوا جمعه وهو من أصحابه في زُهاء خمسمئة رجل، لأنهم لم يكونوا تكاملوا وطمعوا فيه، ثم صدقهم وأكبَّ عليهم، فمنحه الله أكتافهم؛ فمِنْ مقتول وأسير وغريق وملجّج في الماء بقدر اقتداره على السباحة التقطته الشذا والسميريّات في دِجْلة والنهر، فلم يفلت من ذلك الجيش إلا أقله، وانصرف أبو العباس بالفَتْح، ومعه ثابت وقد عُلِّقت الرؤوس في الشّذَوات وصُلب الأسارى فيها، فاعترضوا بهم مدينتَهم ليرهبوا بهم أشياعهم؛ فلما رأوْهم أبْلسوا وأيقنوا بالبَوار، وأدخل الأسارى والرؤوس إلى الموفقيّة، وانتهى إلى أبي أحمد أن صاحب الزّنج موّه على أصحابه، وأوهمهم أن الرؤوس المرفوعة مُثُلٌ مثِّلت لهم ليراعُوا وأن الأسارى من المستأمنة، فأمر الموفق عند ذلك أبا العباس بجمع الرؤوس والمسير بها إلى إزاء قصر الفاسق والقذف بها في منجنيق منصوب في سفينة إلى عسكره، ففعل أبو العباس ذلك، فلما سقطت الرؤوس في مدينتهم، عرف أولياء القتلى رؤوس أصحابهم، فظهر بكاؤهم، وتبين لهم كذب الفاجر وتمويهه.

* * *

وفي شوال من هذه السنة كانت لأصحاب ابن أبي الساج وقعة بالهيصم العجليّ ، قتلوا فيها مقدّمته ، وغلبوا على عسكره فاحتووه.

* * *

[ذكر خبر الوقعة مع الزنج بنهر ابن عمر]

وفي ذي القعدة منها كانت لزِيرك وقعة مع جيش لصاحب الزنج بنهر ابن عمر ، قتل زيرك منهم فيها خلقاً كثيراً.

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة :

ذكر : أن صاحب الزَّنج كان أمر باتّخاذ شَذَوات ، فعُمِلت له ، فضمها إلى ما كان يحارب به ، وقسّم شذواته ثلاثة أقسام بين بَهْبوذ ونصر الروميّ وأحمد بن الزرَنجيّ ، وألزم كلّ واحد منهم غرْمَ ما يصنع على يديه منها ، وكانت زهاء خمسين شَذاة ، ورتّب الرّماة وأصحاب الرماح ، واجتهدوا في إكمال عُدّتهم وسلاحهم ، وأمرهم بالمسير في دِجْلة والعبور إلى الجانب الشرقيّ والتعرّض لحرب أصحاب الموفق ، وعدّة شذوات الموفّق يومئذ قليلة ، لأنه لم يكن وافاه كلّ ما كان أمر باتّخاذه ، وما كان عنده منها فمتفرّق في فُوّهة الأنهار التي يأتي الزَّنج منها المِيَر ، فغلظ أمر أعوان الفاجر ، وتهيّأ له أخذ شذاة بعد شذاة من شذا الموفّق ، وأحجم نصير المعروف بأبي حمزة عن قتالهم والإقدام عليهم ، كما كان يفعل لقلة ما معه من الشَّذَا ، وأكثر شذوات الموفق يومئذ مع نصير ، وهو المتولِّي لأمرها ، فارتاع لذلك أهلُ عسكر الموفق ، وخافوا أن يقدم على عسكرهم الزَّنج بما معهم من فضل الشَّذَا ، فورد عليهم في هذه الحال شَذَوات كان الموفَّق تقدّم في بنائها بجنّابَا ، فأمر أبا العباس بتلقّيها فيما معه من الشَّذَا حتى يوردها العسكر ، إشفاقاً من اعتراض الزَّنْج عليها في دِجْلة ، فسلمت وأتى بها حتى إذا وافت عسكر نُصير ، فبصر بها الزنج طمعوا فيها ، فأمر الخبيث بإخراج شذواته ، وأمر أصحابه بمعارضتها والاجتهاد في اقتطاعها ، فنهضوا لذلك ، فتسرّع غلام من غلمان أبي العباس شجاع يقال له وصيف يعرف بالحِجْراي ، في شذوات كُنّ معه ، فشدّ على الزنج فانكشفوا وتبعهم حتى وافى بهم نهر

أبي الخصيب ، وانقطع عن أصحابه ، فكرُّوا عليه شذواتِهم ، وانتهى إلى مضيق ، فعلقت مجاديف بعض شذواته بمجاديف بعض شذواتهم ، فجنحت وتقصّفت بالشطّ ، وأحاط به الآخرون واكتنفوه من جوانبه ، وانحدر عليه الزَّنْج من السور ، فحاربهم بمَنْ كان معه حرباً شديداً حتى قتلوا.

وأخذ الزّنج شذواتِهم ، فأدخلوها نهر أبي الخصيب ، ووافى أبو العباس بالشذوات الجنّابية سالمة بما فيها من السلاح والرجال ، فأمر أبو أحمد أبا العباس بتقلّد أمر الشَّذَوات كلها والمحاربة بها ، وقطع مواد المِير عنهم من كلّ جهة ، ففعل ذلك ، فأصلِحت الشذوات ، ورتِّب فيها المختارون من الناشبة والرّامحة؛ حتى إذا أحكم أمرها أجمع ، ورتّبها في المواضع التي كانت تقصد إليها شذوات الخبيث ، وتعيث فيها ، أقبلت شذواته على عادتها التي كانت قد جرت عليها ، فخرج إليهم أبو العباس في شَذَواته ، وأمر سائر أصحاب الشَّذَا أن يحملوا بحملته ، ففعلوا ذلك وخالطوهم ، وطفِقوا يرشُقونهم بالسهام ، ويطعنونهم بالرماح ، ويقذفونهم بالحجارة؛ وضرب الله وجوَههم ، فولوْا منهزمين ، وتبعهم أبو العباس وأصحابه حتى أولجوهم نهر أبي الخصيب ، وغرق لهم ثلاث شذوات ، وظفر بشذاتين من شذواتهم بما فيها من المقاتلة والملاحين. فأمر أبو العباس بضرب أعناق مَنْ ظفِر به منهم.

فلما رأى الخبيث ما نزل بأصحابه ، امتنع من إخراج الشَّذا عن فناء قصره ، ومنع أصحابه أن يجاوزوا بها الشطّ إلا في الأوقات التي يخلو دِجْلة فيها من شَذَوات الموفّق.

فلمّا أوقع بهم أبو العباس هذه الوقعة اشتدّ جزعُهم ، وطلب وجوه أصحاب الخبيث الأمانَ فأومِنوا ، فكان ممن استأمَن من وجوههم ـ فيما ذكر ـ محمد بن الحارث العميّ ، وكان إليه حفظ عسكر مَنكى والسور الذي يلي عسكر الموفّق ، وكان خروجُه ليلاً مع عدّة من أصحابه ، فوصله الموفّق بصلات كثيرة ، وخلع عليه ، وحمله على عدّة دوابّ بخليتها وآلتها ، وأسنى له الرّزق ، وكان محمد بن الحارث حاول إخراج زَوْجته معه ، وهي إحدى بنات عمه ، فعجزت المرأة عن اللحاق به ، فأخذها الزنج فردّوها إلى الخبيث ، فحبسها مدّة ، ثم أمر بإخراجها والنداء عليها في السوق ، فبيعت؛ ومنهم أحمد المعروف بالبَرذعيّ.

وكان ـ فيما قيل ـ من أشجع رجال الخبيث الذين كانوا في حيِّز المهلبيّ ومن قوّاده الزنج مدبد وابن أنكلويه ومنينة ، فخلع عليهم جميعاً ، ووُصلوا بصلات كثيرة ، وحُمِلوا على الخيل ، وأحسن إلى جميع من جاؤوا به معهم من أصحابهم ، وانقطعت عن الخبيث موادّ الميرة ، وسُدّت عليه وعلى من أقام معه المذاهب ، وأمر شبلا وأبا النداء ـ وهما من رؤساء قوّاده وقدماء أصحابه الذين كان يعتمد عليهم ويثق بمناصحتهم ـ بالخروج في عشرة آلاف من الزَّنج وغيرهم ، والقصد لنهر الدير ونهر المرأة ونهر أبي الأسد ، والخروج من هذه الأنهار إلى البَطيحة للغارة على المسلمين ، وأخذا ما وجدا من طعام وميرة ليُقطع عن عسكر الموفق ما يرده من الميرة وغيرها من مدينة السلام وواسط ونواحيها .

فندب الموفّق لقصدهم حين انتهى إليه خبر مسيرهم مولاه زيرك صاحب مقدمة أبي العباس ، وأمره بالنهوض في أصحابه إليهم ، وضمّ إليه من اختار من الرجال ، فمضى في الشَذَوات والسُّميريّات ، وحمل الرجّالة في الزواريق والسفن الخِفاف حثيثاً ، حتى صار إلى نهر الدير ، فلم يعرف لهم هنالك خبراً ، فصار منه إلى بثْق شِيرين ، ثم سلك في نهر عديّ حتى خرج إلى نهر ابن عمر ، فالتقى به جيش الزَّنْج في جمع راعتْه كثرته ، فاستخار الله في مجاهدتهم ، وحمل عليهم في ذوي البصائر والثبات من أصحابه ، فقذف الله الرعب في قلوبهم ، فانفضّوا ، ووضع فيهم السلاح ، فقتَل منهم مقتلةً عظيمة ، وغرِق منهم مثل ذلك ، وأسَر خلقاً كثيراً ، وأخذ مِنْ سفنهم ما أمكنه أخذه ، وغرق منها ما أمكن تغريقه؛ فكان ما أخذ من سفنهم نحواً من أربعمئة سفينة ، وأقبل بمن معه من الأسارى وبالرؤوس إلى عسكر الموفق .

* * *

[خبر عبور الموفق إلى مدينة صاحب الزنج لحربه]

وفي ذي الحجة لست بقين منه عبر الموفق بنفسه إلى مدينة الفاسق وجيشه لحربه .

* ذكر السبب الذي من أجله كان عبورهُ إليها :

وكان السبب في ذلك ـ فيما ذكر ـ أنَّ الرؤساء من أصحاب الفاسق ، لمّا رأوْا

ما قد حلّ بهم من البلاء مِنْ قتل مَنْ يظهر منهم وشدّة الحصار على مَنْ لزم المدينة؛ فلم يظهر منهم أحد، وحالَ مَنْ خرج منهم بالأمان من الإحسان إليه، والصفح عن جُرْمه، مالوا إلى الأمان، وجعلوا يهربون في كلّ وجه، ويخرجون إلى أبي أحمد في الأمان كُلَّما وجدوا إليه السبيل.

فملِئ الخبيث من ذلك رُعْباً، وأيقن الهلاك، فوكّل بكلّ ناحية كان يرى أنّ فيها طرِيقاً للهرب من عسكره أحراساً وحَفَظة، وأمرهم بضبط تلك النواحي، ووكّل بفوْهة الأنهار منْ يمنع السفن من الخروج منها، واجتهد في سدّ كلّ مسلك وطريق وثلمة؛ لئلا يطمع في الخروج عن مدينته.

وأرسل جماعةٌ من قوّاد الفاجر صاحب الزنج إلى الموفق يسألونه الأمان، وأن يوجه لمحاربة الخبيث جيشاً ليجدوا إلى المصير إليه سبيلاً، فأمر الموفق أبا العباس بالمصيرِ في جماعة من أصحابه إلى الموضع المعروف بنهر الغربيّ، وعليّ بن أبان حينئذ يحوط ذلك النهر؛ فنهض أبو العباس في المختارين من أصحابه، ومعه الشَّذَا والسُّميريّات والمعابِر، فقصد النهر الغربيّ، وانتدب المهلبيّ وأصحابه لحربه، فاستَعرتِ الحرب بين الفريقين، وعلا أصحاب أبي العباس، وقهر الزّنْج، وأمدّ الفاسق المهلبيَّ بسليمان بن جامع في جَمع من الزّنْج كثير، واتصلت الحرب يومئذ من أوّل النهار إلى وقت العصر؛ وكان الظفر في ذلك اليوم لأبي العباس وأصحابِه، وصار إليه القوم الذين كانوا طلبوا الأمان من قُوّاد الخبيث، ومعهم جمع كثير من الفرسان وغيرهم من الزَّنْج، فأمر أبو العباس عند ذلك أصحابه بالرجوع إلى الشَّذَا والسفن، وانصرف فاجتاز في منصرفه بمدينة الخبيث، حتى انتهى إلى الموضع المعروف بنهر الأتراك، فرأى أصحابه من قلة عدد الزَّنْج في هذا الموضع من النهر ما طمعوا له فيمن كان هناك، فقصدوا نحوهم، وقد انصرف أكثر أصحابهم إلى المدينة الموفّقية، فقربوا إلى الأرض، وصعِدوا وأمعنوا في دخول تلك المسالك، وعلتْ جماعةٌ منهم السور، وعليه فريق من الزّنج وأشياعهم، فقتلوا مَنْ أصابوا منهم هنالك، ونذِر الفاسق بهم، فاجتمعوا لحربهم، وأنجد بعضهم بعضاً.

فلمّا رأى أبو العباس اجتماعَ الخبثاء وتحاشدَهم وكثرة من ثاب إلى ذلك

الموضع منهم ، مع قلة عدد مَنْ هنالك من أصحابه ، كرّ راجعاً إليهم فيمن كان معه في الشَّذَا ، وأرسل إلى الموفّق يستمدّه ، فوافاه لمعونته مَنْ خفّ لذلك من الغلمان في الشَّذَا والسُّميريّات ، فظهروا على الزَّنْج وهزموهم؛ وقد كان سليمان بن جامع لما رأى ظهور أصحاب أبي العباس على الزَّنْج ، وغَل في النهر مصاعداً في جمع كثير؛ فانتهى إلى النَّهر المعروف بعبد الله ، واستدبر أصحاب أبي العباس وهم في حربِهم ، مقبلين على مَنْ بإزائهم ممّن يحاربهم ، فيمعنون في طلب مَن انهزم عنهم من الزَّنْج ، فخرج عليهم من ورائهم ، وخفقت طبوله ، فانكشف أصحاب أبي العباس ، ورجع عليهم مَنْ كان انهزم عنهم من الزَّنْج ، فأصِيبت جماعة من غلمان الموفَّق وغيرهم من جُنده ، وصار في أيدي الزَّنْج عدّة أعلام ومطارد ، وحامى أبو العباس عن الباقين من أصحابه ، فسلم أكثرُهم ، فانصرف بهم؛ فأطمعت هذه الوقعة الزَّنْج وتبّاعهم ، وشدّت قلوبهم ، فأجمع الموفَّق على العبور بجيشه أجمع لمحاربة الخبيث ، وأمر أبو العباس وسائر القوّاد والغلمان بالتأهّب للعبور ، وأمر بجمع السفن والمعابر وتفريقها عليهم ، ووقف على يوم بعينه أراد العبور فيه ، فعصفت رياحٌ منعت من ذلك ، واتصل عصوفها أياماً كثيرة؛ فأمهل الموفّق حتى انقضى هبوب تلك الرياح ، ثم أخذ في الاستعداد للعبور ومناجزة الفاجر.

فلما تهيّأ له ما أراد من ذلك عبر يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذي الحجة من سنة سبع وستين ومئتين في أكثف جَمْع وأكمل عدّة ، وأمر بحمل خيل كثيرة في السفن ، وتقدّم إلى أبي العباس في المسير في الخيل ومعه جميع قوّاده الفرسان ورجَّالتهم ، ليأتِيَ الفجرة من ورائهم من مؤخّر النهر المعروف بمنكى ، وأمر مسروراً البلخيّ مولاه بالقصد إلى نهر الغربيّ ليضطر الخبيث بذلك إلى تفريق أصحابه ، وتقدّم إلى نصير المعروف بأبي حمزة ورشيق غلام أبي العباس وهو من أصحابه ـ وشذواتُه في مثل العدّة التي فيها نصير ـ بالقصد لفوّهة نهر أبي الخصيب والمحاربة لما يظهر من شَذَوَات الخبيث ، وقد كان استكثر منها ، وأعدّ فيها المقاتلة وانتخبهم ، وقصد أبو أحمد بجميع مَنْ معه لركنٍ من أركان مدينة الخبيث قد كان حصّنه بابنه المعروف بأنكلاي ، وكنفه بعليّ بن أبان وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمدانيّ وحفه بالمجانيق والعرّادات

والقسيّ الناكيّة ، وأعدّ فيه الناشبة وجمع فيه أكثر جيشه .

فلما التقى الجمعان أمر الموفّق غلمانه : الناشبة والرامحة والسودان ، بالدنوّ من الركن الذي فيه جمع الفسقة ، وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الأتراك ؛ وهو نهر عريض غزير الماء ، فلما انتهوْا إليه أحجموا عنه ، فصِيح بهم ، وحُرِّضوا على العبور فعبروا سباحة ، والفسقة يرمونهم بالمجانيق والعرّادات والمقاليع والحجارة عن الأيدي ، وبالسهام عن القسيّ الناوكية ، وقسيّ الرِّجْل وصنوف الآلات التي يرمَى عنها ؛ فصبروا على جميع ذلك حتى جاوزوا النهر ، وانتهوْا إلى السور ، ولم يكن لحِقهم من الفعَلة مَن كان أعِدَّ لهدمه ، فتولّى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من سلاحهم ويسَّر الله ذلك ، وسهّلوا لأنفسهم السبيل إلى عُلوّه ، وحضرهم بعض السلاليم التي كانت أعِدّت لذلك ، فعَلوا الركن ، ونصبوا هنالك علماً من أعلام الموفق ، وأسلم الفسقة سورهم ، وخلوْا عنه بعد أن حوربوا عليه أشدّ حرب ، وقتِل من الفريقين خلقٌ كثير ، وأصيب غلامٌ من غلمان الموفّق يقال له : ثابت بسهم في بطنه فمات ، وكان من قوّاد الغلمان وجِلّتهم .

ولما تمكن أصحاب الموفّق من سُور الفسقة ، أحرقوا ما كان عليه من مِنجنيق وعرّادة وقوس ناوكيّة ، وخلّوْا عن تلك الناحية وأسلموها ، وقد كان أبو العباس قصد بأصحابه في الخيل النهر المعروف بمنكى ، فمضى عليّ بن أبان المهلبيّ في أصحابه ، قاصداً لمعارضته ودفعه عمّا صمد له ، والتقيا ، فظهر أبو العباس عليه وهزمه ، وقتل جمعاً كثيراً من أصحابه ، وأفلت المهلبيّ راجعاً ، وانتهى أبو العباس إلى الموضع الذي قدّر أن يصل منه إلى مدينة الفاسق من مؤخر نهر منكى ، وهو يرى أنّ المدخل من ذلك الموضع سهلٌ ، فدخل إلى الخندق فوجده عريضاً ممتنعاً ، فحمل أصحابه على أن يعبروه بخيولهم ، وعبَره الرّجّالة سباحةً حتى وافوا السور ، فثلموا فيه ثلماً اتّسع لهم منه الدخول فدخلوا ، فلقي أوائلهم سليمان بن جامع ، وقد أقبل للمدافعة عن تلك الناحية لمّا انتهى إليه انهزام المهلبّي عنها ، فحاربوه ، وكان أمام القوم عشرة من غلمان الموفق ، فدافعوا سليمان وأصحابَه ؛ وهم خلق كثير ، وكشفوهم مراراً كثيرة ، وحاموا عن سائر أصحابهم حتى رجعوا إلى مواضعهم .

وقال محمد بن حمّاد: لما غلب أصحاب الموفّق على الموضع الذي كان الفاسق حرسه بابنه والمذكورين من أصحابه وقوّاده، وشعّثوا من السور الذي أفضوْا إليه ما أمكنهم تشعيثُه، وافاهم الذين كانوا أعِدّوا للهدم بمعاولهم وآلاتهم، فثلموا في السور عدّة ثلم، وقد كان الموفّق أعدّ لخندق الفسقة جسراً يُمَدُّ عليه، فمُدّ عليه، وعبر جمهور الناس، فلما عاين الخبَثة ذلك، ارتاعوا فانهزموا عن سور لهم ثان قد كانوا اعتصموا به، ودخل أصحابُ الموفق مدينة الخائن، فولَّى الفاجرُ وأشياعهُ منهزمين، وأصحابُ الموفق يتبعونهم ويقتلون مَنْ انتهوا إليه منهم؛ حتى انتهوا إلى النهر المعروف بابنِ سمعان، وصارت دار ابن سمعان في أيدي أصحاب الموفق، وأحرقوا ما كان فيها وهدموها، ووقف الفجرة على نهر ابنِ سمعان وقوفاً طويلاً، ودافعوا مدافعة شديدة، وشدّ بعض غلمان الموفق على عليّ بن أبان المهلبي، فأدبر عنه هارباً، فقبض على مئزره، فخلّى عن المئزر، ونبذه إلى الغلام، ونجا بعد أن أشفَى الهَلكة، وحمل أصحاب الموفق على الزَّنج حملةً صادقة، فكشفوهم عن النهر المعروف بابن سمعان، حتى وافَوْا بهم طرف ميدان الفاسق، وانتهى إليه خبرُ هزيمة أصحابه ودخول أصحاب الموفّق مدينته من أقطارها، فركب في جمع من أصحابه، فتلقّاه أصحاب الموفق، وهم يعرفونه في طرف ميدانه، فحملوا عليه، فتفرّق عنه أصحابُه ومَنْ كان معه وأفردوه، وقَرُب منه بعض الرجّالة حتى ضرب وجه فرسه بتُرسه؛ وكان ذلك مع مغيب الشمس، فأمر الموفّق أصحابه بالرجوع إلى سفنهم، فرجعوا سالمين، قد حملوا من رؤوس الخبثاء شيئاً كثيراً، ونالوا كلّ الذي أحبُّوا منهم من قتل وجراح وتحريق منازل وأسواق، وقد كان استأمن إلى أبي العباس في أول النهار عدد من قوّاد الفاجر وفرسانه، فاحتاج إلى التوقف على حملهم في السفن، وأظلم الليل، وهبّت ريح شمال عاصف، وقوِيَ الجزر، فلصِق أكثر السفن بالطين.

وحرّض الخبيث أشياعَه واستنجدهم، فبانت منهم جماعة، وشدّوا على السفن المتخلّفة، فنالوا منها نَيْلاً، وقتلوا فيها نفراً، وقد كان بهبوذ بإزاء مسرور البلخيّ وأصحابه في هذا اليوم في نهر الغربيّ، فأوقع بهم، وقتل جماعة منهم، وأسر أسارى، وصارت في يده دوابّ من دوابهم، فكسر ذلك نشاط أصحاب

الموفّق ، وقد كان الخبيثُ أخرجَ في هذا اليوم جميع شَذَواته إلى دجْلة محاربين فيها رشيقاً ، وضرب منها رشيق على عدّة شَذَوات ، وغرّق منها وحرّق ، وانهزم الباقون إلى نهر أبي الخصيب.

وذُكر: أنه نزل في هذا اليوم بالفاسق وأصحابه ما دعاهم إلى التفرّق والهرب على وجوههم نحو نهر الأمير والقَندل وإبرسان وعبّادان وسائر القرى ، وهرب يومئذ أخوا سليمان بن موسى الشعرانيّ: محمد وعيسى ، فمضيا يؤمّان البادية ، حتى انتهى إليهما رجوع أصحاب الموفق ، فرجعا ، وهرب جماعة من العرب الذين كانوا في عسكر الفاسق ، وصاروا إلى البصرة ، وبعثوا يطلبون الأمان من أبي أحمد ، فآمنهم ، ووجّه إليهم السفن ، فحملهم إلى الموفقيّة ، وأمر أن يخلَع عليهم ، ويوصلوا ويجرَى عليهم الأرزاق والأنزال ، ففعل ذلك بهم.

وكان فيمن رغب في الأمان من جلّة قوّاد الفاجر ريحان بن صالح المغربيّ ، وكانت له رياسة وقيادة ، وكان يتولّى حجبة ابن الخبيث المعروف بأنكلاي ، فكتب ريحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه ، فأجيب إلى ذلك ، وأنفِذ إليه عدد كثير من الشذا والسميريّات والمعابر مع زيرك القائد صاحب مقدّمة أبي العباس ، فسلك النهر المعروف باليهوديّ؛ حتى وافى الموضع المعروف بالمطَّوعة ، فألفى به ريحان ومن معه من أصحابه ، وقد كان الموعد تقدم في موافاة ذلك الموضع زيرك ريحان ومن معه ، فوافى بهم دار الموفق ، فأمر لريحان بخلع ، وحمل على عدّة من أفراس بآلتها ، وأجيز بجائزة سنية ، وخلع على أصحابه ، وأجيزوا على أقدارهم ، وضُمّ إلى أبي العباس ، وأمِر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الخبيث ، فوقفوا هنالك في الشَّذَا ، فعرفوا خروج ريحان وأصحابه في الأمان ، وما صاروا إليه من الإحسان ، فاستأمن في ساعتهم تلك من أصحاب ريحان الذين كانوا تخلّفوا وغيرهم جماعة ، فألحِقوا في البرّ والإحسان بأصحابهم؛ وكان خروج ريحان بعد الوقعة التي كانت يوم الأربعاء في يوم الأحد لليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وستين ومئتين.



وفي هذه السنة أقبل أحمد بن عبد الله الخُجُستانيّ يريد العراق بزعمه؛ حتى

صار إلى سِمْنان ، وتحصّن منه أهل الرّيّ وحصّنوا مدينتهم؛ ثم انصرف من سِمْنان راجعاً إلى خُراسان.

وفيها انصرف خلقٌ كثير من طريق مكة في البدأة لشدّة الحرّ ، ومضى خلق كثير ، فمات ممن مضى خَلْقٌ كثير من شدّة الحرّ ، وكثير منهم من العطش ، وذلك كله في البدأة ، وأوقعت فزارةُ فيها بالتجار ، فأخذوا ـ فيما ذكر ـ منهم سبعمئة حمل بزّ.

وفيها اجتمع بالموسم عامل لأحمد بن طولون في خيله وعامل لعمرو بن الليث في خيله ، فنازع كلّ واحد منهما صاحبَه في ركز علمه على يمين المنبر في مسجد إبراهيم خليل الرحمن ، وادّعى كلٌّ واحد منهما أنّ الولاية لصاحبه ، وسلاَّ السيوف ، فخرج معظم الناس من المسجد ، وأعان موالي هارون بن محمد من الزَّنْج صاحبَ عمرو بن الليث ، فوقف حيث أراد ، وقصر هارون ـ وكان عامل مكة ـ الخطبةَ وسلم الناس ، وكان المعروف بأبي المغيرة المخزوميّ حينئذ يحرس في جميِّعة[1].

وفيها نُفِي الطباع عن سامُرّا.

وفيها ضرب الخُجُستانيّ لنفسه دنانير ودراهم ووزن الدينار منها عشرة دوانيق ، ووزن الدرهم ثمانية دوانيق ، عليه: «المُلْك والقدرة لله ، والحوْل والقوّة بالله؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله» ، وعلى جانب منه: «المعتمد على الله باليمن ، والسعادة» ، وعلى الجانب الآخر: «الوافى أحمد بن عبد الله».

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشميّ[2].

* * *

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢١٣) ذكر نحواً من هذا.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر خبر استئمان جعفر بن إبراهيم إلى أبي أحمد الموفق][١]

فمن ذلك ما كان من استئمان جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجّان إلى أبي أحمد الموفّق في يوم الثلاثاء في غرّة المحرم منها ، وذكر أن السبب كان في ذلك الوقعة التي كانت لأبي أحمد في آخر ذي الحجة من سنة سبع وستين ومئتين التي ذكرناها قبلُ ، وهرب ريحان بن صالح المغربيّ من عسكر الفاجر وأصحابه ولحاقه بأبي أحمد ، فنخب قلب الخبيث لذلك؛ وذلك أنّ السجّانَ كان ـ فيما قيل ـ أحد ثقاته ، فأمر أبو أحمد للسجان هذا بخِلَع وجوائز وصِلات وحُملان وأرزاق ، وأقيمت له أنزال ، وضُمّ إلى أبي العباس ، وأمره بحمله في الشَّذَاة إلى إزاء قصر الفاسق؛ حتى رآه وأصحابه ، وكلّمهم السّجّان ، وأخبرهم أنهم في غرور من الخبيث ، وأعلمهم ما قد وقف عليه من كذبه وفجورِه؛ فاستأمن في هذا اليوم الذي حُمِل فيه السجان من عسكر الخبيث خلقٌ كثير من قُوّاده الزّنج وغيرهم ، وأحسِن إليهم ، وتتابع الناس في طلب الأمان والخروج من عند الخبيث ، ثم أقام أبو أحمد بعد الوقعة التي ذكرتُ أنها كانت لليلة بقيت من ذي الحجة من سنة سبع وستين ومئتين ، لا يعبر إلى الخبيث لحرب ، يُجِمّ بذلك أصحابه إلى شهر ربيع الآخر.

* * *

وفي هذه السنة صار عمرو بن الليث إلى فارس لحرب عامله محمد بن الليث عليها ، فهزمه عمرو ، واستباح عسكره ، وأفلت محمد بن الليث في نفر ، ودخل عمرو إصطَخر ، فانتهبها أصحابه ، ووجَّه عمرو في طلب محمد بن الليث فظفِر به ، وأتِي به أسيراً ، ثم صار عمرو إلى شِيراز فأقام بها[٢].

وفي شهر ربيع الأول منها زُلزلت بغداد لثمانٍ خلوْن منه ، وكان بعد ذلك

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ٢١٩).

(٢) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٢).

ثلاثة أيام مطر شديد ، ووقعت بها أربع صواعق.

وفيها زحف العباس بن أحمد بن طولون لحرب أبيه ، فخرج إليه أبوه أحمد إلى الإسكندرية ، فظفِرَ به وردّه إلى مصر فرجع معه إليها.

* * *

[ذكر خبر عبور الموفَّق إلى مدينة الزنج][١]

ولأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر منها عبر أبو أحمد الموفق إلى مدينة الفاجر ، بعد أن أَوْهَى قوّته في مُقامه بمدينة الموفّقية ، بالتضييق عليه والحصار ، ومنعه وصول المِيَر إليه؛ حتى استأمن إليه خلق كثير من أصحابه؛ فلما أراد العبور إليها أمر - فيما ذكر - ابنه أبا العباس بالقَصْد للموضع الذي كان قصده من ركن مدينة الخبيث الذي يحوطه بابنه وجِلّة أصحابه وقوّاده ، وقصد أبو أحمد موضعاً من السور فيما بين النهر المعروف بمنكى والنهر المعروف بابن سمْعان ، وأمر صاعداً وزيرَه بالقصد لفوّهة النهر المعروف بجرى كور ، وتقدَّم إلى زِيرك في مكانفته ، وأمر مسروراً البلخي بالقَصْد لنهر الغربيّ ، وضمّ إلى كلّ واحد منهم من الفعَلة جماعة لهدم ما يليهم من السُّور ، وتقدّم إلى جميعهم ألاّ يزيدوا على هدم السور ، وألا يدخلوا مدينة الخبيث. ووكّل بكلّ ناحية من النواحي التي وجه إليها القوّاد شَذوات فيها الرّماة ، وأمرهم أن يحموا بالسهام مَنْ يهدم السور من الفعَلة والرجّالة الذين يخرجون للمدافعة عنهم ، فثُلم في السور ثلم كثيرة ، ودخل أصحابُ أبي أحمد مدينة الفاجر من جميع تلك الثُّلَم ، وجاء أصحاب الخبيث يحاربونهم ، فهزمهم أصحابُ أبي أحمد ، واتبعوهم حتى وغلوا في طلبهم ، واختلفت بهم طرق المدينة ، وفرّقت بينهم السكك والفِجاج ، فانتهوْا إلى أبعد من الموضع الذي كانوا وصلوا إليه في المرّة التي قبلها ، وحرّقوا وقتّلوا.

---

(١) هذه تفاصيل انفرد الطبري بذكرها ولم يذكر ابن الجوزي وابن كثير وغيرهما من الحفاظ كثيراً من هذه التفاصيل لأنهم اختصروها وانظر تعليقنا على نهاية الخبر ضمن أحداث سنة (٢٧٠ هـ).

ثم تراجع أصحاب الخبيث، فشدّوا على أصحاب أبي أحمد، وخرج كمناؤهم من نواحٍ يهتدون لها ولا يعرفها الآخرون، فتحيّر مَنْ كان داخل المدينة من أصحاب أبي أحمد، ودافعوا عن أنفسهم، وتراجعوا نحو دِجْلة حتى وافاها أكثرُهم؛ فمنهم مَنْ دخل السفينة، ومنهم مَنْ قذف نفسه في الماء، فأخذه أصحاب الشَّذَا، ومنهم مَنْ قتِل، وأصاب أصحاب الخبيث أسلحةً وأسلاباً، وثبت جماعة من غلمان أبي أحمد بحضرة دار ابن سمعان، ومعهم راشد وموسى بن أخت مفلِح، في جماعة من قُوّاد الغلمان كانوا آخر مَنْ ثبت من الناس، ثم أحاط بهم الزَّنج وكثَـرُوهم، وحالوا بينهم وبين الشَّذَا، فدافعوا عن أنفسهم وأصحابهم، حتى وصلوا إلى الشَّذَا فركبوها، وأقام نحو من ثلاثين غلاماً من الديالمة في وجوه الزَّنْج وغيرهم، يحمون الناس، ويدفعون عنهم حتى سلِموا، وقتِل الثلاثون من الدّيالمة عن آخرهم، بعد ما نالوا من الفجَّار ما أحبوا، وعظم على الناس ما نالهم في هذه الوَقْعة، وانصرف أبو أحمد بمَنْ معه إلى مدينته الموفقيّة، وأمر بجمعهم وعَذْلِهم على ما كان منهم من مخالفة أمره، والافتيات عليه في رأيه وتدبيره، وتوعدهم بأغلظ العقوبة إن عادوا لخلاف أمره بعد ذلك، وأمر بإحصاء المفقودين من أصحابه فأحْصُوا له، فأتِيَ بأسمائهم، وأقرَّ ما كان جارياً لهم على أولادهم، وأهاليهم، فحسُن موقع ذلك منهم، وزاد في صحة نياتهم لِمَا رأوْا من حياطته خلْف مَنْ أصيب في طاعته.

* * *

[ذكْر وقعة أبي العباس بمن كان يمدّ الزنج من الأعراب]

وفيها كانت لأبي العباس وقعةٌ بقوم من الأعراب الذين كانوا يميرون الفاسق اجتاحهم فيها.

* ذكر الخبر عن السبب الذي كانت من أجله هذه الوقعة:

ذُكر: أنّ الفاسق لما خرّب البصرة ولَّاها رجلاً من قدماء أصحابه يقال له: أحمد بن موسى بن سعيد المعروف بالقَلُوص؛ فكان يتولَّى أمرها، وصارت فرصة للفاسق يَرِدها الأعراب والتّجار، ويأتونها بالميَر وأنواع التجارات، ويُحمل ما يردها إلى عسكر الخبيث، حتى فتح أبو أحمد طهِيثا، وأسر

القَلوص ، فولّى الخبيثُ ابنَ أخت القُلوص ـ يقال له مالك بن بِشران ـ البَصْرة وما يليها ، فلمّا نزل أبو أحمد فرات البَصْرة خاف الفاجر إيقاع أبي أحمد بمالك هذا ، وهو يومئذ نازل بسَيْحان على نهر يعرف بنهر ابن عتبة ، فكتب إلى مالك يأمره بنقل عسكره إلى النهر المعروف بالدينارِيّ ، وأن ينفذ جماعة ممّن معه لصيد السمك وإدرار حمله إلى عسكره ، وأن يوجّه قوماً إلى الطريق التي يأتي منها الأعراب من البادية ، ليعرفِ ورود مَن يرد منهم بالمِيَر ، فإذا وردت رُفقة من الأعراب خرج إليها بأصحابه ، حتى يحمل ما تأتي به إلى الخبيث؛ ففعل ذلك مالك ابن أخت القَلوص ، ووجّه إلى البَطيحة رجلين من أهل قرية بسمى ، يعرف أحدهما بالرَّيان والآخر الخليل ، كانا مقيمين بعسكر الخبيث ، فنهض الخليل والرّيان وجمعا جماعةً من أهل الطّفّ ، وأتيا قرية بسمى ، فأقاما بها يحملان السمك من البَطيحة أوّلاً إلى عسكر الخبيث في الزواريق الصغار التي تسلك بها الأنهار الضّيقة والأرخنجان التي لا تسلكها الشَّذَا والسُّميريّات؛ فكانت موادّ سمك البَطيحة متّصلة إلى عسكر الخبيث بمقام هذين الرجلين بحيث ذكرنا ، واتّصلت أيضاً مِيَر الأعراب وما كانوا يأتون به من البادية ، فاتّسع أهلُ عسكره ، ودام ذلك إلى أن استأمن إلى الموفّق رجلٌ من أصحاب الفاجر الذين كانوا مضمومين إلى القَلوص ، يقال له: عليّ بن عمر ، ويعرف بالنقَّاب ، فأخبر بخبر مالك بن بِشْران ومقامه بالنهر المعروف بالدينارِيّ ، وما يصل إلى عسكر الخبيث بمقامه هناك من سَمك البطيحة وجلْب الأعراب ، فوجَّه الموفق زِيرك مولاه في الشَّذَا والسُميريّات إلى الموضع الذي به ابن أخت القَلوص ، فأوقع به وبأهل عسكره ، فقتل منهم فريقاً وأسر فريقاً ، وتفرَّق أهلُ ذلك العسكر ، وانصرف مالك إلى الخبيث مفلولاً ، فردَّه الخبيث في جمع إلى مؤخّر النهر المعروف باليهوديّ؛ فعسكر هنالك بموضع قريب من النهر المعروف بالفيّاض ، فكانت المِيَر تتّصِل بعسكر الخبيث مما يَلِي سَبخة الفيّاض ، فانتهى خبر مالك ومقامه بمؤخّر نهر اليهودي ، ووقْعُ المِيَر من تلك الناحية إلى عسكر الفاجر إلى الموفّق ، فأمر ابنه أبا العباس بالمصير إلى نهر الأمير ، والنهر المعروف بالفيّاض لتعرّف حقيقة ما انتهى إليه من ذلك؛ فنفذ الجيش ، فوافق جماعةً من الأعراب يرأسهم رجلٌ قد أورد من البادية إبلاً وغنماً وطعاماً ، فأوقع بهم أبو العباس ، فقتل منهم جماعةً وأسر الباقين ، ولم يُفلت من القوم إلا رئيسهم؛ فإنه سبق على حِجْر كانت

تحته ، فأمعن هرباً وأخذ كلَّ ما كان أولئك الأعراب أتوْا به من الإبل والغنم والطعام ، وقطع أبو العباس يدَ أحد الأسرى وأطلقه ، فصار إلى معسكر الخبيث ، فأخبرهم بما نزل به ، فريعَ مالك بن أخت القَلوص بما كان من إيقاع أبي العباس بهؤلاء الأعراب ، فاستأمن إلى أبي أحمد ، فأومن وحُبيَ وكُسِيَ وضُمّ إلى أبي العباس ، وأجرِيت له الأرزاق ، وأقيمت له الأنزال ، وأقام الخبيث مقام مالك رجلاً كان من أصحاب القَلوص ، ويقال له: أحمد بن الجنيد ، وأمره أن يعسكر بالموضع المعروف بالدهرشير ومؤخّر نهر أبي الخصيب ، وأن يصير في أصحابه إلى ما يقبل من سمك البَطِيحة ، فيحمله إلى عسكر الخبيث ، وتأدّى إلى أبي أحمد خبر أحمد بن الجنيد ، فوجّه قائداً من قوّاد الموالي يقال له: الترمداني في جيش ، فعسكر بالجزيرة المعروفة بالرّوحية ، فانقطع ما كان يأتي إلى عسكر الخبيث من سَمك البَطِيحة ، ووجّه الموفق شهاب بن العلاء ومحمد بن الحسن العنبريّين في خيل لمنع الأعراب من حمل المِير إلى عسكر الخبيث ، وأمر بإطلاق السوق لهم بالبصرة ، وحمل ما يريدون امتيارَه من التمر؛ إذ كان ذلك سبب مصيرهم إلى عسكر الخبيث ، فتقدّم شهاب ومحمد لما أمرا به ، فأقاما بالموضع المعروف بقصر عيسى؛ فكان الأعراب يوردون إليهما ما يجلبونَه من البادية ، ويمتارون التمر ممّا قِبَلهما.

ثم صرف أبو أحمد الترمدان عن البصرة ، ووجّه مكانه قائداً من قُوّاد الفراغنة ، يقال له قيصر بن أرْخُوز إخشاذ فَرْغانة ، ووجّه نصيراً المعروف بأبي حمزة في الشَّذَا والسُّميريات ، وأمره بالمقام بفيض البصرة ونهر دُبَيْس وأن يخترق نهر الأُبُلّة ونهر معقل ونهر غربيّ ، ففعل ذلك.

قال محمد بن الحسن: وحدّثني محمد بن حماد ، قال: لما انقطعت المير عن الخبيث وأشياعه بمقام نصير وقيصر بالبصرة ، ومنعهم المِيرة من البَطِيحة والبحر بالشَّذَا ، صرفوا الحيلة إلى سلوك نهر الأمير إلى القَنْدل ، ثم سلوك المسيحيّ إلى الطرق المؤدية إلى البرّ والبحر؛ فكانت مِيَرهُم من البرّ والبحر ، وامتيارهم سمك البحر من هذه الجهة ، فانتهى ذلك إلى الموفّق ، فأمر رشيقاً غلام أبي العباس باتّخاذ عسكر بجَوِّيث بارويه في الجانب الشرقي من دِجْلة بإزاء نهر الأمير ، وأن يحفر له خندقاً حصيناً ، وأمَر أبا العباس أن يضمّ إلى رشيق من

خيار أصحابه خمسة آلاف رجل وثلاثين شَذاة ، وتقدّم إلى رشيق في ترتيب هذه الشَّذَا على فُوّهة نهر الأمير ، وأن يجعل على كلّ خمس عشرة شَذَاة منها نوبة يلج فيها نهرَ الأمير ، حتى ينتهي إلى المعترض الذي كان الزَّنج يسلكونه إلى دُبًّا والقَنْدل والنهر المعروف بالمسيحيّ ؛ فيكون هناك ؛ فإن طلع عليهم من الخُبثَاء طالع أوقعوا به ؛ فإذا انقضت نَوْبتهم انصرفوا وعاقبهم أصحابهم المقيمون على فُوّهة النهر ففعلوا مثلِ هذا الفعل ، فعسكر رشيق في الموضع الذي أمر بترتيبه به ، فانقطعت طرق الفجَرة التي كانوا يسلكونها إلى دُبًّا والقَنْدل والمسيحيّ ؛ فلم يكن لهم سبيل إلى برّ ولا بحر ، فضاقت عليهم المذاهب ، واشتدّ عليهم الحصار.

* * *

وفيها أوقع أخو شركب بالخُجُستانيّ وأخذ أمَّه.

وفيها وثب ابن شَبَث بن الحسن ، فأخذ عمر بن سيما والي حلوان.

وفيها انصرف أحمد بن أبي الأصبغ من عند عمرو بن الليث ، وكان عمرو قد وجّهه إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف ، فقدم معه بمال ، فوجّه عمرو ممّا صودر عليه ثلاثمئة ألف دينار ونيّفاً ، وهدية فيها خمسون منّاً مسكاً وخمسون منّاً عنبراً ، ومئتا منٍّ عوداً ، وثلاثمئة ثوب وشي وغيره ، وآنية ذهب وفضة ودواب وغلمان بقيمة مئتي ألف دينار ؛ فكان ما حمل وأهدى بقيمة خمسمئة ألف دينار.

وفيها ولّى كَيْغَلغ الخليل بن ريمال حُلوان ، فنالهم بالمكاره بسبب عمر ابن سيما وأخذهم بجريرة ابن شبَث ، فضمِنوا له خلاص ابن سيما وإصلاح أمر ابن شَبَث.

* * *

[ذكر خبر إيقاع رشيق بمن أعان الزنج من تميم]

وفيها أوقع رشيق غلام أبي العباس بن الموفّق بقوم من بني تميم ، كانوا أعانوا الزّنج على دخول البصرة وإحراقها ، وكان السبب في ذلك أنه كان انتهى إليه أنّ قوماً من هؤلاء الأعراب قد جلبوا ميرةً من البرّ إلى مدينة الخبيث ؛ طعاماً

وإبلاً وغنماً ، وأنهم في مؤخّر نهر الأمير ينتظرون سفناً تأتيهم من مؤخّر عسكر الفاجر تحملهم وما معهم ، فسرَى إليهم رشيق في الشَّذَا ، فوافى الموضع الذي كانوا حلّوا به ، وهو النّهر المعروف بالإسحاقيّ ، فأوقع بهم وهم غارّون ، فقُتِل أكثرُهم وأسِر جماعة منهم وهم تجار كانوا خرجوا من عسكر الخبيث لجلْب المِيرة ، وحوى ما كان معهم من أصناف المير والشاء والإبل والحمير التي كانوا حملوا عليها الميرة ، فحمل الأسرى والرؤوس في الشَّذا وفي سفن كانت معه إلى الموفقيّة ، فأمر الموفق فعلِّقت الرؤوس في الشَّذَا ، وصُلِب الأسارى هنالك؛ وأظهر ما صار إلى رشيق وأصحابه ، وطِيف بذلك في أقطار العسْكر ، ثم أمر بالرؤوس والأسارى ، فاجتيز بهم على عسكر الخبيث حتى عرفوا ما كان من رشيق من الإيقاع بجالبي المِيَر إليهم ، ففعل ذلك ، وكان فيمن ظفِر به رشيق رجل من الأعراب ، كان يُسفِر بين صاحب الزَّنْج والأعراب في جلب الميرة ، فأمر به الموفّق فقُطعت يدُه ورجله ، وألقى في عسكر الخبيث ، ثم أمر بضرب أعناق الأسارى فضرِبت ، وسوّغ أصحاب رشيق ما أصابوا من أموالهم ، وأمر لرشيق بخلع وصِلة ، وردّه إلى عسكره ، فكثر المستأمنون إلى رشيق ، فأمر أبو أحمد بضمّ مَنْ خرج منهم إلى رشيق إليه ، فكثُروا حتى كان كأكثر العساكر جمعاً ، وانقطعت عن الخبيث وأصحابه المِيَر من الوجوه كلّها ، وانسدّ عليهم كلُّ مسلك كان لهم ، فأضرَّ بهم الحِصار ، وأضعف أبدانهم؛ فكان الأسير منهم يُؤسر؛ والمستأمِن يُستأمَن ، فيسألُ عن عهده بالخبز ، فيعجب من ذلك؛ ويذكر أنّ عهده بالخبز مذ سنة وسنتين ، فلما صار أصحاب الخائن إلى هذه الحال ، رأى الموفّق أن يتابع الإيقاع بهم ، ليزيدهم بذلك ضُرّاً وجهداً ، فخرج إلى أبي أحمد في هذا الوقت في الأمان خلْق كثير ، واحتاج مَنْ كان مقيماً في حيّز الفاسق إلى الحيلة لقوته ، فتفرّقوا في القُرى والأنهار النائية عن معسكرهم في طلب القوت ، فتأدّى الخبر بذلك إلى أبي أحمد ، فأمر جماعةً من قوّاد غلمانه السودان وعُرفائهم بأن يقصدوا المواضع التي يعتادها الزَّنْج ، وأن يستميلوهم ويستدعوا طاعتَهم؛ فمَنْ أبَى الدّخولَ منهم في ذلك قتلوه وحملوا رأسه ، وجعل لهم جُعْلاً؛ فحرصوا وواظبوا على الغدوّ والرواح؛ فكانوا لا يخلون في يوم من الأيام من جماعة يجلبونهم ، ورؤوس يأتون بها ، وأسارى يأسرونهم.

قال محمد بن الحسن: قال محمد بن حمّاد: ولمّا كثر أسارى الزَّنج عند الموفّق، أمر باعتراضهم؛ فمَنْ كان منهم ذا قوّة وجَلد ونهوض بالسلاح منّ عليه، وأحسن إليه، وخلطه بغلمانه السودان، وعرّفهم ما لهم عنده من البرّ والإحسان، ومَن كان منهم ضعيفاً لا حَراك به، أو شيخاً فانياً لا يُطيق حمل السلاح، أو مجروحاً جراحة قد أزَمَنَتْه، أمر بأن يُكْسىَ ثَوبين، ويوصَل بدراهم، ويزوّد ويحمل إلى عسكر الخبيث؛ فيلقى هناك بعدما يؤمر بوصف ما عاين من إحسان الموفّق إلى كلّ مَن يصير إليه، وأنّ ذلك رأيه في جميع مَنْ يأتيه مستأمِناً ويأسره منهم؛ فتهيّأ له من ذلك ما أراد من استمالة أصحاب صاحب الزَّنْج؛ حتى استشعروا الميل إلى ناحيته والدخول في سِلْمه وطاعته؛ وجعل الموفّق وابنه أبو العباس يغاديان حرب الخبيث ومَنْ معه، ويراوحانها بأنفسهما ومَنْ معهما، فيقتلان ويأسران ويجرحان، وأصاب أبا العباس في بعض تلك الوقعات سهم جرحه فبرأ منه.

* * *

[ذكر الخبر عن قتل بهبوذ بن عبد الوهاب]

وفي رجب من هذه السنة قتِل بهبوذ صاحب الخبيث.

* ذكر الخبر عن سبب مقتله:

ذُكر: أن أكثر أصحاب الفاسق غارات، وأرشدهم تعرّضاً لقطع السبيل وأخذ الأموال كان بهبوذ بن عبد الوهاب، وكان قد جمع من ذلك مالاً جليلاً، وكان كثير الخروج في السميريّات الخِفاف، فيخترق الأنهار المؤدّية إلى دِجْلة، فإذا صادف سفينةً لأصحاب الموفّق أخذها فأدخلها النهر الذي خرج منه، فإن تبعه تابع حتى توغَّل في طلبه خرج عليه من النّهر قوم من أصحابه قد أعدَّهم لذلك، فاقتطعوه وأوقَعوا به؛ فلما كثر ذلك وتُحُرِّزَ منه ركب شذَاةً، وشبّهها بشذوات الموفّق، ونصب عليها مثل أعلامه، وسار بها في دِجْلة، فإذا ظفر بِغرّة من أهل العسكر أوْقع بهم، فقتَل وأسر، ويتجاوز إلى نهر الأبُلّةِ ونهر مَعْقِل وبَثْق شيرين ونهر الدير فيقطع السبل، ويعبث في أموال السابلة ودمائهم؛ فرأى الموفّق عندما انتهى إليه من أفعال بَهْبوذ أن يَسكر جميع الأنْهار التي يخفّ سَكْرُها، ويرتّبَ

الشذاة على فُوّهة الأنهار العظام؛ ليأمن عبث بهبوذ وأشياعه، ويأمن سُبلَ الناس ومسالكهم، فلمّا حُرست هذه المسالك، وسُكر ما أمكن سكرُه من الأنهار، وحِيل بين بهبوذ وبين ما كان يفعل؛ أقام منتهزاً فرْصة في غفلة أصحاب الشَّذَا الموكلين بفوّهة نهر الأبُلّة؛ حتى إذا وجد ذلك اجتاز من مؤخر نهر أبي الخصيب في شَذَوات مثل أصحاب الموفق وسُميريّاتهم، ونصب عليها مثل أعلامهم، وشحنها بجُلد أصحابه وأنجادهم وشجعانهم، واعترض بها في معترَض يؤدّي إلى النهر المعروف باليهوديّ، ثم سلك نهر نافذ حتى خرج منه إلى نهر الأبُلّة، وانتهى إلى الشَّذَوات والسميريّات المرتبة لحفظ النهر، وأهلها غارُّون غافلون، فأوقع بهم، وقتل جَمْعاً، وأسر أسرى، وأخذ ستّ شَذَوات، وكرّ راجعاً في نهر الأبُلّة، وانتهى الخبر بما كان من بَهبوذ إلى الموفق، فأمر أبا العباس بمعارضته في الشَّذَا من النَّهر المعروف باليهوديّ، ورجا أن يسبقه إلى المعترَض فيقطعه عن الطريق المؤدّي إلى مأمنه.

فوافى أبو العباس الموضع المعروف بالمطوّعة، وقد سبق بهبوذ، فوَلَج النهر المعروف بالسعيديّ، وهو نهر يؤدي إلى نهر أبي الخصيب، وبصر أبو العباس بشَذَوات بهبوذ، وطمع في إدراكها، فجدّ في طلبها، فأدركها ونشبت الحرب، فقتل أبو العباس، من أصحاب بَهْبوذ جَمْعاً، وأسر جمعاً، واستأمن إليه فريق منهم، وتلقى بهبوذَ من أشياعه خلق كثير، فعاونوه ودافعوا عنه دفعاً شديداً، وقد كان الماء جزَر، فجرتْ شذواتُه في الطين في المواضع التي نَضَبَ الماء عنها من تلك الأنهار والمعترضات، فأفلت بهبوذ والباقون من أصحابه بجُريعة الذَّقَن.

وأقام الموفق على حصار الخبيث ومَنْ معه، وسدّ المسالك التي كانت المِيَر تأتيهم منها، وكثر المستأمنون منهم، فأمر الموفّق لهم بالخِلع والجوائز، وحملوا على الخيل الجياد بسروجها ولجمها وآلتها، وأجرِيت لهم الأرزاق، وانتهى الخبر إلى الموفق بعد ذلك أن الضرّ والبؤس قد أحوج جماعةً من أصحاب الخبيث إلى التفرّق في القرى لطلب القوت من السمك والتمر، فأمر ابنَه أبا العباس بالمصير إلى تلك القرى والنواحي والإسراع إليها في الشَذَا والسميريّات، وما خفّ من الزواريق وأن يستصحب جُلْد أصحابه وشجعانهم

وأبطالهم ليحولَ بين هؤلاء الرّجال والرجوع إلى مدينة صاحب الزَّنج؛ فتوجّه أبو العباس لذلك، وعلم الخبيث بمسير أبي العباس له، فأمر بهبوذ أن يسير في أصحابه في المعترَضات والأنهار الغامضة ليخفى خبره، إلى أن يوافى القَنْدل وأبراسان ونواحيها، فنهض بهبوذ لما أمره به الخبيث من ذلك فاعترضت له في طريقه سُميرية من سُميريات أبي العباس، فيها غلمان من غلمانه الناشبة في جماعة الزَّنْج، فقصد بهبوذ لهذه السميريّة طامعاً فيها، فحاربه أهلُها، فأصابته طعنة في بطنه من يد غلام من مقاتلة السميرّية أسود، فهوى إلى الماء، فابتدره أصحابهُ، فحملوه، وولّوْا منهزمين إلى عسكر الخبيث، فلم يصلوا به إليه؛ حتى أراح الله منه؛ فعظُمت الفجيعة به على الفاسق وأوليائه، واشتدّ عليه جزعُهم، وكان قتلُه الخبيثَ من أعظم الفتوح، وخفيَ هلاكُه على أبي أحمد؛ حتى استأمن رجلٌ من الملاحين، فأنهى إليه الخبَر، فسُرّ بذلك، وأمر بإحضار الغلام الذي وَليَ قَتْلَه، فأحضر، فوصله وكساه وطوّقه، وزاد في أرزاقه، وأمر لجميع مَنْ كان في تلك السميريّة بجوائز وخلع وصلات.

* * *

وفي هذه السنة كان أول شهر رمضان منها يوم الأحد، وكان الأحد الثاني من الشَّعانين وفي الأحد الثالث الفِصْح، وفي الأحد الرابع النيروز، وفي الأحد الخامس انسلاخ الشهر[(١)].

وفيها ظفر أبو أحمد بالذوائبيّ، وكان ممايلاً لصاحب الزَّنج.

وفيها كانت وقعة بين يدكوتكين بن إساتكين وأحمد بن عبد العزيز، فهزمه يدكوتكين وغلبه على قُمّ.

وفيها وجّه عمرو بن الليث قائداً بأمر أبي أحمد إلى محمد بن عبيد الله بن أزارمرد الكرديّ، فأسره القائد وحَمله إليه.

وفي ذي القعدة منها خرج رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشميّ بالشام يقال له: بَكّار بين سَلَمْيَة وحلب وحِمْص؛ فدعا لأبي أحمد، فحاربه ابنُ عباس

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢١٩).

الكلابيّ ، فانهزم الكلابيّ ، ووجّه إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون قائداً يقال له بودن في عسكر وجيش كثيف ، فرجع وليس معه كثير أحد .

وفيها أظهر لؤلؤ الخلاف على ابن طولون .

وفيها قَتل صاحب الزنج ابنَ ملك الزّنج ، وكان بلغه أنه يريد اللحاق بأبي أحمد(١) .

وفيها قتِل أحمد بن عبد الله الخُجُسْتانيّ ، قتله غلام له في ذي الحجة .

وفيها قتَل أصحاب ابن أبي الساج محمدَ بن عليّ بن حبيب اليشكريَّ بالقرية ناحيةَ واسط ، ونُصِب رأسُه ببغداد(٢) .

وفيها حارب محمد بن كمُشْجور عليّ بن الحسين كفْتمر ، فاسر ابنُ كُمُشْجُور كفتمر ثم أطلقه ، وذلك في ذي الحجة .

وفيها أسِر العلوَيُّ الذي يعرف بالحرُون ، وذلك أنه اعترض الخريطة التي يوجَّه بها بخبر الموسم فأخذها ، فوجَّه خليفة ابن أبي الساج على طريق مكة مَنْ أخذ الحرُون ، ووجَّهَهُ إلى الموفّق .

وفيها كان مصير أبي المغيرة المخروميّ إلى مكة ، وعاملها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشميّ ، فجمع هارون جمعاً نحواً من ألفين ، فامتنع بهم منه فصار المخروميّ إلى عين مُشاش فغوّرها ، وإلى جدَّة ، فنهب الطعام ، وحرّق بيوت أهلها ، فصار الخبز بمكة أوقيّتان بدرهم .

وفيها خرج ابن الصّقْلبيّة طاغية الرّوم ، فأناخ على مَلطْيَة ، وأعانهم أهل مَرْعش والحدَث ، فانهزم الطاغية ، وتبعوه إلى السريع(٣) .

وغزا الصائفة من ناحية الثغور الشأمية خلف الفرغانيّ عامل ابن طولون ، فقتل من الرّوم بضعة عشر ألفاً ، وغنم الناس ، فبلغ السهم أربعين ديناراً(٤) .

* * *

(١) انظر وفيات الأعيان (٦/ ٤٢٣).
(٢) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٢).
(٣) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٢).
(٤) المصدر السابق نفسه.

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق الهاشميّ ، وابن أبي الساج على الأحداث والطريق[١] .

* * *

ثم دخلت سنة تسع وستين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إدخال العَلَويّ المعروف بالحَرُون عسكر أبي أحمد في المحرّم على جمل ، وعليه قبَاء ديباج وقلنسوة طويلة ، ثم حُمل في شذاة ، ومُضِيَ به حتى وُقِف به حيث يراه صاحب الزنج ، ويسمع كلام الرسل .

وفي المحرّم منها قطع الأعراب على قافلة من الحاجّ بين تُوز وسَمِيراء ، فسلبوهم واستاقوا نحواً من خمسة آلاف بعير بأحْمالها وأناساً كثيرين[٢] .

وفي المحرّم منها في ليلة أربع عشرة انخسف القمر وغاب منخسفاً ، وانكسفت الشمس يوم الجمعة لليلتين بقِيتَا من المحرّم وقت المغيب ، وغابت منكسفة ، فاجتمع في المحرّم كسوف الشمس والقمر[٣] .

وفي صفر منها كان ببغداد وثوب العامّة بإبراهيم الخليجيّ ، فانتهبُوا دَاره؛ وكان السبب في ذلك: أنّ غلاماً له رمى امرأة بسهم فقتلها ، فاستعدي السلطان عليه؛ فبعث إليه في إخراج الغلام ، فامتنع ورمى غلمانه الناس ، فقتلوا جماعة وجرحوا جماعة؛ فمنعهم من أعوان السلطان رجلان ، فهرب وأخِذ غلمانه ، ونُهِب منزلُه ودوابّه ، فجمع محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ـ وكان على الجسر من قبَل أبِيه ـ دوابَّ إبراهيم ، وما قدر عليه مما نُهب له ، وأمر عبيدُ الله بتسليم ذلك إليه ، وأشهد عليه بردّه عليه .

وفيها وجه ابن أبي الساج بعدما صار إلى الطائف منصرفاً من مكة إلى جُدَّة

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٢٠) .
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٢٢) .
(٣) المصدر السابق نفسه .

جيشاً ، فأخذوا للمخْزوميّ مركبين فيهما مالٌ وسلاح .

وفيها أخذ روميّ بن حَسنج ثلاثة نفر من قُوّاد الفراغنة، يقال لأحدهم: صديق، والآخر طخشي ، وللثالث طُغَان ، فقيدهم ، وجرح صديق جراحات وأفلت .

وفيها كان وثوب خَلف صاحب أحمد بن طولون في شهر ربيع الأول منها بالثغور الشأمية ـ وهو عامله عليها ـ بيازمان الخادم مولى الفتح بن خاقان فحبسه ، فوثبت جماعة من أهل الثَّغر بخلَف ، وتخلّصوا يازمان ، وهرب خلف ، وتركوا الدّعاء لابن طولون ، ولعنوه على المنابر؛ فبلغ ذلك ابنَ طولون ، فخرج من مصر ، حتى صار إلى دمشق ، ثم صار إلى الثغور الشأميّة ، فنزل أذَنة ، وسدّ يازمان وأهلُ طَرَسُوس أبوابَها ، خلا بابَ الجهاد وباب البحر ، وبَثقُوا الماء ، فجرى إلى قرب أذَنة وما حولها فتحصّنوا بها ، فأقام ابن طولون بأذَنة ، ثم انصرف فرجع إلى أنطاكيَة ، ثم مضى إلى حِمْص ثم إلى دمشق فأقام بها .

وفيها خالفَ لؤلؤ غلام ابن طولون مولاه؛ وفي يده حين خالفه حِمْص وحلب وقِنَّسرين وديار مُضر ، وسار لؤلؤ إلى بالس فنهبها ، وأسر سعيداً وأخاه ابني العباس الكلابيّ ، ثم كاتب لؤلؤ أبا أحمد في المصير إليه ومفارقة ابن طولون ، ويشترط لنفسه شروطاً فأجابه أبو أحمد إلى ما سأله؛ وكان مقيماً بالرَّقَّة ، فشخص عنها ، وحمل جماعة من أهل الرافقة وغيرهم معه ، وصار إلى قرقيسيا ، وبها ابن صفوان العُقَيليّ ، فحاربه فأخذ لؤلؤ قَرْقِيسيا ، وسلّمها إلى أحمد بن مالك بن طوْق ، وهرب ابن صفوان ، وأقبل لؤلؤ يريد بغداد .

* * *

[ذكر خبر إصابة الموفّق]

وفيها رُمِيَ أبو أحمد الموفّق بسهم ، رماه غلام روميّ ـ يقال له: قرطاس ـ للخبيث بعدما دخل أبو أحمد مدينتَه التي كان بناها لهدم سورها ، وكان السبب في ذلك ـ فيما ذُكر ـ أنّ الخبيث بهبوذ لمّا هلك ، طمع الزَّنْج فيما كان بهبوذ قد جمع من الكنوز والأموال ، وكان قد صحّ عنده أن ملكه قد حوى مئتي ألف دينار

وجوهراً وذهباً وفضّة لها قدر ، فطلب ذلك بكلّ حيلة ، وحرَص عليه ، وحبس أولياءه وقرابته وأصحابه ، وضربهم بالسّياط ، وأثار دوراً من دُوره ، وهدم أبنيةً من أبنيته؛ طمعاً في أن يجد في شيء منها دفيناً ، فلم يجد من ذلك شيئاً؛ وكان فعله الذي فعله بأولياء بهبوذ في طلب المال أحد ما أفسد قلوب أصحابه ودعاهم إلى الهرَب منه والزّهد في صحبته ، فأمر الموَفق بالنداء في أصحاب بهبوذ بالأمان ، فنُودي بذلك ، فسارعوا إليه راغبين فيه ، فألحِقوا في الصِّلات والجوائز والخلَع والأرزاق بنظرائهم ، ورأى أبو أحمد لما كان يتعذّر عليه من العُبور إلى عسكر الفاجر في الأوقات التي تهبّ فيها الرياح وتحرّك فيها الأمواج في دِجْلة أن يوسع لنفسه وأصحابه موضعاً في الجانب الغربيّ من دجلة ليعسكر به فيما بين ديْر جابيل ونهر المغيرة ، وأمر بقطع النخل وإصلاح موضع الخندق ، وأن يُحفّ بالخنادق ، ويحصَّن بالسور ليأمن بيات الفجّار واغتيالهم إياه ، وجعل على قُوّاده نوائب؛ فكان لكلّ واحد منهم نوْبة يغدو إليها برجاله ، ومعه العمال في كلّ يوم لإحكام أمر العسكر الذي عزم على اتّخاذه هنالك ، فقابَل الفاسق ذلك بأن جعل على عليّ بن أبان المهلّبيّ وسليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمْدانيّ نُوباً ، فكان لكلّ واحد منهم يوم ينوب فيه.

وكان ابنُ الخبيث المعروف بأنكلاي يحضرُ في كلّ يوم نوبة سليمان ، وربما حضر في نوبة إبراهيم ، ثم أقامه الخبيث مقام إبراهيم بن جعفر ، وكان سليمان بن جامع يحضُر معه في نوبته ، وضمّ إليه الخبيث سليمان بن موسى الشعرانيَّ وأخويه ، وكانوا يحضرُون بحضوره ، ويغيبون بغيبته ، وعلم الخبيثُ أن الموفّق إذا جاوره في محاربته ، وقرب على مَن يريد اللحاق به المسافةُ فيما يحاول من الهرب إليه ، مع ما يدخل قلوبَ أصحابه من الرهبة بتقارب العسكرين إنّ في ذلك انتقاضَ تدبيره ، وفسادَ جميع أموره؛ فأمر أصحابَه بمحاربة من يعبر من القوّاد في كلّ يوم ، ومنعهم من إصلاح ما يحاولون إصلاحَه من أمر عسكرهم الذي يريدون الانتقال إليه ، وعصفت الرياح في بعض تلك الأيام وبعض قوّاد الموفّق في الجانب الغربيّ لِمَا كان يعبر له ، فانتهز الفاسق الفرصةَ في انفراد هذا القائد وانقطاعه عن أصحابه ، وامتناع دِجْلة بعصوف الريح من أن يرام عُبورها ، فرمى القائد المقيم في غربي دجْلة بجميع جيْشه ، وكاثره برجاله ، ولم تجد

الشَّذَوات التي كانت تكون مع القائد الموجّه سبيلاً إلى الوقوف بحيث كانت تقف لحمل الرياح إياها على الحجارة ، وما خاف أصحابها عليها من التكسّر ، فقويَ الزَّنْج على ذلك القائد وأصحابه ، فأزالوهم من موضعهم ، وأدركوا طائفةً منهم ، فثبتوا فقُتِلوا عن آخرهم؛ ولجأت طائفةٌ إلى الماء ، فتبعهم الزَّنْج ، فأسروا منهم أسارى ، وقتلوا منهم نفراً ، وأفلت أكثرُهم ، وأدركوا سفنَهم ، فألقوا أنفسهم فيها ، وعَبَروا إلى المدينة الموفقيّة ، فاشتدّ جزع الناس لما تهيّأ للفسقة ، وعَظُم بذلك اهتمامهُم ، وتأمّل أبو أحمد فيما كان دبّر من النزول في الجانب الغربيّ من دجِلْة أنه أكدى ، وما لا يؤمن من حيلة الفاسق وأصحابه في انتهاز فرصة ، فيوقع بالعسكر بياتاً ، أو يجد مساغاً إلى شيء مما يكون له فيه متنفَّس؛ لكثرة الأدغال في ذلك الموضع وصعوبة المسالك ، وأنّ الزنج على التوغّل إلى المواضع الوحشة أقدرُ وهو عليهم أسهل من أصحابه.

فانصرف عن رأيه في نزول غربيّ دِجْلة ، وجعل قصده لهدم سور الفاسق وتوسعة الطرق والمسالك منها لأصحابه؛ فأمر عند ذلك أن يبدأ بهدْم السور مما يلِي النهر المعروف بمنكى؛ فكان تدبير الخبيث في ذلك توجيه ابنه المعروف بأنكلاي وعليّ بن أبان وسليمان بن جامع للمنع من ذلك؛ كلّ واحد منهم في نَوْبته في ذلك اليوم ، فإذا كثر عليهم أصحابُ الموفق اجتمعوا جميعاً لمدافعة مَنْ يأتيهم.

فلمّا رأى الموفّق تحاشُدَ الخبثاء وتعاونَهم على المنع من الهدم للسور ، أَزْمَع على مباشرة ذلك وحضوره ليستدعيَ به جِدَّ أصحابه واجتهادهم ، ويزيد في عنايتهم ومجاهدتهم؛ ففعل ذلك، واتّصلت الحرب ، وغَلُظت على الفريقين؛ وكثر القتلى والجراح في الحزبَيْن كليْهما، فأقام الموفّق أياماً يغادِي الفسقة ويراوحهم؛ فكانوا لا يفترُون من الحرب في يوم من الأيام، وكان أصحاب أبي أحمد لا يستطيعون الوُلوج على الخبَثة لقنطرتين كانتا على نهر منكى كان الزّنج يسلكونهما في وقت استعار الحرب، فينتهون منهما إلى طريق يخرجهم في ظهور أصحاب أبي أحمد، فينالون منهم ، ويحجزونهم عن استتمام ما يحاولون من هدم السور، فرأى الموفَّق إعمال الحيلة في هدم هاتيْن القنطرتين ليمنع الفسقة عن الطَّريق الذي كانوا يصيرون منه إلى استدبار أصحابه في وقت احتدام الحرب؛ فأمر قوّاداً من قواد غلمانه

بقصد هاتين القنطرتين ، وأن يختلوا الزنج ، وينتهزوا الفرصة في غفلتهم عن حراستهما ؛ وتقدّم إليهم في أن يُعِدُّوا لهما من الفؤوس والمَناشير والآلات التي يحتاج إليها لقطعهما ما يكون عوناً لهم على الإسراع فيما يقصدون له من ذلك.

فانتهى الغلمان إلى ما أُمِروا به ، وصاروا إلى نهر منكى وقت نصف النهار ، فبرز لهم الزّنْج ، فبادروا وتسرَّعوا ، فكان ممّن تسرع إليهم أبو النداء في جماعة من أصحابه يزيدون على الخمسمئة ، ونشبت الحرب بين أصحاب الموفق والزَّنج ، فاقتتلوا صدرَ النهار ، ثم ظهر غلمان أبي أحمد على الفسقة فكشفوهم عن القنطرتين ، فأصاب المعروفَ بأبي النداء سهمٌ في صدره وصل إلى قلبه فصرعه ، وحامى أصحابه على جِيفته فاحتملوها ، ووَلَّوْا منهزمين ، وتمكن قوّاد غلمان الموفَّق من قطع القنطرتين ، فقطعوهما وأخرجوهما إلى دِجْلة ، وحملوا خشبهما إلى أبي أحمد ، وانصرفوا على حال سلامة ، وأخبروا الموفّق بقتل أبي النداء وقَطْع القنطرتين ، فعظم سروره وسرورُ أهل العسكر ، بذلك ، وأمر لرامي أبي النداء بصِلة وافرة.

وألحّ أبو أحمد على الخبيث وأشياعه بالحرب ، وهدم من السور ما أمكنهم به الولوج عليهم ، فشغلوهم بالحرب في مدينتهم عن المدافعة عن سورهم ، فأسرع الهدْم فيه ، وانتهى منه إلى دارَي ابن سمعان وسليمان بن جامع ، فصار ذلك أجمع في أيدي أصحاب الموفّق ، لا يستطيع الفسقة دفعَهم عنه ولا منعَهم من الوصول إليه ، وهُدِمت هاتان الداران ، وانتُهِب ما فيهما ، وانتهى أصحاب الموفّق إلى سوق لصاحب الزَّنج كان اتخذها مظلة على دِجْلة ، سماها الميمونة ، فأمر الموفّق زيرك صاحب مقدمة أبي العباس بالقصْد لهذه السوق ، فقصد بأصحابه لذلك ، وأكبَّ عليها ، فهدمت تلك السوق وأخرِبَتْ ، فقصد الموفّق الدار التي كان صاحب الزنج اتّخذها للجُبّائيّ فهدمها ، وانتهب ما كان فيها وفي خزائن الفاسق كانت متّصلة بها.

وأمر أصحابه بالقصْد إلى الموضع الذي كان الخبيث اتخذ فيها بناء سماه مسجد الجامع ، فاشتدت محاماة الفسقة عن ذلك والذبّ عنه ؛ بما كان الخبيث يحضُّهم عليه ، ويُوهمهم أنه يجب عليهم من نُصرة المسجد وتعظيمه ؛ فيصدّقُون قولَه في ذلك ، ويتبعون فيه رأيه ، وصعُب على أصحاب الموفّق ما كانوا يرومون

من ذلك؛ وتطاولت الأيام بالحرب على ذلك الموضع ، والذي حصل مع الفاسق يومئذ نخبة أصحابه وأبطالُهم والموطّنون أنفسهم على الصبر معه ، فحاموْا جهدَهم؛ حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحَدهم السهم أو الطعنة أو الضربة فيسقط ، فيجذبه الذي إلى جنبه ويقف موقفه إشفاقاً من أن يخْلُوَ موقف رجل منهم؛ فيدخل الخلل على سائر أصحابه.

فلمّا رأى أبو أحمد صبر هذه العصابة ومحاماتها ، وتطاول الأيام بمدافعتها أمر أبا العباس بالقصد لركن البناء الذي سماها الخبيث مسجداً ، وأن يندب لذلك أنجادَ أصحابِه وغلمانه ، وأضاف إليهم الفَعلة الذين كانوا أعِدّوا للهدم ، فإذا تهيّأ لهم هدمُ شيء أسرعوا فيه ، وأمر بوضع السلاليم علِى السور فوضعوها ، وصعِد الرماة فجعلوا يرشقون بالسهام من وراء السور من الفسقة ، ونظم الرجال من حدّ الدار المعرُوفة بالجُبّائيّ إلى الموضع الذي رتّب فيه أبا العباس ، وبذل الموفق الأموال والأطوقة والأسورة لمن سارع إلى هدم سور الفاسق وأسواقِه ، ودور أصحابه ، فتسهّل ما كان يصعُب بعد محاربة طويلة وشدّة ، فهدم البناء الذي كان الخبيث سماه مسجداً ، ووُصل إلى مِنْبره فاحتُمِل ، فأتِيَ به الموفّق ، وانصرف به إلى مدينته الموفقيّة جذِلاً مسروراً ، ثم عاد الموفَّق لهدم السور فهدَمه من حدّ الدار المعروفة بأنكلاي إلى الدار المعروفة بالجُبّائيّ. وأفضى أصحاب الموفق إلى دواوين من دواوين الخبيث وخزائن من خزائنه؛ فانتُهبت وأحرقت؛ وكان ذلك في يوم ذي ضباب شديد ، قد ستر بعضَ الناس عن بعض؛ فما يكاد الرجل يبصر صاحبَه ، فظهر في هذا اليوم للموفّق تباشير الفتح ، فإنهم لعلَى ذلك؛ حتى وصل سهمٌ من سهام الفسقة إلى الموفّق ، رماه به غلام روميّ كان مع الفاسق يقال له: قرطاس ، فأصابه في صدره ، وذلك في الإثنين لخمس بقين من جمادى الأولى سنة تسع وستين ومئتين ، فستر الموفّق ما ناله من ذلك السهم ، وانصرف إلى المدينة مع الموفقية ، فعوُلج في ليلته تلك من جراحته ، وبات ثم عاد إلى الحرب على ما به من ألم الجراح ، يشد بذلك قلوبَ أوليائه من أن يدخلها وَهْم أو ضعف ، فزاد ما حَمَل نفسَه عليه من الحَركة في قوة عِلّته ، فغُلظت وعظم أمرُها حتى خيف عليه ، واحتاج إلى علاجه بأعظم ما يعالَج به الجراح؛ واضطرب لذلك العسكر والجند والرعية ، وخافوا قوّة الفاسق عليهم؛ حتى خرج عن مدينته جماعةٌ

ممن كان مقيماً بها، لما وصل إلى قلوبهم من الرَّهبة ، وحدَثَت في حال صعوبة العلّة عليه حادثة في سلطانه ، فأشار عليه مشيرون من أصحابه وثقاته بالرحلة عن معسكره إلى مدينة السلام ، ويخلّف مَنْ يقوم مقامه؛ فأبى ذلك ، وخاف أن يكون فيه ائتلاف ما قد تفرّق من شمل الخبيث ، فأقام على صعوبة علّته عليه ، وغلظ الأمر الحادث في سلطانه؛ فمنّ الله بعافيته ، وظهر لقوّاده وخاصته؛ وقد كان أطال الاحتجاب عنهم ، فقويَتْ بذلك مُنّتُهم ، وأقام متماثلاً مودّعاً نفسه إلى شعبان من هذه السنة، فلمّا أبلّ وقويَ على النهوض لحرب الفاسق، تيقظ لذلك، وعاود ما كان مواظباً عليه من الحرب ، وجعل الخبيث لمّا صحّ عنده الخبر عما أصاب أبا أحمد يعِدُ أصحابَه العِدات ، ويمنّيهم الأمانيّ الكاذبة ، وجعل يحلف على منبره ـ بعدما اتّصل به الخبر بظهور أبي أحمد وركوبه الشّذَا ـ أن ذلك باطلٌ لا أصل له ، وأن الذي رأوه في الشذا مثال مُوِّه لهم وشبِّه لهم.

* * *

[ذكر عزم المعتمد على اللحاق بمصر][1]

وفيها في يوم السبت للنصف من جمادى الأولى ، شخص المعتمد يريد اللّحاق بمصر ، وأقام يتصيّد بالكُحَيْل ، وقدم صاعد بن مخلَد من عند أبي أحمد؛ ثم شخص إلى سامُرّا في جماعة من القوّاد في جمادى الآخرة ، وقدم قائدان لابن طولون ـ يقال لأحدهما : أحمد بن جبغَوَيْه وللآخر : محمد بن عباس الكلابيّ ـ الرّقة ، فلما صار المعتمد إلى عمل إسحاق بن كنداج ـ وكان العاملَ على الموصل وعامّة الجزيرة ـ وثب ابن كنداج بمَن شخص مع المعتمد مِن سامُرّا يريد مصر ، وهم تينك وأحمد بن خاقان وخطارمِش ، فقيّدهم وأخذ أموالهم ودوابّهم ورقيقهم ، وكان قد كتب إليه بالقبض عليهم وعلى المعتمد ، وأقطع إسحاق بن كنداج ضياعهم وضياع فارس بن بغا.

وكان سبب وصوله إلى القبض على مَن ذكرتُ ، أنّ ابن كنداج لما صار إلى عمله ، وقد نفذت إليه الكتب من قِبَل صاعد بالقبض عليهم ، أظهر أنه معهم ، وعلى مثل رأيهم في طاعة المعتمد؛ إذ كان الخليفة ، وأنه غير جائز له الخلاف

---

(١) انظر المنتظم فقد ذكر الخبر (١٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

عليه ، وقد كان من مع المعتمد من القوّاد حذّروا المعتمد المرورَ به ، وخوّفوه وثوبه بهم؛ فأبى إلاّ المرورَ به ـ فيما ذكر ـ وقال لهم: إنما هو مولاي وغلامي ، وأريد أن أتصيّد؛ فإنّ في الطريق إليه صيداً كثيراً ، فلما صاروا في عمله ، لقيَهم وسار معهم كي يردَ المعتمد ـ فيما ذكر ـ منزلاً قبل وصوله إلى عمل ابن طولون ، فلمّا أصبح ارتحل التبّاع والغلمان الذين كانوا مع المعتمد ومن شخص معه من سامُرّا ، وخلا ابن كنداج بالقُوّاد الذين مع المعتمد ، فقال لهم: إنكم قد قربتم من عمل ابن طولون والمقيم بالرّقة من قوّاده؛ وأنتم إذا صرتم إلى ابن طولون؛ فالأمر أمرُه ، وأنتم من تحت يده ومن جنده؛ أفترضوْن بذلك؛ وقد علمتم أنه إنما هو كواحد منكم! وجرت بينه وبينهم في ذلك مناظرة حتى تعالىَ النهار ، ولم يرتحل المعتمد بعدُ لاشتغال القوّاد بالمناظرة بينهم بين يديه ، ولم يجتمع رأيهم بعدُ على شيء ، فقال لهم ابن كنداج: قوموا بنا حتى نتناظر في هذا في غير هذا الموضع ، وأكرَموا مجلس أمير المؤمنين عن ارتفاع الصوت فيه ، فأخذ بأيديهم ، وأخرجهم من مضرب المعتمِد فأدخلهم مضرب نفسه؛ لأنه لم يكن بقيَ مضرب إلاّ قد مضى به غير مضربه؛ لما كان من تقدّمه إلى فرّاشيه وغلمانه وحاشيته وأصحابه في ذلك اليوم ألاّ تبرحوا إلاّ ببراحه ، فلما صاروا إلى مضربه دخل عليه وعلى مَنْ معه من القواد جِلّةُ غلمانه وأصحابه ، وأحضرت القيود وشدّ غلمانه على كلّ مَنْ كان شخص مع المعتمد من سامُرّا من القوّاد ، فقيّدوهم؛ فلما قيّدوا وفرغ من أمرهم مضى إلى المعتمِد، فعذلَه في شخوصه عن دارملكه وملك آبائه وفراقه أخاه على الحال التي هو بها من حرب مَنْ يحاول قتلَه وقتل أهل بيته وزوال ملكهم، ثم حمله والذين كانوا معه في قيودهم حتى وافى بهم سامرّا[1].

* * *

وفيها قام رافع بن هرثمة بما كان الخُجُسْتَانيّ غلب عليه من كُور خراسان وقراها؛ وكان رافع بن هَرْثمة قد اجتبَى عِدّةً من كور خراسان خراجها سلفاً لبضع عشرة سنة ، فأفقر أهلها وخرّبها.

وفيها كانت وقعة بين الحُسَيْنِيِّين والحسنِيّين والجعفريِّين ، فقتِل من

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٣).

الجعفريِّين ثمانية نفر ، وعلا الجعفريون فتخلَّصُوا الفضلَ بن العباس العباسيّ العامل على المدينة .

وفي جمادى الآخرة عقد هارون بن الموفّق لابن أبي الساج على الأنبار وطريق الفرات ورحبةَ طوْق ، وولّى أحمد بن محمد الطائيّ الكوفة وسوادها المعاون والخراج ، فصيّر المعاون باسم عليّ بن الحسين المعروف بكفتمر ، فلقى أحمد بن محمد الهيصم العجليّ فيها ، فانهزم الهيصم واستباح الطائيّ أمواله وضياعه .

ولأربع خَلَوْن من شعبان منها ردّ إسحاق بن كنداج المعتمد إلى سامُرّا فنزل الجوسق المطلّ على الحيْر .

ولثمان خَلَوْن من شعبان خلع على ابن كنداج ، وقلِّد سيفين بحمائل : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره ، وسُمِّيَ ذا السيفين ، وخُلع عليه بعد ذلك بيومين قَباء ديباج ووشاحان ، وتوّج بتاج ، وقلِّد سيفاً كلّ ذلك مفصص بالجوهر ، وشيّعه إلى منزله هارون بن الموفق وصاعد بن مخلد والقوّاد وتغدَّوا عنده .

* * *

[ذكر الخبر عن إحراق قصر صاحب الزنج][١]

وفي شعبان من هذه السنة أحرق أصحاب أبي أحمد قصر الفاسق ، وانتهبوا ما فيه .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وسبب وصولهم إليه :

ذكر محمد بن الحسن ، أن أبا أحمد لما برأ الجرح الذي كان أصابه ، عاد للذي كان عليه من مغاداة الفاسق الحرب ومراوحتِه؛ وكان الخبيث قد أعاد بناء بعض الثُّلَم التي ثُلِمَت في السور ، فأمر الموفّق بهدم ذلك ، وهدم ما يتّصل به ، وركب في عشيّة من العشايا في أوّل وقت العصر ، وقد كانت الحرب متّصلة في

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

ذلك اليوم مما يلي نهر منْكى ، والفسقة مجتمعون في تلك الناحية قد شغَلوا أنفسهم بها ، وظنُّوا أنهم لا يحارَبون إلاّ فيها ، فوافى الموفق وقد أعدّ الفعلة ، وقرب على نهر منكى وناوش الفسقة فيه؛ حتى إذا استعرت الحرب أمر الجذّافين والإشتياميّين أن يحثّوا السير حتى ينتهوا إلى النّهر المعروف بجَوى كور ، وهو نهر يأخذ من دِجْلة أسفل من النهر المعروف بنهر أبي الخصيب؛ ففعلوا ذلك؛ فوافَى جوى كور ، وقد خلا من المقاتلة والرّجال ، فقرب وأخرج الفعلة ، فهدموا من السور ما كان يلي ذلك النهر ، وصعد المقاتلة وولجوا النهر؛ فقتلوا فيه مقتلةً عظيمة ، وانتهوْا إلى قصور من قصور الفَسَقة ، فانتهبوا ما كان فيها وأحرقوها ، واستنقذوا عدداً من النساء اللواتي كنّ فيها ، وأخذوا خيلاً من خيل الفجرة فحملوها إلى غربيّ دِجْلة ، فانصرف الموفّق في وقت غروب الشمس بالظفر والسلامة ، وغاداهم الحرب والقصد لهدم السور ، فأسرع فيه حتى اتّصل بدار المعروف بأنكلاي ، وكانت متصلة بدار الخبيث؛ فلما أعيت الحيلُ الخبيث في المنْع من هدم السور ، ودفع أصحاب الموفّق عن ولوج مدينته ، أسقِط في يديه ، ولم يدر كيف يحتال لحسْم ذلك ، فأشار عليه عليّ بن أبان المهلبيّ بإجراء الماء على السباخ التي يسلكها أصحاب الموفق لئلا يجدوا إلى سلوكها سبيلاً ، وأن يحفر خنادق في مواضع عدّة يعوقهم بها عن دخول المدينة ، فإن حملوا أنفسهم على اقتحامها فوقعت عليهم هزيمة ، لم يسهل عليهم الرجوع إلى سفنهم؛ ففعلوا ذلك في عِدّة مواضع من مدينتهم ، وفي الميدان الذي كان الخبيث جعله طريقاً حتى انتهت تلك الخنادق إلى قريب من داره ، فرأى الموفّق بعدما هيّأ الله له من هدم سور مدينة الفاسق ما هيأ أن جعل قصده لطمّ الخنادق والأنهار والمواضع المعوَّرة كي تصلح فيها مسالك الخيل والرّجالة ، فرام ذلك ، فحامى عنه الفسقة ، ودامت الحرب وطالت ووصل إلى الفريقين من القتل والجراح أمرٌ عظيم؛ حتى لقد عُدّ الجرحى في بعض تلك الأيام زهاء ألفيْ جَريح؛ وذلك لتقارُب الفريقين في وقت القتال ، ومنع الخنادق كلّ فريق منهم عن إزالة مَنْ بإزائه عن موضعهم ، فلما رأى ذلك الموفّق قصد لإحراق دار الخبيث والهجوم عليها من دِجْلة ، وكان يعوّق عن ذلك كثرةُ ما أعدّ الخبيث من المقاتلة ومن الحماة عن داره؛ فكانت الشذا إذا قربت من قَصْره رموا من سُوره ومن أعلى القصر بالحجارة والنشّاب والمقاليع والمجانيق والعرّادات وأذيب الرصاص ،

وأفرغ عليهم؛ فكان إحراق داره يتعذّر عليهم لما وصفنا؛ فأمر الموفّق بإعداد ظلال من خشب للشّذَا وإلباسها جلود الجواميس، وتغطية ذلك بالخيش المطليّ بصنوف العقاقير والأدوية التي تمنع النار من الإحراق، فعمل ذلك، وطُليت به عدّة شَذَوات ورتّب فيها جميعاً شجعاء غلمانه: الرامحة والناشبة، وجمعاً من حُذّاق النفّاطين وأعدّهم لإحراق دار الفاسق صاحب الزَّنج.

فاستأمن إلى الموفّق محمد بن سمعان كاتب الخبيث ووزيره في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومئتين، وكان سبب استئمانه ـ فيما ذكر محمد بن الحسن ـ أنه كان ممّن امتحن بصحبته، وهو لها كارهٌ على علم منه بضلالته، وقال: كنتُ له على ذلك مواصلاً، وكنّا جميعاً ندبر الحيلة في التخلّص، فيتعذّر علينا، فلما نزل بالخبيث من الحصار ما نزل، وتفرّق عنه أصحابه، وضَعُف أمره؛ شمّر في الحيلة للخلاص، وأطلعني على ذلك، وقال: قد طبتُ نفساً بألاّ أستصحب ولداً ولا أهلاً، وأن أنجوَ وحيداً؛ فهل لك في مثل ما عزمت عليه؟ فقلت له: الرأي لك ما رأيت؛ إذ كنتَ إنما تخلّف ولداً صغيراً لا سبيل للخائن عليه إلى أن يصول به، أو أن يحدث عليك فيه حدثاً يلزمك عاره؛ فأمّا أنا فإنّ معي نساء يلزمني عارهنّ، ولا يسعني تعريضهنّ لسطوة الفاجر؛ فامضِ لشأنك؛ فأخبِرْ عني بما علمت من نيّتي في مخالفة الفاجر وكراهة صحبته؛ وإن هيّأ الله لي الخلاص بولدي، فأنا سريع اللحاق بك، وإن جرت المقادير فينا بشيء كنا معاً وصبرنا.

فوجّه محمد بن سمعان وكيلاً له يعرف بالعراقيّ، فأتى عسكر الموفّق، فأخذ له ما أراد من الأمان، وأعدّ له الشذا، فوافته في السَّبَخة في اليوم الذي ذكرنا، فصار إلى عسكر الموفق، وأعاد الموفّق محاربة الخبيث والقصد للإحراق من غد اليوم الذي استأمن فيه محمد بن سمعان؛ وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة تسع وستين ومئتين، في أحسن زيّ، وأكمل عدّة، ومعه الشَّذَوات المطليّة بما وصفنا، وسائر شَذَواته وسُميريّاته فيها مواليه وغلمانه والمعابر التي فيها الرَّجالة، فأمر الموفّق ابنَه أبا العباس بالقصد إلى دار محمد بن يحيى المعروف بالكرَنْبائيّ، وهي بإزاء دار الخائن في شرقيّ النهر المعروف بأبي الخصيب، يشرع على النهر وعلى دجْلة، وتقدّم إليها في

إحراقها وما يليها من منازل قوّاد الخائن ، وشغلهم بذلك عن إنجاده ومعاونته ، وأمر المرتبين في الشَّذَا المظلّلة بالقصد؛ لما كان مطلاً على دِجْلة من رواشين الخبيث وأبنيته ، ففعلوا ذلك ، وألصقوا شذَواتِهم بسور القصر ، وحاربوا الفجَرة أشدّ حرب ، ونضحوهم بالنيران ، وصبر الفسَقة وقاتلوا ، فرزق الله النصر عليهم ، فتزحزحوا عن تلك الرواشين والأبنية التي كانوا يحامون عليها ، وأحرقها غلمان الموفق ، وسلِم مَنْ كان في الشَّذَا مما كان الخبثاء يكيدونهم به من النشاب والحجارة وصبّ الرصاص المذاب وغير ذلك بالظلال التي كان اتّخذها على الشّذا فكان ذلك سبباً لتمكنها من دار الخبيث.

وأمر الموفّق مَنْ كان في الشَّذَا بالرجوع فرجعوا ، فأخرج مَنْ كان فيها من الغلمان ، ورتّب فيها آخرين ، وانتظر إقبال المدّ وعلوّه؛ فلما تهيّأ ذلك عادت الشَّذَوات المظللة إلى قصر الخبيث ، فأمر الموفّق مَنْ كان فيها بإحراق بيوت كانت تشرَع على دِجْلة من قصر الفاسق؛ ففعلوا ذلك ، فاضطرمت النار في هذه البيوت ، واتّصلت بما يليها من الستارات التي كان الخبيث ظلّل بها دارَه ، وستور كانت على أبوابه ، فقويت النار عند ذلك على الإحراق ، وأعجلت الخبيث ومَنْ كان معه عن التوقّف على شيء مما كان في منزله من أمواله وذخائره وأثاثه وسائر أمتعته ، فخرج هارباً ، وترك ذلك كله ، وعلا غلمان الموفّق قصر الخبيث مع أصحابهم؛ فانتهبوا ما لم تأت النار عليه من الأمتعة الفاخرة والذهب والفضة والجوهر والحلْي وغير ذلك؛ واستنقذوا جماعة من النساء اللواتِي كان الخبيث استرقّهنّ ، ودخل غلمان الموفّق سائرَ دور الخبيث ودور ابنه أنكلاي ، فأضرموها ناراً ، وعظم سرور الناس بما هيأ الله لهم في هذا اليوم ، فأقام جماعة يحاربون الفَسَقة في مدينتهم وعلى باب قصر الخبيث ، مما يلِي الميدان ، فأثخنوا فيهم القتل والجراح والأسْر ، وفعل أبو العباس في دار المعروف بالكرنبائيّ وما يتّصل بها من الإحراق والهدم والنهب مثل ذلك. وقطع أبو العباس يومئذ سلسلة حديد عظيمة وثيقة كان الخبيث قطع بها نهر أبي الخصيب ليمنع الشَّذَا من دخوله ، وحازها ، فحُملت في بعض شَذَواتِه وانصرف الموفّق بالناس صلاة المغرب بأجمل ظفر ، وقد نال الفاسقَ في ذلك اليوم في نفسه وماله وولده وما كان غلب عليه من نساء المسلمين مثل الذي أصاب المسلمين منه من الذّعر

والجلاء وتشتيت الشمل والمصيبة في الأهل والولد، وجُرح ابنه المعروف بأنكلاي في هذا اليوم جراحة شديدة في بطنه أشفى منها على التلف.

* * *

[ذكر الخبر عن غرق نصير المعروف بأبي حمزة]

وفي غد هذا اليوم وهو يوم الأحد لعشر بقين من شعبان من هذه السنة غرق نصير.

* ذكر سبب غرقه:

ذكر محمد بن الحسن: أنه لما كان غد هذا اليوم، باكر الموفّق محاربة الخبيث، وأمر نصيراً المعروف بأبي حمزة بالقَصْد لقنطرة كان الخائن عملها بالسياج على النهر المعروف بأبي الخصيب، دون الجسريْن اللذيْن اتخذهما عليه، وأمر زِيرَك بإخراج أصحابه مما يلي دار الجُبّائيّ لمحاربة مَنْ هناك من الفَجَرة، وأخرج جمعاً من قوّادها مما يلي دار أنكلاي لمحاربتهم أيضاً، فتسرّع نُصير، فدخل نهر أبي الخَصِيب في أول المدّ في عدّة من شَذَواته، فحملها المدّ فألصقها بالقنطرة، ودخلت عِدّة من شَذَوات موالي الموفّق وغلمانه ممِنّ لم يكن أمِر بالدخول، فحملهم المدّ فألقاهم على شَذَوات نصير، فصكّت الشَّذوات بعضها بعضاً؛ حتى لم يكن للإشتيامين والجذّافين فيها حيلة ولا عمل، ورأى الزّنج ذلك، فاجتمعوا على الشَّذوات، وأحاطوا بها من جانبي نهر أبي الخصيب، فألقى الجذَّافُون أنفسَهم في الماء ذعراً ووجلاً، ودخل الزَّنج الشّذَوات، فقتلوا بعض المقاتلة، وغرق أكثرُهم، وحاربهم نصير في شَذَواته حتى خاف الأسر، فقذف نفسه في الماء فغرق، وأقام الموفّق في يومه يحارب الفَسَقة، وينهب ويحرق منازلَهم، ولم يزْل باقي يومه مستعلياً عليهم؛ وكان ممّن حامى على قصر الخائن يومئذ وثبت في أصحابه سليمان بن جامع، فلم تزل الحرب بين أصحاب الموفّق وبينه، وهو مقيم بموضعه لم يَزُل عنه إلى أن خرج في ظهره كمين من غلمانِ الموفّق السودان، فانهزم لذلك، واتَّبعه الغلمان يقتلون أصحابه، ويأسرون منهم، وأصابت سليمان في هذا الوقت جراحة في ساقه، فهوى لفيه في موضع؛ قد كان الحريق ناله ببعض جمْر فيه، فاحترق

بعض جسَده ، وحامى عليه جماعة من أصحابه ، فنجا بعد أن كاد الأسر يحيط به ، وانصرف الموفّق ظافراً سالماً ، وضعفت الفسقة ، واشتدّ خوفُهم لمّا رأوا من إدبار أمرهم ، وعرضت لأبي أحمد عِلّة من وجع المفاصل؛ فأقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان وأياماً من شوال ممسكاً عن حرب الفاسق ، فلما استبلّ من عِلّته وتماثل ، أمر بإعداد ما يحتاج إليه للقاء الفسَقة ، فتأهّب لذلك جميع أصحابه .

* * *

وفي هذه السنة كانت وفاة عيسى بن الشيخ بن السليل .

وفيها لعن ابن طولون المعتمد في دار العامّة ، وأمر بلعنه على المنابر ، وصار جعفر المفوّض إلى مسجد الجامع يوم الجمعة ، ولعن ابن طولون وعقد لإسحاق بن كنداج على أعمال ابن طولون ، ووليَ من باب الشماسية إلى إفريقية ووَلِيَ شُرْطة الخاصة .

وفي شهر رمضان منها كتب أحمد بن طولون إلى أهل الشأم يدعوهم إلى نصر الخليفة ، ووُجد فَيْجٌ يريد ابنَ طولون معه كُتب من خليفته جوّاب بأخبار ، فأخِذَ جوّاب فحبس وأخِذَ له مال ورقيق ودوابّ .

وفي شوال منها كانت وقعة بين أبي السَّاج والأعراب ، فهزموه فيها ، ثم بيّتهم فقتل منهم وأسر ، ووجّه بالرؤوس والأسارى إلى بغداد ، فوصلت في شوال منها .

ولإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها عقد جعفر المفوّض لصاعد بن مخْلَد على شهرزور وداباذ والصامغان وحلوان وماسِبذان ومهرجانْقَذف وأعمال الفرات ، وضمّ إليه قوّاد موسى بن بغا خلا أحمد بن موسى وكَيْغَلغَ وإسحاق بن كُنداجيق وأساتكين ، فعقد صاعد للؤلؤ على ما عهد له عليه من ذلك المفوّض يوم السبت لثمان بقين من شوال ، وبعث إلى ابن أبي الساج بعقد من قِبَله على العمل الذي كان يتولاّه ، وكان يتولى الأنبار وطريق الفرات ورحبة طوق بن مالك من قِبَل هارون بن الموفّق ، وكان شخص إليها في شهر رمضان ، فلمّا ضُمّ ذلك إلى صاعد أقرّه صاعد على ما كان إليه من ذلك .

وفي آخر شوّال منها دخل ابن أبي الساج رحبة طوق بن مالك بعد أن حاربه أهلُها، فغلبهم وهرب أحمَد بن مالك بن طَوْق إلى الشأم، ثم صار ابن أبي الساج إلى قَرْقِيسياء؛ فدخلها وتنحّى عنها ابن صفوان العُقيليّ.

* * *

[ذكر الخبر عن الوقعة التي كانت بين الموفّق وبين الزنج]

وفي يوم الثلاثاء لعشر خلوْن من شوال من هذه السنة، كانت بين أبي أحمد وبين الزَّنْج وقعة في مدينة الفاسق أثّر فيها آثاراً، وصل بها إلى مراده منها.

* ذكر السبب في هذه الوقعة وما كان منها:

ذكر محمد بن الحسن أنّ الخبيث عدوّ الله كان في مدّة اشتغال الموفق بعلّته أعاد القنطرة التي كانت شَذوات نصير لجّجت فيها، وزاد فيها ما ظنّ أنه قد أحكمها، ونصب دونها أدقال ساج وصل بعضها ببعض، وألبسها الحديد، وسَكر أمام ذلك سِكْراً بالحجارة ليضيق المدخل على الشَّذَا، وتحتدّ جرية الماء في النهر المعروف بأبي الخصيب، فيهاب الناس دخولَه، فندب الموفَّق قائديْن من قُوّاد غلمانه في أربعة آلاف من الغلمان؛ وأمرهما أن يأتيا نهر أبي الخصيب؛ فيكون أحدهما في شرقيه والآخر في غربيه؛ حتى يوافيا القنطرة التي أصلحها الفاجر وما عمل في وجهها من السّكِرْ فيحاربا أصحاب الخبيث حتى يجلياهم عن القنطرة، وأعدّ معهما النجارين والفَعلة لقطع القنطرة والبدود التي كانت جعلت أمامها، وأمر بإعداد سفن محشوّة بالقصب المصبوب عليه النّفط، لتدخل ذلك النهر المعروف بأبي الخصيب، وتضرم ناراً لتحترق بها القنطرة في وقت المدّ، فركب الموفّق في هذا اليوم في الجيش حتى وافى فوّهة نهر أبي الخصيب، وأمر بإخراج المقاتلة في عدّة مواضع من أعلى عسكر الخبيث وأسفله، ليشغلهم بذلك عن التعاون على المنع عن القنطرة، وتقدّم القائدان في أصحابهما، وتلقاهما أصحاب الخائن من الزَّنْج وغيرهم، يقودهم ابنه أنكلاي وعليّ بن أبان المهلبيّ وسليمان بن جامع، فاشتبكت الحرب بين الفريقيْن، ودامت، وقاتل الفسقة أشدّ قتال، محاماةً عن القنطرة، وعلموا ما عليهم في قطعها من الضّرر، وأنّ الوصول إلى ما بعدها من الجسرين العظيمين اللّذْين كان الخبيث اتخذهما على

نهر أبي الخصيب سهْل مرامه ، فكثر القتل والجراح بين الفريقيْن ، واتّصلت الحرب إلى وقت صلاة العصر ، ثم إنّ غلمان الموفّق أزالوا الفسَقة عن القنطرة وجاوزوها ، فقطعها النّجارون والفعلة ، ونقضوها وما كان اتخذ من البدود التي ذكرناها.

وكان الفاسق أحكم أمر هذه القنطرة والبدود إحكاماً تعذّر على الفَعَلة والنّجارين الإسراع في قطعها ، فأمر الموفّق عند ذلك بإدخال السفن التي فيها القصب والنّفط ، وضربها بالنار وإرسالِها مع الماء؛ ففعل ذلك ، فوافت السفن القنطرة فأحرقتها ، ووصل النَّجارون إلى ما أرادوا من قطع البدود فقطعوها ، وأمكن أصحاب الشّذا دخول النهر فدخلوه ، وقوِيَ نشاطُ الغلمان بدخول الشَّذَا؛ فكشفوا أصحاب الفاجر عن مواقِفهم حتى بلغوا بهم الجسر الأوّل الذي يتلُو هذه القنطرة ، وقُتِل من الفجَرة خلق كثير ، واستأمن فريق منهم؛ فأمر الموفّق أن يخلع عليهم في ساعتهم تلك ، وأن يوقفوا بحيث يراهم أصحابُهم ليرغبوا في مثل ما صاروا إليه؛ وانتهى الغلمان إلى الجسر الأوّل ، وكان ذلك قبيل المغرب ، فكره الموفّق أن يُظلم الليلَ ، والجيش موغل في نهر أبي الخصيب ، فيتهيّأ للفجرة بذلك انتهازُ فرصة ، فأمر الناسَ بالانصراف ، فانصرفوا سالمين إلى المدينة الموفقيّة ، وأمر الموفق بالكتاب إلى النواحي بما هيأ الله له من الفتح والظَّفر؛ ليقرأ بذلك على المنابر ، وأمر بإثابة المحسنين من غلمانِه على قدر غَنائهم وبلائهم وحسن طاعتهم؛ ليزدادوا بذلك جدّاً واجتهاداً في حرب عدوّهم.

ففعل ذلك ، وعَبر الموفّق في نفر من مواليه وغلمانه في الشَّذَوات والسميريّات وما خفّ من الزّواريق إلى فُوّهة نهر أبي الخصيب؛ وقد كان الخبيث ضيّقها ببرجين عملهما بالحجارة ليضيّق المدخل وتحتدَّ الجرية ، فإذا دخلت الشَّذَا النهر لجَّجتْ فيه ، ولم يسهل السبيل إلى إخراجها منه؛ فأمر الموفَّق بقطع ذينك البُرْجين ، فعمل فيهما نهار ذلك اليوم ، ثم انصرف العمال وعادوا من غد لاستتمام قلع ما بقي من ذلك؛ فوجدوا الفجَرة قد أعادوا ما قلع منهما في ليلتهم تلك؛ فأمر بنصب عرّادتين قد كانتا أعدّتا في سفينتين ، نُصِبتا حيال نهر أبي الخصيب ، وطرحت لهما الأناجر حتى استقرّتا؛ ووكّل بهما من أصحاب الشَّذَا ، وأمر بقطع هذين البُرْجَيْن ، وتقدّم إلى أصحاب العرّادتين في رَمْي كلّ من

دنا من أصحاب الفاسق؛ لإعادة شيء من ذلك في ليل أو نهار؛ فتحامى الفجرة الدنوَّ من الموضع، وأحجموا عنه، وألحّ الموكَّلون بقلع هذه الحجارة بعد ذلك، حتى استتمّوا ما أرادوا، واتَّسع المسْلَك للشذا في دخول النهر والخروج منه.

* * *

[خبر انتقال صاحب الزنج إلى شرقيّ نهر أبي الخصيب]

وفي هذه السنة تحوَّل الفاسق من غربيّ نهر أبي الخصيب إلى شرقيّه وانقطعت عنه الميرة من كلّ وجهة.

* * *

ذكر الخبر عن حاله وحال أصحابه وما آل إليه أمرهم عند انتقاله من الجانب الغربيّ

ذُكر: أن الموفّق لما أخرب منازل صاحب الزَّنج وحرّقها، لجأ [أي: صاحب الزنج] إلى التحصّن في المنازل الواغلة في نهر أبي الخصيب، فنزل منزلاً كان لأحمد بن موسى المعروف بالقَلُوص، وجمع عيالَه وولده حوله هناك، ونقل أسواقه إلى السوق القريبة من الموضع الذي اعتصم به؛ وهي سوق كانت تعرف بسوق الحسين، وضعُف أمره ضعفاً شديداً، وتبين للناس زوالُ أمره، فتهيّبُوا جلْب المِيرة إليه، فانقطعت عنه كلّ مادّة، فبلغ عنده الرَّطل من خبز البرّ عشرة دراهم، فأكلوا الشعير، ثم أكلوا أصناف الحبوب، ثم لم يزل الأمر بهم إلى أن كانوا يتبعون الناس؛ فإذا خلا أحدُهم بامرأة أو صبيّ أو رجل ذبحه وأكله، ثم صار قويّ الزَّنْج يَعْدو على ضعيفهم؛ فكان إذا خلا به ذبَحه وأكل لحمه؛ ثم أكلوا لحوم أولادهم، ثم كانوا ينبشون الموتى، فيبيعون أكفانَهم ويأكلون لحومهم، وكان لا يعاقب الخبيثُ أحداً ممن فعل شيئاً من ذلك إلاّ بالحبس، فإذا تطاول حبسُه أطلقه.

وذكر: أن الفاسق لما هُدِمت داره وأحرِقت، وانتُهب ما فيها، وأخرج طريداً سليباً من غربيّ نهر أبي الخصيب، تحوّل إلى شرقيّه، فرأى أبو أحمد أن يخرب عليه الجانب الشرقيّ لتصير حال الخبيث فيه كحاله في الغربيّ في الجلاء عنه،

فأمر ابنه أبا العباس بالوقوف في جمع من أصحابه في الشَّذَا في نهر أبي الخصيب ، وأن يختار من أصحابه وغلمانه جمعاً يخرجهم في الموضِع الذي كانت فيه دار الكرنبائيّ من شرقيّ نهر أبي الخصيب ، ويخرج معهم الفعَلة لهدم كلّ ما يلقاهم من دور أصحاب الفاجر ومنازلهم ، ووقف الموفّق على قصر المعروف بالهمدانيّ ـ وكان الهمدانيّ يتولى حياطة هذا الموضع ، وهو أحد قادة جيوش الخبيث وقدماء أصحابه ـ وأمر الموفّق جماعة من قوّاده ومواليه فقصدوا لدار الهَمْدانيّ ، ومعهم الفَعلة؛ وقد كان هذا الموضع محصّناً بجمع كثير من أصحاب الخبيث من الزَّنْج وغيرهم ، وعليه عرّادات ومجانيق منصوبة وقسيّ ناوكية ، فاشتبكت الحرب وكثُر القتلى والجراح إلى أن كشف أصحاب الموفق الخبثاءَ ، ووضعوا فيهم السلاح ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وفعل أصحاب أبي العباس مثل ذلك بمن مرّ بهم من الفَسقَة.

والتقى أصحابُ الموفّق وأصحاب أبي العباس؛ فكانوا يداً واحدة على الخبثاء ، فولّوْا منهزمين ، وانتهوْا إلى دار الهمدانيّ ، وقد حصّنها ونصب عليها العرّادات ، وحفّها بأعلام بِيض من أعلام الفاجر ، مكتوب عليها اسمه ، فتعذّر على أصحاب الموفق تسوّر هذه الدار لعلوّ سورها وحصانتها ، فوضعوا عليها السلاليم الطوال ، فلم تبلغ آخره ، فرمى بعضُ غلمان الموفّق بكلاليب كانوا أعدُّوها ، وجعلوا فيها الحبال لمثل هذا الموضع ، فأثبتوها في أعلام الفاسق وجذبوها ، فانقلبت الأعلام منكوسة من أعلى السور؛ حتى صارت في أيدي أصحاب الموفّق ، فلم يشكّ المحامون عن هذه الدار أنّ أصحاب أبي أحمد قد علوْها ، فوجَلوا فانهزموا ، وأسلموها وما حوْلها ، وصعِد النَّفّاطون فأحرقوا ما كان عليها من المجانيق والعرّادات ، وما كان فيها للهمدانيّ من متاع وأثاث ، وأحرقوا ما كان حولها من دور الفجرة ، واستنقذوا في هذا اليوم من نساء المسلمين المأسورات عدداً كثيراً ، فأمر الموفّق بحملهنّ في الشّذَا والسميريّات ، والمعابر إلى الموفقية والإحسان إليهنّ.

ولم تزل الحرب في هذا اليوم قائمةً من أوّل النهار إلى بعد صلاة العصر ، واستأمن يومئذ جماعةٌ من أصحاب الفاسق وجماعة من خاصّة غلمانه الذين كانوا في داره يلون خدمَته والوقوف على رأسه؛ فآمنهم الموفّق وأمر بالإحسان إليهم ،

وأن يُخلَع عليهم ، ويوصلوا وتُجرى لهم الأرزاق ، وانصرف الموفق ، وأمر أن تنكَس أعلام الفاسق في صدور الشَّذَوات ليراها أصحابه ، ودلّت جماعة من المستأمنة الموفَّق على سوق عظيمة كانت للخبيث في ظهر دار الهمدانيّ متصلةً بالجسر الأوّل المعقود على نهر أبي الخصيب ، كان الخبيث سمّاها المباركة ، وأعلموه أنه إن تهيأ له إحراقها لم يبق لهم سوق ، وخرج عنهم تجّارهم الذين بهم قوامهم؛ واستوحشوا لذلك ، واضطروا إلى الخروج في الأمان ، فعزم الموفّق عند ذلك على قصد هذه السوق وما يليها بالجيوش من ثلاثة أوجه؛ فأمر أبا العباس بقصد جانب من هذه السوق مما يلي الجسر الأول؛ وأمر راشداً مولاه بقصْدها مما يلِي دار الهمْدانيّ ، وأمر قوّاداً من قواد غلمانه السودان بالقصد لها من نهر أبي شاكر ، ففعل كلٌّ فريق ما أمِر به ، ونذِر الزَّنج بمسير الجيوش إليهم ، فنهضوا في وجوههم ، واستعرت الحرب وغلظتْ ، فأمدّ الفاجر أصحابه ، وكان المهلبيّ وأنكلاي وسليمان بن جامع في جميع أصحابهم بعد أن تكاملوا ووافتْهم أمداد الخبيث بهذه السوق يحامون عنها ، ويحاربون فيها أشدّ حرب.

وقد كان أصحاب الموفّق في أول خروجهم إلى هذا الموضع وصلُوا إلى طرف من أطراف هذه السوق ، فأضرموه ناراً فاحترق ، فاتّصلت النار بأكثر السُّوق ، فكان الفريقان يتحاربون والنار محيطة بهم؛ ولقد كان ما علا من ظلالٍ يحترق فيقع على رؤوس المقاتلة؛ فربما أحرق بعضَهم ، وكانت هذه حالهم إلى مغيب الشمس وإقبال الليل ، ثم تحاجزوا ، وانصرف الموفّق وأصحابه إلى سفنهم ، ورجع الفسَقة إلى طاغيتهم بعد أن احترق السوق ، وجلا عنها أهلُها ومَن كان فيها من تجار عسكر الخائن وسُوقتهم ، فصاروا في أعلى مدينته بما تخلّصوا به من أموالهم وأمتعتهم ، وقد كانوا تقدّموا في نقل جلّ تجارتهم وبضائعهم من هذه السوق خوفاً من مثل الذي نالهم في اليوم الذي أظفر الله فيه الموفّق بدار الهَمْدانيّ وهيّأ له إحراق ما أحرق حولها.

ثم إن الخبيث فعل في الجانب الشرقيّ من حفر الخنادق وتعوير الطرق ما كان فعل في الجانب الغربيّ بعد هذه الوقعة ، واحتفر خندقاً عريضاً من حدّ جوى كور إلى نهر الغربيّ ، وكان أكثر عنايته بتحصين ما بين دار الكرْنبائيّ إلى النهر المعروف بجُوى كور؛ لأنه كان في هذا الموضع جُلّ منازل أصحابه ومساكنهم ،

وكان من حدّ جوى كور إلى نهر الغربيّ بساتين ومواضع قد أخلَوْها ، والسّور والخندق محيطان بها ، وكانت الحرب إذا وقعت في هذا الموضع قصدوا من موضعهم إليه للمحاماة عنه والمنع منه؛ فرأى الموفّق عند ذلك أن يخرِب باقي السور إلى نهر الغربيّ ، ففعل ذلك بعد حرب طويلة في مدة بعيدة.

وكان الفاسق في الجانب الشرقيّ من نهر الغربيّ في عسكر فيه جمع من الزَّنْج وغيرهم متحصّنين بسور منيع وخنادق ، وهم أجلد أصحاب الخبيث وشجعانهم ، فكانوا يحامون عما قَرُب من سور نهر الغربيّ ، وكانوا يخرجون في ظهور أصحاب الموفّق في وقت الحرب على جوى كور وما يليه ، فأمر الموفّق بقصد هذا الموضع ومحاربة مَنْ فيه وهدم سُوره وإزالة المتحصّنين به ، فتقدّم عند ذلك إلى أبي العباس وعِدّة من قوّاد غلمانه ومواليه في التأهّب لذلك ، ففعلوا ما أمِرُوا به ، وصار الموفق بمَنْ أعدّه إلى نهر الغربيّ ، وأمر بالشَّذَا فنُظمت من حدّ النهر المعروف بجوى كور إلى الموضع المعروف بالدبّاسين ، وخرج المقاتلة على جنبتي نهر الغربيّ ، ووُضعِت السلاليم على السور.

وقد كانت لهم عليه عدّة عرّادات ، ونشَبت الحرب ، ودانت مذ أول النهار إلى بعد الظهر ، وهُدم من السور مواضع ، وأحرِق ما كان عليه من العرّادات ، وتحاجز الفريقان ، وليس لأحدهما فضل على صاحبه إلاّ ما وَصل إليه أصحاب الموفّق من هذه المواضع التي هدموها وإحراق العرّادات ، ونال الفريقين من ألم الجراح أمرٌ غليظ موجع.

فانصرف الموفّق وجميعُ أصحابه إلى الموفقيّة ، فأمر بمداواة الجرحى ، ووصلَ كلّ امرئ على قدر الجراح التي أصابته؛ وعلى ذلك كان أجرى التدبير في جميع وقائعه منذ أول محاربته الفاسق إلى أن قتله الله.

وأقام الموفّق بعد هذه الوقعة مدّة ، ثم رأى معاودة هذا الموضع والتشاغل به دون المواضع ، لما رأى من حصانته وشجاعة مَنْ فيه وصبرهم ، وأنه لا يتهيأ ما يقدر فيما بين نهر الغربيّ وجوى كور إلا بعد إزالة هؤلاء ، فأعدّ ما يحتاج إليه من آلات الهدم ، واستكثر من الفعلة ، وانتخب المقاتلة الناشبة والرّامحة والسودان أصحاب السيوف ، وقصد هذا الموضع على مثل قصده له المرّة

الأولى ، فأخرج الرجّالة في المواضع التي رأى إخراجَهم فيها ، وأدخل عدداً من الشَّذَا النهر ، ونشبت الحرب ودامت ، وصَبر الفسَقة أشدّ صبر ، وصبر لهم أصحاب الموفق.

واستمدّ الفسقة طاغيتَهم ، فوافاهم المهلبيّ وسليمان بن جامع في جيشهما ، فقويت قلوبُهم عند ذلك ، وحملوا على أصحاب الموفق ، وخرج سليمان كميناً مما يلي جوى كور ، فأزالوا أصحاب الموفّق حتى انتهوْا إلى سفنهم ، وقَتلوا منهم جماعة وانصرف الموفق ولم يبلغ كلّ الذي أراد ، وتبيّن أنه قد كان يجب أن يحارب الفسقة من عدّة مواضع ، ليفرّق جمعَهم ، فيخفّ وطؤهم على مَنْ يقصد لهذا الموضع الصعب ، وينال منه ما يحبّ ، فعزم على معاودتهم ، وتقدّم إلى أبي العباس وغيره من قوّاده في العبور واختيار أنجاد رجالهم ، ووكّل مسروراً مولاه بالنهر المعروف بمنكى ، وأمره أن يخرج رجاله في ذلك الموضع وما يتصل به من الجبال والنخل ، لتشتغل قلوب الفجَرة ، وليروْا أنّ عليهم تدبيراً من تلك الجهة ، وأمر أبا العباس بإخراج أصحابه على جوى كور ، ونظم الشذا على هذه المواضع حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالدّباسين؛ وهو أسفل نهر الغربيّ ، وصار الموفّق إلى نهر الغربيّ ، وأمر قوّاده وغلمانه أن يخرجوا في أصحابهم فيحاربوا الفسَقة في حصنهم ومعقلهم ، وألا ينصرفوا عنهم حتى يفتح الله لهم ، أو يبلغ إرادته منهم ، ووكل بالسور مَنْ يهدمه ، وتسرّع الفسَقة كعادتهم ، وأطمعهم ما تقدّم من الوقعتين اللتيْن ذكرناهما ، فثبت لهم غلمان الموفق ، وصدقوهم اللقاء؛ فأنزل الله عليهم نصره ، فأزالوا الفسقة عن مواقفهم ، وقوِيَ أصحابُ الموفق ، فحملوا عليهم حملةً كشفوهم بها ، فانهزموا وخَلَّوْا عن حصنهم ، وصار في أيدي غلمان الموفق فهدموه ، وأحرقوا منازلهم ، وغَنموا ما كان فيها ، واتّبعوا المنهزمين منهم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا ، واستنقذوا من هذا الحصن من النساء المأسورات خَلْقاً كثيراً ، فأمر الموفّق بحملهنّ والإحسان إليهنّ ، وأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم ففعلوا ، وانصرف إلى عسكره بالموفقيّة ، وقد بلغ ما حاول من هذا الموضع.

* * *

[ذكر خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج]

وفيها دخل الموفق مدينة الفاسق ، وأحرق منازله من الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب.

* ذكر الخبر عن سبب وصوله إلى ذلك:

ذُكر أنّ أبا أحمد لما أراد ذلك بعد هدمه سورَ داره ذلك ، أقام يصلح المسالك في جنبتي نهر أبي الخصيب وفي قصر الفاسق ، ليتسع على المقاتلة الطريق في الدخول والخروج للحرب ، وأمر بقلع باب قصر الخبيث الذي كان انتزعه من حصن أرْوَخ بالبصرة ، فقُلع وحُمل إلى مدينة السلام ، ثم رأى القصد لقطع الجسر الأوّل الذي كان على نهر أبي الخصيب ، لما في ذلك من منع معاونة بعضهم بعضاً عند وقوع الحرب في نواحي عسكرهم ، فأمر بإعداد سفينة كبيرة تُملأ قصباً قد سُقِيَ النّفط ، وأن يُنْصَب في وسط السفينة ، دَقْلٌ طويل يمنعها من مجاوزة الجسر إذا لصقت به ، وانتهز الفرصة في غفلة الفسقة وتفرُّقهم.

فلما وجد ذلك في آخر النهار قدِّمت السفينة ، فجرَّها الشذا حتى وردت النهر ، وأشعِل فيها النيران ، وأرسِلت وقد قوى المدّ ، فوافت القنطرة ، ونَذِر الزَّنج بها ، وتجمعوا وكثروا حتى ستروا الجسر وما يليه ، وجعلوا يقذفون السفينة بالحجارة والآجرّ ، ويهيلون عليها التراب ، ويصبّون الماء ، وغاص بعضهم فنقبها؛ وقد كانت أحرقت من الجسر شيئاً يسيراً فأطفأه الفسقة ، وغرّقوا السفينة وحازوها؛ فصارت في أيديهم.

فلما رأى أبو أحمد فعلَهم ذلك ، عزم على مجاهدتهم على هذه الجسر حتى يقطعه ، فسمّى لذلك قائدين من قوّاد غلمانه ، وأمرهما بالعبور في جميع أصحابهما في السلاح الشاك واللأمة الحصينة والآلات المحكمة ، وإعداد النفاطين والآلات التي تُقطع بها الجسور ، فأمر أحد القائدين أن يقصد غربيَّ النهر ، وجعل الآخر في شرقيّه ، وركب الموفّق في مواليه وخدّامه وغلمانه الشَّذَوات والسُّميريّات ، وقصد فُوّهَة نهر أبي الخصيب؛ وذلك في غداة يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شوّال سنة تسع وستين ومئتين ، فسبق إلى الجسر القائد الذي كان أمِر بالقصد له من غربيّ نهر أبي الخصيب ، فأوقع بمَن

كان موكَّلاً به من أصحاب الفاسق ، وقُتلت منهم جماعة ، وضُرب الجسر بالنار ، وطرح عليه القصب وما كان أعِدّ له من الأشياء المحرِقة ، فانكشف مَن كان هناك من أعوان الخبيث ، ووافى بعد ذلك مَنْ كان أمر بالقصد للجسر من الجانب الشرقيّ ، ففعلوا ما أمِروا به من إحراقه.

وقد كان الخبيث أمر ابنه أنكلاي وسليمان بن جامع بالمقام في جيشهما للمحاماة عن الجسر ، والمنع من قطعه؛ ففعلا ذلك ، فقصد إليهما مَنْ كان بإزائهما ، وحاربوهم حرباً غليظاً حتى انكشفا ، وتمكنوا من إحراق الجسر فأحرقوه ، وتجاوزوه إلى الحظيرة التي كان يعمل فيها شَذَوات الفاسق وسُميريّاته وجميع الآلات التي كان يحارب بها ، فأحرِق ذلك عن آخره إلا شيئاً يسيراً من الشّذوات والسميريّات كان في النهر ، وانهزم أنكلاي وسليمان بن جامع ، وانتهى غلمان الموفق إلى سجْن كان للخبيث في غربيّ نهر أبي الخصيب ، فحامى عنه الزَّنج ساعة من النهار حتى أخرجوا منه جماعة ، وغلبهم عليه غلمان الموفّق ، فخلّصوا مَنْ كان فيه من الرجال والنساء ، وتجاوز من كان في الجانب الشرقيّ من غلمان الموفق ، بعد أن أحرقوا ما وُلُّوا من الجسر إلى الموضع المعروف بدار مصلِح؛ وهو من قدماء قوّاد الفاسق ، فدخلوا داره وأنهبوها ، وسبَوْا ولده ونساءه ، وأحرقوا ما تهيأ لهم إحراقه في طريقهم ، وبقيت من الجسر في وسط منه أدقال قد كان الخبيث أحكَمها ، فأمر الموفق أبا العباس بتقديم عدّة من الشَّذَا إلى ذلك الموضع ، ففعل ذلك؛ فكان فيمن تقدّم زيرك في عدد من أصحابه ، فوافَى هذه الأدقال ، وأخرجوا إليها قوماً قد كانوا أعدّوهم لها معهم الفؤوس والمناشير ، فقطعوها ، وجُذبت وأخرِجت عن النهر ، وسقط ما بقي من القنطرة ، ودخلت شذوات الموفّق النهر ، وسار القائدان في جميع أصحابهما على حافّتيه فهُزم أصحاب الفاجر في الجانبين ، وانصرف الموّفق وجميع أصحابه سالمين ، واستُنقذ خلق كثير ، وأتِيَ الموفق بعدد كثير من رؤوس الفسقة ، فأثاب مَنْ أتاه بها ، وأحسن إليه ووصله.

وكان انصرافه في هذا اليوم على ثلاث ساعات من النهار ، بعد أن انحاز الفاسِق وجميع أصحابه من الزّنْج وغيرهم إلى الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب ، وأخلوْا غربيّه ، واحتوى عليه أصحاب الموفّق ، فهدموا ما كان

يعوق عن محاربة الفَجرة من قصور الفاسق وقصور أصحابه ، ووسَّعوا مخترقات ضيّقة كانت على نهر أبي الخصيب ، فكان ذلك مما زاد في رعب أصحاب الخائن ، ومال جمعٌ كثير من قوّاده وأصحابه الذين كان لا يرى أنهم يفارقونه إلى طلب الأمان ، فبُذل ذلك لهم ، فخرجوا أرسالاً ، فقُبِلوا ، وأحسِن إليهم وألحقوا بنظرائهم في الأرزاق والصِّلات والخلع .

ثم إن الموفق واظب على إدخال الشذا النهر ، وتقحّمه في غلمانه ، وأمر بإحراق ما على حافتيه من منازل الفجرة وما في بطنه من السفن ، وأحبّ تمرين أصحابه على دخول النهر وتسهيل سلوكه لهم لِمَا كان يقدّر من إحراق الجسر الثاني ، والتوصّل إلى أقصى مواضع الفجرة .

فبينا الموفق في بعض أيامه ـ التي ألحّ فيها على حرب الخبيث وولوج نهر أبي الخصيب ـ واقف في موضع من النهر؛ وذلك في يوم الجمعة ، إذ استأمن إليه رجل من أصحاب الفاجر ، وأتاه بمنبر كان للخبيث في الجانب الغربيّ ، فأمره بنقله إليه ، ومعه قاض كان للخبيث في مدينته؛ فكان ذلك مما فتّ في أعضادهم؛ وكان الخبيث جمع ما كان بقيَ له من السفن البحرية وغيرها ، فجعلها عند الجسر الثاني ، وجمع قوّاده وأصحابه وأنجاد رجاله هنالك؛ فأمر الموفّق بعض غلمانه بالدنوّ من الجسر وإحراق ما تهيأ إحراقُه من المراكب البحرية التي تليه ، وأخذ ما أمكن أخذُه منها ، ففعل ذلك المأمورون به من الغلمان ، فزاد فعلهم في تحرّز الفاجر ومحاماته عن الجسر الثاني ، فألزم نفسه وجميع أصحابه حفظه وحراسته خوفاً من أن تتهيّأ حيلة فيخرج الجانب الغربيّ عن يده ، ويُوطئه أصحاب الموفّق؛ فيكون ذلك سبباً لاستئصاله ، فأقام الموفّق بعد إحراق الجسر الأول أياماً يعبرُ بجمع بعد جمع من غلمانه إلى الجانب الغربيّ من نهر أبي الخصيب ، فيحرقون ما بقي من منازل الفجرة ، ويقرُبون من الجسر الثاني فيحاربهم عليه الزنج .

وقد كان تخلّف منهم جمعٌ في منازلهم في الجانب الغربيّ المقاربة للجسر الثاني ، وكان غلمان الموفق يأتون هذا الموضع ويقفون على الطرق والمسالك التي كانت تخفى عليهم من عسكر الخبيث؛ فلما وقف الموفّق على معرفة غلمانه وأصحابه بهذه الطريق واهتدائهم لسلوكها ، عزم على القصد لإحراق الجسر

الثاني ليحوز الجانب الغربيّ من عسكر الخبيث ، وليتهيأ لأصحابه مساواتُهم على أرض واحدة ، لا يكون بينهما فيها حائل غير نهر أبي الخصيب؛ فأمر الموفّق عند ذلك أبا العباس بقصد الجانب الغربيّ في أصحابه وغلمانه ، وذلك في يوم السبت لثمان بقين من شوال سنة تسع وستين ومئتين ، وتقدّم إليه أن يجعل خروجه بأصحابه في موضع البناء الذي كان الفاجر سمّاه مسجدٍ الجامع ، وأن يأخذ الشارع المؤدي إلى الموضع الذي كان الخبيث اتخذه مصلًّى يحضره في أعياده؛ فإذا انتهى إلى موضع المصلى عطف منه إلى الجبل المعروف بجبل المكتني بأبي عمرو أخي المهلبيّ ، وضمّ إليه من قُوّاد غلمانه الفرسان والرّجالة زُهاء عشرة آلاف ، وأمره أن يرتّب زِيَرَكَ صاحب مقدّمته في أصحابه في صحراء المصلى ، ليأمن خروج كمين إن كان للفسقة من ذلك الموضع ، وأمر جماعة من قوّاد الغلمان أن يتفرقوا في الجبال التي فيها بين الجبل المعروف بالمكتنى بأبي عمرو وبين الجبل المعروف بالمكتنى أبا مقاتل الزنجيّ ، حتى توافَوْا جميعاً من هذه الجبال موضع الجسر الثاني في نهر أبي الخصيب ، وتقدّم إلى جماعة من قوّاد الغلمان المضمومين إلى أبي العباس أن يخرجوا في أصحابهم بين دار الفاسق ودار ابنه أنكلاي ، فيكون مسيرهم على شاطىء نهر أبي الخصيب وما قاربه؛ ليتصلوا بأوائل الغلمان الذين يأتون على الجبال ، ويكون قصدُ الجميع إلى الجسر ، وأمرهم بحمل الآلات من المعاول والفؤوس والمناشير مع جمع من النَّفاطين لقطع ما يتهيّأ قطعُه ، وإحراق ما يتهيأ إحراقه ، وأمر راشداً مولاه بقصد الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب في مثل العِدّة التي كانت مع أبي العباس وقصد الجسر ومحاربة مَنْ يدافع عنه ، ودخل أبو أحمد نهر أبي الخصيب في الشّذَا ، وقد أعدّ منها شَذَوات رتّب فيها من أنجاد غلمانه الناشبة والرّامحة من ارتضاه ، وأعدّ معهم من الآلات التي يقطع بها الجسر ما يحتاج إليه لذلك؛ وقدّمهم أمامه في نهر أبي الخصيب ، واشتبكت الحرب في الجانبين جميعاً بين الفريقين ، واشتدّ القتال.

وكان في الجانب الغربيّ بإزاء أبي العباس ومَنْ معه أنكلاي ابن الفاسق في جيشه ، وسليمان بن جامع في جيشه ، وفي الجانب الشرقيّ بإزاء راشد ومَن معه الفاجر صاحب الزَّنْج والمهلّبيّ في باقي جيشهم ، فكانت الحرب في ذلك اليوم

إلى مقدار ثلاث ساعات من النهار ، ثم انهزمت الفسقة لا يلوُون على شيء ، وأخذت السيوفُ منهم مأخَذها ، وأخذ من رؤوس الفسقة ما لم يقع عليه إحصاء لكثرته؛ فكان الموفّق إذا أتِي برأس من الرؤوس أمر بإلقائه في نهر أبي الخصيب، ليدع المقاتلة الشغل بالرؤوس ، ويجدّوا في اتباع عدوّهم ، وأمر أصحاب الشذا الذين رتبهم في نهر أبي الخصيب بالدنوّ من الجسر وإحراقه ، ودفع مَنْ تحامى عنه من الزَّنْج بالسهام؛ ففعلوا ذلك وأضرموا الجسر ناراً ، ووافى أنكلاي وسليمان في ذلك الوقت جريحيْن مهزوميْن ، يريدان العبور إلى شرقيّ نهر أبي الخصيب ، فحالت النار بينهما وبين الجسر ، فألقوْا أنفسهما ومن كان معهما من حُماتِهم في نهر أبي الخصيب ، فغرق منهم خلق كثير ، وأفلت أنكلاي وسليمان بعد أن أشفيا على الهلاك ، واجتمع على الجسر من الجانِبين خلق كثير ، فقطِع بعد أن ألقيت عليه سفينة مملوءة قصباً مضروماً بالنار ، فأعانت على قطعه وإحراقه ، وتفرّق الجيش في نواحي مدينة الخبيث من الجانبين جميعاً ، فأحرقوا من دورهم وقصورهم وأسواقهم شيئاً كثيراً ، واسنقذوا من النساء المأسورات والأطفال ما لا يحصى عدده ، وأمر الموفَّق المقاتلة بحملهم في سفنهم والعبور بهم إلى الموفقيّة.

وقد كان الفاجر سكَن بعد إحراق قصره ومنازله الدّار المعروفة بأحمد بن موسى القَلوص والدّار المعروفة بمحمد بن إبراهيم أبي عيسى ، وأسكن ابنه أنكلاي الدار المعروفة بمالك ابن أخت القَلُوص؛ فقصد جماعة من غلمان الموفق المواضع التي كان الخبيث يسكنها فدخلوها ، وأحرقوا منها مواضِع ، وانتهبوا منها ما كان سَلم للفاسق من الحريق الأول ، وهرب الخبيث ولم يوقَف في ذلك اليوم على مواضع أمواله ، واستنقذ في هذا اليوم نسوة عَلَويَّات كنّ محتبسات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها ، فأمر الموفق بحملهنّ إلى عسكره ، وأحسن إليهنّ ، ووصلهنّ ، وقصد جماعة من غلمان الموفق من المستأمنة المضمومين إلى أبي العباس سجناً كان الفاسق اتّخذه في الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب ، ففتحوه وأخرجوا منه خلقاً كثيراً ممّن كان أسِر من العساكر التي كانت تحارب الفاسق وأصحابه ، ومن سائر الناس غيرهم ، فأخرج جميعهم في قيودهم وأغلالهم حتى أتِيَ بهم الموفّق ، فأمر بفكّ الحديد عنهم

وحملهم إلى الموفقيّة ، وأخرج في ذلك اليوم كل ما كان بقي في نهر أبي الخصيب من شذاً ومراكب بحرية وسفن صغار وكبار وحَرّاقات وزلّالات وغير ذلك من أصناف السفن من النهر إلى دِجلْة ، وأباحها الموفق أصحابه وغلمانه مع ما فيها من السلب والنهب الذي حازوا في ذلك اليوم من عسكر الخبيث ، وكان ذلك قدر جليل وخطر عظيم.

* * *

وفيها كان إحدار المعتمد إلى واسط ، فسار إليها في ذي القعدة وأنزل دار زيرك.

وفيها سأل أنكلاي ابن الفاسق أبا أحمد الموفّق الأمان ، وأرسل إليه في ذلك رسولاً ، وسأل أشياء فأجابه الموفق إلى كلّ ما سأله ، وردّ إليه رسوله ، وعرض للموفّق بعقب ذلك ما شغله عن الحرب ، وعلم الفاسق أبو أنكلاي بما كان من ابنه فعذَله ـ فيما ذكر ـ على ذلك ، حتى ثناه عن رأيه في طلب الأمان ، فعاد للجِدّ في قتال أصحاب الموفق ، ومباشرة الحرب بنفسه.

* * *

[ذكر طلب رؤساء صاحب الزنج الأمان]

وفيها وجه أيضاً سليمان بن موسى الشعرانيّ ـ وهو أحد رؤساء أصحاب الفاسق ـ من يطلب الأمان له من أبي أحمد ، فمنعه أبو أحمد ذلك ، لِمَا كان سلف منه من العبث وسفك الدماء ، ثم اتصل به أنّ جماعةً من أصحاب الخبيث قد استوحشوا لمنعة ذلك الشعرانيّ ، فأجابه أبو أحمد إلى إعطائه الأمان؛ استصلاحاً بذلك غيرَه من أصحاب الفاسق ، وأمر بتوجيه الشَّذَا إلى الموضع الذي واعدهم الشعرانيّ ، ففعل ذلك ، فخرج الشعرانيّ وأخوه وجماعة من قوّاده ، فحملهم في الشذا ، وقد كان الخبيث حرسَ به مؤخّر نهر أبي الخصيب ، فحمله أبو العباس إلى الموفق ، فمنَّ عليه ، ووفّى له بأمانه ، وأمر به فوُصل ووُصل أصحابه ، وخلع عليهم ، وحمل على عدّة أفراس بسروجها وآلتها ، ونزَّله وأصحابه أنزالاً سنية ، وضمه وإياهم إلى أبي العباس ، وجعله في جملة أصحابه ، وأمره بإظهاره في الشَّذَا لأصحاب الخائن ليزدادوا ثقةً بأمانه؛ فلم يبرح

الشَّذَا من موضعها من نهر أبي الخصيب ، حتّى استأمن جمع كثير من قوّاد الزَّنج وغيرهم ، فحمِلوا إلى أبي أحمد ، فوصلهم وألحقهم في الخلع والجوائز بمن تقدّمهم .

ولما استأمن الشعرانيّ اختلّ ما كان الخبيث يضبط به من مؤخر عسكره ، ووَهى أمرُه وضعف؛ فقلَّد الخبيث ما كان إلى الشعرانيّ من حفظ ذلك شِبل بن سالم ، وأنزله مؤخّر نهر أبي الخصيب ، فلم يُمسِ الموفق من اليوم الذي أظهر فيه الشعرانيّ لأصحاب الخبيث حتى وافاه رسولُ شبْل بن سالم يطلب الأمان ، ويسأل أن يوقف شَذَوات عند دار ابن سمعان؛ ليكون قصدُه فيمن يصحبه من قوّاده ورجاله في الليل إليها .

فأعطِيَ الأمانَ ، ورُدّ إليه رسوله ، ووُقِفَت له الشَّذَا في الموضع الذي سأل أن توقَف له؛ فوافاها في آخر الليل ومعه عياله وولده وجماعة من قوّاده ورجاله ، وشهَر أصحابه سلاحَهم؛ وتلقّاهم قوم من الزَّنج قد كان الخبيث وجّههم لمنعه من المصير إلى الشَّذَا . وقد كان خبره انتهى إليه ، فحاربهم شبل وأصحابُه ، وقتلوا منهم نفراً؛ فصاروا إلى الشَّذَا سالمين ، فصِير بهم إلى قصر الموفق بالموفقية ، فوافاه وقد ابتلج الصبح؛ فأمر الموفق أن يوصَل شبل بصلة جزيلة ، وخلع عليه خلعاً كثيرة ، وحمله على عدّة أفراس بسروجها ولجُمها .

وكان شبل هذا من عُدد الخبيث وقدماء أصحابه وذوي الغَناء والبلاء في نُصرته ، ووصل أصحاب شبل ، وخلع عليهم ، وأسنِيت له ولهم الأرزاق والأنزال ، وضُموا جميعاً إلى قائد من قوّاد غلمان الموفق ، ووُجّه به وبأصحابه في الشَّذَا ، فوقفوا بحيث يراهم الخبيث وأشياعه ، فعظم ذلك على الفاسق وأوليائه ، لِمَا رأوْا من رغبة رؤسائهم في اغتنام الأمان ، وتبين الموفّق من مناصحة شبل وجودة فهمه ما دعاه إلى أن يستكفِيَه بعض الأمور التي يكيد بها الخبيث؛ فأمره بتبييت عسكر الخبيث في جمع أمر بضمِّهم إليه من أبطال الزَّنْج المستأمنة ، وأفرده وإيّاهم بما أمرهم به من البيات؛ لعلمهم بالمسالك في عسكر الخبيث .

فنفذ شبل لمَا أمِر به ، فقصد موضعاً كان عرفه ، فكبسه في السَّحَر ، فوافَى به جمعاً كثيفاً من الزَّنْج في عدّة من قُوّادهم وحماتهم ، قد كان الخبيث رتَّبهم في

الدفع عن الدار المعروفة بأبي عيسى ، وهي منزل الخبيث حينئذ ، فأوقع بهم وهم غارّون ، فقَتل منهم مقتلةً عظيمة ، وأسر جمعاً من قوّاد الزَّنج ، وأخذ لهم سلاحاً كثيراً ، وانصرف ومَنْ كان معه سالمين ، فأتى بهم الموفَّق ، فأحسن جائزتهم ، وخلع عليهم ، وسوَّر جماعة منهم.

ولما أوقع أصحاب شبل بأصحاب الخائن هذه الوقعة ذعرهم ذلك شديداً ، وأخافهم ومنعهم النوم؛ فكانوا يتحارسون في كلّ ليلة ، ولا تزال النَّفرة تقع في عسكرهم لمَا استشعروا من الخوف ، ووصل إلى قلوبهم من الوَحشة؛ حتى لقد كان ضجيجهم وتحارسهم يُسمَع بالموفقيَّة.

ثم أقام الموفق بعد ذلك ينفذ السرايا إلى الخبثة ليلاً ونهاراً من جانبي نهر أبي الخصيب ، ويكدّهم بالحرب ، ويُسْهر ليلهم ، ويحول بينهم وبين طلب أقواتهم ، وأصحابه في ذلك يتعرّفون المسالك ، ويتدرَّبون بالوغول في مدينة الخبيث وتقحّمها ، ويصرُّون من ذلك على ما كانت الهيبة تحولُ بينهم وبينه؛ حتى إذا ظنّ الموفق أن قد بلغ أصحابه ما كانوا يحتاجون إليه ، صحّ عزمه على العبور إلى محاربة الفاسق في الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب ، فجلس مجلساً عامَّاً وأمر بإحضار قوّاد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجَّالتهم من الزنَّج والبِيضان ، فأدخِلُوا إليه ، ووقفوا بحيث يسمعون كلامه ، ثم خاطبهم فعرّفهم ما كانوا عليه من الضلالة والجهل وانتهاك المحارم ، وما كان الفاسق ديَّن لهم من معاصي الله؛ وأن ذلك قد كان أباح له دماءهم ، وأنه قد غفر الزَّلَّة ، وعفا عن الهفوة ، وبذل الأمان ، وعاد على مَنْ لجأ إليه بفضله ، فأجزل الصّلات ، وأسنى الأرزاق ، وألحقهم بالأولياء وأهل الطاعة؛ وأن ما كان منه من ذلك يُوجب عليهم حقه وطاعته؛ وأنهم لن يأتوا شيئاً يتعرّضون به لطاعة ربهم والاستدعاء لرضا سلطانهم؛ أوْلى بهم من الجدّ والاجتهاد في مجاهدة عدوّ الله الخائن وأصحابه ، وأنهم من الخبرة بمسالك عسكر الخبيث ومضايق طرق مدينته والمعاقل التي أعدّها للهرب إليها على ما ليس عليه غيرهم؛ فهم أحرياء أن يُمْحضُوه نصيحتهم ، ويجتهدوا في الوُلوج على الخبيث ، والتوغُّل إليه في حصونه ، حتى يمكنهم الله منه ومن أشياعه ، فإذا فعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد ، وإن مَنْ قصّر منهم استدعى من سلطانه إسقاطَ حاله وتصغير منزلته ،

ووضع مرتبته ، فارتفعت أصواتُهم جميعاً بالدّعاء للموفق والإقرار بإحسانه ، وبما هم عليه من صحة الضمائر في السمع والطاعة والجدّ في مجاهدة عدوّه ، وبذل دمائهم ومُهجهم في كلّ ما يقرِّبهم منه ، وأن ما دعاهم إليه قد قوّى نيَّتَهم ، ودلهم على ثقته بهم وإحلاله إياهم محلَّ أوليائه ، وسألوه أن يُفردهم بناحية يحاربون فيها ، فيظهر من حسن نيّاتهم ونكايتهم في العدوّ ما يعرف به إخلاصَهم وتورّعهم عما كانوا عليه من جهلهم ، فأجابهم الموفق إلى ما سألوا ، وعرّفهم حُسن موقع ما ظهر له من طاعتهم ، وخرجوا من عنده مبتهجين بما أجيبوا به من حسن القول وجميل الوعد.

* * *

[خبر دخول الموفق مدينة صاحب الزنج وتخريب داره]

وفي ذي القعدة من هذه السنة دخل الموفق مدينة الفاسق بالجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب ، فخرّب داره ، وانتهب ما كان فيها.

* ذكر الخبر عن هذه الوقعة:

ذكر أن أبا أحمد لما عزم على الهجوم على الفاسق في مدينته بالجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب ، أمر بجمع السفن والمعابر من دِجْلة والبَطيحة ونواحيها ليضيفها إلى ما في عسكره؛ إذ كان مافي عسكره مقصّراً عن الجيش لكثرته ، وأحصى ما في الشَّذَا والسُّميريات والرّقيّات التي كانت تعبر فيها الخيل ، فكانوا زهاء عشرة آلاف ملّاح ، ممن يجري عليه الرزق من بيت المال مشاهرة ، سوى سفن أهل العسكر التي يحمل فيها المِيرة ، ويركبها الناس في حوائجهم ، وسوى ما كان لكلّ قائد ومن يحضر من أصحابه من السمَيريات والجريبيات والزّواريق التي فيها الملاحون الراتبة ، فلمّا تكاملت له السفن والمعابر ، ورضى عددَها ، تقدّم إلى أبي العباس وإلى قوّاد مواليه وغلمانه في التأهب والاستعداد للقاء عدوّهم ، وأمر بتفرقة السفن والمعابر إلى حمل الخيل والرّجالة ، وتقدّم إلى أبي العباس في أن يكون خروجه في جيشه في الجانب الغربيّ من نهر أبي الخصيب ، وضمّ إليه قوّاداً من قُوّاد غلمانه في زُهاء ثمانية آلاف من أصحابهم ، وأمره أن يعمد مؤخّر عسكر الفاسق حتى يتجاوز دار المعروف

بالمهلبيّ ، وقد كان الخبيث حصَّنها وأسكن بقربها خَلْقاً كثيراً من أصحابه ؛ ليأمن على مؤخّر عسكره ، وليصعبِ على من يقصده المسلك إلى هذا الموضع .

فأمر أبو أحمد أبا العباس بالعبور بأصحابه إلى الجانب الغربيّ من نهر أبي الخصيب ، وأن يأتيَ هذه الناحية من ورائها ، وأمر راشداً مولاه بالخروج في الجانب الشرقيّ من نهر أبي الخصيب في عدد كثير من الفرسان والرّجّالة زُهاء عشرين ألفاً ، وأمر بعَضهم بالخروج في ركن دار المعروف بالكرنبائيّ كاتب المهلبيّ ، وهي على قرنة نهر أبي الخصيب في الجانب الشرقيّ منه ، وأمرهم أن يجعلوا مسيرهم على شاطىء النهر حتى يوافُوا الدار التي نزلها الخبيث؛ وهي الدار المعروفة بأبي عيسى ، وأمر فريقاً من غلمانه بالخروج على فُوّهة النهر المعروف بأبي شاكر ، وهو أسفل من نهر أبي الخصيب ، وأمر آخرين منهم بالخروج في أصحابهم على فُوّهة النهر المعروف بجوى كور ، وأوعز إلى الجميع في تقديم الرّجّالة أمام الفرسان ، وأن يزحفوا بجميعهم نحو دار الخائن؛ فإن أظفرهم الله به وبمَنْ فيها من أهله وولده وإلاّ قصدوا دار المهلبيّ ليلقاهم هناك من أمر بالعبور مع أبي العباس؛ فتكون أيديهم يداً واحدة على الفسقة .

فعمل أبو العباس وراشد وسائر قوّاد الموالي والغلمان بما أمِرُوا ، فظهروا جميعاً ، وأبرزوا سفنهم في عشيّة يوم الإثنين لسبع ليال خلوْن من ذي القعدة سنة تسع وستين ومئتين ، وسار الفرسان يتلُو بعضهم بعضاً ، ومشت الرّجالة وسارت السفن في دجلة منذ صلاة الظهر من يوم الإثنين إلى آخر وقت عشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء ، فانتهوْا إلى موضع من أسفل العسكر؛ وكان الموفق أمر بإصلاحه وتنظيفه وتنقية ما فيه من خراب ودَغل ، وطم سواقيه وأنهاره حتى استوى واتّسع ، وبعدت أقطارُه ، واتخذ فيه قصراً وميداناً لعرض الرجال والخيل بإزاء قصر الفاسق ، وكان غرضه في ذلك إبطال ما كان الخبيث يَعِد به أصحابه من سرعة انتقاله عن موضعه؛ فأراد أن يُعلمَ الفريقين أنه غير راحل حتى يَحكم الله بينه وبين عدُوّه؛ فبات الجيش ليلة الثلاثاء في هذا الموضع بإزاء عسكر الفاسق؛ وكان الجميع زُهاء خمسين ألف رجل من الفرسان والرّجالة في أحسن زِيٍّ وأكمل هيئة ، وجعلوا يكبّرون ويهللون ، ويقرؤون القرآن ويصلّون ، ويوقدون النار .

فرأى الخبيث من كثرة الجمع والعُدّة والعدد ما بهر عقله وعقول أصحابه؛

وركب الموفق في عشية يوم الإثنين الشَّذَا؛ وهي يومئذ مئة وخمسون شَذاة قد شحنها بأنجاد غلمانه ومواليه الناشبة والرّامحة ، ونظمها من أوّل عسكر الخائن إلى أخره؛ لتكون حصناً للجيش من ورائه ، وطُرِحت أناجرها بحيث تقرب من الشطّ ، وأفرِد منها شذوات اختارها لنفسه ، ورتّب فيها من خاصّة قوّاد غلمانه ليكونوا معه عند تقحّمه نهر أبي الخصيب؛ وانتخب من الفرسان والرّجّالة عشرة آلاف ، وأمرهم أن يسيروا على جانبي نهر أبي الخصيب بمسيره ، ويقفوا بوقوفه ، ويتصرّفوا فيما رأى أن يصرّفهم فيه في وقت الحرب.

وغدا الموفق يوم الثلاثاء لقتال الفاسق صاحب الزَّنْج ، وتوجّه كلّ رئيس من رؤساء قوّاده نحو الموضع الذي أمِر بقصده ، وزحف الجيش نحو الفاسق وأصحابه ، فتلقّاهم الخبيث في جيشه واشتبكت الحرب ، وكثر القتل والجراح بين الفريقين ، وحامى الفسقة عما كانوا اقتصروا عليه من مدينتهم أشدّ محاماة ، واستماتوا ، وصبر أصحاب الموفق ، وصدقوا القتال؛ فمنّ الله عليهم بالنصر ، وهزم الفسقة ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأسروا من مقاتلتهم وأنجادهم جمعاً كثيراً.

وأتِي الموفق بالأسارى ، فأمر بهم فضرِبت أعناقهم في المعركة ، وقصد بجمعه لدار الفاجر فوافاها ، وقد لجأ الخبيث إليها ، وجمع أنجاد أصحابه للمدافعة عنها؛ فلمّا لم يغنُوا عنها شيئاً أسلمها ، وتفرّق أصحابه عنها ، ودخلها غلمان الموفّق ، وفيها بقايا ما كان سلم للخبيث من ماله وأثاثه؛ فانتهبوا ذلك كلَّه ، وأخذوا حرمه وولده الذكور والإناث؛ وكانوا أكثر من مئة بين امرأة وصبيّ ، وتخلّص الفاسق ومضى هارباً نحو دار المهلبِيّ ، لا يلوي على أهل ولا مال ، وأحرقت داره وما بقي فيها من متاع وأثاث ، وأُتِيَ الموفّق بنساء الخبيث وأولاده ، فأمر بحملهم إلى الموفقية والتوكيل بهم ، والإحسان إليهم.

وكان جماعة من قواد أبي العباس عبروا نهر أبي الخصيب ، وقصدوا الموضع الذي أمِرُوا بقصْده من دار المهلبيّ ، ولم ينتظروا إلحاق أصحابهم بهم ، فوافَوْا دار المهلبيّ ، وقد لجأ إليها أكثرُ الزَّنج بعد انكشافهم عن دار الخبيث؛ فدخل أصحاب أبي العباس الدّار ، وتشاغلوا بالنهب وأخذِ ما كان غلب عليه المهلبيّ

من حرم المسلمين وأولاده منهنّ ، وجعل كلّ مَنْ ظفر بشيء انصرف به إلى سفينته في نهر أبي الخصيب.

وتبين الزَّنج قلة مَنْ بَقيَ منهم وتشاغلهم بالنهب ، فخرجوا عليهم من عدَّة مواضع قد كانوا كمنوا فيها ، فأزالوهم عن مواضعهم؛ فانكشفوا ، وأتبعهم الزَّنْج حتى وافوْا نهر أبي الخصيب وقَتلوا مِنْ فرسانهم ورجَّالتهم جماعةً يسيرة ، وارتجعوا بعض ما كانوا أخذوا من النساء والمتاع.

وكان فريق من غلمان الموفق وأصحابه الذين قصدوا دار الخبيث في شرقيّ نهر أبي الخصيب تشاغلوا بالنَّهب وحمْل الغنائم إلى سفنهم؛ فأطمع ذلك الزَّنج فيهم ، فأكبُّوا عليهم ، فكشفوهم واتَّبعوا آثارهم إلى الموضع المعروف بسوق الغنم من عسكر الزَّنْج ، فثبتت جماعة من قُوَّاد الغلمان في أنجاد أصحابهم وشجعانهم ، فردّوا وجوه الزَّنج حتى ثاب الناس ، وتراجعوا إلى مواقفهم ، ودامت الحرب بينهم إلى وقت صلاة العصر فأمر أبو أحمد عند ذلك غلمانه أن يحملوا على الفسقة بأجمعهم حملةً صادقة ، ففعلوا ذلك ، فانهزم الزَّنْج وأخذتهم السيوف حتى انتهوْا إلى دار الخبيث؛ فرأى الموفّق عند ذلك أن يصرف غلمانه وأصحابه على إحسانهم ، فأمرهم بالرجوع ، فانصرفوا على هدوء وسكون؛ فأقام الموفق في النهر ومَنْ معه في الشَّذَا يحميهم؛ حتى دخلوا سفنهم ، وأدخلوها خيلهم ، وأحجم الزَّنْج عن اتّباعهم لما نالهم في آخر الوقعة.

وانصرف الموفّق ومعه أبو العباس وسائر قوّاده وجميع جيشه قد غنموا أموال الفاسق ، واستنقذوا جمعاً من النساء اللَّواتي كان غلب عليهنّ من حرم المسلمين كثيراً ، جعلهن يخرجن في ذلك اليوم أرسالاً إلى فوّهة نهر أبي الخصيب ، فيحمَلن في السفن إلى الموفقيّة إلى انقضاء الحرب.

وكان الموفق تقدّم إلى أبي العباس في هذا اليوم أن ينفذ قائداً من قوّاده في خمس شَذَوات إلى مؤخر عسكر الخبيث بنهر أبي الخصيب ، لإحراق بيادرَ ثمّ جليل قدرها ، كان الخبيث يقوت أصحابه منها من الزَّنْج وغيرهم ، ففعل ذلك وأحرق أكثرَه ، وكان إحراق ذلك من أقوى الأشياء على إدخال الضعف على الفاسق وأصحابه ، إذ لم يكن لهم معوّل في قوتهم غيره؛ فأمر أبو أحمد بالكتاب بما تهيأ له على الخبيث وأصحابه في هذا اليوم إلى الآفاق ليُقرأ على الناس ، ففعل ذلك.

وفي يوم الأربعاء لليلتين خلَتا من ذي الحجة من هذه السنة وافى عسكر أبي أحمد صاعد بن مخلد كاتبه منصرفاً إليه من سامرّا ، ووافَى معه بجيش كثيف قيل: إنّ عدد الفرسان والرّجّالة الذين قدموا كان زُهاء عشرة آلاف ، فأمر الموفّق بإراحة أصحابه وتجديد أسلحتهم وإصلاح أمورهم؛ وأمرَهم بالتأهب لمحاربة الخبيث ، فأقام أياماً بعد قدومه لما أمِر به.

فهم في ذلك من أمرهم؛ إذْ ورد كتاب لؤلؤ صاحب ابن طولون مع بعض قوّاده ، يسأله فيه الإذن له في القُدوم عليه؛ ليشهد عليه حرب الفاسق ، فأجابه إلى ذلك ، فأذن له في القدوم عليه ، وأخَرَ ما كان عزم عليه من مناجزة الفاجر انتظاراً منه قدوم لؤلؤ؛ وكان لؤلؤ مقيماً بالرّقة في جيش عظيم من الفراغنة والأتراك والرّوم والبربر والسودان وغيرهم ، من نخبة أصحاب ابن طولون؛ فلما ورد على لؤلؤ كتاب أبي أحمد بالإذن له في القدوم عليه ، شخص من ديار مضر حتى ورد مدينة السلام في جميع أصحابه ، وأقام بها مدّة ، ثم شخص إلى أبي أحمد فوافاه بعسكره يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم سنة سبعين ومئتين ، فجلس له أبو أحمد ، وحضر ابنه أبو العباس وصاعد والقوّاد على مراتبهم؛ فأدخِل عليه لؤلؤ في زيّ حسن ، فأمر أبو العباس أن ينزل معسكراً كان أعدّ له بإزاء نهر أبي الخصيب ، فنزله في أصحابه ، وتقدّم إليه في مباكرة المصير إلى دار الموفّق ، ومعه قوّاده وأصحابه للسلام عليه ، فغدا لؤلؤ يوم الجمعة لثلاث خلوْن من المحرّم ، وأصحابُه معه في السواد ، فوصل إلى الموفق وسلّم عليه فقرّبه وأدناه ، ووعده وأصحابه خيراً ، وأمر أن يخلع عليه وعلى خمسين ومئة قائد من قُوّاده ، وحمله على خيل كثيرة بالسُّروج واللجُم المحلاّة بالذهب والفضّة ، وحمِل بين يديه من أصناف الكسي والأموال في البدُور ما يحمله مئة غلام؛ وأمر لقوّاده من الصلات والحُملان والكُسى على قدر محلّ كلّ إنسان منهم عنده ، وأقطعه ضياعاً جليلة القدر ، وصرفه إلى عسكره بإزاء نهر أبي الخصيب بأجمل حال ، وأعِدّت له ولأصحابه الأنزال والعَلُوفات ، وأمره برفع جرائد لأصحابه بمبلغ أرزاقهم على مراتبهم؛ فرفع ذلك؛ فأمر لكلّ إنسان منهم بالضِّعف مما كان يجري له ، وأمر لهم بالعطاء عند رفع الجرائد ، ووفوْا ما رسم لهم.

ثم تقدّم إلى لؤلؤ في التأهب والاستعداد للعبور إلى غربيّ دِجْلة لمحاربة الفاسق وأصحابه؛ وكان الخبيث لما غُلِب على نهر أبي الخصيب، وقُطعت القناطر والجسور التي كانت عليه أحدث سَكراً في النهر من جانبيه، وجعل في وسط السَّكْر باباً ضيّقاً ليحتدّ فيه جرية الماء، فيمتنع الشَّذَا من دخوله في الجزْر، ويتعذّر خروجها منه في المدّ، فرأى أبو أحمد أنّ حربه لا تتهيأ له إلا بقلع هذا السَّكر، فحاول ذلك، فاشتدّت محاماة الفَسَقة عنه، وجعلوا يزيدون فيه في كلّ يوم وليلة، وهو متوسط دورهم، والمؤونة لذلك تسهل عليهم وتغلظ على مَنْ حاول قلعه.

فرأى أبو أحمد أن يحارب بفريق بعد فريق من أصحاب لؤلؤ، لِيَضْرَوا لمحاربة الزَّنْج، ويقفوا على المسالك والطرق في مدينتهم، فأمر لؤلؤاً أن يحضر في جماعة من أصحابه للحرب على هذا السَّكْر، وأمر بإحضار الفعَلة لقلعه، ففعل، فرأى الموفق من نجدة لؤلؤ وإقدامه وشجاعة أصحابه وصبرهم على ألم الجراح وثبات العدّة اليسيرة منهم، في وجوه الجمع الكثير من الزَّنْج ما سرّه، فأمر لؤلؤاً بصرْف أصحابه إشفاقاً عليهم، وضنّاً بهم، فوصلهم الموفق، وأحسن إليهم، وردّهم إلى معسكرهم، وألحّ الموفَّق على هذا السَّكْر؛ فكان يحارب المحامين عنه من أصحاب الخبيث بأصحاب لؤلؤ وغيرهم، والفعلة يعملون في قَلْعه، ويحارب الفاجرَ وأشياعه من عدّة وجوه، فيحرق مساكنهم، ويقتل مقاتلتَهم، ويستأمن إليه الجماعة من رؤسائهم.

وكانت قد بَقيتْ للخبيث وأصحابه أَرَضُون من ناحية نهر الغربيّ، كان لهم فيها مزارع وخُضَر وقنطرتان على نهر الغربيّ، يعبرون عليها إلى هذه الأَرَضين، فوقف أبو العباس على ذلك فقصد لتلك الناحية، واستأذن الموفق في ذلك، فأذن له، وأمره باختيار الرجال، وأن يجعلهم شجعاء أصحابه وغلمانه؛ ففعل أبو العباس ذلك، وتوجه نحو نهر الغربيّ، وجعل زِيرك كميناً في جمع من أصحابه في غربيّ النهر، وأمر رشيقاً غلامه أن يقصدَ في جمع كثير من أنجاد رجاله ومختاريهم للنهر المعروف بنهر العمَيْسيين؛ ليخرج في ظهور الزَّنْج وهم غارّون، فيوقع بهم في هذه الأرضين، وأمر زِيرك أن يخرج في وجوههم إذا أحسَّ بانهزامهم من رشيق.

وأقام أبو العباس في عدة شذوات قد انتخب مقاتلتها ، واختارهم في فوّهة نهرِ الغربيّ ، ومعه من غلمانه البِيضان والسودان عدد قد رضيَه؛ فلما ظهر رشيق للفجرة في شرقيّ نهر الغربيّ ، راعهم فأقبلوا يريدون العبور إلى غربيه ليهربوا إلى عسكرهم؛ فلما عاينهم أبو العباس اقتحم النَّهر بالشَّذَوات ، وبث الرَّجّالة على حافتَيْه ، فأدركوهم ، ووضعوا السيف فيهم ، فقتل منهم في النهر وعلى ضفّتيه خَلْق كثير ، وأسِر منهم أسرى ، وأفلت آخرون ، فتلقاهم زيرك في أصحابه فقتلوهم ، ولم يُفلت منهم إلاّ الشريد ، وأخذ أصحاب أبي العباس من أسلحتهم ما ثقل عليهم حمله؛ حتى ألقوا أكثره ، وقطع أبو العباس القنطرتيْن ، وأمر بإخراج ما كان فيهما من البُدود والخشب إلى دِجْلة وانصرف إلى الموفق بالأسارى والرؤوس ، فطِيف بها في العسكر ، وانقطع عن الفسقة ما كانوا يرتفِقُون به من المزارع التي كانت بنهر الغربيّ .

* * *

وفي ذي الحجة من هذه السنة ، أعني سنة تسع وستين ومئتين ـ أدخِل عيال صاحب الزّنج وولده بغداد .

وفيها سُمّيَ صاعد ذا الوزارتين .

* * *

وفي ذي الحجة منها كانت وقعة بين قائدين وجيش معهما لابن طولون كان أحدهما يسمّى محمد بن السراج والآخر منهما يعرف بالغَنويّ ، كان ابن طولون وجَّههما ، فوافيا مكة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي القعدة في أربعمئة وسبعين فارساً وألفَيْ راجل ، فأعطوا الجزّارين والحنّاطين دينارين دينارين ، والرؤساء سبعة سبعة ، وهارون بن محمد عامل مكة إذْ ذاك ببستان ابن عامر ، فوافى مكة جعفر بن الباغمرديّ لثلاث خَلَوْن من ذي الحجة في نحو من مئتي فارس ، وتلقّاه هارون في مئة وعشرين فارساً ومئتي أسود وثلاثين فارساً من أصحاب عمرو بن الليث ومئتي راجل ممّن قدم من العراق ، فقويَ بهم جعفر ، فالتقوْا هم وأصحاب ابن طولون ، وأعان جعفراً حاجُّ أهل خراسان ، فقتِل من أصحاب ابن طولون ببطن مكة نحو من مئتي رجل ، وانهزم الباقون في الجبال ، وسلبوا

دوابّهم وأموالهم ، ورفع جعفر السيف ، وحوى جعفر مضرب الغَنَوِيّ ، وقيل : إنه كان فيه مئتا ألف دينار ، وآمن المصريّين والحنّاطين والجزارين ، وقُرىء كتاب في المسجد الحرام بلعْن ابن طولون ، وسلِم الناس وأموال التجار(١) .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشميّ ، ولم يبرح إسحاق بن كنداج ـ وقد وُلِّيَ المغرب كله في هذه السنة ـ سامرّا حتى انقضت السنة(٢) .

* * *

ثم دخلت سنة سبعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

ففي المحرّم منها كانت وقعة بين أبي أحمد وصاحب الزّنج أضعفت أركان صاحب الزنج(٣) .

[ذكر الخبر عن قتل صاحب الزنج وأسْر من معه](٤)

وفي صفر منها قتل الفاجر ، وأسر سليمان بن جامع وإبراهيم بن جعفر الهمدانيّ واستريح من أسباب الفاسق .

ذكر الخبر عن هاتين الوقعتين :

قد ذكرنا قبلُ أمر السَّكر الذي كان الخبيث أحدثه ، وما كان من أمْر أبي أحمد وأصحابه في ذلك ، ذكر أن أبا أحمد لم يزل ملحّاً على الحرب على ذلك السَّكْر حتى تهيّأ له فيه ما أحبّ ، وسهل المدخل للشَّذَا في نهر أبي الخصيب في المدّ

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٣) .

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٢٢) .

(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٢٢٨) .

(٤) المصدر السابق نفسه .

والجزر ، وسهل لأبي أحمد في موضعه الذي كان مقيماً فيه كل ما أراده من رُخْص الأسعار وتتابع الميَر وحَمْل الأموال إليه من البلدان ورغبة الناس في جهاد الخبيث ومَنْ معه من أشياعه؛ فكان ممّن صار إليه من المطوّعه أحمد بن دينار عامل إيذَج ونواحيها من كُور الأهواز في جمع كثير من الفرسان والرّجّالة؛ فكان يباشر الحرب بنفسه وأصحابه إلى أن قُتل الخبيث ، ثم قدم بعده من أهل البحرين ـ فيما ذكر ـ خلق كثير ، زُهاء ألفي رجل ، يقودهم رجل من عبد القيس ، فجلس لهم أبو أحمد ، ودخل إليه رئيسهم ووجوههم؛ فأمر أن يُخلع عليهم؛ واعترض رجالهم أجمعين ، وأمر بإقامة الأنزال لهم ، وورد بعدهم زهاء ألف رجل من كُور فارس ، يرأسهم شيخ من المطوّعة يكنى أبا سلمة ، فجلس لهم الموفّق ، فوصل إليه هذا الشيْخ ووجوه أصحابه ، فأمر لهم بالخِلع ، وأقرّ لهم الأنزال ، ثم تتابعت المطوّعة من البلدان؛ فلما تيسر له ما أراد من السَّكْر الذي ذكرنا ، عزم على لقاء الخبيث ، فأمر بإعداد السفن والمعابر وإصلاح آلة الحرب في الماء وعلى الظَّهْر ، واختار مَنْ يثِق ببأسه ونجدته في الحرب فارساً وراجلاً؛ لضيق المواضع التي كان يحارب فيها وصعوبتها وكثرة الخنادق والأنهار بها؛ فكانت عِدّة مَنْ تخيّر من الفرسان زُهاء ألفي فارس ، ومن الرَّجالة خمسين ألفاً أو يزيدون ، سوى مَنْ عبر من المطوّعة وأهل العسكر ، ممّن لا ديوان له ، وخلّف بالموفقيّة من لم تتسع السفن بحمله جمّاً كثيراً أكثرهم من الفرسان.

وتقدّم الموفّق إلى أبي العباس في القصد للموضع الذي كان صار إليه في يوم الثلاثاء لعشر خلوْن من ذي القعدة سنة تسع وستين ومئتين من الجانب الشرقيّ بإزاء دار المهلبيّ في أصحابه وغلمانه ومَنْ ضمّهم إليه من الخيل والرجّالة والشَّذَا ، وأمر صاعد بن مخلَد بالخروج على النهر المعروف بأبي شاكر في الجانب الشرقيّ أيضاً ، ونظم القوّاد من مواليه وغلمانه من فُوّهة نهر أبي الخصيب إلى نهر الغربيّ ، وكان فيمن خرج من حدّ دار الكرنبائيّ إلى نهر أبي شاكر راشد ولؤلؤ مَوْلَيا الموفق في جمع من الفرسان والرّجالة زُهاء عشرين ألفاً ، يتلو بعضُهم بعضاً ، ومن نهر أبي شاكر إلى النهر المعروف بجوى كور جماعة من قوّاد الموالي والغلمان ، ثم من نهر جوى كور إلى نهر الغربيّ مثل ذلك. وأمر شبلاً أن يقصد في أصحابه ومَن ضُمّ إليه إلى نهر الغربيّ ، فيأتي منه موازياً لظهر دار المهلبيّ ، فيخرج من ورائها عند اشتباك الحرب ، وأمر الناس أن

يزحفوا بجميعهم إلى الفاسق؛ لا يتقدّم بعضهم بعضاً؛ وجعل لهم أمارة الزَّحْف تحريك علم أسود أمر بنصبه على دار الكرنبائي بفوّهة نهر أبي الخصيب في موضع منها مشيد عالٍ، وأن ينفخ لهم ببوق بعيد الصوت، وكان عبوره يوم الإثنين لثلاث ليال بقين من المحرّم سنة سبعين ومئتين، فجعل بعض مَن كان على النهر المعروف بجوى كور يَزْحف قبل ظهور العلامة؛ حتى قرب من دار المهلبيّ، فلقيه وأصحابه الزَّنْج فردُّوهم إلى مواضعهم، وقَتَلُوا منهم جمعاً، ولم يشعر سائر الناس بما حدَث على هؤلاء المتسرّعين للقتال لكثرتهم وبعد المسافة فيما بين بعضهم وبعض.

فلمّا خرج القوّاد ورجالهم من المواضع التي أمِرُوا بالخروج منها، واستوى الفرسان والرجّالة في أماكنهم، أمر الموفّق بتحريك العلَم والنفخ في البوق، ودخل النهر في الشَّذَا، وزحف الناس يتلو بعضهم بعضاً، فلقيَهم الزَّنج قد حشدوا وجمّوا واجترؤوا بما تهيأ لهم على من كان تسرع إليهم، فلقيهم الجيش بنيّات صادقة وبصائر نافذة، فأزالوهم عن مواضعهم بعد كرّات كانت بين الفريقين، صُرِع فيها منهم جمع كثير، وصبر أصحاب أبي أحمد، فمنّ الله عليهم بالنَّصر، ومنحهم أكتاف الفسقة، فولَّوْا منهزمين، وأتبعهم أصحاب الموفق، يقتلون ويأسرون، وأحاط أصحاب أبي أحمد بالفجرة من كلّ موضع، فقتل الله منهم في ذلك اليوم ما لا يحيط به الإحصاء، وغرق منهم في النهر المعروف بجوى كور مثل ذلك، وحوى أصحاب الموفّق مدينةَ الفاسق بأسرها، واستنقذوا مَنْ كان فيها من الأسرى من الرجال والنساء والصبيان، وظفروا بجميع عيال عليّ بن أبان المهلبيّ وأخويه الخليل ومحمد ابني أبان وسليمان بن جامع وأولادهم، وعبر بهم إلى المدينة الموفقيّة، ومضى الفاسق في أصحابه ومعه المهلبيّ وابنه أنكلاي وسليمان بن جامع وقوّاد من الزّنْج وغيرهم هُرَاباً، عامدين لموضع قد كان الخبيث رآه لنفسه ومَنْ معه ملجأ إذا غُلبوا على مدينته؛ وذلك على النهر المعروف بالسفيانيّ.

وكان أصحاب أبي أحمد حين انهزم الخبيث، وظفروا بما ظفروا به، أقاموا عند دار المهلبيّ الواغلة في نهر أبي الخصيب، وتشاغلوا بانتهاب ما كان في

الدار وإحراقها وما يليها ، وتفرّقوا في طلب النهب ، وكُلّ ما بقي للفاسق وأصحابه مجموعاً في تلك الدار .

وتقدم أبو أحمد في الشّذا قاصداً للنهر المعروف بالسفيانيّ ، ومعه لؤلؤ في أصحابه الفرسان والرجالة ، فانقطع عن باقي الجيش ، فظنُّوا أنه قد انصرف ، فانصرفوا إلى سفنهم بما حَوَوْا ، وانتهى الموفّق فيمن معه إلى معسكر الفاسق وأصحابه وهم منهزمون ، فاتبعهم لؤلؤ وأصحابُه حتى عبروا النهر المعروف بالسفيانيّ ، فاقتحم لؤلؤ النهر بفرسه ، وعَبَر أصحابه خَلْفه ، ومضى الفاسق حتى انتهى إلى النهر المعروف بالقريريّ ، فوصل إليه لؤلؤ وأصحابُه ، فأوقعوا به وبمَنْ معه ، فكشفوهم ، فولَّوْا هاربين وهم يتبعونهم ، حتى عَبَرُوا النهر المعروف بالقريريّ ، وعبر لؤلؤ وأصحابه خلفهم وألجؤوهم إلى النهر المعروف بالمساوان ، فعبروه واعتصموا بجبل وراءه .

وكان لؤلؤ وأصحابه الذين انفردوا بهذا الفعل دون سائر الجيش ، فانتهى بهم الجدّ في طلب الفاسق وأشياعه إلى هذا الموضع الذي وصفنا في آخر النهار ، فأمره الموفّق بالانصراف محمود الفعل ، فحمله الموفّق معه في الشَّذَا ، وجدّد له من البرّ والكرامة ورفع المرتبة ، لما كان منه في أمر الفسقة حسب ما كان مستحقّاً ، ورجَع الموفق في الشَّذَا في نهر أبي الخصيب وأصحاب لؤلؤ يسايرونه ، فلما حاذى دار المهلبيّ ، لم ير بها أحداً من أصحابه ، فعلم أنهم قد انصرفوا ، فاشتدّ غيظه عليهم ، وسار قاصداً لقصره ، وأمر لؤلؤ بالمضيّ بأصحابه إلى عسكره ، وأيقن بالفتح لما رأى من أمارته ، واستبشر الناس جميعاً بما هيأ الله من هزيمة الفاسق وأصحابه وإخراجهم عن مدينتهم ، واستباحة كلّ ما كان لهم من مال وذخيرة وسلاح ، واستنقاذ جميع من كان في أيديهم من الأسرى ، وكان في نفس أبي أحمد على أصحابه من الغيظ لمخالفتهم أمره ، وتركهم الوقوف حيث وقفهم ، فأمر بجمع قوّاد مواليه وغلمانه ووجوههم؛ فجُمعوا له ، فوبّخهم على ما كان منهم وعجّزهم ، وأغلظ لهم ، فاعتذروا بما توهّموا من انصرافه ، وأنهم لم يعلموا بمسيره إلى الفاسق ، وانتهائه إلى حيث انتهى من عسكره؛ وأنهم لو علموا ذلك لأسرعوا نحوه ، ولم يبرحوا موضعهم حتى تحالفوا وتعاقدوا على ألاّ ينصرف منهم أحد إذا توجهوا نحو الخبيث حتى

يظفرهم الله به؛ فإن أعياهم ذلك أقاموا بمواضعهم حتى يحكم الله بينهم وبينه، وسألوا الموفق أن يأمر بردّ السفن التي يعبرون فيها إلى الموفقيّة عند خروجهم منها للحرب، لتنقطع أطماع الذين يريدون الرجوع عن حرب الفاسق من ذلك، فجزاهم أبو أحمد الخير على تنصّلهم من خطئهم، ووعدهم الإحسان، وأمرهم بالتأهّب للعبور، وأن يعظوا أصحابهم بمثل الذي وُعِظوا به، وأقام الموفق بعد ذلك يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة لإصلاح ما يحتاج إليه؛ فلما كَمَل ذلك تقدّم إلى من يثِق به من خاصّته وقُوّاد غلمانه ومواليه، بما يكون عليه عملُهم في وقت عبورهم.

وفي عشيّ يوم الجمعة، تقدّم إلى أبي العباس وقوّاد غلمانه ومواليه بالنهوض إلى مواضع سمّاها لهم؛ فأمر أبا العباس بالقصد في أصحابه إلى الموضع المعروف بعسكر ريحان، وهو بين النهر المعروف بالسفيانيّ والموضع الذي لجأ إليه، وأن يكون سلوكه بجيشه في النهر المعروف بنهر المغيرة؛ حتى يخرج بهم في معترَض نهر أبي الخصيب، فيوافي بهم عسكَر ريحان من ذلك الوجه، وأنفذ قائداً من قوّاد غلمانه السودان وأمره أن يصير إلى نهر الأمير فيعترض في المَنصف منه، وأمر سائر قواده وغلمانه بالمبيت في الجانب الشرقي من دِجْلة بإزاء عسكر الفاسق متأهبين للغدوّ على محاربته، وجعل الموفق يطوف في الشَّذَا على القُوّاد ورجالهم في عشيّ يوم الجمعة وليلة السبت، ويفرّقهم في مراكزهم والمواضع التي رتَّبهم فيها من عسكر الفاسق، ليباكروا المصير إليها على ما رسم لهم.

وغدا الموفّق يوم السبت لليلتين خَلَتا من صفر سنة سبعين ومئتين، فوافى نهر أبي الخصيب في الشذا، فأقام بها حتى تكامل عبورُ الناس وخروجهم عن سفنهم، وأخذ الفرسان والرجّالة مراكزَهم، وأمر بالسفن والمعابر فُردّت إلى الجانب الشرقيّ، وأذن للناس في الزَّحف إلى الفاسق، وسار يقدمهم حتى وافى الموضع الذي قدّر أن يثبُت الفسقة فيه لمدافعة الجيش عنهم.

وقد كان الخائن وأصحابه لخبثهم رجعوا إلى المدينة يوم الإثنين بعد انصراف الجيش عنها، وأقاموا بها، وأمّلوا أن تتطاول بهم الأيام، وتندفع عنهم المناجزة، فوجد الموفّق المتسرعين من فرسان غلمانه، ورجّالتهم قد سبقوا أعظم الجيش، فأوقعوا بالفاجر وأصحابه وقعةً أزالوهم بها عن مواقفهم؛

فانهزموا وتفرَّقُوا لا يلوى بعضهم على بعض ، وأتبعهم الجيش يقتلون ويأسرون مَنْ لحقوا منهم ، وانقطع الفاسق في جماعة من حُماته من قُوّاد الجيش ورجالهم وفيهم المهلبيّ .

وفارقه ابنه أنكلاي وسليمان بن جامع ، فقصد لكلِ فريق ممّن سمّينا جمع كثيف من موالي الموفق وغلمانه الفرسان والرَّجّالة ، ولَقِيَ مَنْ كان رتبه الموفق من أصحاب أبي العباس في الموضع المعروف بعسكر ريحان المنهزمين من أصحاب الفاجر ، فوضعوا فيهم السلاح ، ووافى القائد المرتب في نهر الأمير ، فاعترض الفجرة ، فأوقع بهم ، وصادف سليمان بن جامع فحاربه ، فقتل جماعة من حُماته ، فظفر بسليمان فأسره ، فأتى به الموفق بغير عهد ولا عقد ، فاستبشر الناس بأسر سليمان ، وكَثُر التكبير والضجيج ، وأيقنوا بالفتح إذ كان أكثر أصحابه غَناء عنه ، وأسر بعده إبراهيم بن جعفر الهمدانيّ ـ وكان أحد أمراء جيوشه ـ وأسِر نادر الأسود المعروف بالحفار ، وهو أحد قدماء أصحاب الفاجر ـ فأمر الموفّق بالاستيثاق منهم وتصييرهم في شذاة لأبي العباس ، ففُعِل ذلك .

ثم إن الزَّنْج الذين انفردوا مع الفاسق عطفوا على الناس عطفة أزالوهم بها عن مواقفهم ، ففتروا لذلك ، وأحسّ الموفّق بفتورهم ، فجدّ في طلب الخبيث ، وأمعن في نهر أبي الخصيب ، فشدّ ذلك من قلوب مواليه وغلمانه وجدُّوا في الطلب معه .

وانتهى الموفّق إلى نهر أبي الخصيب ، فوافاه البشير بقتل الفاجر؛ ولم يلبث أن وافاه بشير آخر ومعه كفّ زعم أنها كفه ، فقويَ الخبر عنده بعض القُوّة ، ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركُض على فرس ، ومعه رأس الخبيث ، فأدناه منه ، فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قوّاد المستأمنة ، فعرَفوه فخرّ لله ساجداً على ما أولاه وأبلاه ، وسجد أبو العباس وقُوّاد موالي الموفق وغلمانِه شكراً لله ، وأكثروا حمد الله والثناء عليه، وأمر الموفَّق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه ، فتأمَّله الناس وعرفوا صِحة الخبر بقتله ، فارتفعت أصواتهم بالحمد لله .

وذكر أن أصحاب الموفق لما أحاطوا بالخبيث ، ولم يبقَ معه من رؤساء أصحابه إلا المهلبيّ ، ولّى عنه هارباً وأسلمه ، وقصد النهر المعروف بنهر الأمير ، فقذف نفسه فيه يريد النجاة ، وقبل ذلك ما كان ابن الخبيث أنكلاي فارق

أباه ، ومضى يؤمّ النهر المعروف بالدينارِيّ ، فأقام فيه متحصّناً بالأدغال والآجام ، وانصرف الموفق ورَأس الخبيث منصوب بين يديه على قناة في شَذاة ، يخترق بها نهر أبي الخصيب ، والناس في جنبتي النهر ينظرون إليه حتى وافى دِجْلة ، فخرج إليها فأمر بردّ السفن التي كان عبر بها في أول النهار إلى الجانب الشرقي من دِجْلة ، فرُدّت ليعبر الناس فيها.

ثم سار ورأسُ الخبيث بين يديه على القناة ، وسليمان بن جامع والهمدانيّ مصلوبان في الشَّذَا ، حتى وافى قصرَه بالموفقيّة ، وأمَر أبا العباس بركوب الشذا وإقرار الرأس وسليمان والهمدانيّ على حالهم والسير بهم إلى نهر جَطًّى ، وهو أوّل عسكر الموفق ، ليقع عليهم عيون الناس جميعاً في العسكر ، ففعل ذلك وانصرف إلى أبيه أبي أحمد ، فأمر بحبس سليمان والهمدانيّ وإصلاح الرأس وتنقيته.

وذكر أنه تتابع مجيء الزَّنج الذين كانوا أقاموا مع الخبيث وآثروا صحبته ، فوافى ذلك اليوم زُهاء ألف منهم ، ورأى الموفق بذل الأمان ، لما رأى من كثرتهم وشجاعتهم ، لئلا تبقى منهم بقية تُخاف معرّتها على الإسلام وأهله ، فكان من وافَى من قُوّاد الزَّنج ورجالهم في بقية يوم السبت وفي يوم الأحد والإثنين زُهاء خمسة آلاف زنجيّ ، وكان قد قُتِل في الوقعة وغرق وأسِر منهم خَلْقٌ كثير لا يوقَف على عددهم ، وانقطعت منهم قطعة زهاء ألف زِنجيّ مالوا نحو البرّ ، فمات أكثرهم عطشاً ، فظفر الأعراب بمَنْ سلم منهم واسترقّوهم.

وانتهى إلى الموفَّق خبر المهلبيّ وأنكلاي ومقامهما بحيث أقاما مع مَنْ تبعهما من جِلَّة قُوّاد الزَّنْج ورجالهم ، فبث أنجاد غلمانه في طلبهم ، وأمرهم بالتضييق عليهم؛ فلما أيقنوا بأن لا ملجأ لهم أعْطَوْا بأيديهم ، فظفر بهم الموفَّق وبمَنْ معهم ، حتى لم يشذَّ أحد ، وقد كانوا على نحو العِدَّة التي خرجت إلى الموفق بعد قتل الفاجر في الأمان ، فأمر الموفق بالاستيثاق من المهلبيّ وأنكلاي وحبسهما ، ففعل.

* * *

وكان فيمن هرب من عسكر الخبيث يوم السبت ولم يركن إلى الأمان قرطاس

الذي كان رمى الموفق بالسهم ، فانتهى به الهرب إلى رامَهُرْمز ، فعرفه رجل قد كان رآه في عسكر الخبيث فدلّ عليه عامل البلد ، فأخذه وحمله في وَثاق ، فسأل أبو العباس أباه أن يوليه قتلَه فدفعه إليه فقتله.

* * *

[ذكر خبر استئمان درمويه الزنجيّ إلى أبي أحمد]

وفيها استأمن درمويه الزنجيّ إلى أبي أحمد ، وكان درمويه هذا ـ فيما ذكر ـ من أنجاد الزَّنْج وأبطالهم ، وكان الفاجر وجَّهه قبل هلاكه بمدة طويلة إلى أواخر نهر الفَهْرَج ، وهي من البصرة في غربّي دجلة ، فأقام هنالك بموضع وَعْر كثير النخل والدَّغل والآجام متصل بالبَطِيحة ، وكان درمويه ومَنْ معه هنالك يقطعون على السابلة في زواريق خِفاف وسُميريّات اتَّخذوها لأنفسهم ، فإذا طلبهم أصحاب الشَّذَا ولجوا الأنهار الضيّقة ، واعتصموا بمواضع الأدغال منها ، وإذا تعذَّر عليهم مسلك نَهر منها لضيقها خرجوا من سفنهم وحملوها على ظهورهم ، ولجؤوا إلى هذه المواضع الممتنعة.

وفي خلال ذلك يُغيرون على قرى البَطِيحة ومَا يليها ، فيقتلون ويسلبون مَنْ ظفروا به؛ فمكث درمويه ومَنْ معه يفعلون هذه الأفعال إلى أن قتِل الفاجر وهم بموضعهم الذي وصفنا أمره ، لا يعلمون بشيء مما حدث على صاحبهم ، فلما فُتح بقتل الخبيث موضعه ، وأمن الناس وانتشروا في طلب المكاسب وحمل التجارات ، وسلكت السابلة دِجْلة ، أوقع درمويه بهم ، فقتل وسلب ، فأوحش الناس ذلك ، واشرأبّ لمثل ما فيه درمويه جماعة من شرار الناس وفُسَّاقهم ، وحدّثوا أنفسهم بالمصير إليه وبالمقام معه على مثل ما هو عليه ، فعزم الموفق على تسريح جيش من غلمانه السودان ، ومَنْ جرى مجراهم من أهل البَصَر بالحرب في الأدغال ومضايق الأنهار ، وأعدّ لذلك صغار السفن وصنوف السلاح؛ فبينا هو في ذلك وافى رسول لدرمويه يسأل الأمان له على نفسه وأصحابه ، فرأى الموفق أن يؤمّنه ليقطع مادّة الشرّ الذي كان فيه الناس من الفاجر وأشياعه.

وذُكر: أن سبب طلب درمويه الأمان كان أنه كان فيمن أوْقع به قومٌ ممن خرج

من عسكر الموفق للقصد إلى منازلهم بمدينة السلام ، فِيهم نسوة ، فقتلهم وسلبهم ، وغلب على النسوة اللاتي كنّ معهم؛ فلما صِرْن في يده بحثهنّ عن الخبر ، فأخبرنه بقتل الفاسق والظفر بالمهلبيّ وأنكلاي وسليمان بن جامع وغيرهم من رؤساء أصحاب الفاسق وقوّاده ومصير أكثرهم إلى الموفق في الأمان وقبوله إياهم وإحسانه إليهم؛ فأسقِط في يده ، ولم ير لنفسه ملجأ إلاّ التعوّذ بالأمان ومسألة الموفق الصفح عن جُرْمه ، فوجَّه في ذلك ، فأجيب إليه ، فلما ورد عليه الأمان خرج وجميع من معه حتى وافى عسكر الموفق ، فوافت منهم قطعة حسنة كثيرة العدد لم يصبها بؤس الحِصار وضرّه مثل ما أصاب سائر أصحاب الخبيث ، لما كان يصل إليهم من أموال الناس وميرهم.

فذكر : أن درمويه لما أومن وأحسن إليه وإلى أصحابه ، أظهر كلّ ما كان في يده وأيديهم من أموال الناس وأمتعتهم ، وردّ كلّ شيء منه إلى أهله ردّاً ظاهراً مكشوفاً ، فووفِق بذلك على إنابته ، فخلع عليه وعلى وجوه أصحابه وقُوّاده ، ووصِلوا ، فضمهم الموفق إلى قائد من قُوّاد غلمانه ، وأمر الموفّق أن يكتب إلى أمصار الإسلام بالنّداء في أهل البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة وأهل الأهواز وكورَها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزَّنج بقتل الفاسق ، وأن يُؤمَروا بالرجوع إلى أوطانهم ، ففُعل ذلك ، فسارع الناس إلى ما أمِرُوا به ، وقدموا المدينة الموفقيّة من جميع النواحي.

وأقام الموفّق بعد ذلك بالموفقّية ليزداد الناس بمقامه أمناً وإيناساً ، وولّى البصرة والأبُلّة وكُور دِجْلة رجلاً من قُوّاد مواليه قد كان حمِد مذهبه ، ووقف على حسن سيرته ، يقال له العباس بن تركس؛ فأمره بالانتقال إلى البصرة والمقام بها.

وولّى قضاء البصرة والأبُلّة وكُورِ دَجْلة ، وواسط محمد بن حماد.

وقدّم ابنه أبا العباس إلى مدينة السلام ، ومعه رأس الخبيث صاحب الزّنْج ليراه الناس ، فاستبشروا ، فنفذ أبو العباس في جيشه حتى وافى مدينة السلام يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة ، فدخلها في أحسن زيّ ، وأمر برأس الخبيث فسِير به بين يديه على قناة ، اجتمع الناس لذلك.

وكان خروج صاحب الزنج في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومئتين ، وقتِل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين

ومئتين ، فكانت أيّامه من لدن خرج إلى اليوم الذي قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ، وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ست وخمسين ومئتين ، وكان دخوله البصرة وقتله أهلها وإحراقه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ومئتين .

فقال ـ فيما كان من أمر الموفق ، وأمْر المخذول ـ الشعراء أشعاراً كثيرة (١).

---

(١) هذه نهاية حركة صاحب الزنج وقد قتل غير مأسوف عليه بعد سفكه لدماء كثيرة وهتكه لأعراض طاهرة وحرقه لبيوت وهدمه . . . . إلخ .
وقد ظهر حوالي سنة ٢٥٥ هـ وانتهى أمره سنة ٢٧٠ هـ ـ وهذه السنوات حافلة بأحداث ومعارك ومصائب بسبب هذه الحركة ويعتبر تأريخ الطبري مصدراً هاماً من مصادر معلوماتنا عن هذه الحركة الضالة للأسباب التالية :
١ ـ انفرد الطبري بذكر جلّ التفاصيل ضمن وقائع وأحداث تلك الصولات والجولات من حين ظهورها إلى حين اختفائها .
٢ ـ ومما يضفي أهمية على هذه التفاصيل كذلك أن الطبري قد عاصر تلك الأحداث وإن لم يشارك في تلك المعارك وهو مؤرخ ثقة .
٣ ـ التقى الطبري أحياناً ببعض الشهود وأخذ عنهم هذه التفاصيل .
وعلى أية حالٍ فإن هذه التفاصيل لا تخلو من مبالغات وأوهام نقلها الطبري وأداها كما سمعها .
إلاّ أن المفاصل الرئيسة من هذه الأحداث والتي لا تخفى على العامة والخاصة فصحيحة كدخول الزنج البصرة سنة ست وخمسين والعبث فيها والإكثار من القتل والسلب والنهب وشراسة المعارك التي جرت بين الطرفين ثم بناء المتوكل لبلدة قريبة من أرض المعركة ثم إعداده العدة وقطعه لطرق المؤونة على صاحب الزنج المقيم في مدينته (المختارة) وصبر المتوكل وطول نفسه في حربه تلك حتى نصره الله في نهاية المطاف وانهزم صاحب الزنج مقبوحاً مرذولاً .
وأما عن نسبه فقد قال ابن خلدون (العلامة المؤرخ) في تأريخه : (وقال الطبري وابن حزمٍ وغيره من المحققين : إنه من عبد القيس واسمه علي بن عبد الرحيم من قرية من قرى الري ورأى كثرة خروج الزيدية فحدثته نفسه بالتوثب فانتحل هذا النسب ويشهد لذلك أنه كان على رأي الأزارقة من الخوارج ولا يكون ذلك من أهل البيت) [تأريخ ابن خلدون / ٣/ ٣٧٧].
وكان خروج صاحب الزنج آخر رمضان سنة خمس وخمسين وقتله أول صفر سنة سبعين لأربع عشرة سنة وأربعة أشهر من دولته كما قال ابن خلدون [٣/ ٤١٠].
وأصل الكلام عند الطبري [تأريخ الطبري ٩/ ٦٦٣] وانظر المنتظم [١٢/ ٢٣٥] والبداية والنهاية [٨/ ٢٤٣] ولعلّ من أهمّ أسباب خروجه اضطراب أمر الخلافة وضعف الخليفة

ما قيل في ذلك قول يحيى بن محمد الأسلميّ:

أقولُ وقد جاءَ البشيرُ بوقعةٍ أَعَزَّتْ من الإسلامِ ما كان واهِيا
جَزَى اللهُ خيرَ النَّاسِ للناسِ بَعْدَما أُبيح حِمَاهمْ خيرَ ما كان جازيا
تَفَرَّد إذ لم ينصر الله ناصرٌ بتجديدِ دينٍ كان أَصبح بالِيا
وتشديدِ ملك قد وَهَى بعد عزِّه وإدراكِ ثَاراتٍ تبير الأَعادِيا
ورَدِّ عِمارات أُزيلتْ وأُخْربتْ ليرجع فيء قد تخُرِّم وافِيا
ويرجعَ أَمْصارٌ أُبيحتْ وأُحْرقَتْ مِراراً فقد أَمست قِوَاءً عوافيا
ويُشفَى صدور المؤمنينَ بوقعةٍ يقرُّ بها منا العيونَ البواكيا
ويُتلى كتاب اللهِ في كل مسجدٍ ويُلقى دعاءُ الطالبيّين خاسِيَا
فأعَرَض عن أَحبابهِ ونعيمِهِ وعن لذةِ الدنيا وأقبلَ غازِيا

في قصيدة طويلة، ومن ذلك أيضاً قوله:

أينَ نجومُ الكاذِب المارِق ما كان بالطِّبِّ ولا الحاذقِ
صبَّحَهُ بالنحْسِ سعدٌ بدَا لسيّدٍ في قولِهِ صادقِ
فخرّ في مأْزِقِه مسلَماً إلى أُسُودِ الغابِ في المازِقِ
وذاق من كأْسِ الردَى شرْبة كريهةَ الطعْم على الذائِق

وقال فيه يحيى بن خالد:

= وانهيار شوكته وسيطرة قادة الترك على الأمور بل اختلافهم فيما بينهم واقتتالهم فيما بينهم وصراعهم على السلطة وانحسار سلطة الخليفة وما أدى ذلك إلى فراغ سياسي وبلبلة وهرج ومرج فاستغل صاحب الفكر الخبيث (بهبوذ) صاحب الزنج هذا الوضع المتردي مع أسباب أخرى تتعلق بمعاش الزنج في منطقة الأهوار والمستنقعات جنوبي العراق، وليس في دعوة صاحب الزنج أية فكرة اشتراكية وما إلى ذلك بل كان يمنّي أصحابه وأتباعه بأن يكونوا أصحاب رقٍ وعبيد ثم كان الزنجي منهم أحياناً يمتلك عشرات من النساء العربيات وامتلك هو ومن حوله كثيراً من النساء العلويات واختص هو ومن حوله دون جنده بكميات خيالية من الذهب والمجوهرات والمال... إلخ.
وادعى معرفة الغيب وما إلى ذلك كما قال الحافظ السيوطي (وكان ادعى أنه أرسل إلى الخلق فردّ الرسالة، وأنه مطلع على المغيبات) (تأريخ الخلفاء/ ٤١١) والملاحظ أن أتباعه جلّهم من الجهلة كما قال ابن كثير (فتبعه على ذلك جهلة من الطّغام وطائفة من رعاع الناس العوام) البداية والنهاية (٨/ ٢٢٦).

يابنَ الخلائفِ من أَرومَةِ هاشمٍ   والغامرينَ الناسَ بالإفضالِ
والذائدينَ عن الحريم عدوّهم   والمعلِمينَ لكل يوم نِزالِ
ملِكٌ أعادَ الدينَ بعدَ دروسِه   واستنقذ الأَسْرَى من الأغلالِ
أَنت المُجيرُ من الزمانِ إذا سَطَا   وإليك يَقصِدُ راغبٌ بسؤالِ
أطفأْتَ نِيرانَ النفاقِ وقد علتْ   يا واهِبَ الآمال والآجالِ
للهِ درُّكَ من سَليلِ خلائفٍ   ماضِي العزيمةِ طاهرِ السِّرْبالِ
أَفنيتَ جمعَ المارقينَ فأصبحوا   متلَدِّدِينَ قد أيقنوا بزوالِ
أمْطرْتهم عزماتِ رأيٍ حازمٍ   ملأَتْ قلوبَهُمُ مِنَ الأَهْوالِ
لمّا طَغَى الرجسُ اللعينُ قصدته   بالمَشرَفِيِّ وبالقَنَا الجوّالِ
وتركتَهُ والطيرُ يحْجُلُ حولهُ   مُتقطِّعَ الأوداجِ والأَوصالِ
يَهوِي إلى حَرّ الجحيمِ وقعرِها   بسلاسل قد أوهنَتْه ثِقالِ
هذا بما كسبتْ يداهُ وما جنَى   وبما أتى من سيىء الأعمالِ
أقررْتَ عينَ الدينِ ممّن قادَهُ   وأدَلْتَهُ مِنْ قاتلِ الأطفالِ
صال الموفَّقُ بالعراقِ فأفزعتْ   مَنْ بالمغاربِ صولةُ الأبطالِ

وفيه يقول أيضاً يحيى بن خالد بن مروان:

أَبِنْ لي جواباً أيُّها المَنزلُ القفرُ   فلا زال مُنهلاً بساحاتِكَ القطرُ
أَبِنْ لي عن الجيرانِ أَين تحمَّلوا   وهل عادَتِ الدنيا، وهل رجعَ السَّفرُ!
وكيف تجيبُ الدارُ بعد دروسها   ولم يبقَ من أَعلامِ ساكنِها سَطْرُ
منازلُ أبكاني مَغَانِيُّ أهلَها   وضاقت بي الدينا وأَسلَمني الصبْرُ
كأنَّهُمُ قومٌ رغا البكرُ فيهمُ   وكان على الأيامِ في هُلكِهم نُذرُ
وعاثَتْ صُرُوفُ الدهر فيهم فأسرعت   وشَرُّ ذوي الأصعادِ ما فعل الدهرُ
فقد طابت الدينا وأَينَعَ نَبْتُها   بيُمْنِ وليّ العهدِ وانقلب الأمر
وعاد إلى الأوطانِ مَنْ كان هارباً   ولم يبق للملعون في موضع إثْرُ
بسيف ولي العَهْد طالت يدُ الهدى   وأَشْرَق وجْهُ الدين واصطُلم الكُفر
وجاهَدَهم في اللهِ حقَّ جِهادِهِ   بنفسٍ لها طولُ السلامة والنصرُ

وهي طويلة.

وقال يحيى بن محمد:

عنّي اشتغالَك إني عنكِ في شَغَلِ ... لا تعذُلي مَنْ به وقْرٌ عن العذَلِ
لا تعذُلي في ارتحالي إنني رجلٌ ... وقفٌ على الشَّدِّ والأسفارِ والرِّحَلِ
فيمَ المُقامُ إذا ما ضاقَ بي بلدٌ ... كأنني لحجالِ العِينِ والكِلَلِ
ما استيقظتْ همّةٌ لم تلفِ صاحبها ... يَقظان قَدْ جانَبَتْهُ لذةُ المُقَلِ
ولم يبتْ أَمِناً من لم يبتْ وجِلاً ... مِنْ أَنْ يبيتَ له جار على وَجَلِ

وهي أيضاً طويلة.

وفي هذه السنة في شهر ربيع الأول منها، ورد مدينةَ السلام الخبرُ: أن الرّوم نزلت بناحية باب قلَمْيَة على ستة أميال من طَرَسُوس؛ وهم زهاء مئة ألف، يرأسهم بِطْريق البطارقة أندرياس، ومعه أربعة أخَرُ من البطارقة، فخرج إليهم يازمانُ الخادم ليلاً، فبيّتهم، فقُتِل بِطريق البطارقة وبِطريق القبَاذيق وبطريق الناطُلق، وأفلت بِطريق قرّة وبه جراحات، وأخِذ لهم سبعة صلبان من ذهب وفضة، فيها صليبهم الأعظم من ذهب مكلّل بالجوهر، وأخِذ خمسة عشر ألف دابة وبغل، ومن السروج نحو من ذلك، وسيوف محلاّة بذهب وفضة وآنية كثيرة، ونحو من عشرة آلاف علم ديباج، وديباج كثير وبِزْيون ولُحُف سُمُور، وكان النفير إلى أندرياس يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول، فكبِس ليلاً وقتل من الروم خلق كثير، فزعم بعضهم أنه قتل منهم سبعون ألفاً(١).

وفيها تُوفِّيَ هارون بن أبي أحمد الموفق بمدينة السلام يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الأولى.

ولستٍّ خلون من شعبان منها، ورد الخبرُ بموت أحمد بن طولون مدينةَ السلام ـ فيما ذكر. وقال بعضهم: كانت وفاته يوم الإثنين لثمان عشرة مضت من ذي القعدة منها(٢).

وفيها مات الحسن بن يزيد العَلَويّ بطبرستان، إما في رجب، وإما في شعبان.

وللنصف من شعبان دخل المعتمد بغداد، وخرج من المدينة حتى نزل بحذاء

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٢٩).
(٢) انظر وفيات الأعيان (١/ ٥٥) والنجوم الزاهرة (١/ ٣٧) وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٩٤).

قُطُربلّ في تعبية ، ومحمد بن طاهر يسير بين يديه بالحربة ، ثم مضى إلى سامُرّا .

وفيها كان فداء أهل ساتِيدَما على يدي يازمان في سَلْخ رجب منها .

وفي يوم الأحد لِتسْع بَقِين من شعبان من هذه السنة شغَب أصحابُ أبي العباس بن الموفق ببغداد على صاعد بن مخلد ، وهو وزير الموفق ، فطلبوا الأرزاق ، فخرج إليهم أصحاب صاعد ليدفعوهم ، فصارت رجّالة أبي العباس إلى رحْبة الجسر ، وأصحاب صاعد داخل الأبواب بسوق يحيى ، واقتتلوا ، فقتِل بينهم قتلى ، وجُرحت جماعة ، ثم حجز بينهم الليل ، وبكَروا من الغد ، فوضِع لهم العطاء واصطلحوا .

وفي شوال منها كانت وقعة بين إسحاق بن كُنْداج وابن دعباش ، وكان ابن دعباش على الرَّقة وأعمالها ، وعلى الثغور والعواصم من قِبَل ابن طولون ، وابن كُنْدَاج على المَوْصِل من قِبَل السلطان .

وفيها انبثق ببغداد في الجانب الغربيّ منها من نهر عيسى من الياسرية بَثْقٌ ، فغرّق الدباغين وأصحاب الساج بالكرخ ، ذكر أنه دقّ سبعة آلاف دار ونحوها .

وقتِل في هذه السنة ملك الروم المعروف بابن الصقلبيّ[١] .

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشميّ بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس[٢] .

* * *

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٢٩).

(٢) المصدر السابق نفسه .

مقدمة صغيرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد كتبنا في مقدمة المجلد الأول فصولاً في منهج الطبري ومصادره ومالَهُ وما عليه وأوضحنا بعضاً من معالم منهجنا في تخريج روايات الطبري فليراجع.

وقد رأينا كتابة مقدمة صغيرة وخاصة في بداية كل مجلد من مجلدات الطبري أو بداية مرحلة معينة على الأقل - وما تبقى من تأريخ الطبري (الذي ينتهي بأحداث سنة ٣٠٢ هـ/ ١٠/ ١٥١) هو امتداد لمنهج الطبري في المجلد التاسع وقد كتبنا مقدمة قصيرة في بداية تعليقاتنا ضمن أحداث سنة (٢٤٧ هـ - خلافة المتوكل - أي في (٩/ ٢٣٥).

وذكرنا فيه كيفية تعاملنا مع مرويات الطبري التأريخية المتعلقة بهذه الحقبة الزمنية ومنهجنا هذا امتداد لسابقه هناك؛ إلاّ أننا أردنا أن نضيف شيئاً لم نذكره هناك، فنقول وبالله التوفيق:

من الواضح تماماً أن الطبري كان رجلاً متكاملاً من الناحية الذهنية وقوة الحافظة وحضور البديهة وكان إماماً مؤرخاً ثقة - معاصراً لما سجّله من أحداث العقود الأخيرة من القرن الهجري الثالث ولكنه وللأسف الشديد لم يسجّل شهاداته الشخصية ومشاهداته اليومية سواء كان في بغداد (حاضرة الخلافة) أو مصر أو الحجاز وغيرها من بلاد المسلمين - ولاشك أنه عايش جانباً هاماً من تلك الأحداث إلاَّ أنه سجّلها بصيغة توحي أنه أخذ جلَّها عن الآخرين ولعلَّه أحياناً يروي عن شهود عيان ولو سجّل تلك الوقائع بصيغة أخرى كما ذكرنا لكان لها أهمية تفوق صيغتها المعروفة والله أعلم.

ولو قرأنا لغيره من معاصريه وهو يسجّل أحداث ووقائع تلك العقود؛ لتبيّن لنا

أن الطبري عايشها عن قرب وكان له رأي خاص في الأحداث الجسام يومها إلاّ أنه لم يسجّلها في تأريخه ولم يودعها صفحاته.

وسنضرب مثالاً واحداً على ذلك:

قال المعافى بن زكريا الجريري وهو يتحدث عن وقائع سنة ٢٩٦ هـ لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا على شيخنا محمد بن جرير الطبري فقال: ما الخبر؟ قيل: بويع ابن المعتز: قال: فمن رشح للوزارة؟

قيل: محمد بن داود، قال فمن ذكر للقضاء؟ قيل: أبو المثنى فأطرق ثم قال: هذا الأمر لا يتمّ، قيل له: وكيف؟ قال: كل واحد ممن سمّيتهم متقدم في معناه عالي الرتبة والزمان مدبرُ والدنيا مولية، وما أرى هذا إلاّ إلى اضمحلال، وما أرى لمدته طولاً [تأريخ الخلفاء/ ٤٢٦/ ط المكتبة العصرية] فهذا كلامه ورأيه في الأحداث لم نر له أثراً في تأريخه فقد وقف بأعصاب باردة رحمه الله أمام تلك الأحداث وهو يسجّلها فلعله أراد بذلك أن يكون مؤرخاً محايداً تماماً أميناً في نقل الأحداث دون أن يشوبها برأيه الخاص والله تعالى أعلم.

* * *

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومئتين

وأولها يوم الإثنين للتاسع والعشرين من حزيران ، ولخمس وتسعين ومئة وألف من عهد ذي القرنين.

* ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة:

فمن ذلك ما كان فيها من ورود الخبر في غُرّة صفر بدخول محمد وعليّ ابني الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن حسين المدينة وقتلهما جماعة من أهلها ومطالبتهما أهلها بمال ، وأخذهما من قوم منهم مالاً ، وأنّ أهل المدينة لم يصلّوا في مسجد رسول الله ﷺ أربع جمع؛ لا جمعة ولا جماعة ، فقال أبو العباس بن الفضل العَلَويّ[1].

أُخْرِبَتْ دارُ هجرةِ المصطفى البـ ـرِّ فأَبكى إخرابُها المسلمينَا
عينُ فابكى مقام جبريلَ والقبـ ـرَ فبكِّي المِنْبَرَ المَيْمُونا
وعلى المسجد الذي أُسُّه التّقـ ـوى خَلاءً أَضْحَى من العابدينا
وعلى طَيْبَةَ التي بارك اللـ ـهُ عليها بخاتَم المرسَلِينا
قبَّح اللهُ معشراً أَخربُوها وأطاعوا متبَّراً ملعونا

وفيها أدخِل على المعتمد مَنْ كان حضر بغداد من حاجِّ خراسان ، فأعلمهم أنه قد عزل عمرو بن الليث عما كان قلّده ، ولعنه بحضرتهم ، وأخبرهم أنه قد قلّد خراسانَ محمد بن طاهر؛ وكان ذلك لأربع بَقِين من شوّال[2] وأمر أيضاً بلعن عمرو بن الليث على المنابر ، فلُعن.

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٣).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٣) و(١٢/ ٢٤٤).

ولثمان بقين من شعبان من هذه السنة شخص صاعد بن مخلَد من معسكر أبي أحمد بواسط إلى فارس لحرب عمرو بن الليث[١].

ولعشر خلوْن من شهر رمضان منها عُقِد لأحمد بن محمد الطائيّ على المدينة وطريق مكة[٢].

وفيها كانت بين أبي العباس بن الموفَّق وبين خمارويه بن أحمد بن طولون وقعة بالطَّواحين، فهزَم أبو العباس خمارويه، فركب خمارويه حماراً هارباً منه إلى مصر، ووقع أصحاب أبي العباس في النهب، ونزل أبو العباس مضرب خمارَوَيْه، ولا يرى أنه بقي له طالب، فخرج عليه كمين لخمارويه كان كمَّنه لهم خمارويه، وفيهم سعد الأعسر وجماعة من قُوّاده وأصحابه، وأصحابُ أبي العباس قد وضعوا السلاح ونزلوا، فشدّ كمين خمارويه عليهم فانهزموا، وتفرّق القوم، ومضى أبو العباس إلى طَرَسوس في نفر من أصحابه قليل، وذهب كلّ ما كان في العسكرين؛ عسكر أبي العباس وعسكر خمارويْه من السلاح والكُراع والأثاث والأموال، وانتُهب ذلك كله؛ وكانت هذه الوقعة يوم السادس عشر من شَوّال من هذه السنة ـ فيما قيل[٣].

وفيها وَثب يوسف بن أبي الساج ـ وكان والي مكة ـ على غلام للطائيّ يقال له: بدر، وخرج والياً على الحاجّ فقيّده، فحارب ابن أبي الساج جماعةٌ من الجند، وأغاثهم الحاجُّ حتى استنقذوا غلام الطائيّ، وأسروا ابن أبي الساج، فقُيّد، وحُمل إلى مدينة السلام، وكانت الحرب بينهم على أبواب المسجد الحرام[٤].

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٣).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٣).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٣) فقد ذكر الخبر مع ذكر لبعض التفاصيل.
(٤) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٣) فقد ذكر الخبر كما عند الطبري ثم أردف الخبر برواية مسندة عن أبي بكر الآدمي قال: لما أدخل مؤنس أبا القاسم بن أبي الساج أسيراً خرجت إلى تلقيه على فراسخ ودخلت بغداد معه فقال لي لما قربنا: إذا كان غداً فإني سأركب ابن أبي الساج وأشهره فأركب بين يديه فقلت السمع والطاعة فلما كان من الغد شهر ابن أبي الساج ببرنس فبدأت، فقرأت ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. . . . الخبر وفيه: فلما كان بعد أيام رضي عنه السلطان شفاعة مؤنس فأطلقه إلى داره. . إلى آخر الخبر المنتظم/ ١٢/ ٢٤٤/.

وفيها خرّبت العامة الدَّيْر العتيق الذي وراء نهر عيسى ، وانتهبوا كلّ ما كان فيه من متاع ، وقلعوا الأبواب والخشب وغير ذلك ، وهدموا بعض حيطانه وسقوفه؛ فصار إليهم الحسين بن إسماعيل صاحب شُرطة بغداد من قِبَل محمد بن طاهر ، فمنعهم من هدْم ما بقي منه؛ وكان يتردّد إليه أياماً هو والعامة؛ حتى يكاد يكون بين أصحاب السلطان وبينهم قتال ، ثم بنى ما كانت العامة هدمتْه بعد أيام ، وكانت إعادة بنائه ـ فيما ذكر ـ بقوّة عبدُون بن مَخْلَد؛ أخي صاعد بن مَخْلَد[١] .

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى العباسيّ[٢] .

* * *

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومئتين

أولها يوم الجمعة للثامن عشر من حَزِيران ، سنة ست وتسعين ومئة وألف لذي القرنين .

* ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث :

فمما كان فيها من ذلك إخراجُ أهل طَرَسوس أبا العباس بن الموفّق من طَرَسوس؛ لخلاف كان وقع بينه وبين يازَمان؛ فخرج عنها يريد بغداد للنصف من المحرَّم من هذه السنة[٣] .

وفيها تُوُفِّيَ سليمان بن وهب في حبس الموفّق يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة بقيت من صفر[٤] .

وفيها تجمّعت العامة ، فهدموا ما كان بُنِيَ من البيعة يوم الخميس لثمان خَلَوْن من شهر ربيع الآخر[٥] .

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٦) .
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٥) .
(٣) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٧) .
(٤) انظر لوفاة سليمان بن وهب وفيات الأعيان (٢/ ٤١٥) والمنتظم (١٢/ ٢٤٩) .
(٥) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٩) .

وفيها حكَّم شارٍ في طريق خُراسان، وصار إلى دَسْكَرة المَلك، فقتل وانتهب.

وفيها ورد الخبر مدينة السلام بدخول حَمْدان بن حمدون وهارون الشاري مدينةَ الموصِل، وصلّى الشاري بهم في مسجد الجامع (١).

وفيها قدم أبو العباس بن الموّفق بغداد منصرفاً من وقعته مع ابن طولون بالطواحين لتسع بقين من جمادى الآخرة.

وفيها نُقِبَ المطبَق من داخله، وأخرِج الذوائبيّ العلويّ ونفسان معه، وكانوا قد أعِدّت لهم دوابّ توقف في كل ليلة ليخرجوا فيركبوها هاربين، فنُذِر بهم، وغُلِّقت أبواب مدينة أبي جعفر المنصور، فأخِذَ الذوائبيُّ ومَنْ خَرَج معه، وركب محمد بن طاهر، وكتِب بالخبر إلى الموفَّق وهو مقيم بواسط، فأمر أن تُقْطع يد الذوائبيّ ورجله من خلاف، فقُطع في مجلس الجَسْر بالجانب الغربيّ، ومحمد بن طاهر واقف على دابّته، وكُوِي يوم الإثنين لثلاث خلوْن من جمادى الآخرة.

وفيها قدم صاعد بن مَخْلد من فارس، ودخل واسط في رجب، فأمر الموفّق جميع القواد أن يستقبلوه فاستقبلوه، وترجّلوا له، وقبّلوا كَفّه.

وفيها قبض الموفّق على صاعد بن مَخْلَد بواسط وعلى أسبابه، وانتهب منازلهم يوم الإثنين لتسع خلوْن من رجب، وقبِض على ابنيه أبي عيسى وأبي صالح ببغداد، وعلى أخيه عبدون وأسبابه بسامُرّا، وذلك كله في يوم واحد، وهو اليوم الذي قبض فيه على صاعد، واستكتب الموفّق إسماعيل بن بلبُل، واقتصر به على الكتابة دون غيرها (٢).

ووردت الأخبار فيها أن مصر زُلزلت في جمادى الآخرة زلازل أخربت الدّور والمسجد الجامع، وأنه أحصِيَ في يوم واحد بها ألف جنازة (٣).

وفيها غلا السعر ببغداد؛ وذلك أنّ أهل سامُرّا منعوا ـ فيما ذُكر ـ سفن الدقيق من الانحدار إليها، ومنع الطائيّ أربابَ الضَّياع من دياس الطعام وقسمه، يتربّص

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٧).
(٢) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٧).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٩).

بذلك غلاء الأسعار ، فمنع أهل بغداد الزيت والصابون والتمر وغير ذلك من حَمْله إلى سامُرّا ، وذلك في النصف من شهر رمضان .

وفيها ضجَّت العامة بسبب غلاء السعر ، واجتمعت للوثوب بالطائيّ ، فانصرفوا من مسجد الجامع للنصف من شوال إلى داره بين باب البصرة وباب الكوفة ، وجاؤوه من ناحية الكَرْخ ، فأصعد الطائيّ أصحابَه على السطوح ، فرَموْهم بالنُّشاب ، وأقام رجاله على بابه وفي فناء داره بالسيوف والرّماح ، فقتِل بعضُ العامة ، وجُرحت منهم جماعة ، ولم يزالوا يقاتلونهم إلى الليل ، فلما كان الليل انصرفوا ، وباكروه من غد ، فركب محمد بن طاهر ، فسكن الناس وصرفهم عنه .

وفيها تُوفِّيَ إسماعيل بن بُريه الهاشمي يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال منها .

ولثمان بقين منها توفِّي عبيد الله بن عبد الله الهاشميّ .

وفيها كانت للزَّنْج بواسط حركة ، فصاحوا : أنكلاي ، يا منصور! وكان أنكلاي والمهلبيّ وسليمان بن جامع والشعرانيّ والهمدانيّ وآخر معهم من قُوَّاد الزنج محتَبسين في دار محمد بن عبد الله بن طاهر بمدينة السلام في دار البِطّيخ ، في يد غلام من غلمان الموفّق ، يقال له : فتح السعيديّ ، فكتب الموفق إلى فَتْح أن يوجّه برؤوس هؤلاء الستة ، فدخل إليهم ، فجعل يخرج الأول فالأول منهم ، فذبحهم غلام له ، وقلع رأس بالوعة في الدار ، وطِرحت أجسادهم فيها ، وسدّ رأسَها ، ووجّه رؤوسهم إلى الموفق[١] .

وفيها ورد كتاب الموفّق على محمد بن طاهر في جثث هؤلاء الستة المقتولين ، فأمره بصلبْها بحضرة الجسر ، فأخرِجوا من البالوعة ، وقد انتفخوا ، وتغيّرت روائحهم ، وتقشّر بعض جلودهم ، فحُمِلوا في المحامل : المحمل بين رجلين؛ وصُلِب ثلاثة منهم في الجانب الشرقيّ ، وثلاثة في الجانب الغربيّ ، وذلك لسبع بَقِين من شوال من هذه السنة ، وركب محمد بن طاهر حتى صُلبوا بحضرته .

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٤٩) فقد ذكر أصل الخبر .

وفيها صَلح أمر مدينة رسول الله ﷺ ، وعَمِرت ، وتراجع الناس إليها .

وفيها غزا الصائفة يا زَمان .

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى الهاشميّ[١] .

* * *

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت وقعة بين أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلف وعمرو بن الليث الصفّار يوم السادس عشر من شهر ربيع الأول .

وفيها كانت أيضاً وقعة بين إسحاق بن كُنداج ومحمد بن أبي الساج بالرَّقة ، فانهزم إسحاق؛ وكان ذلك يوم الثلاثاء لتسع خلوْن من جمادى الأولى .

وفيها قدمت رسل يازَمان من طَرَسُوس ، فذكروا أنّ ثلاثة بنين لطاغية الروم وثبوا عليه ، فقتلوه وملّكوا أحدهم عليهم[٢] .

وفيها قيّد أبو أحمد لؤلؤاً القادم عليه بالأمان من عند ابن طولون ، واستصفى ماله ، لثمان بقين من ذي القعدة من هذه السنة ، وذُكر أنَّ الذي أخذ من ماله كان أربعمئة ألف دينار[٣] .

وذكروا عن لؤلؤ أنه قال: ما عرفتُ لنفسي ذنباً استوجبت به ما فُعِل بي إلاّ كثرة مالي .

وفيها كانت بين محمّد بن أبي الساج وإسحاق بن كُنْداج وقعة أخرى لأربع عشرة ليلة خلتْ من ذي الحجة؛ وكانت الدَّبَرة فيها على ابن كُنْداج .

---

(١) وكذلك قال ابن الجوزي: وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي (المنتظم ١٢/ ٢٤٩).

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٥٥).

(٣) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٧).

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى بن عليّ بن عبد الله بن عباس(١).

* * *

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك شخوص أبي أحمد إلى كَرْمان لحرب عمرو بن الليث لاثنتي عشرة بقيَت من شهر ربيع الأول(٢).

وفيها غزا يازَمان ، فبلغ المسكنين ، فأسر وغنم ، وسلم والمسلمون ، وذلك في شهر رمضان منها(٣).

وفيها دخل صِدِّيق الفرغانيّ دور سامرّا فأغار على أموال التجار ، وأكثر العيْث في الناس ، وكان صدِّيق هذا يخفر أوّلاً الطريق ، ثم تحوّل لصاً خارباً يقطع الطريق(٤).

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد الهاشميّ(٥).

* * *

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه الطائيّ جيشاً إلى سامُرّا بسبب ما أحدث صِدّيق بها

---

(١) وقال ابن الجوزي: وحجّ في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي وهذه السنة العاشرة من حجّه بالناس ولم يحجّ بالناس بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عشر سنين متتابعة سواه [المنتظم ١٢/ ٢٥٥].

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٦١).

(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٢٦١).

(٤) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٤٨).

(٥) انظر المنتظم (١٢/ ٢٦١).

وإطلاقه أخاه من السجن؛ وكان أسيراً عنده، وذلك في المحرّم من هذه السنة: ثم خرج الطائيّ إلى سامرّا، وأرسل صِدّيقاً ووعده ومنّاه وأمّنه، فعزم على الدخول إليه في الأمان، فحذّره ذلك غلامٌ له يقال له: هاشم، وكان ـ فيما ذكر ـ شجاعاً، فلم يقبل منه، ودخل سامرّا مع أصحابه، وصار إلى الطائيّ، فأخذه الطائيّ، ومَنْ دخل معه منهم، فقطع يد صدّيق ورجله ويد هاشم ورجله وأيدي جماعة من أصحابه وأرجلهم وحبسهم، ثم حملهم في محامل إلى مدينة السَّلام، وقد أبرِزَتْ أيديهم وأرجلهم المقطَّعة ليراها الناس، ثم حبُسِوا.

وفيها غزا يازمان في البحر، فأخذ للروم أربعة مراكب[1].

وفيها تَصَعْلك فارس العبديّ، فعاث بناحية سامُرّا، وصار إلى كوخها، فانتهب دور آل حَسَنج، فشخص الطائيّ إليه، فلحقه بالحديثة، فاقتتلا، فهزمه الطائيّ وأخذ سواده، وصار الطائيّ إلى دِجْلة، فدخل طيّارة ليعبرها، فأدركه أصحاب العبديّ فتعلقوا بكوثل الطيّارة، فرمى الطائيّ بنفسه في دِجْلة، فعبرها سباحة، فلما خرج منها نفض لحيته من الماء، وقال: أيش ظنُّ العبديّ؟ أليس أنا أسبح من سمكة! ثم نزل الطائيّ الجانب الشرقيّ والعبديّ بإزائه في الجانب الغربيّ، وفي انصراف الطائيّ قال عليّ بن محمد بن منصور بن نصر بن بَسام:

قد أَقبلَ الطائيّ، لا أَقبلا ... قَبَّحَ في الأَفعال ما أجمَلا
كأَنَّه من لِينِ أَلفاظِه ... صبيّةٌ تَمْضَغُ جَهْدَ البَلا

وفيها أمر أبو أحمد بتقييد الطائيّ وحبسه، ففُعل ذلك لأربعَ عشرةَ خلت من شهر رمضان، وختم على كلّ شيء له، وكان يلي الكوفة وسوادَها وطريق خُراسان وسامُرّا والشرطة ببغداد، وخراج بادوريَا وقطْرُبُّل ومسكِن وشيئاً من ضياع الخاصّة.

وفيها حبس أبو أحمد ابنه أبا العباس، فشغب أصحابُه، وحملوا السلاح، وركب غلمانه، واضطربت بغداد لذلك، فركب أبو أحمد لذلك حتى بلغ باب الرُّصافة، وقال لأصحاب أبي العباس وغلمانه فيما ذكر: ما شأنكم؟ أتَروْنكم أشفقَ على ابني مني! هو ولدي، واحتجت إلى تقويمه، فانصرف الناس،

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٦٤).

ووضعوا السلاح ، وذلك يوم الثلاثاء لست خلوْن من شوال من هذه السنة(١) .

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد الهاشميّ(٢) .

* * *

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ضمّ الشرطة بمدينة السلام إلى عمرو بن الليث ، وكُتب فيها على الأعلام والمطارد والتِّرَسة ـ التي تكون في مجلس الجسر ـ اسمه، وذلك في المحرَّم(٣) .

ولأربع عشرة خلتْ من شهر ربيع الأول من هذه السنة شخص أبو أحمد من ميدنة السلام إلى الجبل ، وكان سبب شخوصه إليها ـ فيما ذكر ـ أنّ الماذرائيّ كاتب اذكوتكين ، أخبره أنّ له هنالك مالاً عظيماً ، وأنه إن شخص صار ذلك إليه ، فشخص إليه فلم يجد من المال الذي أخبره به شيئاً ، فلما لم يجد ذلك شخص إلى الكرَج ، ثم إلى أصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلف ، فتنحّى له أحمد بن عبد العزيز عن البلد بجيشه وعياله ، وترك داره بفرشها لينزلها أبو أحمد إذا قدم .

وقدم محمد بن أبي الساج على أبي أحمد قبل شخوصه من مضربه بباب خُراسان هارباً من ابن طولون ، بعد وقعات كانت بينهما ، ضعف في آخر ذلك ابن أبي الساج عن مقاومته ، لقلة من معه وكثرة من مع ابن طولون من الرّجال ، فلحق بأبي أحمد، فانضمّ إليه، فخلع أبو أحمد عليه، وأخرجه معه إلى الجبل .

وفيها وَلِيَ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر شرطة بغداد ، من قِبَل عمرو بن الليث في شهر ربيع الآخر .

وفيها ورد الخبر بانفراج تلّ بنهر الصِّلّة ـ ويعرف بتلّ بني شَقِيق ـ عن سبعة أقبر فيها سبعة أبدان صحيحة ، عليها أكفان جدُد لينة ، لها أهداب ، تفوح منها

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٦٤) .
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٦٤) .
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٢٧٣) .

رائحة المسك ، أحدهم شابّ له جُمّة ، وجبهتُه وأذناه وخدّاه وأنفه وشفتاه وذقنه وأشفار عينيه صحيحة ، وعلى شفتيه بلل ، كأنه قد شرب ماء؛ وكأنه قد كُحِل ، وبه ضربة في خاصرته ، فرُدّت عليه أكفانه(١) .

وحدثني بعض أصحابنا أنه جذب من شعر بعضهم ، فوجده قويّ الأصل نحو قوة شعر الحيّ ، وذكر أن التلّ انفرج عن هذه القُبور عن شبه الحوْض من حجر في لون المسنّ ، عليه كتاب لا يدرَى ما هو!

وفيها أمِر بطرح المطارد والأعلام والترسة التي كانت في مجالس الشرطة التي عليها اسم عمرو بن الليث ، وإسقاط ذكره ، وذلك لإحدى عشرة خلت من شوال(٢) .

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد بن إسحاق الهاشميّ ، وكان والياً على مكة والمدينة والطائف(٣) .

* * *

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومئتين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك دعاء يازَمان بطرسوس لخمارويْه بن أحمد بن طولون؛ وكان سبب ذلك ـ فيما ذكر ـ أن خمارويه وجّه إليه بثلاثين ألف دينار وخمسمئة ثوب وخمسين ومئة دابة وخمسين ومئة ممْطر وسلاح ، فلما وصل ذلك إليه دعا له ، ثم وجّه إليه بخمسين ألف دينار(٤) .

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٧٣) والعجيب أن الطبري ذكر هذا الخبر كما ترى إلا أن ابن كثير لم يُشر إلى وجوده في تأريخ الطبري وإنما نسبه إلى المتأخرين من بعده كابن الأثير فقال ابن كثير وذكر ابن الجوزي في منتظمه وابن الأثير في كامله أنّ في هذه السنة انفرج. . . إلخ [البداية والنهاية ٨/ ٢٥٠].

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٢٧٣).

(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٢٧٣).

(٤) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٥٢).

وفي أول شهر ربيع الآخر كان بين وصيف خادم ابن أبي الساج والبرابرة أصحاب أبي الصقرْ شرّ؛ فاقتتلوا، فقتِل من غلمان الخادم أربعة غلمان ومن البرابرة سبعة؛ فكانت الحرب بينهم بباب الشأم إلى شارع باب الكوفة، فركب إليهم أبو الصقر، فكلمهم فتفرّقوا، ثم عادوا للشرّ بعد يومين، فركب إليهم أبو الصقر فسكّنهم.

وفيها وليَ يوسف بن يعقوب المظالم، فأمر أن ينادَى: مَنْ كانت له مظلمة قِبَل الأمير الناصر لدين الله أو أحد من الناس فليحضر، وتقدم إلى صاحب الشُّرطة ألاّ يطلق أحداً من المحبّسين إلاّ مَنْ رأى إطلاقَه يوسف، بعد أن يعرض عليه قصصُهم[١].

وفي أول يوم من شعبان قدِم قائد من قوّاد بن طولون في جيش عظيم من الفرسان والرجّالة بغداد[٢].

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشمي[٣].

* * *

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك الحرب التي كانت بين أصحاب وصيف الخادم والبربر وأصحاب موسى ابن أخت مُفْلح أربعة أيامٍ تباعاً، ثم اصطلحوا؛ وقد قُتل بينهم بضعة عشر رجلاً، وذلك في أول المحرّم، ثم وقع في الجانب الشرقيّ حربٌ بين النصريّين وأصحاب يونس، قُتل فيها رجل، ثم افترقوا.

وفيها انحدر وصيفٌ خادم ابن أبي الساج إلى واسط بأمر أبي الصقر لتكون عدّة له ـ فيما ذكر ـ وذلك أنه اصطنعه وأصحابه، وأجازه بجوائز كبيرة، وأدرَّ على أصحابه أرزاقهم، وكان قد بلغه قدوم أبي أحمد، فخافه على نفسه لما كان

---

(١) انظر المنتظم فقد ذكر الخبر.
(٢) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٥٢).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٢٧٣).

من إتلافه ما كان في بيوت أموال أبي أحمد؛ حتى لم يبقَ فيها شيء بالهبة التي كان يهب؛ والجوائز التي كان يُجيز، والخِلَع التي كان يخلع على القوّاد، وإنفاقه على القوّاد، فلما نَفد ما في بيت المال، طالب أرباب الضياع بخراج سنة مُبْهَمة عن أرضيهم، وحبس منهم بذلك جماعة؛ وكان الذي يتولّى له القيام بذلك الزّغَل، فعسف على الناس في ذلك، وقدم أبو أحمد قبل أن يستوظف أداء ذلك منهم، فشُغِل عن مطالبة الناس بما كان يطالبهم به، وكان انحدار وصيف في يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من المحرم.

ولليلتين بقِيتا من المحرّم منها، طلع كوكب ذو جُمّة، ثم صارت الجمّة ذُؤابة[١].

* * *

[ذكر الخبر عن مرض أبي أحمد الموفق ثم موته]

وفيها انصرف أبو أحمد من الجبل إلى العراق، وقد اشتدّ به وجع النّقْرس حتى لم يقدر على الركوب، فاتُّخذ له سرير عليه قبّة، فكان يقعد عليه، ومعه خادم يبرّد رجله بالأشياء الباردة، حتى بلغ من أمره أنه كان يضع عليها الثلج، ثم صارت علّة رجله داءَ الفيل، وكان يحمل سريره أربعون حمّالاً يتناوب عليه عشرون عشرون، وربما اشتدّ به أحياناً، فيأمرهم أن يضعوه، فذُكر أنه قال يوماً للذين يحملونه: قد ضجرتم بحملي، بودّي أني أكون كواحد منكم أحملُ على رأسي وأكلّ وأنّي في عافية، وأنه قال في مرضه هذا: أطبق دفتري على مئة ألف مرتزق، ما أصبح فيهم أسوأ حالاً مني[٢].

وفي يوم الإثنين لثلاث بقين من المحرّم منها وافى أبو أحمد النَّهروان، فتلقّاه أكثر الناس، فركب الماء، فسار في النهروان، ثم في نهر دَيَالَى، ثم في دِجْلة إلى الزعفرانيّة، وصار ليلة الجمعة إلى الفِرْك، ودخل داره يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر.

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٢٨٧).
(٢) انظر لمرض الموفق ورجوعه إلى العراق ثم وفاته المنتظم (١٢/ ٢٨٧) و(١٢/ ٣٠٣).

ولما كان في يوم الخميس لثمان خلون من صفَر ، شاع موتُه بعد انصراف أبي الصقر من داره ، وقد كان تقدّم في حفظ أبي العباس ، فغلِّقت عليه أبواب دون أبواب ، وأخذ أبو الصقر ابنَ الفيّاض معه إلى داره ، وكان يبقى بناحيته ، وأقام أبو الصقر في داره يومه ذلك ، وازداد الإرجاف بموت أبي أحمد ، وكانت اعترتْه غَشْية ، فوجّه أبو الصقر يوم الجمعة إلى المدائن ، فحمل منها المعتمد وولده ، فجيء بهم إلى داره ، وأقام أبو الصقر في داره ولم يَصِرْ إلى دار أبي أحمد؛ فلما رأى غلمان أبي أحمد المائلون إلى أبي العباس والرؤساء من غلمان أبي العباس الذين كانوا حضوراً ما قد نزل بأبي أحمد ، كسروا أقفال الأبواب المغلَقة على أبي العباس.

فذُكر عن الغلام الذي كان مع أبي العباس في الحُجْرة أنه قال لما سمع أبو العباس صوت الأقفال تكْسَر قال: ليس يريد هؤلاء إلاّ نفسي.

وأخذ سيفاً كان عنده ، فاستلّه ، وقعد مستوفزاً والسيف في حجره ، وقال: لي: تنحَّ أنت ، والله لا وصلوا إليّ وفيَّ شيء من الروح ، قال: فلما فُتِح الباب كان أول من دَخَل عليه وصيف مُوْشْكير ـ وهو غلام أبي العباس ـ فلما رآه رمى السيف من يده ، وعلم أنهم لم يقصدوا إلا الخير ، فأخرجوه حتى أقعدوه عند أبيه ، وهو بعقب غشيته ، فلما فتح أبو أحمد عينيه ، وأفاق رآه ، فأدناه وقرَّبه ، ووافى المعتمد ـ ذلك اليوم الذي وجّه إليه في حمله ، وهو يوم الجمعة نصفَ النهار قبل صلاة الجمعة ـ مدينة السلام ، لتسع خلَوْن من صفر ، ومعه ابنه جعفر المفوّض إلى الله وليُّ العهد وعبد العزيز ومحمد وإسحاق بنوه ، فنزل على أبي الصقر ، ثم بلغ أبا الصقر: أنّ أبا أحمد لم يمت ، فوجّه إسماعيل بن إسحاق يتعرَّف له الخبر ، وذلك يوم السبت.

وجمع أبو الصقر القوّاد والجند ، وشحن داره وما حوْلها بالرّجال والسلاح ، ومِنْ داره إلى الجسر كذلك، وقطع الجسرين، ووقف قومٌ على الجسر في الجانب الشرقيّ يحاربون أصحاب أبي الصقر، فقتِل بينهم قتلى ، وكانت بينهم جراحات.

وكان أبو طلحة أخو شَرْكَب مع أصحابه مقيمين بباب البستان ، فرجع إسماعيل ، فأعلم أبا الصقر أن أبا أحمد حيّ ، فكان أوّل مَنْ مضى إليه من القوّاد محمد بن أبي الساج ، عبر من نهر عيسى ، ثم جعل الناس يتسلّلون؛ منهم من

يعبر إلى باب أبي أحمد ، ومنهم مَنْ يرجع إلى منزله ، ومنهم من يخرج من بغداد؛ فلما رأى أبو الصقر ذلك ، وصحّت عنده حياة أبي أحمد ، انحدر هو وابناه إلى دار أبي أحمد؛ فما ذاكره أبو أحمد شيئاً مما جَرَى ، ولا ساءله عنه ، وأقام في دار أبي أحمد.

فلما رأى المعتمد: أنه قد بقيَ في الدار وحدَه ، نزل هو وبنوه وبكتمر ، فركبوا زورقاً ، ثم لقيهم طيّار أبي ليلى بن عبد العزيز بن أبي دُلف ، فحملهم في طيّاره ، ومضى بهم إلى داره ، وهي دار عليّ بن جهشيار برأس الجسر ، فقال له المعتمد: أريد أن أمضيَ إلى أخي فاحدره ومَنْ معه من بيته إلى دار أبي أحمد ، وانتُهبَتْ دار أبي الصقر وكلّ ما حوته حتى خرج حُرَمُه حفاةً بغير إزارَ ، وانتُهبت دار محمد بن سليمان كاتبه ، ودار ابن الواثقيّ انتُهبت وأحرقت ، وانتُهبَت دور أسبابه ، وكسِرت أبواب السجون ، ونُقِبت الحيطان ، وخرج كلّ من كان فيها ، وخرج كلّ من كان في المطبَق ، وانتُهب مجلسا الجسر ، وأخِذ كلّ ما كان فيهما ، وانتُهبت المنازل التي تقرب من دار أبي الصقر ، وخلع أبو أحمد على ابنه أبي العباس وعلى أبي الصقر ، فركبا جميعاً ، والخلع عليهما من سوق الثلاثاء إلى باب الطّاق، ومضى أبو الصقر مع أبي العباس إلى داره؛ دار صاعد، ثم انحدر أبو الصقر في الماء إلى منزله وهو منتَهب ، فأتوه من دار الشاه بحصير فقعد عليه ، فولّى أبو العباس غلامَه بدار الشرطة ، واستخلف محمد بن غانم بن الشاه على الجانب الشرقيّ ، وعيسى النوشريّ على الجانب الغربيّ؛ وذلك لأربع عشرة خلت من صفر منها.

وفيها في يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من صفر ، كانت وفاة أبي أحمد الموفق ودفن ليلة الخميس في الرُّصافة عند قبر والدته ، وجلس أبو العباس يوم الخميس للناس للتعزية.

* * *

[ذكر خبر البيعة للمعتضد بولاية العهد][1]

وفيها بايع القوّاد والغلمان لأبي العباس بولاية العهد بعد المفوّض ، ولقّب

(١) وكذلك قال ابن الجوزي (١٢/ ٣٠٤).

بالمعتضد بالله ، في يوم الخميس ، وأخرج للجند العطاء ، وخُطِب يوم الجمعة للمعتمد ، ثم للمفوّض ، ثم لأبي العباس المعتضد؛ وذلك لسبع ليال بقين من صفر.

* * *

وفيها في يوم الإثنين لأربع بقين من صفر قُبض على أبي الصقر وأسبابه وانتهبت منازلهم ، وطُلِب بنو الفرات ـ وكان إليهم ديوان السواد ـ فاختفوْا ، وخلِع على عبيد الله بن سليمان بن وهب يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر منها ، ووُلِّيَ الوزارة.

وفيها بعث محمد بن أبي الساج إلى واسط ليردّ غلامه وصيفاً إلى مدينة السلام ، فمضى وصيفٌ إلى الأهواز ، وأبى الانصرافَ إلى بغداد ، وأنهب الطّيب ، وعاث بالسوس.

وفيها ظُفر بأبي أحمد بن محمد بن الفرات؛ فحُبس وطولب بأموال ، وظُفر معه بالزّغل ، فحبِس ، وظُفر معه بمال.

وفيها ورَدت الأخبار بقتل عليّ بن الليث أخي الصفار ، قتله رافع بن هرثمة ، كان لحق به ، وترك أخاه.

ووردت الأخبار فيها عن مصر : أن النيل غار ماؤه وغلت الأسعار عندهم[١].

* * *

ذكر ابتداء أمر القرامطة[٢]

وفيها وردت الأخبار بحرَكة قوم يُعرفون بالقَرامطة بسواد الكُوفة؛ فكان ابتداء أمرهم قدومُ رجل من ناحية خُوزِستان إلى سَوَاد الكوفة ومُقامه بموضع منه يقال له النهرين ، يُظهر الزّهد والتقشف ، ويَسُفُّ الخُوصَ ، ويأكل من كسبه ، ويُكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدّة ، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمرَ الدين ، وزهَّده

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٥٥).
(٢) لبداية حركة القرامطة انظر المنتظم (١٢/ ٢٨٧).

في الدنيا ، وأعلمه أنّ الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كلّ يوم وليلة؛ حتى فشا ذلك عنه بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك يقعُد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما تعلّق قلوبهم ، وكان يقعد إلى بقّال في القرية؛ وكان بالقرب من البَقال نخلٌ اشتراه قوم من التجار ، واتخذوا حظيرةً جمعوا فيها ما صرَمُوا من حمل النخل ، وجاؤوا إلى البقال فسألوه أن يطلب لهم رجلاً يحفظ عليهم ما صرموا من النخل ، فأومى لهم إلى هذا الرجل ، وقال: إن أجابكم إلى حفظ ثمرتكم ، فإنه بحيث تحبّون ، فناظروه على ذلك ، فأجابهم إلى حفظه بدراهم معلومة؛ فكان يحفظ لهم ، ويصلّي أكثر نَهاره ويصوم ، ويأخذ عند إفطارِه من البقال رطل تمر ، فيُفطر عليه ، ويجمع نوى ذلك التمر.

فلما حمل التجار ما لهم من التمر ، صاروا إلى البقّال ، فحاسبوا أجيرهم هذا على أجرته ، فدفعوها إليه ، فحاسب الأجير البقال على ما أخذ منه من التمر ، وحطّ من ذلك ثمن النوى الذي كان دفعه إلى البقّال؛ فسمع التجار ما جرى بينه وبين البقال في حقّ النوى ، فوثبوا عليه فضربوه ، وقالوا: ألم ترضَ أن أكلت تمرَنا حتى بعت النوى! فقال لهم البقال: لا تفعلوا ، فإنه لم يمسّ تمركم؛ وقصّ عليهم قصته ، فندموا على ضربهم إياه ، وسألوه أن يجعلَهم في حِلّ ففعل ، وازداد بذلك نُبُلاً عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زُهده.

ثم مرض فمكث مطروحاً على الطريق ، وكان في القرية رجلٌ حمل على أثوار له أحمر العينين شديدة حمرتهما ، وكان أهل القرية يسمّونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنَّبطية أحمر العينين ، فكلّم البقال كرميته هذا ، في أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، ويُوصي أهلَه بالإشراف عليه والعناية به؛ ففعل وأقام عنده حتى برأ ، ثم كان يأوي إلى منزله ، ودعا أهلَ القرية إلى أمره ، ووصف لهم مذهبَه ، فأجابه أهلُ تلك الناحية ، وكان يأخذ من الرّجل إذا دخلَ في دينه ديناراً؛ ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام؛ فمكث بذلك يدعُو أهلَ تلك القرى فيجيبونه ، واتّخذ منهم اثني عشر نقيباً ، أمرهم أن يدعو الناس إلى دينهم ، وقال لهم: أنتم كحواريّي عيسى ابن مريم؛ فاشتغل أكرة تلك الناحية عن أعمالهم بما رَسم لهم من الخمسين الصلاة التي ذكر أنها مفترضة عليهم.

وكان للهَيْصَم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير أكَرته في العمارة ، فسأل عن ذلك ، فأخبِر : أن إنساناً طرأ عليهم ، فأظهر لهم مذهباً من الدين ، وأعلمهم أنّ الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة ، فقد شغِلوا بها عن أعمالهم فوجّه في طلبه ، فأخِذ وجيء به إليه ، فسأله عن أمره ، فأخبره بقصّته ، فحلف أنه يقتله.

فأمر به فحبِس في بيت ، وأقفل عليه الباب ، ووُضع المفتاح تحت وسادته ، وتشاغل بالشرب ، وسمع بعض مَنْ في داره من الجواري بقصّته ، فرقّت له ، فلما نام الهيصم أخذت المفتاح من تحت وسادته ، وفتحت الباب وأخرجته ، وأقفلت الباب ، وردّت المفتاح إلى موضعه. فلمّا أصبح الهيصم دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجده ، وشاع بذلك الخبر ، ففُتن به أهل تلك الناحية ، وقالوا: رُفع ثم ظهر في موضع آخر ، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم فسألوه عن قصّته ، فقال: ليس يمكن أحداً أن يبدأني بسوء ، ولا يقدر على ذلك مني ، فعظم في أعينهم ، ثم خاف على نفسه ، فخرج إلى ناحية الشأم ، فلم يُعْرَف له خبر ، وسمِّيَ باسم الرّجل الذي كان في منزله صاحب الأثوار كرميته ، ثم خُفِّف فقالوا: قرمط.

ذكر هذه القصة بعض أصحابنا عمّن حدثه، أنه حضر محمد بن داود بن الجرّاح، وقد دعا بقوم من القرامطة من الحبس ، فسألهم عن زكرويه ، وذلك بعدما قتله ، وعن قرمط وقصّته ، وأنهم أوموا له إلى شيخ منهم ، وقالوا له: هذا سلف زكرويه ، وهو أخبر الناس بقصّته ، فسَلْه عما تريد ، فسأله فأخبره بهذه القصة.

وذكر عن محمد بن داود أنه قال: قرمط رجل من سواد الكوفة ، كان يحمل غلات السواد على أثوار له ، يسمَّى حمدان ويلقب بقرمط ، ثم فشا أمرُ القرامطة ومذهبُهم ، وكثروا بسواد الكوفة ، ووقف الطائيّ أحمد بن محمد على أمرهم ، فوظّف على كلّ رجل منهم في كلّ سنة ديناراً ، وكان يجبي من ذلك مالاً جليلاً ، فقدم قوم من الكوفة فرفعوا إلى السلطان أمرَ القرامطة ، وأنهم قد أحدثوا ديناً غير الإسلام ، وأنهم يروْن السيف على أمَّةِ محمد إلا مَنْ بايعهم على دينهم ، وأن الطائيّ يخفى أمرهم على السلطان ، فلم يلتفت إليهم ، ولم يسمع منهم ، فانصرفوا ، وأقام رجل منهم مدة طويلة بمدينة السلام ، يرفع ويزعم أنه لا يمكنه

الرجوع إلى بلده خوفاً من الطائيّ ، وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاؤوا بكتاب فيه .

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها: نَصْرانة ، داعية إلى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهديّ ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفيّة ، وهو جبريل ، وذكر أنّ المسيح تصّور له في جسم إنسان ، وقال له: إنك الدّاعية ، وإنك الحجة ، وإنك الناقة ، وإنك الدّابة ، وإنك روح القدس ، وإنك يحيى بن زكرياء ، وعرّفه أن الصلاة أربع ركعات: ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها؛ وأنّ الأذان في كلّ صلاة أن يقول: الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله؛ مرتين أشهد أنّ آدم رسول الله ، أشهد أنّ نوحاً رسول الله ، أشهد أنّ إبراهيم رسول الله ، أشهد أنّ موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفيّة رسول الله؛ وأن يقرأ في كلّ ركعة الاستفتاح؛ وهي من المنزّل على أحمد بن محمد بن الحنفية .

والقبلة إلى بيت المقدس ، والحجّ إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الإثنين لا يُعمل فيه شيء ، والسورة: الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المتّخذ لأوليائه بأوليائه ، قل: إن الأهلة مواقيت للناس؛ ظاهرها ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والأيام ، وباطنُها أوليائي الذين عرّفوا عبادي سبيلي ، اتقونِ يا أولي الألباب؛ وأنا الذي لا أسْأل عمّا أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلُوا عبادي ، وامتحن خَلْقِي؛ فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيتُه في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومَنْ زال عن أمري ، وكذّب رسلي ، أخلدته مهاناً في عذابي ، وأتممتُ أجلي ، وأظهرتُ أمري؛ على ألسنة رُسُلِي؛ وأنا الذي لم يعلُ عليّ جبار إلا وضعتُه ، ولا عزيزٌ إلا أذللتُه ، وليس الذي أصرّ على أمره وداوم على جهالته ، وقالوا: لن نبرح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين: أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول في ركوعه: سبحان ربي ربّ العزة وتعالى عما يصف

الظالمون! يقولها مرتين ، فإذا سجد قال: الله أعلَى ، الله أعظم ، الله أعظم .

ومن شرائعه أنّ الصوم يومان في السنة ، وهما المِهرجان والنوْروز؛ وأن النبيذ حرام والخمر حلال؛ ولا غُسْلَ من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأنّ مَنْ حاربه وجب قتلُه ، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخِذَت منه الجزية ولا يُؤكل كلّ ذي ناب ، ولا كلّ ذي مخْلب .

وكان مصير قَرْمط إلى سَواد الكوفة قبل قتل صاحب الزَّنْج؛ وذلك أن بعض أصحابنا ذكر عن سلف زكرويه: أنه قال: قال لي قَرْمط: صرتُ إلى صاحب الزَّنْج ، ووصلت إليه ، وقلت له: إني على مذهب ، وورائي مئة ألف سيف؛ فناظِرْني ، فإن اتفقنا على المذهب ملتُ بمَنْ معي إليك ، وإن تكن الأخرى انصرفتُ عنك ، وقلت له: تعطيني الأمان؟ ففعل .

قال: فناظرته إلى الظهر ، فتبيّن لي في آخر مناظرتي إياه أنه على خلاف أمري ، وقام إلى الصلاة ، فانسللت ، فمضيتُ خارجاً من مدينته ، وصرت إلى سواد الكوفة[١] .

* * *

[ذكر خبر غزو الروم ووفاة يا زمان في هذه الغزوة][٢]

ولخمس بقين من جُمادى الآخرة من هذه السنة ، دخل أحمد العُجيفيّ مدينة طَرَسُوس ، وغزا مع يازمان غَزاة الصّائفة ، فبلغ سَلَنْدو .

وفي هذه الغزاة مات يازمان ، وكان سببُ موته أن شظيّةً من حجر مِنْجنيق أصاب أضلاعه وهو مقيم على حصن سَلَنْدُو؛ فارتحل العسكر؛ وقد كانوا أشرفوا على فتحه ، فتُوفِّيَ في الطريق من غدِه يوم الجمعة ، لأربع عشرة ليلة خلتْ من رجب ، وحُمِل إلى طَرَسُوس على أكتاف الرجال فدُفن هناك .

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشميّ .

* * *

(١) عن منشأ القرامطة ومذاهبهم الفاسدة انظر المنتظم فقد أفرد فصولاً لشرح أحوالهم وضلالاتهم استغرقت صفحات عديدة (المنتظم ١٢/ ٢٨٨ ـ ٣٠٠).

(٢) لوفاة يازمان انظر النجوم الزاهرة (٣/ ٨٧).

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من أمر السلطان بالنداء بمدينة السلام: ألاّ يَقعُد على الطريق ولا في مسجد الجامع قاصّ ولا صاحب نجوم ولا زاجر؛ وحُلِّف الورّاقون ألا يبيعوا كتبَ الكلام والجدَل والفلسفة[(١)] .

وفيها خُلع جعفر المفوّض من العهد لثمان بقين من المحرّم[(٢)] .

وفي ذلك اليوم بويع للمعتضد بأنه وليّ العهد من بعد المعتمد ، وأنشِئت الكتب بخلع جعفر وتولية المعتضِد ، ونفذتْ إلى البلدان ، وخُطب يوم الجمعة للمعتضد بولاية العهد ، وأنشئت عن المعتضد كتب إلى العمال والولاة؛ بأنّ أمير المؤمنين قد ولاّه العهد ، وجعل إليه ما كان الموفّق يليه من الأمر والنهي والولاية والعزل[(٣)] .

وفيها قُبض على جرادة كاتب أبي الصَّقْر لخمس خلوْن من شهر ربيع الأول ، وكان الموفّق وجّهه إلى رافع بن هرثمة ، فقدِم مدينة السلام قبل أن يُقبَض عليه بأيام.

وفيها انصرف أبو طلحة منصور بن مسلم من شهرزور لست بقين من جُمادى الأولى ـ وكانت ضُمّت إليه ـ فقُبِض عليه وعلى كاتبه عَقامة ، وأودِعَا السْجن؛ وذلك لأربع بقين من جمادى الأولى.

* * *

[ذكر خبر الفتنة بطرسوس]

وفيها كانت الملحمة بطرَسُوس بين محمد بن موسى ومكنون غلام راغب مولى الموفّق؛ في يوم السبت لتسع بقِينَ من جُمادى الأولى؛ وكان سبب ذلك

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٠٥).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٠٥).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٣٠٥).

ـ فيما ذكر ـ أن طُغْج بن جُفّ لقي راغباً بحلب ، فأعلمه أن خَمارويه بن أحمد يحبّ لقاءه ، ووعده عنه بما يحبّ؛ فخرج راغب من حلَب ماضياً إلى مصر في خمسة غلمان له ، وأنفذ خادمَه مكنوناً مع الجيش الذي كان معه وأمواله وسلاحه إلى طَرَسوس ، فكتب طُغْج إلى محمد بن موسى الأعرج يُعلمه أنه قد أنفذ راغباً ، وأن كلّ ما معه من مال وسلاح وغلمان مع غلامه مكنون ، وقد صار إلى طَرَسُوس وأنه ينبغي له أن يقبض عليه ساعةَ يدخل وعلى ما معه ، فلما دخل مكنون طَرَسُوس وثب به الأعرج ، فقبض عليه ووكّل بما معه ، فوثب أهل طرسوس على الأعرج ، فحالوا بينه وبين مكنون ، وقبضوا على الأعرج فحبسوه في يد مكنون ، وعلموا أنّ الحيلة قد وقعت براغب؛ فكتبوا إلى خمارويه بن أحمد يعلمونه بما فعل الأعرج ، وأنهم قد وكّلوا به ، وقالوا: أطلق راغباً لينفذ إلينا حتى نطلق الأعرج ، فأطلق خمارويه راغباً ، وأنفذه إلى طَرَسُوس ، وأنفذ معه أحمد بن طُغان والياً على الثغور ، وعزل عنهم الأعرج ، فلمّا وصل راغب إلى طَرَسوس أطلِق محمد بن موسى الأعرج ، ودخل طَرَسوس أحمد بن طُغان والياً عليها وعلى الثغور ومعه راغب ، يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شعبان.

* * *

[خبر وفاة المعتمد]

وفيها توفِّيَ المعتمد ليلة الإثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ، وكان شرب على الشطّ في الحسنيّ يوم الأحد شراباً كثيراً ، وتعشّى فأكثر ، فمات ليلاً ، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أيام ـ فيما ذُكر [١].

* * *

---

(١) لوفاة المعتمد وترجمته انظر سير أعلام (١٢/ ٥٤٠) ، وتأريخ بغداد (٤/ ٦٠) والمنتظم (١٢/ ٣٢٨).

خلافة المعتضد

وفي صَبيحة هذه الليلة بُويع لأبي العباس المعتضد بالله بالخلافة ، فولّى غلامه بدراً الشرطة وعبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة ومحمد بن الشاد بن ميكال الحرس ، وحجبة الخاصة والعامة صالحاً المعروف بالأمين ، فاستخلف صالح خفِيفاً السمرقنديّ (١) .

ولليلتين خَلَتا من شعبان فيها قدِم على المعتضد رسولُ عمرو بن الليث الصفّار بهدايا ، وسأل ولاية خُراسان ، فوجّه المعتضد عيسى النُّوشِريَّ مع الرسول ، ومعه خلع ولواء عقده له على خراسان ، فوصلوا إليه في شهر رمضان من هذه السنة ، وخُلع عليه ، ونُصب اللواء في صحن داره ثلاثة أيام (٢) .

* * *

وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد ، وقام بما كان إليه من العمل وراء نهر بلْخ أخوه إسماعيل بن أحمد (٣) .

وفيها قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص من مصر رسولاً لخمارويه بن أحمد بن طولون ، ومعه هدايا من العين؛ عشرون حملاً على بغال وعشرة من الخدم وصندوقان فيهما طراز وعشرون رجلاً على عشرين نجيباً ، بسروج محلاّة بحلية فضّة كثيرة ، ومعهم حراب فضّة ، وعليهم أقبِيةُ الدّيباج والمناطق المحلاّة وسبع عشرة دابة بسروج ولجم ، منها خمسة بذهب والباقي

---

(١) وقال ابن الجوزي في صبيحة يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين وهو ابن سبع وثلاثين سنة فولى عبد الله بن سليمان بن وهب الوزارة. . . . إلخ [المنتظم ١٢/٣٠٦].

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٢٧).

(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٣٣١).

بفضة ، وسبع وثلاثون دابّة بجلال مشهّرة ، وخمسة أبغل بسروج ولجم وزرّافة يوم الإثنين لثلاث خلوْن من شوّال ، فوصل إلى المعتضد ، فخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ، وسَفر ابن الجصاص في تزويج ابنة خمارويه من عليّ بن المعتضد ، فقال المعتضد: أنا أتزوّجها ، فتزوّجها[1] .

وفيها ورد الخبر بأخذ أحمد بن عيسى بن الشيخ قَلْعة ماردين من محمد بن إسحاق بن كُنْداج[2] .

وفيها مات إبراهيم بن محمد بن المدبّر ، وكان يلي ديوان الضياع ، فَوُلِّيَ مكانه محمد بن عبد الحميد ، وكان موته يوم الأربعاء لثلاث أو أربع عشرة بقيت من شوال .

وفيها عُقِد لراشد مولى الموفّق على الدينور ، وخُلع عليه يوم السبت لسبع بَقِين من شوّال ، ثم خرج راشد إلى عمله يوم الخميس لعشر خلوْن من ذي القعدة .

وفي يوم النحر منها ركب المعتضِد إلى المصلّى الذي اتخذه بالقرب من الحَسَنيّ ، وركب معه القوّاد والجيش ، فصلّى بالناس ، فذُكر عنه أنه كبّر في الركعة الأولى ستّ تكبيرات ، وفي الركعة الثانية تكبيرة واحدة ، ثم صعِد المنبر ، فلم تُسمَعْ خطبته ، وعُطّل المصلى العتيق فلم يصلَّ فيه .

وفيها كُتِب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلف بمحاربة رافع بن هرثمة ورافع بالرّيّ ، فزحف إليه أحمد ، فالتقوْا يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة ، فانهزم رافع بن هرثمة ، وخرج عن الرّيّ ، ودخلها ابن عبد العزيز .

وحجّ بالناس في هذه السنة هارون بن محمد الهاشميّ ، وهي آخر حجة حجّها ، وحجّ بالناس ست عشرة سنة ، من سنة أربع وستين إلى هذه السنة[3] .

* * *

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٢٧).
(٢) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٥٦).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٣٢٧).

ثم دخلت سنة ثمانين ومئتين
ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من أخذ المعتضد عبدَ الله بن المهتدى ومحمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيْلَمة ـ وكان شَيْلمة هذا مع صاحب الزَّنْج إلى آخر أيامه ، ثم لحق بالموفّق في الأمان فآمنه ـ وكان سبب أخذه إياهما أنّ بعض المستأمِنة سعى به إلى المعتضد ، وأعلمه أنه يدعو إلى رجل لم يوقَف على اسمه ، وأنه قد استفسد جماعةً من الجند وغيرهم ، وأخِذ معه رجل صيدنانيّ وابن أخ له من المدينة ، فقرّره المعتضد فلم يقرّ بشيء ، وسأله عن الرجل الذي يدعُو إليه ، فلم يقرّ بشيء ، وقال: لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، ولو عملتني كرْدَناك لما أخبرتك به؛ فأمر بنار فأوقِدَتْ ، ثم شُدّ على خشبة من خشب الخيم ، وأديِر على النار حتى تقطَّع جلده ، ثم ضُربت عنقه ، وصُلب عند الجسر الأسفل في الجانب الغربّي[(١)].

وحُبس ابن المهتدى إلى أن وقِف على براءته ، فأطلق ، وكان صَلْبه لسبع خلوْن من المحرّم.

فذُكر أن المعتضد قال لشيْلمة: قد بلغني أنك تدعو إلى ابن المهتدى ، فقال: المأثور عني غير هذا ، وأني أتولَّى آل ابن أبي طالب ـ وقد كان قرّر ابنَ أخيه فأقرّ ـ فقال له: قد أقرّ ابنُ أخيك ، فقال له: هذا غلام حدث تكلم بهذا خوفاً من القتل ، ولا يُقبل قوله ، ثم أطلق ابن أخيه والصّيدنانيّ بعد مدة طويلة.

* * *

[ذكر خبر قصد المعتضد بني شيبان وصلحه معهم][(٢)]

ولليلة خلت من صفر يوم الأحد شخص المعتضد من بغداد يريد بني شيبان ، فنزل بستان بشر بن هارون ، ثم سار يوم الأربعاء منه ، واستخلف على داره

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٣٢).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٣٣).

وبغداد صالحاً الأمين حاجبه ، فقصد الموضع الذي كانت شيبان تتخذه معقلاً من أرض الجزيرة ، فلما بلغهم قصدُه إياهم ، ضمُّوا إليهم أموالهم وعيالاتهم.

ثم ورد كتاب المعتضد أنَّه أسرَى إلى الأعراب من السنّ ، فأوقع بهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وغرق منهم خلق كثير في الزابَيْن ، وأخذ النساء والذراريّ ، وغنم أهل العسكر من أموالهم ما أعجزهم حمله ، وأخذه من غنمهم وإبلهم ما كثر في أيدي الناس حتى بيعت الشاة بدرهم والجمل بخمسة دراهم ، وأمر بالنساء والذراريّ أن يحْفَظُوا حتى يُحْدَروا إلى بغداد ثم مضى المعتضد إلى الموصِل ، ثم إلى بلَد ، ثم رجع إلى بغداد ، فلقيه بنو شيبان يسألونه الصفح عنهم ، وبذلوا له الرهائن ، فأخذ منهم خمسمئة رجل ـ فيما قيل ، ورجع المعتضد يريد مدينة السلام ، فوافاه أحمد بن أبي الأصبغ بما فارق عليه أحمد بن عيسى بن الشيخ من المال الذي أخذه من مال إسحاق بن كُنْداج ، وبهدايا ودوابّ وبغال في يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول.

* * *

وفي شهر ربيع الأول ورد الخبر بأن محمد بن أبي الساج افتتح المرَاغة بعد حصار شديد وحرب غليظة كانت بينهم ، وأنه أخذ عبد الله بن الحسين بعد أن آمنه وأصحابه ، فقيّده وحبسه ، وقرّره بجميع أمواله ، ثم قتله بعدُ.

وفي شهر ربيع الآخر ورد الخبرُ بوفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلف ، وكانت وفاته في آخر شهر ربيع الأول ، فطلب الجند أرزاقَهم ، وانتهبوا منزل إسماعيل بن محمد المنشئ ، وتنازع الرئاسة عمر وبكر ابنا عبد العزيز ، ثم قام بالأمر عمر ، ولم يكتب إليه المعتضد بالولاية.

وفيها افتتح محمد بن ثورْ عثمان ، وبعث برؤوس جماعة من أهلها ، وذكر أنّ جعفر بن المعتمد تُوفِّيَ في يوم الأحد لاثنتي عشرة خلتْ من شهر ربيع الآخر منها؛ وأنه كان مُقامه في دار المعتضد لا يخرج ولا يظهر ، وقد كان المعتضد نادمه مراراً.

وفيها انصرف المعتضد إلى بغداد من خرجته إلى الأعراب.

وفيها في جمادى الآخرة ورد الخبر بدخول عمرو بن الليث نَيْسابور ، في جمادى الأولى منها.

وفيه وجّه يوسف بن أبي الساج اثنين وثلاثين نفساً من الخوارج ، من طريق الموصل ، فضُربت أعناق خمسة وعشرين رجلاً منهم ، وصُلِبوا وحبِس سبعة منهم في الحبس الجديد(١) .

وفيها دخل أحمد بن أبّا طَرَسُوس لغزاة الصائفة ، لخمس خلوْن من رجب من قِبَل خمارويه ، ودخل بعده بدر الحمّامِيُّ ، فغَزوا جميعاً مع العُجَيفيّ أمير طَرَسُوس حتى بلغوا البلقسور .

وفيها ورد الخبر بغزو إسماعيل بن أحمد بلاد الترك وافتتاحه ـ فيما ذكر ـ مدينة ملكهم ، وأسره إياه وامرأته خاتون ونحواً من عشرة آلاف ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وغنم من الدوابّ دوابّ كثيرة لا يوقف على عددها ، وأنه أصاب الفارس من المسلمين من الغنيمة في المقسم ألف درهم(٢) .

ولليلتين بقيتا من شهر رمضان منها ، تُوُفِّيَ راشد مولى الموفّق بالدينور ، وحُمِل في تابوت إلى بغداد .

ولثلاث عشرة خلت من شوال منها مات مسرور البخليّ(٣) .

وفيها ـ فيما ذكر ـ في ذي الحجة ورد كتاب من دُبِيل بانكساف القمر في شوال لأربع عشرة خلت منها ، ثم تجلّى في آخر الليل ، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلِمة ، ودامت الظلمة عليهم؛ فلما كان عند العصر هبّت ريح سوداء شديدة ، فدامت إلى ثلث الليل؛ فلما كان ثلث الليل زُلِزلوا ، فأصبحوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلها إلا اليسير قدر مئة دار ، وأنهم دفنوا إلى حين كُتب الكتاب ثلاثين ألف نفس يخرجون من تحت الهدم ، ويدفنون ، وأنهم زُلزلوا بعد الهدم خمس مرات(٤) .

وذكر عن بعضهم أن جملة من أخرِج من تحت الهدم خمسون ومئة ألف ميّت .

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٣٣) .
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٣٣) .
(٣) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٥٨) .
(٤) انظر البداية والنهاية (١٢/ ٣٣٤) .

وحجّ بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن هارون المعروف بابن ترنجة[1].

* * *

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من موافاة ترْك بن العباس عامل السلطان على ديار مُضَر مدينةَ السلام لتسع خَلَوْن من المحرّم بنيّف وأربعين نفساً من أصحاب أبي الأغرّ صاحب سُمَيْساط على جمال، عليهم برانس ودراريع حرير.

فمضى بهم إلى دار المعتضد، ثم رُدّوا إلى الحبس الجديد فحبسوا به، وخُلع على تُرْك، وانصرف إلى منزله.

وفيها ورد الخبر بوقعة كانت لوصيف خادم ابن أبي الساج بعمر بن عبد العزيز بن أبي دُلف وهزيمته إياه، ثم صار وَصيف إلى مولاه محمد بن أبي الساج في شهر ربيع الآخر منها.

وفيها دخل طُغْج بن جُفّ طَرَسوس لغزاة الصائفة من قِبَل خمارويه يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة - فيما قيل - وغزا فبلغ طرايون، وفتح ملُورِيَة.

ولخمس ليال بقين من جمادى [الآخرة] مات أحمد بن محمد الطائيّ بالكوفة، ودفن بها في موضع يقال له: مسجد السهلة.

وفيها غارت المياه بالرّيّ وطبَرِستان[2].

ولليلتين خلتا من رجب منها شخص المعتضد إلى الجبل، فقصد ناحية الدينور، وقلّد أبا محمد عليّ بن المعتضد الرّيّ وقَزوين وزَنْجان وأبْهر وقُمّ وهَمَذان والدينور، وقلّد كتبته أحمد بن أبي الأصبغ، ونفقات عسكره والضّياع

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٣٦).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٣٩).

بالرّيّ الحسين بن عمرو الضرانيّ ، وقلّد عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلف أصبهان ونَهاوَند والكَرَج ، وتعجّل للانصراف من أجل غلاء السعر وقلة الميرة ، فوافى بغداد يوم الأربعاء لثلاث خلوْن من شهر رمضان [١].

وفيها استأمن الحسن بن عليّ كوره عامل رافع على الريّ إلى عليّ بن المعتضد في زُهاء ألف رجل ، فوجّهه إلى أبيه المعتضد.

وفيها دخل الأعراب سامُرّا فأسَرُوا ابن سيما أنف في ذي القعدة منها وانتهبوا.

* * *

[ذكر خبر الوقعة بين الأكراد والأعراب] [٢]

ولست ليال بقين من ذي القعدة خرج المعتضد الخرجة الثانية إلى الموْصِل عامداً لحمدان بن حمدون؛ وذلك أنه بلغه أنه مايَل هارون الشاري الوزاقيّ ، ودعا له فورد كتاب المعتضد من كَرْخَ جُدّان على نَجاح الحُرَميّ الخادم بالوقْعة بينه وبين الأعراب والأكراد؛ وكانت يوم الجمعة سَلْخ ذي القعدة:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي هذا وقت العتَمة ليلة الجمعة ، وقد نصر الله ـ وله الحمد ـ على الأكراد والأعراب ، وأظفرَنا بعالم منهم وبعيالاتهم؛ ولقد رأيتنا ونحن نسوق البقر والغنم كما كنا نسوقها عاماً أولاً ، ولم تزل الأسنّة والسيوف تأخذهم ، وحال بيننا وبينهم الليل ، وأوقِدت النيران على رؤوس الجبال ، ومن غد يومنا ، فيقع الاستقصاء ، وعسكري يتبعني إلى الكَرْخ ، وكان وقاعُنا بهم وقتلُنا إياهم خمسين ميلاً ، فلم يبق منهم مخبر والحمد لله كثيراً ، فقد وجب الشكر لله علينا والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم كثيراً.

وكانت الأعراب والأكراد لمّا بلغهم خروجُ المعتضد ، تحالفوا أنهم يُقْتَلون على دم واحد ، واجتمعوا وعبَّوْا عسكرهم ثلاثة كراديس؛ كردوساً دون

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٤٠) و(١٢/ ٣٣٩).
(٢) انظر المنتظم (١٢ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

كردوس ، وجعلوا عيالاتهم وأولادهم في آخر كُردوس ، وتقدّم المعتضد عسكره في خيل جريدة ، فأوقع بهم ، وقتل منهم ، وغرق في الزّاب منهم خلق كثير ، ثم خرج إلى المَوْصِل عامداً لقلعة ماردِين ، وكانت في يد حمدان ابن حمدون ، فلمّا بلغه مجيء المعتضد هرب وخلَّف ابنه بها ، فنزل عسكر المعتضِد على القَلْعة ، فحاربهم مَنْ كان فيها يومَهم ذلك؛ فلمّا كان من الغد ركب المعتضد ، فصعد القلعة حتى وصل إلى الباب ، ثم صاح: يا بن حمدون ! فأجابه: لبيك! فقال له: افتح الباب ، ويلك! ففتحه ، فقعد المعتضد في الباب ، وأمر مَنْ دخل فنقل ما في القلعة من المال والأثاث ، ثم أمر بهدمها فهُدمَتْ ، ثم وجّه خلْف حمدان بن حمدون ، فطُلب أشدّ الطلب ، وأخِذَت أموالٌ كانت له مودعة ، وجيء بالمال إلى المعتضد ، ثم ظُفر به ، ثم مضى المعتضد إلى مدينة يقال لها: الحسنيّة ، وفيها رجل يقال له: شدّاد في جيش كثيف ، ذكر أنهم عشرة آلاف رجل ، وكان له قلعة في المدينة فظفِر به المعتضد ، فأخذه فهدم قلعته.

وفيها ورد الخبر من طريق مكة أنه أصاب الناس في المصعد برد شديد ومطر جَوْد وبرد أصيب فيه أكثر من خمسمئة إنسان.

وفي شوال منها غزا المسلمون الروم ، فكانت بينهم الحرب اثني عشر يوماً ، فظفِر المسلمون وغنموا غنيمة كثيرة وانصرفوا[١].

* * *

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومئتين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

[ذكر أمر النيروز المعتضديّ]

فمن ذلك ما كان من أمر المعتضد في المحرّم منها بإنشاء الكتب إلى جميع العمال في النواحي والأمصار بترك افتتاح الخراج في النيْروز الذي هو نيروز العجم ، وتأخير ذلك إلى اليوم الحادي عشر من حزيران ، وسمي ذلك النَّيروز المعتضدي ، فأنشئت الكتب بذلك من الموْصِل والمعتضد بها ، وورد كتابه

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٣٩).

بذلك على يوسف بن يعقوب يعلمه أنه أراد بذلك الترفيه على الناس ، والرفْق بهم ، وأمر أن يُقْرأ كتابه على الناس ، ففعل[١] .

* * *

وفيها قدم ابن الجصاص من مصر بابنة أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون التي تزوّجها المعتضد ، ومعها أحد عمومتها ، فكان دخوُلهم بغداد يوم الأحد لليلتين خَلَتا من المحرّم ، وأدخِلت للحرم ليلة الأحد ، ونزلت في دار صاعد بن مخلَد؛ وكان المعتضد غائباً بالموصل[٢] .

وفيها مُنِع الناس من عمل ما كانوا يعملون في نَيْروز العجم من صبّ الماء ورفع النيران وغير ذلك[٣] .

* * *

[ذكر أمر المعتضد مع حمدان بن حمدون]

وفيها كتب المعتضد من الموْصِل إلى إسحاق بن أيوب وحمدان بن حمدون بالمصير إليه؛ فأما إسحاق بن أيوب فسارعَ إلى ذلك ، وأما حمدان بن حمدون فتحصّن في قلاعه ، وغيّب أمواله وحُرَمه ، فوجّه إليه المعتضد الجيوش مع وصيف مُوشْكير ونصر القُشورِيّ وغيرهما؛ فصادفوا الحسن بن عليّ كوره وأصحابه مُنيخين على قَلْعة لحمدان ، بموضع يعرف بدير الزعفران من أرض الموصِل ، وفيها الحسين بن حمدان ، فلما رأى الحسين أوائل العسكر مقبلين طلب الأمان فأومن ، وصار الحسين إلى المعتضد ، وسلّم القلعة ، فأمر بهدمها ، وأغذّ وصيف موشْكير السَّيْر في طلب حمدان ، وكان قد صار بموضع يعرف بباسُورين بين دجلة ونهر عظيم ، وكان الماء زائداً ، فعبَر أصحاب وصيف إليه ونذر بهم ، فركب وأصحابه ودافعوا عن أنفسهم ، حتى قتِل أكثرهم ، فألقَى حمدان نفسه في زَورق كان معدّاً له في دجلة ، ومعه كاتب له نصرانيٌّ يسمى

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٤٣).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٤٣).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٣٤٤).

زكرياء بن يحيى ، وحمل معه مالاً ، وعبر إلى الجانب الغربي من دِجْلة من أرض ديار ربيعة ، وقدَّر اللحاق بالأعراب لمّا حِيلَ بينه وبين أكراده الذين في الجانب الشرقيّ ، وعبر في أثره نفرٌ يسير من الجند فاقتصّوا أثره ، حتى أشرفوا على دير كان قد نزله؛ فلما بَصُر بهم من خرج من الدَّيْر هارباً ومعه كاتبه ، فألقيا أنفسهما في زَوْرق ، وخلَّفا المال في الدَّيْر ، فحُمل إلى المعتضد ، وانحدر أصحاب السلطان في طلبه على الظهر وفي الماء ، فلحقوه ، فخرج عن الزَّوْرق حاسراً إلى ضيعة له بشرقيّ دجلة ، فركَب دابة لوكيله ، وسار ليله أجمع إلى أن وافَى مضرب إسحاق بن أيوب في عسكر المعتضِد ، مستجيراً به ، فأحضره إسحاق مضرب المعتضد ، وأمر بالاحتفاظ به ، وبثّ الخيل في طلب أسبابه ، فظفِر بكاتبه وعدّة من قَراباته وغلمانه ، وتتابع رؤساء الأكراد وغيرهم في الدّخول في الأمان؛ وذلك في آخر المحرّم من هذه السنة .

* * *

وفي شهر ربيع الأول منها قُبِض على بكتمر بن طاشتمر ، وقُيِّد وحُبس ، وقبِض ماله وضياعه ودوره .

وفيها نُقلت ابنة خمارويه بن أحمد إلى المعتضد لأربع خَلَوْن من شهر ربيع الآخر ، ونُودي في جانبي بغداد ألاّ يعبر أحد في دِجْلة يوم الأحد ، وغُلِّقت أبواب الدُّروب التي تلي الشطّ ، ومُدّ على الشوارع النافذة إلى دِجْلة شراع ، ووُكِّل بحافّتي دجْلة مَنْ يمنع أن يظهروا في دورهم على الشطّ .

فلما صلِّيت العتمة وافت الشَّذَا من دار المعتضد ، وفيها خدم معهم الشمع ، فوقفوا بإزاء دار صاعد ، وكانت أعِدّت أربع حرَّاقات شُدّت مع دار صاعد ، فلما جاءت الشذا أحْدِرت الحرّاقات ، وصارت الشَّذَا بين أيديهم؛ وأقامت الحُرّة يوم الإثنين في دار المعتضد ، وجُليَتْ عليه يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر ربيع الأول[1] .

وفيها شخص المعتضد إلى الجبل ، فبلغ الكرج ، وأخذ أموالاً لابن أبي دُلف

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٤٤).

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلف يطلب منه جوهراً كان عنده ، فوجّه به إليه ، وتنحّى من بين يديه .

وفيها أطلِق لؤلؤ غلام ابن طولون بعد خروج المعتضد ، وحُمِل على دوابّ وبغال .

وفيها وجّهَ يوسف بن أبي الساج إلى الصَّيْمرة مدداً لفتح القلانسيّ ، فهرب يوسف بن أبي الساج بمَنْ أطاعه إلى أخيه محمد بالمراغة ، ولقي مالاً للسلطان في طريقه فأخذه ، فقال في ذلك عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

إمامَ الهدى أنصارُكم آلُ طاهرٍ بلا سبب يُجفَوْنَ والدهْرُ يَذهبُ
وقد خَلطوا صَبراً بشُكر ورابطوا وغيرُهُمُ يُعطَى ويُجبَى ويَهرُبُ

وفيها وُجِّه المعتضد الوزير عبيد الله بن سليمان إلى الريّ إلى أبي محمد ابنه .

* * *

وفيها وجّه محمد بن زيد العَلَويّ من طَبَرِستان إلى محمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين ألف دينار ، ليفرّقها على أهله ببغداد والكوفة؛ ومكة والمدينة ، فسُعِي بِه ، فأحضر دار بدر ، وسُئل عن ذلك ، فذكر أن يوجّه إليه في كلّ سنة بمثل هذا المال ، فيفرّقه على مَنْ يأمره بالتّفرقة عليه من أهله ، فأعلم بدر المعتضد ذلك ، وأعلمه أن الرجل في يديه والمال ، واستطلع رأيه وما يأمر به .

فذكر عن أبي عبد الله الحسنيّ أنّ المعتضد قال لبدر : يا بدر ، أما تذكر الرؤيا التي خبرّتك بها؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : ألا تذكر أنّي حدّثتك أنّ الناصر دعاني ، فقال لي : اعلم أنّ هذا الأمر سيصير إليك ، فانظر كيف تكون مع آل عليّ بن أبي طالب! ثم قال : رأيتُ في النوم كأني خارج من بغداد أريد ناحية النهروان في جيشي ، وقد تشوّف الناس إليّ ، إذ مررتُ برجل واقف على تلّ يصلي ، لا يلتفت إليّ ، فعجبت منه ومن قلة اكتراثه بعسكري ، مع تشوّف الناس إلى العسكر ، فأقبلتُ إليه حتى وقفت بين يديه ، فلما فرغ من صَلاته قال لي : أقبل ، فأقبلتُ إليه ، فقال : أتعرفني؟ قلت : لا ، قال : أنا عليّ بن أبي طالب؛ خذ هذه المِسْحاة ، فاضرب بها الأرض ـ لِمسحاة بين يديه ـ فأخذتها فضربت بها ضربات ، فقال لي : إنه سيلي من ولدك هذا الأمر بقدر ما ضربت بها ، فأوصِهم

بولدي خيراً ، قال بدر : فقلت : بلَى يا أمير المؤمنين ، قد ذكرت ، قال : فأطلِق المال ، وأطلق الرجل وتقدّم إليه أن يكتب إلى صاحبه بطَبَرِستان أن يوجه ما يوجه به إليه ظاهراً ، وأن يفرّق محمد بن ورد ما يفرّقه ظاهراً ، وتقدّم بمعونة محمد على ما يريد من ذلك[1].

وفي شعبان لإحدى عشرة بقيتْ منها ، تُوُفِّيَ أبو طلحة منصور بن مسلم في حبس المعتضد.

وفيها لثمانٍ خلوْن من شهر رمضان منها ، وافَى عبيد الله بن سليمان الوزير بغداد قادماً من الرّيّ ، فخلع عليه المعتضد.

ولثمان بقين من شهر رمضان منها ، ولدت ناعم جارية أم القاسم بنت محمد بن عبد الله للمعتضد ابناً سماه جعفراً ، فسمّى المعتضد هذه الجارية شغب.

وفيها قدم إبراهيم بن أحمد الماذَرائيّ لاثنتي عشرة بقيت من ذي الحجة من دمشق على طريق البرّ ، فوافَى بغداد في أحد عشرة يوماً ، فأخبر المعتضد أن خمارويه بن أحمد ذبح على فراشه ، ذبحه بعض خدمه من الخاصّة ، وقيل : إن قتله كان لثلاث خلون من ذي الحجة ، وقيل إن إبراهيم وافى بغداد من دمشق في سبعة أيام ، وقُتِل من خدمه الذّين اتّهموا بقتله نيِّفٌ وعشرون خادماً[2].

وكان المعتضد بعث مع ابن الجصّاص إلى خمارويه بهدايا ، وأودعه إليه رسالة ، فشخص ابن الجصاص لما وجِّه له ، فلما بلغ سامرّا بلغ المعتضد مهلِك خمارويه ، فكتب إليه يأمره بالرجوع إليه فرجع ، ودخل بغداد لسبع بقين من ذي الحجة.



(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٤٤).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٤٥).

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
[خبر هارون الشاري والظفر به][(١)]

فمن ذلك ما كان من شخوص المعتضِد لثلاثَ عشرة بقيتْ من المحرّم منها ـ بسبب الشاري هارون ـ إلى ناحية الموصِل فظفر به ، ووَرَد كتابُ المعتضد بظفرِه به إلى مدينة السلام يوم الثلاثاء لتسع خَلَوْن من شهر ربيع الأول ، وكان سبب ظفره به أنه وجّه الحسين بن حمدان بن حمدون في جماعة من الفُرسان والرّجّالة من أهل بيته وغيرهم من أصحابه إليه؛ وذُكر أن الحسين بن حمدان قال للمعتضد: إن أنا جئت به إلى أمير المؤمنين فلي ثلاث حوائج إلى أمير المؤمنين ، فقال: اذكرها ، قال: أولها إطلاق أبِي ، وحاجتان أسأله إياهما بعد مجيئي به إليه ، فقال له المعتضد: لك ذلك فامض ، فقال الحسين: أحتاج إلى ثلاثمئة فارس أنتخبهم فوجّه المعتضد معه ثلاثمئة فارس مع موشْكير ، فقال: أريد أن يأمره أمير المؤمنين ألاّ يخالفَني فيما آمره به ، فأمر المعتضد موشْكير بذلك.

فمضى الحسين حتى انتهى إلى مخاضة دجْلة ، فتقدّم إلى وصيف ومَنْ معه بالوقوف على المخاضة ، وقال له: ليس لهارون طريق إن هرب غيرُ هذا ، فلا تبرحنّ من هذا الموضع حتى يمرّ بك هارون؛ فتمنَعه العبور ، وأجيئك أنا ، أو يبلغك : أني قد قُتِلت ، ومضى حسين في طلب هارون فلقيَه وواقعه ، وكانت بينهما قتلى ، وانهزم الشاري هَارون ، وأقام وصيفٌ على المخاضة ثلاثة أيام ، فقال له أصحابه: قد طال مقامُنا بهذا المكان القَفْر ، وقد أضرّ ذلك بنا ، ولسنا نأمن أن يأخذ حسين الشاري فيكونَ الفتح له دوننا؛ والصواب أن نمضي في آثارهم ، فأطاعهم ومضى ، وجاء هارون الشاري منهزماً إلى موضع المخاضة ، فعبَر وجاء حسين في أثره ، فلم ير وصيفاً وأصحابه بالموضع الذي تركهم فيه ، ولا عرف لهارون خبراً ، ولا رأى له أثراً ، وجعل يسأل عن خبر هارون حتى وقف على عبوره ، فعبَر في أثره ، وجاء إلى حيٍّ من أحياء العرب ، فسألهم عنه

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٥٩).

فكتموه أمرَه ، فأراد أن يُوقع بهم ، وأعلمهم أنّ المعتضد في أثره؛ فأعلموه: أنه اجتاز بهم ، فأخذ بعض دوابهم ، وترك دوابه عندهم - وكانت قد كلّت وأعيت - واتّبع أثره ، فلحقه بعد أيام والشاري في نحو من مئة ، فناشده الشاري ، وتوعّده ، فأبى إلاّ محاربته فحاربه؛ فذُكر أن حسين بن حمدان رمى بنفسه عليه ، فابتدره أصحاب حسين فأخذوه ، وجاء به إلى المعتضد سلماً بغير عَقْد ولا عهْد ، فأمر المعتضد بحلّ قيود حمدان بن حمدون ، والتوسعة عليه والإحسان إليه أن يقدم فيطلقه ويخلع عليه؛ فلما أسر الشاري وصار في يد المعتضد ، انصرف راجعاً إلى مدينة السلام ، فوافاها لثمان بقين من شهر ربيع الأول ، فنزل بباب الشماسيّة ، وعبّأ الجيش هنالك ، وخلع المعتضد على الحسين بن حمدان ، وطوّقه بطَوْق من ذهب ، وخلع على جماعة من رؤساء أهله ، وزيِّن الفيل بثياب الدِّيباج ، واتُّخذ للشاريّ على الفيل كالمحفّة ، وأقعِد فيها ، وألبِس درّاعة ديباج ، وجَعل على رأسه برنس حرير طويل.

* * *

ولعشر بقين من جمادى الأولى منها ، أمر المعتضد بالكتاب إلى جميع النواحي بردّ الفاضل من سهام المواريث على ذوي الأرحام ، وإبطال ديوان المواريث ، وصرف عمّالها؛ فنفذت الكتب بذلك ، وقرئت على المنابر[1].

وفيها خرج عمرو بن الليث الصفار من نيسابور ، فخالفه رافع بن هرثمة إليها ، فدخلها وخطِب بها لمحمد بن زيد الطالبيّ وأبيه ، فقال: اللهمّ أصلح الداعي إلى الحق؛ فرجع عمرو إلى نيسابور ، فعسكر خارج المدينة ، وخندق على عسكره لعشر خلوْن من شهر ربيع الآخر ، فأقام محاصِراً أهل نيسابور.

وفي يوم الإثنين لأربع خَلوْن من جمادى الآخرة منها ، وافي بغداد محمد بن إسحاق بن كنداجيق وخاقان المفلحيّ ومحمد بن كُمُشْجُور المعروف ببنْدُقة وبدر بن جُفّ أخو طغج وابن حَسَنج في جماعة من القواد من مصر في الأمان[2].

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٥٩) فقد ذكر ابن الجوزي الخبر وزاد عليه مبيناً العلة في ذلك وهذا يعني أن ابن الجوزي لم يتقيّد بتاريخ الطبري كمصدر رئيس وهذه ليست المرة الأولى.

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٥٩).

وذكر أن سبب مجيئهم إلى المعتضد في الأمان كان أنهم أرادوا أن يفتكوا بجيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون ، فسُعِي بهم إليه وكان راكباً ، وكانوا في موكبه ، وعلِموا أنه قد وقف على أمرهم ، فخرجوا من يومهم وسلكوا البريّة ، وتركوا أموالهم وأهاليهم ، فتاهوا أياماً ، ومات منهم جماعة من العطش ، وخرجوا على طريق مكة فوق الكوفة بمرحلتين أو ثلاثة ، ووجّه السلطان محمد بن سليمان صاحب الجيش إلى الكُوفة حتى كتب أسماءهم ، وأقيمت لهم الوظائف من الكوفة فلما قربوا من بغداد ، خرجت إليهم الوظائف والخيم والطعام ، ووصلوا إلى المعتضِد يوم دخلوا فخُلع عليهم ، وُحمل كلّ قائد منهم على دابّة بسرجه ولجامه ، وخُلع على الباقين ، وكان عددهم ستين رجلاً .

وفي يوم السبت لأربع عشرة بقيت منها شخص الوزير عبيد الله بن سليمان إلى الجَبَل لحرب ابن أبي دُلف بأصبهان .

* * *

[خبر حصر الصقالبة القسطنطينية]

وفيها ـ فيما ذكر ـ ورد كتابٌ من طَرَسُوس : أن الصَّقالبة غزت الروم في خلق كثير ، فقتلوا منهم وخرّبوا لهم قرىً كثيرة حتى وصلوا إلى قسطنطينية وألجؤوا الرّوم إليها ، وأغلقت أبواب مدينتهم ، ثم وجّه طاغية الروم إلى ملك الصّقالبة أن ديننا ودينكم واحد؛ فعلام نقتل الرجال بيننا! فأجابه ملك الصقالبة : أن هذا ملك آبائي ، ولست منصرفاً عنك إلاّ بغلبة أحدنا صاحبه؛ فلما لمْ يجد ملك الرّوم خلاصاً من صاحب الصَّقَالبة ، جَمَع من عنده من المسلمين ، فأعطاهم السلاح ، وسألهم معونتَه على الصّقالبة ، ففعلوا ، وكشفوا الصقالبة ، فلما رأى ذلك ملك الروم خافَهم على نفسه ، فبعث إليهم فردّهم ، وأخذ منهم السلاح ، وفرّقهم في البلدان ، حذراً من أن يجنوا عليه .

* * *

[خلاف جند جيْش بن خمارويه عليه]

وللنصف من رجب من هذه السنة ورد الخبر من مصر : أن الجند من المغاربة والبربر وثبوا على جيش بن خمارويه ، وقالوا : لا نرضى بك أميراً علينا فتنحّ عنا

حتى نولِّيَ عمَّك ، فكلمهم كاتبه عليّ بن أحمد الماذَرائيّ ، وسألهم أن ينصرفوا عنه يومهم ذلك ، فانصرفوا وعادوا من غد ، فعدا جيش على عمه الذي ذكروا أنهم يؤمّرونه ، فضرب عنقه وعنق عمّ له آخر ، ورمى بأرؤسهما إليهم ، فهجم الجند على جيش بن خمارويه ، فقتلوه وقتلوا أمه وانتهبوا دارَه ، وانتهبوا مصر وأحرقوها ، وأقعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه.

وفي رجب منها أمر المعتضد بكَرْي دُجَيل والاستقصاء عليه ، وقلع صخر في فُوّهته كان يمنع الماء فجُبِيَ لذلك من أرباب الضّياع والإقطاعات أربعة آلاف دينار ، وكسر ـ فيما ذكر ـ وأنفِق عليه ، ووَلِيَ ذلك كاتب زيرك وخادم من خدم المعتضد.

* * *

[ذكر الفداء بين المسلمين والروم][1]

وفي شعبان منها ، كان الفداء بين المسلمين والرّوم على يدي أحمد بن طُغان ، وذُكر : أن الكتاب الوارد بذلك من طَرَسوس كان فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلمك : أن أحمد بن طغان نادى في الناس يحضرون الفداء يوم الخميس لأربع خلون من شعبان سنة ثلاث وثمانين ومئتين ، وأنه قد خرج إلى لامس ـ وهو معسكر المسلمين ـ يوم الجمعة ، لخمس خلوْن من شعبان ، وأمر الناس بالخروج معه في هذا اليوم ، فصلّى الجمعة ، وركب من مسجد الجامع ومعه راغب ومواليه ، وخرج معه وجُوه البلد والموالى والقُوّاد والمطوّعة بأحسن زيّ ، فلم يزل الناس خارجين إلى لامس إلى يوم الإثنين لثمان خلَوْن من شعبان ، فجرى الفداء بين الفريقين اثني عشر يوماً؛ وكانت جملة من فُودِيَ به من المسلمين من الرجال والنساء والصبيان ألفين وخمسمئة وأربعة أنفس ، وأطلق المسلمون يوم الثلاثاء لسبع بقين من شعبان سميون رسول ملك الروم ، وأطلق

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٦٠) فقد ذكر الخبر مختصراً جداً.

الرّوم فيه يحيى بن عبد الباقي رسول المسلمين المتوجّه في الفداء ، وانصرف الأمير ومَنْ معه.

وخرج ـ فيما ذكر ـ أحمد بن طُغان بعد انصرافه من هذا الفداء في هذا الشهر في البحر ، أو خلف دميانة على عمله على طَرَسوس ، ثم وجّه بعده يوسف بن الباغمرديّ على طَرَسُوس ، ولم يرجع هو إليها.

* * *

[ذكر أمر المعتضد مع عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف وأخيه بكر]

وفي يوم الجمعة لعشر خَلَوْن من شهر رمضان من هذه السنة قُرئ كتاب على المنبر بمدينة السلام في مسجد جامعها؛ بأن عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلف صار إلى بدر ، وعبيد الله بن سليمان في الأمان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سامعاً مطيعاً منقاداً لأمير المؤمنين ، مذعناً بالطاعة والمصير معهما إلى بابه ، وأنّ عبيد الله بن سليمان خرج إليه فتلقاه ، وصار به إلى مضرب بدر ، فأخذ عليه وعلى أهل بيته وأصحابه البَيْعة لأمير المؤمنين ، وخلع عليه بدر وعلى الرؤساء من أهل بيته ، وانصرفوا إلى مضرِبٍ قد أعِدّ لهم ، وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز في الأمان على بدْر وعبيد الله بن سليمان ، فولَّيَاه عمل أخيه عمر ، على أن يخرج إليه ويحاربه ، فلما دخل عمر في الأمان قالا لبكر: إن أخاك قد دخل في طاعة السلطان؛ وإنما كنا ولَّيناك عمله على أنه عاصٍ ، والآن فأمير المؤمنين أَعلَى عَيْناً فيما يرى من أمركما ، فامضيا إلى بابه[1].

ووليَ عيسى النُّوشريّ أصبهان ، وأظهر أنه من قِبَل عمر بن عبد العزيز ، فهرب بكر بن عبد العزيز في أصحابه ، فكُتب بذلك إلى المعتضد ، فكتب إلى بدْر يأمره بالمقام بموضعه إلى أن يعرف خبر بكر وما إليه يصير أمره؛ فأقام وخرج الوزير عبيد الله بن سليمان إلى أبي محمد عليّ بن المعتضد بالرَّيّ ، ولحق بكر بن عبد العزيز بن أبي دُلف بالأهواز ، فوجّه المعتضد في طلبه وصيفاً موشكير ، فخرج من بغداد في طلبه حتى بلغ حدود فارس ، وقد كان لحقه ـ فيما

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٦٠) فقد ذكر الخبر مختصراً جداً.

ذكر - ولم يواقعه ، وباتا؛ كلّ واحد منهما قريب من صاحبه ، فارتحل بكر بالليل فلم يتبعه وصيف ، ومضى بكْر إلى أصبهان ، ورجع وصيف إلى بغداد فكتب المعتضد إلى بدر يأمره يطلب بكْر وعرَبِه ، فتقدّم بدر إلى عيسى النُّوشريّ بذلك ، فقال بكر بن عبد العزيز:

عنِّي مَلامُك ليس حين مَلامِ ... هيهاتَ أُحْدِثُ زائداً لِلُوامِ
طارَتْ غَيَاياتُ الصِّبا عن مَفْرقي ... ومضى أوانُ شَراسَتي وعُرامي
أَلقى الأَحِبَّةُ بالعراقِ عِصِيَّهمُ ... وبَقِيتُ نَصْب حوادثِ الأيّامِ
وتقَاذَفتْ بأخي النوى ورمتْ به ... مَرْمَى البعيدِ قطِيعةُ الأَرحامِ
وتَشَعَّبَ العربُ الذين تصدَّعوا ... فذَبَبْتُ عن أَحسابِهمْ بحُسامي
فيه تَماسُك ما وَهَى من أَمرِهمْ ... والسُّمْر عند تصادُمِ الأَقوامِ
فلأقرَعَنَّ صفاةَ دهرٍ نابهُمْ ... قرْعَاً يَهُدّ رواسِيَ الأعلامِ
ولأضربنَّ الهامَ دونَ حريمِهمْ ... ضَرْبَ القُدَارِ نَقيعةَ القدّامِ
ولأتركُنَّ الواردينَ حياضَهمْ ... بقَرارة لمواطِىءِ الأقدامِ
يا بدرُ إِنَّكَ لو شهِدتَ مواقِفِي ... والمَوتُ يَلحظ والصِّفاحُ دوامي
لَذَمَمْتَ رأْيَكَ في إضاعةِ حُرمَتي ... ولضاقَ ذرْعُك في اطِّراحِ ذمامي
حرَّكتني بعدَ السكونِ وإنما ... حرّكتَ مِنْ حِضْنِي جبالَ تَهامِ
وعَجمْتنِي فعجمْتَ مني مِرجَماً ... خَشِنَ المناكب كلَّ يومِ زحامِ
قلْ للأميرِ أَبي محمدٍ الذي ... يَجْلو بِغُرَّتِهِ دُجى الإِظلامِ
أسكنتَني ظِلَّ العلاَ فسكنتُهُ ... في عِيشةٍ رَغدٍ وعِزٍّ نامي
حتى إذا خُلِّئت عنه نابَنِي ... ما نابني وتنكَّرَتْ أَيامِي
فلأشكرنَّ جميلَ ما أوليتَني ... ما غَرَّدَتْ في الأَيكِ وُرْقُ حمامِ
هذا أَبو حفص يَدِي وذخيرتي ... للنائباتِ وعُدَّتي وسَنَامي
نادَيتُهُ فأجابني ، وهَزَزْتهُ ... فهززتُ حَدَّ الصارمِ الصَّمصَامِ
من رامَ أن يُغضِي الجفونَ على القَذَى ... أو يَستكِينَ يَرُومُ غير مرامِ
ويَخيمُ حين يَرَى الأَسِنَّة شرَّعاً ... والبِيضَ مُصْلَتَةٌ لضرْبِ الهامِ

وقال بكر بن عبد العزيز يذكر هرب النّوشريّ من بين يديه ويعيِّر وصيفاً بالإحجام عنه ويتهدّد بَدْراً:

قــالَــتِ البِيــض قــد تغيّــرَ بكــرُ ... وبَــدَا بعــد وصلِــه منــه هجْــرُ
ليس كــالسيفِ مونِسٌ حين يَعْرو ... حــادثٌ مُعضِــلٌ ويَفــدَحُ أَمْــرُ
أوقَـدوا الحـربَ بيننـا فـاصْطَلَـوْهـا ... ثـم حـاصُوا ، فـأَيـنَ منهـا المفَرُّ!
وبغَــوْا شَــرَّنــا فهــذا أوانٌ ... قــد بــدا شَــرُّهُ ويتلــوه شَــرُّ
قــد رأى النــوشــريُّ لمّــا التقَينــا ... مَــن إذَا أُشْــرِعَ الــرِّمــاحُ يفِــرُّ
جــاء فــي قَسطَــلٍ لُهَــامٍ فصُلْنــا ... صَــولــةً دُونهــا الكمُــاة تَهِــرُّ
ولــواءُ المُــؤْشجِيــر أَفضَــى إِلينــا ... رُوِّيــتْ عنــد ذاك بِيــض وسُمــرُ
غَــرَّ بــدْراً حِلمِــي وفضــلُ أنــاتِــي ... واحتمــالــي وذاك ممــا يَغُــرُّ
ســوف يَــأتينَــهْ شــواذِبُ قُــبٌّ ... لاحقــات البطــون جُــونٌ وشقــرُ
يتبَــارَيــن كــالسَّعَــالــي عليهــا ... مــن بنــي وائــلٍ أُســودٌ تَكُــرّ
لســت بكــراً إنْ لــم أَدعْهُــمْ حــديثاً ... مــا ســرَى كــوكــب ومــاكــرَّ دَهْــرُ

وفي يوم الجمعة لسبع خَلَوْنَ من شوّال من هذه السنة مات عليّ بن محمد بن أبي الشوارب ، فحُمل إلى سامُرّا من يومه في تابوت ، وكانت ولايتُه للقضاء على مدينة أبي جعفر ستة أشهر(١) .

وفي يوم الإثنين لأربع بقين من شوّال منها دخل بغداد عمر بن عبد العزيز بن أبي دُلف قادماً من أصبهان ، فأمر المعتضد ـ فيما ذكر ـ القوّاد باستقباله ، فاستقبله القاسم بن عبيد الله والقوّاد ، وقعد له المعتضد ، فوصل إليه ، وخلع عليه ، وحمله على دابّة بسرْج ولجام محلّىً بذهب ، وخلع معه على ابنين له وعلى ابن أخيه أحمد بن عبد العزيز وعلى نفسين من قوّاده ، وأنزِل في الدار التي كانتْ لعبيد الله بن عبد الله عند رأس الجسر؛ وكانت قد فُرشت له .

وفي هذه السنة قرئَ على القوّاد في دار المعتضد كتابٌ ورد من عمرو بن الليث الصفار؛ بأنه واقَعَ رافع بن هرثمة وهزمه ، وأنه مرّ هارباً وأنه عزم على أن يتبعه .

وكانت الوقعة لخمس بقين من شهر رمضان وقرئَ الكتاب يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة خَلَتْ من ذي القعدة .

---

(١) لوفاته وترجمته انظر تأريخ بغداد (١٢/ ٦٠) .

وفي يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة ، وردت خريطة ـ فيما ذكر ـ من عمرو بن الليث على المعتضد ، وهو في الحلبة ، فانصرف إلى دار العامة ، وقرئ الكتاب على القوّاد من عمرو بن الليث يُخبر فيه أنه وجّه في أثر رافع بعد الهزيمة محمد بن عمرو البلخيّ مع قائد آخر من قوّاده ، وقد كان رافع صار إلى طوس فواقعوه ، فانهزم واتبعوا أثرَه ، فلحق بخُوارزم ، فقتِل بخُوارزم ، فأرسل بخاتمه مع الكتاب، وذكر أنه قد حمّل الرسول في أمر الرأس ما يُخبر به السلطان .

وفي يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة منها قُرئت الكتب على المنابر بقتل رافع بن هرثمة .



ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من قدوم رسول عمرو بن الليث الصفار برأس رافع بن هرثمة في يوم الخميس لأربع خلوْن من المحرّم على المعتضد ، فأمر بنصبه في المجلس بالجانب الشرقيّ إلى الظهر ، ثم تحويله إلى الجانب الغربيّ ، ونصبه هنالك إلى الليل ، ثم ردّه إلى دار السلطان ، وخُلع على الرسول وقت وصوله إلى المعتضد بالرأس[1] .

وفي يوم الخميس لسبع خلون من صفر كانت ملحمة بين راغب ودميانة بطرَسوس ، وكان سبب ذلك ـ فيما ذكر ـ أن راغباً مولى الموفّق ترك الدعاء لخمارويه بن أحمد ، ودعا لبدر مولى المعتضد ، فوقع بينه وبين أحمد بن طُغان الخلاف؛ فلما انصرف ابن طغان من الفداء الذي كان في سنة ثلاث وثمانين ومئتين ركب البحر ولم يدخل طَرَسوس ، ومضى وخلّف دميانة للقيام بأمر طَرَسوس؛ فلما كان في صفر من هذه السنة ، وجّه يوسف بن الباغمرديّ ليخلفه على طَرَسوس؛ فلما دخلها وقوِيَ به دميانة ، كرهوا ما يفعله راغب من الدعاء

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٠).

لبدر ، فوقعت بينهم الفتنة ، وظفر بهم راغب ، فحمل دميانة وابن الباغمرديّ وابن اليتيم مقيّدين إلى المعتضد .

ولعشر بقين من صفر في يوم الإثنين من هذه السنة وردت خريطة من الجبل ؛ بأن عيسى النُّوشريّ أوقع ببكر بن عبد العزيز بن أبي دُلف في حدود أصبَهان ، فقتل رجاله ، واستباح عسكره ، وأفلت في نفر يسير .

وفي يوم الخميس لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول منها ، خُلع على أبي عمر ، يوسف بن يعقوب ، وقُلِّد قضاءَ مدينة أبي جعفر المنصور مكان علي ابن محمد بن أبي الشوارب ، وقضاء قطربُّل ومَسْكِنْ وبُزُرْجَسَابور والرذانيْن ، وقعد للخصوم في هذا اليوم في المسجد الجامع ، ومكثت مدينة أبي جعفر من لدن مات ابن أبي الشوارب إلى أن وليَها أبو عمر بغير قاض ، وذلك خمسة أشهر وأربعة أيام(١) .

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلتْ منه في هذه السنة ، أخِذ خادم نصرانيّ لغالب النصرانيّ متطبّب السلطان يقال له : وَصيف ، فرُفع إلى الحبس ، وشُهد عليه أنه شتم النبيّ ﷺ فحبِس ، ثم اجتمع من غد هذا اليوم ناس من العامَّة بسبب هذا الخادم ، فصاحوا بالقاسم بن عبيد الله ، وطالبوه بإقامة الحدّ عليه ، بسبب ما شُهد عليه ؛ فلما كان يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت منه اجتمع أهلُ باب الطاق إلى قنطرة البَرَدان وما يليها من الأسواق ، وتداعَوْا ، ومضوا إلى باب السلطان ، فلَقيَهم أبو الحسين بن الوزير ، فصاحوا به ، فأعلمهم أنه قد أنهى خبره إلى المعتضد ، فكذَّبوه وأسمعوه ما كره ، ووثبوا بأعوانه ورجاله حتى هربوا منهم ، ومضوْا إلى دار المعتضد بالثريّا ، فدخلوا من الباب الأول والثاني فمُنِعوا من الدخول ، فوثبوا على مَنْ منعَهم ، فخرج إليهم من سألهم عن خبرهم ، فأخبروه ، فكتب به إلى المعتضد ، فأدخِل إليه منهم جماعة ، وسألهم عن الخبر فذكروه له ، فأرسل معهم خفيفاً السمرقنديَّ إلى يوسف القاضي ، وتقدم إلى خفيف أن يأمر يوسف بالنَّظر في أمر الخادم ، وأن يُنهِيَ إليه ما يقف عليه من أمره ، فمضى معهم خفيف إلى يوسف ، فكادوا يقتلونه ويقتلون يوسف لمَّا

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٠) .

دخلوا عليه ممَّا ازدحموا ، حتى أفلت يوسف منهم ، ودخل باباً وأغلقه دونهم ، ولم يكن بعد ذلك للخادم ذِكْر ، ولا كان للعامَّة في أمره اجتماع[١] .

وفي هذا الشهر من هذه السنة قدِم ـ فيما ذكر ـ قوم من أهل طَرَسوس على السلطان يسألونه أن يولّي عليهم والٍ ، ويذكرون أن بلدهم بغير والٍ؛ وكانت طرسوس قبل في يدي ابن طولون ، فأساء إليهم ، فأخرجوا عامله عن البلد ، وراسلهم في ذلك ، ووعدهم الإحسان ، فأبوا أن يتركوا له غلاماً يدخل بلدهم ، وقالوا : مَنْ جاءنا من قبَلك حاربناه ، فكف عنهم .

وفي يوم الخميس لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة ـ فيما ذكر ـ ظهرت ظلمة بمصر ، وحُمرة في السماء شديدة؛ حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الآخر ، فيراه أحمر ، وكذلك الحيطان وغير ذلك ، ومكثوا كذلك من العصر إلى العشاء الآخرة ، وخرج الناس من منازلهم يدعون الله ويتضرعون إليه[٢] .

وفي يوم الأربعاء لثلاث خلوْن من جمادى الأولى ، ولإحدى عشرة ليلة خلت من حَزِيران ، نُودي في الأرباع والأسواق ببغداد بالنَّهي عن وقود النيران ليلة النيروز ، وعن صبّ الماء في يومه ، ونُودي بمثل ذلك في يوم الخميس ، فلمَّا كان عشيّة يوم الجمعة نودي على باب سعيد بن يكسين صاحب الشرطة بالجانب الشرقيّ من مدينة السلام بأنّ أمير المؤمنين قد أطلق للناس في وقود النيران وصبّ الماء ، ففعلت العامة من ذلك ما جاوز الحدّ ، حتى صبّوا الماء على أصحاب الشرطة في مجلس الجسر ـ فيما ذكر[٣] .

وفيها أغريَت العامة بالصّياح بمن رأوْا من الخدم السود : يا عقيق ، فكانوا يغضبون من ذلك ، فوجَّه المعتضد خادماً أسود عشيَّة الجمعة برقعة إلى ابن حمدون النديم؛ فلما بلغ الخادم رأسَ الجسر من الجانح
ب الشرقيّ صاح به صائح من العامة : يا عقيق! فشتم الخادم الصائح وقنَّعه ، فاجتمعت جماعة من العامة على الخادم فنكسوه وضربوه ، وضاعت الرقعة التي

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٠).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧١).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧١).

كانت معه ، فرجع إلى السلطان فأخبره بما صنع به ، فأمر المعتضد طريفاً المخلديّ الخادم بالركوب والقبض على كلِّ مَنْ تولّع بالخادم وضربه بالسياط ، فركب طريف يوم السبت لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى في جماعة من الفرسان والرجّالة ، وقدَّم بين يديه خادماً أسود؛ فصار إلى باب الطاقِ لِمَا أُمِر به من القبض على من صاح بالخادم: يا عقيق ، فقبض فيما ذكر بباب الطاق على سبعة أنفس؛ ذكِر أن بعضهم كان بِزِّيّاً؛ فضُرِبوا بالسياط في مجلس الشرطة بالجانب الشرقيّ وعبَر طريف فمضى إلى الكرْخ ، ففعل مثل ذلك ، وأخذ خمسة أنفس فضربهم في مجلس الشرطة بالشرقيَّة ، وحُمِل الجميع على جمال ، ونودي عليهم: هذا جزاء مَنْ أولِع بخدم السلطان ، وصاح بهم: يا عقيق ، وحبسوا يومهم ، وأطلِقوا بالليل.

وفي هذه السنة عَزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرَأ على الناس ، فخوّفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة ، وأنه لا يأمن أن تكون فتنة ، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله(١) .

وذُكر أن أول شيء بدأ به المعتضد حين أراد ذلك الأمر بالتقدّم إلى العامة بلزوم أعمالهم ، وترك الاجتماع والقضية والشهادات عند السلطان ، إلا أن يُسْألوا عن شهادة إن كانت عندهم ، وبمنع القُصّاص من القعود على الطرقات ، وعمِلت بذلك نسخ قرئت بالجانبين بمدينة السلام في الأرباع والمحالّ والأسواق ، فقرِئت يوم الأربعاء لستّ بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، ثم مُنِع يوم الجمعة لأربع بقين منها القصّاص من القعود في الجامعيْن ، ومُنع أهل الحلق في الفتيا أو غيرهم من القعود في المسجدين ، ومُنِع الباعة من القعود في رحابهما.

وفي جمادى الآخرة نودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاصّ أو غيره ، ومنِع القصاص وأهل الحلَق من القعود(٢) .

وفي يوم الحادي عشر ـ وذلك يوم الجمعة ـ نُودي في الجامعيْن بأنّ الذمة بريئة

(١) انظر تعليقنا (١٠/ ٦٣/ ٦٩٠).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٢).

ممنَ اجتمع من الناس على مناظرة أو جدل ، وأن من فعل ذلك أحلّ بنفسه الضرب ، وتقدم إلى الشرّاب والذين يسقون الماء في الجامعين ألا يترحَّموا على معاوية ، ولا يذكروه بخير .

* * *

[ذكر كتاب المعتضد في شأن بني أمية][1]

وتحدَّث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر ، فلما صلى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يُقرأ .

فذُكر : أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإِنْشائه بلعْن معاوية ، فأخرِج له من الدّيوان ، فأخِذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب ، وذكر : أنَّ نسخة الكتاب الذي أنشئ للمعتضد بالله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليّ العظيم ، الحليم الحكيم ، العزيز الرحيم ، المتفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته؛ الذي يعلم سوابقَ الصدور ، وضمائر القلوب ، لا يخفى عليه خافيةٌ ، ولا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرّة في السموات العُلا ، ولا في الأرضين السفلى؛ قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كلَّ شيء عدداً ، وضرب لكل شيء أمداً ، وهو العليم الخبير ، والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفته ، على سابق علمه في طاعة مطيعهم ، وماضي أمره في عصيان عاصيهم؛ فبيَّن لهم ما يأتون وما يتَّقون ، ونهج لهم سبل النجاة ، وحذَّرهم مسالك الهَلَكة ، وظاهَر عليهم الحجَّة ، وقدَّم إليهم المعذرة ، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم ، وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين بعُروته أولياءَه وأهلَ طاعته ، والعاندين عنه والمخالفين له أعداءَه وأهلَ معصيته ، ليهلك مَنْ هَلَكَ عن بينة ، ويحيَا مَن حيّ عن بينّة ، وإن الله لسميع عليم ، والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله من جميع بريَّته ،

---

(١) انظر تعليقنا في نهاية هذا الخبر (١٠/ ٦٣/ ٦٩٠).

واختار لرسالته ، وابتعثه بالهدى والدّين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ، وتأذّن له بالنصر والتمكين ، وأيده بالعزّ والبرهان المتين ، فاهتدى به مَن اهتدى ، واستنقذ به مَن استجاب له من العمى ، وأضلّ من أدبر وتولّى ، حتى أظهر الله أمرَه ، وأعزّ نصرَه ، وقهر مَنْ خالفه ، وأنجز له وعده ، وختَم به رسله ، وقبضه مؤدّياً لأمره ، مبلِّغاً لرسالته ، ناصحاً لأمته ، مرضياً مهتدياً إلى أكرم مآب المنقلبين ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين ، وعباده الفائزين؛ فصلِّ اللهم عليه أفضل صلاة وأتمَّها ، وأجلَّها وأعظمَها ، وأزكاها وأطهرها وعلى آله الطيبين .

والحمدُ لله الذي جعل أمير المؤمنين وسلفه خلفاء خاتم النبيين وسيدّ المرسلين والقائمين بالدّين والمقوّمين لعباده المؤمنين ، والمستحفظين ودائع الحكمة ، ومواريث النبوة ، والمستخلَفين في الأمة ، والمنصورين بالعزّ والمنعة ، والتأييد والغلبة؛ حتى يظهر الله دينَه على الدّين كله ولو كره المشركون .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعةٌ من العامة من شُبْهة قد دخلتهم في أديانهم ، وفساد قد لحِقهم في معتَقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم ، ونطقت بها ألسنتُهم ، على غير معرفة ولا رويّة ، وقلدوا فيها قادة الضلالة بلا بيّنَةٍ ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتبعة ، إلى الأهواء المبتدعة ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، خروجاً عن الجماعة ، ومسارعة إلى الفتنة وإيثاراً للفرقة ، وتشتيتاً للكلمة وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة ، وبَتَـرَ منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن صغّر الله حقه ، وأوهن أمره ، وأضعف ركنه ، من بني أمية الشجرة الملعونة ، ومخالفةً لمن استنقَذهم الله به من الهَلَكة ، وأسبغ عليهم به النّعمة؛ من أهل بيت البركة والرحمة ، قال الله عز وجل : ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ ، فأعظم أميرُ المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ، ورأى في ترك إنكاره حرَجاً عليه في الدين ، وفساداً لمن قلّده الله أمره من المسلمين ، وإهمالاً لمَا أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين ، وإقامة الحجة على الشاكّين ، وبسْط اليد على المعاندين .

وأمير المؤمنين يرجع إليكم معشر الناس بأن الله عز وجل لمّا ابتعث محمداً بدينه ، وأمره أن يصدَع بأمره ، بدأ بأهله وعشيرته ، فدعاهم إلى ربه ، وأنذرهم وبشَّرهم ، ونصحَ لهم وأرشدهم ، فكان من استجاب له وصدّق قولَه ، واتّبع أمره نفرٌ يسير من بني أبيه ، من بين مؤمنٍ بما أتى به من ربِّه ، وبين ناصر له وإن لم يتّبع دينَه؛ إعزازاً له ، وإشفاقاً عليه ، لماضي علم الله فيمن اختار منهم ، ونفذت مشيئته فيما يستودعه إياه من خلافته وإرْث نبيّه؛ فمؤمنهم مجاهد بنُصرته وحميّته ، يدفعون مَنْ نابذَه ، وينهرون مَنْ عازّه وعانده ، ويتوثّقون له ممن كانفه وعاضده ، ويبايعون له مَنْ سمح بنصرته ، ويتجسَّسون له أخبار أعدائه ، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأى العين؛ حتى بلغ المدَى ، وحان وقت الاهتداء ، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله ، والإيمان به ، بأثبت بصيرة ، وأحسن هدى ورغبة ، فجعلهم الله أهل بيتِ الرّحمة ، وأهل بيت الدين ـ أذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً ـ ومعدن الحكمة ، وورثة النبوّة وموضع الخلافة ، وأوجب لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة .

وكان ممن عانده ونابذه وكذّبه وحاربه من عشيرته العددُ الأكثر ، والسواد الأعظمُ؛ يتلقّوْنَه بالتكذيب والتثريب ، ويقصدونه بالأذيّة والتخويف ، ويبادونه بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ، ويصدّون عنه مَنْ قصده ، وينالون بالتعذيب مَن اتّبعه ، وأشدُّهم في ذلك عداوةً وأعظمهم له مخالفة ، وأوّلهم في كلّ حرب ومناصَبَة ، لا يُرفع على الإسلام رايةٌ إلا كان صاحبها وقائدها ورئيَسها ، في كلّ مواطن الحرب ، من بدر وأُحُد والخندق والفتح . . . أبو سفيان بن حَرْب وأشياعه من بني أمية ، الملعونين في كتاب الله ، ثم الملعونين على لسان رسول الله في عدّة مواطن ، وعدّة مواضع ، لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم ، ونفاقهم وكفر أحلامهم؛ فحارب مجاهداً ، ودافع مكابداً ، وأقام منابذاً حتى قهره بالسيف ، وعلا أمر الله وهم كارهون؛ فتقوّل بالإسلام غير منطوٍ عليه ، وأسرَّ الكفر غير مقلع عنه ، فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون ، وميز له المؤلفة قلوبُهم ، فقبله وولده على علم منه؛ فممّا لعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ ، وأنزل به كتاباً قوله : ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾ ، ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أميّة .

ومنه قول الرسول عليه السلام وقد رآه مقبلاً على حمارٍ ومعاوية يقوُد به ويزيد ابنه يسوق به: «لعن الله القائد والرّاكب والسائق». ومنه ما يرويه الرّواة من قوله: يا بني عبد مناف تلقّفوها تلقّف الكرة، فما هناك جنة ولا نار. وهذا كفر صُراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ ومنه ما يروون من وقوفه على ثنيّة أُحُد بعد ذَهَاب بصره، وقوله لقائده: هاهنا ذبْبنا محمداً وأصحابه، ومنه الرؤيا التي رآها النبي ﷺ فوجَم لها، فما رُئي ضاحكاً بعدها، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾؛ فذكروا أنه رأى نفراً من بني أمية ينزون على منبره. ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص لحكايته إياه. وألحقه الله بدعوة رسوله آيةً باقية حين رآه يتخلّج، فقال له: «كن كما أنت»، فبقيَ على ذلك سائر عمره، إلى ما كان من مروان في افتتاحه أوّل فتنة كانت في الإسلام، واحتقابه لكلّ دم حرام سُفِك فيها أو أريق بعدها.

ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ من مُلْك بني أمية. ومنه أن رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه، فدافع بأمره، واعتلّ بطعامه، فقال النبيّ: «لا أشبع اللهُ بطنه»، فبقى لا يشبع، ويقول: والله ما أترك الطعام شبعاً؛ ولكن إعياء. ومنه أن رسول الله ﷺ قال: «يطلع من هذا الفجّ رجلٌ من أمتي يُحشر على غير ملتي» فطلع معاوية. ومنه أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه». ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال: «إن معاوية في تابوت من نار في أسفل دَرك منها ينادِي: يا حنّان يا منّان، الآن وقد عصيتُ قبلُ وكنتُ من المفسدين.

ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم إليه سبقاً، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً؛ عليّ بن أبي طالب، ينازعه حقه بباطله، ويجاهد أنصاره بضُلّاله وغواته، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه، من إطفاء نور الله وجحود دينه، ويأبى الله إلا أن يُتمّ نوره ولو كره المشركون، يستهوى أهلَ الغباوة، ويموّه على أهل الجهالة بمكرِه وبغيه، الذين قدّم رسول الله ﷺ الخبر عنهُما، فقال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار»، مؤثراً للعاجلة، كافراً بالآجلة، خارجاً من رِبْقة

الإسلام ، مستحلاً للدّم الحرام ، حتى سفك في فتنته ، وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عددُه من خيار المسلمين الذابّين عن دين الله والناصرين لحقه ، مجاهداً لله ، مجتهداً في أن يُعصى الله فلا يُطاع ، وتُبطَل أحكامه فلا تُقام ، ويُخالَف دينه فلا يُدان ، وأن تعلوَ كلمة الضلالة ، وترتفع دعوة الباطل؛ وكلمة الله هي العليا ، ودينه المنصور ، وحكمه المتّبع النافذ ، وأمره الغالب ، وكيد من حادّه المغلوب الدَّاحض؛ حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتّبعها ، وتطوّق تلك الدماء وما سُفك بعدها ، وسنَّ سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأباح المحارم لمن ارتكبها ، ومنع الحقوق أهلَها؛ واغترّه الإملاء ، واستدرجه الإمهال ، والله له بالمرصاد.

ثم مما أوجب الله له به اللعنة قتلُه مَنْ قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة؛ مثل عمرو بن الحَمِق وحُجْر بن عديّ ، فيمن قتل [من] أمثالهم ، في أن تكون له العزّة والملك والغلبة ، ولله العزة والملك والقدرة ، والله عز وجل يقول: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ .

ومما استحقّ به اللعنة من الله ورسوله ادّعاؤه زيادَ بن سُميّة ، جرأةً على الله؛ والله يقول: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ، ورسولﷺ ، يقول: «ملعون مَن ادّعى إلى غير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه» ، ويقول: «الولد للفِراش وللعاهر الحجر» ، فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيهﷺ جهاراً ، وجعل الولد لغير الفراش ، والعاهر لا يضرّه عهرُه ، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أمّ حبيبة زوجة النبيّﷺ وفي غيرها من سُفور وجوه ما قد حرّمه الله ، وأثبت بها قربى قد باعدها الله ، وأباح بها ما قد حظره الله ، مما لم يدخل على الإسلام خلل مثله ، ولم ينل الدين تبديل شبهُه.

ومنه إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبّر الخمِّير ، صاحب الدّيوك والفهود والقُرود ، وأخذُه البيعة له على خيار المسلمين بالقَهْر والسطوة والتوعيِد والإخافة والتهدّد والرهبة ، وهو يعلم سفهه ، ويطّلع على خبثه ورَهقه ، ويعاين سكَرَانه وفجورَه وكفره ، فلما تمكن منه ما مكّنه منه ، ووطَّأه له ، وعصى الله ورسوله فيه ، طلبَ بثأرات المشركين وطوائِلهم عند المسلمين ،

فأوقع بأهل الحَرّة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنعُ منها ولا أفحش؛ ممَّا ارتكب من الصالحين فيها ، وشفى بذلك عَبَد نفسه وغليله ، وظن أنه قد انتقم من أولياء الله ، وبلّغ النَّوى لأعداء الله ، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا جزَعَ الخزْرَجِ من وقع الأَسلْ
قد قتلنا القَوْم من ساداتكمْ وعَدلنا ميْلَ بدر فاعتدَلْ
فأَهَلَّوا واستهلُّوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تُسَلْ
لسْتُ من خِندفَ إن لم أنتقم من بني أَحمدَ ما كان فعلْ
وَلِعَتْ هاشِمُ بالمُلكِ فلا خبرٌ جاءَ ، ولا وحيٌ نزَلْ

هذا هو المروقُ من الدين ، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ، ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله.

ثم مِنْ أغلظ ما انتهك ، وأعظم ما اخترم سفكهُ دم الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ مع موقِعه من رسول الله ﷺ ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل ، وشهادة رسول الله ﷺ له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة ، اجتراءً على الله ، وكفراً بدينه ، وعداوةً لرسوله ، ومجاهدةً لعترته ، واستهانةً بحرمته ، فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كُفَّار أهل الترك والدّيلم ، لا يخاف من الله نقمةً ، ولا يرقب منه سطوة ، فبتر الله عمرَه ، واجتثّ أصله وفرعه ، وسلبه ما تحت يده ، وأعدّله من عذابه وعقوبته ما استحقَّه من الله بمعصيته.

هذا إلى ما كان من بني مَرْوان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه ، واتّخاذ مال الله دُولاً بينهم ، وهَدْم بيته ، واستحلال حرامه ، ونصبهم المجانيقَ عليه ، ورميِهم إياه بالنِيران ، لا يألون له إحراقاً وإخراباً ، ولما حرّم الله منه استباحة وانتِهاكاً ، ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً ، ولمن أمَّنهُ الله به إخافة وتشريداً؛ حتى إذا حُقّت عليهم كلمة العذاب ، واستحقُّوا من الله الانتقام ، وملؤوا الأرض بالجوْر والعُدوان ، وعمُّوا عباد الله بالظلم والاقتسار ، وحلَّت عليهم السخطة ، ونزلت بهم من الله السَّطْوة ، أتاح الله لهم من عِتْرة نبيِّه ، وأهل وراثته مَن استخلصهم منهم بخلافته ، مثل ما أتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين ، فسفك الله بهم دماءَهم مرتدّين ، كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين؛ وقطع الله دابر القوم الظالمين ، والحمد لله رب العالمين ،

ومكن الله المستضعفين ، وردَّ الله الحق إلى أهله المستحقين ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ .

واعلموا أيها الناس ، أنّ الله عز وجل إنما أمر ليُطاع ، ومثّل ليتمثَّل ، وحكم ليُقبَل ، وألزم الأخذ بسنة نبيه ﷺ ليُتَّبع ؛ وإن كثيراً ممّن ضلّ فالتوى ، وانتقل من أهل الجهالة والسَّفاه ممنّ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ؛ وقد قال الله عز وجل : ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ .

فانتهوا معاشر الناس عما يُسخط الله عليكم ؛ وراجعوا ما يرضيه عنكم ، وارضوْا من الله بما اختار لكم ، والزموا ما أمركم به ، وجانبوا ما نهاكم عنه ، واتَّبعوا الصراط المستقيم ، والحجة البيّنة ، والسبل الواضحة ، وأهل بيت الرحمة ؛ الذين هداكم الله بهم بديئاً ، واستنقَذكم بهم من الجوْر والعُدوان أخيراً ، وأصاركم إلى الخفض والأمن والعزّ بدولتهم ، وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيامهم ، والعنوا مَنْ لعنه الله ورسوله ، وفارِقوا مَنْ لا تنالون القربة من الله إلا بمفارقته .

اللهم العن أبا سفيان بن حرب ، ومعاوية ابنه ، ويزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم وولده ، اللهم العن أئمة الكفر ، وقادة الضلالة ، وأعداء الدين ، ومجاهدي الرسول ، ومغيِّري الأحكام ، ومبدّلِي الكتاب ، وسفَّاكِي الدّم الحرام .

اللهم إنَّا نتبرّأ إليك من موالاة أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك ، كما قلتَ : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ .

يا أيها الناس ، اعرفوا الحقّ تعرفوا أهله ، وتأمّلوا سبل الضلالة تعرفوا سابلَها ، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالُهم ، ويلحقهم بالضلال والصلاح آباؤهم ؛ فلا يأخذكم في الله لومة لائم ، ولا يميلنّ بكم عن دين الله استهواء مَنْ يستهويكم وكيدُ مَنْ يكيدكم ، وطاعة من تُخرجكم طاعته إلى معصية ربِّكم .

أيها الناس ، بنا هداكم الله ، ونحن المستحفَظون فيكم أمر الله ، ونحن ورثة رسول الله والقائمون بدين الله ، فقفوا عندما نقفكم عليه ، وانفذوا لما نأمركم به ؛

فإنكم ما أطعتم خلفاءَ الله وأئمة الهدى على سبيل الإيمان والتقوى؛ فأمير المؤمنين يستعصم الله لكم، ويسأله توفيقكم، ويرغب إلى الله في هدايتكم لرشدكم، وفي حفظ دينه عليكم؛ حتى تلقوه به مستحقين طاعته، مستحقين لرحمته، والله حسْب أمير المؤمنين فيكم، وعليه توكله، وبالله على ما قلَّده من أموركم استعانتُه، ولا حول لأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله والسلام عليكم.

وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة أربع وثمانين ومئتين.

وذكر: أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب القاضي، وأمره أن يُعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد؛ فمضى يوسف بن يعقوب، فكلّم المعتضد في ذلك، وقال له: يا أمير المؤمنين؛ إني أخاف أن تضطرب العامة، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة! فقال: إن تحركت العامة أو نطقت وضعتُ سيفي فيها. فقال: يا أميرَ المؤمنين، فما تصنع بالطالبيِّين الَّذين هم في كل ناحية يخرجون، ويميلُ إليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول ومآثرهم؛ وفي هذا الكتاب إطراؤهم، أو كما قال، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميَل، وكانوا هم أبسط ألسنة، وأثبت حجة منهم اليوم، فأمسك المعتضد فلم يردّ عليه جواباً، ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء(١).

---

(١) هذا خبر باطل متناً وسنداً ـ فقد:

١ ـ ذكره الطبري بلا إسناد وهذا أمر في غاية الخطورة ولو كان صحيحاً لتناقله العلماء والرواة في ذلك العصر وما أكثرهم.

٢ ـ ومما يكشف زيف هذا الخبر ما جاء في أوله من أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية فأخرج له من الديوان. اهـ.

ومثل هذا لم يقع البتة من المأمون وحتى الروايات الضعيفة لم تذكر هذا الكتاب عن المأمون علماً بأن المأمون كان من علماء عصره فقد اهتم بتدوين العلوم المختلفة فكيف لم يذكر التاريخ شيئاً عن كتابه هذا في عهده حتى مرّ على وفاته أكثر من قرن من الزمان؟!

٣ ـ إن قراءة متأنيةً لمضمون هذه الرسالة تؤكد أن الذي كتبه صاحب بدعة مُغالٍ في بغضه لأصحاب النبيﷺ فلم يدع خبراً منكراً في ذم سيدنا معاوية إلا وذكره هنا أضف إلى ذلك تفسير الآيات القرآنية تفسيراً باطلاً لم يذكره كتاب من كتب التفسير المعتمدة عند أهل السنة والجماعة وهي أحاديث باطلة في ذم معاوية كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى [البداية والنهاية ٨/ ٢٦٠] سوى حديث واحد هو قوله عليه الصلاة والسلام لا أشبع الله بطنه ـ فذلك من مناقبه فلو تذكرنا سبب ورود هذا الحديث لعلمنا أنه رضي الله عنه كان من كتاب الحديث=

وفي يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من رجب منها شخص جعفر بن بَغلاغز إلى عمرو بن الليث الصفار وهو بنيسابور بخِلَع ولواء لولايته على الريّ وهدايا من قِبَل المعتضد.

وفي هذه السنة لحق بكر بن عبد العزيز بن أبي دُلف بمحمد بن زيد العَلَوِيّ بطبرستان، فأقام بدر وعبيد الله بن سليمان ينتظران أمرَ بكر إلامَ يؤول وعلى إصلاح الجبل.

وفيها ـ فيما ذكر ـ فُتِحت من بلاد الروم قرّة، على يد راغب مولى الموفق وابن كلوب، وذلك في يوم الجمعة من رجب.

وفي ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة خلت من شعبان ـ أو ليلة الخميس فيما ذكر ـ ظهر شخص إنسان في يده سيف في دار المعتضد بالثُرَيّا، فمضى إليه بعض الخدم لينظر ما هو، فضربه الشخص بالسَّيف ضربة قطع بها منطقته، ووصل السيف إلى بدن الخادم، ورجع الخادم منصرفاً عنه هارباً، ودخل الشخص في زرع في البستان، فتوارى فيه، فطُلب باقي ليلته ومن غد، فلم يوقف له على أثر، فاستوحش المعتضد لذلك، وكثَّر الناس في أمره رجماً بالظنون، حتى قالوا: إنه من الجنّ، ثم عاد هذا الشخص للظهور بعد ذلك مراراً كثيرة، حتى وكّل المعتضد بسور داره، وأحكم السور ورأسه، وجعل عليه كالبرابخ؛ لئلا يقع عليه الكُلاَّب إن رُمِيَ به، وجيء باللصوص من الحبس ونوظروا في ذلك، وهل يمكن أحد الدخول إليه بنقب أو تسلُّق.

= وقد قال عليه الصلاة والسلام هذا القول (أو الدعاء) في حقه لمّا تأخر عن المجيء يوماً من الأيام لكتابة الآيات القرآنية المنزلة.
أضف إلى ذلك فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد طلب من الله سبحانه وتعالى أن يجعل ما دعا به على أحدٍ من أصحابه (يوماً ما) بركة وخيراً ويبدله بالفضل والنعمة (معنى قول النبي ﷺ لا لفظه) وهذا يعني أن هذا الدعاء عاد بركة على سيدنا معاوية رضي الله عنه وثالثاً فإن عدم الشبع من صفات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فهم لا يشبعون إذا أكلوا والسعيد من قلّدهم وسار على طريقتهم وسنتهم في أمور الحياة كلها ـ ألا رضي الله عن سيدنا معاوية الذي بايعه المسلمون جميعاً عام الجماعة وكان قبلها كاتباً للوحي وقائداً فاتحاً أيام الخلافة الراشدة وخليفة للمسلمين عقدين من الزمان.

وفي يوم السبت لثمان بقين من شعبان من هذه السنة ، وجّه كرامة بن مُرّ من الكوفة بقوم مقيَّدين ، ذكر أنهم من القرامطة ، فأقرّوا على أبي هاشم بن صدقة الكاتب أنه كان يكاتبهم ، وأنه أحد رؤسائهم ، فقبض على أبي هاشم ، وقيِّد وحبس في المطامير[١] .

وفي يوم السبت لسبع خلون من شهر رمضان من هذه السنة جُمع المجانين والمعزّمون ، ومُضِيَ بهم إلى دار المعتضد في الثريّا بسبب الشَّخص الذي كان يظهر له ، فأدخِلوا الدار ، وصعِد المعتضد عِلِّيّةً له ، فأشرف عليهم؛ فلما رآهم صرِعت امرأة كانت معهم من المجانين واضطربت ، وتكشَّفت فضجر وانصرف عنهم ، ووهب لكلّ واحد منهم خمسةَ دراهم ـ فيما ذكر ـ وصُرفوا .

وقد كان وجّه إلى المعزّمين قبل أن يشرف عليهم مَن يسألهم عن خبر الشخص الذي ظهر له : هل يمكنهم أن يعلموا علمه؟ فذكر قومٌ منهم أنهم يعزّمون على بعض المجانين ، فإذا سقط سأل الجنّيّ عن خبر ذلك الشخص وما هو ، فلما رأى المرأة التي صُرعت أمر بصرفهم .

وفي ذي القعدة منها ورد الخبر من أصبهان بوثوب الحارث بن عبد العزيز بن أبي دُلف المعروف بأبي ليلى بشفيع الخادم الموكَّل كان به فقتله ، وكان أخوه عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف أخذه فقيَّده ، وحمله إلى قلعة لآل أبي دلف بالزّزّ ، فحبسه فيها ، وكان كلّ ما لآل أبي دُلف من مال ومتاع نفيس وجوهر في القَلْعة ، وشفيع مولاهم موكّل بحفظ ذلك وحفظ القلعة ، ومعه جماعة من غلمان عمر وخاصّته ، فلما استأمن عمر إلى السلطان ، وهرب بكر عاصياً للسلطان بقيت القلعة بما فيها في يد شفيع ، فكلَّمه أبو ليلى في إطلاقه فأبى ، وقال : لا أفعل فيك وفيما في يدي إلا بما يأمرني به عمر .

فذكر عن جارية لأبي ليلى أنها قالت : كان مع أبي ليلى في الحبس غلامٌ صغير يخدُمه ، وآخر يخرج ويدخل في حوائجه ولا يبيت عنده ، ويبيت عنده الغلام الصغير ، فقال أبو ليلى لغلامه الذي يخرج في حوائجه : احتلْ لي في مِبْرد تدخله إليّ ، ففعل وأدخله في شيء من طعامه ، وكان شفيع الخادم يجيء في كل ليلة إذا

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٢).

أراد أن ينام إلى البيت الذي فيه أبو ليلى حتى يراه ، ثم يقفل عليه باب البيت هو بيده ويمضي فينام ، وتحت فراشه سيف مسلول ، وكان أبو ليلى قد سأل أن تُدخَل إليه جارية ، فأدخِلت إليه جارية حدَثة السنِ ، فذكر عن ذلفاء جارية أبي ليلى عن هذه الجارية أنها قالت: بَـردَ أبو ليلى المسمار الذي في القيد ، حتى كان يخرجه من رجله إذا شاء ، قالت: وجاء شفيع الخادم عشيَّةٌ من العشايا إلى أبي ليلى ، فقعد معه يحدّثه ، فسأله أبو ليلى أن يشرب معه أقداحاً ، ففعل ، ثم قام الخادم لحاجته ، قالت: فأمرني أبو ليلى ، ففرشتُ فراشه ، فجعل عليه ثياباً في موضع الإنسان من الفراش ، وغطى على الثياب باللِّحاف ، وأمرني أن أقعد عند رِجْل الفراش ، وقال لي: إذا جاء شفيع لينظر إليّ ويقفل الباب ، فسألك عنّي فقولي: هو نائم ، وخرج أبو ليلى من البيت ، فاختفى في جوف فرش ومتاع في صُـفَّـة فيها باب هذا البيت ، وجاء شفيع فنظر إلى الفراش ، وسأل الجارية فأخبرتْه أنه قد نام ، فأقفل الباب ، فلمَّا نام الخادم ومَنْ معه في الدار التي في القلعة خرج أبو ليلى ، فأخذ السيف من تحت فراش شفيع ، وشدّ عليه فقتله ، فوثب الغلمان الذين كانوا ينامون حوله فزعين ، فاعتزلهم أبو ليلى والسيف في يده ، وقال لهم: أنا أبو ليلى قد قتلتُ شفيعاً ، ولئن تقدم إليّ منكم أحد لأقتلنَّه وأنتم آمنون؛ فاخرجوا من الدار حتى أكلِّمَكم بما أريد ، ففتحوا باب القلعة ، وخرجوا وجاء حتى قعد على باب القلعة ، واجتمع الناس ممَّن كان في القلعة فكلَّمهم ووعدهم الإحسان ، وأخذ عليهم الأيْمان ، فلمَّا أصبح نزل من القَلْعة ، ووجَّه إلى الأكراد وأهل الزّموم ، فجمعهم وأعطاهم ، وخرج مخالفاً على السلطان ، وقيل: إن قتله الخادم كان في ليلة السبت لاثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة ، وقيل: إنه ذبح الخادم ذبحاً بسكِين كان أدخلها إليه غلامه ، ثم أخذ السيف من تحت فراش الخادم وقام به إلى الغلمان.

وفي هذه السنة ـ وهي سنة أربع وثمانين ومئتين ـ كان المنجّمون يوعدون الناس بغرق أكثر الأقاليم ، وأنّ إقليم بابل لا يسلم منه إلا اليسير ، وأنّ ذلك يكون بكثرة الأمطار وزيادة المياه في الأنهار والعيون والآبار ، فقحط الناس فيها فلم يروْا فيها من المطر إلا اليسير ، وغارت المياه في الأنهار ، والعيون والآبار ،

حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء فاستسقوا ببغداد مرات[١] .

ولليلة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة كانت ـ فيما ذكر ـ وقعة بين عيسى النُّوشريّ وبين أبي ليلى بن عبد العزيز بن أبي دلف ، وذلك يوم الخميس دون أصبهان بفرسخين ، فأصاب أبا ليلى سهم في حلقه ـ فيما ذكر ـ فنحره ، فسقط عن دابّته ، وانهزم أصحابه ، وأخِذ رأسه فحُمِل إلى أصبهان .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشميّ المعروف بأترجّة[٢] .

* * *

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قطع صالح بن مُدرك الطائيّ في جماعة من طَيّئ على الحاجّ بالأجفُر يوم الأربعاء لاثنتي عشرة بَقيتْ من المحرم ، فحاربه الجنّيّ الكبير ، وهو أمير القافلة ، فظفِر الأعراب بالقافلة ؛ فأخذوا ما كان فيها من الأموال والتِّجارات ، وأخذوا جماعة من النِّساء الحرائر والمماليك ، وقيل إنّ ذلك الذي أخذوا من الناس بقيمة ألفي ألف دينار[٣] .

ولسبع بقين من المحرم منها قُرِئَ على جماعة من حاجّ خُراسان في دار المعتضد بتولية عمرو بن الليث الصّفّار ما وراء نهر بلخ ، وعزل إسماعيل بن أحمد عنه[٤] .

ولخمس خلون من صفر منها ورد مدينة السلام وصيف كامه مع جماعة من القوّاد من قِبَل بدر مولى المعتضد وعبيد الله بن سليمان من الجبل ، معهم رأس الحارث بن عبد العزيز بن أبي دُلف المعروف بأبي ليلى ، فمضوا به إلى دار

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) .
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٤) .
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٧) .
(٤) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٧) .

المعتضد بالثريَّا ، فاستوهبه أخوه فوهبه ، واستأذنه في دفنه فأذن له ، وخلع على عمر بن عبد العزيز ، في هذا اليوم وعلى جماعة من القواد القادمين .

وفيها ـ فيما ذكر ـ كتب صاحب البريد من الكُوفة ، يذكر أن ريحاً صفراء ارتفعت بنواحي الكوفة في ليلة الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الأول ، فلم تزل إلى وقت صلاة المغرب ، ثم استحالت سوداءَ فلم يزل الناس في تضرّع إلى الله .

وإنّ السماء مطرت بعقب ذلك مطراً شديداً برعود هائلة وبروق متّصلة ، ثم سقط بعد ساعة بقرية تعرف بأحمد أباذ ونواحيها حجارة بِيض وسود مختلفة الألوان ، في أوساطها ضَغطة شبه أفهار العطارين ، فأنفذ منها حَجَراً ، فأخرِج إلى الدواوين والناس حتى رأوه (١) .

ولتسع بَقين منه شخص ابن الإخشاد أميراً على طَرَسوس من بغداد مع النَّفر الذين كانوا قدموا منها يسألون أن يولّى عليهم وال .

وخرج أيضاً في هذا اليوم من بغداد فاتك مولى المعتضد للنَّظر في أمور العمَّال بالموصل وديار ربيعة وديار مضر والثغور والشامية والجزرية وإصلاح الأمور بها إلى ما كان يتقلده من أعمال البريد بهذه النواحي .

وفي هذه السنة ورد الخبر ـ فيما ذُكر ـ من البصرة أن ريحاً ارتفعت بها بعد صلاة الجمعة لخمس بقين من شهر ربيع الأول صفراء ، ثم استحالت خضراء ثم سوداء ، ثم تتابعت الأمطار بما لم يروْا مثلَها ، ثم وقع بردٌ كبار كان وزن البَرَدَة الواحدة مئة وخمسين درهماً ـ فيما قيل ـ وأن الريح أقلعت من نهر الحسين خمسمئة نخلة وأكثر ، ومن نهر معقل مئة نخلة عدداً (٢) .

وفيها كانت وفاة الخليل بن ريمال بحُلوان .

ولخمس خلوْن من جُمادى الآخرة ورد الخبر على السلطان أن بكر بن عبد العزيز بن أبي دُلف تُوُفِّيَ بطبَرِستان من علَّة أصابته ، ودفن هنالك . فأعطى الذي جاء بالخبر ـ فيما ذكر ـ ألف دينار .

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٧) .

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٨) .

وفيها ولّى المعتضد محمد بن أبي الساج أعمال أَذْربيجان وأرمينية ، وكان قد تغلَّب عليها وخالف ، وبعث إليه بخلع وحُملان .

وفيها ورد الخبر لثلاث خلوْن من شعبان أنّ راغباً الخادم مولى الموفَّق غزا في البحر ، فأظفره الله بمراكب كثيرة ، وبجميع مَنْ فيها من الرُّوم ، فضرب أعناق ثلاثة آلاف من الرّوم الذين كانوا في المراكب ، وأحرق المراكب ، وفتح حصوناً كثيرة من حصون الروم ، وانصرفوا سالمين(١) .

وفي ذي الحجَّة منها ورد الخبر بوفاة أحمد بن عيسى بن شيْخ وقيام ابنه محمد بن أحمد بن عيسى بما كان في يد أبيه بآمِد ، وما يليها على سبيل التغلب .

ولإحدى عشرة بقيت من ذي الحجة منها خرج المعتضد من بغداد قاصداً إلى آمد ، وخرج معه ابنه أبو محمد والقوّاد والغلمان ، واستخلف ببغداد صالحاً الأمين الحاجب ، وقلّده النَّظر في المظالم وأمر الجسرين وغير ذلك(٢) .

وفيها وجَّه هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ومَنْ معه من قوّاد المصريين إلى المعتضد وصيفَ قاطرميز ، يسألونه مقاطعتَهم عمَّا في أيديهم من مصر والشأم ، وأجرى هارون على ما كان يجري عليه أبوه ، فقدم وصيف بغداد ، فردّه المعتضد ، ووجَّه معه عبد الله بن الفتح ليشافههم برسائل ، ويشترط عليهم شروطاً ، فخرجا لذلك في آخر هذه السنة .

وفيها غزا ابن الأخشاد بأهل طَرَسُوس وغيرهم في ذي الحجة ، وبلغ سَلَنْدُو .

وفتِح عليه ، وكان انصرافه إلى طرسوس في سنة ست وثمانين ومئتين .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود الهاشمي(٣) .

* * *

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٨) .
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٩) .
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٣٧٩) .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومئتين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من توجيه محمد بن أبي الساج ابنه المعروف بأبي المسافر إلى بغداد رهينةً بما ضمن للسلطان من الطاعة والمناصحة ، فقدم ـ فيما ذكر ـ يوم الثلاثاءِ ، لسبع خلوْن من المحرّم منها ، معه هدايا من الدوابّ والمتاع وغير ذلك ، والمعتضد يومئذ غائب عن بغداد.

وفي شهر ربيع الآخر منها ورد الخبر أنّ المعتضد بالله وصل إلى آمد ، فأناخ بجنده عليها ، وأغلق محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ عليه أبواب مدينة آمد ، وعلى من فيها من أشياعه. ففرّق المعتضد جيوشه حولها وحاصرهم ، وذلك لأيام بقيَتْ من شهر ربيع الأول ، ثم جرت بينهم حروب ، ونَصب عليهم المجانيق ، ونَصب أهل آمد على سورهم المجانيق ، وتراموْا بها [(١)].

وفي يوم السبت لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى وجّه محمد بن أحمد ابن عيسى إلى المعتضد يطلب لنفسه ولأهله ولأهل آمد الأمان ، فأجابه إلى ذلك ، فخرج محمد بن أحمد بن عيسى في هذا اليوم ومَنْ معه من أصحابه وأوليائه فوصلوا إلى المعتضد ، فخلع عليه وعلى رؤساء أصحابه ، وانصرفوا إلى مضرب قد أعدّ لهم ، وتحوّل المعتضد من عسكره إلى منازل ابن عيسى بن شيخ ودوره؛ وكتب بذلك كتاباً إلى مدينة السَّلام مؤرَّخاً بيوم الأحد لعشر بقين من جمادى الأولى. ولخمس بقين من جمادى الأولى منها ورد الكتاب من المعتضد بفتحه آمد إلى مدينة السلام ، وقرئ على المنبر بالجامع.

وفيها انصرف عبد الله بن الفتح إلى المعتضد وهو مقيم بآمد من مصر بأجوبة كتُبه إلى هارون بن خمارويه ، وأعلمه أنّ هارون قد بذل أن يسلّم أعمال قِنّسرين العواصم ، ويحمل إلى بيت المال ببغداد في كلّ سنة أربعمئة ألف وخمسين ألف دينار ، وأنه يسأل أن يجدّد له ولاية على مصر والشأم ، وأن يوجّه المعتضد بخادم من خدمه إليه بذلك ، فأجابه إلى ما سأل ، وأنفذ إليه بدراً القداميّ

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٩٨).

وعبد الله بن الفتح بالولاية والخلع ، فخرجا من آمد إلى مصر بذلك ، وتسلم عمّال المعتضد أعمال قِنَّسرين والعواصم من أصحاب هارون في جُمادى الأولى ، وأقام المعتضد بآمد بقيّة جُمادى الأولى وثلاثة وعشرين يوماً من جُمادى الآخرة. ثم ارتحل منها يومَ السَّبت لسبع بَقين منها نحو الرقة ، وخلَّف ابنه عليّاً بآمد مع جيوش ضمَّهم إليه لضبط الناحية وأعمال قِنَّسرين والعواصم وديار ربيعة وديار مُضر. وكان كاتب عليّ بن المعتضد يومئذ الحسين بن عمرو النّصرانيّ ، وقلد الحسين بن عمرو النظر في أمور هذه النواحي ومكاتبة العمّال بها ، وأمر المعتضد بهدم سور آمِد فهُدم [١].

وفيها وافتْ هدية عمرو بن الليث الصفّار من نيسابور إلى بغداد ، فكان مبلغ المال الذي وجّهه أربعة آلاف ألف درهم ، وعشرين من الدوابّ ، وبسروج ولُجم محلّاة مغرّقة ومئة وخمسين دابة بجلال مشهّرة وكسوة وطيب وبُزاة ، وذلك في يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة [٢].

وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجنّابي بالبحرين ، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة؛ وكان خروجه ـ فيما ذُكر ـ في أول السنة ، وكثر أصحابه في جمادى الآخرة ، وقويَ أمرُه ، فقتل من حوله من أهل القرى ، ثم صار إلى موضع يقال له القَطيف ، بينه وبين البصرة مراحل ، فقتَل مَنْ بها. وذكر أنه يريد البصرة ، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواثقيّ ـ وكان يتقلّد معاون البصرة وكور دجلة في ذلك الوقت ـ إلى السلطان بما اتَّصل به من عَزْم هؤلاء القرامطة؛ فكتب إليه وإلى محمد بن هشام المتولّي أعمال الصّدقات والخراج والضيّاع بها ، في عمل سور على البصرة ، فقُدّرت النفقة على ذلك أربعة عشر ألف دينار ، فأمر بالإنفاق عليه فُبنِي [٣].

وفي رجب من هذه السنّة صار إلى الأنبار جماعة من أعراب بني شَيْبان ، فأغاروا على القرى ، وقتلوا من لحقوا من الناس ، واستاقوا المواشي. فخرج إليهم أحمد بن محمد بن كُمُشْجور المتولّي المعاون بها ، فلم يُطقهم. فكتب إلى

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٣٩٨).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٤٠٠).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٤٠٢).

السلطان يخبره بأمورهم. فوجّه من مدينة السلام نفيساً المولديّ وأحمد بن محمد الزَّرَنْجيّ والمظفر بن حاج مدداً له في زُهاء ألف رجل؛ فصاروا إلى موضع الأعراب، فواقعوهم بموضع يعرف بالمنقبة من الأنبار، فهزمهم الأعراب، وقتلوا أصحابَهم وغَرِق أكثرهم في الفرات، وتفرّقوا. فورد كتاب ابن حاجّ يوم الإثنين لستّ بقين من رجب بخبر هذه الوقعة وهزيمة الأعراب إيامهم، فأقام الأعراب يعيثُون في الناحية، ويتخفّرون القرى، فكُتب إلى المعتضد بخبرهم، فوجّه إليهم لقتالهم من الرّقة العباس بن عمرو الغَنَوي وخفيفاً الأذكوتكينيّ وجماعة من القوّاد. فصار هؤلاء القوّاد. إلى هيت في آخر شعبان من هذه السنة.

وبلغ الأعرابَ خبرُهم، فارتحلوا عن موضعهم من سواد الأنبار، وتوجّهوا نحو عين التّمر، فنزلوها ودخل القواد الأنبار فأقاموا بها، وعاث الأعراب بعين التّمر ونواحي الكوفة؛ مثل عيثهم بنواحي الأنبار، وذلك بقية شعبان وشهر رمضان.

وفيها وجّه المعتضد إلى راغب مولى أبي أحمد وهو بَطَرسُوس، يأمره بالمصير إليه بالرّقة، فصار إليه وهو بها، فلمّا وصل إليه تركه في عسكره يوماً ثم أخذه من الغد فحبسه؛ وأخذ جميع ما كان معه؛ وورد الخبر بذلك مدينة السلام يوم الإثنين لتسع خلوْن من شعبان، ثم مات راغب بعد أيام، وقُبض على مكنون غلام راغب وعلى أصحابه، وأخذ ماله بَطرَسُوس يوم الثلاثاء لستّ بقين من رجب، وكان المتولّي أخذهم ابن الإخشاد.

ولعشر بَقين من شهر رمضان منها وجّه المعتضد مؤنساً الخازن إلى الأعراب بنواحي الكوفة وعين التَّمر، وضمّ إليه العباس بن عمرو وخفيفاً الأذكوتكينيّ وغيرهما من القوّاد، فسار مؤنس ومَنْ معه حتى بلغ الموضع المعروف بنينوَي، فوجد الأعراب قد ارتحلوا عن موضعهم، ودخل بعضهم إلى برّيّة طريق مكة وبعضهم إلى برّية الشأم، فأقام بموضعه أياماً، ثم شخص إلى مدينة السلام.

وفي شوال منها قلّد المعتضد وعبيد الله بن سليمان ديوان المشرق محمدَ بن داود بن الجراح، وعُزل عنه أحمد بن محمد بن الفرات، وقُلِّد ديوان المغرب علي بن عيسى بن داود بن الجراح، وعُزِل عنه ابن الفرات.

* * *

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من قبض المعتضد على محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ وعلى جماعة من أهله وتقييده إياهم ، وحبسه لهم في دار ابن طاهر؛ وذلك أنه صار بعض أقربائه ـ فيما ذُكر ـ إلى عبيد الله بن سليمان ، فأعلمه أنّ محمداً أجمع على الهرب في جماعة من أصحابه وأهله . فكتب بذلك عُبيد الله إلى المعتضد ، فكتب إليه المعتضد يأمره بالقبض عليه ، ففعل ذلك يوم الأربعاء لأربع خلوْن من المحرم منها .

وفي هذا الشهر من هذه السنة ورد كتاب أبي الأغرّ على السلطان أنّ طيئّاً تجمّعت له ، وحشدوا واستعانوا بمَنْ قدروا عليه من الأعراب ، واعترضوا قافلة الحاج ، فواقعوهم لمّا جاوزوا المعدن منصرفين إلى مدينة السلام من مكة ببضعة عشر ميلاً ، وأقبل إليهم فرسان الأعراب ورجّالتهم ومعهم بيوتهم وحرمهم وإبلهم؛ وكانت رَجّالتهم أكثرَ من ثلاثة آلاف ، فالتحمت الحرب بينهم ، ولم تزَل الحرب بينهم يومهم أجمع ، وهو يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجّة ، فلما جنّهم الليل باينوهم؛ فلمّا أصبحوا غادوْهم الحرب غداةَ يوم الجمعة إلى انتصاف النهار . ثم أنزل الله النصر على أوليائه وولّى الأعراب منهزمين ، فما اجتمعوا بعد تفرّقهم ، وأنه سار هو وجميع الحاجّ سالمين ، وأنفذ كتابه مع سعيد بن الأصفر بن عبد الأعلى ، وهو أحد وجوه بني عمه والمتولّي للقبض على صالح بن مدرك .

وفي يوم السبت لثلاث بقين من المحرّم وافى الأغرّ مدينة السلام ، وبين يديه رأس صالح بن مدرك ، ورأس جحنْشَ ، ورأس غلام لصالح أسود ، وأربعة أسارى من بني عمّ صالح ، فمضى إلى دار المعتضِد ، فخلِع عليه ، وطُوّق بطوْق من ذهب ، ونُصِبت الرؤوس على رأس الجسر الأعلى بالجانب الشرقيّ ، وأدخِل الأسرى المطامير .

ولأربع ليال بقين من صفر منها ، دخل المعتضد من متنزّهه ببرَاز الرّوز إلى

بغداد ، وأمر ببناء قصر في موضع اختاره من براز الرّوز ، فحمل إليه الآلات ، وابتدأ في عمله[١] .

وفي شهر ربيع الأول منها غَلُظ أمر القرامطة بالبحرين ، فأغاروا على نواحي هَجَر ، وقرب بعضهم من نواحي البصرة ، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواثقيّ يسأل المددَ ، فوجّه إليه في آخر هذا الشهر بثماني شَذَوَات ، فيها ثلاثمئة رجل ، وأمر المعتضد باختيار جيش لينفذه إلى البصرة[٢] .

وفي يوم الأحد لعشرٍ خلوْن من شهر ربيع الآخر ، فقد بدر مولى المعتضد في داره ، ونظر في أمور الخاصّة والعامة من الناس والخراج والضياع والمعاون .

وفي يوم الإثنين لإحدى عشرة خلتْ من شهر ربيع الآخر ، مات محمد بن عبد الحميد الكاتب المتولي ديوانَ زمام المشرق والمغرب .

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه ولّى جعفر بن محمد بن حفص هذا الديوان ، فصار من يومه إلى الديوان وقعد فيه .

وفي شهر ربيع الآخر منها ولّى المعتضدُ عبّاس بن عمرو الغَنَويّ اليمامة والبحرين ومحاربة أبي سعيد الجنّابيّ ومَنْ معه من القرامطة ، وضمّ إليه زُهاء ألفيْ رجل ، فعسكر العبّاس بالفِرْكِ أياماً حتى اجتمع إليه أصحابُه ، ثم مضى إلى البصرة ، ثم شخص منها إلى البحرين واليمامة[٣] .

وفيها ـ فيما ذُكر ـ وافي العدوّ باب قلمية من طَرَسُوس ، فنفر أبو ثابت وهو أمير طَرَسُوس بعد موت ابن الإخشاد ـ وكان استخلفه على البلد حين غزا ـ فمات وهو على ذلك؛ فبلغ في نفيره إلى نهر الرَّيحَان في طلب العدوّ ، فأسرَ أبو ثابت وأصيب الناس؛ فكان ابن كلوب غازياً في درب السلامة؛ فلمّا قفل من غَزاته جَمع المشايخ من أهل الثغر ليتراضوا بأمير يلي أمورَهم ، فاتّفق رأيُهم على عليّ بن الأعرابيّ ، فولّوه أمرهم بعد اختلاف من ابن أبي ثابت .

وذكر أن أباه استخلفه ، وجمع جمعاً لمحاربة أهل البلد حتى توسّط الأمرَ ابن

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٤١١).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٤١١).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٤١١).

كلوب ، فرضي ابن ثابت؛ وذلك في شهر ربيع الآخر ، وكان النُّغيْل حينئذ غازياً ببلاد الروم ، فانصرف إلى طَرَسُوس ، وجاء الخبر أن أبا ثابت حُمِل إلى القسطنطينية من حصن قونِيَة ، ومعه جماعة من المسلمين.

وفي شهر ربيع الآخر مات إسحاق بن أيوب الذي كان إليه المعاون بديار ربيعة ، فقلِّد ما كان إليه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر.

وفي يوم الأربعاء لخمس بقين من جُمادى الأولى ، ورد كتاب ـ فيما ذكر ـ على السلطان بأنّ إسماعيل بن أحمد أسرَ عمراً الصفار ، واستباح عسكره ، وكان من خبر عمرو وإسماعيل ، أن عمراً سأل السلطانَ أن يولِّيَه ما وراء النهر ، فولّاه ذلك ، ووجّه إليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع ، واللواء على ما وراء النهر ، فخرج لمحاربة إسماعيل بن أحمد ، فكتب إليه إسماعيل بن أحمد: إنك قد وليت دنيا عريضة ، وإنما في يدي ما وراء النهر ، وأنا في ثغر؛ فاقنع بما في يدك ، واتركني مقيماً بهذا الثغر. فأبى إجابَته إلى ذلك؛ فذُكر له أمر نهر بلخ وشدة عبوره ، فقال: لو أشاء أن أسكره ببدَرِ الأموال وأعبره لفعلتُ؛ فلما أيس إسماعيل من انصرافه عنه جمع مَنْ معه والتّنّاء والدّهاقين ، وعَبر النهر إلى الجانب الغربيّ؛ وجاء عمرو فنزلَ بَلْخ ، وأخذ إسماعيل عليه النواحي ، فصار كالمحاصَر ، وندم على ما فعل ، وطلب المحاجزة ـ فيما ذكر ـ فأبى إسماعيل عليه ذلك ، فلم يكن بينهما كثير قتال حتى هُزم عمرو فولّى هارباً ، ومرّ بأجمة في طريقه ، قيل له: إنها أقرب ، فقال لعامّة مَنْ معه: امضُوا في الطريق الواضح. ومضى في نفر يسير ، فدخل الأجَمَة ، فوحلت دابّتُه؛ فوقعت ، ولم يكن له في نفسه حيلة ، ومضى مَن معه. ولم يلوُوا عليه ، وجاء أصحاب إسماعيل ، فأخذوه أسيراً. ولما وصل الخبرُ إلى المعتضد بما كان من أمر عمرو وإسماعيل ، مدح إسماعيل ـ فيما ذكر ـ وذمّ عمراً.

ولليلة بقيتْ من جُمادى الأولى من هذه السنة ، ورد الخبر على السلطان أن وصيفاً خادم ابن أبي الساج ، هرب من بَرْذَعة ، ومضى إلى مَلَطْية مراغماً لمحمد بن أبي الساج في أصحابه ، وكتب إلى المعتضد يسأله أن يولّيه الثغور ، ليقوم بها ، فكتب إليه المعتضد يأمره بالمصير إليه ، ووجّه إليه رشيقاً الحرميّ.

ولسبع خلوْن من رَجب من هذه السنة تُوفّيتْ ابنة خَمارويه بن أحمد بن

طولون. زوجة المعتضد، ودفِنت داخل قصر الرصافة.

ولعشر خلون من رجب وفد على السلطان ثلاثة أنفس وجّههم وصيف خادم ابن أبي الساج إلى المعتضد، يسأله أن يوَلِّيَه الثغور. ويوجّه إليه الخلع، فذكر أنّ المعتضد أمر بتقرير الرُّسل بالسبب الذي من أجله فارق وصيف صاحبَه ابن أبي الساج، وقصد الثغور، فقُرِّروا بالضرب، فذكروا أنه فارقه على مواطأة بينه وبين صاحبه على أنه متى صار إلى الموضع الذي هو به متى لحق به صاحبه، فصارا جميعاً إلى مُضَر وتغلبا عليها، وشاع ذلك في الناس وتحدّثوا به.

ولإحدى عشرة خلتْ من رَجب من هذه السنة وُلِّي حامد بن العباس الخراج والضّياع بفارس؛ وكانت في يد عمرو بن الليْث الصفار، ودُفعت كتبه بالولاية إلى أخيه أحمد بن العباس، وكان حامد مقيماً بواسط، لأنه كان يليها وكور دجلة، وكتب إلى عيسى النُّوشريّ وهو بإصبهان بالمصير إلى فارس والياً على معونتها.

* * *

[خروج العباس بن عمرو الغنويّ من البصرة]

وفي هذه السنة كان خروج العباس بن عمرو الغَنَويّ - فيما ذكر - من البصرة بمن ضُمّ إليه من الجند، مع من خَفّ معه من مطوّعة البصرة نحو أبي سعيد الجنّابي ومَن انضوى إليه من القَرامطة، فلقيَهم طلائع لأبي سعيد، فخلّف العباس سوادَه، وسار نحوهم، فلقي أبا سعيد ومَنْ معه مساء، فتناوشوا القتال، ثم حجز بينهم الليل، فانصرف كلّ فريق منهما إلى موضعهم. فلمّا كان الليل انصرف مَن كان مع العباس من أعراب بني ضَبّة - وكانوا زهاء ثلاثمئة - إلى البصرة، ثم تبعهم مطّوعّة البصرة؛ فلما أصبح العباس غادى القرامطةَ الحرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً. ثم إنّ صاحب ميسرة العباس - وهو نجاح غلام أحمد بن عيسى بن شيخ - حمل في جماعة من أصحابه زُهاء مئة رجل على ميمنة أبي سعيد؛ فوغَلُوا فيهم، فقتِل وجميعُ من معه، وحَمَل الجنّابي وأصحابه على أصحاب العباس، فانهزموا، فاستأسر العباس، وأسر من أصحابه زُهاء سبعمئة رجل، واحتوى الجنّابي على ما كان في عسكر العباس؛ فلما كان من غد يوم

الوقعة أحضر الجنابيّ من كان أسر من أصحاب العباس ، فقتلهم جميعاً ، ثم أمر بحطب فطرِح عليهم ، وأحرقهم .

وكانت هذه الوقعة ـ فيما ذكر ـ في آخر رجب ، وورد خبرها بغداد لأربع خلون من شعبان .

* * *

وفيها ـ فيما ذكر ـ صار الجنّابيّ إلى هَجَر ، فدخلها وآمن أهلها ؛ وذلك بعد منصرفه من وقعة العباس ، وانصرفَ فَلُّ أصحاب العباس بن عمرو يريدون البصرة ، ولم يكن أفلت منهم إلاّ القليل بغير أزواد ولاكساً ، فخرج إليهم من البصرة جماعة بنحو من أربعمئة راحلة ، عليها الأطعمة والكسا والماء ، فخرج عليهم ـ فيما ذكر ـ بنو أسد ، فأخذوا تلك الرواحل بما عليها ، وقتلوا جماعة ممن كان مع تلك الرواحل ومن أفلت من أصحاب العبّاس ؛ وذلك في شهر رمضان ؛ فاضطربت البصرة لذلك اضطراباً شديداً وهمُّوا بالانتقال عنها ، فمنعهم أحمد بن محمد الواثقي المتولّي لمعاونها من ذلك ، وتخوّفوا هجومَ القرامطة عليهم .

ولثمان خَلَوْن من شهر رمضان منها ـ فيما ذكر ـ وردت خريطة على السلطان من الأبُلّة بموافاة العباس بن عمرو في مركب من مراكب البحر ، وأن أبا سعيد الجنّابيّ أطلقه وخادماً له .

ولإحدى عشرة خلتْ من شهر رمضان ، وافَى العباس بن عمرو مدينة السلام ، وصار إلى دار المعتضد بالثّريا ، فذُكر أنه بقي عند الجنّابيّ أياماً بعد الوقعة ، ثم دعا به ، فقال له : أتحبّ أن أطلقك؟ ، قال : نعم ، قال : امض وعرِّف الذي وجّه بك إلى ما رأيت . وحمله على رواحل ، وضمّ إليه رجالاً من أصحابه ، وحمّلهم ما يحتاجون إليه من الزاد والماء ، وأمر الرجال الذين وجّههم معه أن يؤدّوه إلى مأمنه ، فساروا به حتى وصل إلى بعض السواحل فصادف به مركباً ، فحمله فصار إلى الأبلّة ، فخلع عليه المعتضد وصرفه إلى منزله .

وفي يوم الخميس لإحدى عشرة خلتْ من شوّال ارتحل المعتضد من مَضْرَبه

بباب الشمَاسية في طلب وصيف خادم ابن أبي الساج ، وكتم ذلك ، وأظهر أنه يريد ناحية ديار مُضَر.

وفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلتْ منه ، ورد الخبر - فيما ذُكر - على السلطان أن القرامطة بالسواد من أهل جُنُبلاء وثبوا بواليهم بدر غلام الطائي ، فقتلوا من المسلمين جمعاً فيهم النساء والصبيان ، وأحرقوا المنازل.

ولأربع عشرة خلت من ذي القعدة نزل المعتضد كنيسة السوداء في طلب وصيف الخادم ، فأقام بها يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء ، حتى تلاحق به الناس ، وأراد الرحيل في طريق المصِّيصة ، فأتته العيون أنّ الخادم يريد عين زربة ، فأحضر الركّاضة الثغريّين وأهل الخبرة ، فسألهم عن أقصد الطريق إلى عين زربة ، فقطعوا به جيحان غداة الخميس لسبع عشرة خلت من ذي القعدة ، فقدّم ابنه عليّاًومعه الحسن بن علي كوره ، وأتبعه بجعفر بن سِعْر ، ثم أتبع جعفراً محمد بن كُمُشْجور ، ثم أتبعه خاقان المفلحيّ ، ثم مؤنس الخادم ، ثم مؤنس الخازن ، ثم مضى في آثارهم مع غلمان الحجر ، ومرّ بعين زَرْبة ؛ وضرب له بها مضرب ، وخلّف بها خفيفاً السَّمْرقنديّ مع سواده ، وسار هو قاصداً للخادم في أثر القوّاد ، فلما كان بعد صلاة العصر جاءته البشارات بأخذ الخادم ، ووافوْا به المعتضد ، فسلمه إلى مؤنس الخادم وهو يومئذ صاحب شرطة العسكر ، وأمر ببذل الأمان لأصحاب الخادم والنّداء في العسكر ببراءة الذمّة ممن وُجد في رحله شيء من نهب عسكر الخادم ، ولم يردّه على أصحابه ؛ فردّ الناس على كثير منهم ما انتهبوا من عسكرهم. وكانت الوقعة وأسرُ وصيف الخادم - فيما قيل - يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من ذي القعدة ، وكان من اليوم الذي ارتحل المعتضد فيه من مضربه بباب الشماسيّة إلى أن قبض على الخادم ستة وثلاثون يوماً.

ولما قبض المعتضد على الخادم انصرف - فيما ذكر - إلى عين زربة ، فأقام بها يومين ، فلمّا كان في صبيحة الثالث ؛ اجتمع إليه أهل عين زربة ، وسألوه أن يرحل عنهم لضيق الميرة ببلدهم ، فرحل عنها في اليوم الثالث ، فنزل المصّيصة بجميع عساكره إلاّ أبا الأغرّ خليفة بن المبارك ؛ فإنه كان وجّهه ليأخذ على الخادم الطريق لئلاّ يصير إلى مَرْعش ، وناحية مَلْطَية ، وكان الخادم قد أنفذ عياله وعيال أصحابه إلى مرعش وبلغ أصحاب الخادم الذين كانوا قد هربوا ما بذَل لهم

المعتضد من الأمان، وما أمر بردّه عليهم من أمتعتهم ، فلحقوا بعكسر المعتضد داخلين في أمانه. وكان نزول المعتضد بالمصّيصة ـ فيما قيل ـ يوم الأحد لعشر بقين من ذي القعدة ، فأقام بها إلى الأحد الآخر ، وكتب إلى وجوه أهل طَرَسُوس في المصير إليه ، فأقبلوا إليهم منهم النُّغيل ـ وكان من رؤساء الثغر ـ وابن له ، ورجل يقال له ابن المهندس ، وجماعة معهم ، فحبس هؤلاء مع آخرين ، وأطلق أكثرهم. فحمل الذين حبسهم معه إلى بغداد ، وكان قد وجَد عليهم لأنهم ـ فيما ذكر ـ كانوا كاتبوا وصيفاً الخادم ، وأمر المعتضد بإحراق جميع المراكب البحرية التي كان المسلمون يغزون فيها وجميع آلاتها.

وذكر أن دميانة غلام يازمان هو الذي أشار عليه لشيء كان في نفسه على أهل طرسوس ، فأحرق ذلك كله ، وكان في المراكب نحو من خمسين مركباً قديماً قد أنفق عليها أموالٌ جليلة لا يُعمل مثلها في هذا الوقت فأحرقت ، فأضرّ ذلك بالمسلمين ، وكسر ذلك في أعضادهم ، وقويَ به الروم ، وأمنوا أن يُغْزوا في البحر. وقلّد المعتضد الحسنَ بن علي كورة الثغور الشأمية بمسألة من أهل الثغور واجتماع كلمتهم عليه ، ورحل المعتضد ـ فيما قيل ـ من المصِّيصة فنزل فُندُق الحسين ، ثم الإسكندرية ، ثم بَغْراس ثم أنطاكية ، لليلتين خلتا من ذي الحجة. فأقام بها إلى نحَر ، وبكّر في ثاني النحر بالرحيل ، فنزل أرتاحَ ثم الأثارب ثم حلب ، فأقام بها يومين ، ثم رحل إلى الناعورة ، ثم إلى خُساف ، وصفِّين هناك في الجانب الجَزَري ، وبيت مال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في الجانب الآخر ، ثم إلى يالس ، ثم إلى دَوْسر ، ثم إلى بطن دامان ، ثم إلى الرّقة ، فدخلها لثمان بقين من ذي الحجة ، فأقام بها إلى أن بقيَ ليلتان منه.

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل محمد بن زيد العلويّ][1]

ولخمس بقين من شوّال ورد الخبر على السلطان بأن محمد بن زيد العلويّ قتِل.

---

(١) لوفاة محمد بن زيد العلوي (أمير طبرستان) انظر تأريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١٨ ـ ٢٩٠ هـ) والبداية والنهاية [٨/ ٢٦٣].

* ذكر الخبر عن سبب مقتله:

ذُكر: أن محمد بن زيد خرج لمّا اتصل به الخبر عن أسر إسماعيل بن أحمد عمرَو بن الليث توجَّه في جيش كثيف نحو خراسان طامعاً فيها، ظناً منه أنّ إسماعيل بن أحمد لا يتجاوز عمله الذي كان يتولاّه أيام ولاية عمرو بن الليث الصفّار خراسان، وأنه لا دافع له عن خراسان، إذ كان عمرو قد أُسِر، ولا عامل للسلطان به؛ فلما صار إلى جُرجان له واستقرّ به، كتب إليه يسأله الرجوع إلى طَبرستان، وترك جرجان له، فأبى ذلك عليه ابنُ زيد، فندب إسماعيل - فيما ذكر لي - خليفةً كان لرافع بن هرثمة أيام ولاية رافع خراسان يُدعى محمد بن هارون، لحرب محمد بن زيد، فانتدب له، فضمّ إليه جمعاً كثيراً من رجاله وجنده، ووجّهه، إلى ابن زيد لحربه، فشخص محمد بن هارون نحو ابن زيد، فالتقيا على باب جُرجان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عسكر محمد بن هارون.

ثم إن محمد بن هارون رجع، وقد انتقضت صفوف العَلَويّ، فانهزم عسكر محمد بن زيد، وولَّوْا هاربين، وقُتِل منهم - فيما ذكر - بشر كثير، وأصابت ابن زيد ضربات، وأسر ابنه زيد، وحوى محمد بن هارون عسكره وما كان فيه. ثم مات محمد بن زيد بعد هذه الوقعة بأيام من الضَّربات التي كانت فيه، فدُفن على باب جرجان، وحُمل ابنه زيد إلى إسماعيل بن أحمد، وشخص محمد بن هارون إلى طبرستان.

وفي يوم السبت لاثنتي عشرة خلتْ من ذي القعدة أوقع بدر غلام الطائيّ بالقرامطة على غرّة منهم بنواحي روذميستان وغيرها، فقتَل منهم - فيما ذكر - مقتلة عظيمة، ثم تركهم خوفاً على السّواد أن يخرب؛ إذ كانوا فلاّحيه وعماله، وطلب رؤساءهم في أماكنهم، فقتل مَنْ ظفر به منهم؛ وكان السلطان قد قوَّى بدراً بجماعة من جنده وغلمانه بسببهم للحدث الذي كان منهم.

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الله بن داود[1].

* * *

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٤١٢).

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود الخبر على السلطان ـ فيما ذكر ـ بوقوع الوِباء بأذْرَبيجان ، فمات منه خلْق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفّنون به الموتى ، فكفنوا في الأكسية واللبود ، ثم صاروا إلى أن لم يجدوا مَن يدفن الموتى ، فكانوا يتركونهم مطروحين في الطرق[١] .

وفيها دخل أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث فارس ، وأخرجوا منها عمّال السلطان ، وذلك لاثنتي عشرة بقيت من صفر منها .

وفيها تُوفِّيَ محمد بن أبي الساج الملقب بأفشين بأذْرَبيجان ، فاجتمع غلمانه وجماعة من أصحابه ، فأمّروا عليهم ديوداد بن محمد ، واعتزلهم يوسف بن أبي الساج على الخلاف لهم .

ولليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر ورد كتاب صاحب البريد بالأهواز ، يذكر فيه أن أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث صاروا إلى سَنبيل يريدون الأهواز .

وفي أول جمادى الأولى أدخل عمرو بن الليث عبدُ الله بن الفتح ـ الموجّه كان إلى إسماعيل بن أحمد ـ بغداد وأشناس غلام إسماعيل بن أحمد. وذُكر لي أنّ إسماعيل بن أحمد خيَّره بين المقام عنده أسيراً وبين توجيهه إلى باب أمير المؤمنين ، فاختار توجيهه فوجّهه .

ولليلتين خَلتَا من جمادى الآخرة ، ورد ـ فيما ذُكر ـ كتاب صاحب بريد الأهواز منها ، يذكر أن كتاب إسماعيل بن أحمد ورد على طاهر بن محمد بن عمرو يعلمه أن السلطان ولاّه سجستان ، وأمره بالخروج إليها ، وأنه خارج إليه إلى فارس ليوقِع به ، ثم ينصرف إلى سجستان ، وأنّ طاهراً خرج لذلك ، وكتب

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٤١٦).

إلى ابن عمّه وكان مقيماً بأرّجان في عسكره يأمره بالانصراف إليه إلى فارس بمن معه.

وفيها ولّى المعتضد مولاه بدراً فارس، وأمره بالشخوص إليها لمّا بلغه من تغلّب طاهر بن محمد عليها، وخلع عليه لتسع خلوْن من جمادى الآخرة، وضمّ إليه جماعةً من القوّاد، فشخص في جيش عظيم من الجند والغلمان.

ولعشر خلوْن من جمادى الآخرة منها خرج عبد الله بن الفتح وأشناس غلام إسماعيل إلى إسماعيل بن أحمد بن سامان بِخِلعٍ من المعتضد حَمَلها إليه، وببَدَنَة وتاج وسيف من ذهب مركّب على جميع ذلك جوهر، وبهدايا وثلاثة آلاف ألف درهم، يفرّقها في جيش من جيوش خُراسان، يوجّه إلى سِجِسْتَان لحرب مَنْ بها من أصحاب طاهر بن محمد بن عمرو.

وقد قيل: إن المال الذي وجّهه إليه المعتضد كان عشرة آلاف ألف درهم، وجّه ببعض ذلك من بغداد، وكتب بباقيه على عمّال الجبل، وأمِرُوا أن يدفعوه إلى الرُّسل.

وفي رجب منها وصل بدر مولى المعتضد إلى ما قرب من أرض فارس، فتنحّى عنها مَنْ كان بها من أسباب طاهر بن محمد بن عمرو، فدخلها أصحاب بدر، وجبى عمّاله الخراج بها.

ولليلتين خَلتَا من شهر رمضان منها، ذكر أنّ كتاب عجّ بن حاجّ عامل مكة ورد يذكر فيه أن بني يَعفر أوقعوا برجل كان تغلّب على صنعاء، وذكر أنه عَلَويّ وأنهم هزموه، فلجأ إلى المدينة وتحصّن بها، فصاروا إليه فأوقعوا به، فهزموه أيضاً، وأسروا ابناً له، وأفلت هو في نحو خمسين نفساً، ودخل بنو يعفر صنعاء وخطبوا بها للمعتضد.

وفيها أوقع يوسف بن أبي الساج وهو في نفر يسير بابن أخيه ديوداد بن محمد، ومعه جيش أبيه محمد بن أبي الساج، فهرب عسكره، فبقي ديوداد في جماعة قليلة، فعرض عليه يوسف المقام معه، فأبى وأخذ طريق الموصلَ فوافى بغداد يوم الخميس لسبع بَقين من شهر رمضان من هذه السنة، فكانت الوقعة بينهما بناحية أذْرَبيجان.

وفيها غزا نزار بن محمد عامل الحسن بن علي كورة الصائفة ، ففتح حصوناً كثيرة للرّوم ، وأدخل طَرَسُوس مئة عِلْج وَنيّفاً وستين عِلْجاً من القوامسة والشمامسة وصلباناً كثيرة وأعلاماً لهم ، فوجّهها كورة إلى بغداد [١].

ولاثنتي عشرة خلتْ من ذي الحجَّة وردت كتب التجار من الرَّقة أن الرُّوم وافتْ في مراكب كثيرة ، وجاء قومٌ منهم على الظهر إلى ناحية كَيْسُون ، فاستاقوا من المسلمين أكثر من خمسة عشر ألف إنسان؛ ما بين رجل وامرأة وصبيّ ، فمضوا بهم ، وأخذوا فيهم قوماً من أهل الذمة [٢].

وفيها قرب أصحاب أبي سعيد الجنابيّ من البصرة ، واشتدّ جزع أهل البصرة منهم حتى همّوا بالهرب منها والنقلة عنها ، فمنعهم من ذلك واليهم.

وفي آخر ذي الحجّة منها قُتل وصيف خادم ابن أبي الساج ، فحملت جثته فصلبت بالجانب الشرقي. وقيل إنه مات ولم يقتَل ، فلما مات احتُزّ رأسه.

وحجّ بالناس فيها هارون بن محمد المكنى أبا بكر [٣].

* * *

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومئتين

ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأمور

فمن ذلك ما كان من انتشار القرامطة بَسَواد الكوفة ، فوُجّه إليهم شبل غلام أحمد بن محمد الطائيّ ، وتُقدِّم إليه في طلبهم ، وأخذ مَن ظفر به منهم وحملهم إلى باب السلطان. وظفر برئيس لهم يُعرفَ بابن أبي فوارس ، فوجّه به معهم ، فدعا به المعتضد لثمان بقين من المحرّم ، فسأله ، ثم أمر به فقلعتْ أضراسه ، ثم خُلع بمدّ إحدى يديه ـ فيما ذكر ـ ببكْرة ، وعُلّق في الأخرى صخرة ، وتُرك على حاله تلك من نصف النهار إلى المغرب ، ثم قُطعت يداه ورجلاه من غد ذلك

---

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٤١٦).

(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٤١٦).

(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٤١٧).

اليوم ، وضُرِبتْ عنقه ، وصلِب مَنْ هنالك من القرامطة[١] .

ولليلتين خَلتَا من شهر ربيع الأول ، أخرج مَنْ كانت له دار وحانوت بباب الشماسيّة عن داره وحانوته ، وقيل لهم : خذوا أقفاصكم واخرجوا ؛ وذلك أنّ المعتضد كان قد قدّر أن يبني لنفسه داراً يسكنها ، فخطّ موضع السور ، وحفر بعضه ، وابتدأ في بناء دِكّة على دِجْلة ، كان المعتضد أمر ببنائها لينتقل فيقيم فيها إلى أن يفرُغ من بناء الدار والقصر[٢] .

وفي ربيع الآخر منها في ليلة الأمير تُوفِّي المعتضد ، فلما كان في صبيحتها أحضر دار السلطان يوسف بن يعقوب وأبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ، وحضر الصلاة عليه الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان ، وأبو خازم وأبو عمرَ والحرَم والخاصّة ، وكان أوصى أن يُدفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، فحفر له فيها ، فحمِل من قصره المعروف بالحسنيّ ليلاً ، فدفن في قبره هناك[٣] .

ولسبع بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة ـ وهي سنة تسع وثمانين ومئتين ـ جلس القاسم بن عبيد الله بن سليمان في دار السلطان في الحسنيّ ، وأذن للناس ، فعزَّوْه بالمعتضد ، وهنؤوه بما جدّد له من أمر المكتفي ، وتقدّم إلى الكتاب والقوّاد في تجديد البيعة للمكتفي بالله ، فقبلوا .

* * *

(١) انظر المنتظم (١٢/ ٤٢١).
(٢) انظر المنتظم (١٢/ ٤٢١).
(٣) انظر المنتظم (١٢/ ٤٢٢) وتطرق ابن الجوزي مرة أخرى لوفاته حين ذكره ضمن وفيات الأكابر سنة (٢٨٩ هـ) وقال : وتوفي في يوم الإثنين لثمان بقين من ربيع الآخر من هذه السنة وغسله أحمد بن شيبة عند زوال الشمس [المنتظم / ١٣/ ٧] ولترجمته ووفاته انظر تاريخ بغداد (٤/ ٤٠٣).

خلافة المكتفي بالله(١)

ولما تُوفِّي المعتضد كتب القاسم بن عبيد الله بالخبر إلى المكتفي كتباً ، وأنفذها من ساعته؛ وكان المكتفي مقيماً بالرّقة ، فلمّا وصل الخبر إليه أمر الحسين بن عمرو النصرانيَّ كاتبه يومئذ بأخذ البيعة على من في عسكره ، ووضع العطاء لهم ، ففعل ذلك الحسين ، ثم خرج شاخصاً من الرّقة إلى بغداد ، ووجّه إلى النواحي بديار ربيعة وديار مضر ونواحي المغرب من يضبطها .

وفي يوم الثلاثاء لثمان خَلَوْن من جمادى الأولى دخل المكتفي إلى داره بالحسنيّ؛ فلمّا صار إلى منزله، أمر بهدم المطامير التي كان أبوه اتّخذها لأهل الجرائم .

وفي هذا اليوم كنّى المكتفي بلسانه القاسم بن عبيد الله وخلع عليه .

وفي هذا اليوم مات عمرو بن الليث الصفار ، ودُفن في غد هذا اليوم بالقرب من القصر الحسنيّ ، وقد كان المعتضد ـ فيما ذكر ـ عند موته بعد ما امتنع من الكلام أمر صافياً الحُرَميّ بقتل عمرو بالإيماء والإشارة ، ووضع يده على رقبته وعلى عينه ، أراد ذبح الأعور فلم يفعل ذلك صافي لعلمه بحال المعتضد وقرْب وفاته ، وكره قتلَ عمرو ، فلما دخل المكتفي بغداد سأل ـ فيما قيل ـ القاسم بن عبيد الله عن عمرو : أحيٌّ هو؟ قال: نعم ، فسرّ بحياته . وذُكر أنه يريد أنْ يحسن

(١) وقال ابن الجوزي وكان المعتضد لما اشتدت علته أمر بأخذ البيعة لابنه علي (أي المكتفي) بالخلافة من بعده فأخذت البيعة بذلك على الناس ببغداد في عشية يوم الجمعة لإحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر من هذه السنة قبل موت المعتضد بأربعة أيام ثم جددت له البيعة صبيحة الليلة التي مات المعتضد فيها وكان المكتفي بالرقة فلما بلغه الخبر أخذ البيعة على من عنده ثم انحدر إلى بغداد [المنتظم (١٣/ ٣)] .

إليه ، وكان عمرو يهدي إلى المكتفي ويبرّه برّاً كثيراً أيام مقامه بالرّيّ فأراد مكافأته ، فذكروا أن القاسم بن عبيد الله كره ذلك ، ودسّ إلى عمرو مَنْ قتله(١) .

وفي رجب منها ورد الخبر لأربع بقين منه أنّ جماعة من أهل الرّيّ كاتبوا محمد بن هارون الذي كان إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان استعمله على طَبَرستان بعد قتله محمد بن زيد العَلَوِيّ ، فخلع محمد بن هارون وبيّض ، فسألوه المصير إلى الرّيّ ليدخلوه إليها؛ وذلك أن أوكر تُمُش التركيَّ المولَّى عليهم كان ـ فيما ذكر ـ قد أساء السيرة فيهم ، فحاربه ، فهزمه محمد بن هارون وقتله ، وقتل ابنين له وقائداً من قوّاد السلطان يقال له : أبرون أخو كَيغلغ ، ودخل محمد بن هارون الرّيّ واستولى عليها .

وفي رجب من هذه السنة زلزلت بغداد ، ودامت الزلزلة فيها أياماً وليالي كثيرة .



[ذكر الخبر عن مقتل بدر غلام المعتضد]

وفي هذه السنة كان مقتل بدر غلام المعتضد(٢)

ذكر سبب قتله :

ذُكر : أنّ سبب ذلك كان أنّ القاسم بن عبيد الله كان هَمّ بتصيير الخلافة من بعد المعتضد في غير ولد المعتضد ، وأنه كان ناظرَ بدراً في ذلك ، فامتنع بدر عليه وقال : ما كنتُ لأصرفَها عن ولد مولاي الذي هو وَليُّ نعمتي . فلما رأى القاسم ذلك وعلم أنه لا سبيل إلى مخالفة بدر؛ إذ كان بدرٌ صاحب جيش المعتضد ، والمستولي على أمره ، والمطاعَ في خدمه وغلمانه ، اضطغنها على بدر . وحدث بالمعتضد حدثُ الموت وبدر بفارس ، فعقد القاسم للمكتفي عَقْد الخلافة ، وبايع له وهو بالرَّقة ، لمَا كان بين المكتفي وبين بدر من التباعد في حياة والده .

---

(١) لوفاة (عمرو بن الليث) انظر المنتظم (١٣/ ١٣) .
(٢) انظر لوفاته المنتظم (١٣/ ٩) .

وكتب القاسم إلى المكتفي لمّا بايع غلمان أبيه له بالخلافة ، وأخذ عليهم البَيْعة بما فعل من ذلك ، فقدم بغداد المكتفي وبدْر بعد بفارس ، فلمَّا قدمها عمل القاسم في هلاك بدر؛ حذراً على نفسه ـ فيما ذكر ـ من بدر أن يقدَم على المكتفي ، فيطلعَه على ما كان القاسم همّ به ، وعزم عليه في حياة المعتضد من صرف الخلافة عن ولد المعتضد إذا مات. فوجّه المكتفي ـ فيما ذكر ـ محمد بن كُمُشْجور وجماعة من القوّاد برسائل ، وكتب إلى القوّاد الذين مع بدر يأمرهم بالمصير إلى ما قبَله ومفارقة بدر وتركه ، فأوصلت الكتب إلى القوّاد في سّر ، ووجّه إليه يانس خادم الموفّق ، ومعه عشرة آلاف ألف درهم ليصرفها في عطاء أصحابه لبيعة المكتفي ، فخرج بها يانس.

فذُكر: أنه لما صار بالأهواز ، وجّه إليه بدر مَنْ قَبَض المال منه فرجع يانس إلى مدينة السلام؛ فلمّا وصلت كتب المكتفي إلى القوّاد المضمومين إلى بدر؛ فارق بدراً جماعة منهم ، وانصرفوا عنه إلى مدينة السلام؛ منهم العباس بن عمرو الغَنَويّ وخاقان المفلحيّ ومحمد بن إسحاق بن كُنْداج وخفيف الأذكوتكيني وجماعة غيرهم. فلما صاروا إلى مدينة السلام دخلوا على المكتفي ، فخلع ـ فيما ذكر ـ على نيّف وثلاثين رجلاً منهم ، وأجاز جماعةً من رؤسائهم؛ كلّ رجل منهم بمئة ألف درهم ، وأجاز آخرين بدون ذلك ، وخلَع على بعضهم ، ولم يجزه بشيء. وانصرف بدر في رجب؛ عامداً المصيرَ إلى واسط. واتّصل بالمكتفي إقبالُ بدر إلى واسط ، فوكّل بدار بدر ، وقبض على جماعة من غلمانه وقوّاده؛ فحُبِسُوا ، منهم نحرير الكبير ، وعَريب الجبليّ ، ومنصور ابن أخت عيسى النُّوشري. وأدخل المكتفي على نفسه القوّاد ، وقال لهم: لست أؤمِّر عليكم أحداً ، ومَنْ كانت له منكم حاجة فليلقَ الوزير ، فقد تقدّمتُ إليه بقضاء حوائجكم. وأمر بمحو اسم بدر من التراس والأعلام ، وكان عليها أبو النجم مولى المعتضد بالله ، وكتب بدرٌ إلى المكتفي كتاباً دفعه إلى زيدان السعيديّ ، وحمله على الجمّازات. فلما وصل الكتاب إلى المكتفي أخذه ، ووكّل بزيدان هذا وأشخص الحسن بن عليّ كوره في جيش إلى ناحية واسط. وذُكر أنه قدّمه المكتفي على مقدمته.

ثم أحدر محمد بن يوسف مع المغرب لليلة بَقيت من شعبان من هذه السنة

برسالة إلى بدر ، وكان المكتفي أرسل إلى بدر حين فَصَل من عمل فارس يعرض عليه ولاية أيّ النواحي شاء؛ إن شاء أصبهان وإن شاء الريّ ، وإن شاء الجبال ، ويأمره بالمصير إلى حيث أحبّ من هذه النواحي مع مَنْ أحبّ من الفرسان والرّجالة ، يقيم بها معهم والياً عليها. فأبى ذلك بدر ، وقال: لا بدّ لي من المصير إلى باب مولاي.

فوجد القاسم بن عبيد الله مساغاً للقول فيه ، وقال للمكتفي: يا أمير المؤمنين ، قد عرضنا عليه أن نقلّده أيّ النواحي شاء أن يمضيَ إليها ، فأبى إلاّ المجيء إلى بابك ، وخوّفه غائلتَه ، وحرّض المكتفي على لقائه ومحاربته ، واتصل الخبر ببدر أنه قد وُكِّل بداره ، وحبس غلمانه وأسبابه ، فأيقن بالشرّ ، ووجّه مَنْ يحتال في تخليص ابنه هلال وإحداره إليه ، فوقف القاسم بن عبيد الله على ذلك ، فأمر بالحفظ به ، ودعا أبا خازم القاضي على الشرقية وأمره بالمضي إلى بدر ولقائه وتطييب نفسه وإعطائه الأمان من أمير المؤمنين ، على نفسه وماله وولده ، فذُكر أن أبا خازم قال له: أحتاج إلىٰ سماع ذلك من أمير المؤمنين حتى أؤدّيه إليه عنه ، فقال له: انصرفْ حتى أستأذنَ لك في ذلك أمير المؤمنين.

ثم دعا بأبي عمر محمد بن يوسف ، فأمره بمثل الذي أمر به أبا خازم ، فسارع إلى إجابته إلى ما أمره به ، ودفع القاسم بن عبيد الله إلى أبي عمر كتاب أمان عن المكتفي ، فمضى به نحو بدر ، فلمّا فصل بدر عن واسط ارفضّ عنه أصحابه وأكثر غلمانه؛ مثل عيسى النُّوشريّ وختَنَه يانس المستأمن وأحمد بن سمعان ونحرير الصغير ، وصاروا إلى مضرب المكتفي في الأمان. فلما كان بعد مضيّ ليلتين من شهر رمضان من هذه السنة ، خرج المكتفي من بغداد إلى مضربه بنهر دَيَالي ، وخرج معه جميع جيشه ، فعسكر هنالك ، وخلع على مَنْ صار إلى مضربه من الجماعة الذين سَمّيتُ ، وعلى جماعة من القوّاد والجند. ووكّلَ بجماعة منهم ، ثم قيّد تسعة منهم ، وأمر بحملهم مقيّدين إلى السجن الجديد؛ ولقي ـ فيما ذكر ـ أبو عمر محمد بن يوسف بدراً بالقرب من واسط ، ودفع إليه الأمان وخبّره عن المكتفي بما قال له القاسم بن عبيد الله ، فصاعد معه في حَرَّاقة بدر ، وكان قد سيّره في الجانب الشرقيّ وغلمانه الذين بقُوا معه في جماعة من الجند وخلق كثير من الأكراد وأهل الجبل يسيرون معه بمسيره على شطّ دِجْلة ،

فاستقرّ الأمر بين بدر وأبي عمر على أن يدخل بدر بغداد سامعاً مطيعاً ، وعبَر بدر دِجْلة ، فصار إلى النعمانيّة ، وأمر غلمانه وأصحابه الذين بقُوا معه أن ينزعوا سلاحهم ، وألاّ يحاربوا أحداً ، وأعلمهم ما ورد به عليه أبو عمر من الأمان؛ فبينا هو يسير إذ وافاه محمد بن إسحاق بن كنْداج في شَذاً ، ومعه جماعة من الغلمان ، فتحول إلى الحرَّاقة ، وسأله بدر عن الخبر ، فطيّب نفسه ، وقال له قولاً جميلاً ، وهم في كل ذلك يؤمرونه؛ وكان القاسم بن عبيد الله وجّهه ، وقال له: إذا اجتمعتَ مع بدر ، وصرت معه في موضع واحد؛ فأعلمْني. فوجّه إلى القاسم ، وأعلمه؛ فدعا القاسم بن عبيد الله لؤلؤاً أحد غلمان السلطان ، فقال له: قد ندبتُك لأمر ، فقال : سمعاً وطاعة؛ فقال له: امض وتسلَّمْ بدراً من ابن كنداجيق ، وجئني برأسه. فمضى في طيّار حتى استقبل بدراً ومَنْ معه بين سيب بني كوما وبين اضطربد ، فتحول من الطيار إلى الحرّاقة ، وقال لبدر: قم ، فقال: وما الخبر؟ قال: لا بأس عليك ، فحوّله إلى طيّاره ، ومضى به حتى صار به إلى جزيرة بالصافية ، فأخرجه إلى الجزيرة ، وخرج معه ، ودعا بسيف كان معه فاستلّه ، فلمّا أيقَن بدر بالقتل سأله أن يُمهله حتى يُصَلِّي ركعتين ، فأمهله ، فصلاّهما ، ثم قدّمه فضرب عنُقَه ، وذلك في يوم الجمعة قبل الزّوال لست خلْون من شهر رمضان ، ثم أخذ رأسه ورجع إلى طيّاره؛ وأقبل راجعاً إلى معسكر المكتفي بنهر دَيَالَي ورأس بدر معه ، وتُركت جثّته مكانها ، فبقيت هنالك. ثم وجّه عياله من أخذ جثته سراً ، فجعلها في تابوت ، وأخفوْها عندهم ، فلما كان أيام الموسم حملوها إلى مكة ، فدفنوها بهاـ فيما قيل ـ وكان أوصى بذلك ، وأعتق قبل أن يقتَل مماليكه كلّهم ، وتسلم السلطان ضياع بدر ومستغلاته ودوره وجميعَ ماله بعد قتله. وورد الخبر على المكتفي بما كان من قَتْل بدر ، لسبع خلوْن من شهر رمضان من هذه السنة ، فرحل منصرفاً إلى مدينة السلام ، ورحل معه مَنْ كان معه من الجند ، وجيء برأس بدْر إليه ، فوصل إليه قبل ارتحاله من موضع معسكره ، فأمر به فنظِّف ، ورُفع في الخزانة ، ورجع أبو عمر القاضي إلى داره يوم الإثنين كئيباً حزيناً ، لِمَا كان منه في ذلك ، وتكلَّم الناس فيه ، وقالوا: هو كان السبب في قتل بدر ، وقالوا فيه أشعاراً ، فمما قيل فيه منها:

قُلْ لقاضي مَدينةِ الْمنصُورِ بِمَ أحللتَ أخذَ رأس الأَميرِ!
بعدَ إِعطائِه المواثيقَ والعهـ ـد وعقدِ الأَيْمانِ في مَنشورِ

أَيـنَ أَيْمـانُـكَ التـي شهـدَ اللـ ـهُ علـى أنهـا يميـنُ فَجُـورِ
أَنَّ كفيَّـك لا تفـارِق كَفَيـ ـهِ إلـى أن تـرَى مَلِيـكَ السَّـريـرِ
يـا قليـلَ الحيـاءِ يـا أكـذَبَ الأ مّـةِ يـا شـاهِـداً شهـادةَ زورِ
ليـسَ هـذا فِعـل القضـاةِ ولا يُحـ ـسِـنُ أَمثـالـهُ وُلاة الجُسُـورِ
أيّ أَمـرٍ رَكِبْـتَ فـي الجُمْعـة الـزهـ ـراءِ مـن شهـرٍ خيـر الشُّهـورِ
قـد مضـى مـن قتلـتَ فـي رمضـانٍ صـائمـاً بعـد سجـدة التعْفِيـرِ
يا بني يوسفَ بن يعقوبَ أَضْحَى أَهـلُ بغـدادَ منكـمُ فـي غـرورِ
بَـدّدَ اللهُ شملكـمْ وأَرانـي ذلَّكـم فـي حيـاةِ هـذا الـوزيـر
فـأَعِـدّ الجـوابَ للحَكَـم العـا دِلِ مـن بعـدِ منكَـرٍ ونكيـرٍ
أنتـمُ كلّكـمْ فِـداً لأَبـي خـا زِمِ المستقيـمِ كـلّ الأُمـورِ

ولسبع خلوْن من شهر رمضان ، حُمِل زيدان السعيديّ الذي كان قُدِّم رسولاً من قبَل بدر إلى المكتفى مع التسعة الأنفس الذين قُيّدوا من قوّاد بدر ، وسبعة أنفس أخَر من أصحاب بَدْر قُبض عليهم بعدهم في سفينة مطبقةٍ عليهم ، وأُحدروا مقيّدين إلى البصرة ، فحبسوا في سجنها.

وذكر: أنّ لؤلؤاً الذي ولِيَ قتل بدر كان غلاماً من غلمان محمد بن هارون الذي قتل محمد بن زيد بطَبرِسْتان وأكرتمُش بالرّيّ ، قدم مع جماعة من غلمان محمد بن هارون على السلطان في الأمان.

وفي ليلة الإثنين لأربع عشرة بقيتْ من شهر رمضان ، منها قتِل عبد الواحد بن أبي أحمد الموفق - فيما ذكر - وكانت والدته - فيما قيل - وجّهت معه إلى دار مؤنس لما قُبض عليه دايةً له ، ففرِق بينه وبين الداية فمكثت يومين أو ثلاثة ، ثم صُرفت إلى منزل مولاتِها ، فكانت والدة عبد الواحد إذا سألت عن خبره قيل لها: إنه في دار المكتفي؛ وهو في عافية. وكانت طامعة في حياته ، فلما مات المكتفي أيستْ منه وأقامت عليه مأتماً.

* * *

ذكر باقي الكائن من الأمور الجليلة في سنة تسع وثمانين ومئتين.

فمما كان من ذلك فيها لتسع بقين من شعبان منها ، ورد كتاب من

إسماعيل بن أحمد صاحب خُراسان على السلطان بخبر وقعة كانت بين أصحابه وبين ابن جُسْتان الديلميّ بطبرستان، وأن أصحابه هزموه، وقرئ بذلك كتابه بمسجدي الجامع ببغداد.

وفيها لحق رجل يقال له إسحاق الفرغانيّ من أصحاب بَدْر لمّا قُتِل بدر إلى ناحية البادية في جماعة من أصحابه على الخلاف على السلطان؛ فكانت بينه هنالك وبين أبي الأغرّ وقعة، هُزِم فيها أبو الأغرّ، وقتِل من أصحابه ومن قوّاده عدّة، ثم أشخِص مؤنس الخازن في جمع كثيف إلى الكوفة لحرب إسحاق الفرْغانيّ.

ولسلخ ذي القعدة خُلِع على خاقان المفلحيّ، ووُلِّيَ معونة الريّ، وضمّ إليه خمسة آلاف رجل.

وفيها ظهر بالشام رجل جمع جموعاً كثيرة من الأعراب وغيرهم، فأتى بهم دمشق، وبها طُغْج بن جُفّ من قِبَل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون على المعونة، وذلك في آخر هذه السنة، فكانت بين طُغْج، وبينه وقعات كثيرة قُتل فيها ـ فيما ذكر ـ خلق كثير.

* * *

ذكر خبر هذا الرجل
الذي ظهر بالشام وما كان من سبب ظهوره بها[١]

ذكر: أن زكروَيْه بن مهرويْه الذي ذكرنا أنه كان داعية قرمط لمّا تتابع من المعتضد توجيه الجيوش إلى من بسواد الكوفة من القرامطة، وألحّ في طلبهم، وأثخن فيهم القتل، ورأى أنه لا مدفع عن أنفسهم عند أهل السواد ولا غَناء، سعى في استغواء من قَرُب من الكوفة من أعراب أسد وطيِّئ وتميم وغيرهم من

(١) لقد ذكر الطبري هنا خبراً طويلاً وتفاصيل دقيقة بينما ذكر ابن الجوزي خبراً عاماً عن خروج القرامطة في هذه السنة دون ذكر لاسم قائدهم [المنتظم ١٣/ ٦] وكذلك فعل (في البداية والنهاية) ابن كثير [٨/ ٢٦٩] إلا أن ابن الجوزي ذكر اسم قائد القرامطة فيما بعد ضمن أحداث سنة (٢٩٠ هـ).

قبائل الأعراب ، ودعاهم إلى رأيه؛ وزعم لهم: أنّ مَنْ بالسواد من القرامطة يطابِقونهم على أمره إن استجابوا له ، فلم يستجيبوا له ، وكانت جماعة من كلْب تخفر الطريق على البرّ بالسماوة فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تَدمُر وغيرها ، وتحمل الرُّسل وأمتعة التجار على إبلها ، فأرسل زكرويه أولاده إليهم ، فبايعوهم وخالطوهم ، وانتموْا إلى عليّ بن أبي طالب وإلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وذكروا أنهم خائفون من السلطان ، وأنهم ملجئَون إليهم ، فقبلوهم على ذلك ، ثم دبّوا فيهم بالدعاء إلى رأي القرامطة؛ فلم يقبل ذلك أحد منهم - أعني من الكلبيّين - إلا الفخذ المعروفة ببني العُلَيص بن ضمضم بن عديّ بن جناب ومواليهم خاصة ، فبايعوا في آخر سنة تسع وثمانين ومئتين بناحية السماوة ابنَ زكرويه المسمى بيحيى والمكنى أبا القاسم ، ولقّبوه الشيخ ، على أمر احتاله فيهم ، ولقب به نفسَه ، وزعم لهم: أنه أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد.

وقد قيل: إنه زعم أنه محمد بن عبد الله بن يحيى ، وقيل: إنه زعم أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وقيل: إنه لم يكن لمحمّد بن إسماعيل ابنٌ يسمى عبد الله ، وزعم لهم أن أباه المعروف بأبي محمود داعيةٌ له ، وأنّ له بالسَّواد والمشرق والمغرب مئة ألف تابع ، وأن ناقته التي يركبها مأمورة ، وأنهم إذا اتبعوها في مسيرها ظفِروا ، وتكهّن لهم وأظهر عضداً له ناقصة ، وذكر أنها آية ، وانحازت إليه جماعة من بني الأصبَغ وأخلصوا له وتسمَّوْا بالفاطميّين ، ودانوا بدينه ، فقصدهم سبْك الديلميّ مولى المعتضد بالله بناحية الرُّصافة في غربيّ الفرات من ديار مُضَر ، فاغترُّوه وقتلوه ، وحرقوا مسجد الرُّصافة ، واعترضوا كلّ قرية اجتازوا بها حتى أصعدوا إلى أعمال الشأم التي كان هارون بن خمارويه قوطع عليها ، وأسند أمرها هارون إلى طُغْج بن جُفّ ، فأناخ عليها ، وهزم كلّ عسكر لقيه لطغْج حتى حصره في مدينة دمشق ، فأنفذ المصريون إليه بدراً الكبير غلام ابن طولون ، فاجتمع مع طُغْج على محاربته ، فواقعهم قريباً من دمشق ، فقتل الله عدوَّ الله يحيى بن زكرويه.

وكان سبب قتله - فيما ذُكر -: أن بعض البرابرة زرقه بمزراق واتبعه نفّاط ،

فزرقه بالنار فأحرقه؛ وذلك في كبد الحرب وشدّتها ، ثم دارت على المصريّين الحرب ، فانحازوا ، فاجتمعت موالي بني العُلَيْص إلى بني العليص ومَنْ معهم من الأصبغيّين وغيرهم على نصب الحسين بن زكرويه أخي الملقب بالشيخ فنصبوا أخاه ، وزعم لهم: أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وهو ابن نيّف وعشرين سنة ، وقد كان الملقّب بالشيخ حمل موالي بني العليص على صريحهم ، فقتلوا جماعةً منهم ، واستذلُّوهم ، فبايعوا الحسين بن زكرويه المسمّى بأحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بعد أخيه ، فأظهر شامة في وجهه ذكر أنها آيته ، وطرأ إليه ابن عمّه عيسى بن مِهْرويه المسمى عبد الله ، وزعم: أنه عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد ، فلقّبه المدثِّر ، وعَهد إليه ، وذكر أنه المعنيّ في السورة التي يذكر فيها المدَّثر ولقّب غلاماً من أهله المطوّق وقلّده قتل أسرى المسلمين ، وظهر على المصريّين وعلى جند حمص وغيرها من أهل الشأم ، وتسمَّى بإمرة المؤمنين على منابرها ، وكان ذلك كله في سنة تسع وثمانين وفي سنة تسعين.

* * *

وفي اليوم التاسع من ذي الحجة من هذه السنة صلّى الناس العصر في قُمُص الصيف ببغداد ، فهبّت ريح الشمال عند العصر ، فبرد الهواء حتى احتاج الناس بها من شدّة البرد إلى الوقود والاصطلاء بالنّار ، ولبس المحشوّ والجباب ، وجعل البرد يزداد حتى جمد الماء[١].

وفيها كانت وقعة بين إسماعيل بن أحمد بالريّ ومحمد بن هارون وابن هارون ـ فيما قيل ـ حينئذ في نحو من ثمانية آلاف ، فانهزم محمد بن هارون وتقدم أصحابَه ، وتبعه من أصحابه نحو من ألف ، ومضوْا نحو الدَّيلم ، فدخلها مستجيراً بها ، ودخل إسماعيل بن أحمد الرّيّ ، وصار زهاء ألف رجل ـ فيما ذكر ـ ممّن انهزم من أصحابه إلى باب السلطان.

وفي جمادى الآخرة منها لأربع خلوْن منها وليَ القاسم بن سيما غزو الصائفة بالثغور الجزَرية ، وأطلِق له من المال اثنان وثلاثون ألف دينار.

---

(١) انظر المنتظم (١٣/٦).

وحجّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشميّ[١].

* * *

ثم دخلت سنة تسعين ومئتين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فممّا كان فيها من ذلك توجيه المكتفي رسولاً إلى إسماعيل بن أحمد لليلتين خلتا من المحرّم منها بخلع ، وعقد ولاية له على الرّيّ ، وبهدايا مع عبد الله بن الفتح.

ولخمس بقين من المحرّم منها ورد ـ فيما ذكر ـ كتاب عليّ بن عيسى من الرّقة ، يذكر فيه أن القرمطيّ بن زكرويه المعروف بالشيخ ، وافى الرَّقة في جَمْع كثير ، فخرج إليه جماعة من أصحاب السلطان ورئيسهم سُبْك غلام المكتفي ، فواقعوه ، فقِتل سُبْك ، وانهزم أصحاب السلطان[٢].

ولستّ خلوْن من شهر ربيع الآخر ورد الخبر بأن طغج بن جفّ أخرج من دمشق جيشاً إلى القرمطيّ ، عليهم غلام له يقال له : بَشِير ، فواقعهم القرمطيّ ، فهزم الجيش وقتل بشيراً[٣].

ولثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خُلع على أبي الأغرّ ووُجّه به لحرب القرمطيّ بناحية الشأم ، فمضى إلى حلَب في عشرة آلاف رجل.

ولإحدى عشرة بقيت من شهرٍ ربيع الآخر خُلع على أبي العشائر أحمد بن نصر ووِلِّيَ طَرسوس ، وعزِل عنها مظفَّر بن حاجّ لشكاية أهل الثغور إياه.

وللنصف من جمادى الأولى من هذه السنة ، وردت كتب التجار إلى بغداد من دمشق مؤرّخة لسبع بقين من ربيع الآخر يخبرون فيها أن القرْمطيّ الملقب بالشيخ قد هزم طغج غير مرة ، وقتل أصحابه إلا القليل ، وأنه قد بقي في قلة ، وامتنع من الخروج ، وإنما تجتمع العامة ، ثم تخرج للقتال ، وأنهم قد أشرفوا على

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٧).
(٢) انظر المنتظم (١٣/ ١٤).
(٣) انظر المنتظم (١٣/ ١٤).

الهلكة ، فاجتمعت جماعة من تجار بغداد في هذا اليوم ، فمضوْا إلى يوسف بن يعقوب ، فأقرؤوه كتبهم ، وسألوه المضيّ إلى الوزير ليخبره خبر أهل دمشق ، فوعدهم ذلك.

ولسبع بقين من جمادى الأولى أحضِر دار السلطان أبو خازم ويوسف وابنه محمد ، وأحضِر صاحب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، فقوطع على مال فارس ، ثم عقد المكتفي لطاهر على أعمال فارس ، وخلع على صاحبه ، وحُمِلت إليه خلع مع العقد.

وفي جُمادى الأولى هرب من مدينة السلام القائد المستأمِن المعروف بأبي سعيد الخُوارزميّ ، وأخذ نحو طريق الموصِل ، فكتِب إلى عبد الله المعروف بغلام نون ، وكان يتقلد المعاون بتكريت والأعمال المتّصلة بها إلى حد سامرّا وإلى الموصِل في معارضته وأخذه ، فزعموا أن عبد الله عارضه ، فاختدعه أبو سعيد حتى اجتمعا جميعاً على غير حرب ، ففتك به أبو سعيد فقتله ، ومضى أبو سعيد نحو شهرزور ، فاجتمع هو وابن أبي الربيع الكُرديّ ، وصاهره ، واجتمعا على عصيان السلطان ، ثم إنّ أبا سعيد قُتِل بعد ذلك ، وتفرّق مَنْ كان اجتمع إليه.

ولعشر خلوْن من جُمادى الآخرة ، شخص أبو العشائر إلى عمله بطَرَسوس ، وخرج معه جماعة من المطّوّعة للغزو ، ومعه هدايا من المكتفي إلى ملك الروم.

ولعشر بقين من جمادى الآخرة خرج المكتفي بعد العصر عامداً سامُرّا ، مريداً البناء بها للانتقال إليها ، فدخلها يوم الخميس لخمس بقين من جمادى الآخرة ، ثم انصرف إلى مضارب قد ضُربت له بالجوسق ، فدعا القاسم بن عبيد الله والقوّام بالبناء ، فقدّروا له البناء وما يحتاج إليه من المال للنفَقَة عليه ، فكثُروا عليه في ذلك ، وطَوّلوا مدّة الفراغ مما أراد بناءه ، وجعل القاسم يصرفه عن رأيه في ذلك ، ويعظِّم أمرَ النفقة في ذلك وقدر مبلغ المال ، فثناه عن عزمه ، ودعا بالغَداء ، فتغدّى ثم نام ، فلما هبّ من نومه ركب إلى الشطّ ، وقعد في الطيّار ، وأمر القاسم بن عبيد الله بالانحدار. ورجع أكثر الناس من الطريق قبل أن يصلوا

إلى سامُرّا حين تلقّاهم الناس راجعين[١].

ولسبع خلوْن من رجب خُلع على ابني القاسم بن عبيد الله ، فوُلِّيَ الأكبر منهما ضياع الولد والحرم والنفقات ، والأصغر منهما كتبة أبي أحمد بن المكتفي ؛ وكانت هذه الأعمال إلى الحسين بن عمرو النصرانيّ ، فعُزل بهما ، وكان القاسم بن عبيد الله اتَّهم الحسين بن عمرو أنه قد سعى به إلى المكتفي.

ثم إن الحسين بن عمرو كاشفَ القاسم بن عبيد الله بحضرة المكتفي ، فلم يزل القاسم يدبّر عليه ، ويغلظ قلب المكتفي عليه ، حتى وصل إلى ما أراد من أمره.

وفي يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان قرىء كتابان في الجامعين بمدينة السلام بقتل يحيى بن زكرويه الملقَّب بالشيخ ، قتله المصريون على باب دمشق؛ وقد كانت الحرب اتّصلت بينه وبين مَنْ حاربه من أهل دمشق وجندها ومددهم من أهل مصر ، وكسر لهم جيوشاً ، وقتل منهم خلْقاً كثيراً ، وكان يحيى بن زكرويه هذا يركب جملاً برحاله ، ويلبس ثياباً واسعة ويعتمّ عمة أعرابية ، ويتلثّم ، ولم يركب دابّةً من لدن ظهر إلى أن قُتِل وأمر أصحابه ألا يحاربوا أحداً؛ وإن أتى عليهم حتى يبتعث الجمل من قبَل نفسه؛ وقال لهم: إذا فعلتم ذلك لم تهزموا[٢].

وذُكر أنه كان إذا أشار بيده إلى ناحية من النّواحي التي فيها محاربوه ، انهزم أهل تلك الناحية ، فاستغوَى بذلك الأعراب ، ولمّا كان في اليوم الذي قُتِل فيه يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ ، وانحازوا إلى أخيه الحسين بن زكرويه ، فطلب أخاه الشيخ في القتلى ، فوجده ، فواراه وعقد الحسين بن زكرويه لنفسه ، وتسمّى بأحمد بن عبد الله ، وتكنّى بأبي العباس.

وعلم أصحابُ بدر بعد ذلك بقتل الشيخ ، فطلبوه في القتلى فلم يجدوه ، ودعا الحسين بن زكرويه إلى مثل ما دعا إليه أخوه ، فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم من سائر الناس ، واشتدّت شوكته وظهر ، وصار إلى دمشق ، فذُكر أن

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ١٤).
(٢) انظر المنتظم (١٣/ ١٥) فقد ذكر الخبر مختصراً.

أهلها صالحوه على خراج دفعوه إليه ، ثم انصرف عنهم ، ثم سار إلى أطراف حِمْص ، فتغلّب ، عليها وخُطب له على منابرها ، وتسمّى بالمهديّ ، ثم سار إلى مدينة حِمْص ، فأطاعه أهلها وفتحوا له بابها خوفاً منه على أنفسهم فدخلها ، ثم سار منها إلى حَماة ومعرّة النعمان وغيرهما ، فقتل أهلها ، وقتل النساء والأطفال ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها حتى لم يبق منهم ـ فيما قيل ـ إلا اليسير ، ثم سار إلى سَلَمْية فحاربه أهلها ومنعوه الدخول ، ثم وادعهم وأعطاهم الأمان ، ففتحوا له بابها ، فدخلها ، فبدأ بمَن فيها من بني هاشم ، وكان بها منهم جماعة فقتلهم ، ثم ثنى بأهل سَلَمْية فقتلهم أجمعين. ثم قتل البهائم ، ثم قتل صبيان الكتاتيب ، ثم خرج منها؛ وليس بها عين تطرف ـ فيما قيل ـ وسار فيما حواليْ ذلك من القرى يقتل ويَسْبِي ويحرِق ويُخِيف السبيل.

فذكر عن متطبّب بباب المحوّل يُدعى أبا الحسن أنه قال: جاءتْنِي امرأة بعدما أدخل القرمطيّ صاحب الشامة وأصحابه بغداد ، فقالت لي: إني أريد أن تعالج شيئاً في كتفي ، قلتُ: وما هو؟ قالت: جرح ، قلت: أنا كحّال؛ وها هنا امرأة تعالج النساء ، وتعالج الجراحات ، فانتظري مجيئها ، فقعدت ، ورأيْتها مكروبة كئيبة باكية ، فسألتُها عن حالها ، وقلت: ما سبب جراحتك؟ فقالت: قصّتي تطول ، فقلت: حدّثيني بها واصدقيني وقد خلا مَنْ كان عندي ، فقالت: كان لي ابن غاب عنّي ، وطالت غيبته ، وخلّف عليّ أخوات له ، فضقتُ واحتجت ، واشتقتُ إليه ، وكان شخص إلى ناحية الرّقة ، فخرجتُ إلى الموصِل وإلى بَلَد وإلى الرّقة؛ كلّ ذلك أطلبه ، وأسأل عنه؛ فلم أدَلّ عليه ، فخرجتُ عن الرّقة في طلبه ، فوقعت في عسكر القرمطيّ ، فجعلت أطوف وأطلبه؛ فبينا أنا كذلك إذْ رأيتُه فتعلقت به ، فقلت: ابني! فقال: أمي! فقلت: نعم ، قال: ما فعل أخواتي؟ قلت: بخير ، وشكوت ما نالنا بعده من الضّيق ، فمضى بي إلى منزله ، وجلس بين يديّ ، وجعل يسائلني عن أخبارنا ، فخبّرته ، ثم قال: دَعيني من هذا وأخبريني ما دينك؟ فقلت: يا بنيّ أما تعرفُني! فقال: وكيف لا أعرفك! فقلت: ولمَ تسألني عن ديني وأنت تعرفني وتعرف ديني! فقال: كلّ ما كنّا فيه باطل ، والدّين ما نحن فيه الآن ، فأعظمتُ ذلك وعجبت منه ، فلما رآني كذلك خرج وتركني ، ثم وجّه إليّ بخبز ولحم وما يصلحني ، وقال: اطبخيه ، فتركتُه ولم

أمسّه ، ثم عاد فطبخه ، وأصلح أمر منزله ، فدقّ الباب داقٌّ ؛ فخرج إليه فإذا رجل يسأله ، ويقول له : هذه القادمة عليك تُحسن أن تصلح من أمر النساء شيئاً؟ فسألني فقلت : نعم ، فقال : امضي معي ، فمضيت فأدخلني داراً ، وإذا امرأة تطلق ، فقعدت بين يديها ، وجعلت أكلّمها ، فلا تكلّمني ، فقال لي الرجل الذي جاء بي إليها : ما عليك من كلامها ، أصلحي أمر هذه ، ودَعِي كلامها ، فأقمتُ حتى ولدت غلاماً ، وأصلحتُ من شأنه ، وجعلت أكلّمها ، وأتلطف بها وأقول لها : يا هذه ، لا تحتشميني ؛ فقد وجب حقّي عليك ، أخبريني خبرك وقصّتك ومن والد هذا الصبي ، فقالت : تسأليني عن ابيه لتطالبيه بشيء يهبه لك! فقلت : لا ، ولكن أحبّ أن أعلم خبرك ، فقالت لي : إني امرأة هاشميّة ـ ورفعتْ رأسها ؛ فرأيت أحَسن الناس وجهاً ـ وإن هؤلاء القوم أتْونا ، فذبحوا أبي وأمّي وإخوتي وأهلي جميعاً ، ثم أخذني رئيسهم ، فأقمتُ عنده خمسة أيام ، ثم أخرجني ، فدفعني إلى أصحابه ، فقال : طهّروها فأرادوا قتلي ، فبكيتُ ، وكان بين يديه رجل من قوّاده ، فقال : هبها لي ، فقال : خذها ، فأخذني ، وكان بحضرته ثلاثة أنفس قيام من أصحابه ، فسلُّوا سيوفهم ، وقالوا : لا نسلّمها إليك ؛ إمَّا أن تدفعَها إلينا ، وإلاّ قتلناها ، وأرادوا قتلي ، وضجّوا ، فدعاهم رئيسهم القرمطيّ ، وسألهم عن خبرهم فخبَّروه ، فقال : تكون لكم أربعتكم ، فأخذوني ، فأنا مقيمة معهم أربعتهم ، والله ما أدري ممّن هو هذا الولد منهم!

قالت : فجاء بعد المساء رجل فقالت لي : هنّيه ، فهنأته بالمولود ، فأعطاني سبيكة فضة ، وجاء آخر وآخر ، أهنِّئُ كلّ واحد منهم ، فيعطيني سبيكة فضة ؛ فلما كان في السحر جاء جماعة مع رجل وبين يديه شمع ، وعليه ثياب خزّ تفوح منه رائحة المسك ، فقالت لي : هنّيه ، فقمت إليه ، فقلت : بيَّض الله وجهك ، والحمد لله الذي رزقك هذا الابن ، ودعوت له ، فأعطاني سبيكة فيها ألف درهم ، وبات الرجل في بيت ، وبتّ مع المرأة في بيت ، فلما أصبحت قلت للمرأة : يا هذه ، قد وجب عليك حقّي ، فالله الله فيّ ، خلصيني! قالت : ممّ أخلصك؟ فخبّرتُها خبر ابني ، وقلت لها : إني جئتُ راغبة إليه ، وإنه قال لي كيت وكيت ، وليس في يدي منه شيء ، ولي بنات ضِعاف خلفتهنّ بأسوأ حال ، فخلِّصيني من هاهنا لأصلَ إلى بناتي ، فقالت : عليك بالرّجل الذي جاء آخر

القوم ، فسليه ذلك ، فإنه يخلصك ، فأقمتُ يومي إلى أن أمسيتُ؛ فلما جاء تقدّمت إليه ، وقبّلتُ يده ورجله ، وقلت: يا سيّدي قد وجب حقّي عليك ، وقد أغناني الله على يديك بما أعطيتني ، ولي بنات ضِعاف فقراء ، فإن أذَنت لي أن أمضي فأجيئك ببناتي حتى يخدمنك ويكنّ بين يديك! فقال: وتفعلين؟ قلت: نعم ، فدعا قوماً من غلمانه ، فقال: امضوا معها حتى تبلغوا بها موضع كذا وكذا ، ثم اتركوها وارجعوا ، فحملوني على دابّة ، ومضْوا بي ، قالت: فبينما نحن نسير ، وإذا أنا بابني يركُض ، وقد كنا سِرْنا عشرة فراسخ ـ فيما خبَرني به القوم الذين معي ـ فلحقني وقال: يا فاعلة ، زعمتِ أنك تمضين وتجيئين ببناتِك! وسلّ سيفه ليضربني ، فمنعه القوم ، فلحقني طرف السيف ، فوقع في كتفي ، وسلّ القوم سيوفَهم ، فأرادوه ، فتنحّى عني ، وساروا بي حتى بلغوا بي الموضع الذي سمّاه لهم صاحبهم ، فتركوني ومضوا ، فتقدّمت إلى هاهنا وقد طفتُ لعلاج جرحي ، فوُصف لي هذا الموضع ، فجئت إلى هاهنا ، قالت: ولما قدم أمير المؤمنين بالقرمطيّ وبالأسارى من أصحابه خرجتُ لأنظر إليهم؛ فرأيت ابني فيهم على جمل؛ عليه برنس وهو يبكي وهو فتىً شابّ ، فقلت له: لا خفّف الله عنك ولا خلّصك! قال المتطبّب: فقمت معها إلى المتطبّبة لما جاءت ، وأوصيتُها بها ، فعالجت جرحَها وأعْطَتْها مَرهماً ، فسألت المتطبّبة عنها بعد منصرفها ، فقالت: قد وضعت يدي على الجرح ، وقلت: انفخي ، فنفخت فخرجت الريح من الجرح من تحت يدي ، وما أراها تبرأ منه ، ومضت فلم تعد إلينا.

ولإحدى عشرة بقيتْ من شوّال من هذه السنة ، قبض القاسم بن عبيد الله على الحسين بن عمرو النصرانيّ ، وحبسه ، وذلك أنه لم يزل يسعى في أمره إلى المكتفي ، ويقدح فيه عنده؛ حتى أمره بالقبض عليه ، وهرب كاتب الحسين بن عمرو حين قبض على الحسين المعروف بالشيرازيّ ، فطُلب وكُبِست منازل جيرانه ، ونُودي: مَنْ وجده فله كذا وكذا ، فلم يوجد.

ولسبع بقين منه صُرف الحسين بن عمرو إلى منزله ، على أن يخرج من بغداد ، وفي الجمعة التي بعدها خرج الحسين بن عمرو وحُدِر إلى ناحية واسط على وجه النفي ، ووُجد الشيرازيُّ كاتبه لثلاث خلون من ذي القعدة.

ولليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة أمر المكتفي بإعطاء الجند أرزاقَهم والتأهّب للشخوص لحرب القرمطيّ بناحية الشأم ، فأطلق للجند في دفعة واحدة مئة ألف دينار ؛ وذلك أنّ أهل مصر كتبوا إلى المكتفي يشكُون ما لقُوا من ابن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ، وأنه قد أخرب البلاد ، وقتل الناس ، وما لَقُوا من أخيه قبله وقتلهما رجالهم ، وأنه لم يبق منهم إلا العدد اليسير[1] .

ولخمس خلوْن من شهر رمضان أخرِجت مضارب المكتفي ، فضُربت بباب الشماسيّة .

ولسبع خلوْن منه خرج المكتفي في السّحَر إلى مضربه بباب الشّماسية ، ومعه قواده وغلمانه وجيوشه .

ولاثنتي عشرة ليلة من شهر رمضان ، رحل المكتفي من مضربه بباب الشماسيَّة في السَّحَر ، وسلك طريق الموصِل .

وللنصف من شهر رمضان منها مضى أبو الأغرّ إلى حلب ، فنزل وادي بُطْنَان قريباً من حلَب ، ونزل معه جميع أصحابه ، فنزع ـ فيما ذُكر ـ جماعة من أصحابه ثيابهم ، ودخلوا الوادي يتبرّدون بمائه ، وكان يوماً شديد الحرّ ؛ فبيناهم كذلك إذ وافَى جيش القرمطيّ المعروف بصاحب الشامة، وقد بدرهم المعروف بالمطوَّق ، فكبَسهم على تلك الحال ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغرّ في جماعة من أصحابه ، فدخل حلَب ، وأفلت معه مقدار ألف رجل ، وكان في عشرة آلاف بين فارس وراجل ، وكان قد ضُمّ إليه جماعة ممّن كان على باب السلطان من قوّاد الفراغنة ورجالهم ، فلم يفلِتْ منهم إلا اليسير ، ثم صار أصحاب القرمطيّ إلى باب حلَب ، فحاربهم أبو الأغرّ ومَن بقي معه من أصحابه وأهل البلد ، فانصرفوا عنه بما أخذُوا من عسكره من الكُراع والسلاح والأموال والأمتعة بعد حرب كانت بينهم ، ومضى المكتفي بمَنْ معه من الجيش حتى انتهى إلى الرّقة ، فنزلها وسرّح الجيوش إلى القرمطيّ جيشاً بعد جيش .

ولليلتين خلتا من شوال ورد مدينة السلام كتابٌ من القاسم بن عبيد الله ، يخبر فيه أن كتاباً ورد عليه من دمشق من بدر الحماميّ صاحب ابن طولون ، يخبر

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ١٥).

فيه أنه واقع القرمطيّ صاحب الشامة ، فهزمه ووضع في أصحابه السيف ، ومضى مَنْ أفلت منهم نحو البادية ، وأنّ أمير المؤمنين وجّه في أثره الحسين بن حمدان بن حمدون وغيره من القوّاد.

وورد أيضاً في هذه الأيام ـ فيما ذكِر ـ كتاب من البحرين من أميرها ابن بانوا ، يذكر فيه أنه كبس حصناً للقرامطة ، فظفر بمن فيه.

ولثلاث عشرة خلت من ذي القعدة منها ـ فيما ذكر ـ ورد كتاب آخر من ابن بانوا من البحرين ، يذكر فيه أنه واقع قرابة لأبي سعيد الجنابيّ ، ووليّ عهده من بعده على أهل طاعته ، فهزمه ، وكان مقام هذا المهزوم بالقطيف فوُجد بعدما انهزم أصحابه قتيلاً بين القتلى ، فاحتزّ رأسه ، وأنه دخل القطيف فافتتحها.

ومن كتب صاحب الشامة إلى بعض عماله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أحمد بن عبد الله المهديّ المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله ، الداعي إلى كتاب الله ، الذابّ عن حرم الله ، المختار من ولد رسول الله أمير المؤمنين وإمام المسلمين ، ومذلّ المنافقين خليفة الله على العالمين ، وحاصد الظالمين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المبصرين ، وضياء المستضيئين ، ومشتّت المخالفين ، والقيّم بسنة سيد المرسلين ، وولد خير الوصيّين ، صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيّبين ، وسلم كثيراً ، إلى جعفر بن حميد الكرديّ :

سلام عليك ؛ فإنّي أحمَدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلّيَ على جَدّي محمد رسول الله ﷺ ، أما بعد ؛ فقد أُنهِيَ إلينا ما حدث قبَلك من أخبار أعداء الله الكفَرة ، وما فعلوه بناحيتك ، وأظهروه من الظلم والعَيْث والفساد في الأرض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ إلى ما هناك من جيوشنا مَنْ ينتقم الله به من أعدائه الظالمين ، الذين يسعوْن في الأرض فساداً ، وأنفذنا عُطيراً داعيَتَنا وجماعة من المؤمنين إلى مدينة حمص ، وأمددناهم بالعساكر ، ونحن في أثرهم ، وقد أوعزنا إليهم في المصير إلىٰ ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يُجريَنا اللهُ فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم ؛ فينبغي أن

تشدّ قلبك وقلوب مَنْ معك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعوّدناه في كل من مرق عن الطاعة وانحرف عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الناحية ، وما يتجدّد فيها ، ولا تُخْفِ عني شيئاً من أمرها إن شاء الله.

سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على جدّي محمد رسول الله وعلى أهل بيته وسلم كثيراً.

* * *

نسخة كتاب عامل له إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله أحمد الإمام المهديّ المنصور بالله ـ ثم الصدر كلُّه على مثال نسخة صدر كتابه إلى عامله الذي حكينا في الكتاب الذي قبل هذا الكتاب ـ إلى ولد خير الوصيّين صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين وسلم كثيراً. ثم بعد ذلك: من عامر بن عيسى العنقائيّ.

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام الله عزّه وتأييده ، ونصره وسلامته ، وكرامته ونعمته وسعادته ، وأسبغ نعمه عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وفضْله لديه ، فقد كان وصل كتاب سيّدي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، يُعلِمني فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد من قوّاده إلى ناحيتنا لمجاهدة أعداء الله بني الفصيص والخائن بن دُحيم ، وطلبهم حيث كانوا ، والإيقاع بهم وبأسبابهم وضياعهم ، ويأمرني أدام الله عزّه عند نظري في كتابه بالنهوض في كلّ من قدرتُ عليه من أصحابي وعشائري للقائهم ومكانفة الجيش ومعاضدتهم والمسير بسيرهم ، والعمد كلّ ما يُومون إليه ويأمرون به ، وفهمتُه ، ولم يصل إليّ هذا الكتاب أعز الله أمير المؤمنين حتى وافت الجيوش المنصورة؛ فنالت طرفاً من ناحية ابن دُحيم ، وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسرور بن أحمد الدّاعية ليلقوْه بمدينة أفامِيَة ، ثم ورد عليّ كتاب مسرور بن أحمد في درجة الكتاب الذي اقتصصتُ ما فيه من صدر كتابي هذا ، يأمرني فيه بجمع من تهيأ مِنْ أصحابي وعشيرتي والنهوض إلى ما قِبَله ، ويحذِّرني التخلّف عنه ، وكان ورود كتابه عليّ وقتَ صحّ عندنا نزول المارق سُبْك عبد مفلح مدينة عَرْقة في زهاء ألف رجل ،

ما بين فارس وراجل ، وقد شارف بلدنا ، وأطلّ على ناحيتنا ، وقد وجّه أحمد بن الوليد عبد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه إلى جميع أصحابه ، ووجّهت إلى جميع أصحابي ، فجمعناهم إلينا ، ووجّهنا العيون إلى ناحية عَرْقة لنعرف أخبار هذا الخائن ، وأين يريد ، فيكون قصدنا ذلك الوجه ، ونرجو أن يُظفر الله به ، ويمكّن منه بمنه وقدرته.

ولولا هذا الحادث ، ونزول هذا المارق في هذه الناحية ، وإشرافه على بلدنا لما تأخّرت في جماعة أصحابي عن النهوض إلى مدينة أفاميَة ، لتكون يدي مع أيدي القوّاد المقيمين بها لمجاهدة مَنْ بتلك الناحية حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، وأعلمت سيدي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه السبب في تخلّفي عن مسرور بن أحمد ، ليكونَ على علم منه ، ثم إن أمرني أدام الله عزه بالنفوذ إلى أفامية كان نفوذي برأيه ، وامتثلتُ ما يأمرني به إن شاء الله ، أتمّ الله على أمير المؤمنين نعمه وأدام عزّه وسلامته ، وهنّأه كرامته ، وألبسه عفوه وعافيته.

والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار.

وفيها وجّه القاسم بن عبيد الله الجيوشَ إلى صاحب الشامة ، وولّى حربه محمد بن سليمان الكاتب الذي كان إليه ديوان الجيش ، وضمّ جميع القواد إليه ، وأمرهم بالسمع له والطاعة ، فنفذ من الرّقة في جيش كثيف ، وكتب إلى مَنْ تقدمه من القوّاد بالسمع له والطاعة.

* * *

وفيها ورد رسولا صاحب الروم؛ أحدهما خادم ، والآخر فحل ، يسأله الفِداء بمن في يده من المسلمين أسير ، ومعهما هدايا من صاحب الروم وأسارى من المسلمين بعث بهم إليه ، فأجابهما إلى ما سألا ، وخلع عليهما.

وحجّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد[1].

* * *

(١) انظر المنتظم (١٣/ ١٦).

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

[ذكر خبر الوقعة بين أصحاب السلطان وصاحب الشامة]

فمن ذلك ما كان من أمر الوقعة بين أصحاب السلطان وصاحب الشامة(١).

ذكر الخبر عن هذه الوقعة:

قال أبو جعفر: قد مضى ذكرى شخوصَ المكتفي من مدينة السلام نحو صاحب الشامة لحربه ومصيره إلى الرّقة، وبثه جيوشَه فيما بين حلب وحِمْص، وتوليته حرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب وتصييره أمْرَ جيشه وقوّاده إليه؛ فلما دخلت هذه السنة كتب وزيره القاسم بن عبيد الله إلى محمد بن سليمان وقوّاد السلطان يأمره وإيّاهم بمناهضة ذي الشامة وأصحابه، فساروا إليه حتى صاروا إلى موضع بينهم وبين حَماة ـ فيما قيل ـ اثنا عشر ميلاً، فلقُوا به أصحابَ القرمطي في يوم الثلاثاء لست خَلَوْن من المحرّم، وكان القرمطيّ قدم أصحابه، وتخلّف هو في جماعة من أصحابه، ومعه مالٌ قد كان جمعه، وجعل السَّواد وراءه، فالتحمت الحرب بين أصحاب السلطان وأصحاب القرمطي، واشتدّت، فهُزم أصحاب القرمطيّ، وقتِلوا وأسِرَ من رجالهم بشرٌ كثير، وتفرّق الباقون في البوادِي، وتَبِعهم أصحابُ السلطان ليلة الأربعاء لسبْع خلوْن من المحرّم، فلمّا رأى القرمطيّ ما نزل بأصحابه من الفُلول والهزيمة حمّل ـ فيما قيل ـ أخاً له يكنى أبا الفضل مالاً، وتقدّم إليه أن يلحق بالبوادي إلى أن يظهر في موضع، فيصير إليه، وركب هو وابن عمّه المسمّى المدّثّر والمطوّق صاحبه وغلام له روميّ وأخذ دليلاً، وسار يريد الكوفة عرضاً في البريّة، حتى انتهى إلى موضع يعرف بالدّاليّة من أعمال طريق الفُرات، فنفد ما كان معهم من الزّاد والعلف، فوجّه بعض من كان معه ليأخذ له ما يحتاجون إليه، فدخل الدالية المعروفة بدالية ابن طَوْق لشراءِ حاجِة، فأنكروا زيّه، وسُئِل عن أمره فمجمج،

---

(١) كذلك ذكر ابن الجوزي هذه الوقعة العظيمة ضمن أحداث سنة (٢٩١ هـ) وانظر تعليقنا الآتي.

فأعلِم المتولي مسلحة هذه الناحية بخبره ، وهو رجل يعرف بأبي خُبْزَة خليفة أحمد بن محمد بن كُشَمْرد عامل أمير المؤمنين المكتفي على المعاون بالرّحبة وطريق الفرات ، فركب في جماعة ، وسأل هذا الرجل عن خبره ، فأخبره أن الشامة خلف رابية هنالك في ثلاثة نفر.

فمضى إليهم ، فأخذهم وصار بهم إلى صاحبه ، فتوجّه بهم ابن كُشَمْرد وأبو خبزة إلى المكتفي بالرّقة ، ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا جميعَ مَنْ قدروا عليه من أولياء القرمطيّ وأشياعه ، وكتب محمد بن سليمان إلى الوزير بالفتح :

بسم الله الرحمن الرحيم

قد تقدّمت كتبي إلى الوزير أعزه الله في خبر القرمطيّ اللعين وأشياعه؛ بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله ، ولمّا كان في يوم الثلاثاء لست ليال خلون من المحرّم رحلتُ من الموضع المعروف بالقروانة نحو موضع يعرف بالعليانة في جميع العسكر من الأولياء ، وزحفنا بهم على مراتبهم في القلب والميمنة والميسرة وغير ذلك؛ فلم أبعد أن وافاني الخبر بأن الكافر القرمطيّ أنفذ النعمان ابن أخي إسماعيل بن النعمان أحد دعاته في ثلاثة آلاف فارس ، وخلْق من الرّجّالة ، وإنه نزل بموضع يعرف بتمنع ، بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً ، فاجتمع إليه جميع مَنْ كان بمعرّة النعمان وبناحية الفصيصيّ وسائر النواحي من الفرسان والرّجّالة ، فأسررت ذلك عن القوّاد والناس جميعاً ولم أظهره ، وسألتُ الدّليل الذي كان معي عن هذا الموضع ، وكم بيننا وبينه ، فذكر أنه ستة أميال ، فتوكّلت على الله عزّ وجلّ ، وتقدّمت إليه في المسير نحوه ، فمال بالناس جميعاً ، وسرنا حتى وافيتُ الكفرة ، فوجدتهم على تعبئة ، ورأينا طلائعهم ، فلمّا نظروا إلينا مقبلين زحفوا نحونا ، وسرنا إليهم ، فافترقوا ستّة كراديس ، وجعلوا على ميسرتهم ـ على ما أخبرني من ظفرتُ به من رؤسائهم ـ مسروراً العُليصيّ وأبا الحمل وغلام هارون العُليصيّ ، وأبا العذاب ، ورجاء وصافي وأبا يعلى العلويّ ، في ألف وخمسمئة فارس ، وكمنوا كميناً في أربعمئة فارس خلْف ميسرتهم بإزاء ميمنتنا ، وجعلوا في القلب النعمان العُليصيّ والمعروف بأبي الحَطّي ، والحماريّ وجماعة من بطلانهم في ألف وأربعمئة فارس وثلاثة آلاف

راجل ، وفي ميمنتهم كليباً العليصيّ والمعروف بالسديد العليصيّ والحسين بن العليصي وأبا الجراح العليصي وحميد العليصيّ ، وجماعة من نظرائهم في ألف وأربعمئة متفرّقين ، متوكّلين على الله عزّ وجل.

وقد استحثثتُ الأولياء والغلمان وسائر الناس غيرهم ، ووعدتهم ، فلما رأى بعضُنا بعضاً حمل الكردوس الذي كان في ميسرتهم ضرباً بالسياط ، فقصد الحسين بن حمدان ، وهو في جناح الميمنة ، فاستقبلهم الحسين - بارك الله عليه وأحسن جزاءه - بوجهه وبموضعه من سائر أصحابه برماحهم ، فكسروها في صدورهم ، فانفلّوا عنهم ، وعاود القرامطة الحمل عليهم ، فأخذوا السيوف ، واعترضوا ضرباً للوجوه فصُرِع من الكفار الفجرة ستمئة فارس في أوّل وقعة وأخذ أصحاب الحسين خمسمئة فرس وأربعمئة طوْق فضة ، وولّوْا مدبرين مفلولين ، واتّبعهم الحسين ، فرجعوا عليه ، فلم يزالوا حملة وحملة ، وفي خلال ذلك يصرع منهم الجماعة بعد الجماعة ؛ حتى أفناهم الله عزّ وجلّ ، فلم يفلت منهم إلاّ أقل من مئتي رجل.

وحمل الكردوس الذي كان في ميمنتهم على القاسم بن سيما ويُمْن الخادم ومَنْ كان معهما من بني شيبان وبني تميم ، فاستقبلوهم بالرّماح حتى كسرُوها فيهم؛ واعتنق بعضُهم بعضاً ، فقتِل من الفجرة جماعةٌ كثيرة ، وحمل عليهم في وقت حملتهم خليفة بن المبارك ولؤلؤ ، وكنت قد جعلته جناحاً لخليفة في ثلاثمئة فارس ، وجميع أصحاب خليفة؛ وهم يعاركون بني شيبان وتميم ، فقتِل من الكفرة مقتلة عظيمة ، واتّبعوهم ، فأخذ بنو شيبان منهم ثلاثمئة فرس ومئة طوْق ، وأخذ أصحاب خليفة مثلَ ذلك؛ وزحف النعمان ومَنْ معه في القلْب إلينا ، فحملتُ ومَنْ معي ، وكنت بين القلب والميمنة ، وحمل خاقان ونصر القشوريّ ومحمد بن كُمُشجُور ومَنْ كان معهم في الميمنة ، ووصيف مُوشكير ومحمد بن إسحاق بن كُنْداجيق وابنا كَيْغلَغ والمبارك القمّي وربيعة بن محمد ومهاجر بن طليق والمظفر بن حاج وعبد الله بن حمدان وحيّ الكبير ووصيف البكتمريّ وبشر البكتمريّ ومحمد بن قَراطُغان.

وكان في جناح الميمنة جميعُ من حمل على مَنْ في القلب ومَن انقطع ممّن كان حمل على الحسين بن حمدان ، فلم يزالوا يقتلون الكفار فرسانهم ورجّالتهم

حتى قُتلوا أكثر من خمسة أميال ، ولما أن تجاوزتُ المصافّ بنصف ميل خفتُ أن يكون من الكفار مكيدة في الاحتيال على الرّجالة والسواد ، فوقفتُ إلى أن لحقوني ، وجمعتهم وجمعت الناس إليّ وبين يدي المطرد المبارك ، مطرد أمير المؤمنين ، وقد حملت في الوقت الأول ، وحمل الناس ، ولم يزل عيسى النوشري ضابطاً للسواد من مصافّ خلفهم مع فرسانه ورجّالته على ما رسمتُه له ، لم يَزُل من موضعه إلى أن رجع الناس جميعاً إليّ من كلّ موضع ، وضربت مضربي في الموضع الذي وقفت فيه؛ حتى نزل الناس جميعاً ، ولم أزل واقفاً إلى أن صلّيتُ المغربَ ، حتى استقرّ العسكر بأهلِه ، ووجَّهت في الطلائع ثم نزلت؛ وأكثرت حمد الله على ما هنّأنا به من النصر ، ولم يُبق أحد من قوّاد أمير المؤمنين وغلمانه ولا العجم وغيرهم غاية في نصر هذه الدولة المباركة في المناصحة لها إلاّ بلغوها؛ بارك الله عليهم جميعاً!

ولمّا استراح الناس خرجت والقوّاد جميعاً لنقيم خارج العسكر إلى أن يصبح الناس خوفاً من حيلة تقع ، وأسأل الله تمام النعمة وإيزاع الشكر؛ وأنا ـ أعزّ الله سيدنا الوزير ـ راحل إلى حَماة ، ثم أشخص إلى سلمية بمنّ الله تعالى وعونه ، فمن بَقيَ من هؤلاء الكفار مع الكافر فهم بسلمية؛ فإنه قد صار إليها منذ ثلاثة أيام ، وأحتاج إلى أن يتقدم الوزير بالكتاب إلى جميع القوّاد وسائر بطون العرب من بني شَيْبان وتغلِب وبني تميم ، يجزيهم جميعاً الخير على ما كان في هذه الوقعة؛ فما بقيَ لأحد منهم ـ صغير ولا كبير ـ غاية ، والحمد لله على ما تفضّل بهِ ، وإياه أسأل تمامَ النعمة.

ولما تقدَّمت في جمع الرؤوس ، وُجِد رأس أبي الحمل ، ورأس أبي العذاب وأبي البغل ، وقيل إن النعمان قد قُتِل؛ وقد تقدّمت في طلبه ، وأخذ رأسِه وحمله مع الرؤوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله.

وفي يوم الإثنين الأربع بقين من المحرَّم ، أدخِل صاحب الشامة إلى الرّقة ظاهراً للناس على فالج ، عليه برنس حرير ودرّاعة ديباج ، وبين يديه المدّثّر والمطوّق على جملين.

ثم إن المكتفي خلّف عساكره مع محمد بن سليمان ، وشخص في خاصّته وغلمانه وخدمه ، وشخص معه القاسم بن عبيد الله من الرّقة إلى بغداد ، وحمل

معه القرمطيّ والمدثّر والمطوّق وجماعة من أسارى الوقعة ، وذلك في أول صفر من هذه السنة .

فلما صار إلى بغداد عزم ـ فيما ذكر ـ على أن يدخل القرمطيَّ مدينة السلام مصلوباً على دَقَل ، والدّقل على ظهر فيل ؛ فأمر بهدم طاقات الأبواب التي يجتاز بها الفيل ، إن كانت أقصر من الدَّقل ؛ وذلك مثل باب الطاق وباب الرّصافة وغيرهما .

ثم استسمج المكتفي ـ فيما ذكر ـ فعل ما كان عزم عليه من ذاك ، فعمل له دميانة ـ غلام يازَمان ـ كرسيّاً ، وركِّب الكرسيّ على ظهر الفيل ، وكان ارتفاعه عن ظهر الفيل ذراعيْن ونصف ذراع ـ فيما قيل ـ ودخل المكتفي مدينة السلام بغداد صبيحة يوم الإثنين لليلتين خَلَتا من شهر ربيع الأول ، وقُدِّم الأسرى بين يديه على جِمَال مقيّدين ، عليهم دراريع حرير وبرانس حرير ، والمطوّق في وسطهم ، غلام ما خرجتْ لحيته ، قد جُعل في فيه خشبة مخروطة ، وشُدّت إلى قفاه كهيئة اللجام ، وذلك أنه لما أدخِل الرّقة كان يشتم الناس إذا دعوا عليه ، ويبزق عليهم ، ففُعِل ذلك به لئلا يشتم إنساناً .

ثم أمر المكتفي ببناء دكّة في المصلّى العتيق من الجانب الشرقيّ ، تكسيرها عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وارتفاعها نحو من عشرة أذرُع ، وبَنيَ لها درج يصعد منه إليها ، وكان المكتفي خلّف مع محمد بن سليمان عساكره بالرّقة عند منصَرفه إلى مدينة السلام ، فتلقّط محمد بن سليمان مَنْ كان في تلك الناحية من قُوّاد القرمطيّ وقضاته وأصحاب شُرَطه ، فأخذهم وقيّدهم ، وانحدر والقوّاد الذين تخلّفوا معه إلى مدينة السلام على طريق الفرات ، فوافَى باب الأنبار ليلة الخميس لاثنتي عشرة خلت منْ شهر ربيع الأول ، ومعه جماعة من القوّاد ، منهم خاقان المفلحيّ ومحمد بن إسحاق بن كنداجيق وغيرهما : فأمِر القوّاد الذين ببغداد بتلقّي محمد بن سليمان والدخول معه ، فدخل بغداد وبين يديه نيّف وسبعون أسيراً ، حتى صار إلى الثريّا ، فخُلع عليه ، وطُوّق بطوق من ذهب وسُوّر بسواريْن من ذهب ، وخُلِع على جميع القوّاد القادمين معه ، وطُوّقوا وسُوّروا وصُرفوا إلى منازلهم ، وأمِر بالأسرى إلى السجن .

وذكر عن صاحب الشامة أنه أخذَ وهو في حبس المكتفي سكرجّة من المائدة

التي تدخل إليه فكسرها ، وأخذ شظيّة منها فقطع بها بعض عروق نفسه ، فخرج منه دم كثير ، ثم شَدّ يده ، فلما وقف المولّى خدمته على ذلك سأله: لمَ فعل ذلك؟ فقال: هاج بي الدم فأخرجته ، فترِكَ حتى صلح ، ورجعت إليه قوّته.

ولما كان يوم الإثنين لسبع بَقين من شهر ربيع الأوّل أمر المكتفي القوّاد والغلمان بحضور الدّكة التي أمر ببنائها ، وخرج من الناس خلقٌ كثير لحضورها ، فحضروها ، وحضر أحمد بن محمد الواثِقيّ وهو يومئذ يلي الشرطة بمدينة السلام ومحمد بن سليمان كاتب الجيش الدّكة ، فقعدا عليها ، وحمِل الأسرى الذين جاء بهِم المكتفي معه من الرَّقة والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومَنْ كان في السجن من القَرامطة الذين جمعوا من الكوفة ، وقومٌ من أهل بغداد كانوا على رأي القرامطة ، وقومٌ من الرّفوغ من سائر البلدان من غير القرامطة ـ وكانوا قليلاً ـ فجيء بهم على جمال ، وأحضِروا الدّكة ، ووقفوا على جمالهم ، ووكِّل بكلّ رجل منهم عونان ، فقيل: إنهم كانوا ثلاثمئة ونيّفاً وعشرين ، وقيل ثلاثمئة وستين ، وجيء بالقرمطيّ الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة؛ ومعه ابن عمه المعروف بالمدّثر على بغل في عماريّة ، وقد أسبِل عليهما الغشاء ، ومعهما جماعة من الفرسان والرّجّالة ، فصعِد بهما إلى الدكة ، وأقعِدا ، وقدّم أربعة وثلاثون إنساناً من هؤلاء الأسارى ، فقُطِعت أيديهم وأرجلهم ، وضُربت أعناقهم واحداً بعد واحد ، كان يُؤخذ الرجل فيبطح على وجهه فتقطع يمنى يديه ، ويحلّق بها إلى أسفل ليراها الناس ، ثم تُقطع رجله اليسرى ، ثم يسرى يديه ، ثم يمنى رجليه ، ويُرمى بما قطِع منه إلى أسفل ، ثم يقعَد فيمدّ رأسه ، فيضُرب عنقه ، ويرمَى برأسه وجثته إلى أسفل ، وكانت جماعة من هؤلاء الأسرى قليلة يضجّون ويستغيثون ، ويحلفون: أنهم ليسوا من القرامطة.

فلما فُرِغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين النفس ـ وكانوا من وجوه أصحاب القرمطيّ ـ فيما ذكر ـ وكبرائهم قُدّم المدّثر ، فقطِعت يداه ورجلاه وضربت عنقه ، ثم قدّم القرمطيّ فضُرِب مئتي سوط ، ثم قطِعت يداه ورجلاه ، وكوِيَ فغُشِيَ عليه ، ثم أخِذ خشب فأضرمت فيه النار ، ووُضع في خواصرِه وبطنه ، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما؛ فلما خافوا أن يموت ضُربت عنقه ، ورُفع رأسه على خشبة ، وكبّر مَن على الدكة وكبّر سائر الناس ، فلما قُتِل انصرف القوّاد ومَنْ

كان حضر ذلك الموضع للنظر إلى ما يُفعل بالقرمطيّ. وأقام الواثقيّ في جماعة من أصحابه في ذلك الموضع إلى وقت العشاء الآخرة، حتى ضُربت أعناق باقي الأسرى الذين أحضروا الدّكة، ثم انصرف[1].

فلما كان من غد هذا اليوم حُملت رؤوس القتلى من المصلّى إلى الجسر، وصُلِب بَدَن القرمطيّ في طرف الجسر الأعلى ببغداد، وحفِرت لأجساد القتلى في يوم الأربعاء آبار إلى جانب الدّكة، وطُرحت فيها وطُمّت، ثم أمِر بعد أيام بهدم الدكة ففعل.

ولأربع عشرة خلتْ من شهر ربيع الآخر وافى بغداد القاسم بن سيما منصرفاً عن عمله بطريق الفرات، ومعه رجلٌ من بني العُلَيص من أصحاب القرمطيّ صاحب الشامة؛ دخل إليه بأمان، وكان أحد دعاة القرمطي، يكنى أبا محمد، وكان سبب دخوله في الأمان أنَّ السلطان راسلَه، ووعده الإحسان إن هو دخل في الأمان، وذلك أنه لم يكن بقي من رؤساء القرامطة بنواحي الشأم غيره، وكان من موالي بني العليص، فرّ وقتَ الوقعة إلى بعض النواحي الغامضة، فأفلت، ثم رغب في الدّخول في الأمان والطاعة خوفاً على نفسه، فوافَى هو ومَنْ معه مدينة السلام، وهم نَيِّفٌ وستون رجلاً، فأومنوا وأحسِن إليهم، ووُصِلوا بمال حمِل إليهم، وأخرج هو ومَنْ معه إلى رَحبة مالك بن طَوْق مع القاسم بن سيما، وأجِريت لهم الأرزاق، فلما وصل القاسم بن سيما إلى عمله وهم معه، أقاموا معه مدّة، ثم أجمعوا على الغدر بالقاسم بن سيما، وائتمروا به، ووقف على ذلك من عزمهم، فبادرهم ووضع السيف فيهم فأبارهم، وأسر جماعة منهم، فارتدع مَنْ بقي من بني العليص ومواليهم، وذلّوا ولزموا أرض السَّماوة وناحيتها مدة حتى راسلهم الخبيث زكرويه، وأعلمهم أنّ مما أوحي إليه، أن المعروف بالشيخ وأخاه يُقتلان، وأن إمامَه الذي يوحَى إليه يظهر بعدهما ويظفر.

* * *

وفي يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى زوّج المكتفي ابنه محمّداً

---

(١) لقد ذكر ابن الجوزي هذه التفاصيل (١٠٨ ـ ١١٤) مختصراً في منتظمه (١٣/ ٢٢ ـ ٢٣) وكذلك ذكره ابن كثير مختصراً [٨/ ٢٧٠].

ويكنى أبا أحمد بابنة أبي الحسين القاسم بن عبيد الله على صداقٍ مئة ألف دينار.

وفي آخر جمادى الأولى من هذه السنة وَرَد ـ فيما ذكر ـ كتاب من ناحية جُبّى، يذكر فيه أن جُبّى وما يليها جاءها سيل في وادٍ من الجبل، فغرّق نحواً من ثلاثين فرسخاً، غرق في ذلك خلقٌ كثير، وغرقت المواشي والغَلّات، وخربت المنازل والقُرى، وأخرِج من الغرقى ألف ومئتا نفس، سوى من لم يلحق منهم.

وفي يوم الأحد غرّة رجب خلَع المكتفي على محمد بن سليمان كاتب الجيش وعلى جماعة من وجوه القوّاد، منهم محمد بن إسحاق بن كُنداجيق، وخليفة بن المبارك المعروف بأبي الأغرّ وابنا كيغَلغ، وبندقة بن كُمُشجور، وغيرهم من القوّاد، وأمرهم بالسمع والطاعة لمحمد بن سليمان، وخرج محمد بن سليمان والخِلَع عليه حتى نزل مضربه بباب الشماسيّة، وعسكر هنالك، وعسكر معه جماعة القوّاد الذين أخرِجوا وبرزوا، وكان خروجهم ذلك قاصدين لدمشق ومصر لقبض الأعمال من هارون بن خمارويه؛ لِما تبيّن للسلطان من ضعفه وضعف مَنْ معه وذهاب رجاله بقتل مَنْ قتل منهم القرمطيّ.

ثم رحل لستّ خلون من رجب محمد بن سليمان بن باب الشماسيّة ومن ضمّ إليه من الرجال، وهم زهاء عشرة آلاف رجل، وأمر بالجدّ في المسير.

ولثلاث بقين من رجب قرئَ في الجامعين بمدينة السلام كتابٌ ورد من إسماعيل بن أحمد من خراسان، يذكر فيه أنّ الترك قصدوا المسلمين في جيش عظيم وخلق كثير، وأنه كان في عسكرهم سبعمئة قبّة تركيّة، ولا يكون ذلك إلاّ للرؤساء منهم، فوُجّه إليه برجل من قُوّاده في جيش ضمّه إليه، ونودي في الناس بالنّفير، فخرج من المطّوّعة ناس كثير، ومضى صاحب العسكر نحو الترك بمَنْ معه، فوافاهم المسلمون وهم غارُّون، فكبسوهم مع الصّبح، فقُتِل منهم خلق كثير، وانهزم الباقون، واستُبِيح عسكرهم، وانصرف المسلمون إلى موضعهم سالمين غانمين[1].

وفي شعبان منها ورد الخبر أنّ صاحب الروم وجّه عشرة صلبان معها مئة ألف

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٢٣).

رجل إلى الثّغور ، وأن جماعة منهم قصدت نحو الحدث ، فأغاروا وسَبَوْا مَنْ قدروا عليه من المسلمين ، وأحرقوا[١] .

وفي شهر رمضان منها ورد كتاب من القاسم بن سيما من الرّحبة على السلطان ، يذكر فيه أن الأعراب الذين استأمنوا إلى السلطان وإليه من بني العُليص ومواليهم ممنّ كان مع القرمطيّ نكثوا وغدروا ، وأنهم عزموا على أن يكبسوا الرّحبة في يوم الفطر ، عند اشتغال الناس بصلاة العيد ، فيقتلوا مَنْ يلحقون ، وأن يحرقوا وينهبوا ، وإني أوقعت عليهم الحيلة حتى قتلت منهم وأسرت خمسين ومئة نفس ، سوى مَن غَرق منهم في الفرات ، وإني قادم بالأسرى وفيهم جماعة من رؤسائهم وبرؤوس مَنْ قتِل منهم[٢] .

وفي آخر شهر رمضان من هذه السنة ورد كتاب من أبي معدان من الرّقة ـ فيما قيل ـ باتصال الأخبار به من طَرَسوس أنّ الله أظهر المعروف بغلام زرافة في غزاة غزاها الرّوم في هذا الوقت بمدينة تدعى أنطالية ، وزعموا أنها تعادل قسطنطينيّة ، وهذه المدينة على ساحل البحر ، وأن غلام زرافة فَتَحها بالسيف عنوة ، وقتل ـ فيما قيل ـ خمسة آلاف رجل ، وأسر شبيهاً بعدّتهم ، واستنقذ من الأسارى أربعة آلاف إنسان ، وأنه أخذ للروم ستين مركباً ، فحمّلها ما غنم من الفضة والذهب والمتاع والرقيق ، وأنه قدّر نصيب كلّ رجل حضر هذه الغزاة ، فكان ألف دينار ، فاستبشر المسلمون بذلك ، وبادرتُ بكتابي هذا ليقف الوزير على ذلك .

وكتب يوم الخميس لعشر خلون من شهر رمضان .

* * *

وأقام الحجّ للناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد[٣] .

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٢٣) .
(٢) انظر المنتظم (١٣/ ٢٣) فقد ذكر الخبر مختصراً .
(٣) انظر المنتظم (١٣/ ٢٣) .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومئتين
ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من توجيه نزار بن محمد من البصرة إلى السلطان ببغداد رجلاً ذكر أنه أراد الخروج على السلطان ، وصار إلى واسط ، وأن نزاراً وجَّه في طلبه مَنْ قبض عليه بواسط ، وأحدره إلى البصرة ، وأنه أخَذ بالبصرة قوماً؛ ذكر أنهم بايعوه ، فوجّه نزار جميعهم في سفينة إلى بغداد ، فوقفوا في فُرْضة البصريّين ، ووجّه جماعة من القواد إلى فرضة البصريين ، فحمِل هذا الرجل على الفالج ، وبين يديه ابن له صبيّ على جمل ، ومعه تسعة وثلاثون إنساناً على جمال ، وعلى جماعتهم برانس الحرير ودراريع الحرير ، وأكثرهم يستغيث ويبكي ، ويحلف أنه بريءٌ ، وأنه لا يعرف مما ادّعي عليه شيئاً ، وجازوا بهم في التمارين وباب الكرخ والخلد حتى وصلوا إلى دار المكتفي ، فأمر بردّهم ، وحبسهم في السجن المعروف بالجديد.

وفي المحرّم منها أغار أنْدُرونقس الروميّ على مَرْعَش ونواحيها ، فنفر أهل المصّيصة وأهل طَرَسوس ، فأصيب أبو الرّجال بنُ أبي بكار في جماعة من المسلمين.

وفي المحرّم منها صار محمد بن سليمان إلى حدود مصر لحرب هارون بن خمارويه ، ووجّه المكتفي دميانة غلام يا زمان من بغداد ، وأمره بركوب البحر والمضيّ إلى مصر ودخول النيل ، وقطع الموادّ عمّن بمصر من الجند ، فمضى ودخل النيل حتى وصل إلى الجسر ، فأقام به ، وضيّق عليهم ، وزحف إليهم محمد بن سليمان في الجيوش على الظهر حتى دنا من الفسطاط ، وكاتب القوّاد الذين بها ، فكان أوّل مَنْ خرج إليه بدر الحماميّ ـ وكان رئيس القوم ـ فكسرهم ذلك ، ثم تتابع مَنْ يستأمن إليه من قوّاد المصريّين وغيرهم؛ فلما رأى ذلك هارون وبقية مَنْ معه ، زحفوا إلى محمد بن سليمان ، فكانت بينهم وَقعات ـ فيما ذكر ـ ثم وَقع بين أصحاب هارون في بعض الأيام عصبيّة فاقتتلوا ، فخرج هارون ليُسكتَهم ، فرماه بعض المغاربة بزانة فقتله.

وبلغ محمد بن سليمان الخبرُ ، فدخل هو ومَنْ معه الفسطاط ، واحتوى على

دور آل طولون وأسبابهم ، وأخذهم جميعاً وهم بضعة عشر رجلاً ، فقيّدهم وحبسهم ، واستصفى أموالهم ، وكتب بالفتح ، وكانت الوقعة في صفر من هذه السنة[١] .

وكتِب إلى محمد بن سليمان في إشخاص جميع آل طولون وأسبابهم من القوّاد ، وألا يترك أحداً منهم بمصر ولا بالشأم ، وأن يبعث بهم إلى بغداد ، ففعل ذلك .

ولثلاث خلوْن من شهر ربيع الأول منها سقط الحائط الذي على رأس الجسر الأول من الجانب الشرقيّ من الدار التي كانت لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر على الحسين بن زكرويه القرمطيّ ، وهو مصلوب بقرب ذلك الحائط ، فطحنه ، فلم يُوجد بعد منه شيء .

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر على السلطان بأنّ قائداً من قوّاد المصريّين ـ يُعرف بالخليجيّ ، يسمى إبراهيم ـ تخلّف عن محمد بن سليمان في آخر حُدود مصر مع جماعة استمالهم من الجند وغيرهم ، ومضى إلى مصر مخالفاً للسلطان ، وصار معه في طريقه جماعة تحبّ الفتنة ، حتى كثر جمعه ، فلما صار إلى مصر أراد عيسى النُّوشريّ محارَبته ، وكان عيسى النُّوشريّ العامل على المعونة بها يومئذ فعجز عن ذلك لكثرة من مع الخليجيّ ، فانحاز عنه إلى الإسكندرية وأخلَى مصر فدخلها الخليجيّ .

وفيها ندب السلطان لمحاربة الخليجيّ وإصلاح أمر المغرب فاتكاً مولى المعتضد ، وضمّ إليه بدراً الحماميّ ، وجعله مشيراً عليه فيما يعمل به ، وضمّ إليه جماعة من القوّاد وجنداً كثيراً .

ولسبع خلون من شوال منها خلِع على فاتك وبدر الحماميّ لِمَا ندبا إليه من الخروج إلى مصر ، وأمِرا بسرعة الخروج ، ثم شخص فاتك وبدر الحماميّ لاثنتي عشرة خلت من شوال .

وللنصف من شوّال منها دخل مدينة طَرَسُوس رستم بن بردوا والياً عليها وعلى الثغور الشأمية .

---

(١) هذا الخبر (١٠/ ١١٨ ـ ١١٩) ذكره ابن الجوزي مختصراً (١٣/ ٣٣) .

وفيها كان الفداء بين المسلمين والرّوم ، وأوّل يوم من ذلك كان لستّ بقين من ذي القعدة منها ، فكان جملة مَنْ فُودي به من المسلمين ـ فيما قيل ـ ألفاً ونحواً من مئتي نفس ، ثم غدر الرُّوم ، فانصرفوا ورجع المسلمون بمن بقي معهم من أسارى الروم ، فكان عهد الفداء والهدنة من أبي العشائر والقاضي ابن مكرم؛ فلما كان من أمر أنْدُرُونقس ما كان من غارته على أهل مَرْعش وقتله أبا الرّجال وغيره ، عزِل أبو العشائر ووليَ رستم ، فكان الفداء على يديه ، وكان المتولّي أمرَ الفداء من قبَل الروم رجلٌ يدعَى أسطانه[١] .

وحجّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد[٢] .

* * *

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود الخبر لخمس بَقِين من صفر؛ بأن الخليجيّ المتغلِّب على مصر ، واقع أحمد بن كَيْغلَغَ وجماعةً من القوّاد بالقرب من العريش ، فهزمهم أقبح هزيمة ، فنُدب للخروج إليه جماعة من القوّاد المقيمين بمدينة السلام ، فيهم إبراهيم بن كَيْغلَغ ، فخرجوا .

ولسبعٍ خلوْن من شهر ربيع الأول منها ، وافى مدينةَ السلام قائد من قوّاد طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار مستأمناً ، يعرف بأبي قابوس ، مفارقاً عسكر السِّجْزيّة ، وذلك أن طاهر بن محمد ـ فيما ذكر ـ تشاغل باللهو والصيد ، ومضى إلى سِجِسْتان للصّيد والنزهة ، فغلب على الأمر بفارس الليث بن عليّ بن الليث وسبكرى مولى عمرو بن الليث ، ودبّر الأمر في عمل طاهر والاسم له ، فوقع بينهم وبين أبي قابوس تباعدٌ ، ففارقهم وصار إلى باب السلطان ، فقبله السلطان ، وخلع عليه وعلى جماعة معه وحَباه وأكرمه ، فكتب طاهر بن

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٣٣) .

(٢) انظر المنتظم (١٣/ ٣٤) .

محمد بن عمرو بن الليث إلى السلطان يسأله ردّ أبي قابوس إليه ، ويذكر أنه استكفاه بعضَ أعمال فارس ، وأنه جَبَى المال ، وخرج به معه ، ويسأل إن لم يردّ إليه أن يحسب له ما ذهب به من مالِ فارس ممّا صُودر عليه ، فلم يجبه السلطان إلى شيء من ذلك .

* * *

[ذكر الخبر عن ظهور أخي الحسين بن زكرويه][1]

وفي هذا الشهر من هذه السنة ورد الخبر أن أخاً للحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدّالية من طريق الفرات في نفر ، وأنه اجتمع إليه نفر من الأعراب والمتلصّصة فسار بهم نحو دمشق على طريق البرّ ، وعاث بتلك الناحية ، وحارب أهلها ، فنُدب للخروج إليه الحسين بن حمدان بن حمدون ، فخرج في جماعة كثيرة من الجند ، وكان مصير هذا القرمطيّ إلى دمشق في جمادى الأولى من هذه السنة ، ثم ورد الخبر أنّ هذا القرمطيّ صار إلى طَبَريّة فامتنعوا من إدخاله ، فحاربهم حتى دخلها ، فقَتَل عامة مَنْ بها من الرّجال والنساء ، ونهبها ، وانصرف إلى ناحية البادية .

وفي شهر ربيع الآخر ورد الخبر بأنّ الداعية الذي بنواحي اليمن صار إلى مدينة صنعاء ، فحاربه أهلُها ، فظفر بهم ، فقتل أهلها ، فلم ينفلت منهم إلا القليل ، وتغلّب على سائر مدن اليمن[2] .

* * *

عاد الخبر إلى ما كان من أمر أخي ابن زكرَويْه[3]

فذكر عن محمد بن داود بن الجراح أنه قال : أنفذ زكرويه بن مهرويه بعدما

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٤٤) فقد ذكر الخبر مختصراً .

(٢) انظر المنتظم (١٣/ ٤٤) .

(٣) هذه التفاصيل تتمة للخبر السابق (٧٣٩) وتتمة للمعارك التي جرت بين جيوش الخلافة وجيوش القرامطة .

قتلِ ابنه صاحبُ الشامة رجلاً كان يعلّم الصبيان بقرية تدعى الزّابوقة من عمل الفلُّوجة، يسمَّى عبد الله بن سعيد، ويكنى أبا غانم، فتسمّى نصراً ليعمي أمره، فدار على أحياء كَلْب يدعوهم إلى رأيه، فلم يقبله منهم أحد سوى رجل من بني زياد، يسمّى مقدام بن الكيّال، فإنه استغوى له طوائفَ من الأصبغيّين المنتمين إلى الفواطم وسواقط من العُليصِيّين وصعاليك من سائر بطون كلب، وقصد ناحية الشأم، وعاملُ السلطان على دمشق والأردنّ أحمد بن كَيْغَلَغ، وهو مقيم بمصر على حرب ابن خَليج، الذي كان خالف محمد بن سليمان، ورجع إلى مصر، فغلب عليها، فاغتنم ذلك عبد الله بن سعيد هذا، وسار إلى مدينتي بُصرى وأذرعات من كُورتيْ حوران والبثنيّة، فحارب أهلها ثم آمنهم، فلما استسلموا قَتل مقاتلتَهم، وسبى ذراريّهم، واستصفى أموالَهم، ثم سار يؤمّ دمشق، فخرج إليه جماعة ممن كان مرسوماً بتشحِينها من المصريّين كان خلّفهم أحمد بن كيغلغ مع صالح بن الفضل، فظهروا عليهم، وأثخنوا فيهم، ثم اغترّوهم ببذل الأمان لهم، فقتلوا صالحاً، وفضُّوا عسكره، ولم يطمعوا في مدينة دمشق، وكانوا قد صاروا إليها، فدافعهم أهلُها عنها، فقصدوا نحو طبريّة مدينة جند الأردنّ، ولحق بهم جماعة افتتنت من الجند بدمشق، فواقعهم يوسف بن إبراهيم بن بغامردي عامل أحمد بن كَيْغَلَغ على الأردنّ، فكسروه وبذلوا الأمان له، ثم غدروا به، فقتلوه ونهبوا مدينة الأردنّ، وسبوا النساء، وقتلوا طائفةً من أهلها، فأنفذ السلطان الحسين بن حمدان لطلبهم ووجوهاً من القوّاد، فورد دمشق وقد دخل أعداء الله طبريّة، فلما اتّصل خبره بهم عطفوا نحو السماوة، وتبعهم الحسيه يطلبهم في برِّيّة السَّماوة، وهم ينتقلون من ماء إلى ماء، ويعوِّرونه حتى لجؤوا إلى الماءين المعروفين بالدِّمْعَانة والحالة، وانقطع الحسين من اتباعهم لعدمه الماء، فعاد إلى الرّحبة، وأسرى القرامطةُ مع غاويهم المسمّى نصراً إلى قرية هِيت فصبّحوها وأهلُها غارّون لتسع بقين من شعبان مع طلوع الشمس، فنهب رَبَضَها، وقتل مَنْ قدر عليه من أهلها، وأحرق المنازل، وانتهب السفن التي في الفرات في غرضتها، وقتل من أهل البلد ـ فيما قيل ـ زهاء مئتي نفس ما بين رجل وامرأة وصبيّ، وأخذ ما قدر عليه من الأموال والمتاع، وأوقر ـ فيما قيل ـ ثلاثة آلاف راحلة، كانت معه زهاءَ مئتي كرّ حنطة بالمعدَّل ومن البُرّ والعطر والسقط جميع ما احتاج إليه، وأقام بها بقية اليوم الذي

دخلها والذي بعده ، ثم رحل عنها بعد المغرب إلى البرّيّة ، وإنما أصاب ذلك مِنْ رَبَضِها ، وتحصّن منه أهلُ المدينة بسورها ، فشخص محمد بن إسحاق بن كُنْداجيق إلى هِيت في جماعة من القوّاد في جيش كثيف بسبب هذا القرمطيّ ، ثم تبعه بعد أيام مؤنس الخازن .

وذكر عن محمد بن داود ، أنه قال : إنّ القرامطة صبّحوا هِيت وأهلُها غارّون فحماهم الله منه بسورها ، ثم عجّل السلطان محمد بن إسحاق بن كُنْدَاجيق نحوهم ، فلم يقيموا بها إلا ثلاثاً ، حتى قرب محمد بن إسحاق منهم ، فهربوا منه نحو الماءين ، فنهض محمد نحوهم ، فوجدهم قد عوّروا المياه بينه وبينهم ، فأنفِذت إليه من الحضرة الإبل والروايا والزّاد ، وكُتب إلى الحسين بن حمدان بالنفوذ من جهة الرّحبة إليهم ليجتمع هو ومحمد بن إسحاق على الإيقاع بهم ، فلما أحسّ الكلبيّون بإشراف الجند عليهم ، ائتمروا بعدوّ الله المسمّى نصراً ، فوثبوا عليه ، وفتكوا به ، وتفرّد بقتله رجلٌ منهم يقال له الذئب بن القائم ، وشخص إلى الباب متقرّباً ، بما كان منه ، ومستأمِناً لبقيتهم ، فأسنِيت له الجائزة ، وعُرِف له ما أتاه ، وكُفّ عن طلب قومِه ، فمكث أياماً ثم هرب ، وظفرت بطلائع محمد بن إسحاق برأس المسمّى بنصر ، فاحتزّوه وأدخلوه مدينة السلام ، واقتتلت القرامطة بعده ، حتى وقعت بينهما الدماء ، فصار مقدام بن الكيّال إلى ناحية طيئ مفلتاً بما احتوى عليه من الحُطام ، وصارت فرقة منهم كرهت أمورَهم إلى بني أسد المقيمين بنواحي عين التمر ، فجاوروهم وأرسلوا إلى السلطان وفداً يعتذرون مما كان منهم ، ويسألون إقرارهم في جوار بني أسد ، فأجيبوا إلى ذلك ، وحصلت على الماءين بقية الفَسَقة المستبصرة في دين القرامطة .

وكتب السلطان إلى حسين بن حمدان في معاودتهم باجتثاث أصولهم ، فأنفذ زكرويه إليهم داعيةً له من أكَرة أهل السواد يسمّى القاسم بن أحمد بن عليّ ، ويعرف بأبي محمّد، من رستاق نهر تلحانا ، فأعلمهم أنّ فعل الذئب بن القائم قد أنفره عنهم ، وثقّل قلبه عليهم، وأنهم قد ارتدّوا عن الدين ، وأن وقت ظهورهم قد حضر ، وقد بايع له بالكُوفة أربعون ألف رجل ، وفي سوادها أربعمئة ألف رجل ، وأن يوم موعدهم الذي ذكره الله في كتابه في شأن موسى كليمه عليه

السلام وعدوه فرعون إذ يقول: ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ ، وأن زكرويه يأمرهم أن يخفوا أمرهم ، ويظهروا الانقلاع نحو الشأم ، ويسيروا نحو الكوفة حتى يصبِّحوها في غداة يوم النحر ، وهو يوم الخميس لعشر تخلو من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومئتين ، فإنهم لا يُمنعون منها ، وأنه يظهر لهم ، وينجز لهم وعَده الذي كانْت رسله تأتيهم به ، وأن يحملوا القاسم بن أحمد معهم ، فامتثلوا أمره ، ووافوْا باب الكوفة ، وقد انصرف الناس عن مصلاّهم مع إسحاق بن عمران عامل السلطان بها ، وكان الذين وافوا باب الكوفة في هذا اليوم ـ فيما ذكر ـ ثمانمئة فارس أو نحوها ، رأسهم الذبلانيّ بن مهرويه من أهل الصوعق ، وقيل: هو من أهل جُنْبُلاَء ، عليهم الدّروع والجواشن والآلة الحسنة ، ومعهم جماعة من الرّجالة على الرّواحل فأوقعوا بمَنْ لحقوه من العوامّ ، وسلبوا جماعة ، وقتلوا نحواً من عشرين نفساً ، وبادر الناس إلى الكوفة فدخلوها ، وتنادَوْا السلاح ، فنهض إسحاق بن عمران في أصحابه ، ودخل مدينة الكوفة من القَرامطة زهاء مئة فارس من الباب المعروف بباب كندة ، فاجتمعت العوامّ وجماعة من أصحاب السلطان ، فرمْوهم بالحجارة وحاربوهم وألقوا عليهم السُّتُر ، فقتِل منهم زهاء عشرين نفساً ، وأخرجوهم من المدينة ، وخرج إسحاق بن عمران ومَنْ معه من الجند ، فصافُّوا القرامطة الحرب ، وأمر إسحاق بن عمران أهل الكوفة بالتحارس لئلا يجد القرامطة غِرّة منهم ، فيدخلوا المدينة ، فلم يزل الحرب بينهم إلى وقت العصر يوم النّحر ، ثم انهزمت القرامطة نحو القادسيّة ، وأصلح أهل الكوفة سورَهم وخندقهم ، وقاموا مع أصحاب السلطان يحرُسون مدينَتهم ليلاً ونهاراً.

وكتب إسحاق بن عمران إلى السلطان يستمدّه ، فندب للخروج إليه جماعة من قوّاده ، منهم طاهر بن عليّ بن وزير ، ووصيف بن صوار تكبن التركيّ ، والفضل بن موسى بن بغا ، وبشر الخادم الأفشيني ، وجنى الصَّفوانيّ ، ورائق الخزريّ. وضمّ إليه جماعةً من غلمان الحُجَر وغيرهم ، فشخص أولهم يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة ، ولم يرأس واحد منهم؛ كلُّ واحد منهم رئيس على أصحابه. وأمر القاسم بن سيما وغيره من رؤساء الأعراب بجمع الأعراب من البوادي بديار مُضَر وطريق الفرات ودَقُوقاء وخانيجَار وغيرها من النواحي ،

لينهضوا إلى هؤلاء القرامِطة إذْ كان أصحاب السلطان متفرّقين في نواحي الشأم ومصر ، فمضت الرسائل بذلك إليهم ، فحضروا ، ثم ورد الخبر فيها بأن الذين شخصوا مدداً لإسحاق بن عمران خرجوا إلى زكرويه في رجالهم ، وخلّفوا إسحاق بن عمران بالكوفة مع مَنْ معه من رجاله ليضبطها ، وصاروا إلى موضع بينه وبين القادسيّة أربعة أميال ، يعرف بالصوْر وهي في البرّية في العرض ، فلقيهم زكرويه هنالك فصافّوه يوم الإثنين لتسع بقين من ذي الحجة.

وقد قيل كانت الوقعة يوم الأحد لعشر بَقِين منه ، وجعل أصحاب السلطان بينهم وبين سوادهم نحواً من ميل ، ولم يخلّفوا أحداً من المقاتلة عنده ، واشتدّت الحرب بينهم ، وكانت الدّبَرة أوّل هذا اليوم على القرمطيّ وأصحابه حتى كادوا أن يظفروا بهم ، وكان زكرويه قد كَمّن عليهم كميناً من خلفهم ، ولم يشعروا به ، فلما انتصف النهار خرج الكمين على السواد فانتهبه ، ورأى أصحاب السلطان السيف من ورائهم ، فانهزموا أقبَح هزيمة ، ووضع القرمطيّ وأصحابه السيفَ في أصحاب السلطان ، فقتلوهم كيف شاؤوا ، وصبر جماعة من غلمان الحجَر من الخزر وغيرهم ، وهم زهاء مئة غلام ، وقاتلوا حتى قُتِلوا جميعاً بعد نكاية شديدة نكَوْها في القرامطة ، واحتوت القرامطة على سواد أصحاب السلطان فحازوه ، ولم يُفلِت من أصحاب السلطان إلاّ مَنْ كان في دابته فَضْل فنجا به ، أو من أثخِن بالجراح ، فطرِح نفسَه في القتلى ، فتحامل بعد انقضاء الوقعة حتى دخل الكوفة ، وأخذ للسلطان في هذا السّواد ، مما كان وجّه به مع رجاله من الجمّازات ، عليها السلاح والآلة زهاء ثلاثمئة جمّازة ، ومن البِغال خمسمئة بغل.

وذكر أن مبلغ مَنْ قتِل من أصحاب السلطان في هذه الوقعة سوى غلمانهم والحمّالين ومَنْ كان في السواد ألف وخمسمئة رجل ، فقوَي القرمطيّ وأصحابه بما أخذوا في هذه الوقعة ، وتطرّف بيادرَ كانت إلى جانبه ، فأخذ منها طعاماً وشعيراً ، وحمله على بغال السلطان إلى عسكره ، وارتحل من موضع الوقعة نحواً من خمسة أميال في العرض إلى موضع يقرب من الموضع المعروف بنهر المثنيّة ، وذلك أن روائح القتلى آذتهم.

وذكر عن محمد بن داود بن الجراح أنه قال: وافى بابَ الكوفة الأعرابُ الذين

كان زكرويه راسلهم ، وقد انصرف المسلمون عن مصلّاهم مع إسحاق بن عمران ، فتفرّقوا من جهتين ، ودخلوا أبيات الكوفة ، وقد ضربوا على القاسم بن أحمد داعية زكرويه قُبّة ، وقالوا : هذا ابن رسول الله ﷺ ، ودعَوْا : يالثارات الحسين! يعنون الحسين بن زكرويه المصلوب بباب جسر مدينة السلام ، وشعارهم : يا أحمد يا محمد ـ يعنون ابنيْ زكرويه المقتولين. وأظهروا الأعلام البيض ، وقدّرُوا أن يستغووا رعاع الكوفيّين بذلك القول ، فأسرع إسحاق بن عمران ومَنْ معه المبادرة نحوهم ، ودفعهم وقتل مَنْ ثبت له منهم ، وحضر جماعةٌ من آل أبي طالب ، فحاربوا مع إسحاق بن عمران ، وحضر جماعة من العامّة ؛ فحاربوا ، فانصرف القرامطة خاسئين ، وصاروا إلى قرية تدعى العَشيرة من آخر عمل طَسُّوج السالحين ونهر يوسف مما يلي البرّ من يومهم ، وأنفذوا إلى عدوّ الله زكرويه بن مهرويه مَن استخرجه من نقير في الأرض ، كان متطمّراً فيه سنين كثيرة بقرية الدرية وأهل قرية الصّؤر يتلقّونَه على أيديهم ، ويسمّونه وليّ الله ، فسجدوا له لمّا رأوْه ، وحضر معه جماعة من دعاته وخاصّته ، وأعلمهم أنّ القاسم بن أحمد أعظم الناس عليهم مِنّةً ، وأنه ردّهم إلى الدّين بعد خروجهم منه ، وأنهم إذا امتثلوا أمْره أنجز مواعيدَهم ، وبلّغهم آمالَهم ، ورمز لهم رموزاً ؛ وذكر فيها آيات من القرآن ، نقلها عن الوجه الذي أنزلت فيه ، واعترف لزكرويه جميع مَنْ رسخ حبُّ الكفر في قلبه من عربيّ ومولًى ونبَطيّ وغيرهم أنه رئيسهم المقدّم ، وكهفهم وملاذُهم ، وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل ، وسار بهم وهو محجوب عنهم يدعونه السيّد ، ولا يبرزونه لمن في عسكرهم ، والقاسم يتولّى الأمور دونه ، ويُمضيها على رأيه إلى مؤاخر سِقْي الفرات من عمل الكوفة ، وأعلمهم أنّ أهل السواد قاطبة خارجون إليه ، فأقام هنالكَ نَيّفاً وعشرين يوماً ؛ يبثّ رسلَه في السواديَين مستلحقين ، فلم يلحق بهم من السواديين إلا من لحقته الشقوة ، وهم زهاء خمسمئة رجل بنسائهم وأولادهم ، وسرّب إليه السلطان الجنود ، وكتب إلى كلّ مَنْ كان نفذ نحو الأنبار وهِيت لضبطها خوفاً من معاودة المقيمين الذين كانوا بالماءين إليها بالانصراف نحو الكوفة ، فعجّل إليهم جماعة من القوّاد منهم : بشر الأفشينيّ ، وجنى الصفوانيّ ، ونحرير العمريّ ، ورائق فتى أمير المؤمنين ، والغلمان الصّغار المعروفين بالحُجَريّة ، فأوقعوا بأعداء الله بقرب قرية الصؤر ، فقتلوا رجّالتهم وجماعة من فرسانهم ، وأسلموا بيوتَهم في

أيديهم ، فدخلوها ، وتشاغلوا بها ، فعطفت القرامطة عليهم فهزموهم (١).

وذُكر عن بعض مَنْ ذُكر أنه حضر مجلس محمد بن داود بن الجراح ، وقد أدخِل إليه قوم من القرامطة ، منهم سِلْفُ زكرويه ، فكان مما حدّثه أنه قال: كان زكرويه مختفياً في منزلي في سرداب في داري عليه باب حديد ، وكان لنا تنُّور ننقله ، فإذا جاءنا الطلب وضعنا التنُّور على باب السرداب ، وقامت امرأة تسجُره؛ فمكث كذلك أربع سنين ، وذلك في أيام المعتضد ، وكان يقول: لا أخرج والمعتضد في الأحياء ، ثم انتقلِ من منزلي إلى دار قد جُعل فيها بيت وراء باب الدار ، إذا فتح باب الدار انطبق على باب البيت ، فيدخل الداخل فلا يرى بابَ البيت الذي هو فيه ، فلم يزل هذه حاله حتى مات المعتضد ، فحينئذ أنفذ الدّعاة ، وعمل في الخروج.

ولما ورد خبر الوقعة التي كانت بين القرمطيّ وأصحاب السلطان بالصؤر على السلطان والناس ، أعظموه ، ونُدب للخروج إلى الكوفة مَنْ ذكرت من القوّاد ، وجُعِلت الرئاسة لمحمد بن إسحاق بن كُنْدَاج ، وضمّ إليه جماعة من أعراب بني شيبان والنّمِر زهاء ألفيْ رجل ، وأعطُوا الأرزاق.

* * *

ولاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى قدم بغداد من مكة جماعة نحو العشرة ، فصاروا إلى باب السلطان ، وسألوه توجيه جيش إلى بلدهم ، لأنهم على خوف من الخارج بناحية اليَمن أن يطأ بلدهم ، إذ كان قد قرب منها بزعمهم.

وفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلتْ من رجب ، قرئ على المنبر ببغداد كتابٌ ورد على السلطان ، أنّ أهل صنعاء وغيرهم من مُدن اليمن اجتمعوا على الخارجيّ الذي كان تغلّب عليها ، فحاربوه وهزموه ، وفلّوا جُموعه ، فانحاز إلى موضع من نواحي اليمن ، ثم خلع السلطان لثلاث خلوْن من شوال على مظفّر

---

(١) هذه نهاية التفاصيل التي ذكرها الطبري عن تلك المعارك الطاحنة فقد لخّصها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية [٨/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣] وانظر المنتظم [١٣/ ٤٤ ـ ٤٥] فابن الجوزي بدوره اختصر تلك التفاصيل فلينظر.

ابن حاجّ ، وعقد له على اليمن ، فخرج ابن حاجّ لخمس خلون من ذي القعدة ، ومضى إلى عمله باليمن ، فأقام بها حتى مات.

ولسبعٍ بقين من رجب من هذه السنة ، أخرِج مضرب المكتفي ، فضرب بباب الشماسيَّة على أن يخرج إلى الشأم بسبب ابن الخليج ، فوردت خريطة لستّ بقين منه من مصر من قبَل فاتك ، يذكر أنه والقوّاد زحفوا إلى الخليجيّ ، وكانت بينهم حروب كثيرة ، وأن آخر حرب جرت بينهم وبينه قتِل فيها أكثر أصحابه ، ثم انهزم الباقون ، فظفروا بهم ، واحتَووْا على معسكرهم ، فهرب الخليجيّ حتى دخل الفسطاط ، فاستتر بها عند رجل من أهل البلد ، ودخل الأولياءُ الفسطاط ، فلما استقرّوا بها دُلّ على الخليجي ، وعلى مَنْ كان استتر معه ممن شايعه ، فقبض عليهم وحبسهم قبَله ، فكتب إلى فاتك في حمل الخليجي ومَنْ أخذ معه إلى مدينة السلام ، فرُدّت مضارب المكتفي التي أخرجت إلى باب الشماسة ، ووجّه في ردّ خزائنه ، فردّت وقد كانت جاوزت تكريت[(١)].

ثم وجّه فاتك بالخليجي من مِصْر وجماعة ممّن أسِر معه مع بِشْر مولى محمد بن أبي الساج إلى مدينة السلام.

فلمّا كان في يوم الخميس للنصف من شهر رمضان من هذه السنة أدخِل مدينة السلام من باب الشماسية ، وقُدّم بين يديه إحدى وعشرون رجلاً على جمال ، وعليهم برانس ودراريع حرير ، منهم ابنا بينَك - فيما قيل - وابن أشكال الذي كان صار إلى السلطان من عسكر عمرو الصفار في الأمان ، وصندل المزاحِميّ الخادم الأسود.

فلما وصل الخليجيّ إلى المكتفي ، فنظر إليه أمر بحبسه في الدار ، وأمر بحبس الآخرين في الحديد ، فوجّه بهم إلى ابن عمرويه ، وكانت إليه الشرطة ببغداد ، ثم خلع المكتفي على وزيره العباس بن الحسن خَلعاً ، لحسن تدبيره في هذا الفتح ، وخلع على بشر الأفشينيّ.

ولخمس خلوْن من شوال أدخل بغداد رأس القرمطيّ المسمى نصراً الذي كان انتهب هِيت منصوباً على قناة.

---

(١) انظر البداية والنهاية (٨/ ٢٧٢).

ولسبع خلون من شوّال ورد الخبر مدينة السلام أنّ الرّوم أغاروا على قُورس ، فقاتلهم أهلُها ، فهزموهم ، وقتلوا أكثرَهم ، وقتلوا رؤساء بني تميم ، ودخلوا المدينة ، وأحرقوا مسجدَها ، واستاقوا مَنْ بَقي من أهلها.

وحجّ بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشميّ(١).

* * *

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فممّا كان فيها من ذلك دخول ابن كيغَلغ طَرَسُوس غازياً في أوَّل المحرّم وخرج معه رُستَم ، وهي غزاة رستم الثانية ، فبلغوا سلندو ، ففتح الله عليهم ، وصاروا إلى آلِس ، فحصل في أيديهم نحو من خمسة آلاف رأس ، وقتلوا مِن الروم مقتلَةً عظيمة ، وانصرفوا سالمين.

[خبر زكرويه بن مهرويه القرمطيّ](٢)

ولاثنتي عشرة خلتْ من المحرّم ورد الخبر مدينة السلام أن زكرويه بن مهرويه القرمطيّ ارتحل من الموضع المعروف بنهر المثنية ، يريد الحاجّ وأنه وافَى موضعاً بينه وبين واقصة أربعة أميال.

وذكر عن محمد بن داود أنهم مَضَوْا في البرّ من جهة المشرق ، حتى صاروا بالماء المسمّى سَلْمان ، وصار ما بينهم وبين السواد مفازة ، فأقام بموضعه يريد الحاجّ ينتظر القافلة الأولى ، ووافت القافلة واقصة لستٍّ ـ أو سبع ـ خلوْن من المحرّم ، فأنذرهم أهلُ المنزل ، وأخبروهم أنّ بينهم وبينه أربعة أميال.

فارتحلوا ولم يقيموا فنَجوْا ، وكان في هذه القافلة الحسن بن موسى الرّبَعيّ ، وسيما الإِبراهيميّ ، فلما أمعنت القافلة في السّيْر صار القرمطيّ إلى واقصة ،

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٤٥).
(٢) انظر المنتظم [١٣/ ٤٩ ـ ٥٠] فقد ذكر ابن الجوزي الخبر الطويل (هذا) مختصراً.

فسألهم عن القافلة فأخبروه أنها لم تقُم بواقصة ، فاتّهمهم بإنذارهم إياهم ، فقتَل من العلافين بها جماعة ، وأحرق العلف ، وتحصّن أهلُها في حصنهم ، فأقام بها أياماً ، ثم ارتحل عنها نحو زبالة.

وذكر عن محمد بن داود أنه قال: إن العساكر سارت في طلب زكرويه نحو عيون الطفّ ، ثم انصرفت عنه لمّا علمت بمكانه بسلْمان ، ونفذ علاّن بن كُشمَرْد مع قطعة من فرسان الجيش متجرّدة على طريق جادّة مكة نحو زكرويه حتى نزلوا السِّبال ، فمضى نحو واقصة حتى نزلها بعد أن جازت القافلة الأولى ، ومرّ زكرويه في طريقه بطوائف من بني أسد ، فأخذها من بيوتها معه ، وقصد الحاجّ المنصرفين عن مكة ، وقصد الجادّة نحوهم.

ووافَى خبرُ العطير من اللحوق لأربع عشر بقيتْ من المحرّم من هذه السنة بأن زكرويه اعترض قافلة الخُراسانية يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من المحرّم بالعقبة من طريق مكة ، فحاربوه حرباً شديداً ، فساءلهم: وقال: أفيكم السلطانُ؟ قالوا: ليس معنا سلطان ، ونحن الحاجّ ، فقال لهم: فامضوا فلستُ أريدكم ، فلما سارت القافلة تَبِعها فأوقع بها ، وجعل أصحابه ينخسون الجمال بالرّماح ، ويبعجونها بالسيوف ، فنفرت واختلطت القافلة ، وأكبّ أصحاب الخبيث على الحاجّ يقتلونهم كيف شاؤوا ، فقتلوا الرّجال والنساء ، وسَبوْا من النساء من أرادوا واحتووا على ما كان في القافلة ، وقد كان لقيَ بعض مَنْ أفلت من هذه القافلة عَلاَّن بن كشمرد ، فسأله عن الخبر ، فأعلمه ما نزل بالقافلة الخراسانية ، وقال له: ما بينك وبين القوم إلاّ قليل ، والليلة أو في غد توافي القافلة الثانية ، فإن رأوا عَلماً للسلطان قويتْ أنفسهم ، واللهَ اللهَ فيهم! فرجع عَلاّن من ساعته ، وأمر مَنْ معه بالرجوع ، وقال: لا أعرّض أصحاب السلطان للقتل ، ثم أصعد زكرويه ، ووافته القافلة الثانية.

وقد كان السلطان كتب إلى رؤساء القافلتين الثانية والثالثة ومن كان فيهما من القوّاد والكُتّاب مع جماعة من الرّسل الذين تنكّبوا طريق الجادّة بخبر الفاسق وفعله بالحاجّ ، ويأمرهم بالتحرّز منه ، والعدول عن الجادّة نحو واسط والبصرة ، أو الرجوع إلى فَيْد أو إلى المدينة ، إلى أن يُلحِق بهم الجيوش.

ووصلت الكتب إليهم فلم يسمعوا ولم يقيموا ، ولم يلبثوا وتقدّم أهل القافلة

الثانية وفيها المبارك القُمّيّ وأحمد بن نصر العُقيليّ وأحمد بن عليّ بن الحسين الهمذانيّ ، فوافوا الفجرة وقد رحلوا عن واقصة وعوّروا مياهها ، وملؤوا بركها وآبارها بجيف الإبل والدوابّ التي كانت معهم ، مشقّقة بطونها ، ووردُوا منزل العقبة في يوم الإثنين لاثنتي عشرة خلتْ من المحرّم ، فحاربهم أصحاب القافلة الثانية ، وكان أبو العشائر مع أصحابه في أوّل القافلة ومبارك القميّ فيمن معه في ساقتها ، فجرت بينهم حربٌ شديدة حتى كشفوهم ، وأشرفوا على الظفر بهم ، فوجد الفجرة من ساقتِهم غِرّة ، فركبوهم من جهتها ، ووضعوا رماحهم في جنوب إبلهم وبطونها ، فطحنتهم الإبل وتمكنوا منهم ، فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم ، إلا مَنْ استعبدوه ، ثم أنفذوا إلى ما دون العقبة بأميال فوارس لحقوا المُفلتة من السيف ، فأعطوْهم الأمان ، فرجعوا فقتلوهم أجمعين ، وسَبَوْا من النساء ما أحبُّوا ، واكتسحوا الأموال والأمتعة ، وقُتل المبارك القميّ والمظفر ابنه ، وأسِر أبو العشائر ، وجُمع القتلى ، فُوضع بعضهم على بعض ، حتى صاروا كالتلّ العظيم ، ثم قطِعت يدا أبي العشائر ورجلاه ، وضُربت عنقه ، وأطلِق من النساء مَنْ لم يرغبوا فيه ، وأفلت من الجرحى قومٌ وقعوا بين القتلى ، فتحاملوا في الليلِ ومضوا؛ فمنهم من مات ، ومنهم مَنْ نجا وهم قليل ، وكان نساءُ القرامطة يَطُفْن مع صبيانهم في القتلَى يعرضون عليهم الماء ، فمَن كلّمهم أجهزوا عليه .

وقيل : إنه كان في القافلة من الحاج زهاء عشرين ألف رجل ، قُتل جميعهم غير نفر يسير ممّن قويَ على العدوّ ، فنجا بغير زاد ومَن وقع في القتل وهو مجروح ، وأفلت بعدُ ، أو مَن استعبدوه لخدمتهم .

وذكر أن الذي أخذوا من المال والأمتعة الفاخرة في هذه القافلة قيمةُ ألفي ألف دينار .

وذكر عن بعض الضرّابين : أنه قال : وردت علينا كتب الضرّابين بمصر : أنكم في هذه السنة تستغنون ، قد وجّه آل ابن طولون والقوّاد المصريون الذين أشخِصوا إلى مدينة السلام ، ومَنْ كان في مثل حالهم في حمل ما لهم بمصر إلى مدينة السلام ، وقد سبكوا آنية الذهب والفضة والحلي نِقاراً ، وحمل إلى مكة

ليوافوا به مدينة السلام مع الحاجّ ، فحُمِل في القوافل الشاخصة إلى مدينة السلام ، فذهب ذلك كله.

وذكر: أن القرامطة بينما هم يقتلون وينهبون هذه القافلة يوم الإثنين؛ إذ أقبلت قافلة الخُراسانية ، فخرج إليهم جماعةٌ من القرامطة ، فواقعوهم ، فكان سبيلُهم سَبيلَ هذه ، فلما فرغ زكرويه من أهل القافلة الثانية من الحاجّ. وأخذ أموالهم ، واستباح حريمَهم ، رحل مِنْ وقته من العقبة بعد أن ملأ البرك والآبار بها بالجَيف من الناس والدواب ، وكان ورد خبر قطعه على القافلة الثانية من قوافل السلطان مدينة السلام في عشيَّة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من المحرّم ، فعظم ذلك على الناس جميعاً وعلى السلطان ، وندب الوزيرُ العباس بن الحسن بن أيوب محمدَ بن داود بن الجرّاح الكاتب المتوَلِّي دواوين الخراج والضياع بالمشرق وديوان الجيش للخروج إلى الكوفة ، والمقام بها لإنفاذ الجيوش إلى القرمطيّ ، فخرج من بغداد لإحدى عشرة بقيتْ من المحرّم ، وحمل معه أموالاً كثيرة لإعطاء الجند.

ثم سار زكرويه إلى زُبالة فنزلها ، وبثّ الطلائع أمامه ووراءه خوفاً من أصحاب السلطان المقيمين بالقادسيّة أن يلحقوه ومتوقعاً ورود القافلة الثالثة التي فيها الأموال والتجار ، ثم سار إلى الثعلبيّة ، ثم إلى الشقوق ، وأقام بها بين الشقوق والبِطان في طرف الرّمل في موضع يعرف بالطليح ، ينتظر القافلة الثالثة ، وفيها من القوّاد نفيس المولديُّ وصالح الأسود ، ومعه الشَّمْسَة والخزانة ، وكانت الشمسة جعل فيها المعتضد جوهراً نفيساً.

وفي هذه القافلة ، كان إبراهيم بن أبي الأشعث ـ وإليه كان قضاء مكة والمدينة وأمر طريق مكة والنفقة فيه لمصالحه ـ وميمون بن إبراهيم الكاتب ـ وكان إليه أمر ديوان زمام الخراج والضياع ـ وأحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الهزلَّج ، والفرات بن أحمد بن محمد بن الفرات ، والحسن بن إسماعيل قرابة العباس بن الحسن ـ وكان يتولى بريد الحرمين ـ وعليُّ بن العباس النَّهيكيّ.

فلما صار أهل هذه القافلة إلى فيْد بلغهم خبرُ الخبيث زكرويه وأصحابه ، وأقاموا بِفَيْد أياماً ينتظرون تقويةً لهم من قِبَل السلطان.

وقد كان ابن كشمرد رجع من الطريق إلى القادسية في الجيوش التي أنفذها السلطان معه وقبله وبعد.

ثم سار زكرويه إلى فَيْد، وبها عامل السلطان، يقال له: حامد بن فيروز، فالتجأ منه حامد إلى أحد حصنيها في نحو من مئة رجل كانوا معه في المسجد، وشحَّن الحصن الآخر بالرّجال، فجعل زكرويه يراسل أهل فَيْد، ويسألهم أن يُسلموا إليه عاملهم ومَنْ فيها من الجند، وأنهم إن فعلوا ذلك آمنهم، فلم يجيبوه إلى ما سأل، ولمّا لم يجيبوه حاربهم، فلم يظفر منهم بشيء، قال: فلما رأى أنه لا طاقة له بأهلها، تنحّى فصار إلى النِّباج، ثم إلى حُفَير أبي موسى الأشعريّ.

وفي أول شهر ربيع الأول أنهض المكتفي وصيف بن صوارتكين ـ ومعه من القوّاد جماعة ـ فنفذوا من القادسية على طريق خَفَّان، فلقيَه وصيف يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الأول، فاقتتلوا يومَهم، ثم حجز بينهم الليل، فباتوا يتحارسون، ثم عاودهم الحرب، فقتَل جيش السلطان منهم مقتلة عظيمة، وخلصوا إلى عدوّ الله زكرويه، فضربه بعض الجند بالسيف على قفاه وهو مولٍّ ضربةً اتصلت بدماغه، فأُخِذ أسيراً وحليفته وجماعة من خاصّته، وأقربائه، فيهم ابنه وكاتبه وزوجته، واحتوى الجند على ما في عسكره، وعاش زكرويه خمسة ايام ثم مات، فشُقَّ بطنه، ثم حُمِل بهيئته، وانصرف بمن كان بقي حيّاً في يديه من أسرى الحاج.

* * *

وفيها غزا ابن كَيْغلغ من طَرَسوس، فأصاب من العدوّ أربعة آلاف رأس سبْي ودوابّ ومواشي كثيرة ومتاعاً، ودخل بِطْريق من البطارقة إليه في الأمان، وأسلم، وكان شخوصه من طَرَسوس لهذه الغزاة في أول المحرم من هذه السنة[(١)].

وفيها كاتب أندرونقس البطريق السلطانَ يطلب الأمان، وكان على حرب أهل الثغور من قِبَل صاحب الروم، فأعطِيَ ذلك، فخرج، وأخرج نحواً من مئتي

(١) انظر البداية والنهاية [٨/ ٢٧٣].

نفس من المسلمين كانوا أسرى في حِصْنه ، وكان صاحب الرّوم قد وجّه إليه مَنْ يقبض عليه ، فأعطى المسلمين الذين كانوا في حصنه أسرى السلاحَ ، وأخرج معهم بعض بنيه ، فكبسوا البِطْريق الموّجه إليه للقبض عليه ليلاً ؛ فقتلوا ممّن معه خَلْقاً كثيراً ، وغنموا ما في عسكره ، وكان رستم قد خرج في أهل الثغور في جمادى الأولى قاصداً أندرونقس ليتخلّصه ، فوافَى رستم قونية بعقب الوقْعة ، وعلم البطارقة بمسير المسلمين إليهم فانصرفوا ، ووجّه أندرونقس ابنه إلى رستم ، ووجّه رستم كاتبه وجماعة من البحريين ، فباتوا في الحصن ، فلما أصبحوا خرج أندرونقس وجميعُ مَنْ معه من أسارى المسلمين ، ومَنْ صار إليهم منهم ، ومَنْ وافقه على رأيه من النصارى ، وأخرج ماله ومتاعه إلى معسكر المسلمين ، وخرّب المسلمون قونية ، ثم قفلوا إلى طَرَسُوس وأندرونقس وأسارى المسلمين ، ومَنْ كان مع أندرونقس من النصارى .

وفي جمادى الآخرة منها كانت بين أصحاب حسين بن حمدان بن حمدون وجماعة من أصحاب زكرويه كانوا هربوا من الوَقعة التي أصابه فيها ما أصابه ، وأخذوا طريق الفرات يريدون الشأم ، فأوقع بهم وقعة ، فقتل جماعة منهم ، وأسرَ جماعة من نسائهم وصبيانهم .

وفيها وافَى رسل ملك الروم أحدهم خال ولده أليون وبسيل الخادم ، ومعهم جماعة باب الشماسيّة بكتاب منه إلى المكتفي يسأله الفداء بمَنْ في بلاده من المسلمين ، مَنْ في بلاد الإسلام من الرّوم ، وأن يوجّه المكتفي رسولاً إلى بلاد الروم ليجمع الأسرى من المسلمين الذين في بلاده ، وليجتمع هو معه على أمر يتّفقان عليه ، ويتخلّف بسيل الخادم بطرسوس ليجتمع إليه الأسرى من الروم في الثغور ليصيّرهم مع صاحب السلطان إلى موضع الفداء ، فأقاموا بباب الشماسيَّة أياماً ، ثم أدخِلوا بغداد ومعهم هدية من صاحب الروم عشرة من أسارى المسلمين ، فقبلت منهم ، وأجيب صاحب الروم إلى ما سأل .

وفيها أخِذ رجل بالشأم ـ زعم أنه السفيانيّ ـ فحمِل هو وجماعة معه من الشأم إلى باب السلطان ، فقيل : إنه موسوس .

* * *

وفيها أخذ الأعراب بطريق مكة رجلين يعرف أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم ، وذُكر : أن المعروف بالمنتقم منهما أخو امرأة زكرويه ، فدفعوهما إلى نزار بالكوفة ، فوجّههما نزار إلى السلطان ، فذُكر عن الأعراب أنهما كانا صارا إليهما يدعوانهم إلى الخروج على السلطان .

وفيها وجّه الحسين بن حمدان من طريق الشأم رجلاً يعرف بالكيال مع ستين رجلاً من أصحابه إلى السلطان كانوا استأمنوا إليه من أصحاب زكرويه .

وفيها وصل إلى بغداد أندرونقس البطريق .

وفيها كانت وقعة بين الحسين بن حمدان وأعراب كليب والنَّمر وأسد وغيرهم ، اجتمعوا عليه في شهر رمضان منها ، فهزموه حتى بلغوا به باب حلب .

وفيها حاصر أعراب طيّئ وصيف بن صوارتكين بفَيْد ، وكان وُجّه أميراً على الموسم ، فحوصر ثلاثة أيام ، ثم خرج إليهم ، فواقعهم فقتل منهم قتلى ، ثم انهزمت الأعراب ، ورحل وصيف من فيْد بمن معه من الحاجّ .

وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشميُّ(١) .

* * *

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومئتين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عبد الله بن إبراهيم المِسمعيّ عن مدينة أصبهان إلى قرية من قراها على فراسخ منها وانضمام نحو من عشرة آلاف من الأكراد وغيرهم ـ فيما ذكر ـ إليه مظهراً الخلاف على السلطان ، فأمر بدر الحماميّ بالشخوص إليه ، وضُمّ إليه جماعة من القوّاد ونحو من خمسة آلاف من الجند .

وفيها كانت وقعة للحسين بن موسى على أعراب طيّئ الذين كانوا حاربوا وصيف بن صوارتكين على غرّة منهم ، فقَتَل من رجالهم ـ فيما قيل ـ سبعين ، وأسرَ من فرسانهم جماعة .

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٥٠).

وفيها تُوُفِّيَ أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد عامل خراسان وما وراء النهر في صفر منها لأربع عشرة خلت منه ، وقام ابنه أحمد بن إسماعيل بن أحمد في عمل أبيه مقامه ، ووليَ أعمال أبيه ، وذكر: أن المكتفي لأربع ليال خلوْن من شهر ربيع الآخر قَعَد ، فعقد بيده لواء ودفعه إلى طاهر بن عليّ بن وزير ، وخلع عليه وأمره بالخروج باللواء إلى أحمد بن إسماعيل(١) .

وفيها وُجّه منصور بن عبد الله بن منصور الكاتب إلى عبد الله بن إبراهيم المسمعيّ ، وكتب إليه يخوّفه عاقبة الخلاف إليه ، فتوجّه إليه ، فلما صار إليه ناظره ، فرجع إلى طاعة السلطان ، وشخص في نفر من غلمانه ، واستخلف على عمله بأصبهان خليفة ، ومعه منصور بن عبد الله ، حتى صار إلى باب السلطان ، فرضيَ عنه المكتفي ، ووصله وخلع عليه وعلى ابنه .

وفيها أوقع الحسين بن موسى بالكرديّ المتغلّب كان على نواحي الموصل ، فظفر بأصحابه ، واستباح عسكره وأمواله ، وأفلت الكرديّ فتعلق بالجبال فلم يدرَك .

وفيها فتح المظفر بن حاج بعض ما كان غلب عليه بعض الخوارج باليمن ، وأخذ رئيساً من رؤسائهم يعرف بالحكيميّ .

وفيها لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة أمر خاقان المفلحيّ بالشخوص إلى أذْرَبيجان لحرب يوسف بن أبي الساج ، وضمّ إليه نحو أربعة آلاف رجل من الجند .

ولثلاث عشرة بقيت من شهر رمضان دخل بغداد رسول أبي مُضَر زيادة الله بن الأغلف ، ومعه فتح الأعجميّ ، ومعه هدايا وجّه بها إلى المكتفي .

وفيها تمّ الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة؛ وكانت عدّة من فُودِيَ بها من الرجال والنساء ثلاثمئة آلاف نفس(٢) .

وفي ذي القعدة لاثنتي عشرة ليلة خلت منها تُوفِّيَ المكتفي بالله ، وكانت

---

(١) لوفاة إسماعيل عامل خراسان انظر وفيات الأعيان (٥/ ١٦١).
(٢) انظر المنتظم (١٣/ ٥٩).

خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً ، وكان يوم تُوُفِّيَ ابنَ اثنتين وثلاثين سنة يومئذ ، وكان وُلد سنة أربع وستين ومئتين ، ويكنى أبا محمد ، وأمه أم ولد تركية تسمى جِيجك ، وكان رَبعةً جميلاً ، رقيق اللون ، حسن الشعر ، وافر الجُمّة ، وافر اللحية[1] .

* * *

(١) وكذلك ذكر ابن الجوزي (المنتظم ١٣/ ٥٩) واختار الحافظ ابن كثير أنه توفي في ذي القعدة من هذه السنة [البداية والنهاية ٨/ ٢٧٤] ولترجمته ووفاته انظر سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٧٩) وتأريخ بغداد [١١/ ٣١٦] .

خلافة المقتدر بالله

ثم بويع جعفر بن المعتضد بالله؛ ولما بويع جعفر بن المعتضد لقّب المقتدر بالله وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وأحد وعشرين يوماً ، وكان مولده ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان من سنة اثنتين وثمانين ومئتين ، وكنيته أبو الفضل ، وأمه أمُّ ولد يقال لها شغب ، فذُكر أنه كان في بيت المال يوم بويع خمسة عشر ألف ألف دينار ، ولما بويع المقتدر غسّل المكتفي وصلّى عليه ، ودُفن في موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر(١) .

وفيها كانت بين عج بن حاج والجند وقعة في اليوم الثاني من أيام منى ، قتِل فيها جماعة ، وجرح منهم بسبب طلبهم جائزة بيعة المقتدر ، وهرب الناس الذين كانوا بمنى إلى بستان ابن عامر ، وانتهب الجند مضرب أبي عدنان ربيعة بن محمد بمنى ، وكان أحد أمراء القوافل ، وأصاب المنصرفين من مكة في منصرفهم في الطريق من القطع والعطش أمر غليظ ، مات من العطش ـ فيما قيل ـ منهم جماعة، وسمعت بعض من يحكى : أن الرجل كان يبول في كفّه ، ثم يشربه .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشميّ .

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من اجتماع جماعة من القوّاد والكتاب والقضاة على خلع

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٦٠) وقد قال فيما قال (ابن الجوزي) : وبويع بالخلافة بعد وفاة المكتفي في سحر يوم الأحد لأربع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة . ا هـ . وهذا الذي اختاره الحافظ ابن كثير [٨/ ٢٧٥] .

المقتدر ، وتناظرهم فيمن يُجعل في موضعه ، فاجتمع رأيهم على عبد الله بن المعتزّ وناظروه في ذلك ، فأجابهم إلى ذلك على ألاَّ يكون في ذلك سفك دم ولا حرب ، فأخبروه : أنّ الأمر يسلَّم إليه عفواً ، وأن جميع مَنْ وراءهم من الجند والقواد والكتاب قد رضُوا به ، فبايعهم على ذلك ، وكان الرأس في ذلك محمد بن داود بن الجراح ، وأبو المثنّى أحمد بن يعقوب القاضي ، وواطأ محمد بن داود بن الجراح جماعةً من القوّاد على الفتْك بالمقتدر والبيعة لعبد الله بن المعتزّ ، وكان العباس بن الحسن على مثل رأيهم ، فلمّا رأى العباس أمره مستوثقاً له مع المقتدر ، بدا له فيما كان عزم عليه من ذلك ، فحينئذ وثب به الآخرون فقتلوه ، وكان الذي تولَّى قتلَه بدرٌ الأعجمي ، والحسين بن حمدان ، ووصيف بن صوارتكين ، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول .

ولما كان من غدِ هذا اليوم ـ وذلك يوم الأحد ـ خلع المقتدرَ القوّاد ، والكتاب ، وقضاة بغداد ، وبايعوا عبد الله بن المعتزّ ، ولقبوه الراضي بالله[1] . وكان الذي أخذ له البيعة على القوّاد وتولّى استخلافهم والدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش .

وفي هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار حرب شديدة من غدوة إلى انتصاف النهار .

وفيه انفضّت الجموع التي كان محمد بن داود جمعها لبيعة ابن المعتزّ عنه؛ وذلك : أن الخادم الذي يدعى مؤنساً حمل غلماناً من غلمان الدار في شَذَوات ،

---

(١) تحدث ابن الجوزي عن اجتماع القادة المذكورين وبيعتهم لابن المعتز [المنتظم ١٣/ ٧٩] والبداية والنهاية [٨/ ٢٧٧] وهنالك رواية مسندة تتحدث عن هذه الواقعة وتبين الرواية حرص الطبري على معرفة ما دار وما حدث في هذا الاجتماع ورأيه الخاص في ذلك فقد قال المعافى بن زكريا الجريري وهو يتحدث عن هذه الحادثة التي حدثت سنة (٢٩٦ هـ) (لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز دخلوا على شيخنا محمد بن جرير الطبري فقال : ما الخبر؟ قيل بويع ابن المعتز قال فمن رشح للوزارة؟ قيل محمد بن داود قال فمن ذكر للقضاء؟ قيل : أبو المثنى فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم . . . إلى آخر الخبر ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي/ ٤٢٦ .

فصاعد بها وهم فيها في دجْلة ، فلما حاذوا الدار التي فيها ابن المعتزّ ومحمد بن داود صاحوا بهم ، ورشقوهم بالنّشاب ، فتفرّقوا وهربَ مَنْ في الدار من الجند والقوّاد والكتاب ، وهرب ابن المعتزّ ولحق بعض الذين بايعوا ابن المعتزّ بالمقتدر ، فاعتذروا بأنه منِع من المصير إليه ، واختفى بعضهم فأخِذوا وقتِلوا وانتهب العامة دور ابن داود والعباس بن الحسن؛ وأخذ ابن المعتزّ فيمن أخِذ.

وفي يوم السبت لأربع بقين من شهر ربيع الأول منها سقط الثلج ببغداد من غدوة إلى قدر صلاة العصر ، حتى صار في الدور والسطوح منه نحو من أربعة أصابع ، وذكر أنه لم ير ببغداد مثل ذلك قطّ[١] .

وفي يوم الإثنين لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول منها ، سُلِّم محمد بن يوسف القاضي ، ومحمد بن عمرويه ، وأبو المثنّى ، وابن الجصاص ، والأزرق كاتب الجيش في جماعة غيرهم إلى مؤنس الخازن ، فترك أبا المثنى في دار السلطان ، ونقل الآخرين إلى منزله ، فافتدى بعضهم نفسه ، وقتل بعضهم ، وشُفع في بعض فأطلِق[٢] .

وفيها كانت وقعة بين طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وسُبْكَرِي غلام عمرو بن الليث ، فأسر سبكري طاهراً ، ووجّهه مع أخيه يعقوب بن محمد إلى السلطان.

وفيها وجّه القاسم بن سيما مع جماعة من القوّاد والجند في طلب حسين بن حمدان بن حمدون ، فشخص لذلك حتى صار إلى قرقيسيا والرّحبة ، والدّالية ، وكتب إلى أخي الحسين عبد الله بن حمدان بن حمدون بطلب أخيه ، فالتقى هو وأخوه بموضع يعرف بالأعمى بين تكريت والسُّودقانية بالجانب الغربي من دِجْلة ، فانهزم عبد الله ، وبعث الحسين يطلب الأمان ، فأعطِي ذلك.

ولسبع بقين من جمادى الآخرة منها وافَى الحسين بن حمدان بغداد ، فنزل باب حرب ، ثم صار إلى دار السلطان من غد ذلك اليوم ، فخلع عليه وعقد له على قُمَّ وقاشان.

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٨١).
(٢) انظر المنتظم (١٣/ ٨٢).

ولستٍّ بقين من جمادى الآخرة ، خُلع على ابن دُليل النصرانيّ كاتب يوسف بن أبي الساج ورسوله ، وعقد ليوسف بن أبي الساج على المراغة وأذْرَبيجان ، وحُمِلت إليه الخلع ، وأمر بالشخوص إلى عمله .

وللنصف من شعبان منها خلع على مؤنس الخادم ، وأمِر بالشخوص إلى طَرَسُوس لغزو الصائفة ، فنفذ لذلك وخرج في عسكر كثيف وجماعة من القوّاد وغلمان الحجر(١) .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمي(٢) .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزو مؤنس الخادم الصائفة بلاد الروم من ثغر مَلَطْية في جيش كثيف ، ومعه أبو الأغرّ السُّلمّي وظفر بالرُّوم ، وأسر أعلاجاً في آخر سنة ست وتسعين ومئتين ، وورد الخبر بذلك على السلطان لست خلون من المحرّم(٣) .

وفيها صار الليث بن عليّ بن الليث الصفار إلى فارس في جيش ، فتغلّب عليها ، وطرد عنها سُبْكَرِي ، وذلك بعدما ولّى السلطان سُبْكَرِي بعدما بعث سبكري طاهر بن محمد إلى السلطان أسيراً ، فأمر المقتدر مؤنساً الخادم بالشخوص إلى فارس لحرب الليث بن عليّ ، فشخص إليها في شهر رمضان منها .

وفيه وجّه أيضاً المقتدر القاسم بن سيما لغزوة الصائفة ببلاد الروم في جمع كثير من الجند في شوال منها(٤) .

وفيها كانت بين مؤنس الخادم والليث بن عليّ بن الليث وقعة هزم فيها

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٨٢) .
(٢) انظر المنتظم (١٣/ ٨٢) .
(٣) انظر المنتظم (١٣/ ٩٣) .
(٤) انظر المنتظم (١٣/ ٩٣) .

الليث ، ثم أسِر وقتل من أصحابه جماعة كثيرة ، واستأمن منهم إلى مؤنس جماعة كثيرة ، ودخل أصحاب السلطان النوبندجان ، وكان الليث قد تغلّب عليها.

وأقام الحجّ فيها للناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد[١] .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان فيها من غزو القاسم بن سيما أرض الروم الصائفة[٢] .

وفيها وجّه المقتدر وصيف كامه الديلميّ في جيش وجماعة من القوّاد لحرب سُبْكَرِي غلام عمرو بن الليث.

وفيها كانت بين سُبْكَرِي ووصيف كامه وقعة هزمه فيها وصيف ، وأخرجه من عمل فارس ، ودخل وصيف كامه ومن معه فارس ، واستأمن إليه من أصحاب سَبْكَرِي جماعة كثيرة ، فأسر رئيس عسكره المعروف بالقتال ، ومضى سَبْكَري هارباً إلى أحمد بن إسماعيل بن أحمد بما معه من الأموال والذخائر فأخذ ما معه إسماعيل بن أحمد ، وقبض عليه فحبسه.

وفيها كانت بين أحمد بن إسماعيل بن أحمد ومحمد بن عليّ بن الليث وقعة بناحية بُسْت والرُّخْج ، أسره فيها أحمد بن إسماعيل.

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك[٣] .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومئتين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزو رستم بن بردوا الصائفة من ناحية طَرَسوس ، وهو

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ٩٣).
(٢) انظر المنتظم (١٣/ ١٠٥).
(٣) انظر المنتظم (١٣/ ١٠٥).

والي الثغور من قبَل بني نَفيس ، ومعه دميانة ، فحاصر حصن مَليح الأرمنيّ ، ثم رَحل عنه ، وأحرق أرباض ذي الكلاع .

وفيها ورد رسول أحمد بن إسماعيل بن أحمد بكتاب منه إلى السلطان يخبره فيه أنه فتح سِجِسْتان ، وأنّ أصحابه دخلوها ، وأخرجوا مَن كان بها من أصحاب الصّفار ، وأن المعدّل بن عليّ بن الليث صار إليه بمن معه من أصحابه في الأمان ، وكان المعدّل يومئذ مقيماً بزرنج ، فصار إلى أحمد بن إسماعيل وهو مقيم ببُسْت والرّخّج ، فوجّه به ابن إسماعيل وبعياله ومن معه إلى هراة ، وبين سجستان وبُست الرخج ستون فرسخاً ، فوردت الخريطة بذلك على السلطان يوم الإثنين لعشر خلوْن من صفر[١] .

وفيها وافى بغداد العطير صاحب زكرويه ومعه الأغرّ ـ وهو أيضاً أحد قوّاد زكرويه ـ مستأمناً .

وفي ذي الحجة منها غضب على عليّ بن محمد بن الفُرات لأربع خلوْن منه ، وحبس ووُكّل بدوره ودور أهله وأخِذ كلّ ما وُجد له ولهم ، وانتهب دوره ودور بني إخوته وأهلهم ، واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان[٢] .

وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك[٣] .

ثم دخلت سنة ثلاثمئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من ورود بغداد رسول من العامل على بَرْقة ، وهي من عمل مصر ، إلى ما خلفها بأربع فراسخ ، ثم ما بعد ذلك من عمل المغرب بخبر خارجيّ خرج عليه ، وأنه ظفر بعسكره ، وقتل خلقاً من أصحابه ، ومعه آذان وأنوف مَنْ قتله في خيوط وأعلام من أعلام الخارجيّ .

وفي هذه السنة كَثُرت الأمراض والعِلل ببغداد في الناس ، وذُكر أنّ الكلاب

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ١٢٤) .
(٢) انظر المنتظم (١٣/ ١٢٣) .
(٣) انظر المنتظم (١٣/ ١٢٣) .

والذئاب كلبت فيها بالبادية ، فكانت تطلب الناس والدوابّ والبهائم ، فإذا عضّت إنساناً أهلكته(١).

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشميّ(٢).

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك عزل المقتدر محمد بن عبيد الله عن الوزارة وحبسه إياه مع ابنيه عبد الله وعبد الواحد وتصييره عليّ بن عيسى بن داود بن الجراح له وزيراً(٣).

وفيها كثر أيضاً الوباء ببغداد ، فكان بها منه نوع سمّوه حَنِيناً ، ومنعه نوعٌ سمَّوه الماسرا ؛ فأما الحَنين فكانت سليمة ، وأما الماسرا فكانت طاعوناً قتالة(٤).

وفيها أحضِر دار الوزير عليّ بن عيسى رجل ـ ذكر أنه يعرف بالحلاج ويكنى أبا محمد ـ مُشعْوذ ، ومعه صاحب له ، سمعتُ جماعة من الناس يزعمون أنه يدَّعى الربوبية فصُلبَ هو وصاحبه ثلاثة أيام ، كلّ يوم من ذلك من أوله إلى انتصافه ، ثم ينزل بهما ، فيؤمر بهما إلى الحبس ، فحُبِس مدة طويلة ، فافتتن به جماعة منهم نصر القشوريّ وغيره ، إلى أن ضجّ الناس ، ودَعَوْا على من يَعيبه ، وفحش أمره ، وأخرِج من الحبس ، فقُطعت يداه ورجلاه ، ثم ضرِبت عنقه ، ثم أحرِق بالنار.

وفيها غزا الصائفة الحسين بن حمدان بن حمدون ، فورد كتاب من طرسوس يذكر فيه أنه فتح حصوناً كثيرة ، وقتل من الروم خلقاً كثيراً(٥).

وفيها قُتِل أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر ، قتله

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ١٣٣).
(٢) انظر المنتظم (١٣/ ١٣٣).
(٣) انظر المنتظم (١٣/ ١٤١).
(٤) انظر المنتظم (١٣/ ١٤١).
(٥) انظر المنتظم (١٣/ ١٤١).

غلام له تركيٌّ - أخصٌّ غلمانه به - ذبحاً ، هو وغلامان معه ، دخلوا عليه في قبّته ، ثم هربوا فلم يدرَكوا.

وفيها وقع الاختلاف بين نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد وعمّ أبيه إسحاق بن أحمد ، فكان مع نصر بن أحمد غلمان أبيه وكتابه وجماعة من قُوّاده والأموال والكُراع والسلاح ، وانحاز بعد قتل أبيه إلى بخارى وإسحاق بن أحمد بسَمَرْقَنْد وهو عليل من نِقْرس به ، فدعا الناس بَسَمرْقنْد إلى مبايعته على الرئاسة عليهم ، وبعث كلّ واحد منهما إلى السلطان كتبه خاطباً على نفسه عمل إسماعيل بن أحمد ، وأنفذ إسحاق كتبه - فيما ذكر - إلى عمران المرزبانيّ لإيصالها إلى السلطان ، ففعل ذلك ، وأنفذ نصر بن أحمد بن إسماعيل كتبه إلى حماد بن أحمد؛ ليتولّى إيصالَها إلى السلطان ، ففعل.

وفيها كانت وقعة بين نصر بن أحمد بن إسماعيل وأصحابه من أهل بُخارى وإسحاق بن أحمد عمّ أبيه وأصحابه من أهل سَمَرْقند لأربع عشرة بقيت من شعبان منها ، هَزَم فيها نصر وأصحابه إسحاقَ وأهل سمرقند ومَنْ كان قد انضمّ إليه من أهل تلك النواحي ، وتفرّقوا عنه هاربين ، وكانت هذه الوقعة بينهم على باب بخارى.

وفيها زحف أهل بخارى إلى أهل سَمَرْقند بعدما هزموا إسحاق بن أحمد ومَنْ معه ، فكانت بينهم وقعة أخرى ظفِر فيها أيضاً أهلُ بخارى بأهل سَمَرْقند فهزموهم ، وقتلوا منهم مقتلَة عظيمة ، ودخلوا سَمَرْقند قَسْراً ، وأخذوا إسحاق بن أحمد أسيراً ، وولَّوْا ما كان إليه من عمل ابناً لعمرو بن نصر بن أحمد.

وفيها دخل أصحاب ابن البصريّ من أهل المغرب برقة ، وطرد عنها عامل السلطان.

وولي أبو بكر محمد بن عليّ بن أحمد بن أبي زنبور الماذَرَائي أعمال مصر وخراجها.

وفيها قُتِل أبو سعيد الجنّابيّ الخارج كان بناحية البحرين وهجر ، قتله - فيما قيل - خادم له.

وفيها كثرت الأمراض والعلل ببغداد ، وفشا الموت في أهلها ، وكان أكثر ذلك ـ فيما قيل ـ في الحربية وأهل الأرباض[١] .

وفيها وافَى قائد من قواد ابن البصريّ في البرابرة والمغاربة الإسكندرية .

وفيها ورد كتاب تَكِين عامل السلطان من مصر يسأله المدد .

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك[٢] .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثمئة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من إشخاص الوزير عليّ بن عيسى . . . ابن عبد الباقي في ألفي فارس فيها لغزو الصائفة ، معونة لبشر خادم ابن أبي الساج وهو والي طَرَسُوس من قبَل السلطان إلى طَرَسُوس ، فلم يتيسَّر لهم غزو الصائفة ، فغزوها شاتية في برد شديد وثلج .

وفيها تنحّى الحسن بن عليّ العَلَويّ الأطْروش بعد غلبته على طبرستان عن آمُل ، وصار إلى سالوس فأقام بها ، ووجّه صعلوك صاحب الريّ إليه جيشاً ، فلم يكن لجيشه بها ثبات ، وعاد الحسن بن عليّ إليها ، ولم ير الناس مثل عدلِ الأطروش وحسن سيرته وإقامته الحق .

وفيها دخل حَبَاسة صاحب ابن البصريّ الإسكندرية ، وغلب عليها ، وذكر أنه وردها في مئتي مركب في البحر .

وفيها وافىِ حباسة صاحب ابن البصريّ موضعاً من فسطاط مصر على مرحلة ، يقال لها : سَفط ، ثم رجع منه إلى وراء ذلك ، فنزل منزلاً بين الفسْطاط والإسكندرية .

وفيها شخص مؤنس الخادم إلى مصر لحرب حباسة ، وقوِيَ بالرجال والسلاح والمال .

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ١٤٢).

(٢) انظر المنتظم (١٣/ ١٤٢).

وفيها لسبع بقين من جمادى الأولى قُبِض على الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص وعلى ابنيه ، واسْتُصْفِيَ كلّ شيء له ، ثم حُبِس وقُيِّد(١).

وفيها كانت وقعة بمصر بين أصحاب السلطان وحَبَاسة وأصحابه لستّ بقين من جمادى الأولى منها ، فقُتل من الفريقين جماعة ، وجُرحت منهم جماعة ، ثم أخرى بعد ذلك بيوم نحو التي كانت في هذه ، ثم ثالثة بعد ذلك في جمادى الآخرة منها.

ولأربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة منها ورد كتاب بوقعة كانت بينهم ، هزم أصحاب السلطان فيها المغاربة.

وفيها ورد كتاب من بشر عامل السلطان على طَرَسُوس على السلطان ، يذكر فيه غزوه أرض الروم ، وما فتح فيها من الحصون ، وما غُنِم وسُبِيَ ، وأنه أسر من البطارقة مئة وخمسين ، وأنّ مبلغ السّبْي نحو من ألفي رأس(٢).

ولإحدى عشرة بقيَت من رجب ورد الخبر من مصر أنّ أصحاب السلطان لقوا حَباسة وأهل المغرب يقاتلونهم ، فكانت الهزيمة على المغاربة ، فقتلوا منهم وأسَرُوا سبعة آلاف رجل ، وهرب الباقون مفلولين ، وكانت الوقعة يوم الخميس بسلخ جمادى الآخرة.

وفيها انصرف حباسة ومَنْ معه من المغاربة عن الإسكندرية راجعين إلى المغرب بعد ما ناظَر ـ فيما ذكر ـ حباسة عامل السلطان بمصر على الدّخول إليه بالأمان ، وجرت بينهما في ذلك كتب ، وكان انصرافه ـ فيما ذكر ـ لاختلاف حدث بين أصحابه في الموضع الذي شخص منه.

وفيها أوقع يانسُ الخادم بناحية وادي الذئاب ، وما قرب من ذلك الموضع بمن هنالك من الأعراب ، فقتَل منهم مقتلة عظيمةً ، ذكر أنه قتل منهم سبعة آلاف رجل ، ونهب بيوتَهم ، وأصاب في بيوتهم من أموال التجار وأمتعتهم التي كانوا أخذوها بقطع الطريق عليهم ما لا يحصى كثرته.

---

(١) انظر المنتظم (١٣/ ١٥٠).
(٢) انظر المنتظم (١٣/ ١٥٠).

ولست خلوْن من ذي الحجة هلكت بدعة مولاة المأمون.

وحجّ بالناس فيها الفضل بن عبد الملك.

* * *

وفي اليوم الثاني والعشرين من ذي الحجة منها خرج أعراب من الحاجر على ثلاثة فراسخ مما يلي البر على المنصرفين من مكة، فقطعوا عليهم الطريق، وأخذوا. . . ما معهم من العين واستاقوا من جمالهم ما أرادوا، وأخذوا ـ فيما قيل ـ مئتين وثمانين امرأة حرائر سوى من أخذوا من المماليك والإماء[1].

تمّ الكتاب، وهو آخر تاريخ ابن جرير الطبري رحمه الله، وقد ضّمنّا هذا الكتاب أبواباً من أوله إلى آخره، حيث انتهينا إليه من يومنا هذا، فما كان متأخّراً ذكرناه برواية سماع إن أخّر الله في الأجل.

* * *

(١) انظر المنتظم (١٣/ ١٥١) وهذه آخر حاشية من حواشينا المتعلقة بتخريج أخبار تأريخ الطبري رحمه الله تعالى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ـ الأول من صفر عام ١٤٢٤ للهجرة.

فهرس الموضوعات

السنة الحادية والخمسون بعد المئتين

السنة الثانية والخمسون بعد المئتين

السنة الثالثة والخمسون بعد المئتين

السنة الرابعة والخمسون بعد المئتين

السنة الخامسة والخمسون بعد المئتين

السنة السادسة والخمسون بعد المئتين